

٢٠٠ **بفكر الاسلام**

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية علمية

تصدرها مئسفة الأزهة لشرفة

تطهر غرة كل شهر عربي

المجلد السادس	المحرم سنة ١٣٥٤	المنة السادسة
---------------	-----------------	---------------

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فوزي زكريا

الاشتراك	الإدارة
<p>داخل القطر المصري ٣٠</p> <p>خارج القطر المصري ٤٠</p> <p>العلماء غير المدرسين وأئمة المساجد والمأذنين ومعلمي المدارس</p> <p>الاولية والطلاب ومعلمي الحكومة ومجالس المدرجات</p> <p>الطلاب وأئمة المساجد ٣٠</p>	<p>شارع محمد مظلوم باشا رقم ١</p> <p>تليفون : ٨٤٣٣٣</p> <p>الرسائل تكون باسم مدير المجلة</p>

من الجزء الواحد ٣ صاع داخل القطر و ٤ خارجة

مطبعة المآهد الدينية الاسلامية

١٩٣٥ - ١٩٣٤ م

فاتحة السنة السادسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفتتح سنتنا الجديدة بحمد الله على ما وقفنا اليه من خدمة دينه الحنيف، مستمدين منه العون على متابعة خطواتنا في هذا السبيل، ومستلهمين حكمته الأزلية في كشف آياته، وتجليه بيناته، والدفاع عن أصول دينه القويم، والذيادة عن حماه، على أكل الأساليب وأجدرها بحلاله.

ولما كان مما ندب اليه الدين التحدث بفضل الله، فإننا نذكر أن ما قنابنا في سنتنا الماضية قد لقي ارتياحا عاما من قراء هذه المجلة، فكان هذا الارتياح مشجعا لنا على المضي في خطتنا، وممدا لنا بقوى معنوية ظلت لنا المعينات في طريقنا، وحافزا لنا على زيادة البذل من جهودنا، والإتفاق من أوقاتنا. وإنا لنقدم في هذه الفرصة بمضايفة الجهد في العمل، وموالة التحري لاختيار الأصابع من البحوث، والأفضل من الموضوعات، حتى نبلغ بعون الله الى المثل الأعلى الذي يرجونه لنا ورجوه لهذه المجلة التي هي معقد الأمل في نشر فضائل الاسلام وحججه الدامغة.

فإن الجامع الأزهر الذي قدر الله له أن يرفع علم الاسلام عاليا منذ نحو ألف سنة، قد قصد من نشر هذه المجلة أن يتيح لمن لم يسعده الحظ بالانخراط في سلك طلبته، أن يطلع وهو في عقر داره على أفضل ما تشعره قرائح أعلامه من شروح قيمة لكتاب الله وسنة رسوله، وبحوث ممتعة في شريعته، وحجج ساطعة في الدفاع عن أصوله، والمناخلة عن حقائقه. ولقد أصبح الاتصال الروحي بواسطة هذه المجلة بين الأزهر وبين المسلمين في كثير من البلاد النائية على وجه يبشر بقرب الوصول الى الناية التي البها قصدنا.

وإتانا لنعلم أن كل ما نبذله من طيبات نفوسنا وعقولنا ، فهو قليل في جانب ما نتوخاه من إحسان الدفاع في أكرم موقف من مواقف الحقيقة الإسلامية .
ولما كان العمل على نشر فضائل الإسلام بين المسلمين وغيرهم يقتضى أن يُطلع من لا يعرف اللغة العربية على شيء من بحوث هذه المجلة ، فقد عنيت إدارة المعاهد بذلك وجعلت طائفة صالحة من مقالات المجلة والأحاديث النبوية تصدرونها باللغة الإنجليزية التي هي أكثر شيوعاً بين المسلمين وغيرهم .

ومجلة نور الإسلام ترحب بكل بحث يرد إليها في الموضوعات المقررة لها من علماء الأقطار النائية ، توثيقاً للترابط الأخرى بين المسلمين كافة على اختلاف أجناسهم ودياناتهم ، وتحقيقاً لوحدة الوجهة والغاية بين أبناء الخيرية السمحة .

ومتى ذكرنا الأزهري ومجلة الأزهري ، وجب علينا أن نذكر من له اليد البيضاء على الأزهري ومجلته ، ذلكم هو حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك « فؤاد الأول » ملك مصر ، سمي حتى الدين ورافع لوائه ، فهو صاحب الفضل في هذه النهضة العظيمة ، فقد أغدق على هذا المعهد من فيض يديه ما جعله يقوم بالأعباء الملقة على عاتقه بهذا التحول من السداد والكفاية . سدد الله خطاه وأيده بروح من عنده وحفظه ذخراً للعلم برعاه بحمايته ، ويحوظه بعنايته ، فرب العين بولى عهده أمير الصعيد حضرة صاحب السمو الملكي « الأمير فاروق » ، بفضل الله وكرمه .
محمد فريد ومبرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكرى الهجرة النبوية

إن فائحة كل عام من أحوام السنة القمرية تثير في نفوسنا ذكرى الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة للنورة ، وتثير معها ذكريات أخرى لا يأت وعبر تزداد على صر الأحقاب عظمة ، ونكسب على نسبة تقدم العلوم وتتابع الحوادث جلالات ودوعة .

لما شرف الله محمدًا صلى الله عليه وسلم برسائله إلى الناس كافة ، أخذ يدعو إلى الإسلام سرًا ، فأتخذ دار الأرقم بن أبي الأرقم مقرا للاجتماع فيه بمن يؤمن به ، فكان يوافيه السابقون إلى قبول دعونه ، فيبذلهم ما ينزله الله عليه من الوحي . لبث على تلك الحال مدة ، ثم أمره الله أن يدعو إلى دينه عشيرته الأقرين ، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس ، فدعاهم إليه وبشرهم وأنذرهم . فرد عليه جمهورهم بكلام لين إلا عمه أبا لهب ، فإنه قال : خذوا على يديه قبل أن يجتمع عليه العرب ، فإن أسلمتموه ذلتم ، وإن منتموه قتلتم . فقال عمه أبو طالب : والله لنمنعه ما بقينا ، وانصرف الجميع .

ثم أمر الله رسوله بأن يدعو الناس كافة واعدًا إياه بأن يحفظه من كيد الكائدين فأنزل عليه قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالتك ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين » وقوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفييناك المستزئين الذين يعملون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون » ، فاضطلع صلى الله عليه وسلم بما حملة ربه من أعباء الرسالة أحسن اضطلاع ، فلم يدع وسيلة إلا قام بها ، فأغضب ذلك قريشا وهي قبيلته التي يعتزى إليها ، فشرعت في صده عما هو فيه من طريق المحاسنة أولا ، ثم بالإغراء بالسال والجاه ثانيا ، فلما لم يرفع بمسولانها رأسا ، ولم يقيم لها وزنا ، صمدت إلى الاستهزاء به ،

والتشجيع عليه ، ثم الى اضطهاد واضطهاد الذين اتبعوه ، واستمرت في ذلك بما أملتة عليها جاهليتها .

فلما اشتد على المسلمين الأمر ، وضاق عليهم الخناق ، أذن الله لهم في التفرق في الأرض مهابدينهم ، وأشار عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة ، فخرجوا ولم يبق مع رسول الله إلا القليل .

في هذه الأثناء أسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلا شديدا مهيبا ، فكسب المسلمون بإسلامه قوة .

تخاف المشركون أن يفلت الأمر من أيديهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يعتمدوا على أفسى الوسائل في قمع حركتهم ، فرأوا أن يطلبوا الى عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم من ذكرنا آنفا ، أن يسلموه لهم ، فلما أبوا عليهم ذلك فردوا مقاطعتهم ، واجتمع قاذتهم وكتبوا عهدا بذلك ووضعوه في جوف الكعبة ، فرأى عشيرته أن ينتقلوا الى شعب أبي طالب ، فدخلوه جميعا ، وبقوا فيه ثلاث سنين حتى نفذت أقواتهم وأكلوا ورق الشجر ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما حل بأصحابه وعشيرته أمرهم بأن يهاجروا الى الحبشة ثانية ، فهاجر منهم اليها ثلاثة وثمانون رجلا وثمانى عشرة امرأة ، فأرسلت قريش وراءم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ليكيدوا لهم كيذا عند النجاشي ، فلم يرفع بسمايتهم رأسا .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب مع عشيرته ، وصل الى مكة وفد من نصارى نجران باليمن ، فلما رأوا أمارات النبوة عليه وما يتحمله من الشدة في سبيل الدعوة الى دينه ، أدركوا أنه رسول الله حقا فآمنوا به ، وكان عددهم عشرين رجلا ، ورجعوا الى قومهم .

فلما نعى الى قريش أن رجالا من أهل المدينة اتصلوا سرا بالنبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا على يده وأخذوا يدعون قومهم للإيمان به ، وأن المسلمين شرعوا يهاجرون

اليهم زرافات ووحدانا، سرا وعلانية، أدرك القرشيون أن الساعة قد أرقت لتنفيذ ما أضمره من قتل رسول الله وتفرق دمه في قبائلهم، فأوحى الله اليه بما يتوهم له من الشر، وأمره أن يهاجر إلى المدينة. فصدع النبي صلى الله عليه وسلم بأمر ربه، وخرج إليها هو وأبو بكر ليلاً، فلما أدركهما الصبح اختفيا بفار موحش في الطريق، موقنين أن المشركين سيعقبونهما، ولما أمنا للطلب خرجا منه وتابما طريقهما حتى وصلا إلى المدينة، فاستقبلهما أهلها باحتفاء عظيم، وكان الإسلام قد استبحر فيها، فاتخذها صلى الله عليه وسلم مقراً للدعوة، وجعل أهلها أنصاراً له، وقبلوا هم أن يداقموا عنه بأموالهم وأرواحهم من يقصده بسوء ولو تألب عليه العالم كله.

هذه حوادث فذة في تاريخ الإنسانية لا يجوز إغفال النظر فيها، وبخاصة تحت ضوء العلوم الاجتماعية، فقد أبانت نواحي إذا جليت نجلت منها آيات يستصغر بجانبيها أكبر حوادث التاريخ، وتصبح من أقوى الأدلة على صحة الرسالة المحمدية. ونحن نبينها في ثلاثة فصول:

- (أولها) ظهور دعوة عامة للأمم كافة، من بيثلة لم تنضج بعد حتى لدعوة خاصة.
- (ثانيها) تطوع طائفة لا يزيد عددها على بضعة ألوف للدفاع عنها حيال العالم كله ونجاحها في ذلك.
- (ثالثها) تحقق ما وعده الكتاب الكريم هذه الطائفة من النصر ومن نبوءة خلافة الله في الأرض.

فيحسن بنا أن نتولى النظر في هذه الآيات الثلاث، فنقول:

نجاح دعوة عامة في بيثلة لم تنضج لدعوة خاصة:

قرر العلم الاجتماعي أن المجتمعات أول ما تنشأ تكون على حالة قبائل، متعددة متباينة في الأخلاق والعادات، فتبقى على ما هي عليه قروناً حتى يحدث لها بفعل عوامل التطور

ما يدفعها الى التوحيد ، فتنشأ منها أمة ساذجة ، فلا تزال تمر بها الحوادث ، وتقوم من أودها ، وتهدى من روابطها ، فرونا أخرى حتى تصير أمة مستحصدة المعرى ، قوية البنية ، تصلح للكفاح والغلب . وعلى هذا الترتيب التدريجى تظهر فيها المبادئ والأصول الأدبية ، فلم يشاهد قط أمة تتكون تكونا فجائيا على أكل ما تكون قوة وصلابة ، ولا أمة كانت مجردة من المبادئ والأصول ، نهض بفتة لنخل على العالم أرفع الأصول وأكمل المبادئ ، وتمجج في ذلك نجاحا لامرئ بعده في سنين معدودة .

العالم كله يعلم أن العرب كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم على مثل ما كانوا عليه منذ أجيال كثيرة : قبائل متفرقة ، وأوزاع متنافرة ، لا يوحد كلهم دين ، ولا تضم نشرهم جامعة ، وكانت بينهم حروب متوارة ، وإحن وثارات قائمة على اعتبارات جاهلية موبقة ، عاشوا كل تلك الأجيال على هذه الحال مستبشرين ما كانوا فيه من مفاخرهم . لم يقم فيهم من يدعوهم لتوحيد كلهم ، ولا لتعديد وجهتهم ، وتعيين غايتهم ، ولم يكن في طبيعة بلادهم ، وقهولة بيئاتهم ، ما يضطرهم الى حياة مشتركة ثم جنسهم كله . ولم يكونوا هم في أمة مطبقة ليتأثروا بحاجات عقلية تدعوهم للنظر ، وتبهرهم على التفكير ، ثم تحفزهم الى تغيير ما هم فيه من الجود على عقائد باطلة ، وتقاليد ضارة .

فلما أرسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، أنكروه ولكن أى إنكار ، ونادوا عليه ولكن أية ثورة ، فرموا رسول الله بالافتراء والاختلاق ، وبالسحر وقول الشعر ، بل بالجنون . وقد حكى الله بعض ما واجهوا به الدعوة الاسلامية فقال تعالى : « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجبك الآلهة لها واحدا ، إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق » . وقال تعالى : « وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين . وما آتيناكم من كتب يدرسونها ، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير » . وقال تعالى : « ويضولون :

أَتُنَّا لَنَارِكُو أَهْمَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ » وقال تعالى : « وقال الذين كفروا هل نُدْلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ؟ أفترى على الله كذبا أم به جنة ، بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد » وقال تعالى : « وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ، أهذا الذي بعت الله رسولا ؟ إن كاد لَيُبْلِغُنَا عن آهْمَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ، وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا . » وقال تعالى : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، لو لا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى إليه كثر ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . »

فكان الحق جل وعلا وهم في موقفهم هذا يداول لهم بين الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، ويضرب لهم الأمثال ، ويدعوهم للنظر والاعتبار ، فلم يزدادوا إلا عتوا واستكبارا ، ونفورا من الحق وإنكارا ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم تكاد تذهب نفسه حشرات عليهم ، فيمده الله بالآيات تهديته لقلبه ، وتأسية له بالرسول من قبله ، من مثل قوله تعالى : « ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك » وقوله تعالى : « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير . » وقوله تعالى : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبي المرسلين . وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبنتني تلقا في الأرض أو سُلِّمًا في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين . »

هذه كانت حال البيئتين التي أرسل فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، من الاستعصاء عن قبول دعوته ، والتأدي في مناوآته ، حتى فررت قتله والتخلص منه ، فأطلعه الله على ما ينتو له من الشر ، وأمره بالهجرة إلى المدينة بعد أن لبث فيهم ثلاث عشرة سنة لا يألوهم نصحا ، وليس بعد هذا دليل على أن تلك البيئتين لم تكن مستعدة لأحداث

أى انقلاب فى حالتها الاجتماعية والأدبية . وفى هذا الاستعصاء أكبر رد على الذين يقولون إن العرب كانوا على وشك تغيير مآم عليهم من الحالة النفسية ، فلما قام محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة فيهم اتبعوه وأيدوه .

تطوع طائفة للدفاع عنه الدعوة الإسلامية :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعد أن ينس من قومه أن يعرض نفسه على القبائل التى كانت تأتى الى مكة للحج أيام الموسم ، فكانوا لا يأبهون لدعوته ، فاتفق أن قابل فيمن قابلهم رجالا من الأوس والخزرج سكان المدينة ، فاستعصموا دعوته ووعده بعرض أسره على قومهم ، فحضر خصيما لهذه الدعوة فى العام التالى نحو سبعين رجلا منهم ، فاجتمعوا فى جنح الظلام فى شعب من شعاب مكة ، وقبلوا أن يدخلوا فى الاسلام ، وأن يدافعوا عنه ولو أدام ذلك الى مكافئة العالم أجمع ، وجر ذلك الى فئاتهم جميعا . ثم قالوا وما لنا على هذا كله ؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : لكم الجنة ، قالوا رضينا ، وانصرفوا على أن يهاجر اليهم هو ومن بقى بمكة معه من أصحابه ، وأن يستدعى من ذهب الى الحبشة منهم ليوافوا إخوانهم بالمدينة ، ثم انفضوا على ذلك .

هنا أربع آيات من أكبر ما استعجلاه الناس من آيات الله فى خلقه :

(أولها) قبول قبيلتين من قبائل العرب البمانية دعوة يقوم بها رجل من قبيلة عدنانية ، على ما كان بين هاتين القبيلتين من التنافس والتناكر فى تاريخهما كله ، ومعنى قبولها دعوته خضوعهما لسلطانه ، وهذا ما كان يحدث بين قبيلتين تمت إحداهما للأخرى بصلة القرابة ، فكيف به بين فريقين متنافسين ؟

(ثانيا) اضطلاع طائفة من الناس لا يزيد عدد آحادهما على بضعة آلاف بعبء خطير يعرضها لمعاداة جميع قبائل العرب ، بله شعوب الأرض كافة .

(ثالثها) اطمئنان هذه الطائفة الى الاسلام الى حد مماداة العالم كله فى سبيله ، ولم تمض عليهم فيه حقبة من الدهر تكفى لأن تطبع نفسياتهم بطابعه ، وتحبب اليهم بذل أرواحهم فى نصرته . هذه طفرة لم يشاهد لها مثيل فى تاريخ النفسية الانسانية .

(رابعها) رضاه هذه الطائفة بالجملة جزاء على هذه التضحية ، فلا الملك ولا سلطانة ، ولا الدنيا ولا ملذاتها كانت لديهم شيئاً يمكن أن يعوقهم من إحيائهم دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

لا مشاحة في أن هذه آيات يجب أن يراها الناس ويتأملون فيها ، فإنها من أدل الدلائل على التأييد الإلهي لرسوله ، ومن أقوى الشواهد على أن النبوة أمر تخرق له سنن الكون ، وتخضع له قواه وتوابعه .

تحقق ما وعد الله به رسوله منه النصر

إن شئت أن تشهد آية هي أكبر وأجل آيات الله في عبادته ، فاشهد أن قام رجل في جماعات أمية ، في أحط دركات الجاهلية ، يدعوها لأن يجتمع على دين لا عهد لها بمثله ، يخضعها عن أكثر عاداتها ، ويمتلئها عن أثبت موروثاتها ، ويقبها على نهج جديد لم تعهده في جميع أدوار تاريخها ، فينجح في ذلك نجاحاً لم يقدر مثله لمصلح كان قبله أو جاء بعده . تقول دائرة معارف لاروس في عرض كلامها عن الإصلاحات الاجتماعية : « إن المبادئ الجديدة والأصول الطريفة ، لا يمكن أن تسرى في نفسية أمة من الأمم بمجرد بثها فيها ، ولكن لابد من مرور أجيال متعاقبة عليها قبل أن ترسخ في نفسها وتصبح حالاً لها ، وتصدر أعمالها عنها . »

نقول : هذا ما قرره العلم ، ودلت عليه التجارب الإصلاحية في الأمم ، ولكن الدعوة الإسلامية ، على سمو أصولها عن كل الأصول المعروفة إلى اليوم ، قد قبلتها الطائفة التي تنديت لحايتها ، وقامت على سنتها طفرة ، فتأدت بها إلى السيادة على الأرض ، وهذا وحده من أكبر المعجزات في نظر العلم الاجتماعي ، لأنه ينقض أكبر ناموس فيه ، وهو ناموس التطورات التدريجية .

وفد أشار الكتاب نفسه إلى جلالة هذا الأمر ، فأضافه إلى محض قدرة العزيز العليم إكباراً لشأنه ، وإعظاماً لخطره ، فقال تعالى : « واذكروا إذ كنتم أعداء فأثف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على حفرة من النار فأنقذكم منها . »

وقال تعالى : « لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم » .

إننا ذكر كل هذه الحوادث الكبرى ، كلما عنت فرصة لذكرها ، لأن الأمر أكبر من أن تكفي فيه البحوث المستفيضة والتعليقات الدقيقة ، فمرآته وإعجازه يشجدان بزيادة مادة العلم ، وتوالي العبر العالمية . وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد قنبر ومبري

سحر البيان يقضي الحاجات

قال العتيبي : قدم عبد الله بن زرارة الكلبي على معاوية وهو أمير المؤمنين فقال : إني لم أزل أهر ذوائب الرمال إليك ، فلم أجده معولا إلا عليك ، أنتطى الليل بعد النهار ، وأسم المجاهل بالآثار ، بقودنى إليك أمل ، وتسوقنى بلوى ، والمحتهد يعذر ، وإذ بلغتك فقطنى (نى حسبي) .

فقال له معاوية : احصط عن راحلتك .

ودخل كريب بن زفر بن الحرف على يزيد بن المهلب فقال : أصلح الله الأمير ! أنت أعظم من أن يستمان بك ويستمان عليك ، ولست تفعل من الخير شيئا إلا ويصغرك وأنت أكبر منه ، ولا العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل .

فقال له يزيد بن المهلب : صل حاجتك .

قال كريب : حملت عن عشرين عشرا ديات ،

قال يزيد : قد أمرت لك بها وشفتها بمثلها .

وأتى رجل إلى حاتم الطائي فقال : إنها وقعت بيني وبين قوم ديات فاحتملتها في مالي وأملى ، فقدمت مالي وكنت أنت أملى ، فإن تحملها عنى قرب ثم قد فرجه ، وغم كفيه ، ودين قضيته . وإن حال دون ذلك حاش لم أذم يومك ، ولم أياس من غدك .

فحملها حاتم عنه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مهمة الدين الاسلامي في العالم

— ١٧ —

أغراضه الاجتماعية — نظرة تمهيدية في مقومات الاجتماع

الاجتماع كالبناء ، وإنما الفرق بينهما أن الأول مؤلف من آحاد أحياء ، والثاني من مواد خامدة ، وكلاهما بحاجة الى ما يربط وحدانه بعضها ببعض ، ويجعل منها جسما واحدا . فالبناء بحاجة الى مادة ماسكة هي الملاط ، والثاني يستدعي وجود روابط أدبية بين الأفراد .

فكل مجتمع لا يصلح للحياة المشتركة ، إلا إذا وجدت بين آحاده روابط من ضروب شتى ، تجمع بينهم وتوجههم الى غرض واحد .

وقد وجدت هذه الروابط في أول أدوار الاجتماع ، وكانت من السفاجة على قدر ما كان عليه الأجيال الأولى من البساطة . ولم يكن لانسان لا يستطيع أن يعيش إلا مجتمعا بأفراد من نوعه ، كانت أولى تلك الروابط الحاجة للعاشية . فكان الأفراد يترابطون على القيام بها تحصيلًا للنفوت ، ودفعًا عن الخوزة ضد الحيوانات الضارية ، وصد الغيرين عليهم من الجماعات المجاورة لهم . وكانوا كلما ارتقوا في الأسباب ، زدت الروابط التي بينهم تركبًا ، وما زالت تتركب حتى بلغ لانسان شأوا لميدا من المدنية ، فباضت الروابط بينهم من التتمدد بحيث يموزها خبرة عظيمة بما يناسب الجيل من القيود والروابط . من هنا صارت الحاجة ماسة الى وجود علماء الاجتماع ليعرفوا هذه الروابط ، ويقفوا على أسباب توثقها ، وعمل تفككها ، ووسائل معالجتها ، حرصا على بنية الاجتماع من الانحلال .

جاء الاسلام فوجد أمتا قوية قد ترابطت فيما بينها على الحياة والفتح وتفسير الأُمم ؛ وكانت على عقائد خرافية تتغافى في الذب عنها ، غافى بأرقى ما يمكن تصويره من روابط الاجتماع القائمة على أحكم الأصول الأدبية .

ولقد أثبت العلم أن روابط الاجتماع نفسها تتنازع الحياة كما تتنازعها الأحياء ، فلا يقدر النصر والبقاء إلا للأكمل منها ، ويتلاشى الضعيف للثبات منها بالأدواء ، حتى لا يبقى إلا لأصلح المحقق لنا موس الارتقاء : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

لقد أدهش الناس كلهم أن تقوم الأمة الإسلامية في أبعد بقاع المعمورة عن العمران ، فتلقى بنفسها في معمران المزاومات الاجتماعية ، ونجول في الأرض جولات تراث بها سيادة العالم كله ، وتحثك بالأُمم العريقة في الاجتماع فتتزع منها السوداء والسلطان ؛ أدهش الناس هذا فطففوا يعللونه بضروب من العلل ، فهم من زعم أن أسباب هذا الفوز تنحصر في أن الاسلام دفع ذويه للجهاد ، ووعدهم عليه الجنة ، ومنهم من تخيل أن علته تفكك روابط الأُمم التي كانت معاصرة للمسلمين الأولين ، ويفيب عنهم كلهم أن هذا التبسط الاسلامي كان يصحبه ارتقاء يناسبه في جميع المعارف البشرية ، ويختلف الصنائع والفنون ، ويسايره توسع في العمران ، واستبحار في للدنية الفاضلة ، وكل هذا يبين أن ليست الأسباب التقدمية هي وحدها التي جعلت لاسلام ينتشر في بقاع الأرض ، وبم هذه الأُمم القوية الروابط ، ويحتل من نفوسها تلك السكينة السامية التي لم تصل إليها أية عقيدة أخرى .

إذ لو كان الدافع لهذه النهضة العظيمة هو حب الجهاد وحده ، لكان قصارى أمر المجتمع الاسلامي الأول أن يبلغ مداه ثم يتراجع ويمحى أثره ، ككل نهضة حربية في الأرض ، وليس تاريخ التوسع الحربي لبختنصر والاسكندر المقدوني وجنكيزخان وديمورثك وغيرهم مما يعزب عن الأذهان .

نعم إن الرومانيين قاموا بما يقرب من الفتوح الاسلامية حتى دانت لهم الأرض ، ولكن كان ذلك في خلال ثمانية قرون لا في ثمانين سنة كما حدث للمسلمين بواسطة الاسلام ، مع هذا الفارق العظيم ، وهو أن الفتوح الرومانية كانت تمثل العسف بجميع مظاهره ، فكانت الشعوب والأثم تحت نيرها لا تملك لنفسها صرفا ولا عدلا ، وكانت تعامل معاملة الأرقاء ، ولكن الفتوح الاسلامية كانت خيرا وبركة على المقهورين ، وكان مبدأ المساواة مطبقا بين الكافة في أقصى حدوده ، وأخص معانيه ، حتى كان المقهور يخاصم قاهره مهما كان عظيما الى القاضى فيقتص له منه ، غير معند بجنسيته ولا كرم أرومته .

وأما ما تخيله معللو توسع المسلمين من أن السبب فيه كان تفكك روابط الأثم على عهده فقير محقون ، فإن الدولتين اللتين اصطدم بهما الاسلام في أول عهده ، وهما الدولة الرومانية والدولة الفارسية ، كانتا حاصلتين على مقوماتهما الاجتماعية ، وكثيرا ما دخلتا في حروب صاحته إحداها ضد الأخرى ، ولم يؤثر ذلك في كيانهما ، فلما ظهرت الدولة الاسلامية وأدتها التغيرات الاجتماعية الى الدخول معها في حرب ، قامت كل منهما بالدفاع عن نفسها على أكمل وجه .

لم يبق أمامنا إلا تعليل علمي واحد يمكن أن تفسر به مناعة المجتمع الاسلامي واستمراره على جميع المحلات التي صادفها في اصطدامه بالمجتمعات العالمية ، وتغلبه عليها ، وهذا التعليل هو أن الروابط الاسلامية بين الآحاد كانت أرقى وأقوى من جميع روابط الجماعات التي تارعتها الحياة ، وأن تلك الروابط كانت تستمد وجودها من أعلى المبادئ الاجتماعية ، التي جاء بها القرآن الكريم ولسنة المطهرة . هذا التعليل وحده هو الذي يفسر ثبات طائفة إسلامية صغيرة أمام جماعات قروها عددا أضفا مضاعفة .

فالتنازع بين هذه الطائفة وبين تلك الجماعات كان في حقيقته تنازعا بين القوى

الأدبية لكل منهما ، تحقيقا لنا موسى لا تعقاب الإلهي الذي نتيجته أن يكون الفوز للأصالح ، كما قال تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذِّكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » :

بقي علينا أن نستعرض الروابط الاجتماعية لتلك الجماعات ، وأن نقابلها بالروابط الاجتماعية للمسلمين ، لئلا نرى رأي العين مصداق هذا التاموس الإلهي ، وشهادة لحوادث على أنه الحق الجدير بالاستمسك به ، فنقول :

كانت الروابط الاجتماعية للأمم الى عهد الاسلام تنحصر في التعاون على تحصيل مقومات الحياة لمادية بإثارة الحروب على المجاورين وشن الغارات عليهم ، فإذا كتب الجماعة منها النصر جعلت همها تجريد المهزومين من أموالهم ، واستعباد رجالهم ونسائهم ، والأخذ بسنة المسف في معاملتهم ، وكان أساس هذه الروابط الجنس واللون واللغة ، وغايتها تسويد الخنس الغالب على جميع لأجناس البشرية ، ولكن الروابط الاسلامية كانت أصولا أدبية هي أرفع ما يصل اليه العقل من معنى العدل الإلهي ، فهي تقوم على هذه البادئ :

(أولها) المساواة بين جميع الخلق لأن كلهم لا دم وأدم من تراب .
(ثانيها) أن التفاصيل بينهم لا يبتنى على الفوارق من جنس ولون ولعة ، ولكن على السكالات النفسية « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .
(ثالثها) أن القبائل والشعوب خلقت لتتعارف وتعاون على الاضطلاع بأعباء الحياة ، لا لتتأكر وتتأخر : « يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »

(رابعها) تسويد الحق في جميع لمواقف على القوة . « فإذا بعد الحق إلا الضلال » .
(خامسها) العمل على إعلاء كلمة الله في الأرض ، وهي العدل المطلق لا المصلحة المادية .

هذه روابط جامعة تصلح أن تضم الناس أجمعين ، وتحمو ما بينهم من أحقاد جاهلية ، وثارات قومية ، وتجعل العالم كله أمة واحدة في ظل اكمل الأصول الأدبية ، ورعاية أكرم المبادئ العلوية .

فالفارق بين هذين النوعين من لروابط بعيد جدا ، أحدهما قائم على المصالح المادية ، ولا اعتبارات القومية ، والآخر مستمد من المبادئ الخالدة والأصول العامة . فالفرق بينهما كالفرق بين الأرض والسماء .

إذ لا دخل في الرابطة الاسلامية يشعر بحلال الأصول التي يمثلها ويدافع عنها ، ويستلذ الاضطلاع بها والنفذ فيها ، ويحس بروعة الحق الذي يتجلى عليه منها ، فهو لا يتكافل وأثناء طلبه لحطام الدنيا ورتوما في دماء الناس وأموالهم وأعراضهم ، ولكن مدفوعا لتحقيق اكمل المرامي الاجتماعية ، والوصول لأرفع المسكات الوجودية .

ولست في حاجة بعد هذا أن أذكر لك أن الاجتماع الذي تكون روابطه من هذا الصرب يكون أفراد كاعضاء الجسد الواحد تتحرك بروح واحدة ، وتتأثر بشعور واحد ، ولا يجوز عليها ما يجوز على سواها من تنابذ آحادها وتناكرهم .

هذا هو التعليل العلمي المعقول لنشوء المجتمع الاسلامي ، وظهوره على جميع المجتمعات التي نازعته الوجود ، وحاوله محلم ، في الزعامة لعامة في الأرض .

وهذا المجتمع الاسلامي بهذه المميزات يعتبر أول مجتمع بني على المبادئ الأدبية الخالدة ، والأصول العالمية العامة ، فيصلح أن ترث روابطه جميع الروابط الاجتماعية التي فرقت بين الشعوب وجعلتها شيعا يتربص بعضها بالآخر ببعض .

نعم إن الأمم لم تضح كلها بعد لا لحلال هذه الروابط الروحية محل الروابط المادية في بنية مجتمعاتها ، ولكن التأمل في حركاتها الحاضرة يرى أنها تحاول أن تصل إليها ، فإن مساعي رجالها الآن في استبدال تحكيم الحديد والبار بتحكيم الحق والعدل ، وفي إحداث تكافل عام بين الشعوب يقوم مقام التزام الحيوان بينها ، كل هذه

المحاولات منها وإن كانت بطيئة تعتبر تمهيداً نحو المبادئ الإسلامية، ولا بد من وصولها إليها بعد قطع أدوار كثيرة، والدخول في تطورات عديدة، وإذا ذلك تكون الفلسفة والمعلوم قد كشفت عن القلوب والعقول «حجب كان أسد لها عينا التعصب للموروثات، فتشهد من جمال الاسلام ما كانت لا تتخيله فيه، فيتم بذلك موعود الله في قوله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكفر بربك أنه على كل شيء شهيد».

فالأمة العالمية التي أسسها الاسلام في لصدور الأول من قوميات شتى، ومعنى ما بينها من الفوارق التي كانت تدعوها للتناحر والتفاني، هذه الأمة كانت وستكون إلى أن تقوم الساعة مثالا حيا لما يجب أن يكون عليه العالم البشري في تأسيس بنيانه، وتشبيد عمرانه، ومضى تم له ذلك تكون الانسانية قد قامت على السنة التي تناسب كرامتها، وتلائم مكانها. ولا يزال الاسلام يدعو الأمم إلى القيام على هذه السنة، ولا مناص لها من القيام عليها، مدفوعة بعموم التطور كما دفعتها إلى الأخذ بأصول إسلامية كثيرة من قبل.

محمد فريد وجدي

العناية بطلب العلم

روى أن داود قال لأبيه سليمان عليهما السلام: لف العلم حول عمك، واكتبه في ألوح قلبك. وروى أنه قال له أيضا: اجعل العلم مالك والأدب حليتك. وقيل لأبي عمرو بن العلاء: هل يحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيى فانه يحسن به أن يتعلم.

وقال عروة بن الزبير لبقيه: يا بني اطلبوا العلم فان تكونوا صغارا لا يحتاج اليكم، قمى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم.

وروى عن أحد ملوك الهند أنه قال لولده وكان له أربعمائة ولد: يا بني أكثروا من النظر في الكتب وازدادوا في كل يوم حرفا فان ثلاثة لا يستوحشون في غربة: الفقيه العالم، والبطل الشجاع، والخلو اللسان الكثير خارج الرأي.

وقال للهلبي بن أبي صفرة لبنيه: إذا كنتم أن تجلسوا في الأسواق إلا عند زراد أو وراق.

التفسير

سُورَةُ الْحَجَرِ الْخَمِينَ

قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ تَحْتِهِمْ أَفَهِيَ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

لقد تقدم في الآيات السابقة ذكر قصة موسى وقومه مستوفاة مفصلة ، ونعلم أن القصص في القرآن الكريم ليس المقصود منه التسلية بذكر أخبار مضت أو مجرد العلم بالتاريخ ، وإنما يقصد منه عبرة المخاطبين يهتدوا إلى ما أراد الله منهم وأمرهم به . فلذا جاء في تضاعيف القصة حين ذكر جل شأنه عن موسى عليه السلام أنه اختار من قومه سبعين رجلاً للميقات ، وأنهم تطوحت نفوسهم إلى ما ليس من حقهم فطلبوا إلى موسى عليه السلام أن يرهم الله جهرة ، فأخذتهم الرجفة حتى كانوا على شرف الموت ، فلجأ عليه السلام إلى ربه يستغيثه ويسترحمه قائلاً : « رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، أهلكنا بما فعل السفهاء منا » ، وقال في دعائه : فاعمر لنا وارحمنا وأنت خير النافرين ، فأجابه عز وجل بأنه مالك الأمر كله ويده المذاب والرحمة يضعهم حيث شاء ، ووعد به بأن سيكتب رحمته لمن يتق الله ويعطف على عباده بالوكة ويعمر قلبه بالإيمان بالله ، الإيمان بالله يماناً صادقاً بحيث يتبع ما أمر الله باتباعه ، وأقام الآيات أنه من عنده لا فرق عنده بين أن يأتيه أمر الله عن طريق هذا أو ذاك ، فإن هذا

هو المؤمن حقا ، وهو الذي صدق إيمانه وجعل هواه تبعاً لأمر ربه ، ومرضاته تعالى هي منتهى قصده لا كمن يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، وكن يقول : « إن أوتيتم هذا تخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا » فثل هذا لا يسمى مؤمناً بالله ولا مسلماً بنفسه لله ، وكيف يكون مسلماً ومؤمناً وقد حكم هواه في أمر مولاه ؟ فلا جرم قال في سياق تلك القصة : « فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة » الخ الآية . أي فأما من يأتي أن يذعن للحق إلا إن طابق هواه فلا يكون مؤمناً بالله فمن الحق أن يحتم تلك الآية بما يفيد حصر الفلاح فيمن اتبعه بقوله تعالى : « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه و تبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » فإن هذا الأسلوب مفيد للحصر على ما هو معلوم لأهل البلاء .

فحين إذ انتهى إلى هذا البيان أن يردفه بأمره تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يبلغهم أنه رسول الله إلى الناس جميعاً : لا فرق بين من كان على دين سابق كاليهود والنصارى ، ومن كان قد انحرف عن دين الأنبياء بالكلية كالشركيين ، فقال عز وجل مخاطباً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في ثانياً القصة : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

ثم عاد إلى قصة موسى عليه الصلاة والسلام يكملها حتى وصل إلى حادثة رفع الجبل فوق رؤوس قومه بني إسرائيل وظنهم أنه واقع بهم ، فأمرهم في هذه الحالة أن يأخذوا ما آتاهم الله إياه من تكاليف وأحكام بقوة وإقبال ، وأن يذكروا ما فيه من تكاليف وتعاليم ، فعملوا بما أمروا لعلمهم بمعجزة من غضب ربهم ويتقون عذابه .

وحينما وصل إلى هذه الحالة من أخذ بني إسرائيل بالآيات المحسوسة ، ومن الرغب والهرب ، وأنه قد وصل الأمر بهم إلى أن سد عليهم باب المكابرة بتلك الآيات الظاهرة

الباهرة ، أقول حينئذ وصل إلى هذا الحد لا يبعد أن نفسا تقول : « نعم هنا وضع الأمر واستبان ، ولم يبق طريق للشك في صحة هذا البرهان ، فنأين لنا أن تؤتى آية بينة من جنس هذه الآيات ؟ إذاً لاستقمنا وقتنا بما طالب منا . أما ونحن لم يتجلى لنا الأمر كما نجى لهم فلا حرج علينا إذ لم تتبع لرسل » . أقول : لا يبعد أن تتحرك نفوس للشغب ، وتتلصص أن تؤتى من الآيات ما به تهتدى إلى الإيمان بربها والإذعان لرسله الذين أيدهم بحججه .

فجاءت هذه الآية الكريمة التي سقنا الكلام اليوم لتفسيرها ، لمطعم معاذيرهم ، ودحض حججهم وإبطال شبهاتهم ، مبينة أن آيات الله تعالى قد شملت جميع بني آدم من أصل خلقهم وبنو تكوينهم ، فلم يغيب عن أحد منهم آيات الله في نفسه وفي تكوينه وأصل خلقته وأطوار وجوده وحالات قلبه ، فما من مرئٍ منهم إلا وقد بث الله في نفسه آيات باطقة ودلائل شاهدة على أنه مروب للرب العلي القدير ، ومشمول في كل لحظة بإحسانه المتوالي وتربيته المستمرة من ساعة أن انفصل من ظهر أبيه إلى أن يحل به الموت وينزل القبر الذي يواريه ، وإنه على نفسه لشاهد ، ولو التفت أية التفاتة لشهد ونطق لسان مقاله فوق نطقه بلسان حاله أن ربه هو الله الواحد .

قال تعالى : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » :

للمفسرين في تفسير هذه الآية طريقان : طريق المتأخرين من أصحاب النظر ، وطريق السلف المتبعين للأثر . وسنمرض لكنتا الطريقتين وبين أنهما لا تنافي بينهما ، وأن كلا منهما صحيح في نظر العقل ، لا يتأفيه النقل ، وأن الآية قابلة لأفهام كلا المعيين ، والله المستعان :

الطريق الأول ، وهو ما بيننا المقدمة السابقة على اعتباره ، أن هذا إرشاد إلى ما وضعه جل وعز في نفوس بني آدم من الدلائل الدالة على ربوبيته تعالى ، والتي أشير

إليه في قوله تعالى: « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » وفصلت على عدة وجوه في عدة آيات
 كقوله تعالى: « فليَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ؟ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ
 وَالتَّرَائِبِ » وكقوله عز وجل: « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه
 نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة عَلَاقَةً نَحْلَقُنَا عَلَاقَةً مُضْغَةً نَخْلَقُهَا مُضْغَةً عِظَامًا
 فَكَسَوْنَاهَا لَحَافًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » وكذلك في قوله
 جل وجهه: « أفرايتم ما تَحْنُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ » ثم امتدته عليهم في يسير
 غذائهم: طعامهم وشرابهم ، كما في قوله تعالى: « أفرايتم ما نَحْرُثُونَ ؟ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ
 أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ » « أفرايتم الماء الذي تشربون . أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ نَحْنُ
 الْمُنزِلُونَ » وكقوله تعالى: « فليَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا ثُمَّ شَقَقْنَا
 الْأَرْضَ شَقَاقًا فَنَبْتُنَا فِيهَا حَبًّا وَعُنَبًا وَقَضَبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدائقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا
 مِثْلًا لَكُمْ وَلَا تَعْمَى » .

فهل بعد هذه الآيات التي بينها عز وجل في نفوس بني آدم من أصل تكوينهم
 وحالة استمرار وجودهم ، مما فصله تعالى في كتابه لهم ، ومما تركه لجال أنظارهم بعد
 ما حثهم على التأمل في مجاري أحوالهم ، يبقى واحد بلا أية دالة على أن ربه الذي خلقه
 يجب أن يذعن له بالطاعة ويسلمه جميع أمره ؟ من ذا الذي يمدد بالآ نفاس التي لا غنى له
 عنها لحظة من اللحظات ؟ من ذا الذي يبق دقات قلبه منتظبات متواليات ترسل عنصر
 الحياة إلى جميع أعضائه على نظام لا يدور كنهه ، ولا يعرف وجهه ؟ من ذا الذي
 يسمعه كل لحظة يفقد تفرز له مادة لا بد منها في صلاحية غذائه للاغتذاء بدل أن يبقى
 كتلة في معدته فلا تمتص أعضاؤه منه ما يصلح له ؟ من ذا الذي ركب فيه أجهزة
 متقنة يقوم كل جهاز منها بما هي . من الإحساس والحركة والتنفس وغير ذلك ؟
 من ذا الذي وهبه العقل الغريزي يدرك به ما ينفعه وما يضره ، ويميز الحسن من القبيح

والغيت من الطيب ؟ من ذا الذى سفر له هذا العالم ومكنه من الارتفاع بكنوزه ودفعه لاستغلال خيراته فى مصلحته ؟

أما إنه قد وضع فى الإنسان من جليّ الآيات ما يربو على آيات قوم موسى من تنق الجبل وفلق البحر وغيرها ، ولا يتوقف على إجابة النظر وتنبيه الفكر . وإن للإنسان ليلح هذا من نفسه ويمترف به طرعا أو كرها ، ومن تعاصى على النظر فى حال الرضاء فهو البتة شاعره حال الشدة . وأى مخلوق يسلم فى هذه حياة من تداول حالى الشدة والرخاء ، والسعادة والشقاء ، والصحة والمرض ، والإقامة والسفر ؟ فهو إن لم يلجأ الى ربه الذى يشمر بربريته من أعماق قلبه ويمجده فى غرارة نفسه ، إن لم يلجأ اليه اختيارا فهو لا بد لاجئ اليه اضطرار « وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما » .

ففى الحق إن الإنسان شاهد على نفسه بما فطر عليه وما أودع فيه أن ربه الله ، فقد أشهده الله على نفسه من يوم أن أخذ ذرية من ظهر أبيه وأشعره بوجود نفسه أليس ربك الله ؟ قال : بلى . وقوله تعالى : « شهدنا » من تمة كلام الذرية ، أى شهدنا على أنفسنا ، أو شهدنا هذه الحالة فى أنفسنا وقسا بلسان حالنا بحسب ما شهدنا ورأينا ، رأى الشهود والمعاينة . وقوله تعالى : « أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » فى موضع التمليل لأشهدهم على أنفسهم ، أى أشهدهم حالتهم واستحلص منهم شهادتهم على أنفسهم لكيلا يقولوا يوم القيامة قد أخذنا على غرة وكنا فى غفلة من هذا .

ولقد قنضت رحمته وهو رحم الرحيم أن لا يدعهم بمجرد عقولهم ويؤخذهم بمجرد ما ركب فى فطرهم ، بل رحيم بإرسال الرسل اليهم منبهين ، مبشرين ومنذرين ، معلمين وهادين ، مرشدين ومربين ، لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وقال عز وجل : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، ولو شاء أت يأخذهم بمجرد ما أودع فى فطرهم ، وأن يطالبهم بالمس بما تفضى به بصيرتهم وسلم عقولهم ، ما كان فى ذلك ظلما ولا قامت عليه حجة ، فكيف وقد قوى العقل ، وأرشد بالآيات

البيّنات على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام فدعوم الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ؟

وكما قطع عليهم طريق الاحتجاج بالغفلة في الدنيا سدّ عليهم طريق التمسح بالآباء واعتلاهم بأنهم كانوا ذرية ضعفاء نشأوا في حجر آباء مشركين جهلاء ، فاهم العذر إذ سرى الشرك من آباؤهم اليهم . أجل - سد في وجوههم هذا الطريق أيضا بما بين من أن آية كل امرئ منهم في نفسه ، لا يحتاج الى أن يستمدّها من أبيه أو جده ، فكل امرئ على نفسه بصيرة ، وقد وهب من العقل والتمييز ما يستطيع التأمل به والتفكير ، كما أنه يرى ويسمع ويحس بدون وساطة أحد من آباؤه ، فلا عذر لأحد في تقليد أحد لا أب ولا جد « أولو كان آؤم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ؟ » فهذا هو قوله تعالى : « أو تقولوا إنما شرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفهللكننا بما فعل المبطلون » . أي جعل الله في كل امرئ من ذرية بني آدم آية في نفسه وأشهد على نفسه بما فطره عليه أن ربه الله فشهد واعترف حتى تقوم عليه الحجة ، فلا سبيل له أن يقول : لقد كنت في غفلة من هذا ، فقد كشف الله غطاءه بما نهى به على لسان رسله ، ولا سبيل له أن يقول : « لم يكن الشرك مني وإنما كان من أبي وجدى ، فهمم الذين أشركوا ، ولقد نبت بين أيديهم ذرية ضعيفة فلقنوا ما درجوا عليه ، فهم المبطلون ولا ذنب لي » . نعم ليس له أن يعتل بهم ، فإنه قد أوتي من البصر والبصيرة ، ومن بث الآيات في نفسه وفي الآفاق حوله ، ما يستغنى به عن اللجأ الى أحد ، فقد ترك الطريق السوى الذي بُصّر به ، وابتع طريق النى الذى حذر منه ، خفت عليه كلمة العذاب التى استوجيها لنفسه بنفسه ، كما حققت على آباؤه من قبله ، فالهيج واضح ، والآعلام قائمة ، والآيات يدنة ، وقد تبين الرشد من النى .

فكلمة إنما للعصر ، ومعناها أن الذين شركوا إنما هم الآباء ، وأما نحن فقد قلنا هم ولنا العذر في أننا كنا ذرية ضعفاء أمامهم ، فلميوا بمقولنا وأصلوا السبيل . فقولهم :

أقهرلكننا بما فعل المبطلون ، حجة لهم داحضة ، فقد أهلكوا بما فعلوا ، وأغضوا عيون عقولهم عن النور لدى وهبوا ، فاستحقوا جزاء ما كسبوا .

وأما الطريق الثاني في تفسير هذه الآية الكريمة ، وهو ما عليه المتقدمون من المفسرين وأهل الأثر ، فقد روى ابن جرير وغيره عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أول ما أهبط الله آدم مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى أن تقوم الساعة ، ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألا تتركوا أباي . وكذلك روى عنه أنه قال : لما خلق الله آدم أخذ ذريته من ظهره مثل الذر فقص قبيضتين فقال لأصحاب اليمين : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين : ادخلوا النار ولا أبالي . وفي رواية عنه : لما خلق آدم أخذ ميثاقه أنه ربه ، وكتب أجله ومصائبه ، واستخرج ذريته كالذر ، وأخذ ميثاقهم ، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم . وكذلك روى الطبري عن الضحاك ابن مزاحم أنه مات له ابن لسته أيام من ولادته فقال : يا جابر : إذا أنت وضعت ابني في حلبه فأبرز وجهه وحل عنه عقده فإن ابني مجلس ومسئول ، ففعلت الذي أمرني ، فلما فرغت قلت : برحمتك الله عم يسأل ابنك ؟ قال : يسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم عليه السلام . فقلت : وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم ؟ قال : حدثني ابن عباس أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ ، فن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يوف به لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم » فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل

أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار .

وروى عن أبي بن كعب قال : جمعهم يوم القيامة جميعا ما هوكائن إلى يوم القيامة ثم استنطقهم وأخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ، قال : فأني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا ، اعلّموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئا ، وسأرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاق ، وسأنزّل عليكم كتابي ، قالوا : شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك ، فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع عليهم أباهم آدم فظفر إليهم فرأى منهم الغنى والفقر وحسن الصورة ودون ذلك فقال : رب لولا سويت بينهم ، قال : فإني أحب أن أشكر . قال : وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرج . وخص الأنبياء بميثاق آخر : قال الله : « وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » . وهو الذي يقول تعالى ذكره : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » . وفي ذلك قال : « هذا نذير من النذر لأولي » يقول : أخذنا ميثاقه مع النذر لأولي ومن ذلك قوله : « وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاشين . ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها » قال كان في علمه يوم أقروا به من يصدق ومن يكذب . إلى غير ذلك من روايات أطال فيها ابن جرير وغيره . ولقد سقنا منها طائفة كبيرة لتطالعك على كثرة الروايات في هذا المعنى ، وفي كثرتها ما يشهد بقوتها .

وهذا يعطى أن الآية تشير إلى قصة سابقة على وجودنا ههنا المشاهد ، وأن المقصود منها تذكيرنا بعهد أقررنا به حتى يكون حصة علينا في دار التكليف ، وليكون باعثا

لنفوسنا على الاتقياء الى ما شرع الله لنا، ولا سيما أننا قد سبق منا لاقرار بمقتضاه
وعلمنا هذا الاقرار من أخبار رسل الله المصدقين من الله .

وقد اعترض المتأخرون على هـد الطريق ، ومع الذين سلكوا الطريق الأول ، بعدة
وجوه ، منها قوى وجيه ، ومنها ضعيف سخيف ، وهى كلها ضعيفها وقويها لا تبطل
الطريق الثانى كما سيظهر لك من سردها مع الجواب عنها وردّها . وإن كان الطريق الأول
واضح المحجة يئى الحجة كما رأيت فيما سبق . لكن هذا لا يدل على بطلان غيره .
كيف وقد درج عليه أكثر متقدّمى المفسرين . ولا يمتنع أن تدل الآية على عدة معان
كلها سائغ صحيح .

(١) قالو : إن نص الآية « وذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم » ولم يقل من آدم
من ظهره ، فلو كان المعنى كما قلتم لكان الظاهر فى التعبير من آدم من ظهره . وجوابه أن
أخذ الذرية من آدم منه ما هو مباشرة وهو أخذ ذريته لصلبه ، ومنه ما هو بواسطة بمضهم
وهو أخذ أبناء ذريته . والآية لم سيقت لبيان قيام الحجة على الحاضرين وقت نزولها
وهم من ذرية الأبناء عبر بما ينطبق عليهم أنطباعاً أولياً ، والحديث لما كان لتفصيل واقعة
تشير إليها الآية غير معلومة لهم نعرض لبيان الحالة بتمامها . وعلى ذلك يكون الأخذ
قد حصل من ظهر آدم لأبنائه ثم تسلسل منهم الى أبنائهم وأبناء أبنائهم وهلم جرا .
ومن هذا تأخذ جواب اعتراض آخر ، وهو أنهم قالوا فى اعتذارهم : إنما أشرك باؤنا
من قبل . وهذا القول لا ينطبق على آدم عليه السلام فلم يكن منه شرك وحاشاء ، ولم يكن آباء
بل أب واحد . فإن هذا معلوم الدفع مما سبق ، إذ الآية واردة أصالة حجة على التأخرين
من أبناء الذرية ، وقد سبق من آباؤهم للشرك ؛ وهذا لا ينفى إشارتها الى قصة تامة فصلها
الحديث الروى ؛ وليس بلارم أن يصدر هذا القول من جميع المخاطبين ، وإنما صدوره
من كان منهم الغفلة والشرك . وإنك إذا عرفت أن طليمة الشرك قد تنشأ من عدم
فهم التأخرين مقاصد آباؤهم المتقدمين كما روى أن بعض من عبده المتأخرون كانوا قوما

صالحين قام من شاهدوهم لهم بحق التعظيم فسيبه من تأخر من بنائهم عبادة ، فهمت أن قولهم : إنما أشرك آبائنا من قبل ، قد يكون من ظنهم هذا في آباؤهم ، إذ حملوا ما صدر من آباؤهم على العبادة مع أنه لم يكن سوى تعظيم ودعاء لهم .

(٢) وقالوا إن هذا الميثاق لا نعلمه من أنفسنا اليوم ولا نشعر به فكيف يؤخذ حجة علينا في هذه الدار دار التكليف ؟ وأيضا لو كان قد حصل لكان منا من يذكره ولا أحد يجحد من نفسه ما يشهد بهذا ، وقد أبطلنا التناسخ بمثل هذا الدليل ، إذ قلنا : لو كانت الأرواح سبق لها وجود في أبدان أخرى ثم تناسخت وحلت في هذه الأبدان لذكرنا ما كان منا في تلك الدورات الماضية ، فلو كانت هذه القصة صحيحة للزم صحة القول بالتناسخ قياسا عليها . وأيضا فالقصود من ذلك الميثاق إن كان إقامة الحجة عليهم في ذلك اليوم ، لزم أن نكون تلك الحال السابقة حال تكليف ولا قائل به ؛ وإن كان إقامة الحجة عليهم في هذه الدار ، فحل ذلك لو كانوا يشهدونها ولا شهود لهم بها . على أن لهم أن يعتدروا بأن الله متعنا شهودا عامنا به يومئذ وسلب منا ذلك الشهود في هذه الدار فلم تستطع الإقرار .

وجوابه أن القصود من هذا الميثاق أن يكون حجة عليهم في هذه الدار ؛ وقولهم إنما لم نشهد من أنفسنا حتى تقوم علينا به الحجة ، ساقط ، فإنهم قد ركب فهم من الأدلة الناصعة والآيات الساطعة ما لو تفكروا أقل تفكير خال عن الغواية والعمالة لشهدوا اليوم بما شهدوا به يومئذ . ولقد رادم على ذلك أن أرسل إليهم رسلا ينبئونهم بما كان منهم ويرشدونهم إلى طريق التفكير الصحيح والاستدلال المنتج ، ولكنهم جعلوا أصابهم في آذانهم واستغشوا نياهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، فتكون حجتهم على ربهم داحضة ، ومعدرتهم ساقطة ، والله الحجة البالغة . وأما أنهم لو كانوا قد أخذ عليهم ذلك الميثاق لذكروه وأن هذا الدليل هو الذي يبطل القول بالتناسخ فساقط أيضا ، لأنه لا يلزم أن كل ما حصل للمرء في حياته يكون مذكورا له . وهانحن أولاء يجرى لنا في عهد الطفولة الأولى ما لا يحصى من الحوادث الجسمانية ولا نذكر منها شيئا مع

اتصال الحياة وقرب الزمان ، فكيف بهذا الحادث القديم الزمان ، وبطلان التناسخ ليس موقوفة على هذا الدليل . وخلاصة ذلك أن هذا حصل وبقي منه ما في فطرة الانسان من كمال التدبير والصنع المعجب الذي ياجئه الى الاعتراف بربه ، وقد تقوى بإرشاد الأنبياء والرسل الى طريق استعمال السكر ، ثم بأخبارهم وهم معدون من ربهم بوقوع هذه الحادثة ليكون للانسان من نفسه على نفسه شاهد .

(٣) وأما قولهم إن الله لو أخذ في وقت واحد لضاق به الفضاء ، فمن الاعتراضات الواهية ، فإن ملكه لا يضيق بخلقه . وكذلك قولهم إن العقل لا يكون إلا بحياة ولا حياة إلا بنية فكيف وسع ظهر آدم هذه الذراري كلها ، فهو أوهى مما سبقه ، فإن العقل والفهم يعطيه الله لأصغر الأشياء أو لأكبرها وهو القادر المختار . والمعجب أن يحكم مثل هذا على عقول بعض الفاضلين وهم يصدقون أن في النطفة التي يكون منها التحيق حيوانا صغيرا قد يحمل معه مكروب مرض وراثي ينتقل من الآباء الى الأبناء ، وربما كان انتقاله من الأجداد الى الأحفاد ولا تظهر له أعراض في الوسائط من الآباء ؛ فتبارك الله بخلق ما يشاء .

والخلاصة أن الآية دالة صريحة على ما أودعه الله في فطرة الناس من آيات تدل على أنهم مريدون لرب علم حكيم ، قادر قاهر ، يجب عليهم أن يخضعوا له ، وأن يدينوا بدينه الذي أرسل اليهم به الرسل مبشرين ومنذرين ، وأيدهم بما يدل على تصديقه لهم ، فعبيهم أن يطيعوه فيما بلغوهم عن ربهم « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

وهي مع ذلك تشير الى ما كان من قصة أخذ الليثاق المعروف في السنة المحدثين (يوم السبت برسم) . ودلالاتها على المعنى الأول لا تنفي إشارتها الى المعنى الثاني . وحيث جاز وكثرت الطرق في روايته فلا وجه لرده .

نسأل الله أن يثني قلوبنا من الرين ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبينون أحسنه ؛ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ما إبراهيم الجبالي

الحبة وأنواعها وبعض آثارها الجليلة

« لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » .

الحبة : ينبتك عنها فبك أكثر مما تنبتك عنها الحدود والرسوم ؛ والشئ إنما يجد خلفائه واستتاره كي يظهر ويتبين ؛ فإذا كان الشئ ظاهراً جلبا يعرفه جميع العقلاء لم يحتاج الى حد . الحبة : سر الله المحزون الذي تشق به جميع الأدوية القومية ، والترياق الذي تذهب به سموم الأمراض الاجتماعية . الحبة هي أنجع وسيلة لاقتلاع الشرور من النفوس ، وبإداة أنواع التفنن فيها من العالم للبشرى . وإذا تأكدت بين قوم أحلتهم محل الصفاء ، وسارت بهم أسرع ما يكون في طريق الارتقاء ، ونقلتهم الى دائرة الأسرة الواحدة ، فكانوا كالجسم الواحد إذا تألم منه عضو تألم له سائر الجسد .

لونتت الحبة بين الناس لما رأيت دما يسفك ، ولا عرضاً يهتك ، ولا مالاً يسرق ؛ ولما رأيت لحاكم الأهلية كالأسواق مزدحمة بكل أنواع الفضايا ، ولا وجدت المحاكم الشرعية مكتظة بدعوى الأقارب لميراثهم والزوجات لتنفقاتهن .

لونتت الحبة بين الناس لبات كل إنسان بين أسرته على أنهم ما يكون من الصفاء وأكبر ما يتصور من النعيم ؛ ولسكان عيش الناس في الدنيا أشبه شئ بعيش أهل الجنة في الجنة . وأظنك كثيراً ما تحركت منك الغبطة عند ما ترى ما بين الأسرة الفقيرة من الحبة التي جعلتهم يتقلبون في الهناء ^(١) ولا يحسون بالشقاء .

(١) اشتهر في هذه الأيام التي أكثر فيها الاجتهاد وشغل الناس فيها بالانتقاد أن الواحد أن يقال هاء لا هناء . وهذا من قصور الاطلاع . فلكتاب المحز لا يريده ، لا كصاري المطوع بيروت صفحة ٢٥ ما يبيد صحة ذلك ووروده . وكذلك في كتاب الفلك لمشهور لبولس السكي التولي في لقرن الثامن صفحة ١٦٣ ما يبيد ذلك أيضا . ومثل هذا قول الأديب الكبير ابن ماته :

هناء عاذاك المزاء التمدد لما عيس المحزون حتى تنسا

وفول إنعام اسرية محمد بن ملك في حروف الزيادة ذلك البيت المشهور :

هناء ونسيم تلا يوم ألمه نهاية مشول أمان وتيسيل

وهو الذي قال إني قرأت صحاح الجوهري كله فلم أستفد منه غير كلمتين فقط . فانظر الى هذا والى ذلك للتدقيق الذي يكفر منه أولئك اللغويون !

لوثمت المحبة بين الناس لثمت بينهم الرحمة : فانتفع الضعيف بالقوى ، والمفقر بالغنى ، والصغير بالكبير ، والصعلوك بالأثير ، وامتثلت لأرض خيرا وبركة .

وإجمال القول فى المحبة بعد ذلك كله أنه لو لا الحب لم يتم نعيم لمتنعم . وكيف ينعم الانسان بفقر ما يحب . ولهذا ترى الغنيين لا يكادون يفنون إلا بما يكون فيه ذكر الحب والمحبين ؛ ولا يجد الانسان سلوة نفسه ولا نعيم بقلبه إلا بتلك الذكريات اللذيذة والأوقات السالفة التى قضاه فيها يحب ومع من يحب .

وبالجملة فراحة الانسان وسرور نفسه وبهجة روحه لا تكون إلا لذكر الحب ، وشرح الكامن فى الفؤاد الثمير للمواطف ، مما له سلطان فوق العقل وسر بديق عن التعبير .

لهذا كله لم يرد فى الكتاب والسنة من لحن على شئ مثل ما ورد فى المحبة ، علما منه صلى الله عليه وسلم بأنها أساس الخير وجامع الفضائل حتى جعلها شرطا فى الإيمان . فقال : « الذى نفسى بيده لا يدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » . رواه مسلم .

فانظر كيف جعلها شرطا فى الإيمان ولم يكتف بذلك حتى أقسم عليه صلى الله عليه وسلم .

وقد ورد فى الحديث على المحبة والتعظيم من التشاحن والتفرق ما لا يكاد يحصى . (وستسمع شيئا من ذلك) . وكأنه مرمى الدين الذى لا يريد غيره .

وقد جاء فى الصحيح : « لا تحاسدوا ولا تباعدوا ولا تذايروا وكونوا عباد الله إخوانا » .

وقال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » وقال . « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وإذا كروا نعمة لله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » . وقال محاطيا نبيه صلى الله عليه وسلم مذكرا إياه تلك النعمة الكبرى : « فإن

حسبك لله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم .

وقد أثنى على قوم بقوله عز وجل : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخوانتنا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » وقال : « لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » وقد أمرنا بلين الكلام وإفشاء السلام ، ونهينا عن الخصام فوق ثلاثة أيام .

وقد جاء كل ذلك طلبا للحبة ومحافظة على مبادئها ، وجاء أن تنتهي بالناس إلى غايتها فيزول عنهم الشقاء وتم لهم السعادة . فإن استطعت أن تبيت وليس في قلبك بنص لأحد فافعل . أزل ما في قلبك من الحقد للناس كافة ، ونودد إليهم ليصفو عيشك وتطيب حياتك .

نحبب إلى جيرانك وأقاربك بقدر ما يمكنك ، وبذل الوسع في ذلك . (وأصل الحب التحابب) . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . أخرجه البخاري ومسلم . « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه » . رواه البخاري ومسلم وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى حاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » . رواه مسلم . صالح أعدائك ، وأرح نفسك من غناء الفكر ، وقلبك من تدير السوء ، واربا بعمرك العزيز أن تصرفه في طرق العناد وأسباب الفساد .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » رواه البخاري ومسلم .

أسباب المحبة

المحبة : مركوزة في النفوس ، ولا نعيم للقلوب إلا بها ، حتى إن من ليس له محبوب مخصوص نراه عند سماع النغمات أو هبوب النسيم يئنّ أنينا ويحنّ حنيناً ، وربما بكى قلبها أو سرورها إذا كان رفيع الاستعداد رقيق الفؤاد .

وهذا النعيم الذي يجده ، وتلك اللذة التي يشعر بها ، ليس منشؤها المذاق بالأصوات واستحسانا للنغمات ، بل من أجل أن ذلك حرك من نفسه ساكنا وهيج كامنا ، وإن كان لا يدري إلى أي شيء يحنّ أو لماذا يئنّ ؛ ولكنه مقتضى الغريزة الانسانية والحكمة الربانية . وليس بلازم أن نأثني على كل ما في الأمر من سر . فيمكنك أن تهيج تلك الغريزة من نفسك ، فإن أصل الحب التعايب . ولهذا ندبنا الدين الحنيف لكل ما عسى أن يكون وسيلة لذلك من زيارة بعضنا بعضاً ، ومردة بعضنا بعضاً ، وإهداء بعضنا بعضاً ، ومصالحة بعضنا بعضاً ، إلى غير ذلك مما جاء في السنة .

وقد قالوا : إن العشق في أول أمره يكون اختيارياً ثم يصير اضطرارياً ؛ فهو بمنزلة الشراب تستطيع أن تشرب وألا تشرب ، ولكن لا تستطيع بعدُ ألا تسكر . ولعلك عاينت من الأسباب التي استعملتها لتحبيب بعض القلوب إليك شيئا كثيراً .

وأما الأسباب الطبيعية للمحبة ، فأقواها التناسب بين الأرواح ، فإنها جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . كما في الحديث . وعلى قدر ذلك التناسب يكون الحب ، وما حشر المرء مع من أحب إلا لكونهما من واحد . ولهذا السبب قد تتعجب من محبة بعض الناس لبعض على غير معنى فيه ، غافلاً عن هذا التشاكل الروحاني الذي هو أقوى الأسباب وإن كان أخفاها ، وهو السبب الذي لا يلحقه زوال ولا يفترقه اضطحلال ؛ وصاحبه هو المحبوب لذاته لا لعملة ولا غرض .

وأما من أحبك لأحسنائك إليه — والا حان من أسبل المحبة — فقد تتغير محبته

إذا انقطع إحسانك عنه ، وربما عاداك وأضرك إذا وجدت في ذلك فائدة أكبر ونمرة أعظم متى كان خبيث الطبع لئيم النفس ، لأنه ما أحبك إلا لغرضه ، فهو مع الغرض حيث كان . ومحبة الأزواج والأصحاب تارة تكون من قبيل المحبة التي للأغراض وقضاء الحاجات وتبادل المنافع وكثرة الفوائد ، وهي المحبة التي لا تدوم ، وتارة تكون للناسبة بين النفوس ، فلا تزداد على مر الأيام وكثرة الحوادث إلا قوة ومتانة . وهذا مما ينبغي الالتفات إليه جدا فيما بين الزوجين حتى تكون بينهما ألفة طبيعية ومحبة ذاتية ، فلا يتطرق إليها انصداع ولا يلحقها انقطاع ، وإلا تعاملوا معاملة التعار للثام ، وذهبوا إلى المحاكم بعد قليل من الأيام .

ومما يلحق بسبب التشاكل الذي شرحناه ما تراه من ميل الصانع إلى الصانع ، والزارع إلى الزارع ، حتى إن السارق يرتاح للسارق ، والفاسق يرتاح إلى الفاسق ، لم يمتصهما من الصفات المشتركة (شبيهة الشيء ، منجذب إليه) ، بل ذلك في غير أفراد الإنسان . وقد قالوا : « إن الصيور على أشكالها تقع » وإن كان كثيرا ما يفرق بينهم تنزع البقاء ، فيوقعهم في الشقاء والبغضاء . وأكثر الأسباب الواقعة بين أناس ما دعا إليه الغرض واقتضته الحاجة ، حتى قال أبو حيان النحوي :

لا ترجون دوام الخير من أحد فالشر طبع وفيه الخير بالمرض
ولا تظن امرا أسدى إليك يدا من أجل ذاتك بل أسداه للغرض
ولهذا لا تسكاد نرى محبة صدقة ، غاية الأمر أن صاحب النفس الشريفة لا ينسى ودًا ، ولا ينقض عهدًا ، ولكنه كثيرا ما يفعل ذلك بمقتضى إحساسه الشريف ، ومروءته افاضلة ، لا بمقتضى الألفة والمحبة .

وأهل تلك المحبة التي غايتها المنفعة الشخصية أكثر المحبين تودد إليك ، وترددا عليك ، ومساومة إلى امتثال أوامرهم ، ولو كلفهم نقل الصحور أو نطل البحور ، ما دامت إليك حاجاتهم ولديك غايتهم ، حتى يحيل لك في تلك الأيام أنك ظفرت بعظم الناس نفعا

وأدفعهم طبعاً ، فإذا ظفروا بما أرادوه ، منك ولم يتوهو ، لديك شيئاً يعود عليهم ، طارو من حولك طيران القباب الى من ينتفون عنده حاجتهم ، حتى إذا نالوا منه بثبتهم فعلوا فعلتهم فعلى من يريد اتخاذ الأصدقاء أن يبحث عن جوهر النفوس وما لها من الصفات الذاتية والاستعدادات الطبيعية ، ولا يفتر بتلك الألوان البراقة التي يظهر بها الانسان على حسب الحاجة ، فإنه في ذلك أبرع من الحباء وأروع من الثعالب (والانسان يجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والتناقضات) .

هذ ومن أسباب المحبة لجمال الظاهري أو الباطني ، وبهذا السبب قد أحيينا الأزهار والأطير ، والصور الجليلة والنفوس البديمة ، فإن الجمال لا يختص بنوع لانسان و جنس الحيوان ، بل جمال كل شيء في أن يصل الى كماله الذي يراد منه ، وغايته الممكنة له ؛ والجمال محبوب بالطبع لذاته ؛ ولهذا السبب يعينه قد أحيينا اسكرماء والفضلاء والعلماء . وإياك أن تكون ممن يقصر الحب على لجمال الحسى والحسن الظاهري ، فتنكر محبة الله تعالى حبا وجدانياً فوق ، فتكون من العامة لا من الخاصة الذين فهمو قوله تعالى : « يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » حق الفهم فلم يحتاجوا فيه الى نجوم ولا تأويل .

على أن ذلك غريزة في الانسان وإن كانت تحتاح الى التهييج في بعض الناس الذين لم تفسد إنسانيتهم بالكيفية وإن الذي نبجده من محبة العامة لعنترة وغيره من الشجعان ، وتفانى بعض الناس في محبة بعض العلماء والعظماء ، وارتياح النفس والتناذها بسباع أخيار سيدنا عمر بن الخطاب في عدله ، أو سيدنا علي بن أبي طالب في شجاعته وعلمه وسرعة بديته وقوة حجته ، أو أخيار السموة في وفائه ، أو حاتم الطائي في سخائه ، ليس إلا بمقتضى تلك الغريزة التي تفضل الجمال المعنوي على الجمال الحسى .

هذا وقد رأينا أن نسمعك بعض ما جاء في السنة مما يناسب هذا الموضوع ، فنقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يرحم الناس لا يرحمه الله » رواه البخاري ومسلم . وصنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من لم يوقر الكبير ، ويرحم الصغير ،

ويُصَرِّحُ بالمعروف، وبنه عن المنكر». رواه أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه. وقال صلى الله عليه وسلم: «طوبى لمن نواضع في غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسألة، وأنفق مالا جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذلة والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة». رواه الطبراني.

«لا تنزع الرحمة إلا من شقي». رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث حسن.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسر به ذلك، سره الله عز وجل يوم القيامة». رواه الطبراني في الصغير بإسناد حسن.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تقبلون الصبيان وما تقبلهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو أمثلك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك». رواه البخاري ومسلم.

«دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض». رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «دنا رجل إلى بئر فنزل فشرب منها وحلى البئر كلب يلهث، فرجحه: فنزع أحد خفيه فسقاه، فشكر الله له فأدخله الجنة». رواه ابن حبان في صحيحه.

«من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة؛ ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة؛ والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». رواه مسلم.

«لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة». رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم النهر فنادي

بصوت رفيع فقال : « يا معشر من أسم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » :

ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال : « ما أعظمك وما أعظم حرمتك . ولأثر من أعظم حرمة عند الله منك » . رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليعمر بالقوم الديار ويشرفهم الأموال ، وما نظر اليهم منذ خلقهم بنفسكهم ، قيل وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : بصلتهم أرحامهم » . رواه الحاكم والطبرانى بإستاد حسن .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بمخصال من الخير : أوصانى ألا أنظر الى من هو فوقى وأن أنظر الى من هو دونى ؛ وأوصانى بحب المساكين والافرنهم ؛ وأوصانى أن أصل رضى وإن أدرى ؛ وأوصانى ألا أخاف فى الله لومة لائم ؛ وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرا ؛ وأوصانى أن أكتر من « لا حول ولا قوة إلا بالله » فإنها كنز من كنوز الجنة » . رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه واللفظه .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكونوا إمعة : تقولون : إن أحسن الناس أحسنا وإن أساء الناس أساءنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا ألا تظنوا » . رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

وعن أبى بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ذنب أجدر أن يجعل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة : من البغى وقطيعة الرحم » . رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

ودوى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، رفعه ، قال : « الطابع معاق بقائمة عرش ، فإذا

اشتكت الرحم، وعمل بالمعاصي، واجترأ على الله، بمش الله الطابع فيطبع على القلب فلا يعقل بعد ذلك شيئا». رواه البيهقي والبخاري واللفظ له.

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
قال الله تبارك وتعالى : « وجبت محبة للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في »
والمبتاذلين في » . رواه مالك بإسناد صحيح . وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الله في حاجة العبد مادام في حاجة أخيه » .
رواه الطبراني ورواه ثقات .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقاطعوا ولا تذاربوا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ؛ ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ». رواه مالك والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي .

ومن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « على كل مسلم صدقة . قيل : أ رأيت إن لم يجد . قال : يمتلئ يديه فينفع نفسه ويصدق . قال : أ رأيت إن لم يستطع . قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قال : قيل له : أ رأيت إن لم يستطع . قال : يأمر بالمعروف ، أو الخير . قال : أ رأيت إن لم يفعل . قال : يمسك عن الشر فإنه له صدقة » . رواه البخاري ومسلم .

وسنعود للموضوع مرة أخرى ، إن شاء الله ما
يرسف الهموى
من هيئة كبار العلماء

حسن البديهة

دخل المأمون يوما ديوان الانشاء فلقى غلاما صبيح الوجه مليح الظلمة قد وضع قلعه فوق
أذنه فقال : من أنت ؟ فقال : أنا النashi في دولتك ، المتقلب في نعمتك ، المؤمل في خدمتك :
الحسن بن رجا .

فقال لما أمرني بحسن البديهة تتفاضل العقول ، ارفعوا هذا فوق مقامه .

حكم العلم على الفلسفة المادية

كتبنا مرارا في سقوط المذهب المادى وتدهوره الى الخضم ، وصورنا بعض الممارك التى حدثت بينه وبين أركان العلم فى العالم الغربى ، ونرى أن الواجب يدعونا الى متابعة الكشف والإيضاح عن هذه الممارك الفلسفية ، فإن الدين فى العصر الحاضر لا يخدم بأحسن من دحض هذا المذهب الذى كان له يوما ما رواج لدى بعض العقول فتشيلوه من العلم وما هو منه فى كثير ولا قليل .

راج للمذهب المادى فى الثلاثة القرون السابقة على القرن العشرين رواج عظيم ، وبلغ أوج سلطانه فى القرن التاسع عشر بعد ظهور مذهب لامارك ومذهب دارون فى تحليل وجود الأنواع الحية . ولما دالت دولة هذين المذهبين بتوالى النقد العلمى عليهما ، كما بينا ذلك فى مقالات عديدة هنا ، أصيب المذهب المادى فى أحسن معاقله ، فانكشف لخصومه وجها لوجه ، فلم تثبت أمامهم . فإن صادفت له اليوم شيعة ، فإنما هى قلول تفرقت هنا وهناك ، ولم تبق لها دولة فى أية بيئة من بيئات العلم .

واليوم نأتى على أقوال فى مكافحة للمذهب المادى منقول من كتاب (قواعد الفلسفة الطبيعية) Les bases de la philosophie naturaliste للأستاذ (أندريه كريسون) André Cresson مدرس الفلسفة بجامعة ليون بفرنسا . قال تحت عنوان (الحياة والعلم) :

« نتأمل فى كائن حي سواء أكان نباتا أم حيوانا يكون تركيبه على شىء من الدقة . فهل يدل مظهره على أنه من عمل طبيعة آلية غير مدركة ؟ إن تركيبه ليدل على غير هذا ، بل يدل على أنه إبداع صانع حكيم فكم فيه وأوجده ، كذلك كل ظواهر الحياة تلوح لرائيها من أول وهلة أنها ظواهر قصدت منها غايات معينة

« وتأمل في الأعضاء المختلفة التي تعمل في محضم الأغذية لدى أحد الحيوانات الثديية من الرتب العالية ، زها قد ركبت بقناة ب دقيق ، وحساب مقدر ، بحيث تشكل كلها في إنتاج عملها الخاص بها .

« وإذا نظرنا إلى أسنان الحيوانات المجتررة ظهر لنا جليا أنها وضعت ملائمة لهرس الأعشاب ، وقد جعلت لها السنة صالحة لانتقاطها . وإذا استجلبنا معداتها وجدنا أنها قد جهزت بالأجربة الضرورية التي يستطيع الحيوان أن يملأها بالأغذية التي تكفيه ، وأن يجترها منها ثانية ليعيد مضغها في وقت فراغه . وقد صُنعت لها الأمعاء طويلة لتتمكن من امتصاص المنتجات الغذائية المستخلصة من المواد النباتية . وعلى هذا النحو من التناسب والتلاؤم تقوم جميع أجزاء هذا الحيوان بحيث إذا أتينا بفرس من أضرابها أمكننا وصف سائر ما يتبعه من الأعضاء الهضمية . قبل هذا التدبير مما يغفل أن يكون إذا لم تكن قد دعت إليه الماية التي وجدت هذه الأعضاء لأدائها ؟ » وهذا القصد لظاهر في تكوين الكائنات يمتد إلى أبعد مما ذكرنا ، فإن أعضاء أي كائن لم يخلق بعضها متناسبا للبعض الآخر فحسب ، ولكن قصد منها أيضا أن تحقق حفظ الأفراد وأنواعها في بيئة معينة أريد أن تكون على حالة مقصودة .

« تأمل في تركيب طائر جارح : أفلا تجد تركيبه قائما على لحالة التي يتخيلها فنان على الكعب في الصناعة ؟ إذ نجد أنه قد أوتي عظما خفيفة وعلى جانب عظيم من الصلابة في وقت معا ، وترى له أجنحة واسعة وريشا قويا تسمع له بالطيران والسيح في الهواء بسرعة ، ومنقروا يصلح لتمزيق اللحم ، وباصرتين نابقتين تكتشف الفريسة من بعد شاسع ، أفلم تجعل كل هذه الأعضاء بقصد أن تسمح لهذا الطائر أن يعيش على النحر الذي يعيش عليه منذ وجد ؟ إننا لنشاهد هذه الأمور عينها لو عيننا بدراسة سمكة مفلطحة من جنس (السون) أو حيوانا يعيش في الماء واليابسة كالنقمة أو باتا متسقا كالليلاب .

«وقصد المبدع الحكيم يظهر في الكائنات على أجلي ما يكون إذا درست الأعضاء التناسلية. فإن كل كائن حي مجهز بالأعضاء الضرورية التي تمكنه من إكثار آحاد نوعه، ومن هذه الأعضاء ما هي في أعلى درجات الإبداع الفني. فترى اللبن الصالح لتغذية الصغار يتولد في الوقت المناسب في الثدي من الحيوانات الثديية، ويكون في أول أمره خفيفاً، ثم يغلظ تدريجياً على نسبة تقدم الصغار في السن ونسبة حاجتها لزيادة المواد المغذية.

«كذلك ترى بعض الحبوب محوطة بزوائد قطنية بحيث تصلح لأن يحملها الهواء ويدفع بها إلى ناحية بعيدة لتثبت فيها.

«وهناك نباتات لا يمكن إخصابها إلا بواسطة الحشرات، لذلك أبدع في تركيب زهورها بحيث إن الفراشة أو النحلة التي تسقط على زهرة منها لا يمكنها أن تدلى بخرطومها إلى باطنها دون أن تحصل بشيء من طلع أعضاء ذكورتها، فإذا انتقلت منها إلى زهرة أخرى من التي تحتوى على أعضاء الأنوثة، تسقط ما على خرطومها على تلك الأعضاء فلقحتها. وقد أودعت هذه الأزهار مادة عسلية تستلذها الحشرات وتتطلبها بنهم شديد، أفلا يعتبر هذا التدبير برهاناً قاطعاً على أنه لم يوجد أي عضو من هذه الأعضاء إلا لحكمة سامية؟

«أيستطيع عاقل بعد أن يقف على كل هذه المشاهد أن يزعم بأن الكائنات الحية مخلوقات آلية لطبيعة لا تسمى ولا تبصر؟

«فلاجل أن تتجنب الفلسفة الطبيعية أن تهتم بحق بأنها خيالية ساذجة، يجب عليها، بشرط أن لا تلجأ لغير أصولها الأولية، أن تفسر لنا ثلاثة أمور:

أولها — كيف تحفظ الحياة وجودها وتسرى من كل فرد إلى أمثاله في الأنواع المختلفة؟
ثانيها — كيف تكونت هذه المجاميع العضوية متناسبة ومترابطة لغاية مقصودة، حتى لقد دعيت هذه المجاميع بالميزات النوعية؟

نالتها - كيف تولدت الحياة نفسها في الطبيعة الحامدة ، وهل يمكن تحليل تولدها بملة معقولة ؟ »

نقول نحن : إن إجابة الساديين على هذه المسائل غير منتظرة ، وقد ستلونها من قبل فكانت إجابتهم مفككة الأوصال ، متغلغلة في الخيال ، وليسوا هم اليوم بأحسن حالا مما كانوا عليه بالأمس . وقد سألهم الأستاذ (أندريه كريسون) عن ملة تناسب الأعضاء وتكافئها في الحيوانات ، وعن العامل في وجودها على مقتضى أصولهم المقررة ، وبين عجزهم عن التعليل العلمي كما رأيت . فم يبق علينا إلا أن نذكر مناقشته لهم في مسألة نشوء الحياة ، فإليك ما قال :

« كان افلاسفة الأقدمون لا يرون في مسألة الحياة شيئا من الإعضال ، فقد كان كثير منهم يقبل نظرية التولد الذاتي للأحياء الدنيا بدون تحفظ ، فكان الفيلسوف اليوناني القديم (أمبيدوكل) يزعم أن الكائنات الحية تولدت من الأرض تولدا ذاتيا . وفي رأيه أن الذي تولد أولا كائنات مشوهة وأعضاء منعزلة ولم تتولد الأنوع المعروفة الآن إلا بعد هذا العهد . وكان الفيلسوف (لوكريس) اليوناني يقول إن الديدان تتولد من الوحل . وكان الرأي الشائع أن الفيران كبيرها وصغيرها تتولد في مخلازن الأطعمة تولدا ذاتيا ، وأن القمل والبراغيث تتولد على هذه القاعدة في الترب وهذا الرأي عينه هو الذي كان سائدا في القرن السابع عشر .

« ولكن حدث في القرن السابع عشر نفسه أن اعتراضا وجه الى نظرية التولد الذاتي ، فقد أثبت العالم (ريدى) بأن الاحوم التي نحى من الذباب بواسطة قشاش خفيف يوضع عليها لا تتولد عليها ديدان قط ، ولكن الاحوم التي يقع عليها الذباب ويضع عليها بويضاته تكون مرثما لتلك الديدان . قال ريدى : وهذا يثبت أن نظرية التولد الذاتي ليست بصحيحة ، فإن الحيوانات لا تتولد إلا حيث تكون البويضات التي تتولد منها قد وضعت فيها

« في هذا المهد ظهر (باستور) فقرر أن الحى لا يمكن أن يتولد إلا من حى وقال : إن ذرات لا تحصى من التراب تسبح على وجه الاستمرار فى الهواء ، على كل ذرة منها عدد كبير من بويضات الميكروبات . ومنى وجدت هذه البويضات البيئة الملائمة لها فقس وتولدت منها تلك الأحياء فتأخذ فى التكاثف على النظام المعتاد . وقد برهن على صحة هذا الرأى بالتجارب البالغة حسد الإقتان ، فكان يأتى بالأوانى فيطهرها على أتم ما يكون ، ثم يضع فيها مواد مختلفة معقمة أبلغ تعقيم ، وكان يعرضها للهواء غير المعقم فتتولد فيها الميكروبات ، ولكنه متى كان يعقم الأوانى ويغفلها بإحكام حتى لا يتسرب إليها الهواء ، كانت تلك المواد تمكث ما شاء الله أن تمكث دون أن تتولد فيها ميكروبات ، فإذا عاد فعرضها للهواء المشوب بالغبار تولدت فيها ميكروبات على نسبة مقادير ذلك الغبار . فظهر من هنا بالتجربة أن نظرية (بوشيه) غير صحيحة ، وأن الميكروبات لا تتولد تولدا ذاتيا ، ولكن من بويضات ميكروبات كانت عالقة بذوات ذلك الغبار . والمسألة باقية عند هذا الحد ، ولم يشاهد قط للآن حدوث حى إلا من حى ، انتهى .

ونحن نسوق هذا كله للقضاء على شبهة من أغرب شبهات الملحدين ، وهى زعمهم أن جميع الكائنات حدثت بغير قصد .

إذ ليس أبعد فى الضلال من أن يفترض مفترض أن العين على دقة آلاتها وتناسب أجزائها ، لم تخلق فى الكائنات الحية لغرض مقصود ، ولكنها وجدت اتفاقا بدون قصد أمكن النظر بها والاستفادة منها فى شؤون الحياة . وهكذا يقولون فى سائر الجوارح وأعضاء الهضم والإفراز والتناسل . فثل هذا الهذر لا يمكن أن يمد فى باب الاقتراضات العلمية ، ولكن يجب أن يقتضى به إلى حضيض الانحرافات العقلية . قال الفيلسوف الألمانى المشهور (أدورد هارتمان) خليفة (شوبنهاور) فى كتابه (المذهب الداروينى) : « إن الرأى الذى مقتضاه عدم وجود القصد فى الكون عند الداروينيين لا يقوم عليه دليل ، وهو من الأوهام التى لا أساس لها من العلم » .

وقال الأستاذ (فون باير) الألماني في كتابه (دحض مذهب دارون) :
 «إذا كانوا يعلمون الآن بصوت جهورى بأنه لا يوجد قصد في الطبيعة وأن الكون
 لا تقوده إلا ضرورات عمياء ، فأنا أعتقد أن من واجباتي أن أعلن عقيدتي في ذلك ،
 وهي أنني على العكس أرى جميع هذه الضرورات تكشف عن أغراض سامية »
 هذا ولو شئنا الاستئناس بنات من أقطاب العلم والفلسفة على فساد رأى عدم
 وجود القصد في الخليفة لما كلفنا ذلك أكثر من النقل . ومتى ثبت وجود القصد
 في الكون فقد ثبت وجود المدبر الحكيم جل وعلا من طريق محسوس لا سبيل
 للجدل فيه مصداقا لقوله تعالى : « أنى الله شك فاطر السموات والأرض » .
 محمد فريد وجدي

الشجاعة في قول الحق

دوى طاوس أن الحجاج صبح رجلا من اليمن راقعا صوته بالنلبية في الحرم المكي ، فطلبه ،
 فلما مثل في حضرته قال له : أنت من اليمن ؟ فقال : نعم . فقال له الحجاج : كيف خلقت محمد
 ابن يوسف ؟ (يعني أحاه وكان طامه على اليمن) فقال : خلطه عظميا جسيما حراجا ولاجا . قال :
 ليس عن هذا سألتك ، كيف خلقت سيرته في الناس ؟ قال : خلطه ظلوما غشوما ، فاصبيا
 لخصالق مطيعا للمخالف . فازور الحجاج من ذلك وقال : ما حملك على هذا وأنت تعلم مكانته
 مني ؟ فقال له الأعرجي : أفتراه بمكانته منك أعز مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى وأنا وأند
 بيته ، وقاض دينه ، ومصداق نبيه (صلى الله عليه وسلم) ؟ فوجم الحجاج ولم يجر جوابا حتى
 خرج الرجل بلا إذن .

قال طاوس : فتعته حتى أتى فتعلق بأستار الكعبة فقال : بك أعوذ وإليك ألوذ ، فأحل
 لي في الهدف إلى جوارك والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما في أيدي
 المستأثرين . اللهم فرجك القريب ، ومعروفك القديم ومادتك الحسنة !

بَابُ السُّئَالِ وَالْفَتْوَى

الاذن في النكاح

ورود إلى إدارة المجلة ما ملخصه :

يستفتي حضرة الأستاذ الشيخ أحمد الروزبهاني الفرقاني المدرس الحسبي في قرية
فرقان « العراق » عن حكم حادثة وقعت، وحاصها ما يأتي :

جرى عقد نكاح بين اثنين شافعيين أحدهما وهو الزوج عن نفسه والثاني عن
أخته البالغة وكان المتعاقدان قلدا مذهب أبي حنيفة في هـد العقد ولم يستأذن الأخ
أخته قبل العقد ولم تحضر هي العقد ولكن لما بلغها الخبر سككت .

وقد قال أحد العلماء للأخ إن هذا النكاح لم يشعده، فزوجها هذا الأخ رجلا آخر
بإذنها ، فأى العقدين صحح : أهو الأول أم الثاني ؟

الجواب

مذهب الشافعية أن من نكح نكاحا مختلفا فيه بين الأئمة ، فإن قلد الغائل نصحته
منهم كان العقد صحيحا . وبما أت اللذين تولوا صيغة العقد الأول كانا قد قلدا الإمام
أبا حنيفة في هذا العقد فينبغي أن يحكم في هذا النكاح مذهب أبي حنيفة رحمه الله .
ومعلوم أن مثل هذا العقد عند الحنفية موقوف على إجازة الزوجة : فإن أجازته نفذ ،
وإلا لم ينفذ . وقد قال الحنفية : إذا زوج أخته البالغة بغير إذنها ثم بلغها الخبر فسككت ،
فإن كانت بكرا فسكوته إجازة للعقد ، وإن كانت ثيبا فلا يعتبر سكوته إجازة .

فإن كانت الزوجة في هذه الحادثة بكرا نفذ العقد الأول وكان العقد الثاني باطلا ،
وإن كانت ثيبا لم ينفذ العقد الأول وكان العقد الثاني صحيحا . والله بلوفق للصواب .

يوسف المرصني ، الحسيني سلطان

الشافعي الشافعي

عبد السلام المسكري ، حسين البيومي

الحنفي الحنفي

الحصة العشرية - والسياد الكيماوى

وورد الى إدارة المجلة ما يأتى :

١ - كنت فى أحد المجالس فطرح على بساط البحث مسألة الحصة العشرية التى تتقاضاها الحكومة الانكليزية عندما هل تحسب من الزكاة الواجبة فيما أخرجت الأرض أم لا وما وجه ذلك ؟ مع العلم أنها تتقاضى ضريبة أخرى على رقبة الأرض تسمى (ويركو) .

٢ - لقد استعمل الناس الآن السياد الكيماوى وهذا يكلف أصحاب الأراضى نفقات وافرة ، فهل هذه الكلفة ترد لصاب الزكاة فيما سقت السياد الى صاب ما سقى بالنواضح وما مائلها أى نصف المشر بجامع الكلفة فى كل ؟ أرجو أن تحيلوا هذين السؤالين الى لجنة الفتاوى فى مجلتكم واجيبا الإجابة عنهما . والسلام .

توضيح السؤال الأول أن أصحاب الأراضى عندما يزرعونها من مختلف الحبوب من حنطة وشعير الخ وخضار وما شاكلها من بليخ وبتدورة . والحكومة الأجنبية الانكليزية أو ما شاكلها من الحكومات الاستعمارية ترسل مقدرين أو مخمّنين فيقدرون الناتج ويأخذون منه العشر . ولا يخفى أن الحكومة الانكليزية ليست من أصحاب الزكاة الثمانية .

وقد أراد البعض أن يقول يمكن اعتبارهم من المؤلفه قلوبهم . ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء كما لا يخفى على فضيلتكم . وميزانية الحكومة - كما هو معروف - تصرف على للموظفين وفى سبيل الطرق الخ . وعلى الجملة فقد اختلفت الأنظار فى ذلك . وأرجو أن تلاحظوا أن ضريبة الرقبة المعروفة فى كتب الفقه بالخراج أو فى اصطلاح اليوم (بالويركو) تستوفىها الحكومة علاوة على العشر المذكور ؛ وقد مثلت عن ذلك أثناء تجوالى فى القرى للوعظ والإرشاد فلم أقطع برأى فى الموضوع حتى أقف على رأى أساندى فى الأزهر المسمود .

توضيح السؤال الثانى — لقد رتبى الناس فى شئونهم الزراعية كثيراً . وطبعاً يتبع ذلك كثرة النفقات عليها . فمثلاً مسألتنا هذه — السداد الكباوى — تكلف الفلاح نفقات وافرة نظراً لأسمدة الغالية غير أنه يأتى بمحصول طيب ، وبما أن الشارع الحكيم فرض العشر فيما سقت السماء لقلّة الكلفة ونصف العشر فيما سقى بالنواضح والتواوير وغيرها من الآلات الحديثة للكلفة ، فهل يجوز أن تعتبر الكلفة علة وتأخذ نصف العشر من الخبواب وإن سقيت بماء اسماء ؟ سعيد عبد الله صبرى
قليلة — فلسطين

الجواب

١ — مذهب الحنفية أن أرض مصر والشام خراجية وليست عشرية ، وأنه لا يجب فيها إلا الخراج ، فما يؤخذ منها خراج لا عشر سواء كان بعض الخارج منها أو غيره ، وأن ما يؤخذ منها بتقدير الحكم على ما جاء فى الشق الأول من الاستفتاء إنما هو خراج مقاسمة ، إذ الخراج قسمان : خراج وظيفة ويكون بما يثبت فى الذمة من الدناير ولدرم وغيرها من المكيلات والموزونات التى يتقدرها الحاكم على الأرض فى كل عام ، وخراج مقاسمة وهو ما كان يبيع بعض الخارج كالخمس والسدس والعشر ونحو ذلك . وإذاً يكون ما يأخذ الحكم من عشر الخراج على ما جاء فى السؤال أو (البركو) هو كل الواجب فى تلك الأرض ، وليس فيها واجب آخر لا عشر ولا غيره ، لأنه لا يجتمع عشر وخراج ، وليس فى الأرض وظيفة ، لا العشر والخراج

٢ — مذهب الحنفية أن الدار فى وجوب العشر أو نصف العشر فى الأرض العشرية إنما هو على السقى وحده : فإن كانت الأرض العشرية تسقى بماء السماء أو ميعها بلا آلة وجب فيها العشر ، وإن كانت تسقى بالآلة ففيها نصف العشر بلا رفع مؤن الزرع وكلفه ، وبلا إخراج البذر ، لتصرفهم بوجوب العشر أو نصفه فى كل الخارج ، فمن الأسمدة الكباوية لا يغير شيئاً من الواجب والله الهادى إلى سواء السبيل م
عبد السلام العسكري الحنفى ، حسين البيومى الحنفى

آيات الله في الكون

إن تعرف آيات الله في الكون من أم أغراض الاسلام، فانه تهدي العقل الى وجوه الاستفادة منها، والى العقائد الحققة، بطريق البرهان الواضح. لذلك نرى أن لا نخلى محلة نور الاسلام من هذه المعارف الكونية، على قدر ما تتطلبه الحاجة الروحية والعقلية، فنقول :

لا نريد أن نبرح عالم الحشرات حتى نستفيد بما أودع فيه من بدائع الصنع التي تشهد النظر والاعتبار، فإن الخالق جل وعز قد أمد هذه الكائنات الضعيفة من وسائل الحياة بما يخفى على من ينظر إليها نظرا سطحيا، وهو في الحقيقة من أفعال المعارف في تقوم النفس الإنسانية.

فن أعجب أحوالها، وأكثرها خفاء على جمهور الناس، تتابع استحالاتها الحيوية من بويضة الى دويذة الى شرتقة الى فراشة، وأن بين كل استحالاة من هذه لاستحالات بونا بعيداً، حتى ليظن بعضها مقطوع الصلة ببعض، لشدة ما بينها من التباين في التركيب والمظهر والناية.

ففي أول هذه الحالات وهي البويضة لا يكاد الباحث يجد فيها مظهرا من مظاهر الحياة، فهي لا تفترق عن حبة من الرمل. ولم تفرج هذه البويضة بعد أيام عن دويذة، تجدد أمامك كائنا رخوا حقيرا شديد التهم يغوص في الوحل، أو يندس في الحشائش الرطبة.

فاذا جاء دور النشروق وجدت أن هذه الدويذة قد أحاطت نفسها بخيوط تخرجها من فيها تلف فيها نفسها لفا محكما من جميع جهاتها، بحيث لا تدع مقدار نصب إبرة من جسمها دون أن تمنطيه نغلية محكمة، حتى تصبح كأنها مومياء مصبرة لا حس بها ولا

حركه ، فتبقى على هذه الحالة أياما تستحيل في أمثلها الى سائل لا شكل له ، ثم تعود فتتشكل في صورة فراش لا نسبة بينه وبين صورة الدودة في شيء ، تطير في الجو ممثلة حياة ونشاطا . فهل نستطيع أن نقدر بعقلك كنه ما أودعها البديع الحكيم من القوى الحسوية التي عملت على إحالة جثمان الدودة الى سائل ، ثم على إعادة تكوينها في صورة جديدة ؟

حقا إن هذه الاستحالات من أغرب ما هدى اليه البشر من آيات الله جل وعز . قال العلامة الطبيعي ديومور Reaumur في هذا الصدد :

« كنا نعتبر ما يقال كآية لو أخبرنا غير بأن حيوانا من ذوات الأربع في حجم اللب أو الثور ينسلخ من جلده عند اقتراب الشتاء ويتخذ منه تابوتا لجثائه يسده من كل ناحية ويحمله من الصلابة بحيث لا تعدو عليه العواذي الطبيعية أو الحيوانية . فإذا كانت هذه الاستحالة لو حصلت تعتبر آية فإنها تحصل مصعرة في عالم الديدان ، فهي تنسلخ من جلدها لتتخذ منه تابوتا متينا ومقفلا من كل نواحيه »

لندع هذا الآن ولنذكر صفة أخرى عامة في الحشرات وهي سمو قواها العضلية عن قوانا بالنسبة لحجومها . فإذا أعطى الانسان من القوة العضلية بالنسبة لحجمه مثل ما للدودة منها استطاع أن يجر ٨٥٠ كيلو غراما ، على حين أنه لا يستطيع بالقوة الممنوحة له غير ٥٥ كيلو غراما .

ولو أعطى الانسان من قوة القفر مثل ما للبرغوث لاستطاع أن يقفز بالنسبة لحجمه الى ارتفاع ٧٥٠ قدما .

وقد حسبوا أنه لو كان الانسان قد منح صوتا يناسب حجمه قياسا على صوت الصرصر لوصل صوته الى بعد ٢٤١٠ كيلو متر ، وهي المسافة التي يفصل باريز عن آسيا الصغرى . وإذا كان الانسان قد أوتي في صوته هذه القوة وعدها التمرد فطمس داخل بيته لسقط البيت عليه ودقته في أنقاضه .

إننا مشر للصريين لتفخر بأن آباءنا أقاموا أهراماً شامخة ، على أن أعلاها لا يجاوز تسعين قامة محسوبة بقامة لرجل ، على حين أن النمل الأبيض يبني مساكنه على ارتفاع ألف قامة بقدمته ، فهي تبرزنا في تعلية مبانيها اثنتي عشرة مرة . أما عن متانة مبانيها فحدث ولا حرج ، فلو صعد على سقفها عدة رجال لاحتماهم ، بل إن الثيران لو حشيت قد نعلوها أحياناً وتربص عليها .

أما قوة الهدم في هذه الحيوانات فتفوق كل تقدير ، فإن النمل الأبيض قد أبان في هذا المجال عن قوة وسرعة تعتبر مذهشة للعاية ، فقد شوهد أنه استطاع أن ينقب في ليلة واحدة قطعة من الخشب تبلغ طولها أكثر من خمسين سنتيمتراً .

والحيون المسمى سيركس فطرة على الثقب كبيرة حتى إنه ليثقب الرصاص كما شوهد ذلك في حرب القرم الروسية ، فقد ثقب رصاص البنادق ومقذوفات المدافع . وقد شوهد أن أصغر الحشرات أجسادها دائماً أشدها قوة .

ومما يمتاز به الحشرات أن إناثها أقل حملاً من ذكورها وأشدها كلباً على القتال والفتك بالأعداء ، فبينما ترى ذكورها يسرحن وعرجن نجد الإناث يفرن ويقاتلن بصبر وجلد لا حد لهما ، وهذا على خلاف إناث البشر ، فإنهن خلقن على وضع طبيعي لا يجعلهن يحتملن كثيراً من المشاق التي يحتملها الرجال .

ومن الطبع المشتركة بين كثير من أجنسها الغناء لاستجلاب هوى الإناث ، فإنها لا تغنى تشدو وتترنم ، بينما تكون الإناث دائبة على العمل في صمت .

وهناك نوع من الضفادع تنق تحت الماء فيخيل للقريب منها أنه يسمع أصوات نواقيس ترن عن بعد . وقد حدث ذلك مرات للعالم (لينيه) Linné فإنه قد اتفق له أن شهد هذه الظاهرة العجيبة مرار . فقد روى أنه كان يسمع أصواتاً تشبه قرع النواقيس الضخمة تنسل إليه من بعد يقدر بتصف مين ، على حين كان يجوار تلك الضفادع .

ومن أعجب الحشرات ما يسمى منها بالكوشنيل، فإنها قبل أن تولد تموت أمهاتها وتستحيل إلى قشرة جافة فتكون هذه القشرة مهداً لصغارها.

وقد امتاز كثير من الحشرات وبعض الحيوانات الأخرى بسرعة التناسل وكثرة النسل، فإن دودة الحرير تضع ٧٠٠ بيضة في كل مرة.

وقد عد ما في بطروخ السمك المسمى (مورو) وهو الذي يؤخذ من كبده الزيت الطبي المعروف فوجد أنها ٦٨٧٨٠٠٠ بيضة تخرج من كل منها سمكة مشبهة لا حاد جنسها. وقد عد ما في بطروخ السمك المسمى (هرنج) وهي ما يسمى عندنا بالرنجة فوجد أنه يشتمل على ١١٢٠٠٠ بيضة، وما في بطروخ الجنس المسمى (برش) فوجد أن عدد بويضاته تبلغ ١٥٥٠٠٠ بيضة. ولم يعد عدد بويضات بطروخ الجنس المسمى (سومون) ١٩٠٠٠ بيضة.

ومما تتميز الحشرات به عنا أن بعضها يقتذى بما لو تعاطين شيئاً منه لمتنا تسمماً، وتعيش في جوفائق لا نستطيع العيش فيه دقيقة واحدة. فمن الديدان ما تعيش فوق النبات المسمى بالشترم وتقتذى به مع أن النقطة من عصاوته تلب فئنا ونحرقه. وبعضها يقتذى بأهداب النبات المسمى بالأنجرة وهذا النبات لو وضع على بشرتنا لأحدث بها التهابات واحتقانات مؤلمة.

وقد بلغ بعض الحشرات من التهم إلى حد لا يتصوره العقل، فإن الدودة تأكل في كل أربع وعشرين ساعة ما يبلغ ضعف حجمها من الأغذية ولا يزيد جرمها إلا عشر وزنها. ولو سار الإنسان سيرتها لوجب أن يأكل ٢٤٠ طناً من الأغذية في كل أربع وعشرين ساعة، وهذا ما لا يمكن تصوره.

والحشرة المسماة (أوستر) تعيش في معدات الخيول وتتسرب إليها من لحسها جسادها. أما غذاؤها في تلك السجون المظلمة فالمصاراة العذبة لتلك الخيول، فتعيش في مجبوحة من الخفض والدعة في تلك الغياهب الدامسة في جو غازي غير صالح للتنفس

مؤلف من غازت تتكون أثناء هضم الأغذية، وهي مؤلفة من لأزوت وحمض الكربون ولا يدرون الكبريت وكلها غازات مميتة للإنسان ولأسر الحيوانات ما عدا هذه الحشرة .

وتوجد حشرات لا تتم استعالاتها إلا إذا غيرت الأمكنة التي تعيش فيها، فالحشرة المسماة (تيني) لا تبلغ أشدها إلا في معدة الإنسان . والترخينا لا تصل إلى غاية رتقائها إلا إذا انتقلت من مأواها الأول وهو لحم الخنزير إلى مكانها الثاني الذي هو معدة الإنسان .

ومن الحشرات ديدان لا تمتدني إلا بالتراب ، وقد خلق الله معداتها بحيث تستطيع أن تستخلص منه كل ما يقوم أجسادها كأه من نوع النبات . أم فضلاتها فهي أتربة جافة مجردة من بعض عناصرها الأولية .

إن هذه الكائنات في ضئف أجسادها ، وقصر حياتها ، مجال بعيد الأرجاء للنظر والتفكير في قدرة الخالق الحكيم ، وسعة سلطانه ، وعظمة إيدعه ، فقد جهد العلم قرونا طويلة في تعرف تركيبها ، ودرس طبائعها ، والتأمل في أطوارها ، ولم يبرح بعد من حصر بدائنها ، بل كلما تصق في بحثها ظهرت له آيات جديدة في أحوالها وشؤونها ، وهي مع هذا أظهر مستعلى للإلهامات الإلهية ، التي كان يشكك الملاحدة الناس فيها منذ عهد بعيد . فقد ثبت علميا من تتبع الصناعات الدقيقة التي تقوم بها هذه الكائنات الضعيفة أنها لو تركت وشأنها لما تُصور أن تصدر منها هذه الصناعات الدقيقة التي يمجز عنها الإنسان العاقل ، لأنها تستدعي معارف واسعة بطوائع الأشياء ليست للإنسان نفسه ، وهذا مما لا سبيل إليه لدى كائنات ليس لكثير من أجناسها مخ ولا أعصاب ، ولا آلات تقوم مقامها للتفكير والتقدير ، فلو لم يتولها الخالق جل شأنه بالإلهام والهداية لما بقيت طرفة عين .

إذ لو لم يكن الإلهم الإلهي يتولى هذه الكائنات فما الذي كان ينبغي الطير بأنه

على وشك البيض وأن هذا البيض يحتاج للاحتضان أياماً معدودة، وأن صغارها متى خرجت نحتاج لأغذية خفيفة مهضومة ، وأنها في حاجة مستمرة للتدفئة، وأنها متى ترعرعت احتاجت للتدريب على الطيران. فترى الوالدین دائبين على جمع الأعواد الخفيفة ومواصلة الجهد لبناء عش على بعض الأفتان منها، فإذا تم نثر عليه من ريشهما ليكون البيض في مكان وثير منها، فإذا حان وقت البيض وضعت الأنثى في ذلك العش واحتضنتها، فإذا بدت لها حاجة تولى الذكر احتضانها، وهكذا دواليك حتى يتم تكون أجنحتها وإذا ذلك تكسر الأتني البيض يتقارها وتعمل على رفع القشور عنها، وتذأب هي والذكر على احتضانها، ويقولان تغذيتها بمورد خفيفة زقا في متقاريتها، ثم تسقيها على هذه الصفة. ومن الذي ألهم هذه الفراخ قبول الغذاء من متقارى أبويها وازدراءه، ومتى اشتدت سواعدها وارتاشت أجنحتها أخذ أبويها في تدريبها على الطيران في دفعات متكررة حتى تتقنه فتستقل بأنفسها.

وليس هذا لدى رأبناء بأعيننا وزاه كل يوم، بأعجب من الإلهامات التي تلقاها الحشرات الدنيا في بناء مساكنها، وحفر مسارها، والاحتيل لحاجاتها، والاحتياط لصغارها، فكل هذا يؤلف مجموعة من العلم لا تدع خيالا من شك لأعصى الناس قيادا في أن هذه الكائنات الضعيفة ما كانت لتوجد ولا لتعيش لولا أن الخالق جل شأنه يتولاهما بالعناية والإلهام، شأنه في جميع العوالم المرئية وغير المرئية.

محمد فهد وجرى

قرى الضيف

قال الأصمعي :

سئل أقرى أهل اليمامة للضيف : كيف ضيظتم القرى ؟ قال : بأنا لا تسكلف ما ليس عندنا .

وقال الشاعر :

أضاحك ضيفي قبل إزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكننا وجه الكرم خصيب

حكم الصرف من أموال الزكاة

على المستشفيات ومحوها

حصرات الأفاضل كبار هيئة العماء بالأزهر الشريف حرسهم الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فلما نرفع إليكم بحفائق واقعة نرجوكم لإفتاء
فها ، لا زلتم للمستشدين أهلاً ، وهي :

١ - إن في عدن مستشفى كبيراً هو المستشفى الأهلي تعالج فيه جميع المرضى
على اختلاف لغاتهم وأديانهم والمسلمون فيه هم الأقل كثرة الساحقة . والواقع أن مرضى
اليهود والمجوس والهندوس لا يعتمدون في أقواتهم وأسباب راحتهم على المستشفى ،
بل إن جمعياتهم الخاصة تواسيهم وتوفر لهم القوت اللازم والملابس وغير ذلك من أسباب
الراحة ، وتشترى لهم حتى الأدوية التي لا توجد في المستشفى ، مع أن المسلمين لا يواسيهم
أحد لا بالقوت ولا الثياب ولا شيء غيره ، بل لا مفر لهم من استعمال ما يقدمه المستشفى
وهو قوت لا يسمن ولا يفتن . وهكذا يذهب أكثر مرضى المسلمين ضحية الإهمال .
ومع هذا فالمستشفى يقوم بتكفين اللوتى وغسلهم ودفنهم بصورة غير مرضية ،
والكفن مثلاً الذي يعطيه للمستشفى يكون دائماً غير كاف لستر الميت . وهكذا
فضلاً عن الغسل والدفن .

٢ - النساء من أرباب العائلات الفقيرة يمرضن الموت على المعالجة أو التطبيب
في المستشفى الأهلي بحجة أن الروايات المعدة في المستشفى لا تضمن لهم الراحة وحفظ
التقليد والحجاب اللازم ، حيث يحضر سرير كل مريضة بجانب الآخر . ولهذا ولما
سنعرضه على فضيلتكم يمكن تطبيب النساء وأرباب العائلات على أيدي الأطباء
والممرضات الماهرات بدلاً عن تحمل الآلام ، والبقاء من دون علاج في بيوتهن ، وقد
أودى بأرواح كثيرة وجعل النساء عرضة لدجل الدجالين والشعوذين .

٣ - لا يوجد في عدن مدرسة عربية إسلامية لبنات المسلمين ولهذا انتهزت الفرصة جمعية التبشير الديناميكية وفتحت لبنات المسلمين مدرسة يتعلمن فيها القراءة والتطريز والخياطة ؛ وهناك ينشرون المبادئ المسيحية ويخرجون عن تعاليم الإسلام . ولهذا ترنا بحاجة ماسة الى تأسيس مدرسة للبنات في عدن تجلب لهن الملمات الصالحات للمسلمات من الخارج ، وتنقذ أمهات المستقبل من حالة إذا استمرت تقضى على العقائد الإسلامية قضاء مبرما .

مما ذكر يظهر لكم سادتي أن مسلمي عدن بحاجة الى مائة يصرفون أو يواسون منها المرضى من الفقراء في المستشفى الأهلي ، ويعمرون منها بيوتا خاصة للنساء وأرباب العائلات حول المستشفى ، تضمن لهم الراحة والسكينة ، وتحفظ لهم تقاليدهم لاسلامية ؛ وأيضا يقومون بتأسيس مدرسة عربية إسلامية لبنات المسلمين اللاتي هن الآن تحت تأثير البشريات المسيحيات .

المالية المنشودة غير متيسرة ؛ والأغنياء وأهل الثراء لا يتبرعون بالمال لهذه المشروعات الخيرية البهجة .

وهكذا أصبح السفهون والمسلمات بحالة نكسة محتقرين في أعين الأجانب ، مع أن الطوائف الأخرى تقوم بكل هذه المشروعات والأعمال نحو أبناء وبنات ملتهم كالإفرنج واليهود والمجوس والهندوس . بل لكل طائفة مستشفىها ومدرستها وملاجئها الخاصة . أما نحن ونحن أهالي البلدة فلسنا إلا كابتشردين ومرضانا في الأزقة والمستشفيات بلا راع ولا ذي مروة يواسيهم ، حالة والله تدي القواد ونفتت الأكباد ؛

لما وصلت لحالة الى هذه الدرجة من الخذلان فكر جماعة من أهل الخير في تعيين لجنة إسلامية تؤلف من أغنيائهم وجهائهم وقصد اللجنة هذه أن تأخذ قسطا من أموال الزكاة المفروضة على المقتدرين من المسلمين حتى تجمع المال ليصرف في مصالح الفقراء والمساكين في هذه البلاد في حدود المشروعات الثلاثة المذكورة آنفا ولو تدريجيا .

فأرجاء من هيئة العلماء الأعلام في الأثر الشريف أن يفتونا في المسألة . وهل يجوز أخذ الزكاة أو قسط منها لهذه لأغراض المهمة ؟
أرجو أن تنشروا السؤال مع الجواب على صفحات مجلة (نور الاسلام) التي كساها الله نورا على نور ، لما تنشرونه فيها من لدور الغاليات ، والجواهر المشتمات ، والحكم البالغات ، وقد طهرتموها من الحشو واللغو والهديان . جزاكم الله خيرا الجزاء ، ونفع بكم العباد ، آمين .
أحمد محمد العدني

الجواب

إن حال المسلمين اليوم بذيّب القود وبنفت الأكباد على ما شرحه السائل ! تتخاذل وانحلال ، وتأخر واضمحلال ، واختلال واعتلال ، وهبوط وسقوط ، وجود ونحود بلخ .

ولا غرو فقد اشتغل كل منهم بنفسه ، فلا يمينه إلا منفعته الذاتية ، ومصالحته الشخصية ، فلا يهتم بأمر أخيه المسلم ، ولا يفكر في مصلحة أمته ولا منفعة مواطنيه ولا مجد بلاده . صاقت الأنظار ، واخيلت الأفكار ، ونهبت الرحمة من النفوس ، وأفقرت القلوب من الإخلاص والرهوس من التفكير . وما كان ينبغي ذلك لقوم أمروا أن يكونوا كالبنيان يشد بعضهم بعضا ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تألم له سائر الجسد . وقد كنا رفع الأثم على الإطلاق وأعزها ، وكان الناس يدخلون في دين الله أفواجا لما يرون فيه من مكارم لأخلاق ومحاسن للقيم ، وما يتجلى فيه من ارتباط القلوب وتألف النفوس ، فقد أورسهم الإيمان المحبة التي جعلهم إخوة تراحمون عند الشدائد ، ويتعاطفون لدى الكوارث .

ولا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي ، كما في الحديث الصحيح ، فأصبحنا وقد اشتغل كل بنفسه وصار لا يمينه إلا شخصه ، فتقطعت الروابط بينه وبين إخوته المسلمين ، فلم يشاركهم في أية مصلحة يعود نفعها على الأمة . وقد غلبت عليه محبة الذات ، فتفتحت له

طرق الاحتيال فيها يعود على شخصه بم يحجب من الشهوات مما يظنه سعادة وفلاحة ، وخيل له أن ذلك استقلال ونهضة ورفق وتقدم ، فأضاع بذلك مصلحته ومصلحة أمته ، وقضى على مجده ومجد بني جلدته . أو يقول : كانت النتيجة كهذه النزعة الحققاء استقلال الأفراد واستمهاد الأمم . وإنما لفظة مصدر ، فلتكلم فيما يريد السائل ، فنقول :

لا يسع العارف بروح الشريعة ونظرها البعيد وحكمها السامية إلا أن يفتي بجواز صرف الزكاة في تلك المشروعات الخيرية التي ذكرها السائل ، فإن الشارع قد راعى في مصارف الزكاة مصلحة الدين ، ومصلحة العباد ، وحاجة الفقراء والمضطرين والمحتاجين . ولم يفت ذلك علماء الأمة وأئمتهم من السلف والخلف رضى الله عنهم ، فقد ذهب كثير الى أنه يجوز أن يصرف سهم سبيل الله الى الحج وإعانة الحجاج من المسلمين . يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن . واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق ابن راهويه ، لأن الأمر على ما قال بعضهم من أن اللفظ عام فلا يجوز قصره على الفزاة فقط . وقد أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وصلاة المساجد وغير ذلك ، لأن قوله : « وفي سبيل الله » عام في الكل ، فلا يختص بصنف دون غيره .

على أن من ذكرهم السائل في سؤاله داخلون في الفقراء والمساكين ، فإن أولئك المرضى الذين بين سوء حالهم وتلك لسيدات اللاتي يلحقهن من الضرر ما ذكر المستفتي من جملة الفقراء بلا شك . والجماعة التي تأخذ زكاة لتقوم بتلك المصالح وتنظيمها وتجميلها على قاعدة ثابتة نافعة وترسم لها خطة تضمن لها البقاء والمنفعة ، هذه الجماعة كأنها وكيلة عن أولئك الفقراء تقوم برعايتهم وإصلاح شئونهم نيابة عنهم حيث تندر فيامهم بذلك لأنفسهم . ولو فرضنا أن هناك فقيرا نصدر تسليمه الزكاة لجنونه مثلا أو لنير ذلك لم نتوقف في جواز إعطاء الزكاة لولييه والقائم على أمره . فهكذا هنا . والعبرة في الأمور كلها بمقاصدها وغاياتها .

هذا ما تقتضيه روح الشريعة وترشدنا اليه مراميها التي عمودها الذي تدور عليه إنما هو الحقائق والمصالح . ولا يمكنني أن أفتي بغير هذا . غير أنني قبل إلقاء القلم لا بد أن أوصي بانتقاء تلك الجماعة من المخلصين الأتقياء ، الذين يخافون الله ويراقبون في السر والعلانية مع النظر البعيد والتدبير الحكيم . وليكن الفانون في ذلك واضحاً جلياً غير قابل لتأويل المؤولين ولا احتيال المحتالين . والله يتولى هدى الجميع بمنه وكرمه .

« حكم أكل الكلب على مذهب المالكية »

وورد إدارة المجلة سؤال يقول فيه مرسله : إنه جاء بمجلة نور الاسلام صفحة (٧٣٣) أن علماء المالكية رضى الله عنهم لهم قولان في أكل لحم الكلب : قول بالكراهة وقول بالحرمة ، وأن قاضي جبل عجبون الشرعي الشيخ عثمان الشنقيطي قال : إن لقائلين بالكراهة ليس لهم وجود بالمذهب . فهل القول بالكراهة موجود بالمذهب ، وهل له اعتبار بين علمائه ؟

أفبدونا الجواب . أرحو أن يكون الجواب من حضرة الفاضل الشيخ يوسف الدجوى حسب طلب فضيلة قاضي شرع مجلون . شريف محمد نائب بالجيش العربي . مجلون

الجواب

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد فالقولان المذكوران مذكوران بالمذهب بلاشك ، بل القول بالكراهة عند المالكية في كتب المتأخرين أشهر من القول بالحرمة . وقد اقتصر عليه العلامة الأمير في متن المجموع الذي هو من أعظم الكتب المعتبرة عندنا ، وصاحبه هو أمير العلماء الذي قال فيه قائلهم :

وإن يك ضاهك في العم قوم فأنعم بكل وأنت الأمير
وإن كان شمس الدين اللماي وأشياخه يمتون بالحرمة لا بالكراهة . وأي غرامة في القول بالكراهة غير ما رسخ في النعوس من استقذار لكلب أو اعتقاد نجاسته ؟

ولكن مذهب مالك يقرر أن كل حي طاهر، فالكلب عنده طاهر حتى فمه، ما لم يكن متلونا بالنجاسة، فنجاسته عرضية لا ذاتية.

أما القائلون بنجاسة الكلب فقد فهموا من النهي عن سؤره نجاسة عينه. وليس ذلك بلازم، لأن النهي له أسباب كثيرة. والنهي عن سؤره محمول على الكراهة عند المالكية. وكيف نستغرب القول بالكراهة بعد ما قرر بعض الأصوليين أن كل ما لم يرد تحريمه في الكتاب والسنة فهو غير محرم لأن الأصل في الأشياء الإباحة؟ ونحن نستصحب لأصل حي حتى يرد النص. وقد قال تعالى: «قل لا أجد فيها أوصى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحماً خنزير» الخ.

ولعل الشافعي رضي الله عنه قد فهم من الأمر يقتل الكلب في الحل والحرم مع النهي عن قتل الحيوانات المباحة الأكل أن الملة في ذلك هو كونه محرماً. أما مالك رضي الله عنه فقد فهم أن علة الأمر بقتل الكلاب إنما هي التعمدي والإيذاء لا التحريم ولا النجاسة.

والجتهدين في المسائل الشرعية أنظار دقيقة ومدارك كثيرة. والأمر في الفروع هين والظن فيها كاف كما بيناه في مقالاتنا العديدة التي نشرتها المجلة. وماذا تريد بعد أن جعل الله لكل مجتهد أجراً خطأ أم أصاب، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها؟ ولا معنى للجزم في مسألة الكلب بنى أحد القولين.

وأكبر ظني أن المستنكر إنما يستمد استنكاره من النفور الطبيعي الذي نشأ عليه، والمقيدة التي رسخت في نفسه بمقتضى البيئة التي وجد فيها.

وقد بلغني أن فريقاً من الأوربيين يستطيرون لحماً الكلب غاية الاستطابة وهو عندم بمنزلة الضأن عندنا. هذا ما تيسر في الوقت، وهو كاف إن شاء الله.

يوسف الدجوي

من هيئة كبار العلماء

المدنية الفاضلة في الاسلام

إن من أخص صفات المدنية السامية أن يكون بين الناس في علاقات بعضهم ببعض، آداب عالية وعادات حسنة يتوصعون عليها فيما بينهم، ويراعونها أدق المراجعة، في تعاملهم وتخطابهم. هذه الصفات هي التي تميز الأمم المتحضرة عن القبائل المتبذية. والاسلام الذي استوفى جميع مقومات الأجساد والأرواح والاجتماع لم يفعل هذه الناحية من الأدب المدني، فوفاه حقه، وجاء أكل ما عرف في تاريخ المدنيات في اليوم.

ومن أعجب ما يعرف عن الاسلام أنه كما عني بإحداث أكبر انقلاب شهده البشرية في الدين والاجتماع والعلوم والصنائع، عني كذلك بهذه الناحية من المظاهر المدنية التي تشف عن كمال الذوق، ورفعة العوطف. فقد رغب في تحسين الظاهر: من إجادة اللبس والتعطر، وقص لشعر والأظافر، ومراعاة قواعد النظافة، والتتظرف في التعبير، والبشر والهماشة، ودعوة الناس بأحسن ألقابهم، وعدم مجابتهم بـ يكرهون، وبدنهم بالسلام وحسن الإصغاء إليهم. وإنا لباسون هنا بعض ما سنه الاسلام من هذه السمات المدنية، موردين ما جاء في حقها من الأحاديث والآثار النبوية، وما نقل عن الصحابة والتابعين في الجري عليها، فإنها معالم للمدنية الفاضلة، وأعلام للأدب الكاملة فنقول:

السلم والمصافحة: قال النبي صلى الله عليه وسلم. «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا يجيبوه حتى يبدأ بالسلام». وفي هذا إشارة إلى أن الكلام قبل السلام سوء أدب يستحق فاعله أن يجازى عليه برغقال شأنه. وقد سن النبي صلى الله عليه وسلم هذه السنة بميله، فقد قال بعضهم: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وم أسلم ولم أستاذن، فقال رسول الله: ارجع وقل السلام عليكم وادخل.

وقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم إلى العمل بهذا الأدب حتى مع الأهل، فقد روى

جاء عنه أنه قال : « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته » . وهذا ظاهر ، فإن الانسان إذا دخل بيته مسلماً فجدبر أن يكون ذلك أوجب للوثام والألفة بينه وبين أهله ، فإذا عسى أن يجد الشيطان ما ينزع به بين أهل بيت هذا شأنهم من الصفاء ومراعاة الكرامة ؟

وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الحكمة في التوصية بإفشاء السلام بين المؤمنين هي تمكين أو صر التعاب بين آحادهم ، والتعاب بين الآحاد أساس الاجتماع الوثيق العرى ، المحقق لفائدة المجتمعين ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : أفشوا السلام بينكم » .

وقد أذع النبي صلى الله عليه وسلم : عادة المصافحة بين العرب وكانوا يعدونها من عادات الأعاجم . روى البراء بن عازب رضى الله عنه أنه دخل على النبي وهو يتوضأ فسلم فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ، فرد عليه ومد يده إليه فصافحه ، فقال البراء : يا رسول الله ، كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم ، فقال له : إن المسلمين إذا التقيا فتصافحاً نحات ذنوبهما .

وعن أنس قال صلى الله عليه وسلم : « إذا التقى المؤمنان فتصافحاً قصمت بينهما سبعون مقفرة : تسع وستون لأحسنهما بشراً » . فانظر كيف تدب إلى البشر عند المصافحة ، والبشر علامة الصفاء النفس والاقبال القلبي . فيعسر على المتصافحين بعد هد البشر وهذا الاقبال أن يتنازعا على تأفه من الأمور ، فإن كان بينهما أمر ذو بال عمدا إلى اللياسة والمخاسنة ، وحسما ما بينهما من خلاف على صفاء ومحبة .

وكان أنس رضى الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك .

وسن النبي تحية الانصراف أيضاً فقال : « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس » ، ثم إذا قام فليسلم ، فليست لأولى بأحق من الأخيرة .

وقد عنى النبي صلى الله عليه وسلم بأمر السلام حتى سن له نظاما على حسب ما يكون فيه الانسان من حال ، فقال : « يسلم الراكب على المشي ، والمشى على القاعد ، والتليل على لكثير ، والصغير على الكبير » .

قد ذكر البشعر عر ضا في أمر السلام ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أفرد بالتنبؤ ، فقد روى أبو هريرة أنه قال : « إن الله يحب السهل الطلق الوجه » وقال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوصيك بتقوى الله وصنق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح » . فانظر كيف وضع ابن الكلام وخفض الجناح في صف تلك الخصال العالية وجعله علما من أعلام الطريقة المثلى .

وقد زاد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الخصلة تنويها فروى أنه قال : « أتدرون على من حرمت النار ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : على الهين للين السهل القريب » ، فإذا علم الناس أن النار حرمت على من هذه صفته فكيف لا يتنافسون في التعاطف بها ، وكيف تروج في بيئتهم صفات أهل الجاهلية من العنصرية والعنصرية والتجبرية .

ومن خلال المدنية الفاضلة التي سنّها الاسلام توقيد الشيوخ والمطف على الأطفال ، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من لم يوقر كبيرا ولم يرحم صغيرا » . قال العلماء ومن تمام توفير الشيوخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالاذن . قال جابر رضى الله عنه : قدم وفد جوهنة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم ، فقال رسول الله : « فأين الكبير ؟ »

أما خصلة المطف على الصغير فأخرجة من الحديث المتضمن . وكان من عادة صلى الله عليه وسلم التلطف بالأطفال والمطف عنهم . جاء في سيرته الشريفة أنه كان يقدم من السفر فيلتقي الصبيان فيقف عليهم ، ثم يأمر بهم فيرفعون اليه ، فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ، ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم ، فربما تفاخر الصبيان بذلك فيقول

بعضهم لبعض . حتى رسول الله بين يديه وحملك أنت وراه ، ويقول بعضهم : أمر أصحابه أن يحملوك وراهم .

وروى عنه أنه كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوه بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي ، فيصيح به بعض من يراه ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ترموا الصبي بوله » فيدعه حتى يقضى بوله . ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ، لئلا يرو أنه تأذى ببوله . فإذا انصرفوا غسل نوبه بمد .

انظر لى هذا العطف البالغ أقصى غاياته حتى فى حالة بول الصبي عليه ، فلا يريد أن يرفسه حتى لا يزعجه وينقص على أهله . هذا والله مثل أعلى فى هذا الباب ليس وراه مذهب .

وقد استن أصحابه بسنته ، فأقبلوا على الصبية بوجوههم وقوبهم وغمرهم فى عطفهم وبرهم . روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب استدعى رجلا ليؤليه بعض عمه ، فيبينا هو يمد له كتاب الولاية إذا قبل غلام له فأخذه عمر فقبله ، فقال له الرجل : أتقبل الصغار يا أمير المؤمنين ، فإنى لم أقبل صغير قط . قالتفت إليه عمر وقال له : ذهب فلا حاجة لنا بك فإن من لم يرحم الصغير لا يرحم الكبير ، وأحجم عن توليته .

وقد سن النبي صلى الله عليه وسلم توفير الزر ، وهو من سمات أهل المدنية الفاضلة ، خلافا لأهل البداوة أو القرى عهد بالحضارة ، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمد بزوره راثر وهو جالس على رصادة ولا يكون فيها سعة يجلس معه عليها ، فيزعاها ويضعها تحت الذى يجلس اليه ، فإن أبى عزم عليه حتى يفعل . وقد أمر أصحابه أن يستنوا بسنته . وروى أنه دخل بعض بيوتهم فدخل عليه أصحابه حتى اكتظ بهم المكان ، جاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد محلا يجلس عند الباب ، فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه اليه ، وقال له : اجلس على هذا . فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لقه ورمى به الى النبي وقال : ما كنت لأجلاس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتنى !

فنظر النبي يمينا وشمالا ثم قال : إذا أناكم كريم قوم فأكرموه وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما زاره وفد من النصارى فرش لهم عباءته ليجلسوا عليها وقد امتدأ أهل المدينة اليوم أن يسلموا تواضع الكبار للفقراء وللساكين ديموقراطية ، فترى وزراءهم وكبراءهم يحتلطون بهم في الحفلات ويشاركونهم في الجلسوس معهم في الدرجة الثالثة بالتراموايات . وقد سبقهم الاسلام بفعل التواضع لأهله شرعة ، تحقيقا لمبدأ المساواة الذي كان هو أول من رفع علمه في الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تواضع لله رفعه . وقال : « لو كان المتواضع في قعر برث لبعث الله اليه من يرفعه » وقال : « إن الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد » . وعن ابن أبي أوفى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته .

وقد سن الاسلام الاستئذان ، وهو اليوم من الخلال التي تعد من مميزات أهل المدينة ، فترام يحرسون عليها ولا يتساحون فيها ، وأنت ترى أن الاسلام قد سنها لأهله منذ أجيال كثيرة ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأمنوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم »

هذا غيض من فيض مبادئ الاسلام لأهله من سمات المدينة الفاضلة . وجملة ما ورد منها وعمل به منها يفرق ما عليه للتمدنون اليوم رقة ، ويژه لطفًا . وفي ذلك دليل على أن الاسلام شرع ليكون دينًا عامًا يصلح لجميع العصور ، ويلائم أرق الحالات العقلية والنفسية ، ويسعد هذه السنن النبوية والعادات الاسلامية مذهب لمن يتطلب أقصى غايات المدينة . فإذا كانت نفوس لا تزال على صفات أهل الجاهلية من الكبر والجهرة ، والصلف والعنصرية ، فإن الزمان كفييل يردم الى الصواب ، وإذا ذلك لا يحدون وراء هذا الدين مطلبًا ، ولا عن طريقته التلي متكبًا . محمد فريد وهدى

مآثر العرب في العلوم المدنية^(١)

لكتاب العرب وعلماهم في صدر الاسلام من المآثر المعيدة الخالدة في العلوم المدنية مثل الفلسفة والرياضة والعلوم الطبيعية بسبب تقدم الحضارة والثقافة الفكرية في هذه العصور ما جعل لهذه العلوم أثرا يذكر في تاريخ الأدب العربي على العموم ، وجعل من علماء العرب أساندة للغرب يقتنى أثرهم ويهتدى بنور أبحاثهم ، ولو أن هذه العلوم كانت في الأصل دخيلة على علوم العرب أخذوها عن لاغريق وهديوها بما يناسب الحضارة الاسلامية ، وبقيت شطرا من اثر من في عداد الثورات الغربية والتراث الأجنبي . وكان أول من اهتم بنقلها الى العربية علماء الشام المسيحيون وشاركهم في ذلك نفر قليل من العرب ، إلا أنها ما لبثت أن احتضنها أمراؤهم وتمهدوا وحملها برعايتهم وحسن تقديرهم حتى خصبت تربتها وأينعت أثمارها ، فانتجت فرائضهم ثمرات طيبة لا يذانيها ما أنتجه غيرهم من الشعوب المتخلفة ذات الحضارات القديمة . بدأ ظهور حضارة الاغريق في الأدب السورى القديم منذ كانت بلادهم تقع تحت سيطرة الأمبراطورية الشرقية ، وزاد تأثرها بها بفضل العوامل السياسية التي ساعدت على اهتمام علماهم بنقل المؤلفات الاغريقية الى اللغة العربية . وكذلك نشط علماء الدولة الفارسية في ترجمة كتب فلاسفة لاغريق بفضل رعاية ملوك الدولة الساسانية وتعضيدهم لدراسة الفلسفة والطب ، فأسس حسرو أنوشروان في عام ٣٥٠ م مدرسة في « جنديسابور » بخوزستان لتعليم هذه العلوم ، وقد قامت هذه المدرسة بواجبها خير قيام ، وبقيت مزدهرة حتى أيام العباسيين ، ومنها انتقلت القواعد الأساسية التي وضعها أرسطو للمنطق الى علماء المسلمين في البصرة ، فكانت أساسا لقواعد المنطق العربي .

(١) مترجمة من الألمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربي » المستشرق الألماني الكبير الأستاذ الدكتور « بروكلمان »

وكانت حران مهداً لنشأة علوم الرياضة والفلك التي استعملت كباقي العلوم الإغريقية سلاحاً في يد الوثنيين لمحاربة رسل المسيحية في الشام، وبنى الحرايون متمسكين بعقائد أسلافهم حتى بعد دخول الاسلام وحكم العرب بقرون عديدة، ولقى الكثير من علماءهم الفلكيين والرياضيين رعاية كبيرة وتقديراً عظيماً في بلاط خلفاء المسلمين ببغداد.

وفي أول حكم العباسيين بدأ بعض علماء الشام المسيحيين ترجمة المؤلفات انطية الى اللغة العربية، الى أن جاء الخليفة المأمون فكان أكبر عضد وأشد ساعداً في هذه النهضة الأدبية الجديدة، وكان المأمون يعرف الحكمة والفلسفة الإغريقية ويقدرها قدرها، وكان مولعاً بها الى أبعد حد، فأسس لدراستها معهداً ببغداد وشيد الى جانبه دوراً كثيرة للكتب ومرصداً فلكياً.

وفي أثناء خلافته اشتغل كل من قوستا بن لوقه من لعليك وحنين بن اسحق وبنه إسحق بالترجمة، فظهر اسم أولهم بين مشاهير المترجمين حوالي عام ٢٢٠ هـ خصوصاً ترجمته لمؤلفات أرسطو وبلونارخ وإقليدس وتيو دورو وهرون الإسكندري، وكذلك عرف قوستا بن لوقه مؤلفاً نابه الذكر. فله مؤلفات هامة في الموسيقى والفلك والرياضة زهوبها العلوم العربية. واشتهر حنين بن اسحق شهرة واسعة وذاع صيته، فنقلت مؤلفاته الى اللغات العبرية واللاتينية في العصور الوسطى، وولد حنين عام ١٩٤ هـ في الحيرة وطلب العلم في بغداد، ثم واصل دراسته في آسيا الصغرى حيث تعلم اللغة الإغريقية. وعند عودته اتخذ الخليفة المتوكل طبيباً خاصاً به، واهتم في حياته بترجمة مؤلفات أرسطو وأفلاطون، ولكن أهم ما أخرجته للعالم العربي هو ما ترجمه عن حاليثوس من الكتب الطبية، ووضع مقدمة في الطب ورسائل عديدة في أبوابه المختلفة، وأكثر مؤلفاته انتشاراً هي رسالته في تاريخ التعاليم الفلسفية. وأما ابنه إسحق المتوفى سنة ٢٩٨ هـ فكان جل اهتمامه بمؤلفات أرسطو، ولم يهتم

كثيرا بترحة جالينوس بل ترك ابن أخيه حبيش يكمل ما بدأ منها، وكان كثيرا ما يعاونه في أثناء حياته .

وبفصل ما نقل إلى العربية من المؤلفات الأجنبية كالتي أنينا على ذكرها نشأت عند مؤلفي العرب فلسفة بدأت بظاهرة خلقية خاصة كما يتضح ذلك في مؤلفات الجاحظ الذي جعل جل اهتمامه الناحية العلمية الأدبية ، بينما اهتم معاصره يعقوب الكندي للملقب بحق فيلسوف العرب بالناحية الفلسفية العلمية البحتة ، وينحدر الكندي من أسرة عربية في جنوب بلاد العرب كانت قد آلت إليها إمارة المقاطعات الوسطى ، وكان أبوه خا كما في الكوفة حيث ولد يعقوب الكندي ، وطلب العلم في البصرة وبغداد ، وأقام بالأخيرة تحت حكم المأمون ومن خلفه من خلفاء المسلمين إلى أن حدث اضطهاد للمعتزلة بواسطة الخليفة المتوكل ، فأصابه ضرر كبير ، وصودرت مكتبته ، وتوفي على أثر ذلك . ولقد أتى الكندي بمحصول وافر وإنتاج باهر في عالم الأدب ، قبلت مؤلفاته ما يقرب من ٢٠٠ كتاب ، وشملت مؤلفاته جميع نواحي الفلسفة وسائر العلوم المدنية الأخرى مثل الموسيقى والفلك والهندسة والطب والتنجيم وعلوم الأحوال الجوية . وكان يظهر على كتابات الكندي في علوم الأخلاق وما وراء الطبيعة (الملل والأولية) ميل شديد نحو آراء الفيثاغورثيين والأفلاطونيين الفلسفية الجديدة ، إلا أن ذلك لم يمنعه من التعمق في دراسة فلسفة أرسطو طاليس حتى أطلق عليه بحق أنه أول أتباع أرسطو من علماء وفلاسفة الإسلام . وبالرغم من هذا وذاك فإنه قد لوحظ في بعض مؤلفاته محاولات جريئة ومجهودات موفقة لإيجاد صلة جامعة بين المشائين (البريبانيسيين) والأفلاطونيين منتحيا بذلك نحو من سبقه من فلاسفة الإغريق . وكانت تربيته الفلسفية لم تكن لتبلغ به شأوا بعيدا ، ولكن أثره في تلاميذه كان أكبر وأظهر في ناحية الصاوم البحتة ، واشتهر من طلبته اللسم لديه أبو معشر أكبر علماء التنجيم في عصره .

واهتم الفارابي كذلك بدراسة الفلسفة ، وبلغ منها مبلغا ظاهرا ، وهو ينحدر من أصل تركي ، وولد في بلاد ما وراء النهرين ، وطالب العلم في بغداد ، ووجد في بلاط الأمير الحمداني سيف الدولة ملجأ لا يظهر مؤلفاته ونشر فلسفته ، وتوفي بدمشق عام ٣٢٩ هـ وشمل إنتاجه الأدبي جميع مناحي فلسفة أرسطو التي أخرجها الى العربية بتعليقات قيمة أو في رسائل مستقلة ، ووضع مؤلفا جليلا للموازنة بين تعاليم أرسطو وأفلاطون . وبالرغم من اهتمامه لؤايد بالفلسفة فإنه لم يغفل العلوم الأخرى ، وأظهر مؤلفاته ما كتبه في الدفاع عن كيمياء الذهب ضد الكندي الذي لم يرض بها كفن من الفنون .

وكانت مدينة البصرة منذ قديم الزمان مركز الأبحاث العلمية والنزعات الحرة ، وفيها تكونت قدما الأندية التي ظهر أثرها الفيلسفي في مؤلفات الجاحظ ونظم بشار ، وفي البصرة تكونت في هذا العصر أيضا جماعة من أنصار الفلسفة عرفت أسماؤهم جميعا ، ولو أنه لم يظهر لأحدهم شخصية متميزة ، اللهم إلا زيد بن رفاع الذي أسس فرعاً لهذه الجمعية الفلسفية في بغداد عام ٣٧٣ هـ وكان الغرض من تأسيس هذه الجمعية الفلسفية هو نشر التعاليم الفلسمية بين أفراد الشعب ، ورسم القائلون بأمرها خططا تدريجية لتحقيق أغراض الجمعية التي أخفقت بسبب الأحوال السياسية ، وعلى الأخص بسبب التدهور الذي بدأ في أفق الحضارة العامة . وأما الرسائل التي وصعوها في مختلف أبواب العلوم والفلسفة فكانت ناجحة الى أبعد حد ، فانتشرت انتشارا واسعا وذاعت ذيوها عظيمًا حتى عمت جميع أنحاء الشرق ، ووصلت الى أسبانيا في أواخر القرن الرابع ، ونفيت كذلك موضع اهتمام الباحثين طويلا ، واقتبس منها الشاعر التركي المجيد لمي في القرن السابع عشر كثيرا في منظوماته ، ونقل بعد ذلك في القرن التاسع عشر من اليلاد الى لغة الهندوستانية . وتقع هذه الرسائل في ٩١ فصلا ، وتبحث في جميع أبواب الفلسفة ومباحث العلوم الصيغية ، وكان الغرض الأول من وضعها هو

جعل هذه العلوم في متناول أفراد الشعب ولقد نجح أفراد الجمعية الفلسفية في مهمتهم هذه الى حد بعيد .

وأما في العلوم الرياضية فقد كان أثر أفليدس طاهرا فيما خلفه العرب من مؤلفات وبحاث رياضية ، وكذلك نشطت همهم وأخصبت فرائضهم في هذا المضمار بعد تصالهم بمؤلفات الهنود الذين أخذوا عنهم طريقة الأرقام التي أخذوها بعد ذلك لأوربيون عن العرب وسموها باسمهم ، وبفضل هذه الطريقة تأسس علم حساب وسهلت كل أنواع عمليات الحاسبة الابتدائية . ولقد انتفع العرب بهذه الطريقة في أبحاثهم عن علاقات الأرقام الفردية والمزدوجة والأرقام البسيطة والمربعة والمكعبة ، وساعدتهم على كشف كثير من غوامض نظرية الأرقام ، كما أخذوا عن الهنود مبادئ حساب المثلثات ووضعوا لهذا العلم أسسا محكمة وقواعد دقيقة ، واستخلصوا منها نتائج ونظريات لم يتعدها العلم الحديث إلا في السنوات الأخيرة .

وأقدم الرياضيين من علماء العرب المعروفين هو محمد الخوارزمي الذي اشتهر وذاع صيته في عصر المأمون حوالي عام ٢٠٥ هـ حيث قام بنشر دراسة واقية لكتاب بطليموس في الفلك والكتاب الهندسي « سندهند » ، ولكن أهم مؤلفاته هو كتابه في علم الجبر حيث لاقى انتشارا عظيما وترجم الى اللاتينية ، وكان المرجع الأخير لعلم الحساب في أوروبا حتى عصر النهضة ، وبقي اسم الخوارزمي حتى اليوم بين أعلام العلوم الرياضية البارزين .

واهتم أولاد موسى بن شاكر المتوفى سنة ٢٥٩ هـ بعلوم الهندسة والفلك والصناعات الفنية وقياس السطوح ، ولهم فيها مؤلفات عديدة .

وامتاز الرياضي الكبير ثابت بن قرة بأبحاثه القيمة في نظرية الأرقام حتى أطلق عليه بحق كبير رياضي هذا العصر ، وولد ثابت بن قرة في حران عام ٢٢٩ هـ وعاد اليها بعد أن أتم دراسته في بغداد ، ووفى سنة ٢٨٨ هـ وله مؤلفات ورسائل عديدة في الرياضة وأخرى في الطب والفلسفة .

وفي أواخر هذا العصر وضع محمد الكرخي مؤلفا في الحساب (الكافي في الحساب) لحص فيه أم ما وضعه ثولفون السابقون في هذا العلم ، وأهداه الى وزير البويهيين بهاء الدولة نضر الملوك المتوفى سنة ٤٠٧ هـ .

نشطت قرائح العرب وشجذت همهم باتصالهم الفكري بالأغريق وبالهنود ، فأخذوا عنهم من العلوم الفلكية مثل ما نقلوا عنهم من العلوم الرياضية . ففي عام ١٥٢ هـ ظهر أحد الهنود في بلاط الخليفة المتصور ومعه كتب «سدهانتا» الذي وضعه «براهما جوبتا» سنة ٦٧٨ م فأمر الخليفة بنقله الى العربية وقام بإراسته وتنقيحه بعد ذلك خلوارزمي تلبية لرغبة الخليفة المأمون ، وأمر المأمون كذلك بتصحيح خرائط بطليموس الفلكية بعد لأرصاد التي قام بها في بغداد ودمشق ، كما وضع طريقة للقياس بالدرجات . وتمكن العرب بعد ذلك من تحديد موقع الأجرام السماوية ومداراتها بواسطة آلات القياس والرصد التي ابتكروها لذلك .

ووضع في أوائل القرن الثالث من الهجرة أحمد الفرغاني كتابا في العلوم الفلكية نقل بعد ذلك الى اللاتينية ، وكان يعتبر أم المراجع في المصور الوسطى في أوروبا . وأهم علماء العرب في الفلك والتنجيم هو بلاشك أبو معشر تلميذ الكندي ، ولد نحو معشر سنة ٢٧٢ هـ في واسط ، ووضع علاوة على رسائله لهامة في الفلك كتابا في اجيود الأدبي للشعوب المتحصرة المروفة في ذلك الحين ، وكانت تنسب عليه فلسفة فيثاغورس التي أخذها عن أستاذه يعقوب الكندي .

انتهت مجهودات هذا العصر في العلوم الفلكية وأبحاث التنجيم بالسفر الضخم الذي وضعه علي بن أبي ليلى بشمال أفريقية في أوائل القرن الخامس من الهجرة ، ونقله علماء أوروبا الى اللغة اللاتينية سنة ١٥٥١ ميلادية .

وكذلك نرى في علم الطب أن أثر كل من علوم لاغريق وعلوم الهنود يتلاقى في بدء نشأته مع العلوم العربية ، ولقد سبق لنا الذكر بأن مؤلفات كل من أبو قراط

وجالينوس نقلت الى اللغة العربية منذ بدء نهضة الترجمة ، كما رأينا أن العلوم الطبية ازدهرت في مدينة «جنديسابور» بجانب فلسفة أرسطو ، وأن الخليفة المنصور استدعى رئيس مستشفاهما ليجعله طبيباً خاصاً به ، كما ثبت أن أحد الأطباء الهنود (منكا) كان موجوداً في بلاط هارون ومتمتعاً بثقة عالية وتقدير كبير ، وأن أهم مؤلفات الهنود في الطب (Susruta) نزل أيضاً في هذا العصر الى اللغة العربية ، ولو أن هذه الترجمة لم تصل الى أيدينا .

وفي القرن الثالث من الهجرة اشتهر يحيى بن ماسويه بمؤلفاته الطبية العديدة ، ولد يحيى في جنديسابور وكان أبوه صيدلياً ، وطلب العلم في بغداد الى أن صار طبيباً خاصاً بالخليفة السامون ومن خلفه حتى الخليفة الواثق ، وتوفي سنة ٣٤٣ هـ . وأهم مؤلفاته رسائله المهداة الى حين بن اسحق ، ونقلت معظم كتبه الى اللغة العبرية واللاتينية . ولم يفقه في الشهرة وسعة المعارف إلا أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي يعتبر بحق أكبر عظمى ظهر في العصور الوسطى في فن العقاقير ، ولد أبو بكر بالري وطلب العلم في بغداد الى أن صار مديراً للمستشفى في مسقط رأسه ، وأخيراً مدير لمستشفى بغداد ، إلا أنه لما وجد مدينة الخلافة القديمة قد فقدت كثيراً من أبنائها وعظمتها أثر الانتقال الى بلاط أمراء الفرس حيث تظهر مقدرته ونبوغه وينال حظه من الشهرة والصيت ، وأهدى الى منصور بن اسحق آل سامان أمير كرمان وخراسان أهم مؤلفاته الذي يدافع فيه عن كيمياء الذهب ، ولكنه لم ينج من وراء ذلك إلا جحوداً كبيراً ، إذ ضربه الأمير المذكور بسوطه ضربة أودت بظفره على أثر إخفاقه في نجاح بعض التجارب أمامه ، وبقي ضريراً الى أن وافته المنية سنة ٣١١ هـ .

لما علوم كيمياء الذهب فازدهرت أبحاثها وكثر أنصارها في غضون القرن الثاني من الهجرة الى حد بعيد ، وأشهر من رفع لواءها في هذا العصر هو جابر بن حيان

وهو تلميذ الأمير الأموي خالد، ولا نعلم من أخباره إلا أنه كان يقيم في الكوفة، وأن شهرته بلغت أوج عظمتها حوالي عام ١٦٠ هـ .

وكانت تحيط بعلماء الكيمياء الذهب في هذا العصر أسرار فامضنة، ويمشون في عزلة تامة، بالرغم من أنهم كانوا يعتقدون اعتقاداً تاماً بصحة ما يذهبون إليه من النظريات والأبحاث ولقد انتفعت العلوم الطبيعية اجتماعاً كبيراً بفضل أبحاثهم التي كانوا يجرونها في طي الخفاء والكتبان سعياً وراء بعض الأغراض الخيالية .

خاتم النبیین

وضع حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ عبد القفار الجبار تاريخاً للنبي صلى الله عليه وسلم على طراز جديد يحفز القارئ للقراءة جزأ فيجد نفسه منتقلاً بين بحوث من ضروب شتى على حسب المناسبات، فتراه يسوق الكلام في السيرة، فإذا انتهى منه تكلم فيما يكون قد اقتضاه المقام من المباحث. مثلاً ذلك. لما تكلم في إصرار قريش على الكفر عقد فصولاً تكلم فيها عن ضلال الأمم وشياطين الانس والعقل والهوى الخ. مما يجعل الكتاب شائقاً جداً فليشكر له عمله الطيب، ونرجو له المثوبة عليه .

الفتح الرباني

صدر قسم شهر ذي الحجة من كتاب الفتح الرباني لترتيب مسند احمد لراضعه الأستاذ المفضل الشيخ احمد عبد الرحمن البنا بحارة الروم .

استدراك

جاء في السطر الأخير من الصفحة ٦٥١ من الجزء العاشر للمجلد الخامس .
والينا يرجعون . وللصواب : وإليه يرجعون

« وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ »

* And how many signs there be of Allah's being, unity and providence in the Heavens and the Earth which they will pass by and heed not

(*Baidawy's Commentary.*)

He urged to the education of the heart by all possible means even by travelling :

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنُكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ، أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »

* Have they not journeyed in the land ? And have they not hearts to understand with, or ears to hear with ? Nay, it is not their eyes that are blind but it is the hearts within the breasts that turn blind. "

(*Baidawy's Commentary.*)

The Prophet (on whom be Peace) called to meditation of The Lord's handiwork and creation in such terms that he gave it priority over worship:

" An hours meditation is better than a year's devotion ", says the Prophet.

The call to perfection throws the door wide open for progress, and a nation who is enjoined by its religion to seek the best in word and deed, will have the instinct of perfection roused in it and will attain in time to the highest degree of development. This comes as a natural consequence to the psychological state of the nation inspired by the inherent factors of religion. In no other nation has this result been so clearly shown as in the Moslem nation since its adoption of Islam. The material and moral progress attained by that nation was due entirely to the strength of its faith and its determination to carry out the injunctions of religion.

Outsiders who have studied the general aspects of Islam, have been induced to accord it great honour on account of its high principles. But they did not go deep enough in their study of Islam to appreciate the latent factors which were infused through all its injunctions and which have given rise to those finer qualities that true believers are required to cultivate. These factors to which we have alluded, depend on natural tendencies which dwell in the instincts of man. If these tendencies were properly nurtured and cultivated, they will lead to the greatest of social and moral reforms. The critic who studies Islam in the light of these facts will readily recognise the inherent value of that Religion and the truly ingenious methods calculated to revive the souls and arouse the dormant instincts of men. The rapid development of Moslem people in the earlier stages of Islam, is chiefly due to the cultivation of those natural tendencies. It is therefore our advice to those who study Islam not to let the modern scientific terminology debar them from a true appreciation of its inner principles. Modern philosophy ascribes all moral and material progress of nations to their sense of appreciation of what is called 'Idealism'. It maintains that the progress of a nation is commensurate with its consciousness of that 'Idealism'. Islam has not been bound by this nomenclature, but it has urged its followers to imbibe deeply of the sources which will arouse in them that consciousness. They were required to consider the handiwork of God and to meditate on the wonders of creation. Their attainment of knowledge and favour of God was made dependent on such meditation.

The Lord saith of true believers :

« الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيْمَا وَقَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »

" Those who, standing, and sitting and reclining remember Allah ; and meditate on the creation of the Heavens and the Earth, saying - O our Lord ! Not in vain hast thou created this ; far be it from Thee ! So preserve us from the torment of hell fire . "

(*Baldawý's Commentary.*)

He reprimanded those who pass His signs by and pay no attention thereto :

and follow that which is best thereof. These are they whom Allah guideth unto His Religion, and these are men of understanding."

(*Baidawy's Commentary.*)

A people who set themselves to acquire wisdom in that fashion, unmindful of taking it even from their antagonists in religion, are certainly worthy to claim as their own the highest virtues and to succeed in attaining perfection where other people had failed.

The Prophet (Peace be on him) says :

"Acquire wisdom no matter what source it issueth from."

In another tradition he says :

"Acquire wisdom be it though from a polytheist."

For indeed the seeker of the best does not disdain to hunt for it in all its possible sources just as the seeker of gold who does not refrain to look for it in earth mixed with dross and other inferior metals and exerts himself to extract it from them and produce it as pure unalloyed gold. He knows full well that gold is gold wherever it may be found, that its value is not depreciated by being mixed with other metals and that it should not be neglected on that account. And so it is with wisdom. It might get tainted in different nations with myths and superstitions but it should not be neglected on that account. It should be purified from such taints and be made use of in its pure and unadulterated form.

Nothing could be more forcible in urging to seek wisdom than the saying of the Prophet (Peace be on him) :

"Wisdom is the lost treasure of the true believer, he taketh it wherever he findeth it."

The Tradition shows how indispensable wisdom is to man, and if wisdom is the quest of every true believer, how could he neglect to look for it in all its possible sources such as books, traditions or even hearsay ; and if he find it, he should grasp it without the least hesitation.

Yet wisdom in itself is worthy of being accorded every honour for it is a ray of the Divine Light shed on the souls of some favoured ones to impart it to mankind so as to guide them into the right path and throws open to them the door to salvation.

Islam, the Religion of perfection, has therefore insistently urged to the acquisition of wisdom which The Lord has extolled in the following terms :

« يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ،

"He giveth wisdom unto whom he pleaseth, and he who is given wisdom, hath much good given him."

and crown their efforts with success, for thus saith The Lord :

« وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ »

“ And those who strive in Our Cause, surely will We guide them unto Our Ways for verily Allah favoureth the well-doers and rendereth them support. ”

(Baidawy's Commentary.)

The preceding verse implies that those who properly discharge the Divine injunctions by upholding the Word of God and following His Path, will be guided to the ways leading to Him or in other words to His favour in this world and the hereafter. There could be no higher purpose for the seeker of material and moral perfection for this is indeed the true progress which man seeks and strives to achieve with all his power.

One may well imagine that a people who follow this Faith and seek perfection in word and deed are bound to realise the highest aims of material and spiritual life.

A people who are required to adopt the best of everything even in returning a greeting :

« وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَهَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا »

“ If ye are greeted with a greeting, then answer ye with a better one or at least return it. ”

(Baidawy's Commentary.)

A people who are required to do that will be satisfied with nothing short of perfection which becomes a nature to them.

Yet more treasures has The Lord opened to those who seek perfection. He required them to open their hearts to knowledge and wisdom and acquire the best thereof for thus saith The Lord

« فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ »

“ Announce glad tidings unto My servants who hearken unto exhortation

The Lord, be He praised, has connected the Divine blessings with the doing of good. He decreed that such blessings should be made dependent on it, for thus saith He :

« وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »

"And when he (Joseph) had attained full strength and maturity, We bestowed on him judgment and knowledge for thus do We recompense the well-doers."

(Baldawy's Commentary)

And :

« سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »

"Peace be on Abraham ! Thus do We recompense the well-doers."

And :

« سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »

"Peace be on Moses and Aaron. Surely, thus do We recompense the well-doers."

And :

« سَلَامٌ عَلَىٰ إِيْلَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »

"Peace be on Elias (Elias) ; Surely, thus do We recompense the well-doers."

It is established that all these Apostles of God had been accorded Divine support and given wisdom and knowledge which gave them superiority and leadership over all men.

Such is the reward of The Lord to well-doers, and indeed there could be no higher tribute than this paid to well-doing.

The Lord has promised to bring to fruition the works of well-doers.

charity to the poor, but it also includes the proper discharge of all duties and pursuits of man. The Lord, be He exalted, has meant it in the preceding verse to cover all goodly actions and qualities. We therefore find it was repeated one hundred and eighty times throughout the Holy Koran.

Nor was that all; it was coupled with Religion itself to the exclusion of all other goodly qualities since it covers them all. The Lord saith :

« رَمَنٌ أَحْسَنُ دِينًا مِّنْ سَلَمٍ وَجِهَةٍ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ »

'And who hath a better religion than he who resigneth himself unto Allah and doth good. '

(*Baidawy's Commentary.*)

Resignation unto Allah means faithfulness and surrender unto Him, and the doing of good includes all that is good in word and deed. Once these two attributes are possessed by man, he would ensure perfect life in this world and eternal salvation in the next.

The Lord has repeatedly spoken in many verses of the Holy Koran of his love for those who do good and of the support extended to them for thus saith The Lord :

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ »

' Verily Allah loveth those who do good. '

And :

« إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ »

' Verily the mercy of Allah is nigh unto those who do good. '

And :

« وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ »

' And announce glad tidings unto those who do good. '

development, they will grow up to it and it will become a fixed characteristic of theirs which they cannot change. A direct effect of this instinct is that it engenders in the hearts an ambition to develop and perfect all that comes within the scope of their activities. The result of this is the community would be the maintenance of change from good to better until the nation attains to that high degree of civilisation to which humanity is destined by Providence.

Contrary to this would be the condition of communities in which this instinct has weakened under the influence of wrong teachings or false inherited traditions. The sense of moral perfection in such communities gradually diminishes until their very being is affected and they are rendered unfit to maintain their existence as a nation.

The most efficacious means to develop this instinct, is through religion, as religion intensifies its ardour in individuals and urges the community to its fuller realisation. And so it would lead to all classes of the community co-operating to attain the highest possible degree of progress, and a general tendency is thereby engendered to change from one condition to another and render the nation immune from the influence of inactivity which may assail it to its detriment. If it happens that this instinct should weaken or be overcome by factors of decadence and degeneration, the inculcation of this principle among the teachings of religion, would urge people to adopt what is best in everything, and to contend against those factors which have lead to their deterioration. Thus they would be urged by the drive of religion to rise from the lethargy into which they have fallen.

Islam has inculcated to follow all that is best in word and deed. The Lord has forcibly enjoined the proper discharge of duties and has assigned it the same place of honour as justice whose high function in the life of nations could not be denied.

The Lord saith

« إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالنَّفْيِ، يَمْطُحُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »

« Verily Allah enjoineth justice, the proper discharge of duties and giving to the kindred what they stand in need of; and forbiddeth the following of lustful desires, wickedness and oppression of men, He warneth you that haply ye may take heed. »

(*Baldawy's Commentary* .)

We must here draw the reader's attention to the meaning of the word « Insan » in Arabic. The meaning of this word is not confined to

ENGLISH SUPPLEMENT TO

NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

ISLAM

ITS MISSION IN THE WORLD (1).

XIII

CALL TO PERFECTION.

The law of progress in human communities depends on a natural instinct of man, or in other words on a tendency of his to choose what is best for his well-being. This instinct is born with man and grows with the development of his mind unless it is encountered by some obstacle which may impede its growth. If fathers and teachers carefully tend this instinct in young people and protect it from the external influences which deter its

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in « Nour-E-Islam » Review.

' While I was sleeping I saw the people parading before me wearing shirts, some of which reached as far as their breasts, and some less than that. Then 'Umar b. Al-Khattab appeared before me wearing a shirt which trailed on the ground". When the Apostle of Allāh was asked what interpretation he gave to this, he replied : " It is Religion " (1)

CHAPTER 16.

Modesty is a feature of the Faith. We are informed by 'Abdullāh b. Yūsuf, who had it from Malik b. Anas through Ibn Shihāb, through Sā'im b. 'Abdallāh, through his father : that the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) once passed one of the Companions, who was admonishing his brother against *undue* modesty, (2) and so the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said: " Let him alone for modesty is a feature of the Faith "

أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ
وَعَلَيْهِمْ قُبُصٌ مِنْهُمَا مَا يَمْلَأُ النُّدْيَ
وَمِنْهُمَا مَا دُونَ ذَلِكَ وَتَعْرَضَ
عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَنْيَهُ قَمِيصٌ
يَجْرُهُ. فَسُئِلَ أَوَّلَتْ ذَلِكَ يَدْرَسُولُ
اللَّهِ قَالَ: الْدِّينَ

بَابُ : الْحَيَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ
حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُسُفٍ قَالَ
أَخْبَرَنَا «مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ
عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ
مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعْظُمُ أَخَاهُ
فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ
الْإِيمَانِ»

(1) The shirt conceals the nakedness just as Religion shields a man from hell-fire, and the traces of the trailing shirt are like the good example set by a religious life

(2) A reserve which prevents a man from obtaining his due is to be avoided, but just as faith prevents him from sinning so does modesty and hence modesty and faith go hand in hand (Ibn Hajar & Al-Amīr)

b. Yahya Al-Māzinī, through his father through Abu Sa'īd Al-Khudrī (Allāh be pleased with him), from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said :

The people of Paradise shall enter into Paradise, and the people of Hell shall enter into Hell, then Allāh (be He exalted) will say : " Let out of Hell those who have in their hearts faith even as a grain of mustard-seed " Then shall they be let out from it, blackened by the flames: afterwards they shall be cast into the river of rain-water or life (Mālik) is doubtful as to which), and forthwith they shall grow up like the purslain beside the water-course. Hast thou not seen how it springeth up with its yellow flowers interwined ?

According to Wahab, who had it from 'Amr : instead of Mālik's hesitation the reading "the river of life", is confirmed; and instead of " a mustard-seed of faith", a mustard-seed of good "

2. We are informed by Muhammad b. 'Ubaidullāh, who had it from Ibraahim b. Sa'īd, through Sā'ih, through Ibn Shihāb, through Abn Umāmah b. Sahl that he heard Abu Sa'īd Al-Khudrī say:

The Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said :

ابن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى:

أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيَلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاةِ - شَكَ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تُنْبِتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ تَخْرُجُ صَفَرَاءَ مُلْتَوِيَةً ؟ قَالَ وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَنْ رَسُولِ الْحَيَاةِ وَقَالَ « خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ ».

« حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحٍ عَنْ أَبِي شَهَابٍ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخَدْرِيَّ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَيْنَا

myself ". (1)

CHAPTER 14

To dread relapsing into unbelief as much as being cast into hell-fire is a feature of the Faith.

We are informed by Suhmān b. Harb, who had it from Shur-bah through Qatādah, through Anas (Allāh be pleased with him) . from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) who said :

There are three things, which, if inherent in a man, will enable him to taste the sweetness of the Faith : to love Allāh and His Apostle more than aught else ; to love a man for naught but the sake of Allāh ; and to dread to relapse into unbelief after being saved from it by Allāh ; just as to dread being cast into hell-fire.

CHAPTER 15

Showing the Superiority (2) of the Faithful over each other through their works :

1. We are informed by Isma'il, who had it from Mālik, through 'Amr

**بَابُ : مَنْ كَرِهَ أَنْ يَمُودَ
فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي
النَّارِ مِنَ الْإِيمَانِ .**

حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا
شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثَلَاثُ
مَنْ تُكُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ :
مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ
مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا
يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَمُودَ
فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ كَمَا
يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ

**بَابُ تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ
فِي الْأَعْمَالِ**

١ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ
حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو

(1) "And therefore I need good works the most "

(2) i.e. preference or priority

CHAPTER 13.

On the Prophet's words (Allāh bless him and give him peace) : " I am he amongst you that best knoweth Allāh " and that the knowledge of Allāh is the work of the heart,⁽¹⁾ as appeareth from the word of Allāh (be He exalted) : " But He will call you to account for the work of your consciences".

We are informed by Muhammad b. Salām who had it from Abdah, through Hishām, through his father, through A'ishah, who said :

The Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace), when he gave commands to the Faithful, only commanded them works of which they were consistently capable, Once they said to him : " We are not on the same plane as thou, Apostle of Allāh since Allāh hath forgiven thee thy sins both past and to come "⁽²⁾ then he waxed wroth until his wrath was seen on his countenance, and he said : " He amongst you that best feareth and denoweth Allāh is

بَابُ : قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنَا أَعَدُّكُمْ بِاللَّهِ. وَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ

فِعْلُ الْقَلْبِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: وَلَكِنْ

يُؤْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ أَلْسِنُكُمْ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ أَخْبَرَنَا

عَنْهُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا

يُطِيقُونَ قَالُوا إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ

مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَنْضَبُ

حَتَّى يُعْرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ

إِنْ أَتَيْتُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا .

(1) Al-Bukhari quotes this here in reply to the Korrāmiah (an offshoot of the Murjites) who allege that verbal acceptance of the Faith is sufficient for this world, though it may be unacceptable in the next.

(2) " and therefore we must multiply our good works."

It was on this that we swore
allegiance to him.

CHAPTER 12.

It is a feature of the Faith to
flee from iniquity. (1)

We are informed by 'Abdullah b
'Maslamah, through Mâlik, through
'Abdur-Rahmân b. 'Abdullâh b.,
Abdur-Râhmân b. Abu Sarsarah,
through his father, through Abu
Sâid Al-Khudrî that the Prophet
(Allâh bless him and give him peace)
said :

The time is near when the best
wealth of a Muslim shall be a flock
of sheep, which he leadeth to the
mountain-tops and rain-lands, to which
he belaketh himself for his faith's
sake, (2) to flee from iniquity

وَأِنْ شَاءَ عَاقِبَةُ، فَبِأَعْيُنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.

بَابُ : مِنَ الدِّينِ الْفِرَارُ مِنَ الْعَيْنِ

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ

الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي مَعْصُومَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ

لِلَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ

خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ مِهَاشَعَفَ

الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَقْرِي بِهَا مِنْ

الْعَيْنِ.

(1) Goldziher's rendering as "riots or disturbances" followed by Houdas and Marçais, is not supported by Al-Karmani or Al-Aini. Goldziher refers to the case of Salamah b. Al-Akwâ, who fled to Ar-Rabadha during the insurrection against 'Uthman in support of his view; but *فِرَارٌ* in the text need have no connection with *فِرَارٌ*, as the word has many meanings including temptation, trial, sin, heresy, unbelief, error, intrigue, sedition, abomination, corruption and infatuation. Again the title of this book is "of the Faith" and presumably deals with matters of faith rather than politics.

On the other hand, the same Hadith is quoted by Al-Bukhari under the heading of "Civil Discord" where Goldziher's rendering will hold.

(2) Not "with his faith" as Houdas and Marçais translate.

‘As idhullāh b. ‘Abdullāh that

‘Ubādah b. As-Sāmīt (Allāh be pleased with him), who witnessed the battle of Badr, and was one of the delegates on the occasion of the night of ‘Aqabah, ⁽¹⁾ stated that the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said, while a group of his Companions was round him : “Swear allegiance to me that ye will not associate aught else with Allāh, that ye will not steal, commit adultery, kill your children, utter slander which ye have wantonly fabricated in your hearts, ⁽²⁾ nor violate what is right. He of you who fulfilleth this oath shall have his reward from Allāh, and he who infringeeth any part of it, and hath his punishment in this life, shall have made sufficient atonement thereby, whereas he who infringeeth any part of it, and then Allāh covereth up his sin, ⁽³⁾ is in Allāh’s hands to be pardoned if He willeth or punished if He willeth. ⁽⁴⁾

عَائِدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عُبَادَةَ
ابْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ
شَهِيدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ
الْعَقَبَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ :
بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا،
وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ
بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا
تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ
فَاجْرُمُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ
شَيْئًا فَمُعَوقٌ فِي اللَّهِ يَأْتِيَهُمْ كَفَّارَةٌ
لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ
سَرَّهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ

(1) 3-c for note (1) page 30

(2) بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ 'between your hands and feet' is figurative for 'in your hearts' or 'within yourselves' as the heart lies between the hands and the feet (Al-‘Aini)

(3) i.e. his sin does not come to light, and so he escapes worldly punishment.

(4) Sprenger’s version of this Hadith, namely “If ye transgress it [the oath], ye shall suffer the established punishments, and through these shall ye find atonement, but if ye conceal the transgression until the Last Day, your fate shall be in the hand of God” is untenable, as not being in accordance with the doctrines implied by the Hadith. We are equally unable to follow Houdas and Marçais

to taste the sweetness of the Faith : that Allah and His Apostle should be dearer to him than anything else ; that his love for his fellow-beings should be solely for Allāh's sake (1) that he should dread to relapse into infidelity as much as he dreads to be cast into hell-fire

CHAPTER 10

On the love of the Ansār (2) being a sign of the Faith

We are informed by Abu wald who had it from Shurbah who was told it by 'Abdullah b. 'Abdullah b. Jabr who heard it from Anas, who heard the Prophet (Allah bless him and give peace) say : It is a sign of the faith to love the Ansār, and it is a sign of hypocrisy to hate them

CHAPTER 11

We are Informed by Abu-yamān, who had it from Shuraib through Az Zuhri, who receive it from Abu Idris

أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ
مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ
إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ
كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْدَفَ فِي النَّارِ .

بَابُ : لَمَّا لَمَّا الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ
حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ
قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبْرِ
قَالَ سَمِعْتُ أَسْبَاعَ بْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ
وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ

بَابُ : حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ أَخْبَرَنَا
شُعْبَةُ عَنْ الزُّهْرِيِّ
قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ

(1) i. e. for no selfish or ulterior motive

(2) the Ansār, or the first supporters of the Prophet were so designated by him after the famous oath of allegiance at 'Aqabah, they were twelve in number—two from the tribe of Aws, and ten from that of Khazra 'Ubadah being of the latter. The term was also applied to their children aines and dependents. Special love is commanded for them in view of their great sacrifices in the Cause, as is seen in the Qur'an (Surah 7, verse 157) "Those who have believed in him, and supported him—these are they who shall attain the consummation"

(See also Surah 3 verse 29) * * If ye love Allah then follow me and Allah will love you "

(Allah be pleased with him) that the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said :

By him in whose hand is my soul, no one of you is a true believer unless I be dearer to him than his father and his children

2. We are informed by Ya'qūb b. Ibrahīm, who had it from Ibn 'Ulayyah, through 'Abdul-'Azīz b. Suhaib, through Anas, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), we are also informed by Adam, who had it from Shu'bah, through Qatādah, through Anas, who said that :

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) said : " No one of you is a true believer unless I be dearer to him than his father and his children, and all people. "

CHAPTER 9

On the Sweetness of the Faith

We are informed by Muhammed b. Al-Muthannā who was told it by 'Abdul-wahhāb Ath-thaqafī, who had it from Ayyūb, through Abu Qilābah through Anas, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) who said :

There are three things, which, if inherent in a man, will enable him

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ .

٢ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيٍّ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صَيْبٍ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَحَدًا قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

بَابُ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى . قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ :

(Allāh bless him and give him peace)
 " Which feature of Islam is the best?
 He replied, " that thou give food
 and pronounce the greeting upon
 those whom thou knowest and those
 whom thou knowest not "

CHAPTER 7

It is a feature of the Faith that
 a man desire for his neighbour what
 he desireth for himself

We are informed by musaddad
 who had it from Yahya, through
 Shur'bah, through Qatadah, through
 Anas (Allāh be pleased with him)
 from the Prophet (Allāh bless him
 and give him peace); and also through
 Hussin Al Mualim who was informed
 by Qatadah through Anas, from the
 Prophet (Allāh bless him and give
 him peace), who said

No one of you hath true faith
 until he desireth for his neighbour
 what he desireth for himself

CHAPTER 8

Love for the Apostle (Allāh bless
 him and give him peace) is a feature
 of the Faith

1. We are informed by Abul-
 Yamān, who had it from Shur'ah who
 received it from Abuz-Zinād, through
 Al-A'rag, through Abu Hurairah

صلى الله عليه وسلم: أَيْ الْإِسْلَامَ خَيْرٌ؟
 قَالَ: تَطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى
 مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ .

بَابُ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ
 مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا بَحْثِيُّ عَنْ
 شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ
 حُسَيْنِ الْمُعَلِّمِ قَالَ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ
 أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ .
 لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا
 يُحِبُّ لِنَفْسِهِ

بَابُ حُبِّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ مِنَ الْإِيمَانِ .

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ أَخْبَرَنَا
 شُعَيْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنْ
 الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

CHAPTER 5

Showing which Muslim ⁽¹⁾ is the most worthy

We are informed by Sa'id b. Yahyà b. Sa'id Al-Qurashî who had it from his father, who received it from Abu Burdah, b. 'Abdullāh b. Abu Burdah, through Abu Burdah, through Abu Mūsā (Allāh be pleased with him) who said :

When the Apostle of Allāh was asked which Muslim was the worthiest, he replied : "It is he from whose tongue and hand the Faithful are safe".

CHAPTER 6

Showing how the giving of food ⁽²⁾ is a feature of Islām

We are informed by 'Amr b. Khālid, who had it from Al-Laith, through Yazid, through Abul-Khair, through 'Abdullāh b. 'Amr (Allāh be pleased with them) that :

A man *once* asked the Prophet

بَابُ : أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ

حَدَّثَنَا مَعْنَةُ بْنُ يُحْيَى بْنِ سَعِيدٍ
الْقُرَشِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو
بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي
مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : مَنْ سَدِمَ
الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ

بَابُ : : طَعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنَا
الْأَيْثُ عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ

1) Here *إسلام* = *المحبة الاسلام* hence Muslims This is borne out by the reading in Muslim's Collection which runs "أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ" A-Karman's interpretation of "أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ" features of Islam " is not in conformity with the answer to the question, which assigns the highest virtue to the Faithful and not to the features of the Faith.

2) The omission of the recipient of the food is intentional, as a. forms of hospitality are included, and even the feeding of animals

CHAPTER 4.

Showing how a true Muslim is one from whose tongue and hand the Faithful are safe

We are informed by Adam b. Abu Iyās, who had it from Shu'bah through 'Abdullah b. Abu-s-Safar and Ismā'īl through Ash-Sha'bi through 'Abdullah b. 'Amr (Allah be pleased with them) from the Prophet (Allah bless him and give him peace), who said :

A true believer is one from whose tongue and hand the Faithful are safe, and a true Muhājir⁽¹⁾ is one who fleeth from what Allah hath forbidden.

Relating two more *isnāds*, Abu 'Abdullah (A. Buchāri) states that he also received it from Abu Murāwiyah, who had it from Dāwūd through 'Amr, who heard it from 'Abdullah, from the Prophet (Allah bless him and give him peace), and also that he had it from 'Abdul-Asīd through Dāwūd, through 'Amr, through 'Abdullah, from the Prophet (Allah bless him and give him peace)

بَابُ الْمُسْلِمِ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ
مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ

حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا
شعبة عن عبد الله بن أبي السفر وسامعيل
عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو رضى الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ
مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا
نَهَى اللَّهُ عَنْهُ »

قال أبو عبد الله وقال أبو معاوية .
حدثنا داود عن عامر قال سمعت عبد الله
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد
الأعلى عن داود عن عمرو عن عبد الله
عن النبي صلى الله عليه وسلم

[1] Muhājir a title given to emigrants who joined the Prophet in his flight

but he is righteous who believeth in Allāh, the Last Day, the Angels, the Book and the Prophets, who for the love of Him distributeth his wealth among his kindred, the orphans and the needy, the wayfarer, those who ask, and who spendeth it on the ransom of captives or slaves; who performeth the appointed prayers, who payeth the prescribed alms; who are faithful to their pledges when they have given them; and those who are patient in distress and affliction and the time of battle. These are they who are true believers and these are they who fear the Lord. (1)

And the verse: "The true believers have attained the consummation" (2)

We are informed by 'Abdulāh b. Muhammad, who had it from Abu 'Amir Al-Aqadi, who received it from Sulman b. Bishr, through 'Abdulāh b. Dinar, through Abu Sālih, through Abu Hurairah (Allāh be pleased with him), from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said:

The Faith comprehendeth sixty and a few features, one of these features is modesty

الْبِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْعَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى
الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي
الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بِمَهْدِمٍ إِذَا عَاهَدُوا،
وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَجِبْنَ
الْبَأْسِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ. قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - الْآيَةُ.

حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا

أبو عامر العقدي قال حدثني سليمان بن
بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي هريرة
رمى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال:

الإيمانُ بضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ
شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

(1) Surah 2, verse 177.

(2) Surah 23, verse 1.

Mujāhid explained it as meaning :
 " O Muhammad, We have enjoined
 upon thee and upon Noah one
 selfsame Faith "

Ibn 'Abbās explains *شريعة* as
 meaning ' way ' and ' rule of conduct '

CHAPTER 2.

Ibn 'Abbās explains *دُعَاؤُكَ* your
 supplication — as meaning " your
 faith " (1)

We are informed by 'Ubadullāh
 b. Mûsa, who had it from Hanzalah
 b. Abu Sufian, through 'Krimah b.
 Khâlid, through Ibn 'Umar (Allāh be
 pleased with them), who stated that
 the the Apostle of Allāh (Allāh bless
 him and give him peace) said .

Islām is built on five pillars : the
 attestation that there is no deity but
 Allāh and that Muhammad is the
 Apostle of Allāh : the performance
 of the appointed prayers, the giving
 of the prescribed alms, the pilgrimage
 to mecca, and the the Ramadān fast

CHAPTER 3.

An exposition of matters concern-
 ing the Faith, and the word of Allāh
 (be He exalted) : " It is not the
 whole of righteousness that ye turn
 your faces to the east and to the west,

أَوْصَيْنَاكَ بِأَحْمَدَ وَإِيَّاهُ دِينًا وَاحِدًا .
 وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : شَرِيعَةٌ وَمِنْهَا جَانِبٌ .
 سَبِيلًا وَسُنَّةً .

بَابُ دُعَاؤِكُمْ بِإِيمَانِكُمْ
 حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى قَالَ أَخْبَرَنَا
 حَسَنُ ظَلَّةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ عَنْ
 عِكْرَمَةَ بْنِ سَالِدٍ عَنْ ابْنِ مَرْزُوقٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةٌ
 أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ
 وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَالْحَجُّ
 وَصَوْمُ رَمَضَانَ .

بَابُ أُمُورِ الْإِيمَانِ وَقَوْلِ اللَّهِ
 تَعَالَى : « أَيَسَّرَ الْإِيمَانَ أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ
 قِبَلَ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنْ »

(1) Surah 25, verse 77. Ibn Battal points out that supplication leads to more int-
 ensive faith.

Love in the cause of Allāh and hate in His cause are features of the Faith. And 'Umar b. 'Adu-'Aziz wrote to 'Adiyy b. 'Adiyy : " The Faith hath obligations, doctrines, restrictions, and commendable practices he who observeth them perfectly holdeth the Faith perfect, and he who doth not do so, hath not the Faith perfect. If I live, I shall expound them to you, so that ye may practise them, and if I die, I shall not be anxious for your company"

And Abraham said . " But I ask this that my faith may be strengthened. "(1)

And Mu'adh said : " Let us sit together for a while that we may increase our faith by meditation. "

And Ibn Mas'ūd said : " Certainty is the whole of the Faith

And Ibn 'umar said . " A man doth not attain unto the true essence of piety, (2) until he have cast away the doubt ingrained in his heart. "

Referring to the verse beginning:

" He hath laid down for you the religion which He enjoined upon Noah',

وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ
مِنَ الْإِيمَانِ. وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ
وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا
اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا
لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْتُ
فَسَأُفِيئُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ
أَمُتُ فَأَنَا عَلَى صَلَاحِكُمْ بِحَرِيصٍ.
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَلَكِنْ لِيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي.
وَقَالَ مُعَاذٌ: أَجْلِسْ بِنَا نَوْمِنُ سَاعَةً.
وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الْيَقِينُ الْإِيمَانُ
كُلُّهُ.

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا يَبْلُغُ الْعِبْدُ حَقِيقَةَ
التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَسَاحَكَ فِي
الصَّدْرِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: شَرَعَ لَكُمْ :

(1) See Ibn Hajar.

(2) Or " faith "

Faith comprises word and deed
It may increase or decrease
Allāh (be He exalted) hath said ,
"That they may increase in faith
beyond the faith they hold, (1)

and : "We have increased guidance
unto them," (2)

and: "Allāh will grant to them that
have walked in the right way
increased guidance," (3)

and "To them that have walked in
the right way Allāh will grant
increased guidance, and will reward
them for their piety " (4)

and "That they who have believed
may increase in faith," (5)

and His word : "Whenever a surh
is sent down, there are some of them
who say : 'Which of you hath had
his faith increased by this Surah ?'
It is they that have believed whose
faith hath been increased by it," (6)

and His word (glorified be His
Name) : "When it was said to them
Fear them , it only increased their
faith," (7)

and His word (be He exalted)
' It only increased their faith and
resignation " (8)

وَهُوَ قَوْلٌ وَفَمِنْ ،

وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لِيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانَهُمْ

وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ،

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى .

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى

وَأَنَامٌ نَقْوَاهُمْ .

وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا .

وَقَوْلُهُ : أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُدًى فِيمَا

الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا

وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : فَانْخَشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا

وَتَسْلِيمًا .

(1) Surah 48, verse 4.

(2) Surah 18, verse 12.

(3) Surah 19, verse 78.

(4) Surah 47, verse 19.

(5) Surah 74, verse 3.

(6) Surah 9, verse 123.

(7) Surah 3, verse 187. The whole verse referred to in the Qur'an is "When certain men said unto them "Now have the Meccans mustered against you, therefore fear them," it only increased their faith

(8) Surah 33, verse 22.

NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

April, 1935.

جامع صحيح البخارى

ترجمه الى الانجليزية

الاستاذ ابراهيم محمد المومى

الاستاذ فى الآداب وعلم الجمعيه الاسلاميه المكتبة البريطانية العظمى

والخاصة مدرسة التجارة العليا بمانشستر

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

BY

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

LECTURER, HIGH SCHOOL OF COMMERCE, MANCHESTER

BOOK II

IN THE NAME OF ALLAH THE
ALL-LOVING THE MOST MERCIFUL
THE BOOK OF FAITH.

CHAPTER 1

Of Faith, and the words of the
Prophet (Allah bless him and give
him peace) : "Islam is built on five
pillars ."

كتاب التاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الايمان

بَابُ الْإِيمَانِ وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَيِّنَاتُ الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مهمة الدين الاسلامى فى العالم

١٨

تطور الأمم فى فهم خير الروابط الاجتماعية

كما أتى الاسلام على أقصى حدود المثل العليا للحصول التى تتعلق بالأفراد فلم يدع
بمدها مرمى رام، كذلك فعل بأنقواعد التى يقوم عليها صرح الاجتماع، فوضمها على
أكرم ما فصل اليه العقل من سمو الأغراض وشرف الغايات. وهذا أمر لا بد منه
لدين هو آخر ما تلقاه الانسانية من الوحي الإلهى.

وقد بدأنا من أول هذه السنة نكتب فى القسم الاجتماعى من مقاصد الاسلام،
فذكرنا فى مقدمتنا روابط الاجتماع المختلفة، وأتينا أن أساسها الحاجات المادية،
فستبدل بها الاسلام روابط روحانية قائمة على المبادئ الأدبية الرفيعة، والأصول
العلوية الخالدة، فكانت الأمة الاسلامية أول أمة قامت على هذا السمى الإلهى القيم،
وهو سمو اجتماعى لم فصل اليه أمة الى اليوم، بل هو المثل الأعلى لاجتماع عالمى يضم
تحت ظلاله الجماعات البشرية بأسرها، فتتم فى بيوحه بالأمن والسلام العام، وتعيش
مطمئنة عاملة على ترقية مواهبها، وتنمية مواردها، فإن اختلفت على شئ، ردت الى
أصول المدل المطلق، والحق الصراح.

هذا مبدأ فى أعلى درجات سمو، وفيه شفاء الانسانية المعذبة من منازعاتها
التوارثة، فهم ندرع الاسلام لتحقيقه، وهل يمكن أن يتفق الناس عليه فى يوم من الأيام؟
دعا الاسلام الى هذه المبادئ، وأكفى المطالبة بها، وقام المسلمون بها خير قيام

محفوظين بالروح العالي الذي بثته شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وسمو التعاليم التي أتى بها. وهذا في ذاته يعتبر من أكبر معجزات الاسلام في نظر علم الاجتماع ، فإن تأسيس ربطة اجتماعية من هذا الطراز في بيئة لا تقوم روابط جماعتها ، لا على الأغراض المادية المستمدة من أحط لاعتبارات الجاهلية ، لا يمكن أن يسيغه العلم لولا أنه من الحوادث الواقعة . فالواجب على الباحث الاسلامي أن يعطى هذا الموطن حقه من لبيان والتحقيق ، ليكون رامياً بذلك الى غرضين (أولهما) ما هو بسبيله من أن الروابط الاجتماعية التي أتى بها الاسلام هي لنثل الأعلى الذي مستندته اليه الجماعات عند ما تبلغ غايه كمالها . (وثانيهما) التنويه بمعجزة علمية للاسلام يقدرها العلم كل التقدير ، ويقف أمامها حائراً لا يستطيع تقليدها من طريق الأسباب العادية .

والذي دعا الاسلام اليه وأقام جماعته عليه هو جملة ما في الكتاب والسنة الصحيحة : من وجوب لاسلام لله ، وترك ما عليه الناس من العقائد الباطلة ، والعادات العاطلة ، وتحكيم لعقل في التفرقة بين ما هو حق وما هو باطل ، وتجريد النفس لادراك لالكمال المطلق ، وترويضها على القيام على سنة العدل حتى حيال أعدائها ، والعمل بمكارم الأخلاق حتى في منازعة خصومها ، وعلى ترك التعصب للنفس والأهل ولأقربين في تقدير التبعات ، وتقدير الواجبات ، وعلى البر والإحسان والتعاون ، وعلى محو الامتيازات ، وتساوى الطبقات ، والتوحد في الوجهة والغاية ، الى آخر ما جاء به من ضروب الكمال العالية .

نألفت أمة في صدر الاسلام على هذه الأصول العلوية ، فكانت فذة في كل وجه : فذة في تركيبها ، فذة في وجهتها ، فذة في غايتها ، فذة في جلالة آثارها . فإن شئت أن تحيط بكنهه الفارق بين ثمرات روابطها الاجتماعية ، وثمرات الروابط العادية التي تقوم عليها الجماعات البشرية ، فقدرن بين الشؤ والذي لمنته هذه الأمة وبين الشؤ والذي انتهت اليه الأمم الأخرى من أول مآذون في التاريخ من التطورات الاجتماعية الى

اليوم، تجدوننا لا يمكن تقدير مداه بحال. فهذه أمة بلغت في سنين معدودة من طيبات الوجود، وميزات الحياة، وحقيقة السؤدد، ما لم تبلغه أمة قبلها ولا بعدها في القرون الطوال، فقطعت أدوارا من حياتها كانت كلها خيرا وبركة عليها وعلى العالم كله، وتركت آثارا لا يزال العالم يذكرها بها الى اليوم.

ولا عجب فإن أمة تتألف على هذه الأصول من الحقائق الإلهية هي أمة مختارة لإحداث أكبر الحوادث الأدبية والاجتماعية في الأرض، لصلح أن يستدبها الحق لرفع الآصار عن كواهل الأمم، وكسر المقاطر التي في أعناقها، والأغلال التي في أرجلها، وقد أدت ما طُلب اليها القيام به من هذا العمل العالمي، فكانت مصدر حياة للجماعات البشرية، ومقتبس نور لعقولها وقلوبها، فلاذت بها تستهدي بهديها، وتستمد من حياتها، أجيالا طويلا، وهي في ايوم تشيد بذكرها، وتعترف بفضتها، وقد صرح بعض كبار رجالها بأن لا نجاة للعالم مما هو فيه اليوم من الملل الموبقة إلا بالأخذ بأصول الاسلام والقيام على سنته الإلهية.

هنا قد يعترض معترض فيقول: إن هذه الروابط التي تذكرها دينية محضة إن قبلت القيام عليها أمة في دور من أدوار حماسها الاعتقادية، فلا يمتل أن تقوم عليها لأهم كافة وهي متعردة للعناية بأمورها المادية، وماضية في تطورها العلمية والدنية، وقد أصبح بينها وبين الشئون الروحية بعد المشرقين.

فنجيب هذا المعترض بأن الذي يريد أن يحكم على مستقبل الأحوال البشرية لا يجوز له أن يعتمد بما هي عليه في عهد الراهن، فيحكم من ذلك أنها لن تبرحه قيد أنملة، فلن في ذلك إنكارا لناموس التطور الاجتماعي، وحكما على الإنسانية بعدم الترقى.

وقد مهد الاسلام لإقامة دولته بإصلاح العقلية الإنسانية، وتقويم نفسياتها، ونخاية الطريق للحق، بهد كل سائل يقف في وجهها من عقائد مبغلة، وعادات معطلة، وتقاليد بالية، وشهوات حيوانية متغلبة، فساخ له أن يجعل دولته أمرا وقعا بواسطة المدد الإلهي

المباشرة في سنين معدودة . والتأمل في تطورات الانسانية الآن برمتها يجدها ترسم هذه السبيل الإصلاحية عينها مدفوعة بناموس التطور الاجتماعي ، وعوامل الارتقاء الانساني ، فقد قام (يكون) في القرن السابع عشر بوضع الأسلوب العلمي في المباحث العلمية ، ففرق بين المقررات التي تؤيدها المشاهدة والتجربة ، وبين الظنون والآراء العلمية ، فعد الأولى من لباب العلم الصحيح ، واعتبر الثانية افتراضات وقتية قد يقوم على بعضها الدليل من الواقع فيصم للأولى ، وقد يتضح من هذا الواقع نفسه ما يدل على فسادها فيلغظه الى عالم الخرافات الوهمية . ولم يهمل (يكون) الى جانب هذا أن يهيج طريقة البحث ، ويبين حدود النظر ، ويحدد وجهات التفكير المنتج ، فكان لعمله هذا أكبر أثر في تقويم العقلية الانسانية بتحريرها من سلطان المسلمات التقليدية .

وقام على طريقة يكون رجال فنظروا في للذاهب الإلحادية التي كانت تعتبر من مميزات الألمية . فلما أجروا عليها أسلوب التمهيس العمى اتضح لهم أنها مبنية على نكبات نظرية لا تستند الى علم مقرر ، ولا الى رأي مرجح ، فأعلنوا أنها أدخل في عالم الظنون والأوهام من الخزعبلات الجاهلية التي يدعون أنهم تجردوا منها وترفعوا عنها . وانتدب رجال آخرون للبحث في خصائص الروح الانسانية محفوزين بما كشفه عالم في القرن الثامن عشر من وجود تيار حيوي في الانسان يؤثر به على غيره فيحدث له نوما صناعيا تتجلى بواسطته صفات للروح البشرية تستر وراء الحالة الاعتيادية ، وتدل دلالة قاطعة بما تأنيه من الخوارق على استقلال الروح عن الجسد ، وعلى أن لها حياة بعد هذه الحياة الأرضية . وقد سعى هذا الصرب من البحث بعم التتويم المناطيسي . وكان من أثر ظهور هذا العلم أن استبحر البحث في النفس وخصائصها حتى أصبح عدد المستقلين به من العلماء يبلغ آلافا كثيرة في العالم كله .

أنصف لي هذا ما قر في صدر الناس أجمعين من أن الحروب بعد اختراع أسباب التدمير الحديثة أصبحت خطرا على المدنية . فأطم أهل البصر من كل أمة أن يعملوا

على تسويد الحق على القوة ، وأن يسعوا في وضع نظام مقرر لحسم المنازعات الدولية يكون مبنياً على أصول العدل والنصفة ، لا على شهوات النفس البهيمية من التناحر وسفك الدماء البشرية .

هذا الانتقال العالمي العام في مجالات العقل والعلم والبحث ومحاولة التفاهم على أصول العدل يعتبر تمهيداً اضطرارياً تدريجياً نحو تحقيق التلئ الأسمى الذي نصبه الاسلام للناس في سنين معدودة بفضل المدد الإلهي . وقد نوه القرآن هذا المهد المنتظر في آية محكمة فقال تعالى : **«سنتريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكن ربك أنه على كل شيء شهيداً .»**

هذا أمر لا بد منه رضى قصار النظر من الماديين أم سخطوا ، وكيف يكون منه بد وكل ما في الوجود من حركات عقلية ونفسية يدل على وشك حصوله ؟ فهل يريد الماديون أن يتخيلوا أن هذه المواهب السامية التي تمتع بها الإنسان تمجز عن أن تصل به الى حال يتفق وحقائقها ، فيبقى جامداً في عالم الحيوانية لا يبرحه وكل ما ركب فيه من عوامل يدفعه عنها ، ويهيب به للاعتماد منها ؟

نعم لقد عاش الإنسان آماداً طويلة يخوض من شئونه في حمأة الجاهلية ، ويحمل نيرها الثقيل على عاتقه ، وقد اعتاد الخضوع له حتى صار يقاقل ذيادة عنه ، ولكن مما لا يستطيع أن يسكره منكر أن عوامل الارتقاء ما برحت تتولد من يوم وجوده وتسوقه الى التلطيف من خشوته ، والتهذيب من وحشيته يسيراً يسيراً وبدون شعور منه حتى نقلته الى حالات بينها وبين ما كان عليه بون لا يستطيع تقدير مدها ، بل حتى خيل له هو نفسه أنه لم يكن على تلك الوحشية في عهد من عهوده فقط .

فأين هو اليوم من ذلك المهد الذي كان فيه لا يعرف للحق اسماً ، ولا للعدل معنى ، فكان يجرى في تصرفاته على ما تدفعه اليه الحاجة غير معتد بهل ولا عاطفة ؟

وأين هو من ذلك المهد الذي كان يعلق الرجس فيه جاجم قتلاء في عنقه يحملها أين ذهب إدلالاً على شجاعته وعظيم بلائه ؟ !

وأين هو من ذلك العهد الذي كان فيه يحمل أبويه إذا طعنا في السن الى مغارة
لا ماء فيها ولا نبات ليموتا عن أسوأ حال ، متحللاً بذلك من أعباء إفاتهما ؟

وأين هو من ذلك العهد الذي كان يسفك دم أسراه قربانا لاوثن الذي يدين له ،
ويبالغ في الاستكثار من ذلك ، حتى إن أهل مكسيكا الأصليين كانوا قد أقاموا لهم
معبدا على عهد اكتشاف الأوربيين لأمريكا ، فذبحوا سبعين ألفا من أسراهم قربانا
لألهتهم شكرا لها على ما منحتهم من القدرة على إنعام ذلك للعبد ؟

هذا كله كان ، ولم يزل حاصلًا لدى القبائل للتوحشة في القارات الخمس ، فأين منه
الأمم المتقدمة وهي تبالغ في تحري الحق والعدل ، وتغرق في التوفيق بين العاطفة
والعقل ، وتنهالك على وجدان المثل الملب لغرائز النفس ، وتحاول أن تقرن العلم بالعمل
في كل ما يهديها اليه البحث ؟

أليس المتأمل في هذا الانتقال ليعيد المدى يضطر أن يحكم بأن الإنسانية واصله
لا محالة الى ما ترى اليه من المثل العليا ، وإن بعدت عليها الشقة ، وثأت عنها الغايات ؟
فالمسألة إذن مسألة وقت « ولتعلن نياهم بعد حين » ؟ محمد فريد وجري

بليغ العظات

قال بعض العظماء لحكيم من حكماء عظمى نعمة تنقي عنى الخلاء ، وتزهدني في الدنيا ،
قال : فكر في خلقك ، واذا كرمبك ذلك ومسيرك ، فاذا فعلت ذلك صغرت عندك نفسك ، وعظم
يصغرها عندك عقلك ، فان العقل أنعمها لك عظماً ، والمسر أفرسها لك صغراً .

قال ذلك العظيم : فان كان شيء يعبر على الأخلاق المحمودة فصفتك هذه . قال : صفتي دليل ،
وفهمك حجة ، والعلم علي ، والعمل مطية ، والاخلاص زمامها . نشأ لعقلك ما يزيته
من العلم ، وللعلم ما يصونه من العمل ، وللعمل ما يحققه من الاخلاص ، وأنت أنت . قال : صدقت .

التفسير

سورة الرعد

- ١ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ، وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ . اللَّهُ الَّذِي دَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) .

وُجِّهَتْ إِلَى مَنْ عَزَزَ عَظِيمَ رَغْبَةٍ فِي التَّمَرُّضِ لِتَفْسِيرِ قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ : « إِنْ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ » إِذْ كَانَ فِيهِ تَنْبِيْهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا كَانُوا فِيهِ وَمَا آلَوْا إِلَيْهِ ، مِمَّا يَرْجِي أَنْ يَكُونَ مَعَهُ ذِكْرٌ نَافِعٌ لَهُمْ ، وَلِذِكْرٍ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلْ لِأَنَّهَا تَحْوِي مِنَ النُّوَامِيسِ الْاجْتِمَاعِيَةِ مَا يُفِيدُ كُلَّ أُمَّةٍ تَرْثُهَا بِمَقْدَارِهَا وَتُسْتَصَيُّ بِنُورِهَا ، فَهِيَ عَلَى وَحَاظَتِهَا كَوْكَبٌ سَاطِعٌ يَشْعُ النُّورَ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ مَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَيَسْتَرْشِدُ بِهَا مَنْ أَلْقَى إِلَيْهَا السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ .

وَلَمْ تَكُنِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الرَّعْدِ ، وَقَدْ جُمِعَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ دَلَائِلِ عَظَمَةِ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا مَا يَمْلَأُ الْقُلُوبَ تَوَدًا وَإِيمَانًا ، وَيُثَلِّجُ الصُّدُورَ بِإِرْدَائِهِ ، رَأَيْتُ أَنْ أُعْرِضَ لِتَفْسِيرِ السُّورَةِ مِنْ أَوَّلِهَا مُسْتَمْدًا مِنَ اللَّهِ لِمُؤْنَةِ وَالتَّوْفِيقِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

ولنعرض لكلمة وجيزة جدا في تفسير البسملة ، إذ كان الكلام فيها قد تناوله العلماء الأجلاء بالبسط والتطويل ، حتى أفردوا بعضهم بمزلفات قائمة بها واقفة عند حدها ، ولكن ليس مقامنا هذا مقام الإفاضة والإطالة ، وإنما هو مقام الاجتزاء بأقرب حدود الفائدة ، سهلها الله لنا ، ويسر لنا سبلها ، إنه سميع مجيب :

« بسم الله » الباء هنا للاستعانة ، وليست هي ابناء التي تسمى يا ، الآلة مثل التي تذكر في قوله : كتب بالقلم أو قطعت بالسكين ، فإن معناها في المثالين المذكورين مقصور على أن مدحورها كالنعم أو الشرط لما تعلمت به من الأفعال . وإنما هي لتبيين المستند الأول ولتنشأ الحقيقي للفعل لذى تعلقت به ، فهي بمثابة الباء التي تسميها في الاستتمالات التي من هذا القليل - تسمع مثلا بعض القضاة حين ينطق بالحكم يقول : « باسم الملك حكمت المحكمة كذا » ومعناه أن لقاضي كأنه يقول إني بحسب شخصي لا أمك على هؤلاء المخصوص نفيًا ولا إثباتًا ، فإذا سلطت عليهم ومكنت منهم فذلك إنما هو مستند من صاحب السلطة العليا ، وإذا خضعوا لي فإننا هم قد خضعوا لها ، فالقوة التي مكنت بها من إصدار هذا الحكم إنما هي هذه الجهة . ومثلا يقول بعض الحكام لمن رأى منه إجراما : « باسم القانون أقبض عليك » معناه إني في سلطتي وهيمنتي عليك ووجوب خضوعك لي أتمد قوة من جهة لا قبل لك بمعارضتها والخروج عايبا ، فهي الجهة التي لا تناوأ ، ومصدر الهيمنة التي يجب الخضوع أمامها وتسليم القياد لمن التجأ إليها .

على هذا النحو نفهم معنى الباء في قول المبتدئ في أمر من الأمور . « باسم الله » فعناه : أشرع في عملي مستندا للقوة والتأييد للنفوذ فيه وإتمامه حسبما أريد من مصدر جميع القوى وواهب كل قدر ، ومسخر جميع العوالم ، ومدير كل الأمور ، فإن نافذ في فعله بقدره لا قبل لأحد بمعارضتها ولا الوقوف في وجهها . كيف وأنا أعمل عملي باسم الله واهب القوى والقدر ، ومسخر الشمس والقمر ، والهيمن على جميع البشر :

أرأيت كيف تكون هذه البداءة شاذة من عزم صاحبها ، مثبتة من إرادته ، مؤيدة لقونه ؟ فهذا من حكمة طلب الشارع البدء بها في كل أمر خطير ذي بال .
ولعلك ترى أن هذا المعنى الذي شرحناه لا يكاد يتم باستعمال الباء إلا إذا قرنت بلفظ الاسم ، وأنتا إذا أتينا بالباء بدون ذكر الاسم عقبها لا تفيد هذا المعنى الذي نشير إليه . واعتبر إن شئت أمثال هذه العبارات : « تجي الأموال باسم فلان » « تجمع التبرعات باسم فقراء المدينة » « تجمع الاكتتابات باسم الجمعية الخيرية » فلم يك نجد المعنى فيها وفي أمثالها على ما شرحناه لك . ولا تقوم أن معنى الباء هنا هو معنى اللام في قولك إنها تجمع للفقراء أو للجمعية ، كلا ، فإن اللام يشار بها إلى العاية التي يقصد العمل من أجلها ، وأما الباء فإنها تشير إلى أنه يستمد القوة في مطالبته ، من تلك الجهة التي لها في النفوس أثر خاص ، ولولاها ما استطاع أن يدور جهازا على الناس لاستجديهم ويستندى أكتفهم ، فقد كان له من الحياء ما يمنعه أن يعرض وجهه على الناس بهذه الصورة ، إذ لولا أنه يجمع باسم الفقراء ويستمد القوة من لاستناد اليهم ، وأنه يصدد معونتهم ، ما كان له أن يتصدى للطلب من هؤلاء لعطاء ، وما كان ليؤييه له أو يلتفت إلى طلبه .

أرأيت أن زيادة لفظ (اسم) تفيد معنى لا يستفاد إذا م تكن هذه الزيادة ؟ وعلى ذلك لا يكون هنا محل للقول إن الاستعانة بالذات لا بالاسم فكيف يقال : باسم الله ؟ وم لم يقل بالله ؟ ولا حاجة أيضا إلى البحث في أن الاسم عين المسمى أو غيره ، فكل ذلك بمنزلة مما يقصد في مثل هذا التركيب ، فإن الفرض من ذكر الاسم في مثل هذا هو الرجوع بالذهن إلى ما وقر في نفوس السامعين من تمجيد واحترام وقوة ورهبة لصاحب هذا الاسم ، وكأن لفظ لاسم الفرض منه تحضير السمي في نفس السامع بكل ما يتصل به من معاني التمجيد والتعظيم .
ولفظ الجلالة اسم للذات الأقدس الجامع لكل صفات الكمال : من صفات تزيه

وصفات تمجيد ، فهو مشعر بالعظمة والقدرة والسلطان ، والقوة العظمى التي لا تنجاريها قوة ولا تعارضها قوة ، فلا غرو أن اختير من بين أسمائه الحسنى للبدء به استمدادا للقوة والتأييد .

واختيار اسمي الرحمن الرحيم بعدها لأن المستمير يطلب العون من القوى المتين استرحاما لا استحقاقا ، فهو ينادي بلسان حاله : إني أطلب العون وأستمد القوة من الخول والطول من باب لاسترحام ، وهو الرحمن الرحيم الذي لا يضرني على من استرحمه برحمته وأما هاتان الصيغتان (رحمن) (رحيم) فقد كثر الكلام في بين الفرق بينهما ، واشتهر أن معنى الرحمن للنعم بالنعم الجليلة العظمى ، كنعمة الوجود والإيمان والتكريم وأمثال ذلك ، والرحيم المنعم بالنعم الدقيقة التي تعتبر كالتميم للأولى ، كتيسير عمل جزئي وتتميم حالة فرعية مما يتساهل في أمره . وعلى ذلك يكون ذكر الرحيم بعد ذكر الرحمن من باب التتميم ، ويكون البدء بالأهم ثم يكمل بما يفيد الاستغراق لكل النعم ، وأنه مصدر جميع النعم ما جل منها وما قل . وهو معنى حسن وإن كان يلوح أن أحسن منه أن يرجع في تفسير هاتين الصيغتين إلى ما كثرت إرادته والإشارة إليه في استعماليهما .

إن هاتين الصيغتين (فعلان وفعليل) من صيغ الصفة المشبهة ، أي أنهما يدلان على الذات باعتبار ثبوت وصف لها وقيامه بها ، وهذا معنى غير ما يفيد صيغة فاعل ، وهو إيجاد الفعل وإحداثه ، إلا أن بين الصيغتين فرقا يظهر من استعمالها ، فنجد لفظ فعلان يدل على ذات انصرفت بوصف يبدو عليها آثاره ، مثل قولك فرحان وغضبان وسكران وتعبان وأمثالها ، وصيغة فعليل تدل على الذات المتصفة بوصف قد تأصل فيها تأصل للملكات الراسخة ، مثل كلمة كريم وبخيل وشحيح وشريف ونبييل ، فإنك تعتبر بكرم مشيرا إلى تأصل صفة السكرم فيه ورسوخها في نفسه بقطع لنظر عن كونه يعطى أو لا يعطى ، ومثلها بخيل وشحيح ، حتى لقد يتبرع الشخص ممالك شئ له خطر وتقول إنه رغما عن ذلك هو شحيح بخيل وإنما يتبرع لغرض في النفس ظهر أو لم يظهر ، في حين أن

آخر لم يتبرع ونقول إنه مع هذا كريم وربما منعه مانع من التبرع كضيق ذات يده أو اشتغازه من الأسلوب الذي يستعمل به أو مما مائل ذلك، ولكنك لا تشير بكلمة فرحان أو غضبان إلى شخص سجيته الفرح أو الغضب. ألا ترى الفرق بين قولك غضبان وغضوب مثلاً؟ ألا ترى أنك تقول، نه غضبان مع أنه ليس بغضوب أو إنه ليس بغضبان مع أنه غضوب؟ فلا بد لذلك من سبب وما مائل ذلك، تريد أنه تبدو عليه آثار الغضب وليست ملكة الغضب متأصلة فيه، وقول وقيل أخوان.

إذا عرفنا هذا استطعنا أن ننزل عليهما ما نهمة من صيغتي رحمن ورحيم، فيكون معنى رحمن من تتجلى آثار رحمته وتبدو للعالم مظاهرها في كل أنحاء الوجود، فهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وهو رب العالمين، يتعهد الجميع بأكرام إحسانه وفضله. ومعنى رحيم من كانت الرحمة فيه متأصلة راسخة، لا من تكون الرحمة فيه معتلة متكلفة، ويكون البدء بالرحمن لأنه دال على مظاهر الرحمة التي تبدو فتصرفها النفوس، ثم يستدل بها وب تكررها على أن الإحسان والرحمة ثابتة راسخة كثبوت الملكات الراسخة في النفوس، والله للمثل الأعلى، وإلا فهو لا يشبه شيئاً ولا يشبه شيء، ولكنه التقريب في التمثيل للشرح والتوضيح، ويكون تقديم الرحمن على الرحيم من باب تقديم الدليل على النتيجة، فإن ظهور الآثار على كثرة أطراد دليل على تأصل الوصف عند صاحبه. ثم يكون اختيار وصف الرحمة في البداية — على ما سبق تقريره — لتربية معنى التعلق النفسي بالعبودية الإلهية، وأن يرجوها بمقدار ما يلاحظ رحمته عز وجل.

ولقد عرضنا لهذه الكلمة الموجزة في تفسير البسملة مع أن الكلام عليها كان يحق أن يكون في طائفة الكلام في التفسير على الإطلاق، لأننا رأينا أنها بحاجة إلى الكلام على الحروف التي تذكر في فوائح السور، وكان أول ما عرض لنا في هذه الحروف ما نحن بمسده من تفسير سورة الرعد، فرأينا أن يكون الكلام فيها مع نظيره، إذ كل منهما مما أفرد عليه الكلام، ونكتفي به مرة واحدة عن التكرار، فنقول:

قال الله تعالى : « المَرَّة :

هذه الحروف المحجائية التي وقعت في أوائل السور قد أطلال المفسرون فيها الكلام ، وحكوا فيها خلافا متشعب الأفعال . ونحن لا يسعنا أن نجزم بأمر في موضوع تشعبت الأفعال فيه ودعم كل فريق قوله بما ظهر له من الأدلة والحجج . وكيف استطاع الجزم فيما قامت فيه تلك المعارك قديما وحديثا ، ولو كان للجزم في هذا سبيل لما نشبت تلك المعارك الخلافية ، ودامت بين العلماء تلك الحقب المديدة . إلا أن هذا لا يمنعنا أن نختار ما يظهر لنا انضاح وجهه ، مع جواز أن يكون غير ما احترناه أقرب إلى القبول عند غيرنا ، ولكل وجهة هو موليها . ولذلك فإننا سنفرغ الوسع في حكاية أصول المذاهب ومستنداتها بإيجاز ، ونردفها بما يعين لنا اختياره ، والله المستعان :

قد اختلفت للمفسرون أولا على قولين : (الأول) أن المعنى المقصود منها سر استأثر الله بعلمه ، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه . و (الثاني) أن المقصود منها معلوم . فأما أصحاب القول الأول فاستندوا إلى أنها من التشابه ، وأن الوقف على لفظ الجلالة في آية آل عمران : وهي قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله » ، وقوله : « والراسخون في العلم » كلام مستأنف ، فإنه لو كان « والراسخون في العلم » عطفًا على لفظ الجلالة لما كان هناك وجه لدحهم بالإيمان به المحكي عنهم في قوله تعالى : « يقولون آتينا به كل من عند ربنا » ، إذ لو كان التشابه معلوما لم لكان إيمانهم به كإيمانهم بكل معلوم لهم فلم يكن فيه منزلة خاصة توجب الثناء عليهم بالإيمان به ، بخلاف ما إذا آمنوا بكونه من عند الله وإن لم يفهموا معناه ، فإنه حينئذ يكون من باب الإيمان بالغيب الذي يعطى أنهم كملت تقتهم عما أنزل عليهم حتى آمنوا بما فهموا وبما يفهموا . وهذا لا يكون إلا ممن رسخ الإيمان الكلي في قلبه حتى صار يذعن لما لم يفهم استنادا إلى امتلاء قلبه بالإيمان بما فهم . وهذا على قياس أن الله تعالى كلمنا بأشياء فهمت حكمتها وسرها فقمنا بها وفعلناها ، كالصلاة المحففة بالعبودية والاستماعة بالله ، وكالكاذبة التي تعطف قلوب الأمة بعضها على بعض ، وكالصوم

الذى يكسر شهوة النفس فيعين على تهذيبها ، ثم كلفنا مع هذا بأشياء لم نفهم سرها ولم نتبين حكمتها ، مثل رمى الجمرات والسعى والاضطباع^(١) والهرولة في بعض الأماكن . والسرى في ذلك أن الامتثال فيما فهم معناه قد يكون منشؤه الافتتاح بحكمته والسعى لتحصيلها ، أما الامتثال فيما لم يفهم معناه فإنه يدل على الاقياد والامتثال للأمر من حيث إنه صادر عن تجب طاعته ، سواء أفهم الغرض منه أم لم يفهم ، ثقة بأنه لا يأمر إلا بما فيه الخير لنا كل خير ، ويشبه هذا قول بعضهم في حسن الطاعة وقوة المناصرة :

لا يسألون أخاه حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

وقول بعضهم في وصف رجل بطاعة قومه له طاعة عمياء : « هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه ألف سيف لا يسألونه قيم غضب » . فكما أن الامتثال الصادق إنما يظهر حين الأمر بما لم يظهر وجه حكمته كذلك لا يمان تحقيق إنما يظهر في الإيمان بما خوطبوا به ولم يتبينوا صريح معناه ، فكان قصارى أمرهم أن يقولوا آمنا به كل من عند ربنا . وبه تظهر المفاصلة بينهم وبين الذين في قلوبهم زيغ ، فإنهم يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، فلو كان ابتناء تأويله من شأن الراسخين في العلم ما نعى على مبتغيه بتسميته من أهل الزرع .

وأيضا فإنهم استندوا إلى أن الحكمة قد تقتضى شتال الكلام على ما لم يتجمل معناه حتى تحس النفوس دائما بوجود ما غفى عنها في طياته ، فلا تزال تبحث في دقائقه وتأمل في أحنائه وتنتظر في ثنائه ، فكما ازدادت نظرا ازدادت هدى ووضعا :

يزيدك وجهه حسنا إذا ما ردتَه نظرا

وقد جاء في وصف على كرم الله وجهه لقرآن قوله : « هو الذى لا تنفنى عجائبه » . ومعلوم أن وجود ما لم يفهم محرض للنفوس على الدأب في الاستقصاء والسكد في التتبع

(١) اضطباع الطائف بالبيت : أن يدخل إرداء من تحت إبطه الأيمن وينطى به الأيسر كالرجل يريد أن يسأل أمرا فيثبأ له .

علما بأن أمامه سرا لا يزال خفيا، فهو يستطلع دائما ما حول ذلك السر . فهذه حكمة ثانية وهي الحث على إدامة التأمل والتفكير، وهي غير الحكمة الأولى التي هي اعتبار الإذعان والإيمان بما لم يفهم، وأن ذلك من الإيمان بالغيب . وقد يقرب من هذا ما قاله بعضهم من أن المشركين كانوا يقول بعضهم لبعض : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه . قلما أنزلت السور مبسوطة بحروف لم يفهموا المراد منها ألجام ذلك إلى الإصغاء، لحرص النفوس على تتبع ما لم تفهم، ففهم عليهم من البيان ما ملأ قلوبهم، وملك عليهم حواسهم فأسروا وبهروا من حيث لم يشعروا . وهذا حكمة للإتيان به، وهو غير كونه معنى مستعملا فيه، فلا يشتبه عليك هذا بذلك .

وأما أصحاب القول الثاني، وهو أن المقصود منها معلوم، فلهم مستند في التزام أنه معلوم، ولهم خلاف في تحديد المعنى المقصود . فأما مستندهم فهو أن القرآن جاء هدى وتبيانا ورحمة كما نطقت به الآيات المعددة، وهذا لا يكون إلا فيما فهم معناه المقصود منه؛ وقد أمر بالتدبر فيه والاستنباط منه ولا يكون إلا إذا فهم معناه . وأيضا فهو بلسان عربي مبين ولا يظهر ذلك في غير ما يفهم؛ وقد نُحِدى به المشركون وكيف يُتَعَدَى بغير مفهوم . وأيضا فالمقصود من الكلام الإفهام، فلو جىء بغير مفهوم لكان عبثا، ولكان كضاطبة المرء بغير لثته ولا روجه له .

وقد دفعت هذه الروايات بأن كون القرآن في جملته هدى ورحمة وتبيانا وبلافا وعريا مبينا، إلى غير ذلك من الصفات، مما لا يشك فيه مسلم، ولا يستدعى هذا أن يكون كل لفظ منه جاء للدلالة على معنى وضع له، بل قد يكون في الإتيان بما لم يفهم حكمة هي ما بينا في أوجه القول الأول، وناهيك بها حكمة، بل هي مما تؤكد الهدى والنور والرحمة . وهل بعد ما يحمل المعاند على الإصغاء، والتدفل على الاتنباه، والتأمل على الاستقصاء، هل بعد هذا من حكمة ؟

أما المعنى الذي يقصد منها على هذا القول فقد اختلفوا فيه : فمنهم من قال إنها أسماء

للسور البدوية بها ، فطه اسم للسورة ، ويس كذلك ، ولس ، ون ، وهلم جرا ، إلا أن بعض الأسماء مشترك بين عدة سور ، كما وقعت تسمية أشخاص متعددين باسم محمد أو عبد الله مثلاً ، فتحتاج الى ما يميزها عن بقية السور المشاركة لها في هذا الاسم ، شأن الأشخاص للتعدد ينمون باسم واحد مشترك بينها .

وقد استند أصحاب هذا القول الى أنها لو لم تكن أسماء للسور لكانت إما أسماء لمعاني خاصة وهو ما لم تساعده أوضاع اللغة ، إذ ليست دالة على شيء أصلاً ، وهو بما يؤدي للعبث وبالكامل فيما سبق تعرف أنه يجوز أنها لم يفهم عين المقصود منها ، ولا يكون ذلك عيباً ، بل أتى بها للحكمة السابقة ، وهي الحل على الإصغاء أو على مزيد التأمل والاستقصاء .
ومنها من قال : بل هي اسم للحروف الهجائية التي وضعت بإزائها ، ويكون الغرض إفهام المخاطبين أن ما سيتلى عليهم مما أعجزهم إنما هو من جنس حروفهم التي يتخاطبون بها وتشدوا ولونها ، فلم يداهاوا بما هو بعيد عن متناول قدرهم ، بل جيثوا بما ألفوا وبهتوا بما عرفوا . فهل أعجزهم إلا هذا التأليف الذي بنوا أعمارهم على مزاولته ، وأحيوا ما أكرم بالتفاخر به ؟ فكيف قدمت بهم القوة عن مجازاة هذا الذي لم يتجاوز ما لو فهم ومعرفهم ؟ فيكون المقصود منه مزيد تقريرهم بالعجز ، عسانم تنور حبيبتهم فينحركوا لها كأنه حتى يفتضحوا عجزا ويمتلثوا بهراً .

أو أن الغرض من الإتيان بها الدلالة على انقطاع كلام والشروع في آخر ، وقد كان من عادة العرب إذا انتهوا من كلام وأرادوا الشروع في آخر أتوا بشيء جديد يحملونه تنبيهاً للمخاطبين على انقطاع السابق والشروع في الجديد . وقيل : بل الغرض القسم بهذه الحروف لإظهار شرفها وفضلها ، إذ هي مبنی كتيبة المنزلة وأساس الهدى والنور والرحمة الهداة ، فمن حققها التنويه بقدرها .

وقيل : بل هذه الحروف إشارة الى أسمائه تعالى وصفاته ، أو إشارة الى اسمه جل شأنه واسم رسوله . فلي لا أول كان لألف إشارة الى أحد ، واللام إشارة الى لطيف ،

وليم إشارة الى مجيد أومنان، والراء إشارة الى رحمن رحيم مثلاً؛ أو كأن معناها أنا الله أعلم وأرى. وعلى الثاني تكون الألف إشارة الى لفظ الجلالة (الله) واللام إشارة الى جبريل، واليم إشارة الى محمد، والراء إشارة الى الرحمة، فكان المعنى: الله أرسل جبريل الى محمد ورحمة بالامة.

وهكذا نجد هذه الأقوال كأنها استلهاهم إشاري لا يبنى على قاعدة ثابتة. والذي نختاره إما القول الأول وهو أنها مما استأثر الله بنفسه، وحكمة الإتيان بها ما شرعناه؛ وإما أنها اسم للحروف الهجائية تنبئها على أن الإعجاز ما جاء إلا من جنس ما تناوله قدركم، فيها عارضوه إذا تهيأ لكم، وحاشا أن نصل الى ذلك قدركم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

هذا ومن اللطائف أن عددها بعد حذف المكرر أربعة عشر، وذلك نصف عدد حروف المعجم على قول عدم الاعتداد باللام ألف؛ وأنها في تسع وعشرين سورة عدد حروف المعجم على القول الآخر، وأنها تشتمل على نصف أصناف الحروف، ففيها نصف حروف الهمس المجموعة في قوله: «خثه شخص سكت» ونصف الحروف الشديدة المجموعة في قولك: «أجد قط بكت» وكذا نصف حروف الاستعلاء والإطباق والجهر، كما يعلم ذلك من فن التجويد.

قال تعالى: «تلك آيات الكتاب»:

اسم الإشارة واقع على آيات السورة الكريمة ومنها هذه الآية، وذلك غير ممتنع، ويجرى على نمطه ما يكون من بعض الشمر، إذ يضمن قصيدته أياتاً في وصفها وهي جزء من القصيدة، فكانه يقال: إن ما يتلى عليك من الآيات التي هي حاضرة أمام مسمعك وقد شرع في بعضها وأنت بصدد سماع البعض الآخر، هي آيات الكتاب، أي هذه هي الآيات الحقيقية بأن تسمى آيات، فكانها استحوذت على الجنس كله بحيث منعت غيرها من أن يستحق التسمية بهذا الاسم، على أسلوب قولهم: هذا هو الكلام،

وأنت الرجل من بين الرجال ، براد بذلك أنه استأثر بأن يكون هو الجنس لا غيره ، وذلك من أساليب اللبالة في الوصف بالكمال .

والآيات جمع آية وهي في الأصل العلامة والأماره ، تقول لرسولك : قل لفلان بآية ما بينك وبينه من كذا يطلب اليك أن تصنع كيت وكيت ، فتشير بالآية الى علامة تعرفها أنت وهو فقط وتجعل ذلك دليلاً على صدور الرسالة منك اليه ، وأن الرسول صادق في التبليغ عنك . وإنما سميت آيات الكتاب العزيز آيات لأنها علامات على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلمّا كل آية منه وحدها علامة لا عجازها وذلك في الآيات الطوال ، وإما كل آية انضمت الى آية أخرى أو آيتين أخريين معجزة ، فالحد المعجز في القرآن هو الآية الطويلة ، أو الآيات الثلاث القصار التي تبلغ مقدار الآية الطويلة ، ومثلها الآيتان المتوسطتان في الطول بحيث تبلغان مقدار آية طويلة أو ثلاث آيات قصار .

والكتاب في الأصل بمعنى المكتوب كاللباس بمعنى الثيابوس ، وأصله من كتب بمعنى جمع يقال : كتب لا ديم أى جمع بمضه الى بعض ، اشتهر عرفاً في جمع الحروف بمضها الى بعض ، وأطلق هنا على القرآن الكريم ، ولوقبل أن يكتب باعتبار ما يؤول اليه ، فإنه بصدد أن يكتب . وحاصل المعنى - والله أعلم - بعد أن قرع سمعهم بهذه الحروف التي توجب انتباههم وشدة تطلعهم بما تفجأ أسماعهم من الغريب عليهم ، أو بما تستغفر قوائم من التحدى بجنس ما يعرفون ويألفون ، قال لهم : إن هذا الذي يتلى عليكم هو آيات الكتاب ، وهو الذي يستحق أن يسمى بالآيات وبالكتاب الحق الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

قال تعالى : « ولذى أنزل إليك من ربك الحق » :

الاسم الموصول مبتدأ والحق خبر . والمعنى أن لذى أنزل إليك من ربك الذي خلقك وسواك وأدبك ورباك وأعانك على ما نذبتك اليه هو الحق لا يدور ولا يجيد عنه . وهذه الآية من التي قبلها إما بمنزلة الاستدراك ، كأنه لم قيل في الآية الأولى :

تلك آيات الكتاب وربي نؤمن منها نقي السجالات صاعدها من آيات الكتاب ، دفع هذا التوهم بأن الذي أنزل اليك من ربك كله الحق فلا مطعن في شيء منه . ويشبه هذا ما يروى عن أم البنين وقد سئلت أي بنيتك أفضل ؟ فقالت : « ربيع ، بل عمارة ، بل قيس ، بل أسس : تكلمتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل ، هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ؛ لم ترد بذلك الحيرة وجهل حالهم ، وإنما أرادت من أول الأمر أن تفيد التنصيص على أن لكل منهم من الفضل ما لا يحيط به الوصف ، وتنص على استحسانه فضلا عظميا ؛ ثم عادت فنفت قص أحد منهم عن أخيه ، وأجملت ذلك فقالت : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها . وهذا أسلوب من الأساليب البلاغية التي لا يخفى مغزاها . ويصح أن تكون الآية بمنزلة التأكيد المقرر لمضمون سابقتها ، ويكون المعنى : كيف لا تكون تلك هي آيات الكتاب البالغ من السجالات كل مبلغ مع أنها من المنزل عليك من ربك ولا ينزل عليك من ربك إلا الحق ؟ أو تكون الآية لوصفها بالسجالات البلاغية والإعجاز في الأسلوب ، والآية التالية لبيان كمالها في الحق والصدق ، وهو نوع آخر من صفات السجالات وأي كمال ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

هذا وجملة « والذي أنزل اليك من ربك الحق » جملة معرفة الطرفين تفيد قصر الحقيقة على ما أنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولا يلزم من هذا نقي الحقيقة مما أنزل على غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، لأن الغرض من هذا القصر إفادة أنه عريق في الحقيقة والمبالغة في السجالات ، على حشد قوتهم : أنت الرجل ، على ما سبق تقريره . على أن حقيقته مستلزمة لحقيقة ما أنزل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . كيف وقد وصف القرآن بكونه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه ؟ قال تعالى : « ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » :

هذا من باب الزجر والتهديد والنهي على الأكثر من الناس أنهم دائم مغلوبون لهوام ، فنرى حبهم للمعالجة وتركهم للأخرة وكرههم لما يقيد من تصرفاتهم ويكبح

من شهواتهم وميلهم الى الاسترسال في الهوى والاندفاع في بلوغ المآرب الخبيسة والشهوات الحيوانية ، كل أولئك بحملهم على الانصراف عن النظر الصحيح والتفكير الصادق الذي يتبينون به الرشد من النى والهدى من الضلال . وطالما أقسد الهوى على الانسان تفكيره ، وكانت الليول مقربة للبعيد ومبعدة للقريب ، فلا غرو أن يتضح الحق ويظهر الكمال في الآيات ، ثم تنصرف النفوس عن الإيمان به تفاديا مما يحسد حرمتها ويقيد تصرفاتها ويحول بينها وبين خسيس لذاتها . هذا أمر مرجعه نقص في طبائعها لا خفاء في طرق هدايتها . أى فلا يهولك أيها المتأمل المدعو للاستبصار كثرة الضالين الغاوين ، بل نقّ نفسك من الحوائل التي تنصرف نظرك عن إدراك الهدى ، نجد الأمر واضحا جليا ، والكتاب بينا والصراط سويا .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لإدراك الهدى ، والسير على الصراط المستقيم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم الجبالي

عهد المهدي لابنه موسى

لما أسند أمير المؤمنين المهدي ثالث خلفاء بني العباس الى ابنه موسى ولاية خراسان ، قال له كلاما حسنا نجري منه بما يأتي :

« أى بنى ! إنك قد أصبحت لسمت وجوه العامة نصبا ، ولثقت أعطاف الرعية غاية ، لحسنك شاملة ، وإساءتك تائبة ، وأمرك ظاهر . فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل سخط الناس فيهما ، ولا تغلب رضاهم بخلافهما ، فإن الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك بإشراك رضاه ، وليس بكافيك من يسخطه عليك بإشراك رضا من سواه .

« ثم اعلم أن الله تعالى في كل زمان فترة من رسله ، ونقاي من صفة خلقه ، وخبايا لمصرة حقه ، يحدد جبل الاسلام بدعواهم ، ويشيد أركان الدين بنصرتهم ، وإن أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا ، وسيوف دعوتنا ، فظاهر عليهم لباس كرامتك ، وتزلم في حدائق نعمتك أى بنى ! ثم عليك العامة فاستنح رضاها بالعدل فيها ، واستجلب مودتها بالانصاف لها .

المحبة وأنواعها

ذكرناك شيئاً في العدد السابق عن محبة وآثارها وفرائدها وما جاء فيها . واليوم نذكر لك أنواع المحبة وتختلف بك في حديثها (وأى حديث الذى من حديث المحبة ؟) ولنا نقول ما يقول ذلك القائل الذى يؤمله أنه لا يجد من يطارحه حديث المحبة :

ما بالديار أخو شوق نطارحه حديث نجد ولا خل نصافيه

ولنعد الى الموضوع فنقول .

من أنواع المحبة محبة الوالد لولده . وهي تكاد تكون لا لغرض ولا علة ، لأنها من قبيل محبة الشخص لنفسه ، فإن في بقاء ابنه نوع بقاء له . وقد ينضم الى ذلك نوع المنفعة من الولد ، فهي طبيعية لا يشذ عنها إلا من خرج عن مقتضيات الطبيعة .

ومنها محبة الولد لوالده . وهي تكاد تكون من قبيل محبة العلى والأعراض ، حتى إن من الأولاد من يفرح عند موت أبيه أو لا يتألم لما ترك وراءه من ثروة طائلة ولعل ابن الفقير يحزن على أبيه أكثر من ابن الغنى . وأما ما نجله من احترام الأبناء للآباء والقيام بواجبهم فرجعه في النال الى مزيد أدب ، أو حسن تربية ، أو دفع مرة وانتقاد ، أو نوع منفعة وحصول غاية ، لا الى مودة ومحبة . ولهذا ترى القرآن الشريف قد اعتنى بوصية الأبناء على الآباء شدة الاعتناء ، وترك الآباء ينساقون نحو الأبناء بسائق المحبة الطبيعية .

فيجب على الأولاد أن يقولوا فى نفوسهم محبة آبائهم ، وأن يتفكروا فيما كان لهم من إحسان لا يسمح به غيرهم ، فيقابلوا المحبة بالمحبة والإحسان بالإحسان ، وأن يكرروا على مسامعهم ما جاءت به الآيات والأحاديث ، وما رسمته الأخلاق والآداب فى ذلك .

ولزمنا أن نكتفى منهم بهذا الحب التكاملى ، حيث لم نطفر منهم بالحب الطبيعى ، وهو كافل للراحة وكاف فى الصفاء .

ولنذكر هنا ما ذكره كثير من المفسرين عند تفسير قوله تعالى : « وأخفض لها جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » فنقول :
 روى ابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : « رضا الله تعالى في رضا الوالدين ، وسخط الله تعالى في سخط الوالدين » . وقد صح
 أن رجلا جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد معه ، فقال : « أحيى والداك ؟ »
 قال : نعم . قال : فقيهما بجاهد . وما أحسن ما قال بعضهم :

غذوتك مولودا وممتك يافعا نعل بما أجني عليك وتنهل
 إذ ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا ساهرا أتمل
 كافي أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيني تهمل
 تخاف الودي نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل
 فلما بلغت السن والغاية التي إليها هدى ما كنت فيها أومل
 جعلت جزائي غلظة وقظاظة كالك أنت للنعم التفضل
 فليتك إذ لم ترع حق أبوي فملت كما الجار المجاور يفعل
 تراه عبدا للعلاف كأنه يرد على أهل الصوب موكل

وكان ذلك فيما يروى بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : للولد : « أنت ومالك لأبيك » . كذا رواه البيهقي في الدلائل ، والطبراني في الأوسط والصغير في قصة طويلة . وروى مسلم عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أبر البر صلة الولد أهل ودايه » في قصة جرت له مع أعرابي كان أبوه يود عمر ابن الخطاب .

محبة المصدق :

ومنها محبة لأصدقائه . ولا بد للإنسان من صديق يأمن به ، ويلقى عليه بعض همومه ،

وقد خلق الانسان ضعيفا، حتى إنه لا يستطيع أن يكتم ما في صدره من فرح أو زح، وهو على نفسه أشق من الأتقال الحسية، فإن هذه على جسمه وتلك على قلبه :

ولا بد من شكوى الى ذى صداقة يسليك أو ينسبك أو يتوجع
وقد قيل لبعض الحكماء: أخوك أحب اليك أم صديقك؟ فقال: إني لا أحب
أخى إلا لكونه صديقى .

وكثيرا ما تسمعهم يقولون: إن الصديق عمال الوجود . حتى إذا أردت أن تبائع
في أمر قلت: هو من رابع المستحيلات، وأما الثلاثة فهي مقرونة معروفة لا نزاع فيها:
أيقنت أن المستحيل ثلاثة القول والعناء والحل الوفى
ويقول غيره :

سمعت بالصديق ولا نراه على التحقيق يوجد في الأنام
وأحسبه عمالا تمصوه على وجه المجاز من الكلام
وهالك شيئا مما قالوه في هذا الموضوع، نوره لك تفككة أو تبصرة:

تغير إخوات هذا الزمان فكل خليل عراه انخلل
وكانوا قد بما على صحة وقد داخلهم صروف العمل
قضيت التمتع من أمرهم فصرت أطالع باب البذل

خذ من دنا وتباف من بعدا لا نكرهن على الهوى أحدا
قدأ كثر حواء ما ولدت فإذا جفا ولد نخذ ودا

وزهدنى في الناس معرفتى بهم وطول اختبارى صاحباً بعد صاحب
فلم تُرِنِ الأيام خلائسرى مباديه لا سامنى في المواقب

إني لأفتح عيني حين أنصحبها على كثير ولكن لا أرى أحدا

إذا ما ضاع منك اليوم خل فلا تحزن عليه الدهر وافرح
فإن الخل عب أي عب فهما استطعت أن تلقيه فاطرح

إذا قيل في الدنيا خليل فقل نعم خليل اسم شخص لا خليل وفاء
وإن قيل في الدنيا جواد فقل نعم جواد ركوب لا جواد عصاء
إلى غير ذلك وهو كثير . وسر ذلك أن الإنسان يطلب صديقا لا يتنير بحال ،
ولا يتصف بعيب ، يقدمك على نفسه ، ويحصلك في كل ما تأتي به ، كما قال قائلهم :

إن أخا الإنسان من كان معه ومن يضر نفسه لينفعه

ومن إذا رب الزمان صدعه شئت فيه شمله ليجمعه

ومن الغريب أنه يوجب ذلك على صديقه له ولا يوجب على نفسه لصديقه . ولكن
إذا كانت الصديقة مبنية على تشاكل في الأرواح ، وصادفت مع هذا استعدادا حسنا ،
كانت الأمانة المطلوبة ، والبيعة المرغوبة . وإذا تكمل إيمان المرء وجدت فيه
كل ما تحب من صفات الخير وسجايا الفضل ، حتى يقدمك على نفسه كما تحب ، فإنه إذا
وصل إلى درجة الكمال كان من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .
ولا شيء يعملى الهمة ولعظم المروءة ويورث الرحمة ويفرس في القلوب المحبة مثل
الإيمان الكامل . فإذا اشتاقت نفسك إلى ذلك الصديق فاطلبه بين المؤمنين ، فمسي
أن تجده فيهم ، فهم مظان وجوده .

على أنه يلزمك أن تكتفي من صديقك بفضيلة من الفضائل ، وتغفر له في جانب
ذلك ما يكون منه ، فإن الحسنة بذهبن السيئات :

ولست بمستبق أخا لا تله على شئت أي الرجال المهذب

ولا تطلب أن يكون جامعا لكل فضل، مبراً من كل نقص (وإذ كان من هذه صفاته من يدخ في عالم الوجود فاجتهد أن تكون أنت ذلك الانسان).
فالخلاصة أنه يلزمك أن تعرف الطلائع البشرية ومقتضياتها، ولا تطلب ما ليس في طبع الانسان، وأن تكسني ممن يكون صديقك يحبه من جهات الخير، ثم تقبله بعد ذلك على ما فيه من عيب، وتعرض عنه في الجهة الأخرى (جهة الشر الذي فيه).
فاذا ظفرت بمن يغيب خيره على شره، فقد ظفرت بالخير كله.

حبة الوطنية :

حب الوطن يكاد يكون الصق شئ بالنفوس، حتى إنه ليلتحق بغرورها المجدولة عليها. وقد قرن الله خروج من الأوطان بالقتل فقال: «ولو آتاكم كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم». فلو أن حب الوطن متأصل في النفوس ما جعل الخروج من الأوطان فرين القتل. وقال في آية أخرى حكاية عن بني إسرائيل: «وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا». ولا شك أن كل إنسان يجد من نفسه حنيناً إلى وطنه الذي نشأ فيه، وشوقاً إلى تلك المعاهد التي ربي فيها، وميلاً طبيعياً إلى ذلك الصفاء الذي أخذ من قلبه محلاً لا تعفيه الدهور:

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهوداً مضت فيها خنوا لذلك
ومحبة بلادك التي غمرت بك بخيراتها، ومحبة أمتك التي تسعد أسعادها وتشقى بشقاها ليست في الحقيقة إلا محبة لنفسك.

وإن الأمة لا تكون أمة تتمتع بحقوق لأمة الحية، وتأمين على نفسها من الاحلال والفناء في الأمم الأخرى، إلا إذا رسخت فيها محبة الوطن.

وقد نذبك الدين الحنيف إلى محبة الناس كلهم والرحمة بهم، ولكن على درجات مخصوصة وحدود محدودة. والانسان الكامل هو من لا تختلط عليه الأمور ولا تشبهه

لديه الخبرات بالشرور، فيعرف مراتب المخلوقات، ونسبتها إليه، ومقدار قربها وبعدها من خالقها، فيعطى كل مرتبة حقها، وكل درجة قسطها، ملاحظا معاملة الله لهم ورحمته بهم، وأنهم مخلوقاته، فلا يحل نسبهم، ولا يظلم رتبهم. ومن أحب الصانع واعتقد كماله، أحب الصنعة لا محالة.

وللأشياء جهات وحيثيات يجب أن تراعى كلها في نظر الحكيم. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «تخلقوا بأخلاق الله» فمن شاركك في الانسانية كان له عليك حق واحد وهو حق الانسانية؛ ومن شاركك في الايمان أيضا فله عليك حق الانسانية وحق الايمان. فإن كان مع هذا أحد من ينتمى اليك بالقرابة، كان له عليك حق القرابة أيضا. فإن انضم الى ذلك كونه جاراك انضم الى تلك الحقوق حق رابع، وهكذا. وأهل تلك لدرجات متفاوتة أيضا، فمن كان أقرب اليك كان أعظم حقا عليك، ومن كان ألصق بك من جيرائك كان أوجب مراعاة من غيره؛ ومن صنع معك خيرا من أولئك الأقارب أو الجيران كان حقه عليك أكد من سواء: «من صنع معكم معروفًا فكافئوه» «هن جزاء لإحسانٍ إلا الإحسان» فإذا أهل وطنك لهم عليك حقوق كثيرة، وواجبات عديدة، على حسب ما شرحتنا. ولعلك من أوسع الناس علما بهذا الموضوع (موضوع عبة الوطن) فلنقتصر منه على هذا.

ولكن لا بأس بما تقدم أن نسوق اليك فائدة أخرى. وهي أن الانسان إذا لم يكن بين من يميل اليهم من أشكاله فهو غريب وإن كان في وطنه، فإن معاشرته من ليس بينك وبينه منسبة أثقل على الأرواح من كل شيء. وقد قالوا: إن نحي الروح بجالسة الثقل الذي بباينك وتباينه، وأنشدوا في ذلك:

وما غربة الانسان في البعد والنوى ولكنها في قرب من ليس من شكلى
وإني غريب بين ناس^(١) وأهلها وإن كنت فيها موطنى وسها أهلى

(١) ناس بالفتح. واد بارعن أدرب، وبالضم. بد بسجستان. كذا في القاموس.

محبة الله عز وجل :

قد سبق لك أسباب المحبة ، وأن كل سبب منها يوجب المحبة على افراده ، وإن كان بعضها أقوى من بعض . فإذا أمكن أن تجتمع هذه لأسباب كلها في شيء واحد ، وجب أن تكون محبته أتم أنواع المحبة وأكثرها وأشدّها ، ولا يتصور ذلك على الحقيقة إلا في الله تعالى ، كما ستعلم : « والذين آمنوا أشد حبا لله » . فإذا نظرت بعين التحقيق وصادفت نور التوفيق ، وجدت كل سبب من لأسباب المقدمة يقضي عليك بحب الله تعالى ، بل إذا دقت النظر وأمنت الفكر ، ورقت كثافة حجابك وعلوت عن أرض طبيعتك ، وترقيت عن درجة المحسوسات التي يشاركك فيها جميع الحيوانات ، إلى أفق قلبك ، وأشرقت عليك شمس بصيرتك ، وجدت المستحق للمحبة على الحقيقة إنما هو الله تعالى دون غيره .

فإذا كان الإحسان يقتضى محبة المحسن ، فلا إحسان كإحسانه تعالى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » فأحسانه عليك في إفاضة وجودك ، وإعطائك ضرورياتك وحاجياتك وكالياتك : من عقلك ، وسمعتك ، وبصرك ، وذوقك ، وجميع حواسك ، وصفاتك الظاهرة والباطنة ، وأنواع النعم الخارجة عن ذاتك ، مما تندفع به ضرورتك ، أو تزول حاجتك ، أو تتم به لذتك — هذه الاحسانات الفائضة ، ولئن المتواترة ، لا تكاد تحصى أصنافها فضلا عن جزئياتها ولو نظرت إلى نعمة المودعة في الهواء أو الماء ، أو نور الشمس والقمر ، وخلق الليل والنهار ، لا تقطعت أذنك ، سيرك ولم تفز إلا بقدر يسير منها ، بل لا إحسان في الحقيقة إلا له تعالى ، فإن من أنعم عليك من الخلق بشيء فإنما يقصد نفع نفسه بارتفاع الصيت وجيل الثناء أو حسن الجزاء ، فهو في الحقيقة بائع يخرج من يده شيئا ليمتاز عنه ما هو أعز منه عنده عاجلا أو آجلا . ولا يتصور الإحسان الحقيقي الذي لا يقصده به عوض إلا من الله تعالى على أنه هو الذي سخر لك قلبك ذلك المحسن ، وأودع فيه محبتك ، أو الشفقة عليك ، أو رجاؤا الخير

من الله، أو من الناس بمساعدته إياك. ولو شاء لعكس كل ذلك وصرف قلبه عنك،
وألني في روعه ما ينفره منك (والقلوب بين أصبغين من أصابع الرحمن).

فإن كنت تحب أحدا لأجل إحسانه فأعرف المحسن الحقيقي؛ ولا يكن نظرك
كنظر الحيوان بحب سائته الذي يقدم له العلف، ولا يحب مالكة الذي أمر السائس
وأعطاء على ذلك أجرا.

وإن كنت تحب وجود نفسك وبقاءها وكما لها، فأحب من أعطاك ذلك كله من
غير أن تسأله. بل كان في تذكرك من قبل وجودك، وقد أعطاك من كمال الحلقة الظاهرية
والباطنية، لا يمكنك أن تهتدي إليه حتى تطالبه منه.

وإن كنت تحب أحدا من أجل صفاته الجميلة ونعوته الجميلة كما تحب الملوك العاملين
أو الفضلاء الكاملين وإن لم توج خیرهم والانتفاع بهم، فأحب خالق الكمال والجمال
الذي تنزه عن كل نقص، وانصف بكل صفات الكمال، التي لا يصل إليها العلم، ولا يحيط
بها العقل، كما قال صلى الله عليه وسلم: « لا تحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ».

وإن كل من تحبه لهذا السبب فإنما تحبه لصفات معدودة وكالات معدودة. فلتكن
واسع النظر، نافذ البصيرة، عالي المحبة، عظيم العلم، كبير الفهم، حتى تحب من لا تعد
صفاته، ولا تنتهي كماله. ولا تكن كالصبيان لا يمكنهم أن يحبوا من طبقات الناس
إلا أسفلها وأدناها، دون أشرفها وأعلاها. وأنت مستعد لإدراك الجمال المعنوي والكمال
الإلهي، وهي خاصتك التي اعترت بها عن سائر الحيوان. وعلى قدر ذلك تلتحق باللائكة
ويتحقق فيك روح الانسانية.

وكل من بطلت فيه خاصية نوعه فليس في الحقيقة من ذلك النوع، لأن النوع
لا يوجد بدون خاصته على الحقيقة، فبيح من نفسك الشوق الى تلك المعارف التي هي
أذن من كل شيء. ولا تمت تلك الحاسة الباطنية التي هي أعلى حواسك وأشرف مزياك.
فإذا العلم عند ذوقها فوق الذنذ كلها، لأنها لا توجد إلا في سماء الانسانية دون

أرض الحيوانية والذئذمرية على حسب درجات العوالم ، ولذا السمع بمد ذلك على قدر ما تدرك من شرف للعلوم فليس علمك بأسرار الملك وشئونه في مملكته كعلمك بأحوال رجل من السوق . فإذا يكون العلم بأشرف المعلومات ألد العلوم . وليس هناك أجل من الله تعالى الذي لا يثنى عليه حق ثنائه غيره ، ولا يحيط بكماله سواء .

فطهر قلبك من أدناس الرذائل كلها ، وهيهات لفرس تلك المحبة التي هي أتم اللذات وأكبر السعادات ، وهي مطلب قلبك لو كان أقيما على صحته ، ومأرب روحك لو لم تنشعب بها الطرق ونظمتها الأهواء « قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . وإلا فانت المخاطب بقول القائل :

لديك جمال الجامدات فهم بها إذا كنت ميالا إلى الصور غرس
هذا ويحمل بك ما هنا أن تعرف أن المحبة أنجع وسيلة إلى تهذيب الأخلاق وتكميل النفوس ، بل إن شئت فقل إنها تقبّل الطباع وتغير الحقائق : فتجعل الشحيح من أسنى الأسخياء ، والجبان من أشجع الشجعان فإذا تفق لك ألبك وصلت إلى حد الكمال في محبة الله تعالى ومحبة رسوله ومحبة الكاملين من أمته ، سارعت إليك الكمالات ، وترادفت عليك الخبرات ، وانطبعت في مرآة قلبك صفاتهم ، فتبدلت منك الرذائل بالفضائل . وعلى قدر المحبة يكون انطباع صفات المحبوب في نفس المحب . وقد عرفوا المحبة بأنها استهلاك الصفات في الصفات ، وفناء الإرادات في الإرادات :

قلم تهونى ما لم تكن في فانيا ولم تقن مام تجتلى فيك صورتى
وقد عرفت أيضا بأنها نار تحرق من قلب المحب الليل إلى ما سوى المحبوب :
وحّد القلب حبه فالتفانى لك شرك ولا أرى الاشراكا
وناهيك بمن وصل إلى تلك لدرجة من محبة الله تعالى ومحبة رسوله : كيف ترادف عليه البركات ، وتغمره الفيوضات ، فيستحق من الكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

واذكر هنا قوله صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحب » . واعرف شرف تلك المحبة وما لذويها من الدرجة العلية . فالحب أكبر وسيلة من وسائل الخير والكمال . كما أنه أعظم ذرائع الفساد إن تعلق بغير ذلك . فهو ترياق نافع ، وسم نافع ، على حسب ما يتعلق به من المحبوبات . ويكفيك هذا التلميح . والله يتولى هداك

يوسف الرمزي
من هيئة كبار العلماء

في الحث على بذل المال

قال الله تعالى : « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المملحون » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « استطاع المعروف في مصارع السوء » وقال : « إن الله يحب الجود ومكارم الاخلاق ويبغض منسأفا » .

وقال اكنم بن صبيح حكيم العرب : « ذلوا اخلاقكم للعطائب ، وقودوها الى المحامد ، وعلوها للمكارم ، ولا تقيموا على خلق تدمونه من غيركم ، وصلوا من رغب اليكم ، وتملوا بالجود بلبسكم المحبة ، ولا تمتقدوا البخل فتتبعجوا الفقر » أخذ شاعر هذا المعنى فقال :

أمن خوف فقر لمحلته وأخرت إتفاق ما تجمع

فصرت النقيير وأنت الغنى وما كنت تعد والذى تصنع

وكتب رجل من البخلاء الى رجل من الأسيخاء يأمره بالإنقاء على نفسه ويخوفه بالفقر . فرد عليه يقول : « الشيطان يمدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يمدكم مغفرة منه وفضلا » . وإني أكره أن أترك أسرا قد وقع ، لأمر لمه لا يقع .

وكان خالد بن عبد الله القسري يقول على المنبر : « أيها الناس عليكم بالمعروف فان الله لا يعدم ظله حواريه ، وما ضغفت الناس عن أدائه قوى الله على جزائه » .

وقد أحسن الخطيئة حيث قال وفيه معنى قول خالد المتقدم :

من يعمل الخير لا يعدم جواريه لا يذهب العرف بين الله والناس

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر : « من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به » .

خطبة الأستاذ الأكرم في الجامع الأزهر

تفضل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكرم الشيخ محمد مصطفى المراغي فرار العلماء وطلاب العلم في الجامع الأزهر رداً لزيارتهم له بمناسبة تقبله منصب المشيخة الحلية، فكان يوماً تاريخياً مشهوداً، حضره بضعة آلاف من أهل العلم والطلبة والأهلين، ونهش فضيلته بجوار الأداة المكبرة للصوت فالتى خطبة لا تبلى إذا قلنا إنها أجمع خطبة طرقت مسامع الناس في بيان مكانة الأزهر من الجامعات الإسلامية، ومحل أهله من حفظ الدين، وفي تجلية أصول الإسلام الأولية، وما اشتمل عليه القرآن من الحث على تناول جمع ما ثبت من الفتوحات العلمية، وما يجب على العلماء من العمل على تطهير الدين مما ألصق به من البدع. ثم نبه فضيلته إلى وجوب تغيير طريقة عرض المقررات الإسلامية بالأساليب الحديثة شائقة لتجذب النفوس إليها قائلاً: إن فيها ما يعتبر اليوم أحدث المقربات عند رجال القانون، حتى إنها إذا اعتبرت جملة أغنت عن الاجتهاد في المسائل التي عرضت متى عمل أهل العلم على التخيير منها.

ثم عرض فضيلة الأستاذ الأكرم لحرية الرأي، وحذر من اتهام الخصوم بالكفر والزندقه، مقررًا أن تلك كانت سيرة سلف هذه الأمة، إذ كانوا لا يكفرون إلا من ينكر نصاً أو جماعاً. وقد رعى فضيلته سبب الأنظار لهذا الأدب إلى معالجة النفور الذي يظهر به دعاة الدين عند احتكاكهم بفتح الآراء الحديثة، فيحدث من جراء ذلك تقاطع يعقبه تناكر نتيجته انقسام الأمة إلى شطرين، وليس هذا من مصلحة الاجتماع ولا مصلحة الأخلاق في شيء. ثم حض فضيلة الأستاذ الأكرم رجال الأزهر على القيام برسالة الإسلام للعالم أجمع قائلاً: إنه لا يتسنى ذلك إلا بتعلم اللغات، فإن الله لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليسين لهم. ووعد فضيلته بأنه سيعنى بهذه المسألة عنايته بتنقيض عقول الطلاب الأجانب.

ثم ختم فضيلته خطبته بالدعاء لجلالة الملك، صاحب اليد البيضاء على الأزهر، وصاحب السمو أمير الصعيد ولي عهده المحبوب.

ولا يسع جملة نور الإسلام وهي اللسان الرسمي للأزهر إلا أن تدون بين صفحاتها هذه الخطبة الجامعة التي وضع فيها فضيلة الأستاذ الأكرم أعلام الإصلاح الديني الذي كان يشده أولو البصر من المسلمين منذ قرون طويلة، واشتد التحطش له منذ نحو خمسين سنة، فقامت الحوائل في وجوه الداعين إليه والعاملين عليه. واليوم قد قدر لحق سبحانه وتعالى لأقدر رجل في مصر على تحقيق هذه الأمنية أن يتولى قيادة هذه الحركة المباركة، فما هو ذا يصدر

بما نذب إليه في وسط حشد ضخم من العلماء الأعلام والطلبة الأتجباب ، وتلقف الصحف في مشارق الأرض ومغاربها أقواله داعية له بطول البقاء ، ولبرنامجه الإصلاحى بالتوفيق والنجاح .

لا جرم أن هذا يعتبر فتحا جديدا من فتوح الاسلام ، ويوما تاريخيا من أيامه ، يفرح له رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم في رفيق الأئمة ، ويستبشر به كل مسلم في الأرض . وفق الله مصلحتنا العظمى لتنفيذ برنامجنا كاملا ، ومهد له السبيل إليه ، إنه ولي الكفاية ، وهو المستعان .

ولا يسع مجله نور الاسلام في مفتح هذا العهد الجديد إلا أن تبتهل الى الله بن يجعله حدا فاصلا بين دور الفتور الدينى الذى كنا فيه ودور النشاط الروحى الذى يصبو اليه .
والى القراء نص خطبة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراعى ، أطل الله أيامه ، وأمدّه بروح منه :
محمد فريد وجدى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

له الحمد على نعمه ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه .
وبعد : فقد رأيت واجبا على أن أزور الأزهر قبل بدء الدراسة لأخفى علماء الأزهر والمسلمين ، ومطبعة العلم فى الأزهر والمعاهد فى دارم كما حيونى فى دارى . والأزهر دار خاصة لكل من ينتسب الى العلم ، ودار عامة للمسلمين .
وقصدت أيضا إسماء النصيحة الى إخوانى العلماء وأبنائى الطلبة بنسيان ما قد يكون باقيا فى نفوسهم من حزنات وإحزن سببتها الحوادث الأخيرة التى نمرقونها ، لتستقبل الحياة العلمية فى صفاء ، ونقبل على العلم بقلوب مخلصه لله ورسوله ، نقية من دنس الغل والحقد ، عاصرة بالايمن .

والأزهر مكان يستحق الاجلال ، فقد كان ولا يزال مصباحا تستضيء به جميع الأمم الاسلامية ، ومنبعا صافيا لسلم الدين ، ومستودع فتون العربية وأسرارها ، وبعض العلوم العقلية .

وقد اصطلم بحمل عبء المعارف الإسلامية وغيرها ، وخاصة بعد سقوط بغداد وضياع ذخايرها العلمية ، وصار المثابة الأخيرة ، والكعبة التي يؤمها طلاب العلم من جميع الأقطار . وما من بلد في مصر ، بن وما من بلد في أي قطر من الأقطار الإسلامية إلا وهو مدني للأزهر بما يعرفه أهله من الدين الإسلامي ، وبما يقى عندهم من علوم العربية . حل لأزهر هذا العبء وأدى الأمانة كاملة ، وله الفضل على المعاهد العلمية القائمة بجواره في مصر ، فهو أستاذها ، وهو شيخ هذه المعاهد جميعها .

نم : قد استقلت عنه بعض المعاهد أخيرا . ولكنه لا يزال له نصيب عظيم من التثقيف في معارف الإسلامية وفنون العربية في أكثر هذه المعاهد . فكأن تقضرو بتاريخ طويل كله مجد وعظمة لهذا المعهد الذي تنسبون إليه . تاريخ ظهر فيه من الأئمة والعلماء والمؤلفين من خريجي الأزهر من لا يحصيهم العدد ، وقد كانوا أساقفة للخيرات . وكلوا أسرم الى الله جل شأنه ، فحفظهم ورعاهم ، وشرح صدورهم ، وأثار عقولهم ، فترسمو أنار الرسول الأكرم ، صلوات الله عليه ، وتخلقوا بأخلاقه ، واعتصموا بهديه ، وانتفع الناس بعلمهم وتأديبوا ، وحلت آثارهم في البلاد جميعها كما يحل ضوء الشمس ونور القمر .

أولئك آباؤنا وأجدادنا في سلسلة النسب العلمي ، رضى الله عنهم ونفعنا بهم . يجب أن نذكر هذا المجد ونفاخر به ، ونحرص على لا نتساب اليه كما يحرص الأشراف على أنسابهم ؛ وأن نحافظ على هذا المجد ، ونضيف اليه مجدا طارفا ، اقتداء بأولئك الآباء والأجداد .

قد يسأل بعض الناس : ما هذة الأزهر ؟ أو ما هي رسالة الأزهر كما يفد اليوم ؟ فأقول لهؤلاء : رسالة الأزهر هي من رسالة الاسلام ومتى عرفت رسالة الاسلام عرفت رسالة الأزهر .

الاسلام دين جاء تهذيب البشر ، ورفع مستوى الانسانية ، والسمو بالنفوس

الى أرفع درجات العز والكرامة . قد طوح بالوسطاء بين الناس وربهم ، ووصل بين العبد وربّه ، ولم يجعل لأحد فضلا على أحد إلا بالتقوى ، وقُدس العلم والعلماء ، وقرر في غير لبس ما يليق بذات الخالق من الصفات . وما قرره في ذلك هو منتهى ما سمت اليه الحكمة ، ووصل اليه العقل . وأتى بتعاليم كلها ترجع الى تهذيب النفس ، وتلطيف الوجدان ، وإبان أصول الأخلاق ، وشرح حق التمتع بالطيبات . ولم يحرم إلا الخبائث ، ووضع حدودا تحدد من طغيات النفوس ونزوات الشهوات ، ورسم أصول النظم الاجتماعية وأصول القوانين . قواعد كلها خير البشر وسعادة المجتمع الانساني .

هذه صورة مصغرة جدا للدين الاسلامي . ورسالة الأزهر هي بيان الدين الاسلامي ، وشرح قواعده وأسراره . ومتى أدى هذه لرسالة على وجهها فقد أدى نصيبا عظيما من السعادة والخير للجمعية الانسانية

في القرآن الكريم حث شديد على العلم ، وعلى معرفة الله ، وعلى تدبر ما في الكون ، وليس هناك علم يخرج موضوعه عن الخالق والمخلوق . فالدين الاسلامي يبحث على تعلم جميع المعارف الخفية . وليس في المعارف الخفية الصحيحة المستقرة شيء يمكن أن يتناقض أصول الدين وبهدها .

نم : قد توجد معارف تتناقض بعض ما وضعه العلماء في شرح القرآن والحديث والفقه وغيرها ، وسكننا لانهم لهذا ، فليسر العلم في طريقه ، ولنصحح معارف الماضين ، لكن على شريطة أن يكون ما يخالف معارفنا ، من العلم البرهاني المستقر .

ولست أقصد بمحديتي هذا أن يكون الأزهر مدرسة طب أو هندسة ، أو كلية للكيمياء أو ما يشبه هذا . ولكنني أعني أن هناك علومًا ومعارفًا لها صلة بالدين وثيقة ، تعين على فهمه ، وتبرهن على صحته ، ويدفع بها عنه الشبهات . هذه العلوم يجب أن يتعمقها العالم الديني أو يتعلم منها القدر الضروري لما يوجه اليه

هذا وقد تغيرت في العالم طرق عرض السلع التجارية ، وأصبح الإعلان عنها ضروريا

لنشرها وترغيب الناس فيها ، ولديكم الحوانيت القديمة ومخازن التجارة الحديثة : وازنوا بينها تذكروا ما في طريقة العرض الحديثة من جمال يجذب النفوس اليها ، وما في طريقة العرض القديمة من تشويه ينفر الناس عنها ، وقد توجد في الحوانيت القديمة سلع أحسن صنف ، وأعلى قيمة ، وأمتن مادة ، ومع ذلك هي في كساد .

وكما تغيرت طريقة عرض السلع تغيرت طريقة عرض العلم ، وأحدث العلماء طرائق تبعث الرغبة الملحة في العلم ، وتنفي الملل والسأم

حدثت هذه الطرق في إلقاء الدروس والمحاضرات ؛ وحدثت في تأليف الكتب أيضا . وهذا المثل يتعاقب علينا : في جميع الكتب التي تدرس في الأزهر ، وفي جميع العلوم التي تدرس في الأزهر أعلاق نقيصة لا تحتاج إلا إلى تغيير طريقة العرض في الدرس والتأليف ، وفي الفقه الاسلامي نظريات تعد لأن أحدث النظريات عند رجال القانون . وفي الفقه الاسلامي آراء يمكن أن يسير عليها الناس الآن من غير حرج ، وتحقق العدالة في أكل صورها . ولكن هذه النظريات البالغة منتهى الجمال والحكمة بحبيها عن الناس أسلوب التأليف القديم .

على الأزهر أن يسهل فهم علومه على الناس ، وأن ييسر لهم هذه المعارف ، وأن يعرضها عرضا حديثا جذابا مشوقا .

ومسألة أخرى يجب أن يعنى الأزهر بها : تلك هي تطهير الدين الاسلامي من البدع وما أضيف اليه بسبب الجهل بأسرار ومقاصده . هناك آراء متشورة في كتب المذاهب وفي غير كتب المذاهب يحسن سترها ؛ ضنا بكرامة الفقه والدين

ومن الواجب أن يتمرن بأن المذاهب الاسلامية جملة تفتى عن الاجتهاد في المسائل التي عرضت من قبل متى تخير العلماء منها .

وأذكر قصة طريقة تجديدونها في كتاب الولاية واقضاه للكسدى .

« كان في مصر قاض شافعي المذهب في عصر الامام الطحاوي ؛ وكان يتخير لأحكامه

ما يرى أنه محقق للعدل من آراء الأئمة ، ولا يتقيد بذهب . وكان مرضى الأحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه في دينه وخلفه . سأل ذلك القاضي الإمام الطحاوي عن رأيه في واقعة من الواقعات ، فقال الطحاوي : أسألك عن رأيي أو عن رأي أبي حنيفة ؟ فقال القاضي : ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوي : ظننتك تحسبني مقلدا . فقال القاضي : ما يفتل إلا عصي أو غي ؟

فتخير الأحكام نوع من الاجتهاد ، ولكنه الاجتهاد الذي لم يفتق الناس أبوابه . إصلاح التعليم في الأزهر واجب اجتماعي ، لإصلاح الأمم الإسلامية في مختلف أقطابها وأجناسها ، وعلى كل مسلم أن يساهم فيه ما استطاع إلى ذلك سبيلا . وأما أرجو الله سبحانه أن يوفق العلماء وطلاب العلم إلى الاخلاص في النهوض بالأزهر ، فإن الاخلاص في ذلك إخلاص لله ورسوله والمؤمنين ، ولدين الحق الذي وعد الله أن يظهره على الدين كله ، وجعله هداية عامة لجميع البشر .

احترام حرية الرأي :

ونصيحة أقدمها للعلماء وطلاب العلم في الأزهر رجا نديرها ، وهي احترام حرية الرأي ، والتخرج من الاتهام بالزندقة والكفر . ولا أطالب بشئ ، بمددعة ولا أحدث في الدين حدا بها هذه النصيحة . فهي موافقة للقواعد التي وضعها سلف الأمة رضى الله عنهم ، وترونها مبسطة واضحة في كتب الأصول وفي جميع كتب الإمام الغزالي . وحاصلها - على ما أذكر - أن المسائل الفقهية يكفر منكر الضرورى منها : كالصلاة ، والزكاة ، وحرمة الزنا ، وشرب الخمر ، وقتل النفس ، والزنا . أما إنكار أن الاجماع حجة ، وخبر الواحد حجة ، والقياس حجة ، فلا يوجب الكفر ، وما عد ذلك من المسائل الفقهية لا إثم في إنكاره مطلقا ؛ على شرط أن يكون الإنكار غير مصادم لنص أو إجماع .

على هذا أجمع الصحابة رضی الله عنهم؛ وُجِعَ عليه الأئمة، ولم يعرف أن بعضهم أئمة بعضاً.

وإجمال القول أنه ما دام المسلم في دائرة القرآن لا يكذب شيئاً منه، ولا يكذب ما صح من رسوله صلى الله عليه وسلم بطرق قاطعة، فهو مسلم لا يحل لأحد أن يتهمة بالكفر.

عرضت لهذه النصيحة لأنها تسهل على أهل الأزهر معايشة الناس، والعمل بها يمكن من نشر الدعوة ومن الجدل بطرقه المقبولة، والعمل على خلافها منفر يحدث الشقاق ويورث المداواة.

أسأل الله أن مينا رسداً، وأن عملاً قلوبنا خشية وهيبة من جلالة، وعملاً عطف وشفقة ورحمة لعباده.

وإذ كانت مهمة الأزهر من رسالة لاسلام للعالم، فمن أول واجب على أهله أن يعدوا أنفسهم لتعلم اللغات - لغات الأمم الإسلامية وغير الأمم الإسلامية، والله لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم.

فليحقق الأزهر القدوة، وليرسل إلى الناس رسلاً يفهمونهم في دينهم بلسانهم. وسأعني هذه المسألة كما أعني بتثقيف إخوتنا الذين أسماهم القانون «أغراباً» فإنهم من الحقوق والحرية في هذا الوطن ما لكل فرد من أهل البلاد وأرجو أن يفكروا طويلاً فيما يفرضه عليهم دينهم من الهداية والإرشاد وسعاد المجتمع.

وخليق بنا أن نذكر ما لحضره صاحب الجلالة ملك مصر المعظم من منن وأياد بيضاء على المعاهد الدينية؛ وأن نسأل الله جلت قدرته أن يسبغ عليه نعمة العافية، ويسم على هذه المعاهد خيرهم ويره؛ وأن يحفظ حضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ولى عهده المحبوب. والسلام عليكم ورحمة الله.

حقوق الجوار في الإسلام

لقد وضع لاسلام نظاما للاجتماع يجعل من الأمة الاسلامية جماع أسرة واحدة مترابطة الأحاد ترابطا لا تنقسم له عروة ، ولا تحل له حمة . فتمرع شرعة التعاون في الحياة لتذليل عقباتها ، وقطع مفازاتها ، وجعل ذلك أساسا لمدينته الفاضلة ، فقال تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » . ثم لم يدع فضيلة من الفضائل التي تحقق معنى هذا التعاون إلا دعا إليها وحث عليها . ولا مشاحة في أن مراعاة حقوق الجوار من أمهات تلك الفضائل ، بل لو تحققت هي وحدها لجعلت الأمة كالبناء الرصوص يشد بعضه ببعض ، لا يجحد التداعي سبيلا اليه بحال من الأحوال . لذلك جاء في وجوب مراعاة هذه الحقوق من لأوامر ما يتفق وعظم خطره .

فأول حبر وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في بناء صرح حقوق الجوار قوله : « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » ، ومراده أنه لا يتم له إيمان حتى يتحقق فيه هذا الشرط ، وهذا أمر في منتهى الخطورة . فإن الإيمان غاية كل متدين وعليه يتوقف استحقاقه للكرامة في الدنيا والآخرة ، فإذا كان كمال هذا الإيمان يتوقف على أن يأمن جاره المؤمن أذاه ، فإنه لا شك منصرف بكيته للقيام بهذا الشرط ضئلا بنفسه وطلبا لنجاتها .

قسم النبي صلى الله عليه وسلم الجيران الى ثلاثة أقسام فقال : « الجيران ثلاثة : جاره له حق واحد ، وجاره حقان ، وجاره ثلاثة حقوق . فالجار الذي له ثلاثة حقوق : الجار للمسلم ذو الرحم ، فله حق الجوار وحق لاسلام وحق الرحم . وأما الذي له حقان فالجار للمسلم ، له حق الجوار وحق الاسلام . وأما الذي له حق واحد فالجار للمشرك » .

حقا إن هذا سمو في الآداب الاجتماعية ليس ور .. مذهب ، فإن تسرية حقوق الجوار حتى على المشركين لم يقل به قبل الاسلام مصلح في الأرض . ويفهم من هذا

أن الاسلام إنما يراعى في الآداب الاجتماعية ما يشمل الانسانية كلها، وهذا غاية ما ترى اليه المدنية. فالانسان لا يخلو وهو يعيش في مدينة أن يكون له جيران من ذوى ملل مختلفة، يبادطهم المعاملات، فهل أبحث للمسلم معاملتهم وحرمت عليه مجاملتهم؟ لا، بل أوجب عليه الاسلام أن يسوى بينهم وبين إخوانه المسلمين فيها. وقد حث النبي على مبادلة أهل الكتاب الزيادة وحضور أعراسهم ومآتمهم، والأكل معهم حتى الإصهار بهم. وقد وجد أصحاب الأديان من مجاورة المسلمين ما تلقاه القلة في وسط كثرة قائمة على أحكم أصول المدنية، وأقوم سبيل لانسانية.

قال مجاهد: كنت عند عبد الله بن عمر وغلّام له يسلم شاة، فقال: يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي، حتى قال ذلك مرارا. فقال الخادم: كم تقول هذا؟ فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى حشينا أنه سيورثه.

وانظر كيف اعتبر ابن عمر اليهودي جارا ولم يفرق بينه وبين إخوانه في الدين، بل انظر كيف أمر خادمه أن يبدأ به قبلهم. لا شك في أنه فعل ذلك حتى لا يسبق إلى دهن خادمه أن يستثنيه من حقوق الجوار لليهوديته، فأمره أن يبدأ به، ثم ذكر للعادم ما ورد عن النبي من التشديد في وجوب مراعاة هذه الآداب الاجتماعية.

ومن أشد ما يلفت المسلمين إلى العناية بحقوق الجيران أن جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادتهم علامة على الإحسان والإساءة لمن أراد أن يعرف منزلته عند الله. روى عبد الله بن عمر فقال: «قال رجل: يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت، أو أسأت؟ قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعهم يقولون قد أسأت فقد أسأت».

فتأمل في هذا وانظر هل يطيق رجل سماع هذا الحديث أن يسمع ذم جيرانه له دون أن يبلغ منه التأثير مبلغه؟ وهل يتأثر منه ولا يحاول أن يحسن من سيرته حتى يستحق أن يمدحه جيرانه؟

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أندرون ماحق الجار؟ إن استعان بك أغنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيتة ، ولا تستظل عليه بالبناء فتعجب عنه الربح إلا بإذنه ، ولا تؤذه ، وإذا اشترت فأكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها . ثم قال : أندرون ماحق الجار؟ ولذى نفس بيده لا يبيع حق الجار إلا من رحمه الله :

إن هذا حديث جامع في حقوق الجوار لم يترك صغيرة ولا كبيرة منها إلا أحصاها ، قلل من الناس من يخيل إليه قياسا على حالة أهل المدينة اليوم أن هذه الحقوق لا تنفق والحياة الاجتماعية الرهنة ، وهو وهم باطل ، فإن هذه الحقوق طبيعية تؤدي إليها العقل لوزك وشأنه ، وتقضي بها الانسانية لو تجردت من شبح الحيوانية ، وأثرة البهيمية . فإليك بيان ذلك خصلة خصلة :

أمن علو لهمة التي يجب أن يتحل بها كل رجل أن يستعين بك جار لك على أمر نزل به فتأبى عليه الإياعة ، وأن يستنصرك على لص طرفه أوجوان ضار ذاهمه فتوليه ظهرك وتدعه فريسة لما ناب ، وأن يستقرضك درهما يستعين بها على شأن من شئونه فتضن بها عليه ، وأن يفتقر ويحوج أهله فلا تمدد بموثة ، وأن يمرض ويحتاج للعواصة فلا تعود ، وأن يموت فتبخ عليه بخطوات قليلة ، وأن يناله ما يفرحه فلا تهته بكلمة ، وأن يصاب بنازلة فتدفع عن تعزيتة ، وأن تستطيل عليه في البناء لتعجب عنه الهواء والشمس ، وأن تؤذيه فلا ترفع بتضرره ورنا ، وأن تخص أهلك بالطيبات من الرزق ولا تبالي به وبأولاده الصغار فلا تشركرم ممل ؟ ثم لا يكفيك أن تمد هذا تقصيرا فتتلس له حجة من مقتضيات الحياة العصرية ؟ هل الحياة العصرية

لا تستقيم إلا إذا كان قوامها التقاطع وغلظ الكبد ، والشح المطاع ، وجود القلب وقلة الانسانية ؟

كان الأولى بك أن تقول : إن الحياة العصرية قد جهلت هذه الواجبات الأولى فوقعت في شر ما تجنيه الجماعات على نفسها ، وهو حقد الفقراء على الأغنياء ، وحسد المحرومين للموهوبين ، وتوقع بعض الناس دوثر السوء ببعض ، واختار الثورة في نفوس أهل الغافة على قلب النظام العام ، وهذه الملل كلها تشكو منها أوروبا المتشددة جد الشكوى ، بل هي لم تهدد في كيانها بشيء كما تهدد من هذه الناحية .

وكما بين الاسلام حقوق الجوار على أتم وجه كما رأيت ، حرم إيذاء الجيران أشد تحريم وأبلغ ، حتى جعل هذا الإيذاء مبطلا للأعمال الصالحة ، فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها . فقال عليه السلام : هي في النار .

ومن أبلغ ما يؤثر من الوجر عن إيذاء الجار قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أنت رميت كلب جارك فقد آذيت » ، فأخذ المسلمون بهذا الأدب وحروا على سنته ، فكانوا يتعرجون حتى من مقابلة أذى جيرانهم بمثله . فيروى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق علي . فقال له : اذهب فإن هو عصي الله فيك فأطع الله فيه . ولم يشر عليه بالانتصاف لنفسه ، فإن التغابي عن أذى الجار ربما أدهم للنعم والرعموى ، مصداقاً لقوله تعالى : « أدفع بالنى هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ، ولكنه لو قابل جاره بالمثل كان ذلك صدعاً في بناء المجتمع لا يلبث أن يتوسع بانضمام بعض الجيران إلى أحدهما والبعض الآخر إلى الثاني ، فكم لمادة هذا التصدع رأى ابن مسعود أن يحصر الشر في أصغر دائرة فينصح المجنى عليه بالصبر . وقد اقتدى المسلمون فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى أنه جاءه رجل يوماً يشكو جاره فقال له النبي : اصبر ، فجاءه ثانية وثالثة ، فكان يأمره بالصبر ، فلما جاءه

الرابعة، قال له : اطرح متاعك في الطريق . ففعل الرجل ما أمره به ، فجعل الناس يمرون به ويسألونه عما نابه ، فيقال لهم : له جار يؤذيه ، فكانوا يقولون : لعنه الله : فأتى ذلك في قلب جاره المشاكس ، فأتى صاحبه وقال له : رد متاعك فوالله لا أعود .

وروى الزهري أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يشكو جاره ، فأمر النبي أن ينادى على باب المسجد . « لا ين أربعين داراجار » قال الزهري : أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا ، وأوماً لي أربع جهات . وبعنا جعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا النداء جواباً على شكوى الرجل لأن فيه إيذاناً بخطورة حرمة الجوار حتى إنها تمتد إلى أربعين داراً ، ومن يكلف بمراعاة حق أربعين لا يجوز له أن يضيق درعاً بحق واحد . وهذا الضرب في الزجر من أبلغ أساليب التأديب التي لا تؤثر إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي تاريخ المسلمين أغرب الحوادث وأدعها للاعتبار في مراعاة حقوق الجوار ، فقد روى أنه بلغ ابن المقفع أن جاره له يبيع داره في دين ركه ، وكان يجلس هو في ظل داره ، فقال : ما كنت إذن بحرمة ظل داره إن باعها ممدماً . ودفع إليه ابن المقفع ثمن الدار قائلاً له : لا تبعها .

وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره ، فقيل له : لواقنيت هرا . فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت المرقهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحبيت لهم ما لا أحب لنفسي . هذا بعض ما يقال في حقوق الجوار في الإسلام ، فألق عليه نظرة عامة ثم قابل بينه وبين ما نراه وما نسمعه اليوم من أحوال الجيران . فآما تتأكرم فحدث عنه ولا حرج ، فقد يسكن عشرة عمارة واحدة فلا يعرف بعضهم بعضاً ، فظنك بمن يسكنون عمارات أخرى ؟

وأما ضروب الأذى فيما لا يستطيع حصره ، فمن أسنره وأحفاه تريم الشبان خلف الشبايك بالمتنظرات المعظمة ليرى ما يدور خلال دور الجيران مما لا يحبون كشفه

لأحد، حتى يضطروهم الى إقفال شبابيكهم وحرمان أنفسهم من شعاع الشمس ونورها الضروريين لصحة الأبدان. ومن أظفر الأذى وأضره إلقاء القمامات أمام أبواب الجيران، وإطلاق العنان للأطفال وقت الهجير يقلقون راحة الفائلين بضوضائهم، ووقت الأصيل يهيمون للتراب بكراتهم.

فإذا تركت المدن وانتقلت الى الأقاليم رأيت هذه الحال السيئة، ولكن في شكل آخر، وأظهره تناذر النسوة بسبب تناقض الأطفال، وتداخل الرجال في هذه المنازعات، فتارة يقف الأمر عند النقشام، وطورا لا ينحسم الشر إلا بالتسليم. أما في الغيطان فإن حقوق المجاورة لا تراعى الى حد بعيد، فيجور الجار على أرض جاره، أو يترك ماشيته تزعج برسيمه في غفلته، أو يمد كسه في رى زرعه، أو يسد عليه طريق الصرف لا لعذر غير حب المشاكسة. فهؤلاء كلهم لو ذكروا بما ورد في الإسلام من وجوب مراعاة حقوق الجيران، ووقفوا على هذه الوصايا القيمة التي لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم وجها من وجوه البيان إلا حلاها بها، قلن لو ذكروا بهذا كله لا ترفيهم أبلغ تأثير، وقد عملت إدارة المعاهد الدينية في حدود ميزانيتها على تدارك هذا القصر، فأرسلت بعشرات الوعاظ الى الأقاليم، والآمال معقودة، على إبلاغهم الى اثنين الكثيرة ليعلم الناس النور الذي يحملونه اليهم، والله ولي المحسنين محمد فريد وهدى

استدراك :

سقطت عند طبع خطبة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر تعليقه عند التكلم في احترام حرية الرأي وهي حالة القارئ الى ما ورد في كتاب المحرر للكمال بن الهمام صفحة ٣٠٣ من اجلد الثالث في هذه المسئلة.

بَابُ الاسْتِئْذَانِ وَالْفَتْاوَى

الطلاق - وكناياته

ورد إلى إدارة المجلة هذا السؤال :

ما قول سادتنا علماء الشافعية في رجل أمر زوجته أن تطالب أحد أقاربها في دين لها فلم تجبه فقال لها : « على اليمين لا بد أن تطالبه » ثم طال بينهما النزاع في هذا الموضوع وغيره فصربها فصاحت ، فدخل عليهما بعض الناس فاشتد غضبه لذلك ، فقال لها : « أنت مطلقة » .

فهل يقع عينه الأول طلاقاً وسحقه الثاني لأنها ذهبت في الليلة الثمانية غاضية ، أم لا يقع إلا الطلاق الأخير ، مع العلم بأن ليمين الأول وما لحقه من الطلقة الثانية مسبقان بطلقة رجعية ؟

عبد الله مسعود عثمان

الجواب

مذهب الشافعي أن قول الرجل لزوجته : يلزمني اليمين أو على اليمين ، لنحو لا يلزم به شيء ، في الطلاق . وعليه فقول السائل : « على اليمين لا بد أن تطالبه » لغو . وأما قوله : « أنت مطلقة » فصريح يقع به طلق رجعية . وحيث كان مسبوقاً بطلقة فلا يملك عليها بعد ذلك إلا طلقة واحدة .

يوسف المرصفي مصطفى الشرييني

وردد ايضاً

رجل كان بقر في كتاب من كتب الفقه يحضرة زوجته هذه العبارة « والمعتدة قسماً متوفى عنها وغير متوفى عنها » فسألت زوجته بقولها : ما المراد بغير متوفى عنها ؟ فقال لها : « يعني المعتدة عن طلاق مثلك » ولم يقصد بقوله مثلك طلاقها وإنما قصد

أن يمزح معها . فهل لفظة « مثلك » في هذا المقام تعتبر صريحة في الطلاق فلا تحتاج إلى نية لإيقاع ، وعلى ذلك يكون قد وقع عليه الطلاق ، أم تعتبر كناية فتحتاج إلى نية لإيقاع ؟
أحمد القراء

الجواب

من كنيات الطلاق في مذهب الشافعي قول الرجل لزوجته : « اعتدي أو استبرئي رحلك » لاحتماله الطلاق وغيره .

وعليه فقول السائل لزوجته جواباً لسؤالها له عن غير المتوفى عنها : « هي الفتنة عن طلاق مثلك » كناية صلا لا صريح . وحيث كان قاصداً المزاح معها ولم يقصد لإيقاع فلا يقع به طلاق . وأما لفظ « مثلك » وحده فلا يصح بصريح ولا كناية .

يوسف الرصني مصطفى الشرييني
الشافعي الشافعي

الصلاة والصوم لسكان القطيين

وجاء أيضاً :

إذا كان في سكان القطيين التي فيها الليل ستة أشهر والنهار ستة أشهر من يعتنق الإسلام ، فكيف يؤديون الصلوات الخمس ، وكذا فريضة الصوم ؟

أحمد العارف قناوي

المدرس بمدرسة بخانس الاثرامية

الجواب

مذهب الشافعي في البلاد التي يستمر فيها لليل ستة أشهر والنهار ستة أشهر ، أن أهلها تجب عليهم الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج ، ويقدرزون أوقاتها بأقرب البلاد إليهم من البلاد التي فيها ليل ونهار .

والأصل في ذلك ما روى مسلم عن الثوري بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله

عليه وسلم للرجال ولبنه في الأرض أربعين يوما . يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا فذلك اليوم الذي كسنة يكفينا فيه صلاة يوم ، قال « لا ، أقدر والله قدره » . ولا شك أن الأيام في تلك البلاد كأيام الرجال فيجرى عليها حكمها .

يوسف المرصفي مصطفى الشريفي
القاضي القاضي

زكاة الذهب والفضة

ويرد السؤال الآتي :

لدى نصاب أحد النقدين ، وقبل حلول الحول بشهر أجريت بيع جزء من الغلال المخرج عنها الزكاة في حينها وضممت ثمنه إلى ما عندي من النقود ، وقد آن وقت إخراج زكاة المال في النصاب الذي حال عليه الحول ، فهل أخرج زكاة عن النصاب الأصلي الذي حال عليه الحول ، أم أخرج عن الجميع ، مع العلم بأن ما أضيف جديدا لم يمس عليه أكثر من شهر فقط ؟
عبد القادر عبد الرحمن مكاوي
بمدرسة الفرق الأولى

الجواب

تجب الزكاة في الذهب والفضة إذا بلغ كل منهما نصابا ، وتجب فيما زاد على النصاب ولو يسيرا ، بحسبه ، بشرط الحول .

وعليه فمن كان مالكا لنصاب أحد النقدين ثم باع جزءا من الغلال أو غيرها ، ضم الثمن إلى ما عنده من النصاب إن كان من جنسه ، ذهباً أو فضة ، وتجب فيه الزكاة بحسابه ولو كان أقل من نصاب ، لضمه إلى النصاب الذي في ملكه من قبل ، لكن لا يجب إخراج زكاة عن الغلال ، لا بعد أن يحول عليه حول من وقت دخوله في ملكه ، لا بحلول النصاب الأول . وإخراج الزكاة عن الغلال وقت حصادها لا يمنع تعلق الزكاة بأثمانها إذا بيعت ، لأنها صارت جنساً آخر ؟

يوسف المرصفي مصطفى الشريفي
القاضي القاضي

في الميراث

وورد الى إدارة المجلة السؤال الآتي :

توفيت امرأة عن زوج وبنين من ذلك الزوج وأخت شقيقة وعمين شقيقين .
أملئ الإجابة .
عبد حميد إدريس

الجواب

السؤال من اثني عشر : للزوج الربع ثلاثة ، وللبنين الثلثان : ثمانية ، وللأخت الشقيقة الباقي تمصيبا ، لأنها عصبية مع البنت ؛ ولا شيء للأعمام .

يوسف الموصفي
العائفي

حكم صلاة الجمعة في البيوت

وفي المساجد المتعددة

وجاء إدارة المجلة سؤال يقول فيه مرسله :

يوجد ببلدتنا أسرتان لهما مسجد واحد تقام فيه صلاة الجمعة ، وقد حصل بين الأسرتين شقاق أدى الى منع إحداها من أداء فريضة الجمعة في المسجد المذكور .
فأدت الأسرة الممنوعة فريضة الجمعة في ديوان لهم جعل للضيوف ، وانفقت كلهم على أن يؤدوا دائما فريضة الجمعة في هذا المكان . فهل صلاتهم صحيحة أم باطلة ؟

محمد الميثي عيسى
الرئيس بالأقصر

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .
وبعد : فن شروط صحة الجمعة في مذهب مالك رضي الله عنه المسجد ، فلا تصح عنده

إقامتها في البيوت ولا في الفضاء ؛ ولا تقام في البلد الواحد إلا في مسجد واحد فلو تعددت المساجد لم تصح إلا فيها أقيمت فيه أولا وهو المسمى بالعتيق عند المالكية . وقد أجزأ إقامتها في مسجد آخر مع العتيق لأسباب مبسوطة في كتب المذهب ، منها خوف حدوث فتنة بين طائفتين من أهل البلد لو اجتمعوا في المسجد العتيق ، فإذا يجوز لكل طائفة أن تصل في مسجد على حدة ، وتصح الجمعة في المسجدين مادامت العداوة قائمة .

والخلاصة أن لأسرة التي منعت من إقامة الجمعة في مسجد البلد (في صورة الاستفتاء) إذ أمكنهم رد العائلة المانعة بطريق الحاكم أو بأية طريقة ودية بحيث تكون الفتنة مأمونة ، وجب عليهم سلوك هذا الطريق وصلوا معهم الجمعة . فإن عجزوا ففي المسألة تفصيل : حاصله أنهم إذ قدروا على إنشاء مسجد آخر بالبلد وجب عليهم إنشاؤه وسقط عنهم الجمعة حتى يتموا . فإن عجزوا عن ذلك أيضا سقطت عنهم الجمعة بنانا ، لأن من شروط وجوبها القدرة على المسجد .

هذا وقد علم مما قدمناه أن جمعهم التي أدوها في محل الضيوف باطلة ؛ ويجب عليهم قضاؤها ظهرا ، وألا يعودوا إلى صلاتها فيه مرة أخرى ، لأن الإقدام على العبادة الباطلة لا يجوز شرعا . والله يتولى هدى الجميع عنه وكرمه . يوسف الرمزي
من هيئة كبار العلماء

استكمال العرف

كتب أبو تمام الطائر إلى أحمد بن أبي داود قاضي القضاة في زمن المعتصم :

علم وأنت المرء خير معلم	وأفهم جعلت فداك غير مفهم
إن اصطناع العرف ما لم توله	مستكلا كالنوب ما لم يعلم
والشكر ما لم يستر بصليعة	كالخط قرأه وليس يجمع
ويفتنى في القول إكثار وقد	أسرحت في كرم الأعمال فالجم

فتح المسلمين لاسبانيا

الفرق بين المسلمين وغيرهم في استثمار الممالك

جمع مؤرخو الفرنجة على أن أوروبا فيما بين القرن الرابع والقرن الخامس عشر للميلاد كانت قد وقعت في حالة من الجهالة كادت تقلها إلى بربرية مطفئة ، فإن العلوم التي أثمرتها الجهود اليونانية وورثها عنها الرومانيون فقاموا بحرقها بضعة قرون ، آل أمرها في القرون الوسطى المذكورة آفقا إلى الدبول ، ولولا أنها كانت مدونة في الأسفار ومودعة في الخزائن ، لول رسمه من لوحة الوجود . فعاش الناس طوال ذلك العهد في غيبة من الجهل ما كان يتخيل أشد الناظرين تفاؤلا أنها تنجاب عنهم في يوم من الأيام ، وإن تخيلوا ذلك فما كانوا ليتوقعوا أن النور يأتهم من قبل أمة ليس بينها وبينهم أدنى صلة ، وهي لأمة العربية .

فلما قامت للإسلام دولة في القرن السابع الميلاد ، وشرعت هذه الدولة في أداء ما عهد إليها من إعلاء كلمة الله في الأرض ، بدأت بما جاورها من سورية ومصر ولعرق العربي والعجمي وآسيا الصغرى والتركستان وما وراء النهر إلى حدود الصين . فلما تم لها فتح هذه الأبواب العالمية في وجه الدعوة الإسلامية ، ونبعث منها نور الإسلام إلى هذه الأقطار القصية ، بقى باب واحد إلى قارة كانت من أنجب قارات الأرض وهي أوروبا ، وهي وإن كانت قد انتهت إلى حالة يرثى لها من القهولة العقلية كما قدمنا ، إلا أنه كان في خزانها من علوم الأوائل ما ليس في غيرها مما تقضى حاجة العالم باستخراج دقائمه ، ولا تنفاد بكنوزه . وقد تجلست سمو مبادئ الإسلام العلمية بعد الاستيلاء على تلك المدهورات العقلية تجليا باهرا ، فلما بعد أن استخرجها من خزائنها أخذت في ترجمتها والإكباب على تدريسها ، فزادت في مادتها ، وضمت إليها ما هديت

اليه باجتهادها، وكان ذلك كله بمثابة التراث العلمي العالمي من الموات الذي كان فيه، وبث حياة جديدة اليه أمدها الاسلام بروح منه، فأعادت للانسانية أنوار ثقافتها العقلية، وروفق حياتها الدنية.

أجمع مؤرخو الفرنجة على أن علوم العرب رفنوتهم التي كانت سببا في قيام المدنية الحاضرة دخلت الى أوروبا من ناحيتين: من ناحية إسبانيا، ومن ناحية إيطاليا. فلنذكر تاريخ فتح العرب لاسبانيا، ثم نعقبه بفتحهم في جنوب إيطاليا وجميع جزر البحر الأبيض المتوسط، فنقول:

فتح المسلمين لاسبانيا في القرن الاول للهجرة:

أمر أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان عامله على شمال أفريقيا موسى ابن نصير أن يفتح مملكة إسبانيا، وهي التي يسميها العرب بالأندلس، سنة ٩٣ هجرية، فكلف موسى مولاة طارق بن زياد أن يجتاز إليها البحر على رأس اثني عشر ألفا من المقاتلة، فسار بهم على السفن حتى وصل الى مضيق جبل سمى باسمه، فاستقبله الكونت جوليان بالترحاب، وكان له ممتلكات واسعة في تلك الجهات، وكان يعمل على ملك إسبانيا رودريك حفيدا عظيما، وسلم اليه قلعة لجبل الأخضر بدون قتال. فلما بلغ الملك رودريك ذلك استشاط غضب وزحف بنفسه على جيش المسلمين في مئة ألف مقاتل. أما طارق بن زياد فتأهب لملاقاة عدوه، ولأجل أن يحمل جيشه على الاستبسال أحرق السفن التي أقلتهم الى تلك السواحل قاتلا جنوده. العدو أمامكم والبحر وراءكم فاختاروا لأنفسكم، حدى الهاتين فلما وافاهم الملك رودريك بجنوده صمدوا على أن يقاتلوا حتى يفوزوا أو يموتوا، لأنهم كانوا قد فقدوا الأمل في اللجأ الى سفنهم. فدارت رحى المعركة في سهل غواداليط سبعة أيام متوالية صبر فيها المسلمون صبر الكرام، وأبوا أشد البلاء حتى آتاهم الله النصر، فاخترقوا جيش العدو، وانضم اليهم (إيلس) أسقف أشبيلية، وكان من حزب الكونت جوليان، ومن الواجدن على سياسة رودريك،

فلم يسع الاسبانيون غير الحرب ، وحمل الفيظ قائداً على أن يبقى بنفسه في نهر الوادي الكبير ، ففرق ، واستولى العرب على أسلاب ذلك الجيش ، ولم يتوان طارق طرفه عين في استغلال هذا النصر ، فأرسل كنيائيه تدرى للاستيلاء على أمهات المدن ، فاستولى قواده على غرطلة وقرطبة وويرة وملقة وأستجة ، وسار هو بنفسه على عجل إلى طليطلة ، وبلغت أخباره موسى بن نصير ، وربما خشي أن يتشتت جيشه الصغير في البلاد فيعطف عليه العدو فيبيده ، فكتب إليه يأمره بالوقوف حتى يلحق به ، فرأى طارق بشاقب نظره أنه لو أطاع رئيسه اضاعت من يده الفرصة السانحة ، إذ يسارع الاسبانيون إلى انتخاب ملك جديد فيبث فيهم أملاً يمحاهم على التائب عليه ، فرأى الصالحة في عصيان هذا الأمر ، فسار حتى بلغ إلى طليطلة ودخلها بلا قتال ، وترك بها حامية ، وتابع سيره إلى الشمال ، فنقضت له جميع البلاد التي حلفها وراءه .

ولما وافته مولاه موسى بن نصير بجيش جديد فتح به مدينتي كرمونة وأشبيلية ، وانتهى إلى مريدة فحاصرها ، وكان بها فرسان من قبيلة الونيزفوط الذين كانوا متغلبين على إسبانيا ، فلم يقو موسى على فتحها إلا بعد أن وصل إليه مدد من ابنه عبد العزيز يقدر بسبعة آلاف مقاتل . فلما تم له تدميرها سار به عبد العزيز المذكور إلى مرسية وضرب الجزيرة على الأمير تيودومير الفوطي الذي كان مستقلاً بالأمارة فيها . وساروا إلى طليطلة ، بينما كان طارق بن زياد ينساح بجيوشه في إقليمي أستريمادور ولوزيتانيا . فلما قابله الأمير عبد العزيز بن موسى ضربه بالدرة جزاء له على عصيانه أمر والده في الوفوف عند حد ما وصل إليه ، ثم أمر بتجريده من رتبته في القيادة وسجنه . فلما بلغ أمير المؤمنين الوليد ما وقع على طارق من لاهاته ، أمر بإطلاق سراحه وإعادته للقيادة كما كان ، فكان ذلك ترضية له على حسن بلائه وإخلاصه في أداء مهمته .

لما وقف أمر هذا التنازع عند هذا الحد عاودت الجيوش الإسلامية إتمام فتح إسبانيا ، فاستولى موسى بن نصير على أقاليم أستورية ، واستولى طارق على البلاد التي

خلف نهر إبرة . ثم تماون الاثنان على فتح سراقطه بسبب قوة حاميتها وحصانة معاقها . قتم لها بذلك فتح شبه جزيرة إسبانيا الى حبال البرانس .

ماذا كانت عليه إسبانيا قبل فتح المسلمين ؟

تغلبت إسبانيا في أواخر شتى من الحكم ، وتغلبت عليها جماعات مختلفة ككل أمة في مثل مكانها ، فتدع كل هذا وسكتنى بما كانت عليه على عهد الفتح الاسلامى . ونرى أن تنقل ذلك عن مؤرخ أجنبي ليكون أبلغ في دلالته على عظم الانقلاب الذى أحدثه الاسلام فيها في سنين معدودة ، حتى صارت مشرق النور على أوروبا في تلك القياهب الخالكة :

قال المؤرخ الفرنسى الكبير (سديو) Sedeillot في كتابه (خلاصة تاريخ العرب) ما تعريه :

« غلب على شبه جزيرة إسبانيا قبل الهجرة المحمدية بمائتين واثنين وعشرين سنة قبيلة تعرف بالويريغوث Visigoths كان ملكهم يمتد الى طنجة وسبتة من مراكش ؛ وكانوا قد هزموا موسى بن نصير حين حاصر سبتة سنة (٦٤) للهجرة ، كما هزمه ثانية فيها الملك وزيتا الويريغوثى سنة (٩١) حين دهمها مرة أخرى ؛ وكانت مملكة إسبانيا كثيرة الرجال واسعة الأقاليم ، ولكن الحكومة فيها كانت مختلة ، والأمة كانت تتألف من جماعات متمادية ؛ وكانوا واقعين جميعا تحت سلطان القسوس ، فكانوا يتقاضون منهم إتاوات باهظة ؛ وكانت الشرعة التى يحكمون بها مزيجاً من القانون الرومانى وعوائد القبائل الجرمانية ، فكانت الأمة فى حالة من التأخر بحيث لا نستطيع إمداد للملكة بمقوماتها ، وكان الرعايا مستعبدين لمهتهم الزراعية ، وهى حالة تنزع من قلوبهم الوطنية والشعب ؛ وكان اضطهاد اليهود بالناس أشده مما ملأ قلوبهم بالأحقاد والسخائم على حكومة البلاد ، الخ .

الى اى ملك آلت اسبانيا تحت حكم المسلمين ؟

تلك كانت حال إسبانيا قبل أن يحتلها المسلمون فإن شئت أن تعرف ما آلت اليه حالتها بعد أن احتلها المسلمون فأليك ذلك منفولا عن الأستاذ سديو المذكور آنفا من كتابه (خلاصة تاريخ العرب) قال ما ملخصه :

« كان عرب إسبانيا متفوقين على الفرنج في العلوم والصنائع والأخلاق الكريمة ، مما حبيب لملوك قسطنطينة ونوره أن يقدموا الى قرطبة لاستشارة أطبائها الذين كانوا معروفين بتضلعيهم في هذه الصناعة .

« وكان هؤلاء العرب حيث وجدوا يبجلون الشيوخ ويتنافسون في إقامة معالم العدل وينغارون على مراعاة تطبيقه ، ويدينون بالمساواة العامة لامتياز لغبتهم على فقيرهم ، فلا يمنع فقر أحدهم أن يبلغ الى أرق المراتب مادامت تؤهله لخاصاته الخاصة ، لا يعملون في إنزال الناس منازلهم من الكرامة على أحسابهم وأنسابهم ، ولكن على مميزاتهم العقلية وفضائلهم النفسية ، لأنهم كانوا يرسمون خطوات القرآن الذي يحضهم على اكتساب الفضائل والتوسع في الاعتماد الصالحة ، وكان خلفاؤهم يحثونهم على العمل المنتج وعدم العدوان على الناس .

« والذي ساعد هؤلاء العرب على بلوغهم أبعد شأو من العظمة اتساع دائرة العلوم والفنون لديهم ، وانتشار المعارف الفلاحية والصناعية فيهم ، لهذا ذاق جميعهم لذة العلم ، وتنافسوا في ابتكار ما يتمايزون به من الأعمال النافعة .

« وكان من شروط القيام بمهمة القضاء فيهم أن يكون للقضاة حاصلين على معارف واسعة ؛ وكانوا يكتبون على كل بناء سم المهندس الذي شيده واسم الأسر بإقامته ، وقد عرف عنهم أنهم بلغوا رقىا عظيما في فنون العمارة ؛ وكانوا يجزلون الثناء على كل ماهر في صناعته ، ويشيدون بذكره تنشيطا لغيره ، وقد غنتي الفرنج أثرهم في أساليب أبنيتهم وزخرفتها .

« وقد علم العرب في مدارسهم علوم الفلك والجغرافيا والمنطق والطب والنحو والهندسة والجبر والطبيعة والكيمياء الطبية والتاريخ الطبيعي ، وهو علم الموالبد الأرضية الثلاثة ، وحضروا الى مكتباتهم كتباً نقلوها الى لغتهم من علوم قدماء اليونانيين وفلاسفة الاسكندرية ، حتى إن (جوبرت) الذي تولى البابوية في آخر القرن العاشر كان قد أخذ بمض العلوم عن العرب فأطهرها لمعاصريه فأخذهم منها العجب واتهموه بالسحر من أجلها »

ارتفاع الفنون والصنائع في اسبانيا تحت حكم المسلمين :

يقول المؤرخ المذكور في هذا الصدد :

« وأما من ناحية الصنائع والفنون فإن عرب اسبانيا أخذوا ما عثروا عليه مما كان عند الرومانيين ، والفنيقيين فأمكنهم بواسطتها استخراج المعادن لقابلة للطرق ، ومعدن الزئبق ، ولم يقلوا حتى استخراج الياقوت من معادنه بقرب مدينتي ملقا وبجاديكا ميريس وغاصوا في البحر فاستخرجوا منه المرجان واللؤلؤ ، وأتقنوا صناعة الدباغة ونسج القطن والكتان والتيل ، وبلغوا أقصى الغاية في صناعة الأقمشة الحريرية والصوف . وكانت صناعتهم في عمل السيوف ونصال بقية الأسلحة مضرب لأمثال في كل مكان . فاشتهرت مدن إلتان هذه الصناعات ، فكان لا يعلى على سلاح طيطة ، ولا ينافس حرير غرناطة ، ولا تراحم السروج والجلود الواردة من قرطبة ، ولا تجارى الأقمشة الصوفية التي كانت تصنع في قونية كما اشتهرت والنسج في صادرها من الأفاوية والسكر . واشتغل العرب غير ذلك باستخراج الزئبق ودودة الصبغة والعبير الخام والبلور للمعدن وهو البلور المستخرج من الصخور ، والكبريت . ويظن أنهم استعملوا التحاويل في تجارتهم ، وهي التي تسمى الآن بالكيبالات .

« ومما يؤثر عن عرب اسبانيا أنهم عنوا أشد لعناية بالفلاحة ، فبلغت الى درجة رفيعة جداً ، وأبدعوا في الري أيما إبداع ، وبدل عليه ما فعلوه في سهل (هوسطام) الذي يقسمه نهر (طونة) الى قسمين ، فإنهم وقفوا تيار هذا النهر على بعد نحو فرسخين

من مصيبه بواسطة سد، ثم اشتقوا منه سبعة جداول : ثلاثة في ناحية، وأربعة في الناحية الأخرى ؛ وجعلوا يفتحون كل فرع منها في يوم من أيام الأسبوع بحيث يرتفع الماء فيه الى المستوى المطلوب ، ليرروا ما يريدون ريه من الأراضي العالية . ثم عمدوا الى كل جدول من هذه الجداول اسبعة فاشتقوا منه جداول ثانوية يفتح كل منها في ساعة معينة بعد حصول الارتفاع في الجدول الرئيسى ، فاصدين بذلك أن يصل الماء الى أصغر مربع من الأرض . فكان كل جدول بفروعه الثانوية يشبه مروحة تنجبه جداولها الى كل اتجاه . ولعدم انحدار سطح ذلك السهل انحدارا هندسيا تدريجيا جعلوا له مساق صغيرة وقناطر متصلا بها بحار لمياه توزع على المزارع . ثم صنعوا لما لا يمكن سقيه بهذه الوسائل كلها سواقي حفظوا المياه الضرورية لها في حياض تستمد منها عند الحاجة . وجملة القول أنهم أبدعوا في هندسة الري بهذا السهل إبداعا استحق معه أن يلقب بستان إسبانيا .

« وقد توصل العرب بفنونهم الزراعية المتقنة الى استغلال الأرض ثلاث مرات في السنة ؛ وأدخلوا الى إسبانيا زراعة الأرز والقطن والثلث وقصب السكر والنخل والفسنق والموز ودوحة السكاميلياء الحمراء والبيضاء وأزهارا وبقولا لا تخصى ثقات كلها فيما بعد الى جميع البلاد الأوروبية . »

ارتفاع العمران في إسبانيا تحت حكم المسلمين :

يقول المؤرخ المذكور أيضا في هذا الموطن :

« أما من الناحية العمرانية فكان في الجزء الذي يملكه المسلمون من إسبانيا ست عواصم ، وثمانون مدينة كبيرة ، وثلاثمائة مدينة متوسطة ، وما لا يحصى من القرى والكفور والضيايع .

« أما المبانى فكان في قرطبة وحدها ٢٠٠٠٠٠ بيت و ٦٠٠ مسجد و ٥٠ مستشفى و ٨٠ كلية و ٩٠٠ حمام وكان يسكنها مليون نسمة . وبالمقابلة تعلم أنها اليوم ليست على

ما كانت عليه أيام المسلمين ، ولا محل للاستعراب فإن الخلفاء تنافسوا في عمراتها وزخرفتها مما كانوا ينفقونه عليها من الأموال . ومع هذا فلا يزال محل الدهش من كثرة ما بذله العرب من الأموال على مبانيهم في إسبانيا ، فإن مسجد قرطبة الباقي للآن يضاهي في الفخامة المسجد الأموي بدمشق طوله ٦٠٠ قدم وعرضه ٢٥٠ قدما ، وفي عرضه لأبمن ٣٨ صخا ، وفي لأيسر ٢٩ صخنا وفيه ١٠٩٣ عمودا من الرمرمر ، وفيه من جهة الجنوب ١٩ بابا مبطنة بصفايح من نحاس التوج ، وهو النحاس الذي تصنع منه المدافع ، وأوسطها مرمع بصفايح الذهب ، وبأعلاه ثلاث أكر مذهبة فوقها رمانة من المسجد ، وله ٤٧٠٠ قنديل ، أحدهما من الذهب الخالص وهو الموضوع في اعتراب . وكان يصرف على هذا المسجد في كل عام ٢٤٠٠٠ رطل من لزيت و ١٢٠٠ رطلا من العنبر والعود والقاقح . وكانت هذه المدينة نضاء بالمصابيح الى الصباح ، وكانت شوارعها تطيب بروائح الزهور ، وكانت في متزهاتها وميادينها العامة حوقات موسيقية تطرب الجمهور بأنعامها .

« أما مدينة زهرة التي كانت قائمة على بعد فراعح قليلة من قرطبة فقد اشتهرت بقصر الخليفة عبد الرحمن الثالث على شاطئ نهر الوادي الكبير ، فقد كانت قباب هذا القصر مرفوعة على ٤٣٠٠ عمود من الرخام المحلى بأبداع النقوش ، وكانت أرضه مبلطة بالرخام المختلف الألوان على شكل يستوقف لأنظار ، وكانت حوائطه مبطنة بالرخام أيضا على تلك الصورة ، وسقفه متقوשה باللازورد والذهب الخالص ، وكانت في غرفه فساق مياه عذبة تنصب في أحوض من الرخام الناصع البياض والبشم المتنوع الأشكال ، وكان يشاهد في قاعة جلوس خليفة فسقية يخرج من وسطها صورة بجعة من ذهب معلقة فوق رأسها لؤلؤة عظيمة ، وكانت تلك البجعة من صنع مدينة القسطنطينية ، وأما اللؤلؤة فكان قد أهداها الى خليفة الملك ليون أحد ملوك شمال إسبانيا ، وكانت حول القصر بساتين واسعة في وسطها قصر منفرد ليستريح فيه الخليفة

بمد وجوعه من القنص ؛ وكان هذا القصر الأخير مبنيا على أعمدة من الرخام ذوات
تيجان محلاة بالذهب . وكانت تنبع في وسطه عين ماء في صفه البلور وتصب من ثم
النافورة على هيئة سنبلة القمح في إباء مستدير مصنوع من العفريرى .

« ومع كل هذا لم يستنفد خلفاء إسبانيا جميع أموال الدولة في زخرفة المدن والقصور ،
بل أنفق بعضها أيضا في عمارات نافعة ؛ فقد بنى الخليفة الحاكم قناطر وفتح طرقا أنشأ
فيها محطات للسائحين ؛ وبنى في قرطبة مسجدا . وبالتأمل فيما أسلفناه يعلم أن عرب
إسبانيا كانوا في مقدمة الأمم في القرن الحادى عشر بعد الميلاد ، بل كانوا يفوقون
في مدنيهم جميع أم أوروبا على الإطلاق ، انتهى .

هذا ما نقلناه عن الأستاذ (سديو) العالم المؤرخ الفرنسى .

وبذلك فقد آتينا من يربد المقارنة بين حالى إسبانيا تحت حكومتها الذاتية وحكومة
الاسلام بمواد تستضع الاعتماد عليها لينه حكم صحيح على سمو الروح الاسلامية في سياسة
لأهم والبلدان . ومن كنت تدب أن تتألف قبائل العرب لى أمة متعابة في سنين
معدودة ، فأعجب منه أن تنتدب هذه لأمة الفتية لتلى على الشعوب أصول الحكمة
الالهية مقترنة بمدنية فاضلة تتخذ مثالا أعلى لكل مدنية تقوم بعدها في لأرض ما

محمد قريو ومري

فضل الافادة والاستفادة

دخل رجل على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فكان لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده
علما . فقال له : أتى بك هذا ؟

فقال الرجل : لم أمتع قط يا أمير المؤمنين علما أفيدته ، ولم أحتقر علما أستفيده ، وكنت
إذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته .

وقال عبد الله بن المبارك يصف عالما :

صوت إذا ما العست زين أهله وقتاق أبكار الكلام الختم
وعى ما وهى القرآن من كل حكمة وسيطت له الآداب بالبحم والدم

تاريخ العلوم المدنية في الادب العربي^(١)

ذكرنا في مقالنا السابق عن مآثر العرب في العلوم المدنية ما كان من أمر نشأة العلوم الفلسفية والرياضية وتطورها في أول عصور الأدب العربي وأثر ذلك في نهضة العلوم في الشرق والعرب .

بهيت الفلسفة كسائر العلوم المدنية بعد ذلك رمنا طويلاً محل اضطهاد بعض علماء الاسلام السنيين بالرغم من الجهود لجسارة التي بذلها أنصارها ومحبذوها ، لجمعها من العلوم المتدولة التي في متناول أفراد الشعب ، ونشرها بينهم ، ووضعها في مصاف العلوم العربية الأخرى ، ولم يستقر لها وجود إلا بفضل رعاية بعض الأسماء وحميتهم للتأمين بأمرها من العلماء المسلمين وغيرهم . وهكذا كانت الحال أيضاً في ممالك الاسلام بالفرس وبالأندلس ، نفع علمها ورتفع شأنها على رؤس أشهر كتّاب الأدب العربي في هذا العصر على وجه الإصلاق ، فكان لهم أبعد أثر في اتجاه الثقافة الفكرية في أوروبا حيث انتشرت فيها التعاليم الفلسفية لأرسطو وغيره من علماء وفلاسفة الإغريق بفضل التراجم التي ظهرت على أيدي العرب في هذا العصر وما تقدمه .

وأشهر المؤلفين المعروفين في هذا المضمار بين علماء الاسلام المبرزين في هذا التاريخ هو بلا شك أبو الحسن بن سينا ، ولد بالقرب من مدينة بخارى عام ٣٧٨ هـ وقضى حياته في خدمة الأسرات الفارسية المملوكة ، فدخل بلاط نوح بن منصور الساماني وهو في السابعة عشرة من عمره بعد أن تم على يديه شفاؤه ، وفقد أباه بعد ذلك بخمس سنوات ، فبدأ رحلته وأقام طويلاً في « جرجان » وبها وضع أشهر مؤلفاته « القانون

(١) مترجمة من الألمانية نقلت عن كتاب « تاريخ الادب العربي » المستشرق الألماني الكبير الأستاذ الدكتور « بروكلمان » .

في الطب ، وتخرج عليه كثير من طلبة العلم ، ثم عين وزيرا لشمس الدولة في هذان ، واضطهده خلفه وأمر بحبسه ، ففر هاربا الى غريمه علاء الدولة في أصفهان ، وتوفي أثناء حملة أرسلت الى همدان عام ٤٢٨ هـ ، وكانت موهبته العبقريّة متعددة النواحي ، فكتب في الفلسفة رسائل كثيرة ، أهمها مؤلفاته في المنطق والطبيعة وفها وراء الطبيعة (العلل الأولية) ، وأهم في أول نشأته بعلوم الفلك ، فتعرف بموطنه البيروني وتعاونوا في العمل على تصدق هذا الفن ، ووضع فيه رسائل هامة ، ونفع لما جسطى الذي وضعه بطليموس ، ولكن شهرته بلغت أوجها في عام الطب ، فكان كتابه في الطب هو أكبر حجة في العالم الاسلامي مدى قرون طويلة ، ولا يزال حتى الآن مرجعا عالميا خصوصا في بلاد الفرس ، وترجم هذا الكتاب منذ زمن بعيد الى اللغة اللاتينية ، فكان أهم المراجع في علم الطب في المصور الوسطى في جميع أنحاء القارة الأوروبية .

لم تقتصر مواهب ابن سينا على التأليف في العلوم البحتة ، بل تعددت الى نواح مختلفة كما أسلفنا ، فظهر تفوقه في نظم الشعر ، وله مقطوعات رائعة بكتلتا اللغتين العربية والفارسية .

ازدهرت الفلسفة في هذا العصر ازدهارا منقطع النظير على أيدي علماء العرب في بلاد الأندلس ، فظهر من مؤلفيهم عدد وافر بذوا إخوانهم في اللغة والدين في بلاد الشرق ، وقد يكون السبب الأول في ذلك تراحم أمراء الأندلس على تعزيد العلوم والآداب تراحمهم في المضمار السياسي .

وأقدم فلاسفة الأندلس المعروفين هو محمد بن باديه المولود في «سرقوسة» وأقام في بدء القرن السادس من الهجرة بمدينة إشبيلية ، ثم انتقل منها الى بلاط المرابطين بمدينة فاس حيث مات مسموما بإيعاز من الطبيب المشهور أبي العلاء بن زهر في عام ٥٢٣ هـ . وله مؤلفات قيمة في الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية ، كما اشتهر كذلك في نظم الشعر .

وفي أثناء حكم الرابطين اشتهر محمد بن طفيل وذاع صيته ، وكان في أول الأمر يشغل منصب كاتب السر لحاكم غرناطة الى أن عين طبيباً خاصاً لأبي يعقوب يوسف ، وتوفي في حاشيته بمراكش سنة ٥٨٩ هـ . وأشهر مؤلفاته روايته التي أسماها « حي بن يقظان » وفيها يفسر نشأة الفريجة البشرية تدريجياً في طفل ولد بمجزرة نائية وتركها في عزلة تامة .

وأشهر فلاسفة الأندلس في هذا العصر هو بلا شك محمد بن رشد ، ولد بقرطبة عام ٥٢٠ هـ ، وبدأ حياته الدراسية بها . وفي سنة ٥٤٨ هـ أدخله محمد بن طفيل في بلاط حكام مراكش الذين عهدوا اليه بوضع أنظمة جديدة للتعليم العام . وفي سنة ٥٦٥ هـ عين قاضياً لمدينة إشبيلية ، ولكنه ما لبث أن ترك هذا المنصب مؤثراً العودة الى موطنه ومسقط رأسه بقرطبة . ولم يستقر به للمقام طويلاً حتى استدعاه أبو يعقوب يوسف الى مراكش وجعله طبيباً خاصاً له ، ثم عين قاضياً لمدينة قرطبة الى أن ولى الحكم يعقوب بن يوسف ، فأمر بنفيه بسبب آرائه الفلسفية التي رمت بالاحاد والزندقة ، ولكنه أفرج عنه بعد ذلك واستدعاه الى مراكش حيث وافته المنية في ٩ صفر سنة ٥٩٥ هـ . وأهم أعماله إحياء دراسات أرسطو ، ونشر ما وضع لها من تراجم قديمة مع تعليقات عليها وتفسير قيمة لها ، ولقد عرفت أوروبا المسيحية كيف تنفع من علم هذا الفيلسوف الكبير أكثر من انتفاع أهله ومواطنيه ، كما كانت الحال في أغلب علماء وفلاسفة هذا العصر الذين اليهم يرجع الفضل في إحياء العلوم ، ووضع أسس النهضة الفكرية التي ظهر أثرها بعد ذلك في جميع أنحاء القارة الأوروبية .

وآخر فلاسفة الاسلام في بلاد الأندلس هو عبد الحق بن سبعين ، وهو سليل أسرة غوطية ولد بمدينة « مورسيا » بإسبانيا ، وكانت تغلب على دراساته ومؤلفاته الفلسفية آثار العلوم الباطنية الخفية التي بلغ اهتمامه بها أن أسس طريقة خاصة . وفي أثناء إقامته بمدينة « سبتة » طلب اليه عبد الواحد زعيم الموحدين أن يتولى الرد على

بعض الأسئلة الفلسفية التي وضعها الإمبراطور فريديريك الصقلي ووجهها إلى علماء بلاده ، فبذل جهود كبيراً في وضع الرد معلقاً عليه بمعلومات قيمة في تاريخ الفلسفة ، فجاءت إجابته وافية ، وأحرزت إعجاباً عاماً واستحساناً كبيراً . وأخيراً رحل إلى الشرق واهتم بأبحاثه في العلوم الباطنية الخفية ، وكان كلما تعمق في دراساته رادت هواجسه وعدم اطمئنانه ، إلى أن توفي منتحراً بمكة المكرمة عام ٦٦٨ هـ .

ومن علماء هذا العصر المبرزين العالم المصري جمال الدين محمد بن سالم ، وكان رسولا سياسياً لسلطان مصر « بيبرس » لدى بلاط « مانفريد » بن فريديريك الثاني وخليفته في ملك صقلية . وضع جمال الدين مؤلفاً قيماً في علم المنطق أسماه « الامبروريه » وأهداه إلى ملك البلاد ، ثم أعاد نشره بعنوان آخر بعد عودته إلى وطنه

ومنذ القرن السابع من الهجرة بدأت الدراسات الفلسفية تهمل ، فلم تقم لها لذاتها قائمة تذكر بعد ذلك العصر ، ولو أن علم المنطق الشكلي وجد من العلماء من يأخذ بناصره للاستعانة به في دراسة العلوم الدينية ، فظهر من العلماء أمثال علي السكاكبي المتوفى سنة ٦٧٥ هـ وله في علم المنطق مؤلف قيم ، ومحمد السمرقندي الذي وضع في فن الجدل ومناقشة مؤلفاً يقي متسيطراً على مدارس التعليم قروناً طويلة ، فكان الحاجة البالغة ، والمستند القوي ، وللرجع الأخير في هذا المضمون .

وأما العلوم الرياضية البحتة والتطبيقية ، فاهتم بها من علماء هذا العصر نفر غير قليل من علماء المسلمين ، وظهرت لهم فيها مواهب عالية ، وأنتجت قرايحهم في ضروبها المتعددة ما أثر خالداً . وأول من اهتم بدراساتها في أول القرن الخامس من الهجرة محمد بن الهيثم ، ويرجع أصله إلى مدينة البصرة ، وما لبث أن ذاع صيته حتى استدعاه الخليفة الفاطمي الحاكم إلى مصر لتنظيم فيضان النيل طبقاً لمشروع كان قد أعده لذلك ، ولكنه لم يستطع تنفيذه ، ثم سئدت إليه إحدى الوظائف الإدارية ، ولكنه لم يبق بها طويلاً لإثارة غضب الخليفة ضده ، واختفى زمناً طويلاً حتى توفي الخليفة عام ٤١١ هـ ، فدعيت إليه

أمواله للصادرة ، واشتغل بالأبحاث العلمية والتأليف بقية حياته ، وله مصنفات عديدة في تصنيف الآلات (علم الميخانكا) والفلك وعلم الضوء والعمسات .
 واشتهر كذلك في ميدان العلوم المدنية الشاعر الفارسي لحجيد عمر الخيام بأبحاثه في العلوم الرياضية ولطبيعية ، واشتغل بالعلوم الفلكية وهو في خدمة ملك شاه السلطان السجوقي ، وأدخل تعديلات هامة على التقويم الفارسي القديم لحساب السنين الشمسية ، ووضع مؤلفا قيما في علم الجبر ، وتوفي سنة ١٠٥٠ هـ .

وأشهر أعلام المؤلفين وعلماء هذا العصر على الإطلاق هو بلا جبال نصير لدين التوسي ، ولد بمدينة « توس » عام ٦٠٧ هـ وبدأ حياته العلمية في خدمة الأمير الاسماعيل ركن الدين في « قهستان » ثم لحق بهولاكو أمبراطور المغول سنة ٦٥٤ هـ حيث أكرم وفادته وأعلى من شأنه ورافقه في غزوانه وشيده صرصدا في « مراغه » ، وتوفي عام ٦٧٢ هـ بمدينة بغداد . ولقد كانت مؤلفاته تشمل مواضيع مختلفة عديدة ، وظهرت مواهبه في ضروب شتى من العلوم المدنية ولدينية . وأشهر مصنفاته وأوسعها ذيوما كتابه الذي وضعه في أصول العقائد ، وكتب في الفلسفة عدة رسائل باللغة العربية ، كما وضع مؤلفا في علم الأخلاق باللغة الفارسية ، وأهم كذلك بالرياضة والفلك ، فأخرج أهم المؤلفات القديمة بمد تعديلاتها وتنقيحها ، وهو أول من قام بدراسات واسعة في علم حساب المثلثات ، وإليه يرجع الفضل في وضع أسس ثابتة له على أنه علم مستقل قائم بذاته ، ووضع نظاما خاصا لعلاج ابن سلطان قازان ، وأخيرا اهتم بالتجسيم كبقاى علماء عصره ، فوضع كتابا فريدا في نوعه في قراءة للمستقبل على لرمال .

وأما العلوم الطبية فبقيت في أغلب الأحوال خلال هذا العصر مقصورة على علماء اليهود والمسيحيين ، الذين كانت جهودهم النظرية لم تخرج عما وضعه أبقراط وحالينوس . واكتفوا قاموا بأبحاث عملية كانت سببا في تقدم فن الطب تقدما محسوسا . وأول من اشتغل بدراسات الطب من علماء هذا العصر المعروفين هو المختار ابن بطالان ،

فاشتهر بمدينة بغداد في النصف الأول من القرن الخامس من الهجرة، ثم غادرها في رحلة علمية الى مصر لملاقاة ابن رضوان لمساجلة عمية قامت بينهما، ثم رحل من مصر الى القسطنطينية ومنها الى أنطاكية حيث توفي عام ٤٥٥ هـ.

واشتهرت أسرة ابن زهر في بلاد الأندلس، وحملت لواء الطب ثلاثة أجيال متعاقبة أولهم أبو العلاء بن زهر، وكان في خدمة المرابطين، وتوفي بأشبيلية عام ٥٢٥ هـ، وجاء بعده ابنه عبد الملك فبدأ حياته في خدمة المرابطين أيضاً ثم الموحدين، وتوفي كذلك بأشبيلية سنة ٥٥٧ هـ. ثم خلفه ابنه محمد وكان طبيباً خاصاً ليعقوب النصور، وتوفي بمراكش سنة ٥٩٥ هـ.

وأما الأطباء غير المسلمين فإن أشهر علمائهم في هذا العصر هو بلا شك الطبيب اليهودي موسى بن ميمون، ولو أنه أحرز شهرته العالمية عماله من الملك ترخانلدا على الديانة اليهودية، ولد موسى بن ميمون بقرطبة عام ٥٢٤ هـ وطلب العلم على ابن طفيل وابن رشد، ورحل الى مصر على أثر اضطهاد الأمير الموحد عبد المؤمن للمسيحيين واليهود، وأسس بها مدرسة لدراسة التلمود، واتخذ بعد ذلك صلاح الدين طبيباً خاصاً له، وظل حائراً نفعه في هذا المنصب الى أن وافته المنية عام ٦٠١ هـ.

ونشط العلماء كذلك في هذا العصر بدراسات علم النبات للاستعمانة به في الأبحاث الطبية، فاشتهر منهم عبد الله بن بيطار المولود بمدينة ملقا، وقام برحلات علمية الى مصر وآسيا الصغرى وبلاد الإغريق لدراسة طبيعة النباتات وخواصها، وأخيراً التحق بخدمة للملك الكامل بدمشق، فلما توفي الملك في عام ٦٣٥ هـ رحل الى القاهرة وأقام بها زمناً يسيراً، ثم عاد الى دمشق حيث وافته المنية عام ٦٤٦ هـ.

واهتم كذلك العرب بالعلوم الزراعية، فازدهرت بها بلاد الأندلس، وبلغت من التقدم درجة لم تعرفها البلاد من قبل، وأخصبت تربتها وزادت محاصيلها بفضل تكاتف العلم مع العمل، وأشهر علماء العرب في هذا المضمار من الناحية العلمية العملية يحيى بن العوام

الذى ذاع صيته وبلغت شهرته أوجها في النصف الأول من القرن السادس من الهجرة ، فوضع مؤلفا جليلا في هذا العلم نقل بعد ذلك الى اللغة اللاتينية ، فكان حجة بالغة في عصره ، ومرجع كبار علماء أوروبا سنين طويلة .

والحقائق للدراسات الزراعية وضع أحمد التينفاثي المتوفى سنة ٦٥١ هـ كتابا قيما في علم الأحيار جاء فيه بمعلومات وافية عن معادن الأرض وعناصرها ؛ واشتهر هذا الكاتب أيضا بمؤلفه في الحب والحياة التناسلية الذى نقل الى اللغة اللاتينية وذاع ذوقا واسعا .

وانتشرت كذلك في غضون هذا العصر مؤلفات عديدة في الشعر والشعرية والتفاؤل والتشاؤم ، حتى كادت تكون لها ناحية مستقلة في الأدب العربي ، الى أن وضع الكاتب الألمى عبد الرحيم الجورجى كتابا في التنبيه على أخطايل هذه المسالك لتحذير العامة والخاصة من الوقوع في حبال من تصدوا للدفاع عنها ونصبوا أنفسهم للإيقاع بالناس والتغريب بعقولهم .

مشكلة الاحاديث النبوية وبيانها

هذا كتاب وضعه الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الله بن علي النجدي القصيمي ، وقد كتب تحت اسمه . « يحتوى هذا الكتاب على الاحاديث النبوية التى استشكلتها العلوم الحديثة من طبية وجغرافية وفلكية وحسية الخ . وفيه بيانها بمس العلوم الحديثة . وسيجد القارئ في الكتاب مقالا حيا للدفاع عن نصوص الدين المقدس ، ومثالا حيا للنقد الفللسفى العصرى . » وقد وفى الأستاذ بما اشترط ، فأتى باحاديث في موضوعات شتى ، وتولى تفسير مؤداها والدفاع عنها والتوفيق بينها وبين العلوم الحديثة .

فنشكر لحفزة الأستاذ الفاضل غيرته على الدين ، وحموقه للزيادة عن بصره بأحسن ما يملك من بيان ، راجين له التوفيق والسداد .

حياة محمد

هذا مهم أول كتاب تناول الكلام في السيرة لمحمدية على الأسلوب المصري الحديث ، فكان لراضه الدكتور محمد حسين هيكل بك فضل التجديد في هذه الناحية من البحث الذي يمس الاسلام من مكان قريب .

أول ما يستوقف الناظر في هذا الكتاب جمال مظهره ، وحسن تبويبه ، ووفرة فهرساته ، بحيث يستطيع القارئ أن يقف على أى موضوع أو بلد أو قبيلة أو حادثة أو معركة في الحين الذي يطلبه فيه ، دون أن ينفق في ذلك وقتاً أو يتكلف بحثاً .

فاذا تصفح القارئ الكتاب رأى نفسه حيل بحوث مستفيضة تتجلى فيها ألمعية الدكتور هيكل تجلياً باهراً ، تضطره بسحر بيانها أن يقتنى أثرها في أدور هذا التاريخ الخافل بالعظام ، فتتم به على صفحات أملاها الإيمان الراسخ ، والمهم الثاقب ، والغوص البعيد الفور ، مما لا نبالغ إذا قلنا إن هذه الصفحات من حسنات هذا العصر في البيان والبحث العميق ، ولا شط إذا حكمنا بأنها من الطرائف التي كتب لها خلود .

ليس مؤدى هذا الإطراء أننا نوفق المؤلف على كل الآراء التي بسطها في مقدمة كتابه ، كتعليقه أسباب الخصومة بين المسيحيين والمسلمين ، أو تقريره بأن الأوربيين لما فقدوا الروحية هبوا يتلمسونها من المذاهب الهندية ، كما لا نوافه أيضاً على كثير مما جاء في صلب الكتاب من الأحكام الاجتماعية ، كقوله عن فريش إنها كانت أشبه بجمهورية حرة ، وكاعتداده في دحض بعض الشبهات بقوله : « العظمة لا تخضع لقانون » ، فإن هذه الآراء والأحكام ، ولها أشباه في الكتاب ، لا تمت الى العلم بصلة وبمعها بالخطايب أشبه . بيد أن هذه الهنات لا تنقص من قيمة هذا الكتاب للمتح ، ولا نعرف أنه يخلو من أمثاله كتاب في الأرض ، فهي لا تمنعنا أن نكيل الثناء للدكتور هيكل بنير حساب ، راجين أن يوفقه الله لإرار ثمرات أخرى لألمعيته النيرة

في هذه الناحية من الدراسات الإسلامية ، فهي في حاجة الى الكثير من أمثاله في هذا العصر .

وبعد فلا يجوز لنا أن نختم هذه الكلمة دون أن ننوه بتلك المقدمة القيمة التي تفضل بكتابها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر ، إثارة بذكر هذا الكتاب ، وقد طلع على جزء منه قبل الطبع ، فإنها قد جلّت من أحوال النبوة والأنبياء ، ومن خصائص حاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وكشفت من أسرار الاسلام وحكمة القرآن ، وبيّنت من مذهب أهل المم في البحث والنظر والاستقصاء ، ما يجب على كل متصد لهذه البحوث الإسلامية أن يتفهمه ، ويترسم طريقته . وأشد ما يأخذ بلب الإخصائ في هذه البحوث تلك الدائرة الواسعة التي خطها فضيلته للبحث عن حقيقة الاسلام ، وهي دائرة شملت جميع المحاولات العلمية والفلسفية ، وأصلقت عقل الباحث من تلك المناطق الضيقة التي كان يتخبط فيها ولا يستطيع أن يحصل ما يستطيع أن يقدمه للناس من غذاء روحي يكتفون به عن تماس غذاء غيره . وهذه أكبر خدمة يمكن أن يؤديها مصلح الاسلام في هذا العصر ، بل هي الخطوة التعديدية التي ستكون ، ولا محالة ، سببا لظهوره على الدين كله . وإنا حرصا على هذا العهد العلمي الذي يمينه إمام الدين اليوم ، رأينا أن ننشر هذه المقدمة ، لخدمة لكتاب الدكتور هيكل ، فقد قامت الجرائد اليومية فبانا بذلك ، ولكن تدوينا لهذا العهد العلمي الخطير في مجلة الاسلام الرسمية مـ محمد فريد ومهرى

والى القارئ مقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر :

« منذ وجد لانسان على الأرض وهو مشوق الى تعرف ما في الكون المحيط به من سنن وخصائص ، وكلما أمعن في المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذي قبل ، وظهر له ضعفه وتضائل غروره ، ونبي لاسلام صلوات الله عليه شبيه بالوجود . فقد

جد العلماء منذُ شُرقت الأرض بتورده يتلمسون نواحي العظمة الانسانية فيه ، ويتلمسون مظاهر أسماء الله جلّت قدرته في عقله وخلقه وعلمه . ولو أنهم استطاعوا الوصول الى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل ، وبعد شاسع ، وطريق لا نهاية له .

«والنبوة هبة الله لا تنال بالكسب ؛ لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمتع المستعد لها ، والفادر على حمائها ، الله أعلم حيث يجعل رسالته . ومحمد صلى الله عليه وسلم أُعِدَّ لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه : أحمرة وأسوده ، إنسه وجنّه ، وأعد لأن يحمل أكل رسالة وأكل دين ؛ ولأن يُختم به الأنبياء والرسل ؛ وليكون شمس هداية وحده الى أن تنفطر السماء ، وتتكدر النجوم ، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات .

«عصمة الأنبياء في التبليغ وأداء أمانة الوحي قضية فرغ العلماء منها ؛ وليس للأنبياء فضل الاختيار في التبليغ وأداء الأمانة بعد طبعهم بخاتم النبوة واختيارهم لها . وهذا التبليغ نتيجة حتمية للنبوة لا مرد لها . غير أن الوحي لا يلزم الأنبياء في كل عمل يصدر عنهم ، وفي كل قول يبدر منهم ؛ فهم عرضة للخطأ ، يمتازون عن سائر البشر بأن الله لا يقرهم على خطأ بعد صدوره ، ويعاتبهم عليه أحيانا

«أمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ عن ربه ، ولم تبيّن به الطرق التي يتبعها في التبليغ وفي حيازة الدعوة ، وترك له أن يتصرف بعقله وعلمه وفعلته كما يتصرف غيره من العلماء والعقلاء . وجاء الوحي مفصلا قاطعا في كل ما يخص ذات الإله ووحدته ، وصفاته وكيفية عبادته ؛ ولم يكن كذلك فيما يخص النظم الاجتماعية للأسرة والفريّة وللدّينة والدولة منفردة ومرتبطة بغيرها من الدول . فهناك مجال واسع للبحث عن عظمة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الوحي ؛ وهناك مدى فسيح للبحث عن تلك العظمة بعد الوحي ؛ فقد صار مبلغا عن ربه داعيا اليه ، حاميا لتلك الدعوة ولحربة الداعين ، مدافعا عنهم ؛ وأصبح حاكم الأمة الاسلامية وقائد حريها ومنتهبها وقاضيا ، ومنظم جميع

للصلات والروابط فيها، وبينها وبين غيرها من الأمم . وقد قام العدل في ذلك كله ، وألف بين أم وطوائف ما كان العقل يسيغ إمكان التأليف بينها ، وظهرت الحكمة والرصانة وبعد النظر ، وكمال الفطنة وسرعة الخطاير وقوة الحزم في كل ما صدر عنه من قول أو فعل ، ونفجرت منه ينابيع العلم والمعرفة ، وينابيع البلاغة التي يطأطيء البلغاء رءوسهم أمامها إجلالا وهيبة ، وفارق الدنيا وهو راض عن عمله ، مرضى عنه من الله ومن المسلمين .

« كل هذه النواحي تستحق الدرس والتخصص ؛ وليس في مقدور شخص واحد أن يفيها حقها ، بل ليس في مكتنة شخص واحد أن يوفي على الغاية في ناحية من هذه النواحي . « وسيرة محمد صلوات الله عليه وعلى آله كسائر سير المظاہر : أضعف إليهما ما ليس منها ، إما عن حب وهوى وحسن قصد ، وإما عن سوء قصد وحققد . غير أنها تتنازع عن سير المظاہر جميعهم بأن منها شيئا كثيرا ضُمَّته الوحي الإلهي ، وضمن حفظه الكتاب المطهر ؛ وشيئا كثيرا روى على لسان الخطاط الثقافات من المحدثين . وعلى هذه الأسس الصحيحة يجب أن نبني السيرة ، وأن يستنبط العلماء منها حكمها وأسرارها ودقائقها ، وأن تحلل التحليل العلمي الدقيق ، ملاحظا في ذلك ظروف الوسط وحال البيئة ونواحيها المختلفة من عقائد ونظم وعاد .

« وقد أخرج الدكتور هيكل للناس كتابه (حياة محمد) في سيرة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويسر لي أن أطلع على جزء منه قبل إنعام طبعه . والدكتور هيكل معروف لقراء اللغة العربية ، غني بآثاره فيها عن التعريف . وقد درس القانون وطلع على المنطق والفلسفة ، ومكثته ظروفه وطبيعة عمله من الاتصال بالثقافة القديمة والثقافة الحديثة ، وأوفى منهما على حظ عظيم وناظر وحادل ، وهجم ودافع : في المعتقدات والآراء وقواعد الاجتماع ، وفي السياسة وغيرها ، فنضج عقله وكمل علمه ، واتسع اطلاعه وامتد أفقه ، فأصبح ينافح عن آرائه بمنطق قوى وحجج باهرة ، وأسلوب اختص به لانتخني نسبته إليه .

بهذه النفاقة وهذه القوة نسج الدكتور كتابه وقال في مقدمته : « لست مع ذلك أحسب أني أوفيت على الغاية من البحث في حياة محمد؛ بل لعلني أكون أدنى إلى الحق إذا ذكرت بأني بدأت هذا البحث في العربية على الطريقة الحديثة . وقد تأخذ القارئ الدهشة إذا ذكرت ما بين دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة من شبه قوى . فهذه الطريقة العلمية تقتضيك إذا أردت بحثاً أن تتحرر من نفسك كل رأى وكل عقيدة سابقة في هذا البحث ، وأن تبدأ بالملاحظة والتجربة ، ثم بالمرونة والترتيب ، ثم بالاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية . فإذا وصلت إلى نتيجة من ذلك كله كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتحقيق ، ولكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمي تسرب الخطأ إلى ناحية من نواحيها . وهذه الطريقة العلمية هي التي ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر ، وما هي ذي مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته » انتهى كلام الدكتور . ثم شرع فضيلة الأستاذ الأكرم يقول :

« أما أن هذه الطريقة طريقة القرآن فذلك حق لا ريب فيه ، فقد جعل العقل حكماً والبرهان أساس العلم ، وعاب التقليد وضم للقلدين ، وأناب من يتبع الظن ، وقال : « إن الظن لا يغني من الحق شيئاً » ، وعاب تقديس ما عليه لآباءه ، وفرض الدعوة بالحكمة لمن يفهمها . ولم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة إلا في القرآن ، وهي معجزة عقلية . وما أبدع قول البوصيري :

لم يتمتعنا بما نعيه المقبول به حرصاً علينا فلم رتب ولم نهم

« وأما أن هذه الطريقة حديثة فهذا ما لا يتذرع به . وقد سائر الدكتور غيره من العلماء في هذا ، ذلك لأنهم طريقة القرآن كما اعترف هو ، ولأنها طريقة علماء سالف السالين . انظر كتب الكلام ترمي يقررون أن أول واجب على المكلف معرفة الله ، فيقول آخرون : لا ، إن أول واجب هو الشك . ثم إنه لا طريق للمعرفة إلا البرهان . وهو وإن كان نوعاً من أنواع القياس إلا أنه يجب أن تكون مقدماته قطعية حسية ،

أو منتهية إلى الحس ، أو مدركة بالبداهة ، أو معتمدة على التجربة الكاملة أو الاستقراء التام ، على ما هو معروف في المنطق . وكل خطأ يتسرب إلى إحدى المقدمات أو إلى شكل التاليف مفسد للبرهان .

« وقد جرى الامام الغزالي على الطريقة نفسها . وقد قرر في أحد كتبه أنه جرد نفسه من جميع الآراء ، ثم فكر وقدر ، ورتب ووازن ، وقرب وباعد ، وعرض الأدلة وهذبها وحللها ، ثم اهتدى بعد ذلك كله إلى أن الاسلام حق ، وإلى ما اهتدى إليه من الآراء . وقد فعل هذا ليحيا في التقليد ، وليكون إيمانه إيمان المستفيق المعتمد على الدليل والبرهان ؛ فذاك لا يمان الذي لا يختلف المسامون في صحته ونجاة صاحبه .

« أنت واجد في كتب الكلام في مواضع كثيرة حكاية تجريد النفس مما ألقته من العقائد ، ثم البحث والنظر فطريق التجريد طريق قديم ، وطريق للتجربة والاستقراء طريق قديم . والتجربة والاستقراء التام وليد الملاحظة فليس هناك جديد عندنا . ولكن هذه الطريقة القديمة بعد أن نسيت في التطبيق العلمي والعمل في الشرق ، وبعد أن فشا لتقليد وأهدر العقل ، وبعد أن أبرزها النريون في ثوب ناصع وأفادوا منها في العلم والعمل ، رجعنا نأخذها عنهم ونراها طريقة في العلم جديدة .

« هذا القانون العلمي في البحث معروف قديما وحديثا . والمعرفة سهلة ولكن العمل عسير . ولا يتفاوت الناس كثيرا في معرفة القانون ، ولكنهم يتفاوتون جد التفاوت في تطبيق القانون .

« تجريد النفس والملاحظة والتجربة والموازنة والاستنباط كلمات سهلة ؛ لكن الانسان الزاح تحت أحوال الورثة في دمه وعقله ، وأحوال البيئة في البيت والقرية والمدينة والدولة والمدرسة ، وأحوال المتعديت والمزاج والصحة والمرض والشهوات ، كيف يسهل عليه تطبيق القانون

« هذا موضع الداء قديما وحديثا ، وهو سبب تعدد المذهب والآراء ، وسبب تبدلها

وتنقلبها من قطر الى قطر، ومن أمة الى أمة. والفلسفة والآداب تبدل ثيابها على تعاقب الأجيال كما تبدل النساء أزياءها، وقل أن تجد فيها شيئا يصونه حرز أو يقيه حصن، بل سرى التبدل الى قواعد العلم التي لم تكن طوال الأجيال الماضية موضعاً للشك. ونظرية النسبية اضطرب لها العلماء وسرعان ما قام من يهدمها. والآراء في الأمراض وأسبابها وطرق علاجها، وفي التغذية، لا تزال مطيعة للتبدل والتحول. وهكذا إذا أنعمنا النظر لا نجد أماناً لما أنتهه العقل وحده إلا ما كان البرهان بشروطه متوافراً فيه. ولكن ما نسبة هذه الأشياء التي يتوافر فيها البرهات الى غيرها مما تخليه الظنون وتسطره الأهواء، وتمسه الأذهان المريضة، وتقرضه السياسة، ويبدعه العلماء الذين يحدون كل للذة في مخالفة غيرهم وإحداث هذه المذاهب والآراء؟ ولعل هذه الحيرة ستخفف غلواء العلماء للمعتزين بالعقل وحده، وتلويهم يوم من الأيام الى الدخول في حى الحق وحصن اليقين، وهو الوحي الصادق، وهو القرآن الكريم والسنة الصبيحة المطهرة.

» نعود بعد هذا الى الدكتور هيكل وكتابه :

» يقول بعض علماء الكلام : إن الاطلاع على علم تشریح الأفلاك وعلم تشریح الانسان يدل أوضح الدلالة على شمول العلم الإلهي لدقائق الوجود . وأنا أقرر أيضاً أن العلم والكشف عن سنى الوجود وعجائبه سيكون نصير الدين ، وسيقرب الى العقل الانسانى طريق فهم ما كان غامضاً منهما ، وما كان فوق طاقة العقل إدراكه من قبل ، مصداقاً لقوله تعالى : « سنبهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » . والكهرياء وما نشأ عنها من المخترعات قربت الى العقل فهم إمكان تحول المدة الى قوة وتحول القوة الى مادة . وعلم استحضار الأرواح فسر للناس شيئاً كثيراً مما كانوا فيه يختلفون ، وأعان على فهم تجرد الروح وإمكان انفصالها ، وفهم ما تستطيعه من السرعة فى طى الأبعاد . وقد انتفع الدكتور هيكل بشىء من هذا فى تقريب قصة الإسراء فأتى بشىء طريف .

« ويطول بي القول إذا أنا عرضت لما في كتاب الدكتور هيكل من حسنات . وحسى أن أبيه الى تلك الحسنات إجمالاً ، وسيدرك الناس جماله بأنفسهم ، ويستمتعون بلذة تنال الفكر تهديه لأسانيد الصحة ، ويهديه المنطق الدقيق نسجده الفطرة الصادقة . وسيرون أن الدكتور كان مخلصاً الإخلاص كله للحقيقة ، عامر القلب بما في الوحي المحمدي من هدى ونور ، وما في سيرة نبي صلى الله عليه وسلم من جمال وجلال وعظمة وعبرة ، مطمئناً كل الاطمئنان الى أن هذا الدين المحمدي سينفذ البشر مما هم فيه من الخيرة ، ويفشلهم من ظلمة المادة ويصيرهم بنور الايمان ، ويوجههم الى النور الاطمي ، فيدركون به سعة رحمته التي وسعت كل شيء ، وعظمة مجده الذي تسبح به السموات والأرض وكل شيء فيهما ، وهزته التي تتضاء أمامها الموجودات . الأتراء يقول : « وأذهب أبعد مما تقدم فأقول : إن هذا البحث جدير بأن يهدي الإنسانية طريقها الى الحياة الجديدة التي تلتهمها . وإذا كانت نصرانية الغرب تستعبر أن نجد النور الجديد في الاسلام ورسوله ، وتلتهم هذا النور في (تيوزوفية الهند) وفي مختلف مذاهب الشرق لأفصى ، فإن رجال هذا الشرق من المسلمين واليهود والنصارى خليقون بأن يقوموا بهذه البحوث الجلية بالنزاهة والإصاف للذين يكفلان وحدهما الوصول الى الحق والتفكير الاسلامي ، على أنه تفكير علمي على الطريقة الحديثة في صلة الانسان بالحياة المحيطة به ، وهو من هذه الناحية واقعي بمحت ، ينقب تفكيراً ذاتياً حين يتصل الأمر بصلات الانسان بالكون وخالق الكون . ويقول : « لكن طلائع النضاء على الوثنية التي تتحكم في عالمنا الحاضر وتوجه الحضارة الخائكة فيه تبدو واضحة لكل من يتتبع سير العالم وأحداثه . فلعل هذه الطلائع تتواتر وتقوى دلالاتها إذا انجلت أمام العالم تلك المسائل الروحية بالتخصص لدراسة حياة محمد وتعاليمه وعصره ، والشورة الروحية التي انتشرت في العالم كله كأثر من آثاره » . انتهى كلام الدكتور . ثم تابع فضيلة الأستاذ الأكبر ما هو بسبيله فقال :

« وهذا الاطمئنان يؤيده الواقع ، فإن ما يرى الآن من غنابة الذرب يبحث آثار الشرق ، ومن عناية علمائه بدراسة الاسلام من نواحيه المختلفة ودراسة تاريخه وأهمه قديما وحديثا ، ومن إنصاف بعضهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما أيدته التجارب من أن الحق لا محالة غاب ، كل ذلك يرشدنا الى أن الاسلام سينشر لواءه على العالم ، وسيكون أشد الناس عداوة له اليوم هم أشد الناس غيرة عليه ودعاء عنه ، وسيكون هؤلاء الغرياء عنه هم أنصاره وأهله وكما نصره أول أمره الغرياء من البيئته التي نشأ فيها ، فسينصره آخر الأمر الغرياء عن لغته ووطنه وقد بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرياء .

« وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وليس للعالم بعده هاد ومرشد ، وكان دينه أكمل دين بنصر الوحي القاطع ، فلا يمكن أن يقف أمره على ما هو عليه الآن ، ولا بد أن يحو نوره نور غيره كما تمحو الشمس أضواء غيرها من الكواكب . » وقد وفق الدكتور في تلميق الحوادث وربط بعضها ببعض ، فجاء كتابه عقدا منضدا ، وسلسلة متينة محكمة الحلقات وقد أبدع في بيان الأسباب والأغراض والحكم بيانا قويا واضحا يجعل القارئ مطمئن النفس رضى القلب ، يستمتع بما يقرأ ويشجع صدره يرد اليقين ، فيملك عليه أمره ، ويجبره على متابعة القراءة حتى يوفى على آخر ما يده من البحث .

« وفي الكتاب بحوث قيمة ليست من السيرة ، ولكنها اتصلت بها بسبب الإسهاب في بيان أغراضها .

« وأختم كلنى هذه بقول سيد الخلق صوات الله عليه وعلى آله الأطهار ومن اتبعه :
« أعود بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصبح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل على غضبك أو تحل على سخطك ، لك العتي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »
١٥ فبراير سنة ١٩٣٥ محمد مصطفى المراغى

CHAPTER 30

Islam is a faith that is easy to practise and the words of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) : The religion most acceptable unto Allāh is the true Faith of *Islam* that is easy to practise

We are informed by 'Abdus-Safām b. muttakhhar, who had it from 'Umar b. 'Ali through Ma'n b. Muhammad Al-Ghifārī, through Sa'īd b. Abu Sa'īd Al-Maqbūrī through Abu Hurairah, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said :

Islam is a religion easy to practise; for no one can be too rigorous in the practice of it, without being overcome by it. Therefore be ye upright and moderate, and hope for your reward. Call to your aid the early morning and the evening prayers, and also some prayer in the night .

بَابُ : الدِّينُ يُسْرٌ وَقَوْلُ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّحَّةُ »

حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مُطَهَّرٍ قَالَ :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ مَعْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ

الْقَفَّارِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ

الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَكِنْ

يُشَادُّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدَدُوا

وَنَارَ نَوَافِئِهِمْ وَاسْتَعِينُوا بِالْفُتُوحَةِ

وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الذَّلِيلَةِ » .

We are informed by Ismâ'il, who had it from Ma'lik, through Ibn Shihâb, through Humaid b. Abdur-Rahmân, through Abu Hurairah that the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) said :

He who keepeth vigil during the nights of Ramadân performing prayers of supererogation, from faith and devotion, shall have his former sins forgiven him.

CHAPTER 29.

To fast during the month of Ramadân out of devotion is a feature of the Faith .

We are informed by Ibn salâm, who had it from Muhammad b. Fudail, who received it from Yahya b. Saïd, through Abn Salamah, through Abu Hurairah, who stated that the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) said :

He who keepeth the Ramadân fast , out of faith and devotion, shall have his former sins forgiven him .

حدثني مالك عن ابن شهاب عن حميد

ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ

لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »

باب : صَوْمُ رَمَضَانَ احْتِسَابًا

مِنَ الْإِيمَانِ .

حدثنا ابنُ سَلامٍ قال :

أخبرنا مُحَمَّدُ بْنُ قُضَيْلٍ قال : حدثنا

يُحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي

هَرِيرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ . « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا

وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

whom it was related by Abu Zurrâh b. 'Amr b. Jarr, who heard it from Abu Hurairah, from the Prophet (Allah bless him and give him peace), who said

Allâh hath vouchsafed to him, who shall go forth to war in His cause with no other motive but faith in Him and belief in His Prophets, that He will send him home with the reward or booty he hath won, or else He will let him enter Paradise.

But, for the hardship I should cause my people, (1) I should not remain behind the ranks, (2) but should wish to be killed in the cause of Allâh and then be raised from the dead, and then to be killed and be raised up again, and be killed at last

قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو زُرَّعَةَ بْنُ صَمْرُو بْنِ
حَرِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي أَتَدَّبُّ اللَّهَ
إِنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا
إِعْمَانًا بِي وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي أَنْ
أَرْجِعَهُ بَعَاثًا أَوْ أَجْرًا أَوْ غَنِيمَةً
أَوْ أَدْخِلَهُ جَنَّةً، وَلَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى
أُمَّةٍ مَا قَعَدْتُ حَتَّى سَرَّيْتُ وَلَوْ دِدْتُ
أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ
أَقْتُلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ.»

CHAPTER 28.

On the fact that to watch voluntarily in prayer during the night's of Ramadan is a feature of the Faith

بَابُ : تَطَوُّعُ قِيَامِ رَمَضَانَ مِنَ
الْإِيمَانِ . حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ :

(1) by involving them in the hardship of allowing him to bear the brunt while they remained behind.

(2) سرية — properly a body of troops not exceeding 400 in number

CHAPTER 25

On the signs of the hypocrite

1. We are informed by Sulaimān Abū-r-Rabīʿ, who had it from Ismāʿīl b. Jaʿfar, who received it from Nāfiʿ b. Mālik b. Abū ʿAmr Abū Sahl, through his father, through Abū Hurairah from the Prophet (Allah bless him and give him peace), who said :

The marks of the hypocrite are three : whenever he speaketh, he lieth; when he maketh a promise he breaketh it, and when trust is put in him, he betrayeth it

2 We are informed by Qabīṣah b. ʿUqbah, who had it from Sufiān, through Al-Aʿmash, through ʿAbdullah b. Murrah, through Masʿuq, through ʿAbdullāh b. ʿAmr that the Prophet (Allah bless him and give him peace) said :

There are four qualities, which, if inherent in a man, make him a perfect hypocrite ; and any man who hath in him one of these qualities, hath in him a quality of hypocrisy until he be rid of it. These are that: when trust is placed in him, he betrayeth it ; when he speaketh, he lieth ; when he maketh a pledge, he

بَابُ عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِ

حدثنا سليمان أبو الربيع قال :

حدثنا اسماعيل بن جعفر قال

حدثنا يافع بن مالك بن أبي عامر أبو

سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق

ثلاث : إذا تحدث كذب ، وإذا وعد

أخلف ، وإذا أُمِّنَ خان . »

حدثنا قبيصة بن عتبة قال حدثنا

سفيان بن الأعمش عن عبد الله

ابن مرة عن مسروق عن عبد الله بن

تميم عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال : « أربع من كن فيه كان منافقا

خالصا ، ومن كانت فيه خصلته

منهن كانت فيه خصلته من النفاق

حتى يدعى : إذا أُمِّنَ خان ، وإذا

of Allāh said I, ' so would it be with the slayer, but what of him that is slain ? ' ' He purposed to kill his fellow ' was the reply "

CHAPTER 24.

Showing that some iniquities are worse than others

We are informed by Abul-Walid, who had it from Shu'bah; we are also informed by Bishr, who had it from Muḥammad, through Shu'bah, through Sulaimān, through Ibrāhīm, through 'Aqamah, through 'Abdullāh, who said

When this verse ⁽¹⁾ was revealed: " Those who truly believe and have not vitiated their faith with iniquity⁽²⁾ they shall have security and shall be guided aright", the Companions of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said . " Which of us hath not committed iniquity ? " then Allāh sent down the verse⁽³⁾ . " Verily associating partners with Allāh is the great iniquity. "

الْقَائِنُ ذَا بَالٍ الْمُقْتُولِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ
كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ

بَابٌ : مُظْلَمٌ دُونَ مُظْلَمٍ

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ : حَدَّثَنَا
شُعْبَةُ قَالَ وَحَدَّثَنِي بَشَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا
مُحَمَّدٌ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ بَرَاءِ عَمْرِو
عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : مَا نَزَلَتْ
« الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ »
قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ « إِنَّ
الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .

(1) Surah 6, verse 82.

(2) here according to the commentators = infidelity or idolatry

(3) Surah 36, verse 12

heavy for them; and if ye do, then help them . ”

كَلِّفْتُوهُمْ فَأَعْيَتُوهُمْ .

CHAPTER 23.

On the Qur'anic verse : “ And if two groups of true believers engage in strife, reconcile them ” - Al.lah calling them true believers. (1)

We are informed by .Abdur-Rahmān b. Al-Mubārak, who had it from Hammād b. Zaid, who received it from Ayyūb and Yūnus through Al Ahnaf b. Qais who said :

I was going to the help of a certain man (2) when I was met by Abu Bakrah, who said : “ Whither goest thou ? ” “ To the help of this man ” said I. “ Go back ”, said he , “ for I heard the Prophet of Al.lah (Allah bless him and give him peace) say : ‘ If two believers fall upon each other with the sword, both the victor and the victim are in Hell. ’ ” O Apostle

بَابُ : وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا، فَسَوَّاهُمُ الْمُؤْمِنِينَ.

حَدَّثَنَا هَيْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ

حَدَّثَنَا سَعَادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ

وَيُونُسُ عَنْ أَحْسَنَ عَنِ الْأَحْنَفِ

ابْنِ قَيْسٍ قَالَ . ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا

الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ أَيْنَ

تُرِيدُ؟ قُلْتُ : أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ . قَالَ :

ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا لَقِيَ

اِسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ

فِي النَّارِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا

(1) to show that even when they have committed the sin of fighting, they are still true believers

(2) Ali b. Abu Talib, the Prophet's cousin, on the day of “ the Camel ”

We are informed by Suhmān b. Harb, who had it from Shurbah, through Wāsil Al-Ahdab, through Al-Ma'rur who said :

One day I met at Ar-Rabadhah⁽¹⁾ Abu Dharr wearing a suit of clothes⁽²⁾ while his servant was wearing a similar one. When I questioned him about this he replied : " Once I and another man were reviling one another and I referred to his mother in a way that brought him to shame. The Prophet (Alāh bless him and give him peace) then said to me : ' Abu Dharr, thou hast brought this man to shame on account of his mother. Truly thou art a man imbued with the spirit of " the ignorance " Your servants are your brethren whom Allāh hath placed under your authority. So let him whose brother is under his authority feed him from what he eateth *himself* and clothe him with such clothes as he *himself* weareth. Place ye not upon them tasks too

حدثنا سليمان بن حبيب قال حدثنا
شعبة عن واصل الأحدب عن المعرور
قال لقيت أبا ذر بالربذة وعليه
حبة واء غلامه حبة فسألت عن
ذلك فقال : إني سأيت رجلاً
فدعته يا لله فقال لي النبي صلى الله
عليه وسلم : يا أبا ذر أعيرته يا لله
إليك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم
حولكم جعلهم الله تحت أيديكم
فمن كان أخوه تحت يده فسطمته
بما يأكل ويلبسه مما يلبس
ولا تكلفوهم ما يعاجهم ، فإن

(1) A place 3 miles from Medina on the way to Mecca .

(2) حبة = a new suit of good material consisting of two pieces, tunic and cloak [رداء ولباس]

ingratitude to their husbands whose kindness they have demed . ①

If thou spend thy life doing good to any one of them, and then she find the least thing from thee to displease her, she will say . " I have never received any benefit from thee whatsoever "

لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُمُ الدَّهْرَ ثُمَّ
رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا دَأَيْتُ
مِنْكَ خَيْرًا فُطْ .

CHAPTER 22.

On the fact of sins being a feature of the age of the ignorance, and no sinner is considered to be an unbeliever through the commission of them, except in the case of the sin of infidelity, based on the words of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) . " Thou art a man imbued with the spirit of the ignorance ; " and the word of Allāh (be He exalted) : " Allāh forgiveth not the association of aught with Him ② but forgiveth all else to whom He pleaseth " ③

بَابُ : الْمَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ

وَلَا يُكْفَرُ صَاحِبُهَا بِأَرْبَعِ كُفَايَاهَا

إِلَّا بِالشِّرْكِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ «

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ

لِمَنْ يَشَاءُ

(1) See Al-Aini's *Commentary on Bukhari* page 202 Vol I Cairo

(2) bn Hajar and Al-Aini maintain that شرك here is synonymous with كفر and accordingly may be translated " disbelief in Him

(3) Surah 4, Verse 41

knowest and those whom thou knowest not .

وَتَقْرَأُ أَسْلَامًا عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ
لَمْ تَعْرِفْ :

CHAPTER 21.

On the ingratitude towards the husband, and on the fact that ingratitude is next worst after infidelity (1) Containing a tradition transmitted by Abu Saïd Al-Khudri, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace)

We are informed by ‘Abulâh b Mas‘amah, through Mâlik through Zaid b. Aslam, through ‘Ata b. Yasar through Ibn ‘Abbâs that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said :

I was shown hell-fire and told that most of the souls in it were women who were there because of their ingratitude. When the Prophet was asked whether this meant disbelief in Allâh, he replied : “ No,

**بَابُ كُفْرَانِ الْعَشِيرِ وَكُفْرِ ذَوْنِ
كَفَرٍ، فِيهِ عَنْ أَبِي سَمِيدٍ الْخُدْرِيِّ
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ
ابْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ قَالَ**

**قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُرِيتُ
النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ،
قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ
الْمَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ.**

(1 Houdas & marçais rendering of this heading as “ L’ingratitude peut être plus ou moins grand ”, does not convey the meaning

This Hadith was also transmitted by Yûnus, Sâlih, Mâmar, and Az-Zuhri's nephew, through Az-Zuhri

وَرَوَاهُ يُونُسُ وَصَالِحٌ وَمَعْمَرٌ
وَابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ عَنِ
الزُّهْرِيِّ.

CHAPTER 20.

To diffuse the greeting is a feature of 'Islam .

‘Ammar said : “ there are three features if a man hath combined them in himself, he hath possessed the Faith entire : to impose justice upon oneself, to lavish the greeting on all people, and to give out of one's poverty ”

We are informed by Qutaibah who had it from Al-Laith, through Yazîd b. Abu Habib, through Abul-Khair, through ‘Abullah b. ‘Amr that :

A man once asked the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) which feature of Islam was the best He replied : “ That thou give food and pronounce the greeting upon those whom thou

بَابُ : إِفْشَاءُ السَّلَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ.
وَقَالَ عُمَارٌ : ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ
جَمَعَ الْإِيمَانَ : الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ،
وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ
الْإِقْتَارِ .

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ
يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ
الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « تَطْعِمُ الطَّعَامَ ،

the most worthy of them so I said
 " O Apostle of Allāh, what is thy
 objection to such a one ? for by
 Allāh I perceive in him a true
 believer ! " " Nay, a *professing*
 Muslim ! " replied the Prophet. I was
 silent for a while and then I was
 dimelled by my certainty of his
 sincerity, and I repeated my words
 saying : " What is thy objection to
 such a one ? for by Allāh I perceive
 in him a true believer ! " " Nay, a
 professing Muslim ! " repeated the
 Prophet. Again I was impelled by
 my certainty of his sincerity and
 repeated my words. Then the Apostle
 of Allāh (Allāh bless him and give
 him peace) again replied and said
 " O Sa'd, indeed I give to the one
 man when another is dearer to me,
 for fear that Allāh may cast him
 headlong into hell fire " (1)

هُوَ أَحَبُّهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
 مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ فَوَاقِرٌ إِلَيَّ لَا رَأْيَ
 مُؤْمِنًا، فَقَالَ « أَوْ مُسْلِمًا » فَسَكَتُ
 قَلِيلًا، ثُمَّ عَيَّنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ
 بِقَاتِلِي فَقُلْتُ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ فَوَاقِرٌ
 إِلَيَّ لَا رَأْيَ مُؤْمِنًا، فَقَالَ « أَوْ مُسْلِمًا »
 ثُمَّ عَلَّمَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ بِقَاتِلِي
 وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 ثُمَّ قَالَ : « يَا سَمْدُ، إِنِّي لَا أُعْطِي الرَّجُلَ
 وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةً أَنْ
 يُرَى يَكْبَهُ اللَّهُ فِي السَّارِ »

[1] The purpose of this Hadith is to emphasise the difference between a professing Muslim and a true believer, and if Sa'd was categorical in his assertion of the man's sincerity, he was presuming to speak of matters of the heart known only to God. The Prophet's denial of a gift to Ju'ail the man referred to in the Hadith was due to the Prophet's confidence in his faith so that no gift from him was necessary to save him from relapsing and being cast into hell-fire, as might be the case with the other recipients of his gifts.

of Allāh (be He exalted) : " The Bedouins said : ' We have believed'. Say : ' Ye have not sincerely believed ' , but say that ye have professed Islam . " (1)

When the profession of faith is sincere, it must be according to His word (glorified be His Name)
" The true religion in the sight of Allāh is Islām, " (2) and again :
" Whosoever seeketh another religion than Islām shall not have it accepted from him " (3)

We are informed by Abul-Yamān, who had it from Shurath, through Az-Zuhri, who received it from Amir b. Sa'd Ibn Abu Waqqās, through Sa'd (Allāh be pleased with him) that :

The Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) had just distributed gifts to a few people, while Sa'd was seated with him, and the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) had omitted a man who seemed to me

و قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ

تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا .

فَإِذَا كَانَ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَهُوَ عَلَى قَوْلِهِ

جَلَّ ذِكْرُهُ . " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ

الْإِسْلَامُ " « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ

دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ » .

حدثنا أبو الهيثم قال أخبرنا شعيب

عن الزُّهري قال أخبرني عامر بن سعد

ابن أبي وقاص عن سعد رضى الله عنه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أعطى رجلاً وسعداً جالساً فترك

رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً

(1) Surah 49, verse 14.

(2) Surah 3, verse 17

(3) Surah 3, verse 79.

We are informed by Ahmed b Yûnus and Mûsa b. Ismail, who both had it from Ibrahîm b. Sa'îd, who received it from Ibn Shihâb, through Sa'îd b. Al-Musayyab, through Abu Hurairah that : The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was questioned as to which work was the most meritorious before Allâh, and he replied " Faith in Allâh and His Apostle " He was then asked what came next and replied : " The Jihâd ⁽¹⁾ in the cause of Allâh " He was again asked what came after that and replied : " A pilgrimage to Mecca sincerely performed."

CHAPTER 19.

On the case where the profession of faith is insincere, and is made for the sake of peace, or through fear of death, based on the word

حدثنا احمد بن يونس وموسى بن
اسماعيل قالا حدثنا ابراهيم بن سعد قال
حدثنا ابن شهاب عن سعيد بن المسيب
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سُئِلَ : أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟
فَقَالَ : إِيْمَانٌ بِاللّٰهِ وَرِسَالَةٌ بِمَا قِيلَ ثُمَّ مَاذَا ؟
قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ، فَيُقِلُّ ثُمَّ مَاذَا ؟
قَالَ : حَجٌّ مَّبْرُورٌ .

بَابُ : إِذَا لَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامُ

عَلَى الْحَقِيقَةِ وَكَانَ عَلَى لاسْتِسْلَامٍ
وَ الْخَوْفِ مِنَ الْقَتْلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

(1) الجهاد Properly "endeavour" not to be confused with the idea of a " Holy War " in the sense of a crusade which has been wrongly associated with it .

CHAPTER 18

On those who maintain that faith is works, ⁽¹⁾ as would appear from the word of Allāh (be He exalted) : " This is the Paradise which ye have been given in heritage *as a reward* for your works . " ⁽²⁾

A certain number of doctors have considered the word of Allāh (be He exalted) : " By thy Lord, We shall call them all to account for their works " ⁽³⁾ as meaning the profession of faith " There is no deity but Allāh " ⁽⁴⁾

Allāh hath also said : " To such a consummation let those who practise the Faith devote their efforts " ⁽⁴⁾

بَابُ مَنْ قَالَ إِنَّ الْإِيمَانَ مَوْ

الْمَمْلُ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى « وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »

وَقَالَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي

قَوْلِهِ تَعَالَى « وَرَبِّكَ تَسْمِعُ لَهُمْ »

أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » عَنْ قَوْلِ

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّهُ .

وَقَالَ : « لِيُنْزِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ »

(1) This chapter is intended to throw light on the controversy between the efficacy of faith and of works. The Murjites believed in justification by faith in the sense of " profession of faith " (الْإِيمَانُ بِمَا جَاءَ), and Al-Bukhārī refutes them here by interpreting إِيْمَانٌ as عَمَلٌ that is to say , " works " as " faith ", but not merely " profession of faith, " since conscientious and not formal faith is the real motivating of action. In reply to the contention that إِيْمَانٌ means " mere profession of faith, " A-Aini and An-Nawawī hold that God will call both faith and works into judgment, and the case for mere profession cannot be supported.

(2) Surāh 43, verse 72.

(3) Surāh 15, verse 92.

(4) Surāh 37, verse 59.

CHAPTER 17.

On the Qur'anic verse : " If the Infidels repeat, perform the appointed prayers and give the prescribed Alms, then let them go their way "

We are informed by 'Abdallâh b. Muhammad Al Musnadi, who had it from Abu Rawh Al-Harawi b. 'Unârah, who received it from Shu'bah, through Wâqid b. Muhammad, who heard it related by his father, through Ibn 'Umar, that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

I have been commanded to fight against idolaters until they testify that there is no deity but Allâh, and that Muhammad is the Apostle of Allâh, perform the appointed prayers, and give the prescribed alms. When they do these, they shall have safeguarded their lives and property from me except for what is due to Islam. Their souls' reckoning lieth with Allâh

بَابُ . فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْنَدِيُّ

قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الْحَرَمِيُّ بْنُ

مُهَادَةَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاقِدٍ

ابْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ

عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى

يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ،

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ

عَصَبُوا رِمَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا

يُحِقُّ الْإِسْلَامَ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ : »

مهمة الدين الاسلامى فى العالم

١٩

توجيه قوى الاجتماع الى الاصلاح لا الفساد

قامت قبل الاسلام أمم نوافرت فيها جميع أسباب القوة ، فلم تلبث أن اضطرتها سنن الاجتماع الى التبسط فى الأرض ، فبدأت بمن جاورها من الجماعات فأخضعتهم لسلطانها ، ثم أخذت نوالى الفتوح وتنسح فى البلاد الى كل جهة طلبا للتوسع فى الملك ، والتضخم فى الثروة ، فكانت الطريقة التى تتبعها هى ما تملية عليها القوة الناشئة ، لا أصول العدل ، ولا حدود الحق . فكانت تستولى على المدن فتدك عمرانها ، وتسلب أموالها ، وتستذل أهلها ، وتبيد خضرائها ، ونولى عليها من يسوم أصحابها الخسف . لقد كانت هذه سنة الفاتحين ، وقد أحسنت إيجازها ملكة سبأ إذ قالت حين أتاها كتاب سليمان كما حكاها الكتاب عنها فى قوله تعالى : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أمرة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » أى أن عادة للسلطين إذا دخلوا قرية فاتحين أتوا على عمرانها ، وأذلوا أمر أبنائها ، هذا دأبهم فى كل حين .

فأما إقامة الدليل على ذلك من التاريخ فيسور ، وهل التاريخ شئ ، غير ذكر تفاصيل الحوادث المروعة التى كان يرتكبها القاهرون ضد المقهورين ؟

إن أقرب الأمم الينا دولة الرومان ، فقد عرف من تاريخها أنها كانت تغير على المدائن فتجعل عاليها سافلها ، وتستعبد أهلها ، وتنقل ساداتها وكبراءها الى رومية فتشدم بدل الخيلول فى عربة ملكية يجلس فيها الأميراطور ورجال دولته ، فتسير بهم على هذا

النحو أمام الشعب حتى تمر بهم تحت أقراص النصر . أما رعايا هؤلاء القادة فكانوا يعاملون أسوأ معاملة : تضرب عليهم الأتار الفادحة ، ويولى عليهم من يسومونهم سوء العذاب ، حتى بادت تحت نير هذه المظالم جماعات وأسر لاحصر لها .

وأقرب من الرومانيين جنسكيزخان ملك التتار ، فقد انساح بجنوده في الممالك الآسيوية فأخربها وجعل عاصرها يابا ، وانخذ أهلها خولا وعبيدا . وسار أولاده سيرته ، فكان منهم هولاء الذين زحف على بغداد ، فأثى على كل عاصم في طريقها ، وارتكب من ضروب العسف بالناس ما يقشعر له جلد الانسان ، وتقبض له نفسه . فلما وصل الى بغداد وحال بينه وبينها نهر دجلة ، ألقى بكتب مكتبتها في النهر ، وجعلها قنطرة اجتاز عليها جنوده ، ثم دأب الخليفة المستعصم بالله في قصره ، فأمر بربطه في ذيل حصان فاره ، وألحبه بالسياط فركض ساجدا وراء الخليفة على الدماء ، فتحطمت عظامه ، وتمزقت أشلاؤه ، وما زال يطوف به على هذه الصورة حول قصره حتى صار جثة مشوهة هامدة ، ثم أمر بقتل خاصة الخليفة وجمع من أهل بيته ، ثم أوغل في شيمته سلبا ونهباً ، وأباح بغداد أياما لجنوده يرتكبون أشنع ما يؤثر عن قسوة الانسان على الانسان .

هذه كانت سيرة الجماعات البشرية عندما كانت تبلغ من القوة حدا تستطيع معه أن تغير على الأمم القريبة منها والبعيدة عنها ، ولم يعرف في تاريخ العالم أمة كانت تتورع عن هذه المآثم فتعامل مقهورها بالرحمة والمطف ، بل كان الأفعال في الأبخاخ في الملويين من اللناقب التي نضاف الى مجد القادة والفاتحين .

فلما شرع الله الاسلام رفع هذا الإصر عن الخلق كما دفع عنهم جميع الآصار التي كانوا يرزحون تحتها تحقيقا لقوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » فكان مما وصى الله به في كتابه قوله تعالى : « وايقظ فما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » .

وقد كرر الله تعالى النهي عن الفساد في الأرض في آيات كثيرة ، وقد قرن تعالى هذه العادة الذميمة بحصول الفاسقين أي الخارجين عن حدود الشريعة بقوله : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض ، أولئك هم الخاسرون » ، حكم عليهم جل وعز بالخسران ، لأنهم إنما يبتغون من وراء تقضهم لليهود وقطعهم للصلوات وفسادهم في الأرض أن يربحوا ويثروا ، فقرر أن تلك الخصال تؤدي الى عكس ما يقصدون وهو الخسران المبين . فإن نقض العهد يصدم بين الأمم بوصة خيانة فتتألب عليهم ، وقطع ذوى الرحم والمعاشرين يبعدهم عنهم في أشد لأوقات حجة البهم ، والفساد في الأرض يجر الى نضوب المعين الذي يستمدون ثروتهم منه ، فكيف لا يساورهم الخسران من حيث يدرون ولا يدرون ؟ وذكر الله انظام الغشم من الناس لئلا أعد له شر مآل وعد من أخص صفاته الفساد في الأرض فقال تعالى : « وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل (أي الزرع والولد) والله لا يحب الفساد » .

فكما لا يود الله لمباداة الصالحين أن يفسكوا دماء الناس كذلك لا يود منهم أن يهلكوا الزرع والولد لإجاعة الخصوم ، والمبالغة في الانتقام منهم .

أين هذا التلميح الإلهي العالى من خيلاء (أنيلا) ملك (الهونيين) بما يرتكبه من المظالم ضد المهوورين ، حتى افتخر بأن العشب الأخضر لا ينبت حيث يطأ جواده ؟ هذا الملك سُلط على دولتي الرومانيين الشرقية والغربية فأخرب مدينتهما ، وانتهب ثروتهما سنة (٤٣٤) ميلادية .

حذر الله لمسلمين أن يستنوا بسنة أهل الظلم في أخذ الشعوب بالقسوة والجبروت ، وتخريب العاصر من مدينتهم ، واضعاً لهم أصلاً علمياً يرجعون اليه ، وهو أن الفساد الذي يرتكبه التغلبون في البلاد التي تقع في حوزتهم يقضى بهم الى عدم النجاح في شئونهم الخاصة ، خلافاً لما يتوهمه أولئك الفاتحون ، لأن الفساد يعدى كما تعدى الأمراض

الوبائية، غير للأمم أن تجور مما صالحة للبقاء من أن تجاور أمما في حالة تدهور وانحلال .
وقد خلق الله الأمم لتتعارف وتتبادل صرافق الحياة، لا لتتناكر ويتربص بعضها الدوائر ببعض .

ويعرف الذين درسوا تاريخ الأمم أن الأمم المتغلبة أكثر ما أتاها الانحلال من الشعوب التي كانت في حوزنها وسامتها سوء العذاب . فسورية التي كان الرومانيون يعاملونها أسوأ معاملة ، سلم أهلها للمسلمين حين هاجوها ، وتركوا الدفاع للجيش التي كانت تحتلها . ولما تصدى عمرو بن العاص لفتح مصر اتفق معه أهلها على التسليم مراغبة لإرادة قيصر الرومان . ولما نزل طارق بن زياد اسبانيا سلم له السكونت جولييان حصن الجزيرة الخضراء ، وحذا حذوه بعض القادة . كان كل هذا لا يحصل لو كان الوزيرون المتغلبون على البلاد لم يستنوا بسنة الإبرهق في معاملة المقهورين .

وقد أوجز الله تعالى هذا الأصل في قوله تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » ، أي الصالحون لسكل خير ، ومنه الحكم وسياسة الشعوب .

من العجيب أن يكون هذا الأمر محلا للشك ، أو يكون مما يخفى على العقلاء من الخلق : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار » ؟

وقد أوجز الله كل هذه الأصول العمرانية للعالية في كلمتين فقال تعالى : « إن الله لا يصلح عمل المفسدين » .

ومما شدد الله في التحذير منه على خصوص إفساد ما تم إصلاحه في العالم ، لأن إرادة الشر فيه أظهر من إفساد ما لم يتم إصلاحه بعد ، فقال تعالى : « ولا تقسودوا في الأرض بعد إصلاحها ، وادعوه خوفا وطمعا ، إن رحمة الله قريب من المحسنين » .

وزاد تنبيهه بعدم الفساد في الأرض قوة بأن جعل النجاة في الآخرة وقفا

على المتأدين بهذا الألب الابلى فى ماملة المذن وأهلها فقل تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فسادا ، والمعاقبة للمتقين » .

علم الله سبحانه وتعالى أن المسلمين سيقول اليهم خلافة الله فى الأرض مصداقا لقوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » فوجه إليهم الخطاب خاصة مع كل ماورد فى هذا للناس عامة فقال تعالى : « فهل عسىتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ؟ » جعل الله هذا التحذير فى قالب استفهام إنكارى لىكون أوقع فى النفس ، وأفضل فى القلب . ومعنى الآية فهل يتوقع منكم أنها المسلمون إن آتاكم الله الملك ، وكتب لكم التبسط فى الأرض ، أن تفسدوا فى الأرض وتزقوا الروابط التى بينكم وبين ذوى قرباكم ومعاشريك ؟

نزل هذا كله على المسلمين فتلقوه بقلوب صفت لقبول الحق ، فصار حالاهم لا يستطيعون عنه حولا . فلما دفعهم ضرورت الاجتماع للانسيح فى الأرض جعلوا شعارهم الرحمة والعدل ، والإصلاح فى الأرض . دخلوا سورية وكان بهم حاجة ماسة الى المقومات السادية ، فلم يسلبوا الله هورين شيئا من أموالهم ولا عتادهم ، ولكن اكتفوا بما تكفى به كل حكومة رشيدة من ضرب الأتاوات المناسبة لحالتهم ، وجبوا ما منهم بدون إرهق ولا ظلم ، ونزحت الى تلك البلاد قبائل من العرب ، فسووا أهل البلاد بأنفسهم أمام القضاء ، تاركين لهم الحرية فى ديانتهم ، فلم يلبثوا أن قبلوا الاسلام ديناهم لما أثر فيهم من عدالة أهله ، واستقامة حكومتهم .

ثم افتتحو مصر ، فجروا على شاكلتهم فى معاملة أهلها بالاحسان والرفق ، فلم يطل مقامهم بينهم حتى دخل المصريون فى دينهم أفواجا يحدوهم اليه مارأوه من سماحة المسلمين وسعة صدورهم ، ووقوفهم مع الحق .

ودخلوا بلاد الفرس فوجدوا أهلها شيعة ، ومرافقها معطلة ، فأسسوا فيها حكومة

وحدث بينهم في المعاملة ، وساوت بينهم في الحقوق ، فاعتمدوا أن انتشر الإسلام فيهم ، حتى لم يعض عليهم بضلع عشرات من السنين حتى اهتلب جمهورهم مسلمين يدافعون عن حرم الخيفية السمحة دفاعهم عن أنفسهم وأهلهم وأعز عزيز عندهم .

ودخلوا الأندلس فلم يجعلوا دينهم تجريد أهلها من أموالهم ، ونقل مذخوراتها الى بلادهم ، بل ساروا فيهم سيرة لم يكونوا يعرفونها من قبل ، فأقبلوا عليهم بوجوههم وقلوبهم ، ومكنوا لهم في لأرض .

واقتمعوا بعد الفرس بممالك التركستان حتى وصلوا الى حدود الصين ، جارين على سمت أسلافهم ، فدانت لهم البلاد ، وانتشر فيها الإسلام ، ولم يقف عند حد .

سس المسلمون في كل هذه الممالك لمدارس ومعاهد التربية ، وعكفوا على الدرس والبحث ، وبذلوا التعليم للكافة لا فرق بين مسلمهم وكافرهم ، حتى أصبحت مدهم مرا كز للعلم والفضل والفنون والصنائع ، وكانت لا تعرف شيئا من ذلك من قبل . فاشتهرت دمشق والفيروان ونيسابور وإربل وسمرقند وإشبيلية وقرطبة ومصر الى عشرات من أمثالها في جميع هذه الأمبراطورية التي لم يغم ما يشبهها في الأرض . فلم يحتكروا العلوم والصنائع لأنفسهم وبلادهم ، كما فعل الفاتحون قبلهم ، ولكنهم عمموا العلم في كل قطر حلوا به ، وأشركوا أهله معهم ، حتى عُدوا أصلح الأمم لسياسة الخلق .

هذا ما شهد به مؤرخو الفرنج ودونوه بمجدين عليه ، فكان كل هذا من آثار الروح العلوي الذي بثه الإسلام في قلوب أهله . فإن كانت كل أمة تفخر بعمل قامت به في عقر دارها ولقومها خاصة ، فإن المسلمين يفخرون بأنهم محدثوا أكبر انقلاب في العالم أجمع ، فلم تنحصر همته في بلادهم ، ولم تقتصر على ذويهم ، ولكنها عمت الدنيا بأسرها .

وإن كانت كل أمة تتمدح بفرزوة أضافت بها ملكا الى ملكها ، أو بدفاع مجيد دافعت به العدو عن حوزتها ، أو بدستور أسسته لذويها ، أو بثورة سوّت بها بين جميع طبقاتها ، فإن المسلمين ليباهون بأنهم قاموا بكل ذلك مجتمعا ، لا لحسابهم خاصة ولكن

للمجموع النوع البشري كافة . فإمن علم يستهدى به الناس اليوم ، ولا صناعة ينتفعون بها ، ولا دستور يعيشون في ظلاله ، ولا مدنية يتمتعون بحسناتها ، إلا والمسلمين يد في وضع أساسها أو بناء صرحها أو الدلالة على طريقها ، وهم يفتقدون أن الفضل في ذلك كله ليس لهم ، ولكن للدين الذي جعله الله نورا للناس يهدى به من يشاء إلى طريقه المثلى « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ، فما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما »

محمد فريد وصفي

من جوامع الكلم في القرآن

قال الحارث الأعور : حدثني علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ، ونبا ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . هو الذي لا تزغ به الأهواء ، ولا تشع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه . هو الذي من تركه من حجار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، والذكر العظيم ، والصراط المستقيم . خذها اليك يا أعور .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيكون في أمتي قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، هم شر الخلق والخليقة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الزبانية لا أسرع إلى فساق حملة القرآن منهم إلى عبدة الاوثان ، فيشكون إلى ربهم فيقول . ليس من علم كس لا يعلم » .

وقال الحسن : حملة القرآن ثلاثة نفر : رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس ، ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده ، واستند به إلى لالة ، واستطال به على أهل بلده ، وقد كثرت هذا الضرب من حملة القرآن لا أكثرهم الله عز وجل ! ورجل قرأ القرآن فوضع دواء على داء قلبه ، قهر ليلته ، وهملت عيناه ، وتسربل الخشوع ، وارتدى الوفاء ، واستشعر الحزن ، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر ، بهم يسقى الله الغيث ، ويترل النصر ، ويدفع البلاء .

التفسير

سورة الرعد

- ٢ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: (أَفَلَا الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، ثُمَّ سَوَّاهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِيَقَازٍ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ. وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

قد اشتملت الآية لسابقة على التنويه بالآيات المنزلة على النبي صلى الله عليه وسلم، وإبرازها في صورة أنها الحقيقة وحدها بأن نسمى آيات الكتاب وكأن غيرها لا يستحق التسمية بهذا الاسم، ثم على إثبات حقيقة ما أنزل إليه صلى الله عليه وسلم من ربه الذي أوصله وكلمه، ثم ذكر أن أكثر الناس لا يؤمنون بما ذكر من كلماتها وحقيقتها مع قيم البرهان على إثبات هذه الحقيقة بأنهم جلاء وأكمل وضوح. فجميل أن يردف هذه الدعوى التي اجتراء أكثر الناس على الكفر بها، بما يفيد حقيقتها، ويثبت أن الارتياح فيها ما جاء من ناحيتها ولا لضعف في دليلها أو هدايتها، وإنما نشأ من عي بصائر الذين كفروا بها.

فقله تعالى: «الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها» من باب إرداف الدعوى بدليلها، وتدعيمها ببرهانها. ذلك أن إربابهم في صدقها لا يمكن أن يكون ناشئا عن استعالتها في ذاتها، إذ إمكانها الذائق لا يقبل الشك ولا يرتاب فيه، فهي في نفسها ممكنة من الممكنات بلا جدل ولا ريب، وإنما يكون الارتياب - لو فرض - ناشئا من نوع صعوبتها وعسر تحقيقها. وبعبارة أوضح يكون ناشئا من زعم تعاصيها عن قدرة من نسب إليه تحقيقها، وإذا يقال لهم: وأين ما ارتبتم في حصوله لضعف قصور القدرة عن تحقيقه مما ترونه بأعينكم وتلمسونه بحواسكم وزعمون على اعتقاده بما قام لديكم من أدلة لا تقبل النقص ولا يدخل عليها الريب؟ ألم يكن هذا الذي زعمتم نقص قدرته عن تحقيق ما ذكرنا هو الذي قامت قدرته بما هو أكبر وأعظم مما ترتابون فيه؟ ألم يكن هو الذي رفع السموات بغير عمد ترتكز عليه؟ «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» «ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه» وإنكم لتجزمون بذلك، فما أنتم أولاء ترونها ربي العيين، ويقوم على ذلك لديكم أوضح البرهين. فهل من كانت قدرته آتية على هذه القدرات العظيمة يعجزه أن يقوم بما تنكرون من بعث وإعادة؟ وذلك هو ما سيقف هذه الآيات المتتالية لا يثبته.

تدبر ذلك من قوله عز وجل بعد سوق تلك الآيات وتفصيلها: «وإن تعجب فاعجب قوْلهم إذا كنا ترابا أإن لنا خلق جديد». وعلى ذلك يكون نسق الكلام هكذا: التنويه بالآيات التي أنزلها رب العالمين عليه صلى الله عليه وسلم هدية ونورا، ثم بيان أن كل ما أنزل إليه من ربه فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن أول ذلك وأولاه بالتنبيه بعبث الناس بعد موتهم ليلقوا جزاء ما قدموا، ثم التمسك على أكثر الناس بتقاعدهم عن اليقين في دعوى قامت عليها البراهين، ولا ينكرها إلا من غلب عليه الانخداع بالآوهام، وقصور النظر عن الاهتداء بالبرهان ولو وضع له

وضوح العيار ؛ ثم سرد تلك الآيات الباهرة والدلائل الظاهرة ، مع الرجوع به إلى ما رآه واستيقنته أنفسهم من مشاهدة أحوال السموات والأرض ، والتفكير فيها أقل فكر . هـ قوله تعالى : « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها » الآيات .

ولقد عرض فيها ثلاثة أنواع من الأدلة ، هي ما بين مشاهدات يدركها الحس وهو الغالب ، ومعلومات بدليل يكاد يلحقها بالمشاهدات — (الأول) الأدلة السماوية ، وذلك في قوله تعالى : « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها » . (الثاني) الأدلة المبثوثة في الأرض من ناحية تركيبها والظواهر المتجلية فيها المتواردة عليها ، كإرسائها بأوتاد الجبال ، وشققها بالأنهار ، وكتوارد الليل والنهار . و (الثالث) الأدلة المأخوذة مما أنتجته الأرض من نبات مختلف الألوان ولطعوم ، مع اشتراكه في التغذية وتجاوره في الموقع ؛ ومما ظهر في أجزائها من اختلاف في طبائنها وألوانها ، مع تجاورها وتسلط ما يتوهم تأثيره فيها على جميع أجزائها بنسبة واحدة ، وأن ذلك لم يمنع من تباينها واختلافها ، مما يدل على أن ذلك أثر صنع القادر المختار الحكيم العليم .

الدليل الأول السماوي وهو المذكور في قوله تعالى : « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها » . ومعنى رفعها أو جدها مرتفعة ، لا أنها كانت منخفضة فرفعها ، وإنما خلقها من أول الأمر على هذه الرفع . وأدل شيء على أن رفعها بقدرته تعالى أنكم ترونها مرتفعة بلا عمد . وهذا لا يدع عند أحد ريباً في أن من رفعها كذلك قادر على ما هو أكبر من ذلك من إعادتها بعد إفنائكم « أنتم أشد خنقا أم السماء » ، فكيف ترابون في ذلك وتقولون : إذا كنا تراباً إنا لفي خلق جديد ؛ وعلى ذلك يكون الضمير في ترونها عائداً إلى السموات وأنهم يرونها مرتفعة بلا عمد . ومنهم من أرجع الضمير إلى قعد باعتبار أنه جمع عمد أو عمود كما جاء آدم وأدم وقصم وقصم . ومعلوم أن قصم وقعد حكيم واحد في الغالب . ولكن الذي عليه الأكثر أنه اسم جمع لا جمع . وقد ذكر أصحاب هذا القول أن الكلام مبني على أن المعنى نبي رؤية العمدة أي رفعها بلا عمد

مرئية فلا يتأني أن لها عمدا غير مرئية . واستأنسوا لكلامهم بأنه قد قرئ بغير عمد ترويه ، وأن الضمير حيثئذ يرجع الى العمد باعتبار أنه اسم جمع لا الى السموات لأنها مؤنثة ، فتكون القراءة بتذكير الضمير مفسرة للقراءة بتأنيثه . وزعموا أن عدم رؤية العمد مع رؤية ما ارتفع عليه دليل على سعة قدرة القادر ، إذ لكل من المرتفع والعمد حكم يخالف حكم الآخر مع اتحادهما في الحقيقة الجسمية . وقد اختلف أصحاب هذا الرأي في تفسير العمد : فمنهم من زعم أنها عمد حقيقية من أجسام حاملة ، ورووا فيها روايات لم تصح ولا يعول عليها . ومنهم من فسر العمد بقدرة الله تعالى . وهو بعيد عن ظاهر التعبير بعدا كبيرا ، ولا مقتضى للتعبير عن القدرة الإلهية بالعمد مجازا ، مع أن إضافة الرفع الى القدرة ونفي العمد بالمرّة أبلغ في تقرير القدرة .

فالظاهر أن النفي راجع الى العمد ، وأنه ليس لها عمد ، ولو كان لها لم يتموه . أي رفعها بغير عمد ، ودليل ذلك أنكم ترونها كذلك . وما ذكروه من أنه رويت القراءة بالتذكير ، فإن المعنى على هذه الرواية أنكم ترون الرفع بلا عمد ، فالضمير عليها عائد على الرفع لا الى العمد .

ولسموات عند أكثر العلماء الاسلاميين هي هذه لأجرام الفلكية المحيطة بنا المتحلية بلون الزرقة الصافية . وذلك ما يدل عليه ظواهر النصوص والأخبار الكثيرة . وبعضهم يرى أن هذا اللون ليس لون السموات ، فإنه يحدث من أسباب عدة : كأن يكون أجزاء بخارية جوية يسطع عليها شعاع ضوء الكواكب ويلبها طبقة مظلمة ، فيحصل من امتزاج الضوء الكوكبي بالأجزاء المظلمة لون متوسط بين البياض والسواد وهو لون الزرقة ، أو من تعاقب ذرات ذات ألوان متعددة ، فيحصل من امتزاجها ذلك اللون المخصوص . فلا يلزم أن يكون هذا المرئي هو لون السماء .

ويمكن الرد على هذا الوجه بأن حدوث لون الزرقة لهذا السبب الذي ذكروه لا يمنع أن يحدث سبب آخر ويكون هو لون السماء حقيقة ، فيكون كلا الأمرين في نظر العقل

محتملا . وقد جاءت ظواهر النصوص معيدة أن ما نراه هو السماء ، فلا موجب لصرفها من ظاهرها .

وأصحاب هذا المذهب الثاني منهم من يفسر السموات بأنها الكواكب ؛ وكل ما ارتفع فهو سماء . ومنهم من يفسرها بأنها المناطق التي تسبح فيها الكواكب وهي أيضا مرتفعة . ولا يخفى عليك أن ظهور آثار القدرة إنما يكون في رفع شيء ذي وجود ؛ أما المناطق الخالية التي لم تزد عن أنها فراغ تسبح فيه السموات فليس في ارتفاعه وهو خلق أثر للقدرة ، ولا يقال إنما نراه مرتقعا .

وبعد : فالذي ينقدح في لذهن ونطمش اليه النفس ، هو أن هذا المرئي هو السماء ، وذلك ظاهر النصوص . فإذا قام الدليل العقلي على نفيه ذلك ، وأثبت أنه ليس هناك سماء بالمعنى الجري المتعارف ، صح المصير الى التأويل ، وإلا كان التأويل والصرف عن الظاهر تشميا بلا داع . ولتجنبه الى أنه فرق بين قيام الدليل العقلي على انتفاء السموات وبين عدم قيامه على وجودها ، فالأول يصلح صارفا للنصوص عن ظواهرها بخلاف الثاني . كما أن هناك فرقا بين الدليل الموجب للجزم والدليل الحاصل للتعمين والظن ؛ فالأول يصلح لتأويل النصوص بخلاف الثاني .

قال تعالى : « ثم استوى على العرش » :

يقال كثيرا في التعبير عن الأمور المعنوية : استقر الأمر في نصابه ، واستقامت الأحوال ، واستوى على كرسي المملكة ؛ وليس للأمر المعنوية مقر جسمي وحيز ومكان ، كما أنه ليس للأحوال قامة وامتداد يستقيم أو يهوج ؛ وقد يكون إليك لم يتخذ كرسيًا مخصوصا بالمملكة يجلس عليه وإنما يجلس حيث أراد . ولكن هذه للتعبيرات الفرض منها مفهوم ، وهو أن القلاقل والاضطرابات المحلة بالأمن أو النظام قد زالت ، وأن الرياسة للملك قد تحققت ولم يبق له معارض أو مشارك . يفهم هذا للمعنى من له أدنى إلمام بمتعارف الناس في مخاطباتهم ؛ فلا ينبغي أن يلتفت الى ما وقع فيه بعض

فصار النظر من أهل الظاهر الذين أهملوا قضية العقل الصريح والمنطق الصحيح :
 فزعموا أن للإله استواء حسيا على عرشه كاستوائنا في أمكتنا . فلو كان الأمر
 كذلك لكان بحاجة إلى ما يعتمد عليه ويستوى فيه ، ولكان العرش سابقا على وجوده
 حتى يستوى عليه لأول وجوده ، ولكان بحاجة في وجوده إلى العرش الذي هو من
 مصنوعاته ، ولكان حسيا يصح أن يميزا وأن يركب ، فهو محتاج إلى من يضم أجزائه
 بعضهم إلى بعض ؛ وكل هذه محالات طاهرة الاستحالة ولا تتفق ومعنى الإلهية واستنائه
 عن كل ما سواه واحتياج كل ما عداه إليه . وهي غلة بمعنى وجوب الوجود الذي قام عليه
 البرهان القاطع . وعلى ذلك فتفسير استوى على العرش بالاستواء حسي باطل قطعا .
 وقد اختلف علماء التوحيد في مثل هذه التبييرات فتم من يقول : هذا من التشابه
 تؤمن به وإن لم تفهم للمعنى المراد منه على التعيين ، فالثمة مستوى على العرش استواء لا نعلم
 حقيقة ، كما لا نعلم حقيقة تعالى وكنه ذاته . وأصحاب هذا المسلك هم السلف ؛ وطريقهم
 أسلم . ومنهم من يفسرها بأقرب المعاني إليها وأنسبها بها في متعارف التعاطب ، ويقول :
 إن معنى الاستواء الاستيلاء ، وكمال النفوذ والانفراد بالتدبير وما يتأثر ذلك ، ويقولون .
 إنها على طراز قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مبراق

فليس معناه جلس على العراق ، وإنما معناه تم له أمر الحكم والنفوذ فيه . وهذه
 طريقة الخلف ، وهي أحكم ، لأنها تفسر بما يشبع شهوة العقول المتعاضية على التسليم
 بشئ ، دون أن تفهمه بجلاء ، وموافقة للتعبير المتعارف في مثل ذلك .

وغاية الأمر يبقى الكلام في أمرين (الأول) التعبير بصيغة ستوى وقد تروم أنه
 لم يكن مستويا ثم استوى . و (الثاني) التعبير بكامة ثم وقد تروم أن الاستواء متأخر
 على رفع السموات مع أن نفوذ جل شأنه في تدبير ملكه ثابت أزلا وأبدا .
 فأما الأول فدفع بأن صيغ الأفعال المستندة إلى الحق جل جلاله ليس في معناها

الزمان ، وإنما تدل على حصول مضمونها ، إذ ليس لحق تعالى زمانيا ولا حاضعا لأحكام الزمان ، وذلك كما تسمعه كثيرا في كلامهم على قوله تعالى : « وكان الله على كل شيء مقتدرا » « وكان الله بكل شيء محيطا » وأمثلهما . فليس المعنى أنه كان كذلك ثم زال عنه ، حاش الله .

وأما الثاني فليس الترتيب المستفاد من ثم منصبا على مضمون الأمرين المتعاطفين بها ، وإنما هو ترتيب بين الأدلة المتعاطفة فكأنه استدل أولا بإيجاد السموات مرتفعة ، ثم انتقل الى مرتبة تليها في الاستدلال وهي الاستواء على عرش الملك وتتمام نفوذ التدبير والحكم .

ووجه الترتيب بين هذين الدليلين أن الأول وهو رفع السموات بغير عمد أمر واضح جلي لا يحتاج الى أكثر من الالتفات الى ما يقع عليه الحس والتأمل فيه أقل تأمل . وأما الثاني وهو استوائه على العرش فإنه محتاج الى فضل تأمل وإعمال فكرر في الظواهر العالمية ليعلم خضوعها للهيمن عليها ونفوذ حكمه فيها .

ولقد فصلها فيما يلي تفصيلا ما ، ونبه على أشياء يعلم بها غيرها ، حيث قال . « وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى » . أى أفلا ترى من هذا التسخير السكامل للخواصين هما من أعظم ما تقع عليه العين أن فاعل ذلك هو من نفذ حكمه في كل شيء ، ودان له كل شيء ، واستوى على عرش الملكة لا يشذ عليه شيء . وعلى ذلك يكون الدليل الأول من الوضوح بحيث يفتح كل عين مغلقة .

فإذا أخذ هذا الحكم على النفس مسالكها ، وأرغها على الاعتراف بما عرض عليها ولم تجد مندوحة من الإقرار والإذعان ، دعيت الى التأمل العميق الذى يملؤها يقينا ، فقبل لها : وانتقل الى ما هو أعمق أثرا وأكمل نظرا ، لترى أنه مالك الأمر كله صاحب الملك والملكوت ، وأنه استوى على العرش بلا منازع ولا مشارك . فلا زين كيف سخر لحكمه بحكمته أعظم الكواكب التى تتجلى لك ، فلا يستطيع شيء منها

الخروج عن تدبيره وتسخيره ؟ ألا تريه قد سحر الشمس والقمر كل يحسرى بأمره
في مستقره الى أجله الذي ضربه له ؟

وغير خاف أن لاستدلال الحكيم هو ما يبدئ فيه بالأمر لتواضع ثم ينتقل الى
ما هو أعمق منه وأدق ، وأن الدليل الدقيق قد يحتاج الى توضيح وتفصيل ، وهو ما ذكر
في قوله عز شأنه : « وسخر الشمس والقمر كل يحسرى لأجل مسمى » .
بقى الكلام في نسبة الجرى الى الشمس والقمر مع قيام الدليل على أن التحرك هو
الأرض حول الشمس لا الشمس حول الأرض . ونقول فيه :

إنه بعد تسليم تمام الدليل في ذلك وخلوه من المنوع ووصوله الى درجة اليقين ،
وذلك ما لم يزعمه القائلون به ، فإن غاية أمرهم أنهم يقولون : إن الظاهر المناسب للألوف
والأقرب الى التخمين هو أن الأصغر يدور حول الأكبر ، ولا شك أن الأرض
أصغر مرات كثيرة من الشمس فهي الأحق بأن تكون هي المتحركة كما أن تكرار
حركة البندول في مسافة مرتفعة غالية من الهواء يعطى التخمين بأن الأرض هي
المتحركة ، فقد ذكروا أن ذلك تخمين لا يقين .

ويمكن توجه المنع عليه بأن الله يفعل ما يشاء بقدرته لا يتقيد بالتوابع الظاهرة لنا ،
فلا مانع عقلا من أن يتحرك الأكبر حول الأصغر أو الأصغر حول الأكبر ،
وحركة البندول التي زعموها يجوز أن تنشأ عن سبب أثري أو غيره مما يحيط بالأرض
وإن لم يتكشف لنا فأمومه تمام الانكشاف .

وعلى فرض تمام الدليل يتينا قليلا في ذلك ما يمكن على المقصود من لآية الكسوف ،
وذلك أن المقصود فيما تأتي به النبوات من توجه النظر الى ما يحسرى في هذا العالم إنما
هو التنبيه لمواضع العبرة بحسب ما يدركه الانسان ببادئ النظر ، ليم عليه الامتثال
في آيات الامتنان ، أو ليحصل لإذعان في مقام الاستدلال وإقامة البرهان ولا شك
أن هذا يأتي برؤية الآثار الظاهرة مهما كان سببها والاموس الذي استتبعها ، وليس

المقصود شرح دقائق الصناعات والأسباب الخفية التي يتعاضى على جمهور المخاطبين فهم دقائقها، وإلا كان الخطاب بالشرائع مقصوراً على فئة تتحمل أذهانها فهم تلك الدقائق. انظر الى قوله تعالى: «يسألونك عن الأهلة قل هي موافيت للناس والحج» فقد كان سؤالهم: ما السبب في أن القمر يبدو هلالاً صغيراً ثم يزايد حتى يصير بدر كاملاً؟ فكان جوابهم أن ذلك لكي يضبط الناس به موافيتهم في مواعيدهم وأعمالهم الدينية والدينية، ومن أهم ذلك موافيت الحج. فانظر كيف سألوا عن السبب فلم يجابوا الى ما طلبوا من أن ذلك ناشئ عن كون القمر لا ضوء له في ذاته وإنما يستفيد من مقابلة الشمس، وللأرض حيولة بينه وبينها تختلف أوضاعها باختلاف المنازل، وأمثال ذلك مما لا يسهل إدراكه إلا على من مارس شيئاً من قواعد علم الهيئة. وما جاءت الشرائع لتعليم دقائق الصناعات وقواعد العلوم، بل اكتفى فيها بالدعوة الى إجادة النظر والتفكير، حتى يصلوا منها الى ما تسمه عقولهم، وتتوقف عليه مصالحهم، ويصحح عليه دليلهم. وعلى طراز ذلك ما سيأتي في الآية القريبة «يُسْقَى بِمَاءٍ وَحْدٍ وَتَفْضُلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ» فقد نبه الى مواضع العبرة ومشار المنة، ولم يشرح السبب الطبيعي.

إذا تقرر هذا نقول: إن موضع العبرة والاستدلال على كمال القدرة هو فيما يرويه بأنفسهم من ضبط حركات الشمس والقمر مسخرين لأمر الله كل يجري لأجل مسمى لا خلل فيه ولا اضطراب، فبذلك يضبطون موافيتهم ويظمون شئونهم، وذلك بتسخير من رهم، فله المنة، وهو كمال القدرة. وما زال الناس في كل زمان وأوانٍ يقولون: أشرق الشمس أو غابت الشمس، كتناء في ذلك بظاهر ما يرون، ولا يقول أحد في مخاطباته العادية: دارت الأرض حول الشمس أو سامت نصف الأرض الشرق أو الغرب جرم الشمس. فعلى هذا تكون الآية موجبة نظر المكلفين الى ما يبدو لهم وترتب عليه مصالحهم، وهذا هو ما يليق بالهداية والاعتبار.

هذا ولا يفوتنا قبل أن تنتقل من الكلام في هذه الآية أن تنبه على فساد الزعم

بأن حركة الأرض حول الشمس مذهب اهلتي إلهه التأخرون من علماء الهيئة بعد أن كان لا يعرفه أحد. فليس هذا الزعم من الصواب في شيء، بل الحقيقة أن هذا مذهب قديم، بل كان هو السائد على أغلب علماء الهيئة في زمن قديم، ثم تغلب عليه رأى القائلين بأن الشمس هي الدائرة في الطلح المحيط بالأرض، فانفرد المذهب الأول والقائلون به، ثم تجد انتصار للمذهب القديم القائل بأن الأرض هي المتحركة. وكلا الفريقين يكتفي بقوة التضمن ولا يدعي الجزم واليقين، وإنما أتباع الفريقين من أنصاف العلماء هم الذين يتناولون في نصرة متبوعيههم، فيزعمون لهم أكثر مما يزعمون لأنفسهم، فيجعلون ظلمهم جزماً وتخصيئهم يقيناً، وذلك من ظلم العلم، وهو شائع في كل زمان، وما أكثره في زماننا هذا!

هذا ومما نفتت إليه نظر القارئ أنه قد جاء في هذه الآية «كل يجرى لأجل مسمى» وجاء في آية أخرى «كل يجرى إلى أجل مسمى» ففيل إن المعنى في الآيتين واحد، وإن اللام هنا بمعنى إلى، وهو مطابق لما روى عن مجاهد أن الأجل المسمى هو عمر الدنيا، وأنه ينتهي بما ذكر في قوله تعالى: «إذا الشمس كورت» وأمثلة. ولكن المروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الأجل المسمى: النازل المقدرة لها، والوقت المعين لسير كل منهما، والدرجات الخاصة بهما، وأن لكل منهما مداره حسب اقتضائه الحكمة الإلهية. وبلوح أن هذا أنسب بمعنى التسخير المذكور في قوله: «وسخر للشمس والقمر»، أي جعل لكل منهما درجات لا يمدوها، ومنازل خاصة، ومقداراً معيناً يطابق الحكمة والمصلحة المرعية في نظامهما، فيكون معنى اللام هنا غير معنى إلى. والمعنى كل يجرى ملتزماً خطة معينة رسمت له لا يمدوها. وهذا هو الظاهر.

أردف هذا بقوله تعالى: «يدبر الأمر» أي هذا الذي تشاهدون من آثار صنعه وبديع حكمته ما تشاهدون، هو الذي يدير كل الأمور، ويحكم التصريف في جميع العالم عبودية وسفلية، فهو الذي استوى على العرش ونفذ قدرته في الملك والمسلوك. وبذلك يكون

قوله: «يدبر الأمر» بعد ذكر تسخير الشمس والقمر من باب قولهم: عود على بدء، بالنسبة لقوله: «ثم استوى على العرش» فكان استواءه على العرش دليل على سعة قدرته، ويحتاج الى دليل يثبته هو ما شاهدون من تسخير الشمس والقمر الذي تستفيدون منه أنه هو الذي يدبر الأمر، فهو المستوى على العرش، وهو صاحب التدبير والتصرف في الأمر كله، لا إله غيره.

أرأيت كيف ارتبطت الآيات بعضها ببعض حتى صارت كلاماً واحداً في حين أنها مفصلة تفصيلاً حكماً لكل ما نذنه وجمال موقعه؟ كذلك يفصل الله آياته ويبينها مفصلة وضحة، تعطى فائدتها وتستكمل هدايتها، وترشد العقول السليمة من الرين الى ما فيه هداها. فقوله تعالى: «يفصل الآيات» تنويه بكمال الفائدة وعظم الجلال الذي اشتملت عليه تلك الآيات. وعلى ذلك يكون المراد بالآيات آيات الكتاب السابق التنويه بفضلها في أول الآية الكريمة «تلك آيات الكتاب». وقيل إن المراد الآيات الكونية التي أوجدها تعالى في العالم واضحة لدلالة على قدرته وأنه للتصرف في العالم بإبداع حكمته والخليفة أنه فصل كلاً من آيات الكتاب وآيات التكوين عما يهدي كل ناظر مسترشد. فالحمد لله حق حمده.

بقي معنى نحب أن نرشده اليه، وهو أن معنى التدبير في اللغة النظر في دبر الأمور وعوقبها ليختار منها أسلمها عاقبة بعد التفكير. وهذا المعنى مستحيل بالنسبة اليه تعالى، إذ كل شيء معلوم له تعالى بالفعل بلا نظر ولا تفكير، وإنما المراد لآدم وهو الإتيان والإحكام، فإن شأن من يتأمل في عواقب الأمور أن يحيد صحتها، ولكنه تعالى غنى بعلمه الشامل عن التأمل والتفكير، فذلك شأن من لم يحيط علماً بما يتناوله صنعه، وحاشا له عز شأنه أن يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وقوله تعالى: «لعلكم تلقوا ربكم توفقون»:

قد سبق لنا تفسير معنى «لعل» في مثل هذا المقام، ولكن لا نرى بأساً من إعادته

بإيجاز فنقول : إن معنى لعل في هذا ونحوه هو معنى اللام الغائية المفيدة للحكمة المترتبة على ما ذكرت لعل في سياقه . وقاية الأمر أن بينهما فرقا في مواضع الاستعمال : فاللام تذكر في موضع التعليل المحتوم نأدية الفعل فيه للغاية . وأما لعل فتأتي في التعليل الذي يدخل فيه إرادة الكلف في اغتنام فرصته فتحصل الغاية ، أو تفويتها على نفسه فلا نحصل . فكان التعليل في لعل معناه : قد هيأنا لكم ما لو اغتنتموه لأخذتم فائدته فلملكم تفنمون ، فهذا موكلول الى حسن اختياركم . فهو يبرزكم في صورة من يرجى منه . وإلا فعنى الرضاء مستحيل على الله تعالى ، إذ بيده الأمر كله ، وهو الفاعل لما يريد ، والعليم بما يكون .

هذا وترتيب الايتان بقاء الله على تفصيل الايات صحيح ، سواء أفسرت الايات بايات الكتاب التي أرشدت الى ما في الكون من عظام آثار القدرة ، أم بالآيات الكونية التي يهدي تأملها الى جلال مبدعها . ولكن رد آخر الكلام الى أوله قد يرجع التفسير الأول .

نسأله تعالى أن يعلا قلوبنا بيقية . وإيماننا . إنه هو الكريم الرحيم . وصلى الله على سيده محمد وعلى آله وصحبه وسلم
ابراهيم الجبالي

الفخر بقله العدن مع الكرم

قال السمود :

تسيرنا أنا قبل عديدا فقلت لها إن الكرام قبل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزز ومار الأكرين ذليل
وعال هاجر في تمليل قلة الكرام :
نغات الطير أكثرها هراظ وأم الباز مقلات نزور
المرأة المقلات والنزور : القليلة الأولاد .

الرحمة

أسمعتك فيما سبق شيئاً عن المحبة وأواعها . وزيد اليوم أن تذكر لك شيئاً عن الرحمة كنتيجة للمحبة فنقول :

الرحمة من أشرف الخصال وأكرم الأخلاق ؛ وإن الله لا يحب شيئاً مثل ما يجب للرحمة والتواضع ؛ ولا يكره شيئاً مثل ما يكره القسوة والكبرياء .

وقد ورد في الحديث الصحيح : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » . وذكر من التي للمافل ها هنا لتغليب لأشرف على غيره . وإياك أن تفهم من ذكرها أنك لست مأمور إلا برحمة النوع الانساني فقط ، فإنك مأمور بالرحمة لكل ذي روح .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « في كبد كل رطبة صدقة » . وإذا كانت امرأة قد دخلت النار من أجل مرة حبستها كما في الحديث الصحيح ، فلا غرو أن تدخل الجنة من أجل مرة ترحمها .

وقد ورد « إن الله رحيم ، وإنما يرحم من عباده الرحماء » ، ويقول الله تعالى في الحديث القدسي : « سبقت رحمي غضبي » .

وليس ذلك الحنان الذي تراه في قلوب الآباء والأمهات في أفراد النوع الانساني وصائر أنواع الحيوان مما يسوقهم سوقاً اضطرارياً الى تعبد الولد ومراعاته في كل ما يجب له ، ولا تلك الشفقة التي تجدها من نفسك إذا رأيت مظلوماً ضعيفاً أو فقيراً بائساً ، إلا أثرًا من آثار تلك الرحمة الإلهية .

ومواساة الإخوان والجيران والشفقة على الفقراء ، والضعفاء من أفضل الأعمال التي حث عليها الدين وندبت اليها الشريعة . وكل ذلك من آثار الرحمة الإلهية التي قامت بها السموات والأرض . ولا محل ها هنا لتفصيل رحمته تعالى بك وفضله عليك يجرى

البهار، وتفجير الأنهار، وتيسير الأنوار، وخلق الليل والنهار، وإنبات النبات، وبقية الآيات، وأنواع النعم المتواترات .

وقد قال تعالى : « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يُحيي الأرضَ بعد موتها » الخ . وبالجملة ففِيكَ من الانسانية على قدر ما فِيكَ من الرحمة . وعلى قدر ما فِيكَ من القسوة يكون بعدك من الله وانسلاخك من الانسانية ؛ فإِنَّكَ لا تتكلم إلا إذا انفعلت نفسك بالكلمات ومكارم الأخلاق المرة بعد المرة ، وعلى قدر لِين قلبك وسرعة تأثرِكَ يكون قبولك لتلك الكلمات . وأما ذلك القلب القاسي الذي لا يتفعل ولا يتأثر ، فإنه بعيد من الكمال جدا ، حيث كان غير مستعد للانفعال ولا قابل للنقش فيه .

وإن من القلوب قلوبا كالحجارة أو أشد قسوة ؛ وإن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها ما يشققُ فيخرج منه الماء . ومن كان بهذه الصفة فهو شقي في الدنيا والآخرة ، محقوت لدى الله والناس .

وقد قرر الملاسفة أن الإنسان قد ينحط إلى دركات هي أسفل من كل المراتب التي فيها أنواع الحيوان ، وإذا لا يكون إنسانا إلا في صورته .

وقد ظَل بعض الحكماء : إن من الناس من تفسد إنسانيته فيصبح غير إنسان . وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » . ويقول : « والعصر إن الإنسان لئى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » . ولا يمكنك أن تصل إلى درجة الكمال إلا إذا لم تنكس من ذوى القلوب القاسية والنفوس الجامحة .

واخلاصة أنه لو انصف الناس بالرحمة لكانوا كاملين في إنسانيتهم ، فلم يفعلوا . فعمل الوحوش الضادية بإخوانهم وبنى نوعهم .

لو تمت لرحمة في النفوس لما ألهمتهم الأُم القوية الأُم الضعيفة ، ولما فعلت بهم

ما لا تقعله أقوى الحيوانات بأضعفها . على أن الحيوان لا يفترس أبناء نوعه مهما كانت وحشيته وشرارته .

لوتمت الرحمة في الأغنياء لما عمتهم الفقراء ؛ ولوتمت الرحمة في الفضة لما تأخرت الفضيا السنين الطول ، ولالحق أربابها شديد النكال وعظيم الوبال . ولوتمت فيك الرحمة لدمالك جيرانك وأثني عليك إخوانك . ولوتمت الرحمة فيك لبذلت النصع العامة والخاصة لإخلاصهم وإشفاقا عليهم (والدن النصيحة) ولوتمت فيك لرحمة لا شغفت على القريب والبعيد ، ورحمت المبتلى والمعافى ، والانسان وغير الانسان . بل نقول : لوتمت فيك الرحمة لكنت من الرحومين الذين يشفقون على أنفسهم فلا يورطونها في المهلكات ولا يجلبون عليها أعظم الآفات ، ويمرمونها من أفضل أنواع السعادات .

وإجمال القول أنه إذا استقام هذا لأصل للانسان في الدين ، استقام له سائر ، ففاز بخير الدنيا والآخرة فأزل — يرحمك الله — من نفسك لقسوة ، وكن رفيق المؤاد ، ولا تكن من غلاظ لا كباد ، فالراحمون يرحمهم الرحمن .

وما أحسن قول ابن حجر المكي في هذا الموضوع :

ارحم عباد الله يرحمك الذي عم الخلاق جوده ونواله
فالراحمون لهم نصيب وافر من رحمة الرحمن جل جلاله
وتقول الحافظ ابن عساكر :

بدر الى الخير إذا لب مغنما ولا تكن عن قليل خير محتشم
واشكر لمولاك ما أولاك من نعم فالشكر يستوجب الإقبال والكرما
وارحم بقلبك خلق الله وارحمهم فإنما يرحم الرحمن من رحما
وقال غيره :

من يرحم الخلق فالرحمن يرحمه ويكشف الله عنه الضر والبأسا

ففي صحيح البخاري جاء متصلا لا يرحم الله من لا يرحم الناس
ولابأس أن تذكر لك كلمة وجيزة مما جاء في السنة من الحث على الرحمة، فنقول:
روى البخاري في الأدب المفرد وأحمد وأبو داود والترمذي وآخرون عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ارحموا من في الأرض
يرحمكم من في السماء» (لك أن تقولوا برحمتكم بالجزم جوابا للأمر، والرفع على أنه جملة دعائية).
وروى الشيخان هذا الحديث عن أسامة بن زيد بلفظ «إنما يرحم الله من عباده
الرحماء». ومن ذلك ما رواه عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من لا يرحم
لا يرحم».

وروى أحمد عن جابر «من لا يرحم لا يرحم»، ومن لا يفر لا يفر له».
ومنها ما رواه الشيخان عن جرير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من لا يرحم
الناس لا يرحمه الله»، وروى الإمام أحمد وعبد بن حميد في مسنديهما والطبراني وغيرهم
بسند جيد عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا «ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم»،
ويل للمصيرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون». وأخرج أبو داود والترمذي عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزرع الرحمة
إلا من شقي».

وعنه أيضا قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما
وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولا ما قُبلت أحدا منهم.
فغضب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم» أخرجه
الشيخان وأبو داود والترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما رجل
يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب، ثم خرج وإذا كلب يلهث
بأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي

كان بلغ منى ، فنزل البئر فلا خفه ماء ثم أمسك فيه حتى رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له تعالى فغفر له . قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال : في كل كبد رطبة أجر . أخرجه الشيخان في الصحيحين ومالك في الموطأ . وعن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش^(١) الأرض » أخرجه لشيخان . وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه » أخرجه مسلم وأبو داود . وعن جرير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بحرم الرفق بحرم الخير كله » أخرجه مسلم وأبو داود . وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بمت أحدا في بعض أمره قال : « نشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تمسروا » . أخرجه أبو داود .

هذه وقد رأينا لأبي السعود عند قوله تعالى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ، وما النعمة إلا أثر من آثار الرحمة ، عبارة جلية تروق ذوى الأفهام ، فأحبينا أن نذكرها لك في هذا المقام ، لتعرف نعم الله عليك ورحمته بك ، فتجعل شكر تلك النعم التي لا تحصى رحمة عباد الله ، والشفقة على خلق الله ، فكما تدين تذا ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ وهالك عبارة أبي السعود :

« وإن تعدوا نعمة الله » التي أنعم بها عليكم « لا تحصوها » لا تطيقوا حصرها ولو إجمالا فإنها غير متناهية ، كيف لا وما من فرد من أفراد الناس وإن كان في أقصى مراتب الفقر والإفلاس ، ممنوا بأصناف البلائيا ، مبتلى بأنواع الرزايا ، فهو بحيث لو تأملت ألفتته متقلبا في نعم لا تحصى ، ومن لا يحصى ولا تعد ، كأنه قد أعطى كل ساعة وآن من النعم ، ما حواه حيطه إلا مكان . وإن كنت في ريب من ذلك فقدر أنه ملك ملك أقطار العالم ودانت له كافة الأمم ، وأذعنت لطاعته السراة ، وخضعت لهيبته رقاب

(١) خشاش الأرض : حوائط وحشرات .

العناء، وماز بكل مرام، وثلك كل مثال، وحاز جميع ما في لدنيا من أصناف الأموال، من غير نديزاجه، ولا شريك يساعده. بل قدر أن جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر. قدر أنه قد وقع من فقد مشروب أو مطعم، في حالة بلغت منها نفسه الخلقوم فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع ماله من الملك والمال لقمة تنجيه أو شربة ترويه، أم يختار الهلاك فتذهب الأموال والأموال بغير بدل يبق عليه، ولا نفع يعود إليه؟ كلا، بل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدين كأنها ما كان، وليس في صفقته شائبة الخسران. فإذا تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بألف رتبة، مع أنها في طرف النمام، ينالها متى شاء من الليالي والأيام. أو قدر أنه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج، ولا خرج منه ما ولج، والحين قد حان، وأنه الموت من كل مكان، أما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد؟ بل يعطيه وهو لربيه حامد، فإذا هو خير من مول الدنيا يحملها ومصابها برمتها، مع أنه قد أبيع له كل آن من آيات الليالي والأيام، حال الينقطة والنام. هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على أحد من العقلاء. وإن رمت المتور على حقيفة الحق، ولوقوف على كل ما جل من السرّ ودقّ، فاعلم أن الإنسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمنزل من استحقاق الوجود وما يتبته من الكمالات اللاتمة والملكات الراضة، بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الإلهية من العلاقة لما استقر له القرار، ولا اطمأنت به الدار، إلا في مطمودة العدم والبرار، ومهاوى الهلاك والدمار. لكن يفيض عليه من الجنب الأقدس، ثمالي شأنه وتقدس، في كل زمان يحفى، وكل آن يمر وينقضى، من أنواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير، ولا يعلم به إلا العليم الخبير. وتوضيحه أنه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء، وإنما ذلك من جنب المبدأ الأول عز وجل. فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسب عليه جميع أنحاء عدمه لأصلي، لا يتصور بقاءه على الوجود بفسد تحققه نعلته ما لم ينسب عليه جميع أنحاء عدمه الطاري، لأن

الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي . وأنت خير بأن ما يتوقف عليه وجوده من الأمور الوجودية التي هي علله وشرائطه وإن وجب كونها متناهية لجوب تناهي مادخل تحت الوجود، لكن الأمور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك ، إذ لا استعالة في أن يكون الشيء واحداً موانع غير متناهية ، وإنما الاستعالة في دخولها تحت الوجود . فارتفاع تلك الموانع التي لا تنتهي أعني بقاءها على العدم مع إمكان وجودها في أنفسها في كل آن من آتات وجوده ، نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء ؛ وكذلك في وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء ؛ وكذلك في كماله التابعة لوجوده . فأتضح أنه يفيض عليه كل آن نعم لا تنتهي من وجود شئ . فسبحانك سبحانك ما أعظم سلطانك ، لا تلاحظك العيون بأنظارها ، ولا تطالعك العقول بأفكارها ، شأنك لا يضاهي وإحسانك لا يقتناهي . ونحن في معرفتك حائرون ، وفي إقامة مراسم شكرك قاصرون . نسألك الهداية لي منهج معرفتك ، والتوفيق لأداء حقوق نعمتك ، لا نحصى ثناء عليك ، لا إله إلا أنت ، نستغفرك وتوب اليك . انتهى . ولتقتصر على هذا ، ولعل فيه مقنناً وكفاية لمن أراد أن يسعد نفسه ويسعد به أمته . جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه بمنه وكرمه

يوسف البرموي
من هيئة كبار العلماء

الاجمال في الطلب

قال الصنابي : إن طلبت حاجة إلى ذي سلطان فأجل في الطلب إليه ، وياك والالحاح عليه ، فإن الحاجة تكلم عرشك ، وتريق ماء وجهك ، فلا تأخذ منه عوضاً لما يأخذ منك ، ولعل الحاح يجمع عليك إراقة ماء الوجه ، وحرمان النجاح ، فاته وبما مل لمطارب إليه حتى يسخف بالطلب . وقال شاعر :

إن كنت طالب حاجة فتجمل فيها بأحد من ما طلبت وأجل
إن الكريم إذا المروءة والنهي من ليس في حاجاته بمثقل

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

ننظر إلى الصور - الرنما بخالة المروجة أو أمها

شرح آية - القصص الخيالية

ورد إلى المجلة هذه الاسئلة :

- ١ - هل النظر إلى الصور الفوتوغرافية الزيتية وصور الخيالة (السينما أو جرف) حرام أم مباح ؟
- ٢ - رجل تزوج بامرأة ثم زنى بخالتها أو أمها أو عمتها : هل تحرم عليه ؟ وما قولكم في قول « ولا يحرم الحرام الحلال » ؟
- ٣ - عن شرح قول الله سبحانه وتعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » وشرح قوله تعالى . « أو نسأهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال » .

٤ - هل القصص الخيالية ضرب من الكذب الممنوع شرعا ؟

الجواب

١ - النظر إلى الصور :

النظر إلى الصور للصورة بشكل مخل بالآداب ومؤد إلى ارتكاب ما لا يليق شرعا ، حرام . وإذا كان مع هذا اختلاط لرجال بالنساء فهو أشد حرمة ، كوجود في دور الملاهي أما الصور التي لا ظل لها من صور الإنسان أو الحيوان مطلقا فلا شيء في النظر إليها . وأما الصور التي لها ظل فتصويرها حرام إن كانت صورة كاملة ، وإن كانت ناقصة فلا إن كانت لا تبيش مع ذلك النفس .

٢ - زنا بخلة الزوجة أو أمها :

الزنا بغير الأم للزوجة وبنتها لا يحرم المرأة ، وإنما الذي يحرم عند الحنفية هو الزنا بأم المرأة وبنتها ، فعندم وطء المرأة بالنكاح كوطئها زنا بوجوب حرمة المصاهرة .
يعنى أن من زنى بامرأة حرم عليه أصولها وفروعها ، وحرمت هي على أصوله وفروعه ، كوطء امرأته . واستدلوا على ذلك بالكتاب وهو قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء » قالوا : أى لا تطؤوا ما وطئ آبؤكم ، لأن النكاح حقيقة فى الوطء مجاز فى العقد ، ولا وجه هنا للمدول عن الحقيقة الى المجاز بدون داع يدعو اليه ، فتقييد الوطء بالحلل زيادة على النص ، ولزيادة نسخ ولا ينسخ الكتاب إلا بمكافئ له ، ولم يوجد .
واستدلوا أيضا بالقياس - قالوا : إن العلة فى ثبوت حرمة المصاهرة المتقدمة هي الوطء من حيث كونه سببا للولد الذى هو جزء من الواطئ* ومن الموطوءة ؛ وأما وصف الحل فلا أثر له فى التحريم فهو ملغى . وبيان إلغاءه أن وطء الأمة المشتركة والمجوسية ووطء الحائض والنفساء ووطء المحرم والصائم كل ذلك حرام وثبت به حرمة المصاهرة ، فالوطء المحرم يشارك الوطء الحلال فى المعنى المناسب لثبوت حرمة المصاهرة وهو كونه سببا لجزئية الموطوءة للواصى* وجزئية الواطئ للموطوءة ، الذى يجعل أصول الواطئ* وفروعه كأصول الموطوءة وفروعها ، ويجعل أصول الموطوءة وفروعها كأصول الواطئ* وفروعه . وبيان ذلك أن الولد جزء الواطئ* : أما بعضه فهو جزء له حقيقة ، والبعض الثانى جزء له حكما ، بدليل إرثه منه وغير ذلك من الأحكام المترتبة على نسبته اليه بتمامه . وما قيل فى جزئية الولد للواصى* يقال فى جزئية الولد للموطوءة .

ومتى ثبتت جزئية الولد من كل منهما ثبتت جزئية بين الرجل ونفس المرأة ، لأن الولد جزء منها وجزء منه ، فيكون جزء المرأة جزء الرجل وجزء الرجل جزء المرأة .
نشأ من هذا أن صارت أم الموطوءة كأم الواطئ* وبنتها كبناته ، وأن صار أبو الواطئ* كأب الموطوءة وابنه كابنها ، وهذا كله بواسطة الوطء الذى أتى بجزئية

الولد . وكان مقتضى هذا أن نحرم المرأة نفسها ، لأن الاستمتاع بالجزء حرام ولكن أيسحت للصورة ، لتلايفسد باب الزواج . ومذهب الحنفية مذهب كثير من الصحابة رضى الله عنهم .

وأما الشافعية رضى الله عنهم فقالوا : إن الزنا لا يوجب حرمة المصاهرة . ومذهبهم أيضا مذهب جماعة من الصحابة رضى الله عنهم . ومن أداتهم قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يحرم الحرام الحلال » وقد أجاب الحنفية عن هذا بأجوبة — منها أننا نقول بموجب هذا الحديث ونقول : لا يحرم الحرام الحلال من جهة كونه حراما ، وما أثبتنا التحريم بالزنا من جهة كونه حراما ، وإنما أثبتنا التحريم به من جهة كونه سببا في الجزئية التي يترتب عليها التحريم في الوطء الحلال .

مصرح آية :

الهم ^١ يطلق ويراد به القصد ولا إرادة مطلقا ، ويطلق ويراد به القصد الجرم الذي معه عقد القلب على الفعل عقدا ثابتا . فالهم للنسب الى يوسف عليه الصلاة والسلام هو بالمعنى الأول . دليله حاله : من الحرب ، والجري الى الباب ، وقوله تعالى في شأنه : « إنه من عبادنا المحلّصين » . والمراد المعنى الثاني من هما . ودليله أيضا حذف . فالهم من قبله هو الميل الطبيعي الذي ليس معه عقد القلب على الفعل والهم من قبلها ما معه ذلك العقد القسبي على الفعل ، والأول لا يدخل تحت التكليف .

وقال بعض المفسرين : الهم من قبله معناه الخاطر الذي يحظر على القلب وليس معه ميل طبيعي ؛ وأما من قبلها فهو القصد والعقد لقلبي . وكل من العنيين معنى للهم . والأدلة على إرادة المعنى الأول بالنسبة ليوسف عليه السلام حاله كما تقدم ، وعلى إرادة المعنى الثاني بالنسبة لها حالها .

وبناء على هذين الرأيين يكون جواب لولا محذونا ، تقديره : لولا أن رأى برهان ربه لجرى على مقتضى ميله الطبيعي وخاطره .

وقال بعض آخر من المفسرين : إن الهم المنسوب الى يوسف عليه السلام هو بمعنى الهم المنسوب اليها ، ولكن الهم المنسوب اليه منى عنه بمقتضى قاعدة لولا ، لأن جواب لولا قوله تعالى « م بها » والوود حلة على لولا ، ولولا ينفي جوابها لوجود شرطها ، والمعنى : ولولا أن رأى برهان ربه لم بها . فيكون جواب لولا هو التقدم على رأى الكوفيين المميزين تقدم الجواب على الشرط ، وعلى رأى البصريين فالتقدم دليل الجواب . وعلى كل تفسير متعلق الهم هو المخالطة ، لأن الهم لا يتعلق بالذوات .

ومعنى الآية الموجودة فى السؤال الثالث وهى قوله تعالى : « ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن » الى آخر الآية . المحى - والله أعلم - أن الله سبحانه وتعالى نهى النساء عن إبداء محلات الزينة لكل شخص ، وعبر عن المحلات بالزينة للمبالغة فى النهى . والمراد المحلات المستورة فى العادة ، لأن القاهرة تقدم حكمها من عدم النهى عن إبدائها ، مثل الكفين والقدمين والوجه .

والمحلات الخفية هى الرأس والرقبة والساق والزرع . هذه هى محلات الزينة الخفية . وقد استثنى الله سبحانه وتعالى أشخاصا لا تنهى المرأة عن إبداء تلك المحلات المذكورة لهم ، وهم البعولة أى الأزواج ، وآباء النساء ، وآباء البعولة ، وأبناء النساء ، وأبناء البعولة ، وأخوات النساء ، وبنو الإخوان ، وبنو الأخوات . واستثنى أيضا النساء اللواتى ينسبن اليهن بقوله تعالى : « أو نسائهن » والنسبة بالصدقة والخدمة . قال المفسرون : والمراد المؤمنات لأن الكافرة لا تمتنع من إبداء أوصافها للرجال الأجانب الذى يقع فى الفتنة . واستثنى الله سبحانه وتعالى ما ملكت أيمانهم من الإماء بقوله : « أو ما ملكت أيمانهم » . قال بعض المفسرين . المراد « بما » الإماء فقط . وقال بذلك الحنفية وبعض الشافعية - قالوا : لأن الله كور من المالك كالأجانب والشهوة فيهم كاملة ، لأنهم ليسوا أزواجا ولا من المحارم ، ولا حرج فى عدم الإبداء لهم لأنهم يعملون خارج المنزل ، ومناطق حل لا إبداء لغير الزوج من المذكورات عدم الشهوة والضرورة .

وقيل الرد «بما» هم الذكور والإناث من المملوكين ، لعموم ما ، وهو مذهب جماعة من الصحابة . وظاهر كلام الألويسي في روح المعنى اختيار هذا واستثنى سبحانه وتعالى التائبين الذين لا إربة لهم في النساء . والتائبون هم الذين يتعمدون القوم ليصيبيوا من فصل طعامهم ، وغير أولى الإربة هم الذين لا حاجة لهم بالنساء ولا يعرفون شيئا من أمورهن ، بحيث لا تحسبهم أنفسهم بفاحشة ، ولا تحسبهم برصيفين للأجانب .

واستثنى سبحانه وتعالى الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ؛ ومعنى لم يظهروا على عورات النساء ، المراد هنا - والله أعلم - لم يعرفوا منها العورة ولم يعجزوا بينها وبين غيرها من أجزاء الجسم . وهذا معنى كنفائي لأن المعنى الحقيقي لقوله تعالى : « لم يظهروا » لم يطلعوا ، وهذا ليس مرادا . والطفل الذي حاله ما ذكر يعرفه جميع الناس ، فلا حاجة الى بيان سنه . وقد وصف الطفل وهو مفرد بالجمع وهو الذين ، لأنه محلى بالجنسية فيعم .

٤ - القصص الخيالية :

القصص الخيالية التي لا حقيقة لها إن كانت قصصا لا تثير شهوة ، وليست مما يخجل بالآداب الشرعية ، ولا تدعو الى ارتكاب محرم ، بل منها عبر لمن يتلوها ويسمعاها ، ومنها مساعدة على تنمية العقل والفكر ، ومنها مساعدة على الاعتماد عما يضر وعلى الاقتراب مما ينفع ، ومنها تعليم كيف لا يندفع ، وكيف يعمل العمل الذي لا يرد لا تقانه ، هذه وإن كان ظاهرها الكذب لكن كذب لا يضر بل فيه تلك النصيحة التي سمعناها ، ومنها عانة على تعلم صناعة الكتابة والشعر ، فهي جائزة كالمقامات للحوري ولأمهاتنا ، وواجودة في كلية ودمنة وغير ذلك مما لا فائدة فيه ، أو يخجل بالآداب الشرعية ومثير للشهوة ، فهذه غير جائزة . قنديل قنديل ، عبد السلام شرف

صلاة الليل

وورد الى إدارة المجلة ما يأتي :

١ - يوجد شخص يبذلنا صالحا كمر كسر الريات غربية يدعى العلم ، وسميته يغني الناس بقوله : إن التنفل إذا زاد في تنفله ليلا عن عشرين ركعة فإنه يأثم على هذه الزيادة وعمله مردود عليه لأنه زاد عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مستدلا على ذلك بأن النبي عليه الصلاة والسلام ورد عنه أنه صلى مرة خمسين ركعات ، وفي رواية أخرى اثنى عشرة ركعة ، ومجموع ذلك عشرون ركعة . فهل هذه الدعوى توافق الشرع الشريف أم لا ؟ وإذا لم توافق الشرع فنطلب من فضيلتكم الاستدلال التام على بطلان ادعاء هذا الشخص مع البراهين الكافية .

٢ - وأيضا نطلب من فضيلتكم صحة لفظ حديث : « لا أحاف على أمتي من الشيخ الأجل ولكن أخاف عليها من دجالين » الخ إبراهيم محمد حسن فايد من صالحا قرية

الجواب

١ - صورة الليل :

إن صلاة الليل مندوبة ، والكثرة من غير تحديد مشروعة . وما هي ذى الأحاديث التي تفيد ذلك : عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : « الصلاة في جوف الليل » وفي الترمذي عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم » . وفي ابن ماجه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » . وفي الطبراني عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم . « لا يد عن صلاة الليل ولو حاب شاة » . وفي ابن ماجه عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليضعك الى ثلاث : للصف في الصلاة ، وللرجل يصلي في جوف الليل ،

وللرجل يقابل الكتيبة « وفي أوسط الصبراني عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن شرف المؤمن قيام الليل ». وفي الترمذي عن عمرو بن عبسة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن » .

فهذه الأحاديث تدل على تأكيد استحباب قيام الليل ومشروعية لاستكثار من الصلاة فيه . واختصار النبي صلى الله عليه وسلم على ثمان ركعات أو على اثنتي عشرة ركعة لا يقضى بأن ما فوقها ليس بمشروع ما دامت هذه الزيادة من نوع العبادة ، لأنها ما مور بها ندبا بالأدلة المتقدمة غير المقيدة بعدد .

لفظ الحديث :

والجواب عن لفظ الحديث فنقول : المذكور في الجامع الصغير : « غير العجال أخوف على أمتي من السجال : الأئمة المضلون » . قنديل قنديل ، عبد السلام شرف

النفقة على الزوجة والأولاد — خلف الوعد

القرض في الطعام

وورد الى ادارة المجلة هذه الاسئلة .

١ — رجل تجرد لعبادة الله سبحانه وتعالى ومشى في البلاد يعظ الناس ويرشدهم الى طاعة الله وبأخذ عليهم اليهود على ذلك ، وترك زوجته وأولاده الإناث بلا نفقة ولا منفق ولا ملك لهم يعيشون منه ، بل تضطرم الحالة لأن يشتهوا عند الأجانب طلبا للعيشة فضلا عن شتياقهم اليه ليتمتوا برؤيته ومؤانسته خصوصا زوجه ، وإن رزق شيئا أرسله اليهم وإلا فلا يبهه حالهم . فهل تقوى هذا الرجل تعتبر من سياب طلب الرزق

ويكون داخلًا ضمن المتقين الذين قال الله فيهم: «ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب» ولا حرج عليه، أم يكون مخالفًا لما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من طلب السعي والمعاش والاكتساب والاحتراف، وما كان عليه السلف الصالح من الكد في طلب المعاش، ووجوب الاتفاق على الأولاد المعسرين والزوج؟

٢ - اتفق قسوم على أسر ينفذونه وقرءوا الفاتحة على ذلك ثم لم ينفذوا ذلك الأمر فهل يلزمهم عن قراءة الفاتحة شيء من المكفرات لاعتبارها - كما يقولون - بأربعة وأربعين آية، أم يكون عدم تنفيذ الأمر الذي اتفقوا عليه عدم وفاء بالمعقود المأمور بها شرعاً، ويلزمهم النوبة والاستغفار فقط؟

٣ - بدأ صلاح زراعة فدان ذرة بملكي فقطعناه وقشرناه ووجدت الناس في حالة احتياج للقوت وليس معهم نقود، فأفرضتهم زراعة نصف الفدان الذرة حتى إذا قطعوا زراعة الذرة التي لهم يردون بدل ما افترضوه من كيلا بمثله كما افترضوا. فهل يكون هذا القرض داخلًا في الربا حيث إنه من المطعومات والى أجل، أم يكون قرضاً حسناً وأوجر على ذلك؟ وإذا كان الأول فما الحيلة في الحل وقد صرفت زراعتي ناويا إعانة المحتاجين؟ أرجو الإفادة.

سيد محمد جاد

مأذون الشرع بكفر برى

الجواب

١ - النفقة على الزوجة والأولاد:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

نفقة الزوجة واجبة على زوجها، ونفقة الأولاد الذكور المعسرين واجبة على أبيهم إلى بلوغهم قادرين على الكسب، ونفقة الإماء واجبة عليه أيضاً إلى أن يدخل الزوج بهن أو يدعى للدخول والنفقة في أنواع واجبة بالإجماع.

ولا يسقط وجوب النفقة غيبة من يجب عليه ، بل النفقة في ماله إن كان له مال حاضر ، وإلا أرسل إليهم من المال ما يكفي حوائجهم ويدفع عنهم الضرر ومذلة السؤال . فالذي يفارق بلده إلى غيره ليعظ الناس ويأخذ عليهم المهد بالطاعة نازكا زوجته وأولاده بلا نفقة ولا منفق ، آثم ، لأنه ترك النفقة الواجبة عليه شرعا ، وهو مع تلك الحالة لا يعد من المتقين ، لأن الوعد وأخذ المهد على الناس لا يرفع العصيان بترك النفقة عليهم مع قدرته عليها . والله أعلم .

٢ — خلف الوعد :

إذا اتفق جماعة على تنفيذ أمر وقرروا الفاتحة على تنفيذه ولم ينفذوه ، فلا يلزمهم شيء من المكفرات عن قراءة الفاتحة ، وإنما يكون عدم تنفيذهم لذلك الأمر خف وعد ، وخلف الوعد إن كان مقصودا حال الوعد كان محرما ، فيتوب منه ويستغفر ؛ وإن لم يكن مقصودا حال الوعد وحصل لغير عذر كان مكروها لا ينبغي ارتكابه ، وإن حصل لعذر فلا كراهة . والله أعلم .

٣ — القرض في الطعام :

إذا أقرض شخص غيره مقدارا من الطعام ذرة أو غيرها لينتفع به المقرض ويرد للمقرض مثله كيلا أو وزنا عند يسره ، كان ذلك قرضا حسنا يثاب عليه المقرض حيث كان النفع المقرض خاصة . والله أعلم . حسن على مرزوق على إدريس المالكي
بكلية الشريعة الإسلامية

عذاب القبر — شرح آيتين — أعلام النبوة وسيف الفيل

المرأة وقت الموت . وطه المرأة قبل الغسل من الحيض — ترك صلاة الجماعة

ووردت هذه الاسئلة :

١ — هل يقع عذاب القبر على الروح فقط أم على الجسم أم عليهما ؟

- ٢ - ما معنى قول الله سبحانه وتعالى : « كل يوم هو في شأن » ؟
 ٣ - ما معنى قوله سبحانه وتعالى : « سنمرغ لكم أيها الثقلان » ؟
 ٤ - هل من الجزئ رفع الأعلام حول المنبر وقت الخطبة ، وهل ورد شيء في الإمساك بالسيف الخشب وقت الخطبة ؟
 ٥ - هل الأذان وقت دفن الميت مشروع ؟
 ٦ - هل يصح للرجل أن يجامع امرأته بعد انقطاع دم الحيض قبل الغسل ؟
 ٧ - ما حكمكم فيمن رأى جماعة ولم يصل معها وصلى منفردا ؟

الجواب

١ - عذاب القبر .

عذاب القبر للروح والجسم . والأدلة السمية ظاهرة في ذلك ، منها قوله تعالى : « النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ » . وقال تعالى : « أَمَرُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا » وفي الصحيحين وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أماءه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ (محمد) فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد بذلك الله به مقعدا من الجنة - قال النبي صلى الله عليه وسلم : فبأمرهما جميعا . وأما الكافر والمتناق فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه ، فيقال له : لا أدريت ولا تليت ، ثم يضرب عارقه من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يابه إلا الثقلين . وفي الصحيحين أيضا أنه صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال : « إنهما ليمدبان وما يمدبان في كبير ، ثم قال : بلى : أما أحدهما فكان يمشي بالنسيئة ، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله » .

وفي الصحيحين أنه استعاذ من عذاب القبر وقال عليه الصلاة والسلام وهو —
 في الصحيحين — قوله تعالى : « يثبت الله للذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
 وفي الآخرة » نزلت في عذاب القبر ، إذ قيل له : من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول :
 ربى الله ، ونبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وعنه صلى الله عليه وسلم « القبر روضة من رياض
 الجنة أو حفرة من حفر النار » وكثير من الأحاديث الواردة في هذا المعنى وكلها يدل
 على أن من في القبر هو المعذب والموجود في القبر الجسم والجسم لا يعذب بدون روح
 تدرك الألم واللذة .

ولا مانع من جهة العقل يمنع من أن يخلق الله في الجسم حياة بقدر إدراك اللذة
 والألم ؛ وليس يلزم في حياة العرزية ما هو لازم في الحياة الدنيا من مشاهدة تحرك
 الجسم واضطرابه مثلاً .

٢ — شرح آية :

معنى قول الله سبحانه وتعالى : « كل يوم هو في شأن » والله أعلم — أنه سبحانه
 وتعالى له في كل لحظة شأن وحال من ررق وخلق وإماتة ، وإنبات زرع ، وإغناء شجر ،
 وإبلاغ عمر منتهاه ، وإجابة سؤال مسائل ، وغير ذلك من الشئون التي تقتضيها حكمته وعلى
 مقتضى علمه ، أى له شئون كثيرة ، ومنها إجابة ما تسألونه ، ليرتبط قوله تعالى : « يسأله
 من في السموات والأرض » .

٣ — شرح آية :

معنى قوله سبحانه وتعالى : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » والله أعلم — سنفرع
 في جزائكم فقط بعد انتهاء شئون الدنيا المشار إليها بقوله تعالى : « كل يوم هو في شأن » .
 وهذا المعنى وإن لم يكن هو المعنى الحقيقي للفراغ للشيء ، ولكن يجب العير اليه على
 طريق المجاز ، لأن المعنى الحقيقي للفراغ للشيء يستحيل على الله سبحانه وتعالى ، لأن
 معناه التخلص من شيء ، من شاغل يشغل ، إلى شيء آخر ، لأن الله لا يشغل شأن من
 شأن ، وإنما اختير — والله أعلم — التعبير بالمجاز لما فيه من التهديد ما ليس في التعبير

بالحقيقة ، لأن المنبر إذا أخبر بأنه شرع في جزء فقط يشبه ذلك المشروع ألا خذ في عمل بعد التخلص من عمل كان يشغله عن العمل الذي شرع فيه ، يكون مهتدا لمن له ذلك الجزء ، كأنه فرغ من كل شيء ، لأجل ذلك ، فإذا سمع هذا من يرد إخباره أطلع الطالع عن عمله وتجاهل الصالح في عمله .

٤ - أعلام المنبر وسيف الخطيب :

رفع الأعلام حول المنبر وقت الخطبة لم يرد به نص من الشارح ولا أثر من الصحابة ، ولكن إن كان هذا لا يؤدي إلى اعتقاد أنه سنة فلا بأس به ، وأما الانكسار على السيف وقت الخطبة فقد نص الحنفية في كتبهم على أنه مندوب في كل بلدة فتحت عنوة وغير مندوب في بلدة فتحت صلحا .

٥ - الأذان وقت الرقعة :

ليس الأذان وقت إدخال الميت القبر مشروعا ، فهو بدعة ، فإن أدى إلى اعتقاد العوام سنيته أو نذبه فهو مكروه ، لأنه يكون وسيلة إلى اعتقاد ما ليس بسنة سنة .

٦ - طهر المرأة قبل الدخول فيه الخيفي :

إذا انقطع دم الحيض لأكثر مدة الحيض (عشرة أيام) حل الوطء بدون غسل ، ويكون تاركا للمندوب فقط .

وإن انقطع لأقل من عشرة ، فإن انقطع لمادنها لا يحل وطؤها حتى تنقسل ، أو يغشى عليها وقت صلاة تكون الصلاة دينيا في ذمتها .

وإن لأقل من العادة ينتظر مضي زمن العادة وتنقسل بعد ذلك أو نصير الصلاة دينيا في ذمتها بعد مضي زمن العادة .

٧ - ترك الجماعة إلى الانفراد :

الجماعة سنة مؤكدة ، وقيل واجبة ؛ فمن ترك الجماعة بدون عذر مبيح للترك يأثم إن ترك الواجب أو السنة المؤكدة . قالوا : وإذا تمادى على ذلك عزوه الحاكم .

قنديل قنديل عبد السلام شرف

مسألة في القراض

جاءنا من الكويت ما صورته بعد الديباجة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .
 أما بعد : فإقول العلماء الأعلام ، هدى الله بهم الأنام ، فيمن دفع كمية من الدراهم باسم القراض لمعامل يعمل فيها على طريق المضاربة ، فاستمر العامل يعمل فيها قدر أربع عشرة سنة ، وكل سنة يدفع العامل لرب القراض قسطا من الدراهم . وفي يوم من الأيام جاء رب القراض للمعامل وطلب منه أن يدفع له مبلغا من رأس المال ، فقال العامل : ليس عندي شيء أدفعه لك الآن ، فقال رب المال : أين ذهب المال ؟ فقال : عندي مال ولى على الناس ديون وللناس على أيضا ديون ، فطلب رب القراض من العامل أن يطلعه على الدفاتر ، فلبى العامل دعوته فقاما من الدكان قاصدين البيت لأجل النظر في الدفاتر ، فبينما رب القراض يمشى أمام العامل إذ وقع بصره على ابن العامل يحمل صرة من الدراهم ، فلما رآه أراد أن يتوارى عنه ، فأمسكه في الحال وأخذ الصرة منه ، فقال الولد : هذه الدراهم أمانة لفلان وضئها عندنا وليست لنا ، فلما جاء العامل قال : هذه ٨٠٠ روية لعمر ووضئها عندنا أمانة قبضت باسمه (عمر) من خالد فلما عدت وجدوها ٩٠٠ روية ، فسألوا العامل عن اللأنة الزائدة فقال : وضئتها عليها من الصندوق حين أردت إخراجها منه . فلما كشفوا على الدفاتر وجدوا مقيدا فيه عندي لعمر ٨٠٠ روية مقبوضة من خالد ، فكان قبضها من خالد ثابت عن الجميع . رب القراض وغيره
 ومن القدر دفع لأمر ليعاكم ، فحضر عليه . وبعد الحضر عليه أقر (العامل) أمام رجلين من التعار لذين لهم عليه بعض الطلب : إنما هي عندي لأنتفع بها ، وهم من المعتهرين . مع أنه ينكر ذلك ويقول : إنما كنت أقول : ما قدرت أن أنتفع بها .

هنا صورة الواقع فهل تعيين العامل الأمانة قبل الفس يقبل فيختص بها دون الغرماء ، أم لا يقبل فيكون أسوة الغرماء ، مع أن الذي وجد في يد العامل بعد الحبر يزيد على لديون الخارجة عن القراض ، ويكون الباقي من القراض إذا أضيف إلى الذي دفع لرب القراض باسم للمصلحة خلال السنين الماضية يزيد على رأس المال بكثير ؟ وهل إقرار العامل بعد الحبر أمام الرجلين بقوله : هي عندي أنتفع بها ، يضر بالإقرار الأول أم لا ؟ أفنونا مأجورين . أحمد بن محمد الغنم . الجبر السكويث — خليج فارس

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فقد نُصِرَ في مذهب مالك رضي الله عنه في باب القراض والفلس على ما يأتي :

أولاً — عامل القراض أمين فيما نحت يده من المال الذي يعمل فيه ولو لم يكن أميناً في الواقع ، لأن رب المال اتهمه عليه ، فيده يد أمانة ، فبيست كيد العاصب . ولذلك كان مصداق يمين إذا دعي تلف رأس المال أو خسراته ، إلا أن تشهد العادة بكذبه فلا يصدق .

ثانياً — من أقر ودعة بعد تعيينها ، كأن قال : هذا المال ودعة بعد إقراره ، فإن إقراره يقبل ويختص رب الودعة بها فلا يحاصص فيها الغرماء . وإنما يقبل إقراره هذا إن شهدت بينة بأصلها : بأن قالت : تشهد أن فلان عنده ودعة لفلان ، وإن لم تعينها . ولا فرق في قبول الإقرار حينئذ بين أن يكون صادراً من المقر في حال صحته أو مرضه . فإن لم تشهد بينة بأصلها ، فإن كان إقراره قبل الفلس قبل ، سواء أ كان في حال الصحة أو المرض ؛ وإن كان بعد الفلس فلا يقبل ، فلا يختص بها المقر له .

ثالثاً — يعمل في مذهب مالك بالقرائن . ومن ذلك الاعتماد عليها في حلف أو ياء الدم أيمان النسامة . فلماذا حلفوا استحقوا القصاص من القاتل . وقد مثلوا لذلك بما إذا وجد

شخص يجري في ذائق ، ثم وجد بداخل هذا الزقاق شخص يتشعط في دمه ويقول :
دى عند فلان (يعنى ذلك الهارب) فإن قوله هذا مع وجود الهارب بهذه الحالة
يعتبر لوئاً (أى قرينة) على أن صاريه هو هذا الشخص . فإذا مات المضروب حلف
أولياؤه أيمان القسامة ، معتمدين على هذه القرينة ، واستحقوا دم هذا المسمى .

ومن ذلك قولهم في ليمين : «واعتمد البات على ظن قوى» أى أن الشخص يجوز له
أن يحلف على القطع معتمداً على ظن قوى . ومدار الظن القوى على القرائن المثيرة له .
ومن كتّيع السياسة الشرعية وما فيها من الحوادث ، كما يعلم بالاطلاع على نبصرة الحكم
لابن فرحون ، لا يتردد في أن القرائن مبني كثير من الأفضية الشرعية . ولابن القيم
كتب قيم جدا في السياسة الشرعية أبان فيه صحة الحكم بالقرائن ، وأقام الدليل على ذلك
من السنة .

ولا غرو فندار لفروع على الظن الغالب ، والقرائن تفيد . والحكمة التي تقتضيها
روح الشرعة توجب مراعاة القرائن وعدم إهمالها ، إذ لو لا ذلك لضاع كثير من الحقوق
واختل نظام المجتمع لانساني .

هذا ومنه يتضح أن حامل القراض في الحادثة للسئول منها مصدق في إقراره
بالوديعة التي لعمره وقد قبضها من يد خاله ، لأن إقراره كان قبل الحضر عليه . هذا هو
مقتضى كون يده يد أمانة على ما قررناه غير أنه قد اكتنف ذلك الإقرار أمور تكاد
تفنى عليه بالاتهام فيه بل هذه الأمور لا تدع الفقيه يتردد في أنه إقرار كاذب قصد به
الإساءة إلى رب القراض باختزال جزء من ماله لنفسه . تلك الأمور هي :

أولاً — مسارعة ولد العامل حينما أحس بأن رب القراض سيطلع على ما في صندوق
التجارة من النقود من مسارعته إلى أخذ هذه الصرة قبل فتح الصندوق . ولو كانت هذه
الصرة لمن أقره العامل لم يدير هذه الحيلة ، وكان يكفيه إن كان صادقا في أنها وديعة أن
ينبه عليها بعد فتح الصندوق ، لا سيما وهي مقيمة بدفاتر التجارة .

ثانياً — محاولة الاختفاء والهرب بها حينما رآه رب المال .

ثالثاً — قول العامل بعد : « إنما هي عندي لأنتفع بها » مع ثبوت ذلك بشهادة للمعتبرين كما جاء في الاستفتاء . وإنكاره صدور ذلك القول منه وتحريفه الى قوله : « إنما قلت وما قدرت أن أنتفع بها » لا يفيد بهد شهادة للمعتبرين بالمعبرة الأولى .

رابعاً — وجود ما في الصرة زائداً على ما أقر به العامل ودفاعه عن ذلك بقوله : « قد وصعت عليها مائة مما في الصندوق » مما يقوى الشبهة نحوه ، لأنه ما وضع عليها ذلك إلا بقصد اختلاسه لنفسه إن كان صادقاً في أصل لوديعته .

لذلك نرى أنه إن شهدت بيعة بأن هذا العامل عنده ودیعة لعمره وقبل إقراره واختص المقر له بها ؛ وإن لم تشهد بيعة بهذا فلا يقبل إقراره وإن كان قبل الحجر عليه لقيام القرائن على كذبه ، وتكون كسبة المال . للفرماء غير المقر له أن يتعاصراً فيها . وقول المستفتي إن ما يئمه يزيد على المطلوب منه ، وهو ما أشار إليه بقوله : « مع أن الذي وجد في يد العامل بعد الحجر يزيد على الديون الخ » قوله هذا يفيد أن العامل لا يستحق الحجر عليه ، فإن مستغفه هو من أحاط الدين بماله بأن زاد على ماله أو سواه . فهذا هو الذي يحجر عليه في التصرف للمحافظة على حقوق الدائنين . ولا يؤثر هذا القول في إتهام العامل في هذا الإقرار حيث لم تشهد بيعة بأصل الودیعة ؛ بل يقال إن هذه الودیعة إذا بطل لإقرارها احتسبت من مال القراض ، وكان لربه أن يستكمل منها رأس ماله وما يخصه من الربح بعد أداء الديون التي لها علاقة بهذه التجارة .

وليعلم أنه لا عبرة بكتابة لودیعة في دفاتر التجارة بعد هذا الاتهام ، لأنه والحالة هذه لا يبعد أن تكون الكتابة مصطنعة من العامل قصد بها الحيلة على صحة إقراره بعد هذا .

نسأل الله أن يرزقنا الصديق في القول والعمل ، وأن يثبتنا مواقع الزلل بمنه

وكرمه

يوسف الديوبى

من هيئة كبار العلماء

زيارات فضيلة الأستاذ الأكبر لأقسام الأزهر وكلياته

تعمل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر فرار أقسام الأزهر وكلياته في شهر مايو الماضي متفقدًا أحوال الطلبة وسير الدروس فيها، فكان في زيارته هذه أكبر الأثر في بث روح النشاط في أصحاب الفضيلة المدرسين ، وبعث حياة جديدة في قلوب الطلبة الأتقياء . ومن يحسن أن تدونه في هذه المناسبة خطبة تكرم فضيلته بالقائها في القسم الثانوي بالمعهد الأزهرى حوت من عيون الحكم وشوارد النصائح ما يجب على كل طالب علم أن يجعله دستورًا لما هو بصدد من التلقى والتحصيل ، وقد قابلها جمهور من جماعته حذيرة به من القبول والا كبار . وترى مجلة نور الإسلام أن من أوجب واجباتها أن تدون هذه الكلمات القيمة بين محفلها لتكون نصب عين الطلبة في كل آن .

قال فضيلته عند نهاية زيارته للقسم الثانوي بالأزهر وهو في وسط الألواف من مودعيه من علماء وطلاب :

« أردت ألا أخرج من بينكم دون أن ألقى اليكم نصحا هو نصح أب أنتم جميعا له أبناء ، لكم عليه حق الرعاية والحذب والإيتار ، وله عليكم حق الاجلال والمودة والاحترام . هذه الحقوق هي حقوق آبائكم عليكم ، وآباؤكم هم هؤلاء الأساتذة الذين يرون نفوسكم ، ويصبغون عقولكم صباغة نافعة لكم ولدينكم ووطنكم .

« للأساتذة حقوق على الطلبة ، وهؤلاء حقوق على أولئك ، ولكم أنتم أيضا حقوق بعضكم لبعض ، أما حقوقكم عند أساتذتكم فهم يرفعونها ويضمون بها جهدهم غلصين مشكورين ، وأما حقوقكم محووم وحقوق بعضكم نحو بعض فهي التي أوصيكم بها ليكون بعضكم لبعض سندا معينًا ، ورفيقًا أمينًا ، وأبناء عارفا حقوق أبيه ومعلمه ، وحافظ يده عنده .

« وأوصيكم أيضا بالتمسك بالدين القويم والخلق اللتين ، فأنتم ميثون لأن يكون منكم القاضي والمعلم ، والذي يعظ الناس في دينهم ويرشدهم في دنياهم ، وسلاح هذا كله هو العلم .

« والعلم علمان : علم نافع ، يوصلك الى ساحة الله ويصلك بأسباب رضاء ، وذلك هو الذى أدعوك اليه ، وعلم شافع ، هو شافع لك فى أمر دنياك ، يدريك ما تشتهى من زخرفها وعروض الرخ فيها ، وذلك ما أدعوك الى الحيد عنه .

« أحبوا الله بحبيكم ، واعملوا فى رضاء ، واجعلوا كل ما وعيتم من علم وما سمعتم من عمل ، وما وسعتم من جهد ، وما عممتم من تفكير ، اجعلوا كل ذلك خاصا لله وحده ، وذلك هو العلم النافع الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : « من أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم » .

« هذه وصيتى لكم . وسيحسن عمكم فيها كما حسن استماعكم لها ، وعندئذ فأنتم أبنائى وأنا لكم أب راض مغبوط بكم .

« ولى عندكم كلمة أخيرة : هى أن يحسن امتثالكم للقوانين التى تشمل معاهدكم ودروسكم وتنظيم أمركم ، مهما يكن اعتراضكم على هذه القوانين ، ومهما تكن شكواكم منها أو من بعضها .

« فهذه القوانين ما دامت قائمة ، يجب أن نعرف لها بجرمة هذه القانونية ، وأن نزل عند حكمها ، ونوليها من الحفاظ ولا امتثال ما يجب أن يكون لقانون قائم » .

وقد قابل الطالبة كلمة فضيلته بالهتاف والثناء . ثم ركب سيارته الى مكتب الرياسة . وجاء بعد ذلك الى الإدارة العامة وفد من علماء المعهد وسانذته برياسة صاحب الفضيلة الشيخ الفرغاي لشكر فضيلته على هذه الزيارة .

فضيلة الاستاذ الأكبر يشكر

أحدث تولى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي مشيخة الجامع الأزهر سروراً عم جميع الأقطار الإسلامية ، لما عمه الناس جميعاً من زوجه في الإصلاح المرجو ، وكمال علمه بوجوه تحقيقه ، ونائه على أقوم دعاؤه . لذلك تجاوبت أصداء أصواتهم بتهنئة فضيلته من كل مكان ، وكان أهل الأقطار النائية من السائقين إلى الأعراب عن شعورهم نحوه في هذه المناسبة ، جاءت رسائلهم تترى حاملة أبلغ العبارات ، وأطيب التحيات ، وصدرت جرائدهم تناقض جرائداً في إطراء فضيلته وذكر مناقبه ، حتى لم يكن أن يقال إنه لم يحدث تولية كبر مصعباً ما أحدثته تولية الأستاذ الأكبر الحاني منصبه من الاستبشار الشامل ، والفرح العالمي العظيم .

وقد كان يود فضيلته أن يشكر لكل مهن تفضله ، لولا أن ذلك لا سبيل إليه لذلك كلفنا أن نعرب لحضراتهم عن تقدير فضيلته لشعورهم الطيب أكل تقدير ، وعن شكرهم لهم ما تمنعوا به من التهنئة والثناء الجليل ، صاروا إلى الله أن يوفقهم لخدمة الإسلام الخادمة التي يرجوها هوله ويرجوها المسلمون ، وأن يعيد للأزهر مجده القديم تحت ضوء العلم الجديد

وفضيلته يرجو أن يعتبر كل مهن له هذه الكلمة من الشكر كأنها موجهة إليه خاصة ، راجياً الله أن يوفقهم جميعاً إلى ما يحبه لهم من الخير العميم ، والوجود الكريم ، وأن يكافئهم على حسن ظنهم بما يكافئ به المخلصين من عباده ، والغيورين من أوليائه . إنه ولي المؤمنين .

فضيلة الشكر

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » وقال سليمان التيمي : « إن الله أنعم على عباده بقدر قدرته ، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم » وقال محمد بن صالح الوائلي : دخلت على يحيى بن خالد الرمكى فقلت : إن ها هنا قوماءوا يشكرون لك معروفاً فقال : يا محمد هؤلاء يشكرون معروفاً فكيف لما شكر شكرهم ؟

ذكرى المولد النبوي

في مثل هذا الشهر من كل عام يحتفل المسلمون في جميع أقطار الأرض بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، قياما بحقه في هدايتهم ، واعترافا بفضله في بناء جماعتهم ، وتحقيق سعادتهم .

تقوم في العالم الانساني ذكريات كثيرة لرجال لا يرى الناس أنهم مدينون لهم بمقيدة دينية ، أو بقاعدة فلسفية ، أو بحقيقة علمية ، أو بخطة سياسية ، أو برابطة اجتماعية ، أو بإصلاح في مذهب ، أو بتجديد في أمر من الأمور ، وقل أن تجد رجلا واحدا منهم جمع بين شأنين أو ثلاثة من هذه الشئون الانسانية ، إلا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقد جمع بينها جميعا ، فهو مؤسس الديانة العامة التي تسع الخلق كافة ، ومقرم الحكمة ، وواضع أكل أساليب العلم ، وأعدل طرق السياسة ، وأرقى ربط الاجتماع ، ومصلح جميع المذاهب ، ومجدد كل الأمور التي تهمل الانسانية . فالأمة التي تحتفل بذكرى ميلاده اليوم مدينة له بوجودها ، وبمقيدتها ، وفلسفتها ، وعلمها ، وسياستها ، وروابطها ، ومذاهبها ، وكل أمر من أمورها وعشر معشار هذه المزايا كلها في الأمم السابقة كانت تحملها على تأليه مصاحبها ، ولكن لم يفت محمدا هذه النزعة البشرية ، فاحتاط لها أئما احتياط بأقواله وأعماله ، حتى حي أمته من أن تلتفت بهذه الخرافة ، فكان ذلك مما يضاف الى مناقبه ، ويزاد على ما كره ، ويستنزل التعجب من بُعد نظره ، وتقرب فكره .

كان بعض من أرسل اليهم يطلبون اليه أن يتحدث لهم الايات ، وقد غاب عنهم أنه هو نفسه أكبر آية لله في خلقه ، فكل آية بمدد قليلة الخطر ، تخفى في جانبه كما تخفى الكواكب بجانب القمر .

لقد عاشت على سطح الأرض أم ، ونبت فيها رجال من كل صنف ، وحُفظت عنهم ذكريات لا تزال الأُم تسترف بحقهم عايبها ، فهل تصادف واحدا منهم يمكن أن توازن مناقبه مناقب محمد ، وتُقارن أعماله بأعماله ؟ اللهم لا ، ولا كرامة !

لندع الأنبياء والمرسلين ، فقد أمرنا أن نؤمن بهم ، وأن لا نفرق بينهم ، وهات لي المصلحين لبقدين ، والعبادة للمعدودين ، ممن سبقوا محمداً وآثروا بعده الى يومنا هذا واعرض أمثالهم طريقة ، وأصدع صيتنا ، ووارث بين عمله وعمل خاتم النبيين لتدرك أنك لا تستطيع الى ذلك سبيلا . وهل يوازن الدرهم بالقنطار ، أو البحر بالجدول ؟

استعرض أولاً كبار الفلاسفة والمشرعين عند اليونانيين الأقدمين ، واختار من انتهت اليهما الحكمة والزعامة منهم : أفلاطون وأرسطو ، فأن لا أريد أن أذكر لك سقوط فلسفتيهما ، وأنهما أصبحتا من قبيل الأمور لا أثرية في تاريخ العقيدة الإنسانية ، ولكني أريد أن أذكرك بأن هذين العبقرين كانا يقرران في شريعتيهما أن العمان والصناع والموالي يجب أن يحرموا من الحقوق المدنية ، لا تحطاط ما يمارسونه من الأعمال اليدوية ، فقرارن من هذا الأصل المبني على قاعدة بعيدة القرار في الإجحاف ، وبين الديمقراطية الإسلامية التي جعلت التمايز بالزاي لا بالمل ولا بطبيعة العمل ، وسأوت بين السكافة في الحقوق بصرف النظر عن ألوان والأجناس واللغات ، حتى ارتفع تحت ظلها الى منصات الزعامة العبيد السود وأصحاب المهن من كل صنف ، ومن كانوا لا يملكون بيت ليلة . « لا فضل لعربي على أعجبي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح » الحديث .

وهات من العبارة القريين منديكارت ، فلا أود أن أحدثك عما صادفته فلسفته من النقد ، وما أصابها من السقوط ، ولكني أذكر لك من مقرراته أنه كان يعد الحيوان آلة محضة ، مقود بالفطرة الطبيعية ، وأنه مجرد من كل تعقل ودراك . قابل هذا بما ورد في الاسلام عن الحيوان ، قال الله تعالى : « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم إلى ربهم يحشرون »

وفي الحديث الشريف: «عائبوا الخليل فإنها أعتب». فأين الحكم بأنها آلات لا تعقل من الحكم بأنها أم أمثال الأمم الإنسانية، وأن لها عقلا تعقل به العتات وتتجنب بسببه ما أوجبه؟

وأما ما بقي قائما إلى اليوم من مذهب ديكارت، وهو تقديم الشك أمام كل بحث، فقد سبقه الاسلام إليه، فإنه حرم التفليد وحث على البحث وتعقل الأمور، وجعل عمادها الدليل، وهذا كله لا يمكن أن يكون إلا بتقديم الشك قبل الحكم على شيء.

ومن العباقرة المحدثين (بيكون) وضع الأسلوب العلمي، فقد اشتهر بفرقته بين ما هو علم وما هو رأي، وقرر بأن المعلوم لا يجوز رفعه إلى درجة العلم الحق إلا إذا قام عليه دليل محسوس، وما عد ذلك فهو رأي. والرأي يُنمّسك به حتى يقوم الدليل المحسوس على صحته فيضاف إلى المقررات، أو على فسادهِ فيُقدف به إلى عالم الآوهام والظنون. وقد سبقه الاسلام إلى وضع هذا الأسلوب العلمي. فقرر أولاً أن أكثر ما عليه الناس أكاذيب وظنون، فقال تعالى: «وإن تُطع أكثر من في الأرض يُضلوك عن سبيل الله، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون» وقال تعالى: «وما يتبع أكثرهم إلا ظننا إن الظن لا يغني من الحق شيئا». فكل ظن لا يسي في الاسلام علما، لأن العلم في اصطلاحه هو ما يكون دليله الحس أو ما تتصل مقدماته بالحس.

ومن كبار مجدددين في العهد الحديث (أجوست كومت) مؤسس الفلسفة الوضعية، وواضع علم الاجتماع. فأما الفلسفة الوضعية فقد سبقه إلى أصولها علماء كثيرون تقدموه من أول أرسطو إلى (بيكون) فليس له فيها من فضل إلا صحتها في قالب مذهب. وأما علم الاجتماع فكسابقه أيضا درس موضوعاته علماء كثيرون وكان من أمثلهم ابن خلدون من مؤرخي المسلمين في القرن السابع الهجري حتى عد أنه وضع لهذا العلم. ولكن لواضع الأول لعلم الاجتماع البشري الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم بوحى من ربه. وهذا العلم يقوم على أساس أن جميع الحوادث البشرية تابعة

لنواميس طبيعية مقررة لا تتخالف . وقد سبق الكتاب الكريم الناس كافة الى تقرير هذا الأساس الذي بنى عليه علم الاجتماع ، فقال تعالى : « سَنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قِبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا » وقال تعالى : « فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا »

وقد عيب على (أجوست كومت) وضعه هذا لما يمكن أن يصل اليه الانسان من المعارف الكونية ، وعد مما لا يستطيع الانسان أن يبلغ إدراك نوع المادة التي تتألف منها الكواكب ، فلم يمحض على وفاته خمس سنين حتى اخترعت آلة السيكرمسكوت وهي آلة تحليل الأشعة التي تصل اليها من الأجسام المختلفة ، والاستدلال بها على المواد التي تنعكس علينا تلك الأشعة منها ، وبقطبيتها على الأشعة التي تصل اليها من الكواكب عرف أنها مؤلفة من مواد لا تختلف في شيء عن المواد لأرضية ، ففيها حديد ونحاس وقصدير الخ الخ ، فكان في هذا الاكتشاف دحض للأصل الذي وضعه (أجوست كومت) . ولكن الاسلام لم يضع للمعلومات التي قد يكشفها الله للانسان حدا ، فإذا شئ مسم عما يمكن أن يتأدى الى علم الانسان وما لا يمكن ، لم يستطيع أن يضع لذلك حدا لقوله تعالى : « وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْمُونَ » .

هذا قصور أكبر المبالغة حيال التعاليم غير المحدودة التي أفيضت على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، نسوق مقتضياته على سبيل المثال لا الحصر ، إذ لو عنيينا بالأمر الثاني لما كفتا فيه مجلد ضخيم .

ومن ناحية أخرى لو نظرنا الى الذكريات التي يحتفل بها التمجيد كبار العقول وأصحاب المبقرات ، لو جدها نشرأ لصفحات مطوية من التاريخ ، لا دخل لها في الحياة الراهنة . فهم أصحاب آراء ومذهب اعتبرت في زمانها طريفة ، وكانت مقدمة لأراء ومذاهب أرجح منها ، فعاشت هذه وذهبت تلك ، فبنوهم بالأولى وبأصحابها باعتبار أنهم أول من أتى بعبادتها أو بمقدماتها ، لا على أنها حقائق مطلقة تبقى على الدهر ولا يبليلها الزمان .

فمحمد هو الانسان الوحيد الذي يحتفل بذكره على أن ما جاء به حق مطلق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن تعاليمه هي الروح الدبر الذي يجب أن يقوم حركات الجماعات البشرية، ويكيف كيائها على النحو الذي كان يدعو اليه ويقرره. فإن في الأرض أربعائة مليون مسلم يرون حياتهم في العود الى حظيرة التعاليم المحمدية، وليس في العالم أمة ترى مثل هذا الرأي في مصلح بينها وبينه أكثر من ثلاثة عشر قرناً.

ومن خصوصيات محمد صلى الله عليه وسلم أن يعتقد الناس أن الخير كل الخير في أن تؤخذ تعاليمه بتغير تعديل ولا تنقيح، ويرون أنها بالغة أقصى درجات الكمال الى حد أن كل إصلاح فيها يحط من قيمتها، ويطمس من لآلئها وهذه مكانة لم تسم اليها أية تعاليم في الأرض. فكل فيلسوف أو مصلح نحفظ عليه سقطات فضت بها عليه الأحوال المحيطة به، ودرجة علمه في العهد الذي كان عائشاً فيه، مما يجعل تعاليمه تستدعي الإصلاح والنهذب الى حدود بعيدة. لهذا السبب سقطت جميع الفلسفات القديمة وتعاليم الإصلاحية، واستبدل الناس بها فلسفات جديدة، وتعاليم من طراز حديث يلائم ما وصل اليه الكافة من الثقافة العلمية، إلا التعاليم المحمدية، فإنها لا تزال جديدة كأنها صيغت في هذا العصر، بل يرى فيها ما لم تنضج العقول للعمل به، وإن كانت تدرك أنه سام السموكلة. فمن لأم المتمدنة اليوم تستطيع أن تسوى بين الأبيض والأسود، وبين المواطن الصميم والأجنبي لأعجم، وأن تبعد عن العدوان في الحرب على غير المحاربين، وأنت تراها تعد العدد لإهلاء النساء والولدن والمهرى والمرضى بلغازات السامة؟ إن كنت تعجب من الفرق بين هذين المدهيين فأزبدك عجبا في هذا للوطن بأن الاسلام يحرم على الغزاة أن يقتلوا خدمة أعدائهم في ساحة الوغى. أترى أئمة من هذا مدى في احترام الحياة الانسانية، وأرق مذهبا في حصر نار الحرب في أضيق الحدود حتى لا ينقلب الأمر الى جاهلية جهلاء، تُسكر فيها البادية الأدبية، وتهدر السكرامة البشرية؟

ومن خصوصيات محمد صلى الله عليه وسلم أن يرى أجانب عن هذا الدين في القرن العشرين وهم من الرجال الآخذين بأوفي حظ من العلوم الاجتماعية أن العالم كله لا ينتعش من كونه إلا إذا أخذتعاليم الديانة لاسلامية، وأنه لا بد منته إلى هذه النتيجة في نحو قرنين من الزمان . قال بذلك كثير ، منهم برناردشو الفيلسوف الانجليزي ، وقد دوناه في مقالة سابقة هنا . فهل رأيت في كل ما رأيت مثل هذه الخصوصية لواحد من أصحاب المذاهب الإصلاحية ؟

هذا عجيب كل العجب ، وأعجب منه أن يوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو في صحراوات بلاد العرب بأن التعاليم التي جاء بها ستزداد ظهورا على صرا الأجيال ، يتسوالى الآيات الدالة على صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وعلى بلوغها أقصى غايات الكمال ، فقال تعالى : « سندبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

أو ليس من العجب العاجب أن يطلب طالب بعد هذه لآيات البينات كلها دليلا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأى دليل يبلغ في القوة والإقناع مبلغ هذا الدليل : رجل نهض في بقعة قاصية من الأرض لاعهد لأهلها بإصلاح اجتماعي ، ولا بكتاب سماوي ، فأخذ يدعوهم إلى دين وصفه بأنه دين الانسانية كلها ، قائلا إنه يوحى إليه كتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه حاتم لأنبيا ، وما جاء به آخر ما يتفضل به الله على الناس من الوحي . فاستهزأ به قومه وسخروا منه ، فلم يرفع باستهزائهم رأسا ، فاشتدوا عليه واضطهدوه ، فلم يقم لاضطهادهم وزنا ، فهددوه بالقتل فلم تلن له قنائة ، ولم تنتن لهم صريعة ، واتيهم نفر من قومه فلقوا من محاللتهم له ما يلقى أهل الحق من شيعية الباطل ، ثم هاجر إلى قوم آخرين وهاجر معه من آمن به ، فتألب عليه خصومه واستثاروا معهم من استثاروه من أحلافهم ، وتقصدوا القضاء عليه وعلى من معه دفعات متوالية «سبهم الجح و يؤلون الذبر» ، فتمصره الله عليهم ،

ثم ما هي إلا سنون معدودة حتى عمت دعوته جزيرة العرب كلها ، فلم يستهوه التفرد بالسلطان ، ولم تستغوه فواتن الملك الى أن ينير من بساطته ، وطرز معيشته ، واستمر داعيا العالم كله الى دينه ، مبشرا قومه بأن الله سيعطيهم خلافة الأرض ، وزعامة الأمم ، ما داموا عاملين بكتاب الله وسنته : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يُبَدِّلُنِي لَا يَشْرُكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَافِسُونَ » . فاهي إلا سنون معدودة حتى تحقق هذا الوعد ، وإذا بالعرب الذين كانوا بالأوس مضرب النثل في الجاهلية والفرقة قد أصبحوا للعالم سادة ، ولشعوبه وأمم قادة ، فنظر الناس الى الدين الذي أبلغ أهله هذه المرتبة فإذ به مطمأن النفوس ، وسكن الأرواح ، وباسم القنوب ، ونور العقول ، قدخلوا فيه أفواجا أفوجا ، بل ملايين ملايين ، فلم يمحض عليه جيل واحد حتى كان المؤذن في مسجد المدينة يقول : حي على الفلاح ، فيتابعه زميلة عند أسوار الصين يمثليها .

ثم تمادى الزمان ، وتطولت الأيام ، وإذا بالأم الإسلامية التي نليت بالفتور أجيالا ، تهب مذعورة على أبواب المدينة الأوربية وطبوعها ، ففتحت أعينها فإذا هي حيال علوم عالية ، وفلسفات منيرة ، وآلات محيرة ، ومخترعات مدهشة ، فوجت برهة ، ثم أخذت تلقى بنظرها على ما تركته وراء ظهرها من تراث الآباء ، فإذا ما حيرها الساعة وأضاع رشدها ، وليد ما خلعه أولئك الآباء ، وثمره جهودهم ، فإن ريد عليه شيء فما اقتضاه الفرق بين المصريين ، والتبانيين بين العهدين ، فأصبحت لديهم العقيدة التي كادت تزعزع ، يقينا لا يمتريه شك ، في أن الفتور الذي كانوا فيه هو نتيجة لتعميمهم عن التعاليم التي أوروها ، فأقبلوا عليها أيما إقبال ، وروا نجاحهم في اعود اليها على كل حال . وشجعهم الأجانب عنهم على هذه العقيدة بما كتبوه من تاريخ أسلافهم ، وما تبينوه من دراسة ديانتهم .

أريد الطالب دليلاً أسطع من هذا على النبوة ؟
 ألا سقياً ورغياً لكادلايل المؤرخ الفيلسوف الانجائزي الكبير ، لمد قال في كتابه
 الأبطال وديانة الأبطال : « أريد دليلاً ممن يدعى لك أنه بدء أقوى من أن يبنى لك
 داراً تسع لملايين الكثيرة من الناس وتدوم قروناً طويلة ، لا يعترها تصدع ،
 ولا يستورها أقل تداع ؟ كذلك هل يطلب طالب الى مدعى النبوة دليلاً أقوى
 من أن ينشر ديتا بين ملايين من البشر يستمرون عليه قروناً طويلة ويتحمسون له
 تحسداً كبيراً ؟ فحمد قال بأنه رسول من عند الله وبرهن على صدق قوله بدين نشره
 في الناس أخذ به مئتان من الملايين ومضى عليهم فيه اثنا عشر قرناً ، ولم يحبون دينهم
 هذا ويتحمسون له أكبر تحس ، فاذا براد من الأدلة على نبوته بعد ذلك ؟
 « ألا فليعلم الناس أن التعاليم كأوراق البنك نوت ، والحقيقية منها تتداول بين
 الناس ولا تثير أقل شبهة ، والوثيقة منها تخضع بعض الناس مرة أو مرتين ثم يفتضح
 أمرها وتعرف أنها زائفة فتمزق كل ممزق » . انتهى
 هذا حق ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين محمد فربر وهدي

من أبلغ ما قيل فيهم من يقبل النصح

من أحسن ما قيل فيس أشير عليه فلم يقبل قول سبيع لأهل الجامة بعد إيقاع خالد بن الوليد
 رضى الله عنه بهم :
 « لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه ، كأني أسمع جرسه ، وأبصر غبه ، ولكنكم تقيم
 النصيحة ، فاحتسبتم لدمامة ، وبنى لما رأيتم تهمون النصيح ، وتسفهون الحليم ، استشفرت
 بكم الياس ، وخفت عليكم البلاء ، والله ما منكم الله التوبة ، ولا أخذكم على غرة ، ولقد
 أمهكم حتى من الواعظ ، وهزى المواعظ ، وكشتم كأنما بعي بما أنتم فيه غيركم » .
 قوله : كأني أسمع جرسه ، أى صوته . وأبصر غبه ، أى طائفته .

أساطيل المسلمين وحرورهم البحرية

يعجب من لم يدرس تاريخ المسلمين كل العجب إذا قيل إن المسلمين اتخذوا الأساطيل ولم يعض على وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنون قليلة فتحوا بها مدنا هندية وجزائر كثيرة في البحر الأبيض المتوسط . إن هذه النهضة عبيرة للعقل لم يدون مثلها لأمة من أمم الأرض . فإن العرب عاشوا حياتهم كلها على اليابسة لم تتحرك لهم همة إلى ركوب البحر ، والتطوح على السفن إلى بلاد يجهلون بها كل الجبل . ولكنهم لما دخلوا في الإسلام سرت فيهم روح منه قوة لا ترى للتبسط في الأرض حدا وقف عنده ، تحقيقا لما أراد الله من إعلاء كلمة الحق في كل مكان يمكن أن يصل إليه داع إليها ، أو ينمى إليه خبر عنها .

أول ما شرع المسلمون في الغزو بحرا كان سنة ست عشرة هجرية ، فقد أرسل وإلى عمان أسطولاً لفتح الهند ، فاستولى على جزيرة طنّاح القريبة من مدينة بومباي وخرج من ناحية البحرين بجزيرة العرب أسطول آخر استولى في جزيرة كامبي على مدينة بارودا . وخرج أسطول ثالث إلى مصاب نهر السند واستولى عليها .

وكان في الوقت نفسه يغزو عبد الله بن عامر سنة ثلاث وعشرين في خلافة عثمان ابن عفان بلاد كرمان وسجستان في شمال الهند . ثم حدثت بين جيوش كرمان والسند وفائع انتهت بفوز قائد عبد الرحمن بن سمرة عليها ، فاستولى على إقليم داور ومدينته بوسست . وتغلب بعد ذلك المهلب بن أبي صفرة على ملك أفغانستان وألزمه دفع الجزية ، وكان ذلك سنة أربع وستين على عهد معاوية بن أبي سفيان . وأرسل الحجاج بن يوسف الثقفي سنة تسع وستين محمد بن قاسم يحيوش إلى شاطئ نهر السند ، واستولى على مدائن ديبيل ويرون وهم آباد وألور ، واقترّب من جبال حملايا القائمة في شمال البلاد الهندية .

ولم يمض بعد ذلك غير قليل حتى كانت قتيبة بن مسلم الذي ولاه الحجاج بن يوسف الثاني فتح آسيا الوسطى قد دحر التركمان واستولى على خوارزم وما وراء نهر جيحون ومعظم المملكة التتارية، وأحرق أصنام مدينة فرغانة ونحش وبيككند وبخارى وسمرقند ومدينة كاشغر وأقصر وخو طان. ولما انتهى إلى حدود الأمير طوربة الصينية أرسل إلى عاهلها وقدما مؤلفا من اثني عشر رجلا، وصالحهم على دفع الجزية. وبعد ذلك توجه قتيبة بأسطول على نهر السند إلى داخل البلاد الهندية، فلحق به جيش برى في أرض مكران، وانتشر في سهول مدينة كشمير، فتارت عليه مدن على شواطئ نهر السند فتغلب عليها. وما زالت الجيوش لاسلامية نجوس خلال الديار الهندية حتى وصلت إلى نهر الكنج الذي يقدمه الهندوس ويحجون إليه في كل عام.

وإن استطردنا من ذكر الأساطيل الاسلامية التي بدأت تبحر عباب البحر من سنة ست عشرة هجرة لفتح ونشر كلمة الله في العالم إلى ذكر الفتوح التي تمت في شمال الهند وفي داخلها، ليرى القارئ صورة مصغرة لحركة التضايف بين جيوش المسلمين البرية وأساطيلهم البحرية لا يدخل تلك الممالك الواسعة الأرجاء في حظيرة الأمير طوربة الاسلامية التي لم يشهد تاريخ الممالك ما يقرب منها في الانساع والعظمة الدولية.

وأعجب ما في هذا الأمر أن تتمكن دولة فتية كالدولة الاسلامية لا عهد لها بتلك ولا حكومة من التبسط في فتوحاتها إلى هذا الحد، ونستطيع أن نحفظ بهذا اللك أجيالا لا بوسائل الإكراه والإغصت، وسكن بروج العدل والإنصاف والمثل الأعلى في الإحسان والمرحمة. فكان أثر هذه السيرة للفضلي أن انتشرت في كل تلك البقاع اللغة العربية وآداب الاسلام، فلم يمض عليها سنون معدودة حتى أصبحت أمم معاقل الاسلام، ومعش حاته وأعلامه.

والله إن هذا من أعجب ما يتفق للانسان أن يقرأه في تاريخ البشر، وهو بإجماله وتفصيله معجزة خالدة لحمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.

وأول من أمر بالغزو في البحر الأبيض المتوسط معاوية بن أبي سفيان أيام كان والياً عليها، فأمر بإعداد أسطول في سنة سبع وعشرين هجرية، ووجهه لفتح في البحر الأبيض المتوسط. فكان أول ما صادفه من جزره جزيرة قبرص، فقاتل حاميتها، وما زال بها حتى هزمها واستولى عليها ف ضرب عليها الجزية وفي سنة تسع وعشرين استولى على جزيرة قريطش (أى كريد) وجزيرة كوس وجزيرة رودس. كل هذا وهو وال على الشام. فلما آلت اليه الخلافة بعد وفاة أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه، أرسل أساطيله تترى سنة ستة وثلاثين، غارب الرومانيين الشرقيين الذين كانت قاعدة ملكهم القسطنطينية، فأباد جزءاً من أسطول أمبراطورهم قسطنطين الثاني بعد حصره في خليج إيسالوق لسواحل إقليم ليسيا (Lycie) على سواحل الأناضول في سفح جبل فينكس

ثم توجهت رغبته الى فتح القسطنطينية عاصمة لدولة الرومانية الشرقية، وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين، فجهز لذلك أسطولاً قوياً، فافتحم الدردنيل حتى وصل الى ساحل بحر مرمره، فنزل جنوده غرب القسطنطينية ومكثوا محاصرونها ست سنين. فاهتدى أمبراطورها الى وسيلة أحرق بها أساطيل المسلمين، فاصطرت جنودها أن تعود الى الشام، فسار يقتنى ثرم جيش روماني حتى أمن منهم على العاصمة والأناضول. فأغرقت هذه الموقعة لأمبراطور بوسنيان الثاني على أن يستولى على الشام، وكان ذلك سنة سبع وستين، وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان، واتفق أنه كان مشتغلاً بأمر الخلافات التي كان يشيرها من حوه، قرأى أن يرد الرومانيين بالحسن، فهاهم على ترك البداء. فلما استتب له الأمر رأى أن يسترد ما كان قد استولى عليه الرومانيون من الشام، فقاتلهم وانتصر عليهم، ورد الى حظيرة الاسلام ما كان قد انفصل عه من المدن والأقاليم. ولما كانت سنة ثلاث وسبعين أرسل عبد الملك بن مروان بأساطيله لفتح جزيرة صقلية (سيسيلى) فانتصرت عدة مرات على المدافعين عنها.

ولما تولى سليمان بن عبد الملك أخذ يرسل بالأساطيل لفتح القسطنطينية، واقتنى أثره عمر بن عبد العزيز، فكان الرومانيون يحتالون على إحراق تلك الأساطيل فتضطر الجيوش التي بها أن تعود برا، ولكنها في أثناء عودتها كانت تفتتح مدنا وقلاعاً، فاستولوا على مدائن بسواحل بحر صرمرة، وأثرت مسألة إحراق الأساطيل في نفوس المسلمين، ورأوا أن يعملوا خصومهم بالمثل. فساد مسلحة بن عبد الملك على رأس جيش مغيرا به على آسيا الصغرى، فاستولى على مدن كثيرة منها، وما زال يتابع سيره حتى وصلت جنوده الى اسكودار وهي قرية حبال القسطنطينية، فأحرقوا سفن الرومانيين التي كانت بها وعادوا الى مصكرم.

وكانت ثمرة اتخاذ المسلمين للأساطيل أن فتحوا بها جميع جزر البحر الأبيض، ومدنا كثيرة من البلاد اليونانية وسواحل إيطاليا.

ثمرة هذه الفتوحات على المسلمين وعلى العالم كله :

إن الأمر المحسوس الذي استدل منه المؤرخون على أن تبسط المسلمين في الفتوحات لم يكن القصد منه اجتياح الأمم وسلب مذخوراتها. إنهم قد عفو عما في أيدي المقيمين ولم يقتلوا منهم سوى الحزبة، وإنهم اقتبسوا كل ما صادفوه من علم نافع، وصناعة ذات فائدة عملية. فلو كان انسياحهم في الأرض ملحوظا فيه استلاب ما بأيدي المقيمين من مال وعتاد، لسلكوا طريقة الفاتحين قبلهم، فأحرقوا المدن بمد تجيردها من خيراتها، وقتلوا أهلها أو شردوهم في البلاد ليهلكوهم على أسوأ حال.

قال العلامة (دريير) في كتابه (المنازعة بين المم والدين) : « إن المسلمين ما كانوا يتقاضون من مقيريهم إلا شيئا ضئيلا من المال لا يقارن بما كانت تتقاضاه منهم حكوماتهم الوطنية » .

وقال العلامة (سدو) Sedeillot المؤرخ الفرنسي الكبير في كتابه (خلاصة تاريخ العرب) فيما يتعلق باقتباس المسلمين للعلوم ما مؤداه :

« من تأمل في تاريخ فارة العرب على الشام ومصر تحقق أنهم كانوا ميالين الى كسب

العلوم وترقيتها . وقد نبين ذلك باقتباسهم لها واشتغالهم بها ، واختلفهم عن سكن سواحل جزيرتهم من جاليات الأمم التي لجأت هرباً بدنها من لاضطهادات المذهبية ، وأشهرها جماعات النسطوريين النصرانية التي كانت على درجة عالية من العلم والمدينة . وهؤلاء كانوا قد أفادوا أهل الشام بعلومهم ومعارفهم ، ثم اضطروا تحت ضغط الاضطهاد الى الهرب منها الى السواحل العربية .

« وقد تبين ولع العرب بالعلوم أيضاً من اقتباسهم أصول المعارف عند فتحهم لبلاد الفرس على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

« فلما تولى الخلافة أبو جعفر المنصور سنة (١٣٥هـ) أظهر ميلاً عظيماً للعلوم الكونية ، فكان يستدعى العلماء من ابلاد التي انضمت الى الامبراطورية الاسلامية ، ويطلب اليهم ترجمة الكتب اليونانية ، ويفدق عليهم الأموال الطائلة .

« وقد سار خلفاؤه سيرته في نشر العلوم وترجمة كتبها عن اليونانية وغيرها ، وخاصة حفيديه للهدى وهرون الرشيد ، فقد أقبلوا على علماء النصرانية المنتشرين ببلاد من آسيا ، فاستقدموهم وأوعزوا اليهم بترجمة الكتب اليونانية والفارسية والسريانية الى العربية ، فاشتهر في عصرهما العالم الفلكي المسمى « ماشاء الله » ، فوضع الاسطرلاب ودُرَّته النحاسية ، وحمد بن محمد الهاوندي الفارسي ، فكانا أقدم علماء الأرصاد في الدولة الاسلامية . وترجم حجازي بن يوسف كتاب إقليدس الى العربية فتقدمت في هذا العصر العلوم الفلكية والميكانيكية ، وكفى بالساعة الدقاقة التي أهداها الرشيد الى ملك أوروبا شلمان شاهداً على تقدم الفنون في ذلك العصر .

« فلما جاء المأمون وهو يشبه باغطوس لدى الرومانيين ، فأحاط نفسه بأعظم علماء الأرض ، وجعل يديه وبين ملوك القسطنطينية روابط حسنة بقصد تحكيته من عيون الكتب اليونانية ، فأنفق أموالاً طائلة على ترجمة مؤلفات علماء لاسكندرية في عهد البطالسة ، وترجمة غيرها مما كان مدخر في المكتبات الأجنبية حتى ما كان منها في مدينة أتيننا نفسها .

محمد فريهر وهدي

تاريخ الصوفية في الادب العربي^(١)

قامت الى جانب التعاليم الدينية وقواعد العبادات منذ بدء ظهور الاسلام وإبان نشأته الأولى طرق أخرى لعبودية لا يظهر التقوى والمصالح والتقرب الى الله والإخلاص له والتفاني في حبه بوسائل شخصية عديدة لا ترتبط بأية رابطة بقواعد الدين الأصلية أو تنفيذ بتعاليمه الأساسية . وكانت الفكرة الأولى التي قامت عليها هذه الطرق وتطورت بمقتضاها تنحصر في تخليص الروح الخالدة من اعاصر الجسمانية البائدة والأغراض الدنيوية الزائلة التي لا قيمة لها ولا وزن يجانب الإخلاص لله والتفاني في حبه وطاعته . وهذه الفكرة هي في الحقيقة قديمة بقدر قدم الانسان على وجه الأرض ، وظهرت في الأجيال المختلفة بصور متعددة وأشكال متباينة ، في مبادئ فلسفية لعبودية عتيقة ، وفي عقائد دينية لا تقع تحت حصر أو بيان .

ولكن أظهر ما ظهرت به الصوفية (وسميت كذلك بالنسبة للباس أتبع هذه الطريقة المكون من الصوف مبالغ في التقشف والزهد) في الاسلام ، وأهم ما امتاز به علماء الديانة الاسلامية التصوفون هو ركونهم الى الناحية العملية من هذه الوجهة الفلسفية ، بوضع الثقة المطلقة في الله تعالت قدرته ، وتوكلهم عليه في حركاتهم وسكناتهم ، والإخلاص في عبادته والتفاني في تقديسه ، مع نبذ كل المطامع الدنيوية واحتقار الأغراض المباشرة .

ولقد برز بينهم كثير من المتأدين الذين عالجوا هذا الموضوع وكتبوا فيه كتابات شتى في الوعظ والإرشاد ، مما جعل الباحث في تاريخ الأدب العربي لا يضمن بأن يفرد له فصلاً خاصاً بين فصول العلوم العربية التي ظهرت في بدء الحياة الفكرية

(١) مقدمة من الألمانية نقلها عن كتاب « تاريخ الادب العربي » للشيخ العراقي الكبير الاستاذ

الدكتور « بروكلمان »

الاسلامية الرشيدة ، وتطورت تطورا ظاهرا يمرور الأعوام ، فكان لها أثر بالغ في حضارات الأمم للتأخذه وثقافتها ، بل وكان لها في أحيان عديدة نصيب كبير في نهضة العالم العربي العلمية .

وأول بدء ظهور هذه الطريقة التبعدية في التاريخ المروف ، في الكنيسة الرسمية حيث تسربت اليها لطريق مسيحي الشام ، الذين أخذوها عن الديانة الاغريقية ، بعد أن نشط تيارها الهادي . واجتذفت الكنيسة الشرقية والفكرة في جوهرها الأول ترجع الى الفلاسفة الأفلاطونية الجديدة التي تدعو الى ضرورة إنكار الدنيا وأغراضها والسمي وراء ، التفرغ الى الله والتفاني في حبه بطريق الزهد والتصوف . وأول من ظهر من علماء الشام نائراً لواء الدعوة الى هذه المبادئ ، والتعاليم الدينية هو (برسودبلي) في القرن السادس من الميلاد .

انتشرت هذه التعاليم من مهدها ببلاد الشام عن طريق الكنيسة الاغريقية الى الكنيسة الغربية في المصور الوسطى ، كما تسربت كذلك الى الاسلام ، فأخذها عنهم علماء المسلمين الأولون ، فظهرت العلاقة القوية والرابطة الوثيقة في حركات الذكر عند متصوفي الاسلام القدماء ، وتلك التي كان يقوم بها أنصار هذه الطريقة في الشام . وكما كانت للشام مهداً لنشأة هذه الطرق الدينية وتطورها ، فإنها كانت كذلك مهداً لأنصارها من العلماء والمتأديين الذين كانوا أول من دافع عنها ، فعالجوا هذه الموضوعات الفلسفية بالبحث والتأليف .

وأول علماء الصوفيين الذين وصلتنا أخبارهم ومؤلفاتهم هو الحارث المحاسبي المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، وهو وإن كان من أشد التمسكين بقواعد الديانة الإسلامية والمحافظة على الروح السنية الحقة في جميع المسائل الأساسية ، لا أنه كان يرى عدم ضرورة التفتيد بالمراسم التقليدية والاقتصار عليها كغيره من أعلام السنيين ، بل كان يذهب الى أسعد من ذلك ويرى وجوب حكم النفس والتسيطر عليها والزهد في أغراض الدنيا ومطامعها والتفاني في حب الله وطاعته .

وعلى هذه الصورة نشأت النواة التي شُيِّد عليها بناء الصوفية في الاسلام في مبدأ الأمر ، إلا أنه سرعان ما تطورت ونبئت حولها عناصر غريبة من جهات مختلفة كانت سبباً في تحولها تدريجياً عن الطريق المستقيم والعقيدة السليمة ، ومن ذلك ما قام به العلم المصري « ذوالنون » المتوفى سنة ٢٤٥ هـ من دعاية واسمة لعلم كيمياء لذهب وأحلامه اللذيذة مجتهداً في إيجاد رابطة بينه وبين آلام الصوفية وقواعدها .

وأما في شرق البلاد الاسلامية فقد صادفت الصوفية في طريقها تيارات العقائد الهندية البوذية ، فتأثرت بها الى حد بعيد ، وكادت تودي بالصوفيين الى حد الإلحاد واعتناق المذاهب الإشركية ، وظهرت هذه الأفكار بشكل واضح في أشهر الصوفيين في القرن الثالث من الهجرة (حسين الحلاج) وهو من أصل فارسي ، وكان أستاذه « الجنيد » المتوفى سنة ٢٩٧ هـ متمسكاً بالتعالم السنية ، ولو أنه كان يتجنب الجدل والحوار في مسائل العقائد الأصلية ، ولكن الحلاج ارتأى أن لا داعي يدعو له التمسك بقواعد الاسلام لحقة ، وظن أنه يملك مزايا غير طبيعية ومستحوذ على قوى خارقة للعادة ، وتمكن من أن يجد من صغار العقول وضعاف العقيدة من يلتف حوله ويستمع لهذيانه ويؤمن بما زعمه من أراجيف ، ولكنه نادى في أوامه ، فذهبت إليه وصوابه ، وتوهم أن الله عز وجل قد حل في جسمه ، فسرعان ما نارت عليه البلاد وانقلب منده الحكماء ولقي حتفه سنة ٣٠٩ هـ ببغداد ، وبإعدامه اختفت هذه الأفكار الإشرائية المتطرفة من تعاليم الصوفيين المجترئين للموجهة مبادرة الى الرأي العام ، فقبعوا في عقر دارهم زمناً طويلاً ، وكفوا بذلك الناس شر آرائهم المتطرفة ، ووفروا عليهم بليلة أفكارهم ، ولم يظهر في القرن الرابع من الهجرة من آثار لهم في الأدب العربي إلا ما كان متفقاً مع الصلاح والتقوى الحقيقية ، ولم يخل الشعر في هذا العصر من أثر تعاليم تلك الطرق التي ترى الى التفاني في العقائد الدينية بحسب .

بقيت العقائد الشنية منتصرة ضد الصوفية المتطرفة منذ أواخر القرن الثالث

من الهجرة وطوال القرن الرابع ، فنبذ من الآراء والتعاليم كل ما لا يتفق مع كتاب الله والأحاديث النبوية في غير لبس أو غموض ، وقيمت الصوفية سائرة بهدوء في طريقها السلم إلى أن ظفرت في العصر الثاني من تاريخ الأدب العربي (أي ابتداء من القرن الخامس الهجري) ببغيتها في النهضة الأدبية والدينية مما كان له من الأثر البعيد في تطور الحياة الدينية والأدب العربي ما لم يشهده غيرها من العلوم الدينية .

ففي أوائل القرن الخامس الهجري نهض من علماء يسابور عبد الكريم النشيري في عام ٤٣٧ هـ لإحياء العلوم الصوفية ، وبعث برسالة إلى أنصار هذه الطريقة الدينية من العلماء المعاصرين يتشدقون لتصرة الطريقة وإحكام عرى التعارف بينهم وتبادل الآراء لتجديد التعاليم الصوفية التي كادت السنوات تغير من معالمها وبذهب بأصولها الصحيحة ، ولم يكبد القرن الخامس يوشك على الانتهاء حتى اهتم الغزالي بالاشتغال بأمور الصوفية ، ووجد فيها عوضاً عما كان يصبو إليه في مقتل حياته من أبحاث علمية . وفي القرن السادس من الهجرة انتشر علماء الصوفية بكثرة في أنحاء العالم الإسلامي شرقاً وغرباً ، ووضعوا كثيراً من القواعد الجديدة والتعاليم المختلفة في هذه الطريقة الدينية ، واشتغل كثير منهم بالتأليف ، فظهر في هذا الباب من عالم الأدب العربي ما يكفل تعليم النشء الحديث ، وإرشاد الأجيال المتأخرة إلى ضروب الصوفية المختلفة وفلسفتها العميقة .

وكانت الشام لا تزال حتى هذا العصر مهداً لهذه الطريقة ومنبتاً لعلومها ، واشتهر من علمائها في القرن السادس على الحكاري المتوفى سنة ٥٥٨ هـ بمبدأ أن شيد خائفاه للمتصوفين على جبل حكار بجوار الموصل ، وقام برحلات واسعة للوعظ والإرشاد ، وأسس طريقة السعدوية التي بقيت نشيطة حتى القرن السابع الهجري ، بنص تلميذ من خلفه من زعماء الصوفية في تلك البلاد ، وله في عالم الأدب كتاب يفصح فيه عن عقيدته ورسالة وصاية إلى تلاميذه ، ولا زالت بعض الطرق الكردية المعروفة باسم « يزیدی » تحيي وتزید في تعجيد لا حيائه مذهبهم وتوثيق عقيدتهم .

وفي بغداد اشتهر من علماء الصوفيين في هذا العصر عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١ هـ وهو مؤسس الطريقة الكبيرة المعروفة باسم القادرية ، ولقد عرف كيف يتسلط على عقول أتباعه ومريديه ، وحاز شهرة واسعة ، وله في ميدان الأدب بضعة مقدمات في الحياة الدينية السعيدة ، وعدة رسائل أخرى في نوعها والأدعية .

وهكذا سار معظم علماء الصوفية على هذا المنوال . متمسكين بجوهر الاسلام ، محافظين على أصوله الأولية ، غير خارجين على تعاليمه الأساسية ، بل كان جل همهم وغاية أملهم توثيق الحياة الدينية وترسيخها في عبادة الله والتفاني فيها ، الى أن ظهر شهاب الدين السهروردي ، وجاء بما تخطى به الحدود المباحة ، وخرج على كتاب الله وسنة نبيه ، وكان يحكي حيلة درويش متجول ، فكان يظهر تارة في بلاد القرس وطورا في العراق الى أن نزل أخيرا بمدينة حلب ضيف على بلاط الملك الظاهر بن صلاح الدين ، وكان يجتهد في الإذاعة عن نفسه بأنه قادر على الإتيان بالمعجزات الخوارق ، وكانت تظهر في تعاليمه وأفكاره علاوة على آثار الفلاسفة الأفلاطونية الجديدة ، التي نشأت عنها الصوفية القديمة في الاسلام ، بعض الآراء لايرانية المتيقة والعقائد الفارسية الشعبية عن الإمام الختني ، وكان يسمى طريقته بطريقة النور ، ولذا فإن الدراويش الذين جعلوه زعيما لجماعتهم كانوا يطلقون على طريقتهم « النور بخشية » أي الذين يعطون النور . ولقد تدمر لسنيون كثيرا من تعاليمه الفاسدة وعقيدته السقيمة ، وتمكنوا أخيرا من حل السلطان على اضطهاده والحكم بإعدامه ، فأعدم سنة ٥٨٧ هـ . وله في عالم الأدب بضعة رسائل فلسفية علاوة على كتابه الذي يفسر فيه طريقته ويشرح تعاليمه الصوفية .

وشهر علماء الصوفية في هذا العصر في البلاد الاسلامية النربية هو أبو مدين الذي ظهر بمدينة نيسابور وتوفي بها عام ٥٩٨ هـ . ولا يزال كثير من الأهالي تحيي ذكراه وتجد اسمه ، ولم يترك في الأدب العربي سوى القليل من الشعر ، ونضع مجموعات في الحكم والأمثال .

وجاء من بعده على الشاذلي فأسس طريفة صوفية خاصة، وتوفي سنة ٦٥٦ هـ، ولم يخلف للأدب العربي سوى رسالة في واجبات العبادة لله، وبضع حل مأثورة في الأدمية.

وأكبر علماء الإسلام المتصوفين على الإطلاق هو بلا شك محي الدين محمد بن عربي، ولد بالمرسية سنة ٥١٠ هـ وطلب العلم بمدينة اشبيلية ورحل إلى بلاد الشرق عام ٥٩٨ هـ. وتنقل بين العراق وآسيا الصغرى إلى أن استقر به المقام أخيراً بدمشق حيث توفي سنة ٦٣٨ هـ. ولقد ظهر تفوقه ونبوغه على زملائه من زعماء الصوفيين للمتقدمين والمتأخرين بنوع خاص في عالم التأليف، فأثنى بمحصول وافر في الأدب العربي، فقد وصلنا من مؤلفاته حوالي ١٥٠ كتاباً مستقلاً، وأما زكنايه المسمى «الفتوحات المكية» بالأفكار العالية والفلسفة العميقة وكثيراً ما كان يلجأ إلى وضع تفسير لا يوضح ما يكتبه بسبب صعوبة الموضوعات وتعقيد المسائل الفلسفية والدينية التي كان يعالجها.

ولما كانت الصوفية، وهي مدار بحثه الأول، أقرب إلى المسائل الحسية من الموضوعات للفكرية، فإنه كان يلتمس مخرجاً للتعبير عن مشاعره بواسطة الطم، فكانت تفيض كتاباته بالأشعار، وله في ذلك مقطوعات غاية في الروعة والإحكام، وأهم قصائده هي تلك التي نظمها بحكمة المكرمة عام ٥٩٨ هـ في التفتي بحب الله، وكانت تشبه من حيث الأسلوب مقطوعات حافظ، يستمع بين أشطارها رنين شهوة الغزل، ولذا فانه رأى نفسه مضطراً لوضع تفسير لها، ليدفع به لومة من يتهمة بالتعنى بالحلب الدنيوى.

وله مؤلفات فلسفية عديدة ثم من مبلغ تأثره بالتفكير الاغريقي والهندي، وتضامن مع أحد علماء المنود في تنقيح وإعادة نشر الكتاب الهندي الكبير المعروف باسم «أمرته كندد» الذي يبحث في ارتباط العالم الصغير بالعالم الكبير والعلاقة بينهما، وكان قد قام بنقل هذا الكتاب من اللغة الفارسية إلى العربية محمد السمرقندي سنة ٦١٥ هـ.

وكان كثير الاعتقاد في الخرافات بشكل ظاهر، وربي كان ذلك نتيجة لتعمقه

في أبحاثه الفلسفية، فكتب في القوة السحرية للحروف الهجائية، كما كتب عن الطرق المختلفة في التنبؤات والاستعارات القرآنية، ووضع كتاباً بتنبؤاته عن مستقبل مصر. وكانت تعاليمه جريئة للغاية، وفلسفته عميقة جداً، بحيث إنه لم يقو على تأسيس مدرسة خاصة بها، ولم يجد من يستأنف عمله الفكري سوى تلميذه محمد القنوي المتوفي سنة ١٩٧٢ هـ. ولكن مؤلفاته بقيت موضع اهتمام العلماء المسلمين ودراساتهم لعدة قرون بعد وفاته، حتى إننا نجد الحوار والجدل بينهم لم ينقطع حتى القرن الثاني عشر من الهجرة، فمنهم من حكم بالحاده، ومنهم من اهتدى الى التوفيق بين تعاليمه والعقائد الدينية الصحيحة.

بعض ما قيل في الحلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون المرء من غضب الله إذا غضب». وقال لقمان الحكيم: ثلاثة لا تعرفهم إلا بعد ثلاثة - لا تعرف الحلم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا تعرف خالك إلا إذا احتجت إليه. وقال علي كرم الله وجهه: حاكم على السفيه يكسر أنصرك عليه. وقال الأنصف بن قيس: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات. وقال: رب غيظ نجرته مخافة ما هو أشد منه.

وأتبع رجل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ما يكره، فقال له: لا عليك، إنما أردت أن يستغفر الشيطان، نعمة السلطان، فأنا لك اليوم ما تناله متى غدا، انصرف إذا شئت. وقال شاعر:

لن يدرك المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا قترى لألوان كاسفة لا ذل يحز ولسكن ذل أحلام
وقال كعب بن زهير:

إذا أنت لم تمرض عن الجهل والحنأ أصبت حلياً أو أصابك جاهل

بيان من جمعية منع المسكرات

بالقطر المصري

— — —

ورد الى إدارة هذه المجلة كتاب من بعض القراء يسألوناه عن حقيقة الشراب الخالي من الكحول الذي استوردته جمعية منع المسكرات من أوروبا ليحل محل الاشربة الروحية ولا تكون فيه حرمتها ولا ضررها .
سلم ترينها من توجيه مذيالي لمصرة الاستاذ الفاضل أحمد انسي غلوش رئيس الجمعية فورد الينا منه البيان التالي . فنشكره على مبادرته الالقاء ، وهو :

قد تسلمت كتابكم وعلمت منه أن إدارة مجلة نور الاسلام القراء ورد اليها سؤال عن حكم شرب الشراب الذي استحضرناه من أوروبا وأسميناه بالحقق ونشرنا عنه أنه من عصير العنب وأنه خال من الكحول ، وتطلبون معرفة حقيقته للنظر في هذا السؤال .
فمتشرف بأن نقدم اليكم البيان التالي في شأن ذلك الشراب فنقول :

إن جمعية منع المسكرات وإن كانت في أصل نشأتها وتكوين هيتها تستمد تعاليمها في نشر دعوتها من الكتاب والسنة وأصول الدين الخنف ، فإنها لما رأت في هذا الزمن من صغيان المادة وتسلطها على كثير من الأنفس أرادت أن تتوسل أيضا بالذرائع المادية والوسائل العلمية لبوغ غايتها وإقامة الحقبة على صدق ما تدعو اليه :
من وجوب نبذ الخمر ، وضرورة سن قانون يقضى بتعريم تداولها في البلاد أو اقتنائها ،
لثبوت أضرارها وعدم فئدتها ، وإقامة الينبات على فساد من يزعم أن في الذبيذ والسوائل الكحولية المتحضنة من الأعناب والثمرات غذاء للجسم أو صحة وعافية للبدن ، مما أثبت الكشف العلمى الحديث بطلانه . ولذلك عني رجال جمعية منع مسكرات وخطباؤها وكتباها بأن يضمّنوا خطاباتهم ومحاضراتهم ومطبوعاتهم هذه الحقائق العلمية التي تؤيد

وجهة نظر الدين الاسلامي الخفيف في تحريمه الخمر قليتها وكثيرها على السواء، ويا كان نوعها ونوع العناصر التي اتخذت في الأصل منها، وإثبات صدق ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: وهو أن الخمر داء لا دواء.

واتفق أن الحكومة المصرية ندمت في عام ١٩٢٨ كاتب هذا البيان ليقوم بتمثيلها رسمياً لدى المؤتمر الدولي التاسع عشر الذي عقد في بلجيكا لمعالجة المسكرات، فكان من بين المسائل التي عالجها ذلك المؤتمر مسألة الأعناب والفاكهة التي تثبت بكثرة عظيمة في بلدان أوروبا وأمريكا فوق حاجة أهليها فيضطروا الحال إلى عصر الزبدة وتحويلها خموراً ويبيعها في الأسواق، وكثير من الزراع والصناع هناك لا يعتمدون في معيشتهم إلا على تحويل الأعناب والثمار خمر، فكان لا بد من النظر في مستقبل هؤلاء القوم فيما إذا استجيبت دعوة المؤتمر وامتنع الناس عن تعاطي الخمر واجتنوبوها. فانهى المؤتمر إلى أنه في الوسع تحويل الفواكه والأعناب إلى عصير سائل شراب لذيذ الطعم، منذ للجسم، مفيد في معالجة الكثير من الأسقام بحيث لا يقبل التخمر ولا التحول إلى كحول مما يفسد خواص الفاكهة والأعناب كما يحدث ذلك عند تحويلها خموراً ومشروبات مسكرة، وبذلك يتم التوفيق بين الدعوة إلى احتساب الخمر وبين حاجة الزراع والصناع الذين يعيشون الآن ويرزقون من وراء صنعها وبيعها.

ولكن نشأت مسألة أخرى، وهي أن الناس درجوا طويلاً على تعاطي الخمر في مجالس سمرهم وأنسهم وأعيادهم وأفراحهم ومواسمهم واجتماعاتهم وولائمهم، فكيف السبيل إلى حملهم على إبتار العصير الطاهر الخالي من الكحول؟ فاستقر رأي المؤتمر حلاً لهذه المسألة على أن تمنى الجماعات والجمعيات الممثلة فيه بترويج هذا العصير والإعلان عنه وحث الدعاية له في لأقطار المختلفة التي يعمل في دائرتها كل منها، فإنه على قدر ما يباع من العصير الغير المسكر تقل حاجة أولئك الزرع والصناع إلى تحويل الأعناب والفاكهة خمر، ومتى قلت كمية ما يصنع من الخمر تلتشى المسكرات تدريجاً، ويتم

استعمال العصير المير الكحولى بحكم أفضليته على الخمر، وبذلك يطمئن صانعوها والمتنفعون من ورائها الى مستقبل أمرهم، ويمنع تصديهم لحركة منع المسكرات .
وإذ كنت أمثل لدى ذلك المؤتمر جمعية منع المسكرات المصرية فوق تشيلى الحكومة المصرية لديه ، فلما عدت الى مصر عقب انقضاء جلسات المؤتمر سمعت أنا وجميعى للقيام بنصيبنا فى التطوع لترويج الفكرة المتفق عليها ، وتبيين فضل الشرب لخال من الكحول على أى مسكر كان .

فلما كان عام ١٩٣٠ استحضرت الجمعية من فرنسا وسويسرا مقدارا من هذا العصير الصعى الطاهر الخالى من الكحول ، وقد أطلقنا عليه اسم « الرحيق » تيمنا بشراب أهل الجنة . وعلى الرغم من أن للمعامل الكيماوية كانت قد أثبتت بتحليلها هذا الشراب خلوه من الكحول فقد أردنا أن نرداد وثوقا من هذه الحقيقة ، فقبل أن نعرض الرحيق على الناس أرسلنا زجاجة منه الى المعمل الكيماوى الذى نديره مصلحة الصحة البلدية بالاسكندرية ، وطلبنا اليه تحليله واستخراج إعلام رسمى بنتيجة ما يدل عليه التحليل ، فأسفر هذا التحليل الرسمى عن حلو « الرحيق » من الكحول خلوا تاما وطهارته من المواد الضارة ، وأنه « عصير عنب لا يخالطه كحول ، وأنه فى حالة جيدة ، وله طعم جيد ورائحه ذكية ، ولا يوجد فيه مواد ضارة » (انظر صورة الكتاب الرسمى المرسل للجمعية من مدير الصحة البلدية فى ختام الكراسة الخاصة التى طبعتها الجمعية تبيانا لحقيقة الرحيق) .

واتفق أن كان المعرض الصناعى الزراعى قائما فى القاهرة حين ذلك ، فكانت فرصة حسنة سانحة لدى الجمعية لترويج الرحيق وإظهار فضله على للمشروبات الكحولية والخمر المسكرة ، وإبطال حجة الفائلين بأن فى شرب الخمر فوائد صحية ، وأنهم لا يشربوها إلا اعتقا وجه الصحة ، مع أنه لا صحة فى الخمر ولا فائدة ترجى منها ، فضلا عما فيها من الضرر البالغ والإثم الكبير . وأما الرحيق فهو حقا خلاصة الفاكهة والأعشاب ،

فلا غول فيه ولا م عنه ينزفون فن ابتغى بشرب الخمر صحة وعافية ظننا منه أنها محتوية على خلاصة الفواكه والأعشاب ، فهو واهم غدوع ، إذ أثبتت الاستقرارات العلمية الحديثة أن هذه الخلاصة قد ضاعت وتحولت أثناء عملية التخمير والتقطير إلى كحول سام . وأما الرحيق فقد احتفظ بكل ما في لفوكه والأعشاب من فائدة صحية وعلاجية دون أن يكون في شربه أية حزمة ، خلوه من الكحول المسكر .

ولما كانت جمعية منع المسكرات لا تنفص إلى التجارة ولا تبني ربحا ماديا من ترويجها الرحيق ، بل كان كل قصدها رهبها أن تملن عن وجوده وفوائده وفضله على الخمر من كل ناحية من النواحي ، تضامنا منها في ذلك مع المؤتمر الدولي لمكافحة الخمر انتصارا لقضية الزراع والصنع الذين يعيشون من تجاره الخمر وصننها حتى لا يقوموا في وجه المطالبين بتحريم الخمر إشفافا على أوزاقهم أن تضيع ، فقد عهدت الجمعية إلى بعض أسيوت للتجارية التي تبيع أبا كولات المجهزة على أن تتولى هي بيع « الرحيق » . ولم يبق الآن لدى الجمعية من هذا الشراب للبيع شيء ما .

وملاحظ لحضرات القراء أن بعض زجاجات « الرحيق » قد بقيت لدى كاتب هذه السطور ، ولدى بعض أصحابه من أعضاء الجمعية ممن ابتاعوه لأنفسهم ، أعواما ثلاثة دون أن يلحقها فساد أو يتطرق إليها رجس الكحول . وما دامت الرجاجة محكمة القفل فإن ما تحتوى عليه من العصير يبقى صالحا للاستعمال زمنا غير محدود . وأما إذا بقيت الرجاجة مفتوحة معرضا ما فيها للهواء فإن الشراب يفسد كما يفسد الطعام عاما ، بمعنى أنه لا يصبر خرا مسكرا بحال من الأحوال ، وإنما يصير طعاما فاسدا ليس غير .

ونحن نقدم إلى فضيلتكم مع هذا كراسة كانت الجمعية قد طبعتها ونشرتها نبيانا وتفصيلا لحقيقة الرحيق ، وفيها نص كتاب حضرة مدير الصحة البلدية بالاسكتندرية الدال على نتيجة تحليل هذا الشراب الطهور في المعمل الطبي ، وخلوه من الكحول كما أسلفنا ذكره بالإيجاز .

وقصارى القول أن العلم الحديث قد أثبت حكمة الدين الحنيف ، وأيده أيما تأييد
 في وجوب تحريم الخمر على الناس ، لما أنها شديدة خطر كبيرة الضرر ، وأن ما ينسب اليها
 من المنافع لا يعدو ما يعود على صانعها ومروجيها ومن اليهم من الكسب المادى ،
 وأما شاربوها ومتعاطوها فلا يعود عليهم منها ، لا الاثم الكبير والخسران المبين
 ولما كانت المناقشات العلمية التى دارت فى المؤتمر الدولى لمنع المسكرات والخطب
 التى ألقىت فيه حول الرحيق من النفاسة بمكان ، وجدير بشامعشر المسلمين المعتزین
 بأصول ديننا أن نقف على الآراء العلمية التى تؤيد هذه البادى السامية وتناصرها ،
 فبذا لو أن رئاسة تحرير نور الاسلام الغراء تسمح لنا أن نعرّب ما قيل فى هذا
 الموضوع عن أصله الانكليزى ، وتنشر خلاصته فى العدد القادم ، إن شاء الله .

والله نسأل أن ينفع بكم ويعلمكم الاسلام والمسلمين آمين

رئيس جمعية منع المسكرات بالتفطر المصرى

احمد غلوش

الكرم الحامى

كان عدى بن حاتم الطائى جوادا كائيه ، وقد أدرك الاسلام وأسلم . دخل عليه ابن هارة
 الشاعر يوما فقال له : إني قد مدحتك . قال عدى : أمسك حتى آتيك بما لي ثم امدحني على حسبه ،
 فاني أكره أن لا أعطيك عن ما تقول : لي ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث إماء ،
 وفرمى هذا حسن في سبيل الله ، فامدحني على حسب ما أخبرتك ، فقال :

تمس قلوصي في معد وإيما	تلاقى الربيع في ديار بني ثعل
وأبقى الليالي من عدى بن حاتم	حساما كسمل السيف من الخلل
أبرك جواد لا يشق غباره	ونمت جواد ليس تعدر بالعال
فان تفعلوا شرا فثلكم اتقى	وين تفعلوا خيرا فثلكم فعل

فما انتهى الشعر الى هذا البيت منعه حاتم أن يزيد عليه قائلا له : إن مالي لا يبلغ أكثر
 من هذا ، وأعطاه المال .

تأسيس مدرسة بالزيتون

جاءنا من جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالزيتون
هذا النداء فنشره مماونة على نشر التعليم .

الجمعة أيها المحسنون !

نوجه نداء اليكم وأنتم أهل المروءة والبر والاحسان، لتشدوا أزرار الجمعية، وتعاقدوا
مدرستها التي قامت على تربية البتاي والمساكين، وتعليم مبادئ الدين الحنيف، وتحفيظ
القرآن الكريم ؛ والتي أضافت الى جانب هذا كثيرا من أعمال البر والإصلاح
وفي مقدمتها قسم إلقاء المحاضرات الدينية الاجتماعية، وقسم ليلي لتعليم العمال مبادئ
القراءة والكتابة والدين، وتخصيص شعبة من شعبها للمحافظة على أبناء المسلمين من
الوقوع في شرك أعداء الدين .

ولقد سمت الجمعية لدى حكومتنا الرشيدة حتى منحها قطعة أرض مساحتها
١٦٤٧/٥ متراً بحلقة الزيتون لتقيم عليها بناء درها، وقد تم تسلمها يوم الأربعاء ٣ إبريل
سنة ١٩٣٥ والآن وقد اعتزمت الجمعية أن تمضي في عملها ونشر في بنائها مستمدة
من الله العون ومنكم النعمة . فلإننا نهيبكم أيها المحسنون أن تعاقدوا الجمعية في هذا
المشروع الديني العظيم الذي يتحتم على كل مسلم غيور أن يساهم فيه، فن وضع فيه حجر
بني الله له قصر ، ومن ساهم في تأسيسها صاعف الله له ثوابا .

فهلوا الى باب من أبواب البر وعمل من أعمال الخير، وأجيبوا داعي الله ورسوله
« وما تقدموا لأنفسكم من خير نجده عند الله هو خيراً وأعظم أجراً » وما أنفقتم

رئيس الجمعية

من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »

مصطفى ماهر باشا — مدير المنيا سابقا

التبرعات ترس باسم رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالزيتون .

الإنسان

تشریح — صحة — أدب — دين — لغة — أخلاق — اجتماع

هذا كتاب فذ لم يؤلف أحد على مثاله ، وفق الى وضعه الاستاذ النابه الفاضل على فكري رئيس المعبرين بدر الكتب المصرية . ألم فيه بكل ما يتعلق بالإنسان من تشریح وصحة وأدب ودين ولغة وأخلاق واجتماع ، لجاء بمجموعة قيمة لمعارف وشوارد لا تنفك وجودها في معرض واحد . مثال ذلك : يذكر المصمم قلم يذكر أعصابه من الوجهة التشريحية ممثعينا بالصور ، ثم من الماحية الفيزيولوجية ، ثم بحسكة الخلق في خلق الأعضاء العاملة فيه ، ثم يشفع ذلك بالنصائح الدليلية المناسبة للتغذى من القرآن والسنة ، ثم بالقواعد الصحية ، ثم بالنصائح الأدبية ، ثم بالكلمات اللغوية ، ثم بالأمثال الفصيحة ، ثم بالأمثال العامية ، ثم بصنوف الأطعمة وقيمتها الغذائية ، ثم بما يتعلق بالطعام والهضم من الناحية الصحية ، ثم بالألفاظ الكتابية ثم بالحكم انشعريه . فهذا الاستيعاب لما يخص الموضوع الواحد جعل هذا الكتاب جذابا نافعا الى أقصى حد . وهو يقع في أربعة أجزاء في كل جزء أكثر من مائتي صفحة . فتهنىء حضرة المؤلف بهذا التوفيق . ونرجو أن يكافئه الله عليه بما هو أهله ، وأن يعينه على إراز أمثال هذه الطرائف العامية .

صفوة احياء علوم الدين

قام باستخراج هذه الصفوة من إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي حضرة الأستاذ الأصولي محمود انندى قراة الهامى . وإنه لكتاب كريم يجمع زبدة كتاب الامام في نحو ٣٣٦ صفحة من القطع الصغير . وقد وفى الأستاذ كل موضوع حق بما يشكر عليه ، فسهل على القارئين الامام بصقوة هذا المؤلف الضخم في زمن قصير ، وبها خدمة دينية يذكرها له المسلمون بالثناء الجميل ، فقد كان يتردد ذكر هذا الكتاب الاسلامى العظيم ولا يجد الناس وقتا لقراءته والانتفاع بما فيه ، لجاء تلخيص الأستاذ قراة له مسهلا عليهم الوصول الى بغيتهم من أقرب طريق . فجزاه الله عن الاسلام خيرا .

We are informed by 'Alī b. Al-Ja'd who had it from Shu-bah, through Abu Jamrah, who stated he used to sit⁽¹⁾ with Ibn 'Abbās, who used to invite him up on to his divan. Once he said, "Sojourn with me until I make over to thee a share of my property." So I sojourned with him two months, after which he said: "When the deputation from the family of 'Abdul-Qais visited the the Prophet (Allāh bless him and give peace), he said - "Who are these people? (or what is this deputation) ⁽²⁾. We are from the tribe of Rabī'ah, replied they, "Welcome to you, people (or deputation) who come without humiliation⁽³⁾ or regret" "O Apostle of Allāh," replied they, we can come to thee only in the sacred month⁽⁴⁾ so long as there is between us and thee that miscreant tribe of Mudar, therefore prescribe unto us a decisive decree which we can communicate to those we have left behind us, by which we

إِنَّ وَفَدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَلَّا أَنْوَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ الْقَوْمُ أَوْ مَنْ الرَّقْدُ فَقَالُوا « رَيْبَعَةٌ » قَالَ : « مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ حَزَبِيَا وَلَا تَدَامَى فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ ، وَبَيْنَمَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ ، فَمَرْنَا بِأَمْرِ قَصْنٍ تُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدَّ حُلِّيَّ الْجَنَّةِ ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الْأَشْرِيَّةِ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَهَبَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ : أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، قَالَ : تُذَرُّونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : شَهَادَةٌ نَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ

(1) as interpreter - according to another reading Abu Jamrah was versed in Persian and Arabic

(2) The narrator here is in doubt as to which

(3) i. e. without being forced by the humiliation of defeat.

(4) When fighting is forbidden - referring either to the month of Rajab, or to one of the four sacred months - Dhul-Qi'adah, Dhul-Hajjah, Al-Muharram, Rajab.

We are informed by Abu Na'im who had it from Zakariyyā, through 'Amr who heard An - Nurmān b' Bashīr state that he heard the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) say

“ Clear is the lawful and clear is the forbidden; but between these two there are matters equivocal, not discerned by many; so he that avoideth doubtful matters hath attained immunity from condemnation for his faith's and his honour's sake; but he who falleth into doubtful matters, is like a shepherd who grazes his sheep round a preserve which he a most entereth. Now, every King hath a preserve, and verily Allāh's preserve on earth is those things which he hath forbidden. Behold, in the body there is a certain piece of flesh - if it is sound the whole body is sound, and if it is corrupt the whole body is corrupt. Now this piece of flesh is the heart. ⁽¹⁾

CHAPTER 41.

The payment of the fifth part of the booty is a feature of the Faith

يقولُ محمدٌ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: « الحلالُ بينُ والحرامُ بينٌ وبينهما مُشبهاتٌ لا يعلمها كثيرٌ من الناسِ ، فمن اتقى المشبهاتِ استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهاتِ كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعهُ ، ألا وإن لكلَّ ملكٍ حمى ، ألا وإن حمى الله في رعيه محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » :
باب : أداء الخمس من الإيمان :
حدثنا علي بن إسماعيل قال أخبرنا شعبة عن أبي جرة قال : كنت أقعد مع ابن عباسٍ يُجلسني على سريره فقال : أقم عندي حتى أجعل لك سهمًا من مالى فأقمت معه شهرين ثم قال .

(1) As being the seat of the intellect and the conscience.

Abu Abdullāh (Al-Bukhārī) adds that the Prophet placed all this among the articles of *perfect faith*.

CHAPTER 39.

We are informed by Ibrahim b. Hamzah, who had it from Ibrahim b. Sa'd through Salih through Ibn Shihāb through Ubaidullāh b. 'Abdullāh that he was told by 'Abdullāh b. 'Abbas that Abu Sufian related to him that Heracius said to him :

" I have asked thee whether they are increasing or decreasing, and thou hast asserted that they are increasing. Such is the course of faith until it reacheth its perfection

I have asked thee whether any one hath renounced his faith out of aversion to it after having embraced it, and thou hast answered in the negative. So it is with faith, when its joy penetrateth the heart, no one renounceth it. "

CHAPTER 40

On the merit of him who seeketh immunity from condemnation for his religion's sake

قَالَ: « هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ »
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: جَعَلَ ذَلِكَ كَلِمَةً
مِنَ الْإِيمَانِ

بَابُ . حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَزْزَةَ
قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحٍ
عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ قَالَ
أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ
لَهُ: سَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ
فَرَضِمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ
الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ
أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ
فِيهِ فَرَضِمْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ
حِينَ تَغَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ
لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ .

بَابُ فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ:
حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ حَدَّثَنَا زَكْرِيَّا عَنْ
هَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ

Him, for if thou dost not see Him, He seeth thee " " When is the Hour ? " asked the Angel He who is questioned knoweth no more about it than the questioner, but I shall tell thee of the signs of its coming, when a bondwoman giveth birth to her master,⁽¹⁾ when drivers of black camels⁽²⁾ glory in palaces⁽³⁾ *The time of the Hour*⁽⁴⁾ is one of the five things known only to Allāh. The Prophet (Allāh bless him and give him peace) then recited the verse⁽⁵⁾

Truly Allāh possesseth the knowledge of the Hour "

The Angel then departed, and the Prophet ordered him⁽⁶⁾ to be brought back, but nothing was to be seen of him.

So he said : " This is Gabriel, who hath come to teach the people their religion "

قال: ما الا حسان^١ قال ان تعبده
الله كما بك تراه فان لم تذكر تراه
فاية يراك .

قال: متى الساعة^٢ قال: ما استؤل عنها
ما علم من لسائل، وسأخبرك عن
شراطها . إذا ولدت الأمة ربها،
وإذا تناول رعدة الإبل البهم
في البهمين . في خمس لا يعلمهن إلا الله .
ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم : « إن
الله عنده علم الساعة^٣ ، لا يقدر
أحد أن يقتل رذوه ، وهم يروا شيئاً ،

(1) On the extension of Islam, and the conquest of non-Musim lands, when the Muslims will make numbers of female captives, and have children by them, who will rule; Or the passage refers to kings having slave-mothers, or else to the corruption of morals which will result in such traffic in slave-mothers that sons may unwittingly buy their own mothers. Another suggestion is that sons may so ill-treat their mothers, that they become no better than slaves. (Al-A'm)

(2) Ibn Hajar suggests that black is considered by the Arabs as the worst colour for camels, the best being brown - hence " a low type of camel - or ver, " he also suggests " obscure " as the meaning of *سمر* (*samar*) applied to the camel-drivers, in which case *سمر* will read *سمر*

(3) Again referring to the Arab conquests, when the hamble should rule

(4) These words are missing from the text

(5) Surah 31, v 34.

(6) The man in whose form the angel had appeared

him peace) to the deputation of Abdul-Qais concerning faith; and the word of Allāh (be He exalted) : " He who seeketh another religion than Islam shal not have it accepted by Him. " (1)

We are informed by Musaddad who had it from Ismā'il b. Ibrāhīm, who received it from Abu Hayyān Al-Tāmi, through Abu Zur'ah through Abu Hurairah, who said -

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) was one day sitting conspicuously⁽²⁾ before the people, when Gabriel⁽³⁾ came to him and said : " what is Faith ? " " Faith " replied he " is to believe in Allāh, His angels, in seeing Him in the hereafter, His prophets, and in the Resurrection. " The Angel said : " What is Islam ? " " Islam " replied he " is that thou shouldest worship Allāh and not associate aught with Him, perform the appointed prayers, give the prescribed alms, and fast in Ramadān. " what is well-doing ? " asked the Angel. " That thou shouldst worship Allāh as if thou sawest

الْقَيْسِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :
« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ » :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ
ابْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّمِيمِيُّ
عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَارِزُ يَوْمًا
لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ :
مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ
بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَبِلِقَائِهِ ، وَرُسُلِهِ ،
وَتُؤْمِنَ بِابْتِغَائِهِ .

قَالَ : مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ : الْإِسْلَامُ أَنْ
تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ ، وَتَقِيمَ
الصَّلَاةَ ، وَتُؤَدِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ،
وَتَصُومَ رَمَضَانَ .

(1) Surah 3, v. 85

(2) Before then the Prophet's attitude did not distinguish him from those with him, in this case he sat on an elevated seat constructed for him, so that a stranger could distinguish him

(3) Or according to another reading — " a man ", Gabriel, appearing in that form

came out of his room to announce which was the Night of Destiny, when two Muslims began an altercation, so he said . " I came out to announce to you the Night of Destiny, but such and such began an altercation, so that the exact night hath gone from me Perchance this may be a blessing unto you Seek it on the night before (1) the twenty - seventh, the twenty-ninth and the twenty-fifth of Ramadân "

CHAPTER 38

On the Angel Gabr el questioning the Prophet (Allâh bless him and give him peace) on faith, Islâm well-doing and the knowledge of when the Hour shall be; and the exposition of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) in answer to him How he then said to his followers that Gabriel (peace be upon him) had come to teach them their religion, making of all this one religion, with the exposition of the Prophet (Allâh bless him and give

يُخْبِرُ بِبَلِيَّةِ الْقَدَرِ فَتَلَاخِي رَجُلًا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : « إِنِّي خَرَجْتُ
لَأُخْبِرَكُمْ بِبَلِيَّةِ الْقَدَرِ وَإِنَّهُ تَلَاخِي
فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ
يَكُونَ خَيْرًا لَّكُمْ ، اتَّبِعُوهَا
فِي السَّبْعِ وَالتَّسْعِ وَالتَّمْسِ »

بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ
وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ ، وَيَأْتِي النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ ثُمَّ قَالَ : جَاءَ
جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُرْسِلُكُمْ دِينَكُمْ
فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا ، وَمَا بَيْنَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْفِدٍ عَيْدٍ

[1.] The Muslims reckon the day as beginning at sunset

having said : "Only the true believer feareth *hypocrisy*, and no one feeletH himself secure from it but the hypocrite ,

And on the fact that we should beware of persisting in *hypocrisy* (1) and unrepentant rebelliousness, as is clear from the word of Allāh ; " And who have not persisted in what they have wittingly done amiss. " (2)

(1) We are informed by Muhammad b. 'Ararah, who had it from Shu'bah, through Zubaid, who said :

" I asked Abu Wâ'il about the Murjites " and he replied that he had been informed by 'Abdulāh that the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said : 'To revile a Muslim is an act of impiety, and to fight him is an act of infidelity ' (3)

2. We are informed by Qutaybah b. Sa'īd, who had it from Ismâ'il b. Ja'far, through Humad, through Anas to whom it was related by 'Ubādah b. As-Samit that :

The Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) once

أَحْسَنَ : مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ - وَمَا يُخَذَّرُ مِنَ الْأَسْرَارِ عَلَى التَّفَاقِ وَالْهَيْصَانِ مِنَ تَغْيَرِ تَوْبَةِ لِقَوْبِ اللَّهِ تَعَالَى : «وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» .

حدثنا محمد بن عروعة . قال حدثنا شعبة عن زبید قال : سألت أبا وائل عن المرجئة فقال حدثني عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «سبَّابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»

أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ حُمَيْدٍ عَنِ أَنَسٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّحَ

(1) or "strife" (حَرْبٌ) according to another reading

(2) Surah 3, v. 129

(3) The Murjites believed that perfect faith could be held by sinners, their faith not being impaired by reprehensible actions, - and hence held that the end justifies the means. They accordingly neglected outward religious practices - monotheism and obedience to authority being considered sufficient

(4) A. - 'Ami suggests that كَمَرٌ literally means the denial of the duties of Muslims to one another

carat equal to Uhud, ¹² and he who attendeth the prayer over the body and then returneth before the burial, shal. be rewarded with one carat."

The narrator (Rawi) is supported by Uthman Al-Mu'adhdhin, who had it from 'Awf, through Muhammad through Abu Hurairah, from the Prophet (Allah bless him and give him peace) to the same effect

كُلُّ فِرَاطٍ مِثْلُ أَحَدٍ ۖ وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِفِرَاطٍ ۖ ثَابِتُهُ مُحَمَّدَانُ الْمُؤَذِّنُ
قَالَ حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعْوَهُ .

CHAPTER 37.

On the believer's fear of losing the fruit of his works unwittingly, on At Taim's words " Never have I contrasted my words with my deeds, but I have feared to be taxed with falsehood ;

on the words of Ibn Abu Mulaikah :
" I have known *during the latter part of their lives* thirty of the companions of the Prophet (Allah bless him and give him peace) all of whom were afraid of being taxed with hypocrisy, and yet no one of them ever claimed to possess the faith of Gabriel or of Michael on the report of Al-Hasan

أَبُو عَوْفٍ الْمُؤَمِّنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ ثَمَلُهُ وَهُوَ لَا شَعْرٌ - وَقَالَ ابْرَاهِيمُ الْإِسْمِيُّ . مَا عَرَصْتُ قَوْلِي عَلَى تَعْمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبٌ
وَقَالَ آبَنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : أَذْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَخَافُ التَّمَائِقَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيْمَانِ جَبْرِيْلَ وَمِيكَائِيْلَ . وَيَكْذُرُ عَنْ

[2] A mountain near Madinah, symbolical of the greatness of the reward

mentioned the prescribed alms. " Is there any more enjoined upon me ?" asked the man, " No, unless thou do so voluntarily—, repeated the Apostle. The man then departed saying "By Allāh, I shall neither add anything to this nor take anything away from it."

" Blessed is this man if he be true, " said the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace)

وسمى الزكاة ، قال : هل على غير هذا ؟ قال : لا ، لا أن تطوع ، قال فأذرت الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلح إن صدق »

CHAPTER 36.

To follow funeral processions is a feature of the Faith

We are informed by Ahmad b. Abdulāh b. Alī Al-Manjufī, who had it from Rawh, who received it from A'waf, through Al-Hasan and Muhammad, through Abu Hurairah that the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said :

" He who followeth the funeral of a Muslim from faith and devotion, remaining by the body until the prayers are said over it and the burial is completed, shall return with a double reward of two carats ⁽¹⁾ each

باب اتباع الجنائز من الإيمان : حدثنا أحمد بن عبد الله بن علي المنجوفي قال حدثنا روح قال حدثنا عوف عن الحسن ومحمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين

(1) An ancient unit of measurement used here symbolically for "share "

him sincere devotion as Hanifites,^[1] to perform the appointed prayers, and give the prescribed alms; such is the right faith of Islam . "

We are informed by Isma'il, who had it from Malik b. Anas, through his paternal uncle Abu Suhail b. Malik through his father that he heard Talhah b. 'Ubaidullah say

" A certain man from Najd once came to the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) with his hair dishevelled, his voice reverberating without our understanding what he was saying until he drew near, when we understood that he was asking questions about Islam, to which the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) was replying : " It is five prayers during the day and night . " Are there any more enjoined upon me ? " asked the man . " No, unless thou do so voluntarily . There is also the Ramadan fast, " continued the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) . " Is there any other fast enjoined upon me ? " added the man . " No, unless thou do so voluntarily, " added the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace), who

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ مُنْقَذًا وَيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ
الْقِيَمَةِ :

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك بن
أنس عن عمه أبي سهيل بن مالك عن
أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول :
جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أهل نجد ثائر الرأس
يُسَمِّعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ وَلَا يُمَقِّمُهُ مَا يَقُولُ
حَتَّى دَنَا فَاذًا هُوَ سَأَلَ عَنْ دِينِ لِسَلَامٍ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
خَمْسٌ صَلَوَاتٌ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، فَقَالَ
هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهَا ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنْ
تَطَوَّعَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم : وَصِيَامٌ رَمَضَانَ ، قَالَ : هَلْ
عَلَيَّ غَيْرُهُ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ ،
قَالَ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[1] Followers of the true faith of Abraham.

2. We are informed by al-Hasan b. as-Sabbāh who heard it from Ja'far b. 'Awn, who had it from Abul-Umais who was told it by Qais b. Muslim through Tāriq b. Shihāb, through Umar b. al-Khattāb that :

A certain Jew said to him : "O Commander of the Faithful, there is a verse in your Book, which you recite, the day of whose revelation we should have adopted as a festival, if it had been revealed to us Jewish people." "What verse is that ?" said Umar. "It is this" replied the Jew : "This day have I perfected for you your religion, and have completed my blessing upon you, and have approved Islam as your faith."

"We know that day" replied Umar, and the place in which it was revealed to the Prophet (Allāh bless him and give him peace), while he was standing on Mount 'Arafāt on a Friday "

CHAPTER 35.

On the giving of the prescribed alms being a feature of Islam, and on the word of Allāh : "and yet naught else was enjoined upon them but that they should worship Allāh, offering to

حدثنا الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عمر حدثنا أبو العباس أخبرنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها أو عينا من عشرين اليهود زلت لا نخذلنا ذلك اليوم عيداً . قال : أى آية ؟ قال : اليوم أكملت لكم دينكم واتممت تكميلكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .

قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة .

باب : الزكاة من الإسلام وقوله : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله

Therefore if a man neglect anything of this perfection, he hath his faith imperfect.

[We are informed by Muslim b. Ibrahim, who had it from Hisham to whom it was related by Qatadah through Anas, from the Prophet (Allah bless him and give him peace), who said :

" He shall come out of Hell who declareth that there is no deity but Allāh, and hath in his heart faith ⁽¹⁾ as the weight of a grain of barley, and he shall come out of Hell who declareth that there is no deity but Allāh, and hath in his heart faith as the weight of a grain of wheat; and he shall come out of Hell who declareth that there is no deity but Allāh and hath in his heart as the weight of a mote "

Abu-Abdullah (al-Bukhārī) states that Abān said that he was informed by Qatadah, who had it from Anas from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) that : ^{من إيمان} (of faith) is to be read for ^{من خير} (of good)

تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الْكَمَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ

حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا

هشام قال حدثنا قتادة عن أنس عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يَخْرُجُ مِنَ

النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي

قَلْبِهِ وَزَنُّ شَعْبِرَةٍ مِنْ خَبِيرٍ، وَيَخْرُجُ

مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي

قَلْبِهِ وَزَنُّ بُرَّةٍ مِنْ خَبِيرٍ، وَيَخْرُجُ

مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي

قَلْبِهِ وَزَنُّ ذَرَّةٍ مِنْ خَبِيرٍ.

قال أبو عبد الله قال أبو أنان

حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبي صلى

الله عليه وسلم : «من إيماني مكان : من خير.

(1) The rendering of " faith " for ^{من خير} is in agreement with the *Isnad* given at the end of this hadith

We are told by Muhammad b. al Muthanna, who had it from Yahia Hisham who was told it by his father through A'ishah that : the Prophet (Allāh bless him and give him peace) once went into A'ishah 's apartment when a woman was with her, and he asked her who the woman was. A'ishah then said : " Such and such " praising the woman's assiduousness in prayer " Stop " said the Prophet " Your duty is no more than that which ye can endure, for by Allāh, Allah will not weary until ye do.⁽¹⁾ The worship best pleasing to Him is that in which the worshipper is constant "

حدثنا محمد بن المنصور حدثنا يحيى
عن هشام قال أخبرني أبي عن عائشة
أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها
وعندها امرأة قال من هذه؟ قالت
فلانة تذكر من صلاتها قال: ممة عليكم
بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى
تملوا، وكان أحب الدين إليه ما دأوم
عليه صاحبه .

CHAPTER 34.

On the increase and decrease of faith, and the word of Allah (be he exalted) : " We have increased guidance unto them " [2] and " that they who have believed may increase in faith, [3] and the word of Allah (be He exalted) " this day have I perfected your faith unto you " [4]

باب زيادة الإيمان ونقصه
وقول الله تعالى «وَزِدْنَاهُمْ هُدًى»
«وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا» وقال :
«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» فإذا

[1] Commentators who have been puzzled by the attribution of weariness to God have explained this by suggesting that He will not grant any prayer abandoned through weariness ; حتى تملوا can be rendered " even if ye weary " (See Al-Aini and At-Taimi), or the passage can be rendered . ' Allah will not withhold His reward until ye abandon your worship. ' (supported by a reading attributed to A'ishah — التراب — فان الله لا يمل من العباد حتى يملوا من العمل)

[2] Surah 10, v. 12,

[3] Surah 74, v. 3

[4] Surah 3, verse 5.

informed by Zaid b. Aslam that Atâ b. Yasâr had told him that Abu Sa'id Al Khudri informed him that he heard the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) say .

If a man to embrace Islam, so his faith be sincere, Allâh shal absolve him from every sin he hath committed heretofore, and thereafter there shall be requital - for a single good deed tenfold up to seven hundredfold, and for a single bad deed only its equivalent, except Allâh remit it.

2. We are informed by Ishâq b Mansur, who had it from Abudur-Razzâq, who received it from Mâmar, through Hammâm, through Abû Hurairah who stated that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said : If any of you embrace Islam sincerely, every good deed he doeth shall be accounted unto him as tenfold to seven hundredfold, and every bad deed as its equivalent.

CHAPTER 53.

The worship most pleasing to Allâh is that which is most constant.

أَسْلَمَ أَنْ عَقَّاهُ بَنِي سَارٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ
أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ
يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ رَفَعَهَا
وَكَانَ نَعْدَ ذَلِكَ الْفِيضَانُ : الْحَسَنَةُ
بِعَشْرٍ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ
وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ
اللَّهُ عَنْهَا »

حدثنا إسحاق بن منصور قال
حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر
عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أحسن
أحدكم إسلامه فمثل حسنة يعملها
نكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة
ضعف، وكل سيئة يعملها نكتب
له بمثلها »

باب : أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ :

congregations⁽¹⁾ bending in prayer, he said: "I call Allāh to witness that I have been praying with the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) facing Makkah. On hearing this, they turned keeping the posture in which they were, towards the Ka-bah.

The Jews had been pleased at the Prophet's performing the prayer facing Jerusalem, and so likewise the Christians; but when he turned his face towards the Ka-bah, they showed their displeasure.

Zuhair states that he had it from Abu Ishāq through Aī-Barā in this Hadith of his that some of the Faithful had died following the practice of praying towards Jerusalem before the qiblah had been changed, having been killed in battle. We did not know what to say about them, and so Allāh (be He exalted) sent down the verse " Allāh is not one who would allow your devotion to be fruitless."

CHAPTER 32

On the sincerity of a man's conversion to Islam

1. Malik stated that he was

وَمَنْ رَأَى كَعُونَ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ
صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَبْلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كُلُّهُمْ قِبَلَ
الْبَيْتِ . وَكَانَ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ
إِذْ كَانَ يُصَلِّي رَفَعَ يَدَيْهِ الْقُدْسِ
وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا رَأَى رَجْعَهُ
قِبَلَ الْبَيْتِ أَتَوْا ذَلِكَ، قَالَ زُهَيْرُ:
حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ
هَذَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ
تُحَوَّلَ رِجَالُهُ وَقُتِلُوا فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ
فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ۝

بَابُ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ :

قَالَ مَالِكٌ أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ

{1} The Banu Harithab—the place now being known as " the Mosque of the two Qiblahs " [مسجد القبلتين]

CHAPTER 31.

On prayer being a feature of the Faith, and on the word of Allāh (be He exalted): "Allāh is not one who would allow your devotion to be fruitless" - meaning your prayer by the Ka'bah facing Jerusalem.⁽¹⁾

We are informed by 'Amr b. Khalid, who had it from Zuhair, who received it from Abu Ishāq, through Al-Barā, that :

The Prophet, (Allāh bless him and give him peace) soon after he had arrived at Madinah lodged with his grandparents or as it was said⁽²⁾ - his maternal relatives among the Ansār; and he used to pray for sixteen or seventeen months towards the Temple of Jerusalem, although he would have preferred that his qiblah⁽³⁾ should be the Ka'bah. The first prayer he performed in this after direction was the afternoon prayer in which he was joined by a group of the Faithful One of them went out, and passing by a

بَابُ : الصَّلَاةِ مِنَ الْإِيمَانِ وَقَوْلُ

اللَّهُ تَعَالَى : « وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِيُضَيِّعَ
إِيمَانَكُمْ » يَعْنِي صَلَاتَكُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ .

حَدَّثَنَا عُمَرُو بْنُ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ

قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ أَنَّ

النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ مَا

قَدَّمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ - أَوْ قَالَ

أَخْوَالِهِ - مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَنَّهُ صَلَّى قَبْلَ

بَيْتِ الْقُدْسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا

أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ

يُجِيبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قَبْلَ

الْبَيْتِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا

صَلَاةَ الْمَصْرُوعِ صَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ

رَجُلٌ مِّنْ صَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ

(1) { Surah 2, v. 138 }

According to Ibn Hajar Commentators who have suggested قِبْلَتِهِ have given to قِبْلَتِهِ the meaning of 'towards' for which there is no precedent, although their suggestion of قِبْلَتِهِ (i. e. , Jerusalem) makes the meaning clearer

(2) by Abu Ishāq

(3) Point which a worshipper faces in prayer

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مهمة الدين الاسلامي في العالم

٢٠

مراعاة الحقوق الطبيعية في الاشتراع ومعاملة الناس

الامة الاسلامية بحكم المهمة التي عهد الله بها اليها ، وهي جعل كلفته هي العليا في الارض ، فذكر لها أن تنبسط في البلاد ، وأن تخاطب الأمم ، وأن تمدد رواق سلطانها على شعوب كثيرة تخالفها أصلا ولغة ودينًا وعادات . وهذه الشعوب كلها كان لها نظم مقررة وقوانين محترمة وتقاليد خاصة ، فأخضعها جميعا لشرعية واحدة تطعن اليها ، وتهدأ نواترها تحت ظلها ، لا يعقل أن يكون إلا إذا كانت تلك الشرعية بالغة أرقى ما يدركه العقل من معنى العدل ، وما تطمح اليه النفس من نعمة المساواة ، وتتصلع اليه الطبيعة البشرية من الحرية الصحيحة ، وهذا ما لا سبيل اليه إلا إذا كان أساس تلك للشرعية الحقوق الطبيعية ، لا الحقوق التي تملها المصالح المادية ، ونجدها الأثرة القومية ، وتصفيفها العوامل المحلية .

أجل : فإن تلك الشعوب لأجل أن تدخل في الوحدة التي فرضت عليها فرضا يجب أن لا تجد في الحالة التي تدخل فيها ما يثير حميتها ، ويهيج أنفها ، ويخرج كرامتها ، ويدفعها دفعا الى التخلص مما وقعت فيه ولو استنفدت في سبيل قواها وثرورها . لأنه متى تأثر كل شعب بمثل هذه الروح من التمرد ، تنبت من ذلك فتوق يتعذر على قاهرها رقعها ، فيضطرون للإيفاء فيها قتلًا وسلبًا ، ثم يلجأون الى أحد أمرين : إما الإمساك بمعنقها مهددًا بالحديد والنار ، وإما تركها وشأنها أشبه بجثة هامدة يقول أمرها الى ما يقول اليه .

هذا كان شأن الأمم الضعيفة عند ما كانت تقع تحت برائن أمة فاتحة . وهذا نفسه كان حال الشعوب التي حملت نير استعمار الرومان ، وهي الأمة التي كانت لها الزعامة في الأرض قبل المسلمين مباشرة . فقد كانت الشعوب تخضع لها رهبا لا رغبا ، وكانت كثيرا ما تنثور عليها فتحدث بين المريقين معارك نسييل الدماء فيها أهوارا . فلما أدركت الدولة الرومانية الوهن ، انفصلت تلك الشعوب عنها مكنة في أعماق قلبها أقصى ضروب الحقد عليها ، حتى إنه لما داهمتها القبائل المتوحشة التي كانت نازلة في أطرافها من الحويين والفندالين والبيغار وغيرهم ، لم تعتمد اليها يد بمعونته ، ولا أمد لها قلب بعاطفة . وكان للتاريخ أقصى عليها قلبا من الناس ، فقد جاء في دائرة معارف لاروس الكبرى عند ذكرها نظم الرومانيين :

« ماذا كانت نظم الرومان على وجه الإجمال ؟ كانت الوحشية والقسوة بعينهما مرتبتين في صور قوانين ، أما من جهة فضائل رومية مثل الشجاعة والمكر والتبصر والتنظام والإخلاص المطلق للجماعة ، فهي بعينها فضائل قطاع الطرق واللصوص . أما وطنيتها فكانت مكتسبة لباسا لوحشية ، فقد كان لا يرى فيها إلا شره مفرط للمال ، وحقد على الأجنبي ، ونجود من عاطفة لرحمة لانسانية . أما العظمة في رومية والفضيلة فيها فكانتا مرادفتين لأعمال السوط والسيوف في العالم ، والحكم على أسرى الحروب بالتعذيب أو بالأسر ، وعلى الأطفال والشيوخ بحرق عرصات للنصر » انتهى .

قارن هذا بحكم علم القرن العشرين في المسلمين ، قال العالم الكبير جوستاف لوبون في كتابه تاريخ العرب : « لم تر الأرض فاتحين أبر وأرحم من المسلمين » .

على أن لسان الحوادث في هذا الشأن كان أبلغ من لسان التاريخ ، فإن هذه الشعوب التي خضعت لحكم المسلمين فضلا عن أنهم لم تثر عليهم ، ولم تبطن نية النكاية بهم ، قد تهاافت على الدخول في دينهم ، فأصبحت بلادها معاقل الاسلام ، ولم يعض عليها

غير سنين ممدودة حتى نبخ فيها حفظة الفتنه ، وأئمة لشريسته ، مما لم يحدث له مثيل في أى عهد من عهود البشر . فهل عهد في تاريخ أمة أن ينتدب لتحرير لسانها ، وبناء قواعده وجمع شوارده أعاجم لا تجمعهم والعربية أقل صلة ؟ ألم يكن إمام الحفاظ اللغويين أبو عبيدة فارسيا ، وواضعا أصولها وقواعدها سيبويه والخليل بن احمد فارسيين أيضا ، ومهذبى نثرها وشرها عبد الحميد وابن العميد وشار وأبو نوس وصروان بن أبي حفصة وغيرهم قُرُسا ومن أجناس شتى ؟ ولا أعدك أصحاب الأقوال الفهمية ، ومفسرى الكتاب الكريم ، وحفظة السنة النبوية ، فإن كثرتهم من أهل تلك الممالك التى فتحها الاسلام وضماها الى حوزته .

فاسبب هذا الأمر الجلل الذى لم تر البشرية ما يشبهه منذ تدوين التاريخ الى اليوم ؟

سببه سمو الشريعة الاسلامية سموا أذهل الشعوب عن قومياتها وتقائدها وموروثاتها ، فألفت بنفسها بين يديها تستمد منها روحا تحيا بها ، وتنعم بالوجود تحت سلطانها . ولم يكسب هذه الشريعة هذا السمو إلا قيامها على أساس الحقوق الطبيعية المجردة عن كل صبغة قومية وجنسية ، الرئيس والرهءوس فيها سيان ، والقوى والضعيف عندها متكافئان ، والسرى والصعلوك فيها صنوان

لم يحدث في تاريخ العالم الانسانى أن أمة توخت العدل اللطافى في سن شريستها فنظرت الى الناس من حيث هم مثال في الانسانية لافضل لواحد منهم على آخر لاى اعتبار من الاعتبارات حتى ولو كان أجنبيا عنها يخالفها أصلا ودينا ولونا وامة . لم توحده أمة سلكت هذا السلك في وضع شريستها حتى ولا بالنسبة لأحاديها المؤلفين لمجموعها إلا في أخريات القرن الثامن بعد الثورة الفرنسية وإعلاها حقوق لانسان ، ومحوها الطبقات الاجتماعية .

فقد كانت الأم تقسم الى طبقات ، سكل طبقة حقوق تتنازبها على من دونها ، حتى

ينتهي الأمر الى الهبما. وهم السواد الأعظم من الأمة فكانوا يعتبرون في حكم المعجونات ، حتى كان أصحاب الأملاك يبيعون أراضهم عن عليها من العيال ، فيصبحون ملكا خالصا لمن اشترى الأرض التي هم عليها . وكان السيد يقتل الصعلوك فلا يعاقب على ما فعل ، فإذا تعقبتة الحكومة لسبب من لأسباب تخلص مما فعل يبذل مال زر لأسرة للقتول .

فلما أعلنت الثورة الفرنسية حقوق الإنسان ، وشاعت هذه المبادئ في العالم التمدن ، فسر كل منها لا إنسان بأنه المعداد من جماعتها لا الإنسان أيا كان ، فأصبحت بذلك الحقوق الطبيعية مقيدة بالقومية في كل مكان . فاتفردت الشريعة الإسلامية بميزة التعظيم ، فهي تعتبر الإنسان من حيث هو إنسان لا من حيث هو خاضع لسلطان أو داخل في ملتها . وهذه من أدل الأدلة على أنها وحى إلهي لا وضع بشري ، فقد دل الاستقراء على أن الارتقاء في إقامة العدل لم يبلغ لدى البشر الى حد أن يعاملوا الأجانب عنهم معاملة لهم لا أنفسهم ، ولا أن يستروا عليهم أصول الحقوق الطبيعية التي أدرستها عقولهم . ولكن لاسلام سبق العالم أجمع الى تطبيق هذه الحقوق الطبيعية على لكافة ، ولم تستثن أحدا حتى الأرقاء والأجانب عنه وعن جماعته ، فكان المثل الإلهي الأعلى الذي سينتهي اليه الناس كافة حين يبلغون من معارج الرقي الى ذروتها العليا ، فقال الله تعالى يوحى للملين باتباع هذه الطريقة في معاملة الناس أجمعين : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو ولو الدين والأقربين ، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو أمرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » . ومعناها يأبها للؤمنون كونوا جادين في القيام بتطبيق أصول العدل ، وأدوا شهادتكم فيما تستشهدون فيه مرعين وجه الله ، ولو على أنفسكم أو والديكم أو أقاربكم ، وإن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا تمتنعوا عن أداء الشهادة بحياة له لقناه ، ولا رحمة به لفقره ، فالله أولى بالنظر

الى حالى الغنى والفقير منكم ، فلا تنبهوا أهواءكم كراهة أن تمدلوا ، وإن تلواوا أستمعنكم محاولين لإحفاء معالم الحق ، أو تمتنعوا عن تأدية شهادة فإن الله خبير بما تعملون ، يجازيكم عليه بما أنتم أهله .

وقد بين الله تعالى في آية خاصة بأن مراعاة أصول هذا العدل المطلق تشمل انطاق كافة بلا الذين يقاثلون المسلمين من أجل دينهم ، ويعملون على إخراجهم من ديارهم اضطهادا لهم وعدوانا عليهم ، فقال « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرمهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تؤاومهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »

فهو في هذه الآية لا يوصى بمماثلهم بالعدل المطلق فحسب ، ولكن يوصى أيضا ببرهم والبر هو أوكد الصلوات التي تربط الناس بعضهم ببعض ، وتوجد بينهم المحبة الصادقة والمطف ، وينتهى أمرها بالتوحيد بينهم في الوجهة والفاية ، وهذا أقصى ما يرمى اليه الفلاسفة والمصلحون من الأحلام الاجتماعية . وقد أصاب الاسلام هذا امرى فكانت نتيجة ذلك أن انقلب الائم التي كانت تعالنه الى أمم صديقة له ، بل الى أمم مؤمنة به ، فشهد العالم لأول مرة في تاريخه تطوراً لم يحدث له شبيه في نفسيات الشعوب المتباينة أصولاً ولغات وتقاليد ، إذ انحوت كلها الى أمة واحدة مؤلفة أكبر أمبراطورية عالمية تجرى وراء غاية واحدة هي المنل الأعلى لوجود إنسانى كريم يحقق خلافة الله في الأرض . بدليل أن هذا الختان الاجتماعى الضخم لم تستخدم قواه الهائلة في تجريد الائم من طبيعتها ، ولكنه استخدمها في حمل أعباء العلم والمدينة ففشر لواءها حالياً في كل بقعة امتد سيطاره اليها ، فأدى رسالته التى نذبه الله لها على أكل وجه . وقد شهد أعداؤه له هذه الميزة ، فلم يشكر عليه واحد منهم أنه كان منقذ العالم من جهالة مطبقة ، وجهلية متغلبة ، ومن حالة لوم بتداركها الله به لا تستمى دؤها وعز عليها الشفاء .

كل هذا كان بفضل العدل المطلق الذي جده الحق أساسا لشريعته العامة الخالدة .
فانظر كم كانت تنجو الأمم ، لوعممت تطبيق هذا العدل ، من ثورات أهلية ، ومن
كوارث استعمارية ، وكم كانت تفتصد من أموال لا تصرفها اليوم إلا على التسليح
خشية أن يبنى بعضها على بعض ؟

إذا أجدت الروية في هذا الأمر تبين لك أن الفيلسوف الانجيزي برناردشو
م يغفل في قوله : إن أوروبا لا تماثل من عنها التي تكاد تودى بها إلا إذا أخذت بأصول
الاسلام وعملت بها .

ومن أعجب العجائب أن يشغل بعض متعمبي الكتاب لأوربيين أن الاسلام
قام على ظبي السيوف ، هذا زعم يكذبه الواقع المحسوس وسنن الوجود نفسها ، فإن
كل ما قام على السيوف احتيج في حفظه الى السيوف ثم آل أمره الى الانهيار ، ولكن
الاسلام قام على أساس دعوة إصلاح عامة للأمم كافة ، وقد نمر الثمرات التي تنتظر منها
فأحدث انقلابا عالميا نقل به الانسانية من حال تمجر كاست فيه الى حال حياة وحركة
تأدت بها الى ما تأدت اليه من الرقي والحضارة المتوثبة الى أبعد الغيات ، وأكمل
النهايات .

ولست أنكر أن السيف قد لعب دورا في إحداث هذا لاقلاب ، ولكنه لم يكن
السبب الرئيسي فيه . وهذه سنة كل انقلاب إصلاحي في الأرض حتى بين الأمة
الواحدة . فالأمة الانجليزية لم تصل الى ما وصلت اليه من التكميل الاجتماعي
والدستوري ، والأمة الفرنسية لم تستطع أن تعلن حقوق الانسان بمجرد الدعوة دون
الاجأ الى السيف ، فإذا كانت هذه حالة الأمة الواحدة في الانتقال من حال ل حال ،
أقتريد أن يحدث الاسلام انقلابا عالميا عاما دون أن ياجأ فيه الى السيف كأداة
من الأدوات الضرورية لإحداثه معاصرة لسنن الوجود ونظامه ؟

وهل يغيب عن أحد أن المسيحية نفسها - وهي التي تحرم استخدام السيف - لم يستتب لها السلطان الذي وصلت اليه إلا باستخدامه ؟
وإذا ذكرنا أن الانجليز والعربانيين لجأوا الى السيف في أدوار من تاريخهم فليس معناه أن هاتين الأمتين كانتا تتناحran تحت دوافع وحشية مجتة ، ولكن معناه أن أشياع التقدم فيهما اضطرت اليه لحماية كلمة الاصلاح من عبث العابثين بها . كذلك المسلمون لم يدفعهم الى الحرب أى غرض غير حماية الدعوة الاسلامية من كيد الكائدين لها ، وقد أمروا أن ينشروها في مشارق الأرض ومغاربها ، لأنها رسالة عامة الى البشر كافة ، في حين كانت الأمم فيه أحوج ما تكون اليها . وقد دلت الحوادث على أنها كانت خيرا وبركة على العالم كله ، واتفق أنصارها وخصومها على أنه لولاها لتأدت البشرية الى أسوأ منقلب .

الخلاصة أن الاسلام لم يعد رواق سيادته على الأمم التي تدين به اليوم إلا بركة العدل المطلق الذي أوصى شيعته بالقيم عليه ، فوجدت تلك الأمم فيه ما تحلم به من حياة اجتماعية لا تشوبها شوائب الجنسيات المتنافرة ، والعصبيات المتناظرة ، والطبقات المتحاكمة ، الله ما آتسته في أصوله من مطابقة العقل ، ومسيرة الدليل ، وفي آدابه من مموليس بدمه غابة ، ولا ورائه مذهب ، فألفت بنفسها في جماعته ، وورأت الخير كل الخير في مناصرته ، والفود عن يبيضته .

ولا تزال الدعوة الاسلامية باقية ما بقيت السموات والأرض ، ولا يزال ولن يزال الدليل قائما على أن قبولها هو الدواء الشافي لأدواء الأمم . محمد فريد وجري

كلمات بليغة

دخل خالد بن عبد الله القسري على أمير المؤمنين عمر بن عبد اسرير له ولي الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين : من تكون الخلافة قد زاتته ، مات قد زتها ، ومن تكون قد شرفته ، فأت قد شرفتها كما قال الشاعر :

وإذا الدر زان حسن وجوه كان الدر حسن وجهك زينا

التفسير

سورة الرعد

- ٣ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ، يُفْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ .) وفي الأرض قطعٌ مُّتجاوِراتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) .

تقدم في الآية السابقة ذكر الدلائل في العالم العلوي في قوله عز من قائل : « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والنمر كل يجري لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تفلحوا ربكم توفقون » . وسبق الكلام في تفسير ما انطوت عليه من الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة ، التي تملأ النفوس يقينا ، والقلوب إيمانا ، بعظم قدرة موجدها ، وباهر حكمة مبدعها ، وأنه على أن يعيد ما بدأ أقدر ، وبأن يتصرف فيكم بالجزاء على عملكم أجدر ، كما نشاهد ذلك في ختمها بقوله تعالى : « لعلكم تفلحوا ربكم توفقون » فهي تفرس في النفس اليقين بعظيم قدرته فلا تعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وجليل حكمته فلا يترك الأمر فوضى

بينهم : يا كل فؤيهم ضيعفهم ، ويخرج العبد على الحدود المحدودة له بدون أن يلقي على ذلك جزاءه .

وهذه الآية التالية ليبيّن الدلائل التي اشتمل عليها العالم السفلي ، أي عالمنا هذا الأرضي : ينبهنا على ما حوى من آثار القدرة الباهرة مما عسى أن نمر عليه غافلين فلا نتفكر فيه لطول مشاهدتنا وتكرّر وقوع الأنظار . وقد جرت العادة بأن تعنى النفوس بما يفاجئها فتأمل فيه أكثر من تأملها لما كثرت ملابسها . يشهد بذلك ما تراه من هلع النفوس وشدة تيقظها عند حصول الحوادث النادرة كالخسوف والكسوف ولو جزئيين ، وغفلتها عما هو أعظم منها أثرا وأكبر مظهرا مما يحصل دائما متكررا كسلطان الليل والنهار ، وما ذلك إلا لأن كثرة التكرار تهون من أمر التيقظ ولا تنبيه ، ولا كذلك مفاجأة الأمر النادر الوقوع .

والحكمة في تقديم الدلائل العلوية أنها أول ما تنجبه إليها النفوس بالتأمل غالبا ، بما يسلم من ضوئها ، وما يتعلل من سناها وسنائها ، فإن مظاهر المظنة متجسدة فيها أيا نبجل ، والاعتراف بالقدرة لبدعها لا تنصاع عنه نفس مهما ملكها العناد والكبر .
والحق إن شئت قوله تعالى : « أنتم أشد خلقا أم السماء » ؟ وختمها بقوله عز وجل : « لعلكم تلقاء ربكم توقنون » لما أن إنكارهم للبعث أو ارتيابهم فيه كانت مبنيا على استصعاب إعادة ما فنى وجمع ما يمتد وتفرق ، فكأنه يقال لهم : أي الأمرين أهون : الإيجاد من كم العدم ، أم الإعادة بعد سبق الإيجاد ؟ وأي المخوقين أشد استنادا إلى عظيم القدرة « أنتم أشد خلقا أم السماء » ؟

ثم إن كل هذا باعتبار ما يبدو لمقل العباد ، وإلا فالكل بالقياس إلى قدرته جل شأنه في السهولة والبسر على حد سواء ، فلا يتعاضى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء .

قال تعالى : « وهو الذي مد الأرض » :

قدمنا في تفسير قوله تعالى : « الله الذي رفع السموات » أن معناه أوجدها مرفوعة لا أمها كانت مخضوضه ورفعها ، وكذلك القول هنا في قوله تعالى : « وهو الذي مد الأرض » معناه أوجدها ممدودة مبسوطة متسعة الأكتاف مترامية الأطراف . وهذا في باب الامتنان يرشد الى ما فيها من سعة وبسط ، وذلك هو ما يخص المنتفع في انتماعه . أما أن شكلها كرى أو غير كرى ، فلا دخل له في تقرير هذه المنة ، والكلام مسوق لبيان سمة ملكه وعظيم سلطانه ، وأنه خلق لكم ما خفق مما تشهدون بمعظمته وأنه لا يكون إلا عن عظيم قدرة منشئه ، وليس مسوقا لشرح ماهيات الأكران والبحث عن حقائقها وحقائق أشكالها ، فتلك أمور ترجع الى دقائق العلوم والصناعات ، وهي متروكة بالتفكير في الخلوقات ، واستقصاء ما يمكن من البحوث العقلية .

وقد دعا الله سبحانه وتعالى العنلاء الى البحث والتفكير في ملكوت السموات والأرض ، وجعل لهم من إتياء المنافع جاذبا ، ومن شهوات العقول سائقا يستحضهم على الدأب في التفكير حتى يصلوا الى ما تسمعه عنوهم من أسرار هذا الكون وخفياه ، سوء في ذلك الأرضى والسماوى ، وسواء في ذلك ما يحدث بالتجارب العملية ، وما هو ثابت لا يتغير من أشكال أرضية أو أوضاع فلكية . فالشارع يدعوكم الى التفكير ، والفكر يهديكم الى إدراك ما تبصرون . وكلما ازدادتم تفكيرا وتمحيصا واعتدلت في فكركم بلا تطوح ولا جرى وراء الخيالات ، وصلتم الى علم ما أردتم ، واكشف لكم من هذا النظام ما يزيدكم إيمانا ويقينا .

فقوله تعالى : « وهو الذي مد الأرض » أى وسع أرجاءها ، وسلك لكم فيها سبيلا ، وبث لكم فيها منافع . وكل ذلك دال على عظمة مبدعها الحكيم ، جل شأنه ، وتعالى جده ، ولا إله غيره ؛ وهذا للمنى لا بنفى أن شكلها العام كرى حيث أثبتته دليل المشاهدة أو غيره ، أو حيث يلمح من قوله تعالى : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » إذ يظهر منه أن التفاف كل منهما على الآخر وإخفاءه تحته يشبه لف

كوزالعمامة على كورآخرمتها، وهو قريب في الأجسام الكرية المستديرة . وأيا ما كان فليس المقصود هنا بيان الشكل ، وإنما المقصود بيان عظمة ما أبدعه بقدرته ، لنأخذ منه قدرته على تحقيق البعث الذي أنكروه ، وهو أهون عليه .

قال تعالى : « وجعل فيها رواسي وأنهارا » :

الرواسي ، الجبال ، جمع راس ، أصله صفة من رسو وهو الاستفراد ، يقال رست السفينة أى استقرت بعد حركتها ، وفاعل إذا كان اسما أو صفة لما لا يعقل جمع على فواعل . وقد جاء في آية أخرى : « وألقى في الأرض رواسي أن تُميدَ بهم » . وهذا يعطى شيئا من فائدة الجبال ، وهو منع الأرض من أن تميد . وعلموا ذلك بأن الأرض قابلة للاضطراب والارتجاج مما يجعل الإقامة على ظهرها مقلقة غير مريحة ، فجعلت الجبال فيها لإرسائها ومنعها أن تميد بما حوت من نقل ، وعما ركزت في محال الله أعلم بحكمتها . ولا يقال إن نسبة الجبال إلى الأرض كلاً شئ . فكيف تنبت ؟ لأننا نقول إن هذا لا يتوقف على ضخامة ولا غيرها ، ألا ترى إلى حصر بسيط يوضع في فعر السفينة فيمنعها أن تميد . وإذا رددت هذا إلى قانون حفظ التوازن نقول : وهذا أيضا مردود إلى قانون علمه مبدعه ، سواء أعلمناه أم لم نعلمه ، وإذا لم يعلم الآن فلا يبعد أن يعلم فيما بعد . وكمن حقائق علمية انكشفت بعد أن كانت خفية .

وربما يقال : ولم جعلت الأرض بأصل خلقها مستعدة لأن تميد ثم نبئت بالجبال ، ولم تجعل من أول أمرها ثابتة بلا حاجة إلى الجبال ؟ وهذا مدفوع بأن حكمة اللبديع الحكيم اقتضت أن يرتبط أجزاء العالم بعضها ببعض بالتسبب والاستناد ، حتى كأنه كتلة واحدة أو جسم يحتاج بعضه إلى بعض ، زيادة في كمال الترابط . ألا ترى أنه كان يمكن أن يخلق الإنسان جسما كاملا لا يحتاج إلى غذاء ولا إلى دواء ولا كساء ولا غطاء ، ولكنه خلقه بحاجة إلى ذلك كله ليتم ارتباطه بالكون الذي هو جزء منه ، بل خلق أجزاء الإنسان بحيث يحتاج بعضها إلى بعض . وانظر إلى الحواس والجوارح ، وانظر إلى العضلات

والدم والدهن في الانسان؛ وانظر الى العسدة وبقى الجسم؛ وانظر الى المخ والأعصاب وهكذا. تجد كل جزء قائما بعمل في الجسم الواحد، فكذلك الانسان مع الكائنات المحيطة به ينتفع بها في غذائه ودوائه، وتنتفع به في عمرائها وتحليلها وتركيبها. وهكذا يجتمع العالم في التفاعل مع تباينه في الوجود. وهذا صنع الحكيم العليم.

ومن فوائد الجبال غير هذا أنها مادة للميون، ومنشأ مدد للأهوار، ولذلك تجد الجبال أكثر ما تذكر تذكر مقترنة بالأهوار، كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَهْجَارًا» في سورة النحل وفي سورة لقمان، وكما في قوله تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون». وجعلنا في الأرض رواسي أن تُمَدَّ بهم» الى غير ذلك. وقد علل ذلك الباحثون بأن مادة ماء العيون السحب، وأكثر ما تهطل على رؤوس الجبال، فتها ميسيل في شعابها فيتخذ من ذلك مجاوى وسبلا وأهجارا، ومنها ما تتشقق لها الجبال فتتخذ فيها ثم تسلك فجلا تحت الأرض حتى تنفجر من ناحية أخرى علمها العليم، واقتضتها حكمة الحكيم.

وأیضا ترى الجبال بسبب ارتفاعها أبرد جوا من الوهاد، كما تدل عليه المشاهدة، فيجتمع على سطحها من الثلوج والأبخرة المنحلة الى الماء ما يسيل منه الأهوار فضلا عن تقطع السحاب على ذراها، فينحل الى مائته الأولى، وبذلك تشهد مناسبة ضم الأهوار الى الجبال.

ولعل من حكمة جعل لجبال فيها وجعل منابع الأهوار ومددها منها، ما ذكره بعض الباحثين من أن المياه النازحة منها تجرف مع انحدارها أجزاء طينية تصطدم في صخور نالقيها، فتدرب وتسير مع الماء بانحداره العظيم، حتى تصل الى ما شاء الله أن تصل اليه، فتسب طميا صالحا للإنبات مخصبا مضميا، وهذا كله من مظاهر الارتباط بين أجزاء هذا العالم، فنه ما عرفناه، ومنه ما لم نعرفه، والله بكل شيء عليم.

هذا والأهوار جمع نهر، وهو في الأصل مجرى الماء العظيم، وقد يطلق على الماء الجاري نفسه تجوزا، وقلما يستعمل إلا في مجرى الماء العذب.

هذا ونزول الأنهار من الجبال على ما قررنا لا يعارض قوله تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء طهورا » ونحوه ، لأن المراد من السماء جهة العلو ، ولا شك أن الأمطار على ما قررناها للسدة الأصلية للعيون والأنهار ، وهي نازلة من جهة العلو ونبع بعض العيون من الأرض بدون استمداد من الأنهار ، كالعيون المجاورة للبحار لا يمنع ذلك ، فهم يكن المراد الحصر .

قال تعالى : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » .

هذا لبيان أثر آخر من آثار القدرة الباهرة ، هو كالتنحية لما قبله من جعل الرواسي والأنهار فيها : ذلك أن الثمرات ما جاءت إلا عن أرض خصبة تغذيها مياه عذبة ، وقد صرفت أن الجبال تمد السهول في النابل بالمادة الطينية الخصبة ، وأن الأنهار ترويه بالمياه العذبة ، فيولد منها الثمرات من كل زوجين اثنين . ومعنى الزوج : الشيء المنقسم الى غيره ليكون من ازدواجهما وانضمامهما ثمرة مقصودة منهما . فليس الزوج اسما للتأنيث ، بل الاثنان زوجان .

فالغنى جعل في الأرض من كل أنواع الثمرات ، وجعلها بحيث لا يتم الغرض المقصود منها إلا بانضمام زوج منها الى الآخر ، حتى يتم التماسك والتساند بينها ، ويظهر الارتباط الذي لا بد منه في بقاء نوعها . فالمراد بالزوجين عنصرا التذكير والتأنيث في الثمرات .

وقد أثبت الباحثون أن النبات محتوي على عنصرين أحدهما للتذكير والآخر للتأنيث ، فالتراد فيه كالتوالد في فصائل الحيوانات يحتاج الى زوجين ذكر وأنثى . غاية الأمر أن بعض الأنواع قد تكون زهرته الواحدة بحيث يجتمع فيه الذكر والأنثى ، وبعضها يكون فيه التذكير في زهرة والتأنيث في أخرى ، والتذكير في شجرة والتأنيث في أخرى كما في النخيل . فقوله تعالى : « زوجين » إشارة الى قانون الارتباط والتماسك الذي بثه الله في العالم مبنيا على احتياج كل الى كل ، والله عليم حكيم .

أما قوله تعالى : « اثنين » بمد قوله : زوجين ، فلتأكيده المراد من كلمة زوجين ، وأنه ليس معنى الروح فيه اثنين حتى يكون جعل من كل ثمرة أربعة ، بل المراد به الواحد المنضم الى ما يزاوجه . فأصل كل ثمرة اثنان ، كما أن أصل كل مولود من المولودات الأخرى اثنان . وزيادة من في قوله : « من كل الثمرات » لبيان أن قدرة الله تعالى صالحة لا يحد أنواع من الثمرات غير ما شاهدتم مما لا يدخل تحت الحصر . وهات ذاترى التجدد لا ينقطع في أنواعها حيناً فحيناً .

قال تعالى : « يغشى الليل النهار » :

أى يجعل الليل قاشياً للنهار أى سائراله : وقرى يغشى بالتشديد وهو بمناء ، إلا أنه قد يدل على التكرار ، والأول يدل على أصل الفعل . وهو كما يغشى الليل النهار كذلك يغشى النهار الليل أى يستره به ، إلا أن الستر بالليل أنسب ، فقد اقتصر عليه ، واكتفى بأن عكسه معلوم منه .

ولا يخفى عليك أن في تعاقب الليل والنهار على الثمار عوناً على إنضاجها وإكمال صلاحها ، فلو جعل النهار والليل عليها سرمداً لما بدا صلاحها ، ولما تم إنضاجها . فتعلق الليل والنهار بهما تعلق المتم بما يحتاج اليه في تمامه ، وذلك يظهر لك حسن الارتباط . ونظم الليل والنهار في سلك الآيات الأرضية لما ذكر ، ولأن مظهرهما لنا في عالمنا الأرضى وإن كان المنشأ لهما من العالم السماوى العلوى ، فهما يلبساننا ويحيطان بنا وننتفع بهما ، إذ يبعثنا النهار الى الحركة في أعمالنا ومصلحتنا ، ونسكن في الليل حتى نسترد قوتنا ، فهما لنا من الملابس الثامة .

هذه الآيات الأرضية يمر عليها الناس وهم عنها غافلون ، لا يدرك ما فيها من آثار العظمة إلا المفكرون . فإدأردفت بقوله تعالى : « إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . وذلك لما سبق لك من أن كثرة تكرار النظر الى الشئ يضعف معنى التأمل فيه ، كما شرحنا ذلك بالمقارنة بين تأثر النفوس بظاهرة الكسوف والخسوف ولوجزيين ، وعدم

اكثرائها بدخول الليل أو طلوع النهار . فلا جرم قل هنا : « إن في ذلك لآيات تقوم
يتفكرون » . وأما العالم العلوي فإنك ترى أن الانسان لا يكاد يتطلع اليه وبلا نظره
فيه حتى يجد من نفسه اعترافا بعظمة مبدعه وباهر قدرته ، فينطلق لسانه بالتسبيح
والتهنيس لأول وهلة ، ولا يجد من نفسه في ذلك مكابرة . فلذا أردفها بقوله فيها سبق :
« لعلمكم ببقاء ربكم توقنون » . والتفكر إطالة النظر وإجالة البصيرة ودوام التأمل حتى
يفف المرء على دقائق وأسرار لم تكن بادية له عند النظرة الأولى ، وهو الذي يعبر عنه علماء
المطلق بعبارة : ترتيب أمور معلومة للتوصل بالنظر فيها الى علم ما لم يكن معلوما .

وقد ذكر بعض المفسرين أن أكثر ما تذكر الآيات الأرضية تردف بالحث
على التفكير ، وذلك لأن بعض الناس يرد حدودها الى اتصالها بالحركات الفلكية
والأوضاع الكوكبية ويقتصر على ذلك ، فإذا تفكر علم أن الأوضاع المذكورة لا يمكن
أن تنتج هذا النظام المحكم لذى لا يكون إلا من عليم خبير قادر حكيم ، فإن وضع
الأفلاك أو الكواكب بالنسبة الى الجسم الواحد ، واحد تقريبا ، فكيف جعل
في الحيوان جزءا هو عظم في منتهى الصلابة ، وجزءا هو دم أو دهن في منتهى الرقة ،
وجعل بينهما أجزاء مختلفة الطبائع من أعصاب وعضلات ، وجزءا مغشيا للجميع ممسكا
لها صامتا لأجزائها هو الجلد ، وجعل الجميع على اختلاف طبائعه بسند بعضها بعضا ،
ويخدم بعضها بعضا . هل الفكر الصحيح يستريح إلا إذا رد ذلك الى القادر المختار ؟
وقد هدى الله تعالى الى باب الرشاد الواضح في ذلك حيث أردف هذا الآية التالية ،
فعال تعالى : « وفي الأرض قطع متجاورات وجبات من أعناب وزرع ونخيل صنوان
وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ، إن في ذلك لآيات
لقوم يعقون » .

وهذه جملة أخرى مستأنفة لذكر نوع من أنواع الأدلة الأرضية ، وهي ما يتجدد
أمام أنظارنا من حوادث متعاقبة ، بمد أن ذكر ما فيها من أمور ثابتة في الآية السابقة ،

فقال تعالى : « وفي الأرض قطع متجاورات » أى بقاع كثيرة مختلفة ، فمن خصب الى جذب ، ومن صالح للزروع دون الشجر وصالح للشجر دون الزرع وصالح لهما معا ، ومن حزن الى سهل ، ومن رخوة الى صلب ، ومن أحجار كريمة الى مواد نافعة ، ومن الخ ، وكلها متجاورات . فمن الذى جعل فيها تلك المفردات والمباينات . أجبنا هذا من الأفلاك والكواكب ، أم جاء من طبيعة صالحة وأخرى فاسدة ؟ فمن الذى جعل هذه صالحة والأخرى فاسدة ، ولماذا فى الجميع واحدة ، والعوامل المتسلطة عليها واحدة ؟ أفع هذا التجار مع اتحاد المادة الأصلية يحىء كل هذا التباعد ؟ وهب أن ذلك مرجعه الى عوامل تسلمت عليها ، فمن الذى سلط تلك العوامل حتى جاء هذا النظام البديع الذى حارت فيه العقول والآليات ؟ وهل يستقر للفكر فرار وتطمئن النفوس اليه تمام الاطمئنان إلا إذا أسندت ذلك الى مدير عالم حكيم مرشد ؟ سبحانه ما خلقت هذا عبثا وليس لنبرك أن يدرك كل الأسرار التى بثتها فى مصنوعاتك ، فضلا عن أن يشاركك فى ملكك ، سبحانه لا إله غيرك ، ولا شريك لك فى ملكك :

وقوله : « متجاورات » أى متلاصقات لم تختلف بها الأقاليم ولم تتباعد بها المناطق . وكما فيها قطع متجاورات اختلفت صفاتها ، نجد فيها قطعاً غير متجاورة اختلفت صفاتها . واكتفى بالأول عن الثانى مع فهمه منه لأنه أوضح دلالة . ألا ترى أنك حين ترى زهرة اشتملت أوراقها على ألوان عدة فى ورقة صغيرة دقيقة ، أنطلقت ذلك بالتسبيح للهِ القيوم ، ودعاك الى الاعتراف بالقدرة أكثر مما إذا رأيت نباتا من نوع واحد فى منطقتين مختلفتين ؟

وقوله : « وجنات من أعناب » بدأ بها من بين ما تنمو الأرض لاحتواء العنب على دقيق الصنع الإلهى : إذ ترى فيه من الاختلاف فى العظم واللون ، ومن لاحتواء على الثمرة التى قوامها ماء متجمع فى قشرة رقيقة قد يكون شعاعا لا يحجب البصر عن إدراك ما فى باطنه ، بتوسطه بذرة يالسة ذات لب هو منشأ النبات ، وغلاف خشبي حوى الماء ،

المقصود أن يتصل بذلك اللب ، الى غير ذلك مما فصله علماء النبات ، فيه من ذلك ما ينطق العقل قبل السان بالتعميد والتجديد . ولذلك ورد في بعض الأحبار القدسية : « أنكفرون بي وأنا خالق السنب » ؟

ثم أردفها بالزرع وهو النبات المقابل للأشجار ، كنبات الحبوب والأياف ونحوها وإفراد الزرع مع تنوعه مراعاة لى أن أصله بصيغة المصدر .

ولعل توسيط الزرع بين جنات الأعتاب والنخيل لتوجيه النظر الى ما يجري في كثير من الجنات من أنها تفصل بالأعتاب ويتخللها الزرع يحيط بها النخيل ، كما في قوله تعالى : « وحففناها بنخل وجعلنا بينهما روعا » كان ذلك حين يجتمع على هذه الصفة تجد فيه من دلائل القدرة الباهرة ما فيه .

وقوله : « ونخيل صنوان وغير صنوان » النخيل معروف ، والصنوان جمع صنو ، وهو الفرع الذي يجمعه وآخر أصل واحد . وأصله بمعنى المثل . ومنه قولهم : العم صنو الأب ، أى مثله فيما ينبغي له من التكريم .

قال تعالى : « يسق بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل » :

هذا موضع لا اعتبار الواضح في الدلالة البينة : إذ كانت قطعها متجاورة وأصل مادة زرعها واحد ، ونسب بماء واحد ، ثم نحى ، متفاضلة فيما يؤكل منها : فمنها الخلو ، ومنها الطامض ، ومنها الحريف ، ومنها التافه ، ومنها الرطب ، ومنها الليابس ، ومنها ما يتخذ غذا ، ومنها ما يتخذ دواء ، ومنها ما لا تحصر آثارها المتباينة ، ولا يحاط بفوائدها العامة ، أو مضارها التي قد تنقص في بعض الأوقات . والإحاطة بذلك فلما تفق ولا لعلماء النبات ، فلا تزال التجارب تكشف من غوامضها ما لا نحصى .

ولما كانت هذه الآثار جليلة واضحة والاعتراف بها لا يحتاج الى طويل تفكير ، بل يكفي فيه نظرة من عقل البصير ، أردفها بقوله تعالى : « إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » كأنه يشير الى أن من رأى هذا ولم يبادر بالاعتراف بقدرة مبدعه ، ليس جديرا

أن يسمى من العقلاء ، فقد أهمل عقله ، وأظهر جهله . وهذا في الآيات المتجددة في الثمار والزرع والتخيل والأعنان موقظ للتأمل وحده ، فكل جديد جدير بأن يسترعى للنظر ، بخلاف ما في الآية السابقة من الأمور الثابتة من الجبال والأنهار ، وتنشئة الليل النهار ، فإن ذلك محتاج إلى التأمل والتفكير .

وأظنك تدرك من نفسك أن الثراب ذكرت في الآية الأولى من جهة ما فيها من قانون ثابت ، وهو قانون التزاوج المشترك في جميعها ، وأنه من الخفاء بحيث يحتاج في الاهتداء إليه إلى البحث والتفكير ، فلذا أدرجه في الآية المختومة بقوله : « إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . وذكرت في هذه الآية من جهة ما يبدو فيها من الطعوم المختلفة والمراتب للتبانة والآثار المتفاضلة ، وهي لا تحتاج إلى تفكير ، فحسن نظمها في الآية المختومة بقوله تعالى : « إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

نسأل الله تعالى أن يهدي قلوبنا للإيمان واليقين من هذه الجهة ، وأن يشرح صدورنا للتفكير حتى نصبت إلى الإيمان به كل الامتحان ، والله الموفق . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم البالي

مما قيل في الليل

وصف أحد الأدباء الليل فقال :

فيه تحيم الأذهان ، وتقطع الأشغال ، ويصح النظر ، وتولف الحكمة ، وتدر الخواطر ويتسع القلب . والليل أضوأ في مذاهب الفكر ، وأخفى لعمل البر ، وأمون على صدقة السر ، وتلاوة الذكر ومدبرو الأمور يختارون الليل على النهار فيما لم تصف فيه الأمانة لرياسة التدبير ، وسياسة التقدير ، في دفع الملم ، وإمضاء المهم ، وإنشاء الكتب ، وتصحيح المعاني ، وتقوم المباني ، وإظهار الخبيث ، وإيضاح المنهج ، وإصابة نظم الكلام ، وتقريب من الأفهام .

الشجاعة

مقدمة في مكارم الأخلاق :

كتبنا فيما سبق شيئاً عن المحبة وأنواعها ، وشيئاً عن لرحمة وآثارها . ونريد اليوم أن نكتب لك شيئاً عن الشجاعة وفوائدها التي لا يحصيها العد . وانقدم بين يدي ذلك كلمة إجمالية عن مكارم الأخلاق عموماً ، فنقول : مكارم الأخلاق أوساط بين الإفراط والتفريط ، فتى جاوزت نقطة الوسط فقد جاوزت الفضيلة . فالشجاعة مثلاً وسط بين الجبن الذي هو تفريط ، والنهور الذي هو إفراط . والسخاء وسط بين البخل الذي هو تفريط ، والتبذير الذي هو إفراط . فأياك والريادة فيما تظنه فضيلة فتقع في الرذيلة (كلا طرفي كل الأمور ذميم) .

حتى إن القوة الفكرية ، وهي أشرف القوى ومدار الانسية ، إذا زادت عن حدها ، خرجت بك لى رذيلة الخبط والبهاء ، والمكر والحيلة . وليس الكفر والتهجم على مقام الألوهية واقتحام تلك المخاطر إلا رذيلة من رذائل القوة الفكرية . فرذائلها : قبح الرذائل ، كما أن فضائلها أشرف الفضائل . وهكذا الحال في الفضائل والرذائل في القوة الشهوية والقوة الغضبية : على قدر ما ترتفع بفضائلها تنحط برذائلها على نسبة واحدة . فأعظم القوى الثلاث فضائل ورذائل ، هي القوة الفكرية ، ثم القوة الغضبية ، ثم القوة الشهوية .

وكان نقطة الوسط التي نوهنا عنها هي الصراط المستقيم الذي أمرنا تعالى يطلب الهداية على سبيل الوجوب سبع عشرة مرة في كل يوم وليلة : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم » .

ولا بد أن تكون قد سمعت أن الصراط أرق من أشعة وأحد من السيف . ولعلك كنت تستغرب من ذلك وتصديق به تقليداً من غير أن تفهم له معنى ولا تذوق له سرا .

فاعلم أن نقطة الوسط عسرة جد ، ولا يمكنك أن تقف عندها إلا إذا رزقت المعونة ومنعت التأييد ، فلا بكاد يهتدى إليها ثم يصبر عليها إلا الأنبياء والمرسلون وكل الرجال من ورثتهم « وقليل ما هم » . فحقا هي أرق من الشعرة وأحد من السيف . وأحب منك الآن على مجل أن تصدق معي أن الصراط الأخرى على ما سمعت ، وتعلم أن كل شيء تراه في الآخرة إنما يمثل ما كان من أحوالك وأعمالك وأوصافك في الدنيا ، فإن الأرواح متى قوى سلطانها خفيت مقتضيات الأجسام ، فكان الحكم لها هو ما يكون في الآخرة ، كما أن الأجسام متى قوى سلطانها ظهرت مقتضياتها وخفيت مقتضيات الأرواح كما في الدنيا . فإذا سيرك بسرعة أو بطء ، على ذلك الصراط هناك يمثل سيرك هنا على صراط الوسط في كل شيء ، الذي هو أرق من الشعرة وأحد من السيف ، وذلك الصراط يمثل هذا الصراط . ومتى قدرت على أن تسير عليه ما هنا أمكنك أن تسير عليه هناك ، والعكس بالعكس . وعلى قدر ما أنت عليه اليوم يكون حالك غدا ، حتى إذا كنت من الساعرين إلى الخيرات السابقين في الفضائل والكمالات ، كنت هناك طائرا لا سائرا .

ونرجع إلى ما تصديقا له اليوم من الكلام على الشجاعة فنقول :

الشجاعة ما هي :

الشجاعة : ملكة في النفوس يورثها الإقدام على الأمور الكبيرة ، والخوف الخطيرة ، للحصول على غاية سامية تنبعث من نفس شريفة . أو نقول بعبارة أخرى : الشجاعة هي الإقدام تحت إشراف الحكمة ، للدفاع عما يجب الدفاع عنه : من نفس ، أو دين ، أو وطن ، أو غير ذلك ، وهي فضيلة من أسامي الفضائل . وإن شئت فقل إنها حارسه الفضائل كلها ، وأُس السعادة في الدنيا والآخرة . وليس يخفى عليك ما لها من الأثر في رقي الأمم وتقدم الممالك في هذه الحياة .

فكل أمة ضربت فيها بسهم وأخذت منها بأوفر نصيب ، أصبحت شائخة المجيد

عالية القدر فسيحة الملك ، لا يموزها نشر العمران ، ولا يموقها عائق عن توسيع سلطانها ونوطيد دعائها . وما من أمة أخسدت الى الجبن وأهملت واجبه وفرطت في جنب ما تحتاجه من الوسائل القوية والمعدات الضرورية ، إلا صارت الى النلل والهلوان ، وبهت بالخيبة والخسران ، لا تستطيع دفع الطامع عنها ، ولا تقوى على حفظ كياناتها والدود عن حياضها . ولا تلبث إلا ريثما يتم اتفاق الدول القوية على التهامها ومحو صورتها من بين الأمم المستقلة .

كانت للشجاعة من المناقب التي امتاز بها العرب ، وفاقوا غيرهم في لا أخذ بنصرها والتمدح بآثارها ، والافتخار بمزاياها ، والازدهاء بمحاسنها ، حتى بلغ من ذلك أن حض عليها الأمراء ، وتباهى بها الكبراء ، والوضعاء في محاوراتهم وأشعارهم

قال سيدنا أبو بكر خلاد بن الوليد : « احرص على الموت توهب لك الحياة » .
وقال الشاعر :

حرمة أ كمال خبلى على القف ودامية لبانها ونحورها
حرام على أرماحنا قتل مدبر وتندق منها في الصدور صدورها
ويقول الآخر :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدا
ولهم غير ذلك من الأخبار والشواهد ، مما يدل على أنها كانت أكرم لهم من ظلمهم ، وأثبت عندهم من شخصهم .

ولا نرو في الفضيلة التي ليس بمدى فضيلة ، والمزية التي ليس وراءها غاية . لذلك كانوا في جاهليتهم ذوى شتم وحمية ، ومزة وأنة ، يأبون للضميم ، وينفرون من الذل ، فلما سطع نور الاسلام في بلادهم ، وخفت أعلامه على ديارهم ، وأفاض عليهم من العلم والعرفان ما شاء ، الله أن يفيض ، قاموا والشجاعة رائد ، والاسلام قائم ، ينشرون دين الله ، ويمززون دعوة نبيه ، فدانت لهم البلاد ، وخضمت لهم أعناق الأ كاسرة ،

فلم يمحض عليهم قرن من الزمان حتى استولوا على صوبطان الرياسة في مملكتي الرومان والمرس ، ووطئت أقد مهم غالب آسيا وأفريقية ونحو نصف أوروبا ، وهناك نشروا علومهم التي جاء بها الإسلام ، ومعارفهم التي أتى بها لقراءان ، وأصبحوا رؤساء العالم وقادة الأمم ، وأرقام مدينة وحضارة .

وهالك تاريخهم المجيد لا يزال ينبي عما كان لهم من لملك الواسع والسلطان الشاوخ بفضل علمهم وشجاعتهم . وقد شهد لهم جوستاف لويون بذلك في كتابه (حضارة العرب) وغيره من علماء الأوربيين وفلاسفتهم .

الأمة الى الشجاعة أحوج منها الى كثرة المدد ووفرة الأموال ، ذلك أن الأمم في اعتداء مستمر ، وتغالب دائم ، وتنافس شديد ، كالأشخاص . فإذا لم يكن للأمة قسط وافر من الشجاعة وعامل قوى من الحية والأنفة ، عرضت نفسها لاتهم الطامعين ، فسقطت في هوة سحيقة من النذل والاستعباد .

هب أن أمة لم تأخذ من الشجاعة بقسط ، وقد جمعت القناطير المفنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، وكان لديها العدد العديدي من أثباتها : أفيعنى ذلك شيئا عند مداومة خطب مدتهم من جانب الأمم المغيرة والفرسان الفاححين ؟

إن ما جمعته بلا شك يكون داعيا قويا وباعثا شديدا للتوارد على ذلك المنهل العذب الذي لم يقم عليه حارس الشجاعة .

مامة الامتالي الشجاعة في دافليتها :

إن الأمة كما تحتاج الى الشجاعة في رد الغارات ودفع الغوائل ، تحتاج اليها كذلك في إدارة شئونها واستقامة أمورها واعتدال نظامها وتنفيذ مصالحها . فالأحكام إن كان مقداما على تنفيذ ما يصدره من الأحكام وإقامة الحدود وما يستلزمه من القوانين ، خضعت الأمة لأوامره ، واطأنت الى أحكامه ، وسارت معه في طريق الوفاق والوئام .

وإن آنت منه جينا أو ظنت منه نوانيا في إقامة العدل ونصرة المظلومين وتشجيع العاملين ، سوء رأيها فيه وملئت سخطا عليه ، ففسدت الأحوال وعم الوبال .

الحاجة إلى الشجاعة في نصرته الحق والقيام بالواجب .

ليس يخفى عليك أن العالم لا يفتفع بعله ، ولا يستطيع دفع الشبهات والريب عن دينه بإقامة البراهين الساطعة والحجج الدامغة حتى يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، إلا بالشجاعة والإقدام .

كذلك الطبيب لا يحرق على قطع الأعضاء الفاسدة ، وجير العظام الكسيرة ، وتضميد الجروح الخطيرة ، وإجراء تلك الأعمال الجراحية كلها ، إلا إذا ساعده باعث الشجاعة . وقس على هؤلاء غيرهم ممن لا يقومون بمهمهم ، ولا يسرعون إلى عمل ما يناط بهم ، إلا إذا كانت الشجاعة أول خلاصهم ، وأجل أخلاقهم وأظهر سجاياهم . وعلى ذلك تكون الشجاعة أقوى الدعام في سعادة الأمم ورفعتها وحضارتها ونعيمها كما قنا وهو ميدان فسيح لا يأتي عليه البيان ، ولكنته لا ينب عن الأذهان .

وبعد : فيحسن بنا أن نذكر لك شيئا من شجاعته صلى الله عليه وسلم حتى تقتدى به فتسعد سعادة لا شقاء بعدها : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » .

ويكنيك من ذلك أنه قام وحيدا فريدا يدعو إلى الله ، وفريش على بكرة أيها تناوته بصنوف المناوأة ، بل العالم كله إذ ذاك كان ضد هذه الدعوة ، فلم يقل ذلك من عزمه ولا فتر من همته ، فكان يسه أعلامهم ، ويسب آلهتهم بكل ما استطاع من قوة . وقد ذهبوا إلى صمه أبي طالب مهدين متوعدين ، فقال له صمه : « يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني ، فأبق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق » وليس يخفى عليك أن أبا طالب إذ ذاك كان نصيره الوحيد .

فانظر إلى قوله له : فأبق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ، فليس هناك أبلغ من هذا التهديد والتخويف من رجل لا ثقة له بغيره ، ولا تعويل على أحد

من الخلق سواء . فإذا قال له صلى الله عليه وسلم بعد هذا ؟ قال له : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أركب هذا الأعر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

ومما ورد في شجاعته صلى الله عليه وسلم الخارقة للعادة ، ما رواه جابر رضى الله عنه ،
ذيقول :

« كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم ، جاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة ، فاخترطه فقال له . تخافني ؟ فقال له . لا . قال : من يمنعك مني ؟ قال : الله »
رواه البخاري ومسلم . وفي بعض الروايات أن النبي لما قال له ذلك سقط السيف من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم ، فقال له الرجل : كن خيرا أخذ . فلما عفا عنه رجع إلى قومه وهو يقول : جئتكم من عند خير الناس .

ولقد روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس ، وأشجع الناس ، لقد فرغ أهل المدينة ليلة فأنطلق الناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعا على فرس لأبي طلحة والسيف في عنقه وهو يقول : لم تراعوا .

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم المشهورة الضخمة (وكل موقفه صلى الله عليه وسلم ضخمة) موقفه يوم حنين :

روى البخاري ومسلم وحكاه القراءان أيضا أن أصحابه ولوا عنه يومئذ مدبرين .
واتفق الشيخان على أنه صلى الله عليه وسلم كان راكبا بغلة . ولفظ مسلم من رواية العباس رضى الله عنه : فلما التقى المسلمون والكفار ، ولّى المسلمون مدبرين ، فطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار . قال العباس : وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكنفها ألا تسرع .

ولعمرك الله إن ذلك لفوق ما نهمده من شجاعة البشر ، فإن الإنسان مهما كانت شجاعته لا يقدم بنفسه على الألوف المؤلفة بعد ما فرغه أصحابه ، وخصوصاً إذا كان على بغلة بين تلك الخيول المطهمة والفرسان المدربة . وقد كان يقول وهو على ذلك الحال :
أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب .

فكانه كان يلفتهم إليه وينبهم على مكانه ، فأى شجاع تعرفه من البشر يستطيع ذلك أو قريباً منه ؟ ولكن لا عجب : فقد امتلأ قلبه ثقة بالله وتوكلاً عليه ، عالم أنه إليه يرجع الأمر كله ، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن : « وإن بمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يُرِدْك بحير فلا راد لفضله » .

هذا ولتعلم أن أفضل أنواع الشجاعة ألا تجبن أمام شهوتك عند ما يشتد نواقلها ، ولا أمام غضبك عند ما يحتد سلطانها ويتحكم شيطانها . ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم :
« ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » . رواه الشيخان .
وإنما كان هذا هو الشديد ، لأن جرة الغضب التي تنفذ في قلبه لم تخرجه على شدتها عن حد اعتداله ووقاره ، بل كان سلطان عقله ودينه أكبر من سلطان شهوته وهواه ، فصارها حتى خمدت كل الخمود ، ولم يظهر عليه شيء من آثارها لأنه ملك زمام نفسه ، فلم يجمع به ، ولم تورطه في الهلكات .

وقد روى البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مر بناس يحملون صخرة ثقيلة يختبرون قوتهم ، فقال : « أتخسبون الشدة في حمل الحجارة ؟ إنما الشدة أن يتتلى الرجل غيظاً ثم يغلبه » .

وانظر إن شئت إلى ما كان منه صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد كسر المشركون رباعيته وشجروا وجهه الشريف ، فكان يقول : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » . وهذا شيء لا يكاد يصدق العقل لو لا أن النبي من طراز آخر غير ما نعرف في الناس ، فإنه صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت لذي حصلت فيه تلك الحادثة للفظيعة

لم يعف فقط ، بل زاد أن طلب لهم من الله الهداية ، وزاد على ذلك أن يبين عذرهم فيما فعلوه ، وهو أنهم جاهلون لا يعلمون مقداره صلى الله عليه وسلم .

وروى البخاري ومسلم والبيهقي في الأدب وأبو داود والفاضي مياض في الشفاء واللفظ له ، عن أنس رضي الله عنه قال : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية ، فبذره أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ، ثم قال يا محمد : احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أهلك . فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : المال مال الله وأنا عبده . ثم قال : ويقاد منك يا أعرابي بمش ما فعلت بي ؟ قال : لا . قال : لم ؟ قال : لأنك لا تكافي بالسينة السينة . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر . وهو في هذه الحادثة أيضا لم يعف عن هذا الجاهل فقط ، بل حمل له بعيره كما طلب . فكان في ذلك ممثلا قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، وكما له من مثل ذلك صلى الله عليه وسلم .

وقد قالت السيدة عائشة في بيان خلقه : « كان خلقه القراءان » ثم قرأت قوله تعالى : « قد أفصح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون » . إلى آخر ما لا يمكننا تفصيله في هذه الكلمة العجلى .

أسأل الله أن يرزقنا اتباعه ، ولاقتداء به ، صلى الله عليه وسلم ، بمنه وكرمه .

يوسف الرجوى
من هيئة كبار العلماء

بَابُ السُّبُغَةِ وَالْفَتَاوَى

من هو الذبيح

ورد الى الجهة هذا السؤال :

أرجو الإفادة عن من هو الذبيح من ولدى سيدنا ابراهيم الخليل : أهو إسماعيل

محمد يوسف محمد

أم سحاق ؟

دير البنات — مصر

الجواب

المشهور عند كثير من المحققين والمفسرين ، كالأمام الألويسى فى تفسيره ، اختيار أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، وذلك بشهادة الظاهر من نصوص آيات قرآنية وأحاديث نبوية ونصوص من التوراة .

أما الآيات القرآنية فمنها قوله تعالى : « وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين » . وجه الاستدلال بهذه الآية أن إسماعيل وصف بأنه من الصابرين ، وقد حكى الله تعالى عن الذبيح الوعد بالصبر فى قوله تعالى : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين » . فكان الظاهر أن الذبيح هو إسماعيل . ومنها قوله تعالى : « فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » . بيان ذلك أن بشارتها بمولود هو إسحاق يكون له ولد هو يعقوب يبعد أن لذيبح هو إسحاق ، إذ البشرى بولد الولد فرع صول حياة لولد ، فلا يناسب الأمر بذبحه .

وأما الأحاديث فمنها قوله صلى الله عليه وسلم « أنا ابن الذبيحين » . بيانه أنه صلى الله عليه وسلم معلوم أنه من نسل إسماعيل لا إسحاق كما هو معروف فى سلسلة نسب . ومنها أن أعرابيا قال له صلى الله عليه وسلم : يا ابن الذبيحين . فتبسم ولم يتكلم عليه ذلك ، وإقراره

دليل على أن الذبيح إسماعيل . وأما التوراة ففيها أن الله تعالى امتحن إبراهيم فقال له : يا إبراهيم . قال : لبيك ، فقال : خذ ابنك وحيدك الذي تحبه واحمله الى بلاد العباداة ثم اجعله قربانا على أحد الجبال . وفي بعض روایات التوراة : بكرك الخ . بيانه أن لو حيد الذي يحبه والبكر هو إسماعيل كما تؤيده بقية نصوص التوراة ، إذ فيها أنه ولد له إسماعيل وهو ابن ست وثمانين سنة وولد له إسحاق وهو ابن مائة . فظهر من هذه الأدلة أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام . وقد روى هذا القول عن كثير من الصحابة كعلي وابن عباس وأبي هريرة والتابعين كابن المسيب ، وتلاميذ النابيين كإمام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه .

محمد السيد أبو شوشه المالكي - عيّد الله موسى المالكي
بكلية الشريعة الإسلامية

قضاء رمضان والنذر - الحلف كنزياً للتخلص من الضرر

مصرف المصروف

وورد أيضا :

١ - ما قولكم فيمن أظطر أياماً من رمضان لعذر شرعي وقد نذر أن يصوم ستة أيام من شوال وأراد صيام ما ذكر بعد الإفطار : هل المطلوب أولاً صيام القضاء أو النذر ، مع العلم بأن وقتها واسع لقضاء رمضان السنة كلها ، والسنة الأيام سائر الشهر على ما هو مشهور ؟

٢ - ما قولكم فيمن يبيع الخشيشة والأفيون أو يتعاطاها ، وقد أخبر أحد ضباط الحكومة فدخل عليه ليفتش منزله ويضبط ما عنده ، ثم أبدل هذا بأن حلقه يميناً بالله أو طلاقاً ثلاثاً على أن لا يبيع ما ذكر ولا يتعاطاه : فهل إذا حلف ليدفع عن نفسه الخبث وغرامة المال لا يلزمه يمين لكونه مكرهاً قياساً على من أكره على الحلف على فعل طاعة أو على أن لا يشرب الخمر إذا عادماً ذكر ، أو نذر يمين ولا يعدم إكراهاً فيبحث ؟

٣ - ما قولكم فيمن أراد أن يكفر عن يمين حنت فيها أو عن ظهار أو غيرهما : هل يجوز له أن يعطى شخصا فقيرا معه ثمانية أولاد صغار فقراء يموئهم وهو وزوجه تمام العشرة كفارة يمينه ، أم لا يجوز إلا إعطاؤه هو فقط ، لأن نفقة ما ذكر واجبة عليه فهم أغنياء ؟

محمد حسن وزق ناصر
من جزيرة شندويل

الجواب

١ - قضاء رمضان والنذر :

يصح للشخص أن يقدم أى الصيامين فى الفعل ، ولا يجب عليه تقديم واحد منهما بيمينه .

نعم : الأفضل تقديم صيام النذر وتأخير قضاء رمضان لضيق وقت ندر ستة أيام من شوال بالنسبة لوقت رمضان ، إذ وقت الأول شوال ، ووقت الثانى الى شعبان ، والضيق ولو بالاضافة الى غيره أولى بالتقديم . ويؤيد ذلك ما جاء فى نصوص المذهب : فقد قال خليل : وتذب بده بكتمتهم . أى يتذب بتقديم صوم مثل عتمة على قضاء رمضان . ومعلوم أن صيام التمتع يتأخر أداء أكثره بعد رجوع الحاج الى بلده ، وقد يتأخر رجوع الحاج الى بلده شهرا أو أزيد ، قال تعالى : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم » .

٢ - الحلف الكذب للتخلص من الضرر :

إذا أكره على يمين فى طاعة إتيانا كلبصلى الظهر فى وقته ، أو نفيا كلا يشرب خمر أو لا يفتش أسلمين أو لا يتماطى أقبونا أو حشيشا أو لا يبيعهما ، وقد فعل ما حلف على تركه ، أو ترك ما حلف على فعله ، فالنصوص فى مذهب المالكية قولان : قول بالحنت قياسا على الهزل ، ولأنه لا يعدم أكثر من الرضا . وقد رد بأنه قياس مع الفارق : إذ الهزل

لا يعدم الرضا بخلاف المكره وقول بعدم الحث وهو الظاهر لما يأتي من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم : « لا إطلاق في إغلاق » أي إكراه . أي طلاقه لغو لا تأثير له في الحث لأنه مذعور وهو لا يعتد بقوله ؛ ولقوله عليه السلام : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

٣ - مصرف الصدقة :

يجوز لمن يكفر عن يمينه أو عن ظهاره أو غيرها أن يعطى هؤلاء الفقراء والدم وأهمهم من الكفارة أيًا كان نوعها ، لأن المنصوص في المذهب أنه يشترط في الفقير الذي يعطى من الكفارة عدم وجود منفق ملى ، وذلك يصدق بالآ لا يكون له منفق أصلاً ، أو له منفق فقير . إذ علم هذا يعم جواز إعطاء الكفر هؤلاء الفقراء الذين يموتهم والدم الفقير من الكفارة م

محمد السيد أبو شوشه المالكي — عبد الله موسى المالكي
بكتبة الشريعة الإسلامية

البوظة

وورد ما ملئناه :

ما حكم البوظة : هل هي مسكرة فيحرم شرب قليلها وكثيرها ؟

عطية محمد موسى الله
المحادمة — قنا

الجواب

المنصوص في مذهب المالكية أن عصير الشعير والخمعة إذا ترك زماناً حتى اشتدت حموضته اشتداداً يوجب لمتعاطيه نشوة وطرباً ، فهو نجس بحرم تعاطي التقليل منه والكثير لأنه خمر وإن لم يكن من عصير العنب . ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح البخاري في كتاب الأشربة في باب ما جاء في أن الجر ما خسر العقل ، قال حدثني أحمد بن أبي رجاء

حدثنا يحيى عن أبي حيان التيمى عن الشعبي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : خطب
 عمر على مبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قد نزل تحريم الخمر وهى من خمسة
 أشياء : المنب والخمر والخنطة والشمير والعسل م

محمد السيد أبوشوشه المالكي - عبد الله موسى المالكي
 بكلية الشريعة لاسلامية

مخازن الغلات

ورود أيضا :

ما تقولون حفظكم الله في المخازن التي تمدها البنوك في البلاد لوضع الأقطان فيها
 والحبوب على أن يضع صاحب الزرع زرعه فيها حتى ترتفع الأسعار، ويأخذ عند وضع
 الزرع مقدارا من النقود، وعند ما يبيع زرعه يرد المبلغ الذي أخذه، ويرد مع كل مائة
 قرش صاغ أربعة قروش صاغ زئدة على لمبلغ المأخوذة، وكل ذلك غير أجرة لأرضية
 والغبراء ؟ محمد متولى خليل

إمام وخطيب بمسجد حجرة الجديدة — قابووية

الجواب

مذهب الحنفية أن القرض ما تعطيه من مثلى لتتقاضاه . واستيفاءه بأخذ مثل
 ما أخذ المستقرض . واشتراط الزيادة على ما أخذ باطل فيلغو الشرط ، ويجب لأصل
 فقط . ومنه يعلم حكم ما جاء في الاستفتاء المرفق ، وهو أنه لا يجب الأربعة الزائدة على
 المائة ، لأنها فضل خال عن عوض يقابله ولم تكن في نظير عمل ، فيلغو اشتراط دفعها
 ويحرم على المعطى أخذها ، فإن أخذها لا يملكها وعليه ردها ، والله أعلم .

عبد الحفيظ الدفتار الحنفى - حسين البيوى الحنفى
 بكلية الشريعة الاسلامية

بيع الشجر

رورد :

هل يجوز بيع أشجار اللبان والمر والصمغ بأنواعه التي توجد بكثرة في بلاد الصومال ؟

لفيف من أعضاء

نادى الإصلاح الاسلامي العربي

في النواحي — عدن

الجواب

الشجر إن كان في أرض مملوكة لشخص يجوز بيعه ويبيع ثمره، وكذا أرضه. وأما
الأشجار الموجودة في الجبال فليست مملوكة لأحد، وثمرها وصنفها مباحة، وهي لمن
سقطت يده إليها، كالكلأ والناء والنار. ونفس الأشجار لا يصح الاستيلاء عليها لأنها
من النافع العامة كالصريق والبحار ولأنهار.

قنديل قنديل — عبد السلام شرف

بكلية الشريعة الاسلامية

البراء مما في الذمة

رورد آيب .

ما قولكم في رجل سرق حلي زوجته للتخلص منها وقال لها : لا أعطيك هذا المصاغ
إلا بعد البراءة مما في ذمتي من محلل الصداق ومؤخره وما يترتب على ذلك، وعلى
ذلك أبرأته مضطرة للحصول على حليها. فهل هذه البراءة تسقط بم في ذمته لها أم لها
الحق في مطالبته ؟

عزالي محمد عز الدين

أبو حماد — بحطب

الجواب

مذهب الحنفية أن كل من له دين على آخر سواء كان حالاً أو مؤجلاً، وكان أهلاً

للتصرف ، يصح إيراؤه إياه من دينه ، وحينئذ يسقط الدين وتبطل المطالبة به ، لا فرق في ذلك بين أن يكون الإبراء عن اضطرار وعدمه « مع قبول المبرء »
ومنه يعم حكم ما جاء في الاستفتاء المرافق « رجل سرق حلى زوجته للتخلص منها وقال لها لا أعطيك هذا المصاغ إلا بعد البراءة مما في ذمتي من محل الصداق ومؤخره وما يترتب على ذلك وعلى ذلك أبرأته مضطرة للحصول على حاجتها » وهو أن الإبراء صحيح وبسقط حقها في المطالبة بمجمل الصداق ومؤخره . والله أعلم .
عبد الحفيظ الدفاتر الحنفي — حسين البيومي الحنفي
كلية الشريعة الإسلامية

حكم صلاة الجمعة قبل الزوال

ورود أيضا :

ما قولكم دام فضلكم في إمام مسجد أدى صلاة الجمعة بعد صلاة العيد صباحا قبل الزوال ، حينما انتهى من صلاة العيد أمر بالأذان وخطب خطبة الجمعة وصلّاها ، زعمائه أنه خشي من أهل قريته ترك صلاة الجمعة في هذا اليوم بالنسبة لاشتغالهم بالهلو واللعب : فما الحكم في ذلك شرعا على المذاهب الأربعة حكما شاملا ومفصلا ، لأنه ربما يكون مطلما على حكم في مذهب خلاف مذهب الإمام مالك ، لأنني أعلم أنه في مذهب الإمام مالك لا يجوز إلا بعد الزوال ، وكذا لا يوجد في هذا المذهب في صلاة جمع التقديم مثل ذلك ؟ هذا جد علمنا . والله أعلم .
على حسين حمودي لوفيه

جمعة قومية بحطة معمل القزاز

الجواب

نعم هناك مذهب آخر معتبر ، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، يقول يجوز صلاة

الجمعة قبل الزوال مطلقا ، أى سواء أكان اليوم يوم عيد أم لا ، وسواء أكان هناك ضرورة أم لا .

وتفصيل القول فى ذلك أن مذهب مالك وأبى حنيفة والشافعى وجامعير العلماء من الصحابة والتابعين أنه لا تجوز صلاة الجمعة إلا بعد الزوال ، فمن صلاها قبله نطلت جمعة . ومذهب الإمام أحمد وإسحاق أن أول وقت صلاة الجمعة هو أول وقت صلاة العيد ، معنى أنه يصبح فعلها من أول وقت حل النافلة حينما ترتفع الشمس قدر ربح من الأفق فى نظر العين ولو لم يكن اليوم يوم عيد ، ولكن الأفضل فعلها بعد الزوال خروجا من الخلاف . فإن كان اليوم يوم عيد فهناك مذهب ثالث ، وهو جواز الترخص بترك الجمعة بتأذا كتفه بالعيد ، وهذا المذهب لمطاع وجماعة .

الرد :

استدل الجمهور بما فى البخارى عن عائشة رضى الله عنها . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الجمعة حين تميل الشمس ؛ وبما أخرجه مسلم عن سعة بن لأ كوح . كنا نجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس ؛ وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث مصعب بن عمير الى المدينة (قبل الهجرة) قال له : إذا مالت الشمس فصل بالناس الجمعة . وقد جرى العمل على ذلك منذ السلف ، حتى قال ابن العربى : الإجماع على أنها لا يجب حتى تزول الشمس إلا ما نقل عن أحمد .

واستدل الإمام أحمد بما روى عن عبد الله بن سيدان السلى . شهدت الجمعة مع أبى بكر فكانت خطبته وصلاته قبل نصف النهار ؛ ثم شهدتها مع عمر فكانت خطبته وصلاته الى أن أقول : قد انتصف النهار ؛ ثم شهدتها مع عثمان فكانت خطبته وصلاته الى أن أقول : قد زال النهار ، فارتأيت أحدا عاب ذلك ولا أنكره اه رواء الدارقطنى وأحمد واحتج به . واحتج أيضا بما أخرح ابن أبى شيبه من طريق عبد الله بن سعة قال : صلى بنا عبد الله بن مسعود الجمعة ضحى وقال : خشيت عليكم الحر . ومن طريق

سعيد ابن سويد قال : صلى بن معاوية الجمعة ضحى . وكذلك روى عن حار وسعد ابن أبي وقاص وسعيد بن زيد ولم ينكر عليهم أحد فكان كالأجماع . واستدل عطاء ومن معه بما أخرج النسائي عن وهب بن كيسان قال : اجتمع عيدان على عهد بن الزبير ، فأخر الخروج حتى تعالى النهار ، ثم خرج فخطب ، ثم نزل فصلى ولم يصل للناس يوم الجمعة . فذكرت ذلك لابن عباس فقال : أصاب السنة .

وروى أبو داود عن عطاء : اجتمع يوم الجمعة ويوم الفطر على عهد ابن الزبير فقال : عيدان اجتماع في يوم واحد ، فجمعهما جميعا فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر . وهذان الحديثان رجالهما رجال الصحيح .

وأخرج النسائي وأحمد والحاكم وأبو داود وابن ماجه عن زيد بن أرقم رضى الله عنه وسأله معاوية : هل شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتماعا ؟ قال : نعم صلى العيد أول النهار ثم رخص في الجمعة فقال : من شاء أن يجمع فليجمع . وفي إسناده إياس بن أبي وملة وهو مجهول .

وروى أبو داود وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قد اجتمع في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة وإننا نجعلون . وفي إسناده بقية بن الوليد وفيه مقال ، ولكن صحح أحمد والدرقطنى إسناده .

مناقشة الأدلة :

أما ما استدلل به الجمهور فتنوقش بأنه لا يدل على مدعاهم وإطلاق ما ذهب إليه الامام أحمد ، إذ الحديث الأول والثاني لا يدلان إلا على وقوع فعلها بعد الزوال ولا تعرض فيها لعدم جوازها قبل الزوال . وأما حديث مصعب بن عمير فدلالته على ذلك موقوفة على ثبوت مفهوم المخالفة وهو غير مسلم به ، بل الحق عدمه كما حقق في الأصول ؛ وقد قال تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح » السورة ، ولم يقل أحد إن التسبيح غير مأثور به

قبل ذلك . وأما قول ابن العربي : الإجماع على أنها لا تجب قبل الزوال ، فلا يخفى ما فيه ، إذ كيف يكون هناك إجماع ويخفى على أحد ذلك ، إلا ما الجليل ، لأنه لو علم أن هناك إجماعاً لما وسعه مخالفته . وقد علمت أنه قل بثقل قول أحمد إسحاق بن راهويه ومكانته لا تخفى . وقد نقل أيضاً عن بعض الصحابة كما سبق .

ونوقش ما استدلل به الامام أحمد : فقد قال البخاري : إن ابن سيدان لا يتابع على حديثه وقال في الميزان : ابن سيدان مجهول لا حجية في حديثه . نعم إن صح ما نقل عن ابن مسعود ومعاوية وجابر وسعد وسعيد كان كافياً في إثبات ما ذهب إليه الامام أحمد ، ولكن قال القاضي : إن ما روى من هذا لم يصح منه شيء إلا ما عليه الجمهور .

وبالجملة فهذه المسألة مسألة اجتهادية ظنية فيها مجال واسع للبحث والنظر والترجيح ، ودين الاسلام دين يسر لا عسر فيه ، وليس اختلاف الأئمة إلا رحمة بالأمة وتوسعة على عباد الله حتى لا يقعوا في الحرج بالترام رأى واحد . وقد نص علماء الأصول على أنه يجوز لغير المجتهد أن يقلد أي إمام في أي مسألة متى توفرت الشروط . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه بعد فزوة خندق : لا يصليين أحدكم العصر إلا في بني قريظة ، فأدركت صلاة العصر اثنتين من الصحابة في الطريق فقال أحدهما : إن المراد الأمر بالإسراع ، وحمل الدين النسي على ظاهره فلم يصل إلا في بني قريظة . فما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لم يعب واحدا منهما . وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يفعله بأسرى بدر فأشار عمر بالشدة وأشار أبو بكر باللين ، فمدح النبي صلى الله عليه وسلم كلا منهما ، وشبه عمر بنوح عليه السلام حيث قال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » . وشبه أبو بكر إبراهيم عليه السلام حيث قال : « فن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم » . والله أعلم .

محمد عبد الله يوسف
مدرس بكلية الشريعة

الزكاة

زرزقة على من لم يملك نصيبا ، و زرزقة على مالك التصلب فيما لو يملك

وجله هذا السؤال :

ما قولكم دام فضلكم في رجل استقرض مالا من إنسان وتاجر فيه ، وفي آخر الحول لم يتحصل غير ما صرفه على نفسه وعياله ورأس المال : فهل يجب عليه زكاة رأس المال والحال أن رأس المال للغير لا له ؟

وفيما إذا كان لديه رأس مال مائة جنيه واستقرض مائتين عليه ، وفي آخر الحول قوم تجارته فوجدوها ثلاثمائة : فهل يجب عليه زكاة الذي له ، أو الذي له والذي عليه ؟

عبد القادر رضوان

الجواب

أما في الصورة الأولى فلا زكاة عليه أصلا ، لأنه لا يملك شيئا ، ولا زكاة على شخص ما لم يملك نصيبا .

وأما في الصورة الثانية فتجب عليه زكاة مائة جنيه فقط ، لأن هذا هو القدر الذي يملكه ، وأما المائتان فقد اقتترضهما من الغير فلا زكاة عليه فيها لأنه لا يملكهما ، ولا

زكاة على شخص فيما لا يملك . والله أعلم
محمد عبد الله يوسف
مدرس بكلية الشريعة

وجوب مصاحبة الاخيار

أحسن ما قيل في وجوب مصاحبة الاخيار ومقاطعة الأشرار
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتزدى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن نصيبه فكل قرن بالمقارن يقتدى

في فلسفة الاخلاق

صلة الأخلاق بالنفس الناطقة — أثرها في المجتمع الانساني العام

ليس بين ما يفتقر اليه الانسان في توثيق صلاته بالخالق أولاً ثم بالخلق ثانياً ، وفي تعرف طرفي الوجود وتلمس أعلى مراتبه مقروناً بمظهره الصادق جهد العاطفة ، وفي بلوغه منازل المخلصين الداعين الى الله والدالين به عليه ، ماله أوثق اتصال بالنفوس من صناعة الأخلاق . والأخلاق كما يقول علماء النفس : حافة الاتصال بين الانسان ووجوده في كل صورة من صور حياته . ولم تكن تلك الصناعة منذ عهد الخليفة بالتكاليف ، ومنذ تناجت العقول بالحقائق ، إلا حفاظاً وثيقاً للنفوس أن تصف بها أعاصير الشهوات ، وحجاباً صفيقاً للغرائز الطبيعية أن تستفوها أعراض المراتبات ، بما يلبسها من غاشيات الطبيعة . والأخلاق في كل ما تصدر عنه تستمد وجوده وقوتها من العادة أولاً ، ثم من المزاج ثانياً ، ثم من ترويض النفوس وتدريبها على سلوك الطريق السوي ثالثاً . وعلى مقدار مساهمة الأخلاق للعادات والأمرجة ووسائل التهذيب ، تكون قيمة الأفعال الصادرة عن الانسان . ووسائل التهذيب هي المناط في واقع أمرها لا إسعاد النفوس وتوكيز الأخلاق الفاضلة . أما الأمرجة والعادات التي تصدر عنها الأفعال في إحدى حالتها فهي غاضمة لناموس بقا ، الأصلح ، وهذا الناموس قد ثبت أنه ساد الأنظمة الوضعية جميعاً ، لكن ليس على طريقة أصحاب مذهب النشوء والارتقاء ، بل على معنى أن العقول والنفوس الناطقة مضطرة لأن تأخذ بالأجدي عليها من صور الحياة . وهذا مصدق قوله سبحانه عز من قائل : « فَأَمَّا الزُّبَدَ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ » .

قد نواضع علماء الأخلاق ، وخاصة المتقدمين منهم ، على أن النفس الناطقة من حيث ما يصدر عنها من الأفعال مردها الى قوى ثلاث .

فأولى هذه القوى هي التي يكون بها النظر في النتائج مرتبطة بمقدماتها من حيث صحتها وفسادها، واستخراج المجهولات من المعلومات.

(وثانيها) القوة التي تصدر عنها الثورة النفسية أو الحمية والتجدة، والكلف بالظفر والغلبة، والاحتياط بصنوف الكرامة للآسر والعشائر والجماعات والأفراد، والإيمان بكل الوسائل الممكنة في حب التسلط والفهر والإذعان لشهوة الانتقام.

(وثالثها) القوة التي بها إضاءة الشهوة في صنوفها المتنوعة في المآكل والمشارب وما إليها من ألوان استمتاع الجوارح. ويجب أن تبقى هذه القوى الثلاث متكافئة لتبقى متعادلة، وإلا لزم عن عدم تكافئها طغيان بعضها على بعض. على أن جمهرة من علماء النفس عقبوا على تلك النظرية الأخيرة بما يتفق وقاعدة (تفازع البقاء) حتى في الأمور المعنوية مما سنوفيه قسطا من البحث غير قليل في سوانح أخرى.

ومما لا سيبين إلى إنكاره أن لقوام الأخلاق وملاكها في مجموعها قوى ثلاثا، هذه القوى في حقيقتها نسبية، فتكون مقولة بالتشكيك قوة وضعفا وقلة وكثرة بالقياس إلى ما ترجع إليه هذه القوى الثلاث من المزاج والعادة والتدريب، على ما ذهب إليه الكثير من علماء النفس الأقدمين.

هذه القوة ذات آلات ثلاث يختلف بعضها عن بعض اختلافا قويا نظرا لما يترتب على كل واحدة منها من الآثار، فتتلازى الدماغ والقلب والكبد في مجموعتها الآلية أدوات مباشرة لتلك القوى الثلاث التي هي عماد الأخلاق وملاكها وعدتها وذخرها. فالقوة النفسية أو السبعية لها من البدن جند يطيعها ويستجيب دعاءها، وهي الجوارح. والقوة الناطقة أداة تمينها على تحقيق مرادها، ويمبرون عنها بالقوة الملكية، تلك الأداة من الجسم هي الدماغ. كذلك للقوة الشهوية أو البهيمية آلة تدير شئونها وهي الكبد. وغنى عن البيان أن عدد الفضائل يتبني أن يكون بحسب إعداد هذه القوى وتأثيرها بها. فتي كانت حركة النفس الناطقة في سيرها معتدلة رشيدة شيقة إلى تعرف

النظريات الصحيحة من أشكالها المنتجة زود الأمور بسائلها وتأخذ الأشياء بأساليبها، نشأت عنها فضيلة العلم، وتلزمها أيضا فضيلة الحكمة. ومتى كانت حركة النفس الشهوية معتدلة في سيرها متقادة الى تدابير النفس العاقلة غير متعاصية عنها ولا معنة في الإصغاء الى هواها، نشأت عنها فضيلة العفة، وتلزمها فضيلة السخاء.

وإذا كانت حركة النفس السبعية معتدلة مستقيمة لداعية النفس العاقلة، فلا تبهرم ولا تتسخط، ولا تشكو ولا تهيج في غير حينها، ولا تحمي كثيرا ينفى لها، نشأت عنها فضيلة الحلم، وتلزمها أيضا فضيلة الشجاعة. وهذه الفضائل الثلاث اللازمة عن تلك الفضائل التي نشأت عن القوى الثلاث فضيلة هي فضلى المضائل، ومرعى كل باطل، وهي المثل الأعلى للإنسان الكامل، وأعنى بها فضيلة العدالة. لذلك لم يبدعيا أن يطبق الحكماء على أن الفضائل أربع، وهي الأجناس العالية لم عداها من الفضائل. وقد أكثر الأخلاقيون من الإشادة بخصائص هذه الأجناس الأربعة وما ينطوى تحتها من الأنواع، ثم بسطوا ألسنتهم بحثا واستقصاء في تعرف أنواع هذه الأجناس وامتدادها، وأمراض النفوس وعلاجها، حتى قال صاحب كتاب (الذريعة في مكارم الشريعة): إن النفس إذا استعصى عليها أن تجمع بين هذه الفضائل كان خليقا بصاحبها أن يكون كالشجرة الجرداء تعترض الناس في غسوتهم وروحهم، فلا هم يستمرون ثمارها، ولا هم ينفيتون وارف ظلها. وفي الحق أن تلك الأجناس العالية هي مميزات الانسان الكامل كما هو حال الأنبياء، والرس صلوات الله وسلامه عليهم، ثم من بعدهم خلفاؤهم من العلماء المخلصين والطهدة المرشدين. ولعل هذا مصداق قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم: «تخلفوا بأخلاق الله» فن التخلق بأخلاق الله العمل بحسب الله ومراضيه في الحيتين المأجلة والآجلة.

ومن هذه الناحية قالوا في تعريف الحكمة: إنها فضيلة النفس الناطقة الميزة، وهي أن تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة، وأن تعلم الأمور اللاهوتية والناسوتية،

وأن تميزها ببعض المقولات عن البعض الآخر : أيها يجب أن يفعل ، وأيها يجب أن يهمل كذلك قالوا في تعريف العفة إنها فضيلة في الحس الشهواني ، وأظهر مظاهر هذه الفضيلة في الإنسان أن يستطيع بها الغل من غرب شهوته ، أو أن يصرفه على الأقل تصرفاً معتبراً بالرأى الذي يصيب غالباً حتى يكون طليقاً من أسر الشهوات غير متعبد لسلطانها ، وإلا كان كما قال قائلهم .

وب مستور سبته شهوته قد عرى من ستره وأنهكا
صاحب الشهوة عبد فإدا ملك الشهوة أضحي ما يكا

وإذاً فيكون الحد الناقص للشجاعة أنها فضيلة النفس السبعية . وأظهر مظاهرها في الإنسان أيضاً انقيادها للنفس العاقلة ، على معنى أن تنق تلك الفضيلة في نفسه حسن تصرف الأمور في عزم وحزم ، وأن يستبسل في جسام الخطوب في الديالى الحوالت في رأى يكون أقرب إلى الصواب منه إلى الخطأ ، مع البصر بحسن العاقبة وخير المنقلب ، وإذا تكون المدالة مجتمعة إلى تلك الفضائل رابعة الأربع

الغلى :

خير الحدود وأحسنها ضبطاً وأدناها استقصاء . أنه حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية . وهذه الحال تشتمل ثلاثة أقسام ، خلافاً لما ذهب إليه صاحب التهذيب (الامام احمد بن مسكويه) .

(أولها) ما هو طبيعى راجع إلى الحالة التكوينية للزوج المعصى ، كالإنسان الذى يحرکه أدنى شئ ، نحو غضب ، وبهجه أقل سبب . وكالإنسان الذى يتأثر من أيسر شئ ، كالذى يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه ، كالذى يضعك ضحكا مفرطاً من أدنى شئ ، يعجبه ، كالذى يغم ويحزن من أيسر شئ ، يبدوله .

و (ثانيها) ما يكون مستفاداً بالمادة والتدريب ، وربما كان مبدؤه بالرؤية والفكر ثم يستمر عليه أولاً فاولاً حتى يصير ملكة وخلفاً .

(وثالثها) ما يكون بتلقين الملحق وإرشاد المرشد عن تبصر وحسن رؤية وهذا هو الدد لأكبر في رأى جمهور الأخلاقيين، لأن إصلاح النفوس وتقويمها في حاجة أبدا إلى الإرشاد، حتى تبقى وطيفة الكتب السابرة جليلة الأثرجة المبر، وحتى تظل المواعظ الحسنة والحكم البالمة باقية على وجه الزمن.

أما اختلاف الأقدمين في تعريف الحق، وذهاب طائفة من أهل التصوف إلى بعض الآراء التي تفردوا بها، والمقارنة بينها وبين الآراء الحديثة والتمقيب على الضعيف منها، فوعدنا بتبيان كل ذلك والكشف عنه العدد التالي، إن شاء الله ما

عباس ط

التلطف في الاحاح

دخل دعبل على أمير فقال :

أصلح الله الأمير ! إني لا أقول كما قال صاحب معن :

بأى الخنثى عليك أننى فاقى عند منصرفى مسول
أبا الحسنى وليس لها ضياء على فمن يصدق ما أقول
أم الأخرى ولست لها باهل وأنت لكل مكربة قسول
ولكننى أقول :

ماذا أقول إذا أتيت معاشرى صفرا يدى من عند أروم مجزل
إن قلت أعطاني كذبت وإن أقل صن الأمير بما له لم يجمل
ولأنت أعلم باللكارم والعل من أن أقول فعلت ما لم تقبل
فاحتر لنفسك ما أقول فأنى لا بد من خبرم وإن لم أسأل
فقال له الأمير : فأنلك الله ! وأمر له بعشرة آلاف درهم .

الاسلام والعلوم الحديثة

الطب وصيام شهر رمضان

الأستاذ الدكتور الكبير عبد العزيز اسماعيل من الأطباء الذين عرفوا بسعة الاطلاع وقوب البصر في صناعة التطبيب ، حتى أصبح مرجعا يعول على رأيه فيما استعصى من العلل وأشكل من أمراضها ، وهو مع تخصصه في هذا الفن النافع ينظر في الدين ويتأمل في أسرارها ، ويعنى بالتوفيق بين قواعده ومقرراته والعلوم ، وبخاصة فيما يتصل منها بالصحة والوقاية من الأمراض . وقد كتب في ذلك معالات كثيرة ممتعة نرى من واجبت أن نقتطع هنا تباعا ليطلع عليها القراء الذين يهمهم أن يشققوا بالدليل أن القرآن الكريم لم يقادر صغيرة ولا كبيرة مما ينفع الناس في دينهم ودنياهم إلا أحصاها ، وأنه سبق العلوم الى تقرير حقائق اعتبرها اكتشافها فتحا جديدا في العارف الانسانية . ولم يقصر بحشه على ما يتعلق بالصحة والمرض فحسب ، ولكنه عرض لمواضيع أخرى مما يتصل بوجود الانسان وتقلبه في أدوار التكون ، وغير ذلك مما يطرح الى معرفته الفارثون . كل ذلك في عبارات بيّنة ، ولغة صحيحة ، وتذليل متين .

فنشكر لحضرة الدكتور النطاسي خدمته للدين ، ونرجوه متابعتها بعلمه الواسع وتجاربه النيرة . وللى القراء أولى مقالاته ، وهي تحت عنوان (الطب وصيام شهر رمضان) قال حفظه الله :

من الناس من يقوم أن في صيام رمضان ، وهو من أركان الإسلام ، مضرة تلحق بالصائم ، لما يصيب الجهاز الهضمي خاصة وغيره عامة ، ولما يكون من بعض الصائمين من انفعال وغضب . وهذا خطأ ، لأن ما ذهبوا اليه ليس من الصيام في شيء ، ولكنه من ترك الاعتدال في طعام الإفطار والسحور ، ولأنهم لم يراعوا ما يتناسب مع خلو

للمدة النهار كله وقت الإفطار ، ولأن السحور يجب أن يقتصر على بضع لفحات لأنه لا ضرر من الجوع في حذاته .

وبما أن الصيام يستعمل طبيب في حالات كثيرة ، ووقاية من حالات أكثر ، وأن كثيرا من الأوامر الدينية لم تظهر حكمة لها ، وتستظهر مع تقدم العلوم ، رأيت من الواجب على أن أكتب عما ظهر طبيا للآن من فوائد هذه الأوامر ، وإيضاح آيات قرآنية لا بين معناها الذي لا يظهر إلا لمن بحث عنها في نور الطب الحديث ، وسأبدأ بالصيام .

الصيام :

للصيام فوائد في ثلاث جهات : أولها (وأهمها) الجهة الروحية ، وهذه أتركها للعلماء الدين والمتصوفة منهم . و (ثانيها) الجهة الأخلاقية ، وهذه أتركها للعلماء الأخلاق ، ومن السهل البرهنة على أن الصيام يعود الإنسان للنظام والقناعة ، وطاعة الرؤساء ، والصبر وكبح شهوات النفس ، وحب الخير والصدقة ، وغير ذلك من الفضائل . و (ثالثها) وأقلها أهمية الجهة المادية أو الصحية ، وهي محل بحثنا .

لقد ظهر أن الصيام يفيد في حالات كثيرة ، وهو العلاج الوحيد في أحوال أخرى ، وهو أهم علاج إن لم يكن العلاج الوحيد للوقاية من أمراض كثيرة . فللعلاج يستعمل في :

١ - اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصعوبة بتخمر في المواد الزلالية والنشوية . وهنا ينجع الصيام ، وخصوصا ، عدم شرب الماء بين الأكلتين ، وأن تكون بين الأكلة والأخرى مدة طويلة كما في صيام رمضان . ويمكن أخذ الغذاء للناسب حسب حالة التخمر . وهذه الطريقة هي أنجع طريقة لتطهير الأمعاء .

٢ - زيادة الوزن الناتجة من كثرة الغذاء وقلة الحركة ، فالصيام هنا أنجع من كل علاج مع الاعتدال وقت الإفطار في الطعام ، والاكتفاء بالماء في السحور

٣ - زيادة الضغط الذاتي ، وهو آخذ في الانتشار بازدياد الترف والانفعالات

النفسية ، في هذه الحالة يكون شهر رمضان نعمة وبركة ، خصوصا إذا كان وزن الشخص أكثر من الوزن الطبيعي لمثله .

٤ - البول السكرى ، وهو منتشر انتشارا ضغطا ، ويكون في مدته الأولى وقبل ظهوره مصحوبا غالبا بزيادة في الوزن ، فهنا يكون الصيام علاجا نافعا ، إذ أن السكر يهبط مع قلة السمن ، ويهبط السكر في الدم بعد الأكل بخمس ساعات إلى أقل من الحد الطبيعي في حالات البول السكرى الخفيف ، واحد عشر ساعات في أقل من الحد الطبيعي بكثير . ولا يزال الصيام مع بعض ملاحظات في الغذاء أهم علاج في هذا المرض حتى بعد ظهور الأنسولين ، خصوصا إذا كان الشخص يزيد عن الوزن الطبيعي . ولم يكن هناك علاج لهذا المرض قبل الأنسولين غير الصيام

٥ - التهاب الكلى الحاد والمزمن المصحوب بارتشاح وتورم .

٦ - أمراض القلب للمصحوبة بتورم .

٧ - التهاب المفاصل لزمنة ، خصوصا إذا كانت مصحوبة بسمن ، كما يحصل عند السيدات غالبا بعد سن الأربعين وقد شوهدت حالات تتمشى في شهر رمضان بالصيام فقط أكثر مما تتمشى مع علاج سنوات بالسكرين ، والحقن والأدوية وكل الطب الحديث .

ورب سائل يقول : ولكن الصيام في كل هذه الحالات يحتاج إلى إرشاد طبيب في كل مرض على حدة ، والصيام الذي كُتب على المسلمين إنما كُتب على الأصحاء . وهذا صحيح ، ولكن فائدة الصيام للأصحاء هي نوقاية من هذه الأمراض ، خصوصا الأمراض التي مر ذكرها تحت أرقام ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٧ .

وهذه الأمراض كلها تبتدىء في الإنسان تدريجا بحيث لا يمكن الجزم بأول المرض ، فلا لشخص ولا طبيبه بمكنهما أن يعرف أول المرض ، لأن الطب لم يتقدم بعد إلى الحد الذي يعرف فيه أسباب هذه الأمراض كلها . ولكن من المؤكد طبيا أن

لوقاية من كل هذه الأمراض هي في الصيام ، بل إن الوقاية فعالة جدا قبل ظهور أعراض المرض بوضوح . وقد ظهر بإحصاءات لا تقبل الشك أن زيادة السمن يصحبها استعداد للبول السكري ، وزيادة ضغط الدم الذاتي ، والتهاب المفاصل المزمن ، وغير ذلك . ومع قلة الوزن يقل الاستعداد لهذه الأمراض بالنسبة نفسها . وهذا هو السر في أن شركات التأمين لا تقبل تأميننا على الأشخاص الذين يريدونهم إلا بشروط تفعل كلما زاد الوزن . والصيام مدة شهر كل سنة هو خير وقاية من كل هذه الأمراض . وهذه الأمراض تنتشر بزيادة الحضارة والترف ، فقد انتشرت في أوروبا أكثر من لأول . وفي مصر يكاد يكون البول السكري وزيادة ضغط الدم مقتصرين على الطبقات الوسطى والعليا ، وقليل جدا في الفقراء .

وينصب على الظن أن ذلك هو السر في أن الصيام في الاسلام أشد منه في الأديان السابقة ، لأن الاسلام ، وهو آخر الشرائع السماوية ، جاء في زمن نحتاج فيه الى وقاية من أمراض ترخاد كلما زاد الترف .

فائدة الجوع

فيل لبعض الحكماء . أي وقت اطعام فيه أفضل ؟ قال . أما لمن قدر فاذا جاع ، وأما لمن لم يقدر فاذا وجد . وقال الشاعر :

ومادة الجوع فاعلم عصمة وغنى وقد يزيدك حوما مادة الشع
وقال العتيبي : قلت لرجل من أهل البادية : يا أسي إلى لأعجب من أن فقهاءكم أطرف
من فقهاءنا ، وعوامكم أطرف من عوامنا ، وبجائيتكم أطرف من مجائيتنا !
قال . وما تدري م ذلك ؟ قلت . لا ، قال : من الجوع ، ألا ترى أن العود إنما صفا صوته
خلو جوفه ؟

وأحسن من ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم : « حسب الإنسان من الطعام ثقيبات
يقمن صلبه » .

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

بحث في الطلاق

(١) التشريع الجديد الذي جرى التطبيق عليه في هاكم
الاحوال الشخصية متأثراً بسنة الدوج والاسقال (ب) الطلاق
وأسرار إباحته (ج) جعل الفرق بيد الرجل والحكمة فيه
(د) ما في حكم الطلاق مما به حل عقدة النكاح وأسرار ذلك
(هـ) الكشف عن بعض المذاهب الاسلامية التي جرى عليها
تطبيق بعض أحكام قانون الأحوال الشخصية من غير مذهب
أبي حنيفة في العهد الأخير

الطريق وأسباب الجامعة :

هي (أولاً) عدم تعطيل النسل المرغوب فيه، والمندوب اليه على الرجل والمرأة، لأن
المرأة قد تكون عقيمًا أو آيساً والرجل فقيراً لا قدرة له على الجمع بين اثنتين، فإن لم
يستبدل لم يكن مستعداً لأداء النسل؛ ولأن الرجل قد يكون هو العقيم أو به ما يمنع
الحلوة بها كالمثمة، فإن لم يفارق المرأة ييختص بها سوءه ثمطل نسلها عليها وفات عليها
استمداها له .

و (ثانياً) دفع لخرج عن الزوجين، لأنه قد يتصف أحدهما بسوء، في خلقه وفساد
في تربيته أو ضعف في دينه، أو يكون بينهما تخالف في الطباع وتضاد في المقاصد،
فتتنافر القلوب وتكف بالبغضاء، فيندم للتآلف وتنتفي الإدارة. والزوجية إن لم تتألف
على المحبة أو تدعم بالمواقة، نداعت أركانها وانهار بناؤها، وانعكس القصد ومنها، قصار
الضرر - لولا الطلاق - محققاً، والفساد أسرا واقماً، لأن المداوة تظهر في أقبح مظاهرها
فلأيا من كلاهما الآخر على نفسه، ولا يامله اللطف واحتشام، فيصير العيش ذمياً، والحياة
سريرة، وتقع ذرايرهما وأعقابهما السيئة الحظ في حيرة وارتباك، ويئد عن أحد الجانبين

مع اقتراب من الآخر، فتضطرب الى المخادعة والنفاق، والنش والتدليس، فيصير ذلك خلقا وسجية مألوفة، فتقبح نموها وبسوء منقلبها. ولقد رأينا من الأزواج من هجر وطنه وهو عزيز، ومن فارق دينه وهو أعز، ومن قتل نفسه ولا شيء يمددها، ومن أودى بصاحبه وهو جنابة كبرى، تحاصبا من قرين السوء، والحياة الذميمة.

تدبر متى ما هو وقع الآن من إيثار كثير من أبناء الديانات الأخرى الطلاق المدني على الطلاق الشرعي بشفاقة من ترتب آثار الزوجية، وحذرا من الوقوع في أخطار يندرها هؤلاء، أقلها حدوث تنافر بين الزوجين، ولا يجد كلاهما الى التخلص من ضرره سبيلا. ولهذا اضطرت دول الى الاعتراف بهذا الزواج المدني، وجعلته أصلا من أصول مدنيها وإن خالف أصول دينها. على أن شركة روتر البرقية نقلت إلينا في أول ديسمبر سنة ١٩١٩م أن الإحصاء الحكومي بالولايات المتحدة أبان أن المحاكم في العشرين سنة الأخيرة قضت بإجراء ألف ألف طلاق (كذا). ففارقن بحفك بيننا وبين غيرنا، وانظر الى آثار رحمة الله بنا، واشكر مولاك على ما أولاك من هذه النعم الجزيلة والمنة الحقة.

(ثالثا) إن جعل الطلاق بيد الرجل وحده يقرب من بقاء الزوجية، ويبعد من زوالها قدر الاستطاعة، لأن الرجل فضلا على المرأة، ولأنه كلف بالإنفاق وإيثار الصداق، فهو لذلك لا يقدم على الفراق ما وجد للتأخر عنه سبيلا، بخلاف المرأة لأنها قبللة التثبت في الأمور، كثيرة الاضطراب في الآراء، سريعة السير مع الأهواء، ضعيفة بطبيعتها عن حمال السكاره، تقرح وتمحزن بأحق الأسباب (وقد نقول ما نسرع من بعضهن: ذوح بزوح والصداق فائدة) فإذا جعل الصداق بإر دتما انهار بناء الاجتماع متى وجد خصام وتلاح، وإن جعل بيد كل من الرجل والمرأة كان الأمر أقطع والفراق أسرع، لأن المرأة كما رأينا في منزل عن الأمور التي بها بقاء الزوجية، والرجل يعلم ذلك ويأنف أن يكون الفراق منها، وقد تكون مثله في تلك الأنفة، فإذا ما وجد شقاق بينهما يسمى كلاهما الظن بصاحبه، ويختشى أن يفارقه، فيبادر هو بالفراق فرارا مما أنف منه.

على أن جعل الفراق بيد الرجل خاصة إنما يكون إذ أراد الرجل أن يتنازل عن حقوقه قبل المرأة وبوفها جميع حقها . أما إذا أراد كلاهما حل عقد النكاح ، واستردت المرأة ما ملكه الرجل من اختصاصها ، واسترد الرجل كل أو بعض ما جعل لها من المال في مقابلة ذلك الاختصاص ، فإن هذا يتوقف على رضاها كسائر العقود وقد وضع بعض حملة الدين حق الفراق بيد المرأة أيضا إن اشترط ذلك في عقد الزواج ، وجرى عليه الآن كثير من العقود ، فليس على من خافت من بعلها سوء العشرة ، وتوسكت بهذا الشرط من بأس .

لكن حدث - ملاءمة لسير التطورات ، ومسيرة لمتى الاعتبار المتولدة عن الوقائع والحداثات - أن تشريعا وضع سنة ١٩٢٠ م رسوم قانون رقم ٢٥ ، هذا التشريع أخذ في بعض مواد من آراء فقهاء ليسوا من فقهاء الحنفية ، ولكنها مبادئ فقهية عميقة الأثر في متابعة سير الحوادث وبما يشاء الظروف القاهرة ، فقد كثرت الشكوى من بقاء قيد النكاح في أيدي لأزواج ، يتلاعب بها شرارهم ، ويجعل الزوجية في نظر المستهترين متاعا يستمتع به ذوو انغايات ، وسبيلا إلى الانتقام بشتى الوسائل ، فوضعت المادة التاسعة من القانون المذكور ، وهي تبيح للزوجة أن تطلب التفريق إذا وجدت عيبا مستمكنا لا يمكن البرء منه ، أو يمكن بعد زمن طويل ، ولا يمكنها القيام معه إلا بضرر ، كالجنون والجدم ، سواء أكان ذلك العيب بالزوج قبل العقد ولم تعلم به ، أم حدث بعد العقد ولم ترض به . ثم جاء قانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ فأباح للزوجة أن تطلب إلى القاضى التخليق على الزوج في حالات يُثبت من المادة السادسة إلى المادة الحادية عشرة من هذا القانون في حالة تعمد إضرار الزوج بها . ثم أباح لها أن تطلب إلى القاضى التخليق على زوجها عند غيبته في شرائطها المبينة من المادة الثانية عشرة إلى الرابعة عشرة من هذا القانون . ذلك لأن الطلاق شرع في الإسلام لتفكيك الاثنين من التخلص من رابطة زوجية إذ تحقق أن المعاشرة بالمعروف وأداء

حقوق الزوجية مستحيلة البقاء . واشتقاق بين الزوجين مثار لا ضرار كثيرة لا يقتصر ضررها على الزوجين فحسب ، بل يمازوها الى ما خلق الله بينهما من ذرية ، وإلى كل مر له بهما علاقة قرابة أو مصاهرة . وليس في أحكام مذهب أبي حنيفة ما يمكن الزوجة من التخلص ، وما يرجع الزوج عن غيه ، فيحتال كل في إيذاء الآخر فصد الانتقام ، فتطالب الزوجة بالنفقة ولا غرض لها إلا إحراح الزوج وتفريجه للذل ، ويطالب الزوج بالطاعة ولا غرض له إلا أن يتمكن من إسقاط نفقته ، وأن تنالها يده فيوقع بها ما شاء من ضروب العسف والجور .

هذا فضلا عما يتولد عن ذلك من إشكال في تنفيذ حكم الطاعة وتنفيذ الحبس بحكم النفقة ، وما قد يؤدي الى استمرار الشقاق من الجرائم والآثام ، فرأت وزارة الحقاية من أجل ذلك أن المصلحة تدعو الى الأخذ بمذهب الامام مالك رضي الله عنه في أحكام الشقاق بين الزوجين المنصوص عنه بسورة النساء .

التطبيق لنفي الزوج أو الحبس :

كذلك قد يفيب الزوج عن زوجته مدة طويلة بلا عذر مقبول : لطلب العلم ، أو للتجارة ، أو لانقطاع المواصلات ، ثم هو لا يحمل زوجته اليه ولا هو يطبقها لتتخذ لها زوجا غيره . ومقام الزوجة على هذه الحال زمنا طويلا مع محافظتها على العفة والشرف أمر لا تتحمله الطيبة في الأمم الأغلب ، وإن ترك لها الزوج مالا تستطيع الايفاق منه . وقد يقترف الزوج من الجرائم ما يستحق عقوبة السجن الطويل ، فتقع زوجته في مثل ما وقعت فيه زوجة الغائب . وليس في أحكام مذهب أبي حنيفة ما تلج به هذه الحالة ، ومعالجتها واجب اجتماعي يحتم . ومذهب الامام مالك يميز التطبيق على الغائب الذي يترك لزوجته ما تنفق منه على نفسها إذا طالت غيبته سنة فأكثر وتضررت الزوجة من بعده عنها ، بعد أن يصرب القاضي له أجلا ويحذر اليه بأنه إما أن يعمل على الإقامة معها أو ينقلها اليه أو يطلقها وإلا طلقها عليه القاضي هذا إذا أمكن وصول الرسائل اليه ، وإلا فيطلق القاضي عليه بلا ضرب أجل وإعذار .

من أجل ذلك شرعت المواد ١٢، ١٣، ١٤ من القانون المذكور إنهاءً لذلك العذاب الذي كان في بدى الزوج قبل زوجته يرهقها به أنى شاء .

أما أن الطلاق في عدده الثلاثي لا يقع إلا طلاقاً واحدة، وأن النجزمته ولصاف والمعلق لا يقع، فذلك ما نفرد له بحثاً خاصاً في المبحث التالي، إن شاء الله .

ما يحل عقد الزواج غير الطلاق :

الذي يحل عقدة النكاح سوى الطلاق أربعة أشياء : الخلع ، والظهار ، وللعان ، والإبلاء .

أما الخلع فهو أن يخالف الرجل امرأته على شيء من المال ، وهو أمر تنفرد منه المروءة ولا يحمده الشرع ، لأن ما أخذته من المال استحقته بتسليم نفسها إليه ، ولنا أنكر الله ذلك بقوله . « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » . وإنما أجازته الشريعة دفعا للضرر ومنما للخصومة ، لأنه قد يخشى الزوجان ألا يراعى أحكام الزوجية ، فتسأل المرأة زوجها الطلاق فتسمح به نفسه لما يرى من عدم الألفة ولكنها تشح بما أعطى ، فإن لم تقتد نفسها بشيء من ماله ، وقع الضرر وحصل الشقاق ، ولذا قال تعالى . « فإن حفتم ألا يقبها حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تمتدوها » .

وأما الظهار : فهو أن يقول الرجل لزوجته : أنت علي كظهر أمي مثلاً . وكان حكمه في الجاهلية تحريمها الأبدى مع إمساكها ، ولذا جعله الروافد الرجيم منكراً وزوراً ، قال تعالى : « الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدتهن ، وإلهم ليقولون مُسَكراً من القول وزوراً » . وإيضاح هذين الوصفين أنه منكر لما فيه من التضييق والإساءة لمن أمر بالإحسان إليها ، فلما تحرم من تمتع بما تتمتع به الأزواج ولا تصير به آيماً تملك أمر نفسها ، وأنه زور لأنه إما أن يكون خبراً أو إتياءً ، فإن كان خبراً كان كذباً صراحاً إذ لا تشابه بينها وبين أمه حتى يطلق

اسم احدها على لاخرى ؛ وإن كان إنشاء كان عقدا ضاراً م تلاحظ فيه مصاحبة ، ولم يقرره شارع ، ولا استنبطه حكيم .

لما تقدم رحم الله هذه الأمة وفضى بما أوضحه في قوله تعالى : « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يمسوا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتامسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا » . وسر ذلك فميان : سر المأخذة على هذا القول ، وسر جعل استكمارة ماعمت . أما سر للمأخذة عليه فهو أن المظاهر أئرم نفسه بما لم يلزمه به أحسد ، وصير ظهاره بمنزلة القسم ، فلم يتجاوز الله عن عمليه بالسكايه ، ولكيه أحسن اليه فدفع عنه حرج الجاهلية . ولم يجعل التحريم عليه مؤبداً بل صيره مؤقتاً يزول بالكفارة ، فإن الكفارات إنما شرعت لدفع الأئمة وتخليص المكلف لما يجده في نفسه من التائهم . وأما السر في جعل الكفارة ماعمت في الآية فهو أن يلزم فيها أن تكون خالصة من الوقوع فيما جمعت حسدا عنه ، تأمل قوله تعالى : « ذلكم توعظون به » . ولا يكون كذلك إلا إذا كانت طاعة شاففة تشج لنفس بها إن كانت مالية ، ونعاني فيها ألا ما إن كانت بدنية .

وأما اللعان فهو أن يقسم من قذف زوجته بالزنا ليدفع عن نفسه حد القذف ، ويقسم هي على كذبه لتدراً عتاً حد الزنا ، وقد كان شأن الجاهلية في الرجوع الى الكهان ، فنفي الاسلام ذلك لأسرين : (أحدهما) أن من أصوله هجر الكهانة ونبيذ الميل إليها . و (ثانيهما) أن الرجوع إليهم فيه ضرر عظيم لعدم القطع بصدقهم ؛ ومنع من أن يامل الزوج معاملة الأجنبي فيكاف بأربعة شهداء أو يقام عليه الحد لسبيين : (الأول) أن الزوج مجبول على الغيرة على ما في عصمته من التراحم عليها ، وأنه مكاف شرطاً بالحفاظ على حرمة من العار ، وعلى نسبة من الاختلاط . و (الثاني) تمسر إثبات الزنا مع علمه بحال أهله وعدم قدرته على إسراء مثل هذا وكتمانه ، فإن الزنا إنما يكون في خلوة ، ومعرفة الرجل

بأهل لا تصدر عنها معرفة أجنبي بأجنبية حتماً ، وصبره على كتمان بخورها لا يطاق له ،
 قال الله تعالى في كتابه العزيز « والذين يرمون أدواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم
 فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان
 من الكاذبين . وبدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين .
 والخامسة أن تحضب الله عليها إن كان من الصادقين » ، وسر ذلك أن شهادته أقسام
 مؤكدة لدفع حد القذف الذي كان يقع لو لم تكن الملاعة ، وأن شهادتها تدراً عنها حد
 الزنا الذي كان يصيبها لو لم تأت بها ، وقد قضت السنة بالفراق للتؤيد بين من حالهما
 كذلك . وسر هذا شيئان :

(الأول) أن صدر كليهما من حال صاحبه وما حصل من التهمة والقذف وإشاعة
 الفاحشة والملاعة امتلاً وحرراً وغراً يميلان المودة والوفاق حرماً يسوجب العقوبة
 الحادة ، ويتضيان على مصالحهما المشتركة التي كان من أجلها النكاح على هذا الوجه .
 و (الثاني) زجر الزوجين وتحذيرهما من الوقوع في مثل هذه المعاملة السيئة العاقبة .
 وأما الإيلاء فهو أن يألو الرجل من امرأته أبداً أو مدة طويلة ، وهذا عدوان بين
 وإجحاف جاهلي ، جعل الشرع له حداً محدوداً ، قال تعالى : « للذين يؤلون من نسائهم تربص
 أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم . وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم » .
 والسر في تعيين أربعة أشهر أمران : أولهما أن النفوس تتوق فيها للباشرة قطعاً
 ولا تحتمل البعد عنها فوق هذه المدة ، والعفاف مدعو إليه مرغوب فيه . وثانيهما
 أن هذه المدة ثلث السنة ، وثلث الشيء يضبط به ما قل عن نصفه ، ونصف السنة كثير
 لا تحتمل النفوس الصبر فيه على ما ذكرنا

عباس ط
 المحامي الشرعي

تكریم فضيلة الاستاذ الاكبر

لم نشهد الا زهريون يوما أغز محمدا كاليوم الذي شهدوه بتعيين حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخا للازهر . ولم يشعرا السامعون في بقاع الأرض كافة ، عند تقليد أي شيخ مشيخة الأزهر ، بمثل ما شعروا به من الارتياح والتفاؤل عند تقليد فضيلة الأستاذ الامام الحالي مشيخته الجليلة . فكان الناس قاطبة قد أجمعوا أن هذا اليوم هو الحد الفاصل بين عهدين ، وأنه فاتحة حياة جديدة للإسلام تسري في جميع مظان الالتماس من الأمم الآخذة به ، فتدفعها في طريقه السوي للميد ، وتأخذ بيدها الى النيات البعيدة من خيرى الدنيا والدين معا ، فتسترد مجدا تليدا ، وتستقبل عهدا من النهوض جديدا .

وكان الجوانح لم تطق حبس هذا الشعور انفياض في سويد وات القلوب ، فبرزت مطلب مظهرا ماديا ، فتولدت فكرة الاحتفال بتكریم فضيلة الأستاذ الاكبر في يوم مشهود ، وما هي الا فترة مضت في اتخاذ الالهب لا قامت ، حتى شهدنا منظر ، يأخذ باللب جلالا وروعة ، فشهدنا الناس في مختلف طبقاتهم ، لا الأزهرين وحدهم ، يتدافعون أولوا الوفا بالمناكب مسرعين الى مكان الاحتفال قبل موعده بساعات . ولما اكتمل حشدهم ، واتكلم عقدهم ، بدأ الاحتفال بقراءة آيات من الكتاب الكريم ، وما أتم القارىء قراءته حتى تحولت الابصار الى منبر الخطابة ، فتعاقب الخطباء والشعراء عليه ، فلا قول : فأخذت سيمول الاسبق والبيان تندفق تورا وشعرا ، ولكنى أقول : فتمرعت نيارات الشعور تتبجس من الصدور فتغمر الحاضرين ، ثم تسرى في عالم الأثير الى كل دار وناد ، وتخطى مصر الى العالم الاسلامي كله في كل صقع ، وكانت أصوات الهتاف بالدعاء لحضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول معيد مجد الأزهر ، ثم لفضيلة الامام

المرامی، ترن فی کل مکان . فلم یکن الاحتفال علی هذا اوجه قاصرا علی ألوف المجتمعین ، ولکنه نمل عشرات الملايين فی مصر وشارجها ، فشارك المائین فیہ کل من یهتم بعظمة الاسلام فی کل مکان یسری تیار اللاسلکی فیہ .

فأرأینا احتفالا أخذ حظه منه الطفل الناعم فی مهده ، ولعانية المهددة فی عقر دارها ، والشیخ الفانی فی محرابه ، قبل هذا الاحتفال الذی نصفه الیوم .

علی أننا نلاحظ فی هذا الاحتفال التکریمی الذی اکتسب صبغة عالمية ، معنى أدق وأسمى مما یدل علیہ اسمه . ذلک أن المسیین قاطبة قد أدركوا بما کتبه بعض كبار العقول فی أوروبا ، وما قام به کثیر من أهل الثقافة الحديثة فی مصر وغیرها ، أن الاسلام أسس أصکبر امپراطورية فی العالم ، وأقام علی أنقاض اللدنیات التی كانت آخذة فی الانقراض مدنیة فاضلة یتفق فیها العقل والعاطفة ، وتتآخی فیها مطالب الأرواح ولأجساد ، وإنه لا یرال علی ما کان علیہ : فیہ شفاء للأحاد والجماعات ، وبین دفنی کتابه قوة معنویة لا حد لها یمكن توجیہها لإزالة الداء العضال ، واستمادة لمجد المضاع ، قلنا : أدرك المسلمون هذا منذ عشرات من السنین علی درجات متفاوتة من التفصیل ، فأحبوا أن یروا المنقطیین لدراسة هذا الدین فی طلیعة الداعین لهذا العهد الذهبی للإسلام والمسلمین ، فی عبارات تتفق وما أثقه المعاصرون ، وبأدلة مستمدة من لباب العلوم الحديثة ، وصفوة بحوثه المستفیضة . وكانوا یجمعون کل هذه المطالب فی عبارة وجوب إصلاح لأزهر ، وم بطبیعة الحال لا یریدون من إصلاحه أن تنظم دروسه ، وأن ترتب حصصه ، ولا أن یشید بنیانه ، ویوسع مكانه ، ولکنهم یریدون أن یدخل طلبة فی دور التطور العقلی الذی دخل فیہ الناس كافة ، وأن یدرسوا ما یدرسه أمثلمهم من طلاب الجامعات الکبری ، مادام الاسلام لا یضع للعلم حد ، ولا یرسم لتطور العقل دائرة ، وما دام یدعو الآخذین به لأن یكونو فی طلیعة العالم کله تأثرا بناموس الارتقاء ، ونصیدا للأحسن من کل شیء .

هذه كانت أمنية المسلمين في الأزهر بمصر وغيرها من الأقطار الإسلامية منذ عشرات السنين ، وقد كتبت جرائدهم فيها ما لا يحصى من المقالات ، حفظ الله فضل البدء في الإصلاح المرجو للمصلح الكبير المرحوم الشيخ محمد عبده ، ولكن روح التجديد لم تكن قد تولدت في البيئة الأهررية ، فلم يسر إصلاحه بالسرعة المتناهية ، ولكنه لم يقف ، حتى انتهينا إلى هذا العهد ، عهد اللاسلكي ولا شعة الكونية والمستكشفات الحيرة للألباب ، فشمرت النفوس بحاجة ماسة للتجديد ، وخاصة في مقدّم آمال المسلمين من الناحية الروحية وهو الأزهر ، فكانت الضرورة قاضية بأن يتولاه رجل جمع إلى العلم الغزير روح التجديد المتوثبة التي تمثل الإسلام بمعناه الصحيح ، ويعرف مقتضيات الزمان والمكان ليتبى القواطع والمواثيق ، وأشمرت النفوس أن هذه الصفات كلها تتوافر في أحسن تلاميذ الشيخ محمد عبده وهو الإمام المراغي ، ورأى جلالة الملك حفظه الله ذلك ، فأستداليه مشيخة الأهر ، فانطلقت الآل من بالدعاء لجلالته ، واحتف الناس بزعم التجديد يظهر لهم ما تكنه قلوبهم من حب ، وما نجيش به صدورهم من سرور ، فكان هذا الاحتفال الذي لم يسبق له مثيل .

ووالله ما أجمع الناس على حب الإمام المراغي وأطبقوا على التولية به إلى هذا الحد إلا وهو لذلك أهل وبه فین ، فإن الله إدا أحب عبدا من عباده ألهم الناس حبه ، ثم لم يزل يؤيده ويحقق ظنون الناس فيه حتى يؤدي ما نذبه له من العمل العظيم .

ومجلة نور الإسلام تشارك الناس كافة في تقديرهم لفضيلة الأستاذ الأكبر ، وترى من واجبه اندوين أكثر ما أتى في ذلك اليوم الشهود من خطب بليغة ممتعة ، وما أنشد من قصائد بديعة موفقة ، تخليدا لها على الدهر ، راجية الله أن يمد في عمر الأستاذ الإمام لينعم بشجرة جهاده الكريم .

(ما قيل من الخطب والقصائد في ذلك الاحتفال)

بعد ما أنتم قارئ الكتاب الكريم قراءته ، وقف حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد البان شيخ كلية أصول الدين ورئيس لجنة الاحتفال فقال :

حضرات اصحاب السمر ، حضرات اصحاب الدولة والمعالى ، حضرات السادة :

أحييكم أطيب تحية ، وأشكر لكم أصدق الشكر على تلييتكم دعوتنا ، فبرهنتم بذلك على ما للأزهر من للنزلة الرفيعة في نفوسكم ، والمكانة السامية في قلوبكم ، وضاعتكم معنى التكریم الذي أرادہ الأزهرون لشبھهم من إقامة هذه الحفلة الكبرى ، إذ أعلنتم بهذا الاشتراك أن مقام المشيخة الإسلامية الذي يرقاه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى الرانجي هو هو مقام الرياسة الدينية العظمى الذي يحيطه المصريون بظواهر الاحترام والاحترام ، ويتوجه اليه المسلمون في شئون دينهم بأسمى الآمال ، كما يدل اشتراككم على أن مصر ممثلة في صفوة أولى الرأي من رجالها ، تعرف ما للأستاذ المرغى من أباد يبضاء على التعليم الديني ، وجهود بارزة في سبيل إصلاح المعاهد الدينية وإعلاء شأنها . وإني باسم الأزهر وباسم لجنة الاحتفال التي شرفتني برباسها أرحب بكم ، وأحي من قلبي تلك الرابطة الوثيقة التي تربط الأزهر بهذا الوطن العزيز ، وبالعالم الإسلامي أجمع ، وأحي هذا الشعور النبيل الذي يجعل نحو هذا المجهود الديني الأكبر في جميع المناسبات .

حضرات السادة :

أنشئ الجامع الأزهر من نحو ألف عام ، وتدرج في هذا الزمن الطويل يكاد يكون تاريخ الحياة العلمية والدينية والاجتماعية لمصر ولسائر بلاد العالم الإسلامي . إذ كان هو مصدر العلوم ومقر الدراسات لهذه البلاد جميعها ، ثم طرأت بعد ذلك طواري كان من أثرها هذا التحول في الحياة العامة وفي أساليب التعليم واتجاهاته ، وزخريار هذه الاتجاهات الجديدة وزاحت الأزهر بمثلها من قوة الشيء الجديد ، وكاد الأزهر وسط هذا التطور العام يفصل عن البيئة المصرية ، وتصبح تعاليمه السمعة مقصورة على رجاله ، وأوشك بفعل الزمن أن يصير وطننا مستقلا في قلب هذا الوطن ، وكادت فأئذنه تخنق على بعض الناس ، وشعر الأزهرون أنفسهم أنهم يعتمدون عن شعب مهمتهم

الكبرى إرشاده وهدايته ، وينفصلون عن مجتمع ملهم في الحياة تهذيبه وتنقيفه ، وإذ ذاك لاحت بارقة أمل خلال جهود المصلحين في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن . ثم جاء عصر جلالة مولانا الملك المعظم ، فتوجهت عنايته السامية الى إصلاح الأزهر والمعهد الديني إصلاحا شاملا ، فوضعت له لأنظمة واللوائح الحالية ، وقسمت لدراسات عالية فيه على كليات تقوم كل واحدة منها بنوع من الدراسات الإسلامية والعربية ، على عظم جامعي خشي معه بعض الناس أن يتحول الأزهر عن تقايده ومميزاته الى نظام المدارس المسدية ، لكنهم ما لبثوا أن شهدوا معجزة الأزهر تبرز أمام العيون واضحة جليلة ، فإذا العلوم والعنون الأزهرية التي استقرت في كتبنا القديمة تتحول الى دراسات عصرية منظمة محتفظة ، بطابع الأزهر في دقة البحث ، وعمق التحليل ، وإذا أساتذة العلوم المستحدثة في النظام الجديد المنتدبون لذلك من الجامعة المصرية والمدارس العالية يلقون محاضراتهم المختلفة في كلياته بيجاب شيوخه ، وإذا عقول الطلاب تتسع للجديد الطريف وللقديم العتيق في ثوبه الجديد ، وبهذا أخذ الأزهر يسترد زعامته الأدبية والعلمية بعد أن نافسته معاهد ستمدت حياتها منه .

وللأستاذ المراغي في تأسيس هذا النظام عظيم الفضل ، وجهوده كبير الأثر في تكوينه .

أيها السادة :

أترك لحضرات الخطباء والشعراء بمدى تفصيل الكلام على فضل الأستاذ الأكبر وجيل أعماله ، وأختم كلمتي بالتوجه الى الله تعالى بالحمد والثناء على توفيقه وحيل رعايته ، وأضريح اليه جل شأنه أن يهب الأستاذ الأكبر التوفيق في عمله ، ويرزقه السداد والحزم في رأيه ، ليحقق بالأزهر وفي الأزهر ما ينشده العالم الإسلامي من إصلاح ، بفضل ما يسديه جلالة الملك المفدى من رعاية ، ويخص به الأزهر من عطف وعناية .

أدام الله جلالة الملك ذخرا للوطن العزيز ممتعا بالصحة الكاملة، وأبقاه حاميا للعلم والدين، وأقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب أمير الصعيد، آمين



جلال مشيخة الأزهر والأستاذ الأكبر

ثم عقبه حضرة صاحب المضيلة الأستاذ المجل الشيوخ على سرور التكلوني المدرس بكلية أصول الدين فقال :

سأنتي :

الأزهر كما تحدث عنه التاريخ، وكما تصورتاه حين رحلنا اليه في نعومة الأظفار، وكما يعرفه المصريون وغير المصريين حين يخطر ببالهم، ويحجون اليه لطلب العلم، هو هذه الشخصية الكبرى البارزة في العالم، والتي ينعكس منها على طلابه ورواده نور العلم وجلال الدين، والتي عاشت ألف سنة إلا قليلا وهي تصارع الأحداث والأحداث تصارعها بآلم بقوى احتاله أضخم بناء في التاريخ، ولولا سر الله الخلق لتلاشى، فهو الذي حفظه، ولا يزال يحفظه ويجدد مجده الى اليوم .

إن الأزهر كما تواضع عليه الناس هو الذي تحيا عليه علوم الاسلام والقرآن، وهي أسمى ما نستكمل به النفس الانسانية قواها . والأزهر بمقتضى وضعه وطبيعته يجب أن يكون خالصا لله وحده . فإذا أملت به الأحداث وسلطت عليه تيارات الأهواء الملتوية فله فيه نصيب كبير . دينه، وعلومه . وهذا الشباب الفضل من الطلاب الذين يبحثون اليه بنية صادقة ليتفقهوا في دين الله ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون، لله فيه النصيب الأوفر، والله غيور على دينه، وعلى وحيه، وعلى هذا الشباب الفضل الذي يجب الخير ولا يريد إلا الخير . ومن هنا تدركون سر بقاء الأزهر وثباته على كثرة ما نزل به من أحداث وغيره .

سادى :

ماهى مشيخة الأ زهر ؟ لا أريد أن أعرض الى مشيخة الأ زهر بالنظر الى ماورثته عن العواصم الاسلامية من خلافة العلم والدين ، ولا الى ما قامت به من جلائل الأعمال فى عصور مصر المختلفة ومواقفها المشرفة فى وجوه الظالمين ، فذلك للتاريخ وحده ، ولكنى أتحدث عنها الآن بالنظر الى طبيعتها ، والى ما يفهمه الناس فيها قبل أن يحتكم الهوى وينتشر الفساد .

بن مشيخة الأ زهر هى القوة الدينية الكبرى ، التى تقوم بمعونة الأسانذة والطلاب على حراسة الدين وإحياء تعاليمه ، فإذ فكّر العقل تفكيراً مستقيماً ولم يلتفت الى زخارف الحياة الكاذبة ، فلا يستطيع أن يدرك الجلال الحق إلا فى كنف هذه الرعاية السامية ، لأن شرف الأشياء بشرف غاياتها ، ومشيخة الأ زهر تقوم على حراسة ما به تؤدى وظيفة الرسل عليهم لصلاة والسلام ، ووظيفة الرسل إذا أدت على وجهها فكلها خير ، وكلها سعادة .

لى أن قال فضيلته :

أما الأستاذ الأ كبر فيكفى تكريم الله له ، فقد عرفه الناس عزيزاً مكرماً ، وتولى مشيخة الأ زهر للمرة الأولى ومارفها وهو أعز وأ كرم . واليوم نجيشه مشيخة الأ زهر على قدر ، وهو بزاد عند الله وعند الناس وجهة وجلالا . وإذا جاز فى عرف الأمم التكريم على ما يكون منحة من الله وفضلا ، فإننى أ كرم أستاذنا المرافق مع المكرمين داعياً له وللأمة المصرية بالتوفيق والسداد .

وإنى قبل أن أبرح مكافى هذا أبتهل الى الله تعالى ، وأرجو أن تقبلوا معى بقلب خالص ، أن يحفظ لنا حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك ويؤيد ملكه ويتم شفاهه ، وأن يجعل لنا من سمو ولى عهده الرجل الشهيء الموفق ، وأن يحقق الله بهما وبالشعب للصبرى مصر الآمال م

ثم نهض حضرة صاحب الفضيلة لأستاذ الجليل الشيخ سليمان نوار المفتش بالمعاهد الدينية وأشد هذه القصيدة :

تولت صروف الدهر واعتذر الدهر	ومادت الى الاسلام أيامه الغر
فمالك لا تشدو وشدوك ساحر	وحولك ما يهنا به الطائر الحر
ومثلك صداح إذا انكشف الدجى	ومثلك من غنى لصدحته الطير
أصداحة الدنيا لللعن صونها	مكانك فوق الدوح قد طلع الفجر
تنبيه أمام العين غرمت به	تبارى شمع الشمس آياتها الزهر
تم سطعت في الكون آى محمد	وأعجزت الأقوام أعماله النضر
وسارت مع الأرواح شرقا ومغربا	فما ردها بر وما عافها بحر
وساوت بأمر الله والله عالم	فقربها الاسلام وارتعد الكفر
مماخر لم أحد عليها محمدا	فليس لمثل ذلك الخلق النكر
ولكن وحب المجد ملء جوانحي	وليس لنفسى عن تطلبه صبر
أحب لنفسى أن تكون كما أحد	تقيه به العليا ويحتفل الدهر
وما الفقر بالأموال والمال زائل	وكم تله وغد وكم حازه غر
ألا إن أخلاقا أقامت منارا	تردد آيات المرائى هي الفخر
أمعزة لأيام ما الشعر بالغ	مداك وإن أوفى على الفك الشعر
لحدث عن الأسرار في فك النهى	وخفف فلن يقوى على فهمك الفكر
فأمرك غيب لا يزال عجيبا	وسرك أمر دونه السر والجهر
رويدك لم أبعد أنا ابن عقائد	يجيش بها صدرى فيدفعها الصدر
لعمر الشعور الحى إن محمدا	عجبة عصر حار في أمرها العصر
إذا كان في حق المعاهد طالما	سما شأنها والقدر يسحو به القدر
وكف صوح القول عن جهاته	وأثنى عليها راغما وله المنذر

تسير به الأعمال سير كواكب
إذا ما ظنّون البر والفضل حومت
إذا ما ظنّون الشر أرجف أهاما
هو الروح يسرى في المعاهد كلها
فللعبد بمث ناشط في ربوعه
يقولون قانون نظام إدارة
ألا إنما القانون دين وغفة
وقانوننا والحمد لله محكم
وليس سوى رأى لمراعى وحكمه
دعوناك للجلى وأنت كفيتها
أضواء بها الآفاق وانتظم السير
عليه رأيت الظن يسبقه السير
فسرعان ما يحسو ظنونهم الخير
ففسرى بمسراه التزّهة والظهر
وللعلم والأخلاق في ساحها نشر
لوائح، ما هذا الليلب، بل القشر
وعزّة نفس لا يوهنها قسر
ولا يقبل التعديل من نصه سطر
وحكم المرافى العدل والرفق واليسر
فسر ورضاء الله ربى لك الأجر

* *

رسالة الأزهري

ثم نهض حضرة الأستاذ الفضال صالح هاشم وكيل كلية اللغة العربية فالتقى
هذه الكلمة :

حضرات السادة :

إننا حين نتحدث عن رسالة الأزهري إلى العالم نعتبرها بحق تفسيراً صادقاً لما اشتملت
عليه الدعوة الإسلامية التي فتح الوحي بأغراضها السامية تاريخ الإسلام . قد نهض بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وورثها الخلفاء من بعده ، وظهرت مع طلائع النزاة من
أبطال المسلمين على شواطئ البحار وفي أقاصى الأقاليم ، وحملها المصلحون من صدور
السلف إلى الناس بمثل ما ابتدأت به : من التذرع بالإقناع ، والتزّه عن الإكراه في الدين ،
وتهيئة الاستعدادات البشرية للاقتناع بما تضمنته تلك الثقافة المليئة بتعاليم الإسلام ،

من أدق أساليب الحكمة، وأفضل أوزان النظام والعدل، حتى أظلل الناس رواق السلام، واستقرت كلمة التوحيد في أذن العالم.

وظلت هذه الدعوة الإسلامية تفتح أقفال القلوب وتغزو قلوب الشبهات الباقية في عقائد البشر، حتى إذا استبحر العمران وتناثرت أطراف الخلافة، وتسرب إليها كثير من السلالات المخيلة، وتحكمت العناصر الأجنبية في مقاليد الأمور، بطلت النخوة، ووهنت الحجة الدينية، وتحللت الوثائق الواشجة في الدولة، وظهرت الفرق المختلفة، وتراخت عزائم القائمين بالبلاغ من حملة هذه الرسالة.

وهناك في أواسط القرن الرابع الهجري، وفي مواجهة هذه المشاكل للهددة لكيان ذلك البنيان الضخم من مجد الإسلام، دخل الفاطميون مصر، وبنى الجامع الأزهر، ووضع بذلك أساس أول جامعة دينية كبرى في الشرق بأسره، بل في العالم أجمع، وما هو إلا أن مضت طفولته مع الزمن حتى شخصت إليه الأبصار، واستشرف المشفقون من أهل الملة نحوه بالرجاء، وتراحت بركيانهم إلى رعايه مسالك الأمصار والبلدان، وأقبل المسلمون بنفرون إليه من كل فرقة منهم طاقة ليتفقهوا في الدين وليندروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

ويومئذ اضطلع الأزهر وحده بهذه الرسالة، وانتهت إليه هذه الوصاية الدينية، فاستقل يلائحه، وألبس الداعين إليها من رجاله وتلاميذه ثوباً سائفاً من الهابة، وملاً صدور العالمين من الثقة بهم والتوقير لمكانتهم إلى ما لا مطلب بعده ولا مستزاد معه، حتى صار الانتساب إليه عنواناً على الدين، وطريقاً إلى الرضا، ووسيلة إلى المزية في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وحجج إلى كميته طالاب العلم من أقطار العالم، وتولى قيادة النهضة الدينية والعلمية في المشرقين، وحفنه عنابة الملوك والسلاطين، وعضى ذكره مع مدار الشمس إلى الآفاق، والتمعت من جوانبه أشعة الهداية الربانية لحاسن التناوب والتبصير

بمخارج السنة، والاحتفاظ بآثار الأوائل من أهل الفقه وحماء الملة، وأخذ هدايته من كبار العلماء مكانهم من تاريخ العمران الاسلامي.

ولقد كان من عجائب ما ذكره الله في علمه القديم من الصور لهذه الرسالة الأزهرية أن جعل ما نزل بالامة لاسلامية من السكوارث مجددا لشباب هذه الجمعية، وفاتحا لأبواب أخرى من الحياة فيها، فتلكم غارة التتار على بغداد وقد قعقت أوصال البلاد، وفتكت بكل مصون من ذخائر الامة الاسلامية، قد جعلت جموع العلماء من كل مكان تنساب الى الأزهر، وهجر كثير من كرائم العشائر الى القاهرة، ولبى أصحاب اللواهب والصناعات العلمية الى البلاد المصرية، فاحتفظت القاهرة بعد قليل بما كان متفرقا في الحواضر الاسلامية من ثقافة ومدنية وعلم والأزهر قائم يدافع عن أركان الملة نهيم الملاحدة ولمغوين من دخلاء الأمم، ويتجرد المصلحون من علمائه لتفتية جوانب الشريعة المحمدية من ابتداع أهل الزيف وتدسيس الحشوة من المنافقين والمأجورين، ويصون لغة القراء أن تذهب بها رطابات الغالبين وتودى بها أحداث الزمن، وأبلغ الأزهر في أداء هذه الرسالة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم والتقرير لدقائق محاسنها والكشف عن أسرار مطابقتها لأرقى ما يتطلبه الاجتماع البشري من الإصلاح الى حد جعل الفاضحين القاهرين من الكفار يعشقون ديانة للقهورين، كما فعل جماعات من الأتراك إبان دخولهم مصر. فكان ذلكم من أعظم مظاهر الانتصارات الخالدة للرسالة لاسلامية، التي يتقلد الأزهر ولايتها، ويحمل ما تعظم طوائف المسلمين في العالم من بلاغها.

والآن وهذه الجامعة الأزهرية تدخل في دور جديد من التحول الإصلاحي، وتنبأ لمسيرة النشاط الحديث من المدييات المصرية، وتأنب لإبلاغ رسالتها الى العالم بأسره لا الى المسلمين وحدهم على نسق متجانس من الثقافة العالمية، الآن

يرتقب عن كتب خطوات هذه الجماعة فيما أعد لها من مناهج ، وينتظر بين الفبطة والشجاعة ما ستصل اليه من نجاح .

ترون حضراتكم أن العبء ثقیل ، وأن النعمة غليظة ماحدة . ترون أيها السادة أن الأمر جد يتطلب العزم الصارم ، والخطوة الحازمة ، والجهود المتسادة ، والثورة العنيفة على ما عسى أن يكون باقيا من الجمول العقلي والانسكال على أحلام العاجزين ، فإنا مقبلون على امتحان لا ينفق في سوقه الزيف ، ولا تنفع معه الحيل ، ولا تقبل فيه إلا شفاعاة الإخلاص لدين الله ، والبر برسوله ، والمعاماة عن شريعته ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .

وإني ليسرني أن أوه عن الاعتباط والتغافل بهذا العهد الجديد ، الذي يتولى قيادة الثقافة الإسلامية فيه ذلكم الامام المصلح الكبير ، الأستاذ الشيخ محمد مصطفي الراعي ، الذي يعتبر بحق مؤسس هذه النهضة الحاضرة ، وحارس بنياتها الراسخ ، في ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، الذي تزدهر هذه الجامعة الأزهرية في عهده بمصرها الذهبي . بيد الله ملكه وحرس أديكته ، وأقر عين جلالته وأعين رعيته بولي عهده المحبوب أمير الصعيد الأمير فاروق ، أبناؤه الله :



ثم صلا للنبر حضرة صاحب الفضيلة الشاعر الأملح الشيخ عبد الجواد رمضان
فأنشد هذه القصيدة :

دَعَا بِاسْمِكَ الْآمَالُ فِيهِ بَوَاسِمُ	وَبَلَّوْا بِهِ الْأَرْوَاحُ وَهِيَ حَوَاسِمُ
دَجَالِبُهُمْ حَتَّى إِذَا لَحَتْ أَصْبَحُوا	وَأَنْفُ الدِّيَابِجِي وَالْحُرَادِثُ رَاغِمُ
هُوَ الدِّينُ ، فَادْعُ عَرْشَهُ بِمَرْيَمَةَ	فَقَدْ وَهَنْتُ أَرْكَانَهُ وَالْعَاسِمُ
وَمَا الْأَزْهَرُ الْعُمُورُ إِلَّا مَنَارُهُ	وَلَا أَهْلُهُ الْأَدْنَوْنَ إِلَّا الْعِاسِمُ

مطالع بمن لزمان وأهله بها تسعد الدنيا وتدنو العظام

فيا رجل الاسلام أدرك رحاله فقد أنكرتهم في الحياة المكارم
وفيهم ، بحمد الله ، غر أزاهر وفيهم بحار في العلوم خضارم
إذا عاجلوا كانوا الشفاء وإن دعوا إلى رد باغ فالندرا والمقام
وكم لهمو — في الله — غر مواقف تتشوق ربابها القرى والعواصم

أولئك أجناد إذا جدد جدم سميت بهمو للفرقدين العزائم
إذا ما المراعى قام تحت لوائهم فقد زارت في الغاب تلك الضياعم
فتى فتية الشرق الأولى تنجلي بهم غياهبه ، والشرق بالخطب غائم
وصارم هذا الدين دين محمد وقد أسلمته في الجلاء الصوارم
فمن مینغ أفند يثرب أننا سلمنا ، على أن ليس في الناس سالم
وأن الذي شاد النبي محمد على حفظه شيخ السراغة قائم
نبواً عرش الدين فاهنر ركنه وطاولت الجوزاة منه القوائم
وأمست شعوب الشرق نشوى فورة نسام في تكريمه وتراجيم
فصلراه أن يدعو بها عمرية ترد وجوه الشرك وهي سوام
إذا تلتقت في مصر أضواء شمسه سميت في هذاها للكمال العوالم

مؤاذ ، أعز الله راية ملكه توالى على الاسلام منه منام
أحل علاه في ذرا متنع فساد اليه مجده المتقادم
فبورك مولى كل تاريخه حلى وشانيه مصكروب وواحيه غائم
ولا زال للفاروق لسمة شارق على لغره من طابع الملك خاتم

كلمة الطلبة

ثم قام حضرة الطالب الغيور الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري فألقى هذه الخطبة :
حضرات أصحاب السمو ، حضرات أصحاب الدولة والعلی ، أيتها السادة ، مردنا
الأستاذ الأكبر :

أعترف أن الناس حين يحتشدون لتكریم عظیم راعیه منه ما دفعهم الى تكریمه
وتعجيبه ، إنما يحاولون أن ينتزعوا ما يجيش في صدورهم ، وتنطوى عليه نفوسهم
من حب له وإعجاب به واطمئنان إليه ، وأن يصوروا ذلك كله صورة صادقة كلها
إطراء وثناء .

ولكن شباب الأهر ببحكم خضوعهم لميزات الشباب ، لا تعرف عواطفهم حدا
تقف عنده ، ولا مشاعرهم غاية تنتهي إليها ، فهم لذلك عاجزون عن تجلية ما يهمر
نفوسهم من غبطة بما نال الأهر ، ويعترف قلوبهم من حب للأستاذ الأكبر . بل إنهم
لأغنيا عن تجلية عاطفة وإظهار غبطة ، بعد أن أرسلوه هتافا مدويا ملأ سمع الدهر ،
وشمل جوانب الدنيا ، فاهتزت له حتى جدران الحصون .

لا نقول إذن في هذا الحفل الحاشد ليطلع الناس منا على حب صادق ، وصرور شامل
وولاء عظیم ، فذلك ما تشهد له الحوادث ، وتنطق به الوقائع ، وذلك ما سيرويه الزمن
ويتحدث عنه التاريخ .

ولكننا ننزهها فرصة طالما تمنيناها فتأيت ، لنشهد الأمة بمثلة في عظامها
وزعمائها وذوى الرأي فيها ، أن شباب الأهر لم يضطرب اضطراب البرى ، تهاوتا على
مستقبل ناعم ، ولا يشارا لمرض زائل . ولكنه الوفاء لله ولدينه وللإنسانية ، دفعهم
الى تقدير مهمتهم ، وتعريف واجبهم ، والاتصال بأمتهم ، وقد كانوا اقتطعوا من هذه
الأمة ومقصعة منها ، وأبسنوا أو كادوا يبعدون عن نصرة دين الله ومجاة هذا

الدين الكرم . فحبوا يهيمن عليهم جلال غرسته فيهم العزة الاسلامية ، وشأنهم عليه التريفة الأزهرية ، ثم هتفوا بالاستاذ المرائي رمزا للأزهر لاشيغوا للأزهر غيب . فالاستاذ المرائي في رأينا - نحن شباب الأزهر - مبدأ نرسله الحياة في منطقتها عزيز ، وتردده لدينا في حديثها مشاخي ، وتستشرف له النفوس الباردة فخلصة ، لأنه لشدة العقل ، بل غاية الانسانية ، بل أمل الشريعة وهتاف الدين .

وإنها لأول ظاهرة رائمة تحل فيها ذلك المبدأ المقدس ، تلك الصيغة الخازمة تنزع الى حياء الخلق من موت ساحق ، وترى الى تطهير الاسلام من هوى ضال .

صيغة ابتغها الشيخ العظيم في دستور الهدى الوقور ، تحمل أسمى ما ينبغي المخلصون للأزهر من عزة ومنعة ، فاهتز لها المنبر ، ووعاه الحشد المهتلل ، ومشيت بها الآمال الشبية ، تصدفع في القلوب غبطة ، وتراعى على الوجوه بشراً ، وتشرق على الأفواه بسمات ، يسمو معها على الشعر ، ويتأبى على الخيال .

لقد شاء الله أن يدفع بالأمل الياسم ، في أعقاب اليأس الحاطم ، وأن يرفعه عن نفوس كان قد لج بها الحزن الباكي ، وحصمها الألم العنيف ، فاستيقظت فيها الثقة ، وعاودها الايمان بأن الأزهر سوف يتصل بالحياة أنيل الاتصال وأكمله ، يقوم في المجتمع الانساني الشر ويصطلم منه الفساد ، ثم يشعره بم في الاسلام من سمو وطهر ، وعدالة وإقناع ، ومن ذلك يهديه الى حيث يستروح من دستور الله عزيزا ، وشرعته متبعة ، كل ما يستشرف له من مجد وسؤدد وكال .

لعل في الناس من يفهم الإصلاح معنى تستجيب به متع الدنيا ، ومظهر تخف اليه لتأخذ الحياة ، ولكن الشباب الأزهرى الطامح لا يراه إلا لتمكيننا من فهم الاسلام وروا ساريا في النفوس ، لا لفظا حاريا على الشفاد ، حتى يتسنى له أن يؤدى رسالته كما يريد الأزهر ، وعلى ما يجب الله . فهو لذلك يقدر المصلحين ويهتف بهم ، ويدافع عنهم دفاعه عما قد ارتفع الى مكان المقيدة من نفسه .

يا صاحب الفضيلة :

هذه فلوبنا ، بل هذه أرواحنا ، تستيق عهدك عهدا جريئا بريئا ، لا يحفزنا اليه إلا إخلاصُ لله ، وإنصافُ للأزهر ، ووفاء للإنسانية .

وإنا نشهد الله ورسوله والمؤمنين على أن شباب الأزهر أول من يسلمك قياده راضيا ، لتوجهه وجهة الخير والصلاح ؛ وأول من يلي دهنوك فينصر الخلق ويسوس الروح سياسة حكيمة حازمة ، وأول من ميخلص للعلم ليبق العلم عزيزا ، ونحيا للأزهر ليستقبل الأزهر ألف عام أخرى ، يفخر به الوطن العزيز ، ويقزع اليه الشرق المهبص ، ويمتد به الاسلام المقدس .

وفقكم الله ، وسدد في سبيل الخير والاصلاح خطاكم ؛ كما نضرع الى الله أن يحفظ جلالة ملك البلاد ، وأن يقر عيليه بسمو ولي عهده المحبوب أمير الصعيد ؛

* *

ثم عقبه حصرة صاحب الفضيلة الشاعر المطبوع الشيخ محمد الأسمر فأنشد هذه القصيدة :

ابن المميز الفاطمي وجوهر	بريان كيف اليوم صار الأزهر
عادت الى للعمور روعة مجده	مما أقام رجاله والأعصر
وتلاأت شمس الهدى في أفقه	فجئت بحسنه التي لا تنكر
من بعد ما خفيت معالمها بدت	حتى ليصرها الذي لا يبصر
والليل يفتى الكائنات فلا نرى	وتلوح في كنف الصباح ونظاهر

* *

الأزهريون النداء تمشوا	لله نعمته التي لا تنكفر
أحمد لعق طلمعت عليهم	حلم يرى رأى العيان وينظر
فندققوا بحرا يرب عياه	من كل ناحية يجيش ويزخر
وظللت أسأل صاحبي متحيرا	ومن الحقيقة ما يرى فيحير

هل عاد (نابليون) صودة ظافر
 أو أنه (كسرى) وذا نيزوزه
 وسكت ثم سمعت أصوات لى
 وتقول: لا كسرى ولا أمثاله
 فشكت ثم نظرت نظرة فاحص
 وإذا الجلالة والهاية منظر
 وإذا الهداية والراية كلها
 فغرورقت عيني وأسبل دمعها
 وأما لها أمنية قد حتمت
 إجماع كل المسلمين ورغبة
 قدمت أبين مقدم وأجله
 ومثلت في أفق الحوادث كركبا
 ورجعت دارك كوة أخرى وما
 ومشي بنوها في ركابتك كلهم
 وتدافعوا كي يحملوك وراعهم
 هل جاءهم من قبل ذلك أنه
 مال الكواهل والبحار رويدكم
 خلوا الطريق لمن سيعمل عنكم
 ولن سيجعلكم رجالا مثله
 ولن لديه قلوبكم ومقولكم
 ولن يصوغكم نفوسا حرة
 ولن إذا بعض الحوادث أجلبت
 يتي العواصف وهو أظهر ما يرى

أو عاد من فزوانه الا سكندر
 أو أنه ملك للمالك قيصر
 تدعو بأحسن ما سمعت ونجهر
 بل فلكم شيخ الشيوخ الا كبر
 فإذا القوام السهرى الأسمو
 وإذا السباحة والوداعة غدير
 وللصلح المترقب المستنظر
 ومن السرور مدايح تتحدر
 ورؤى رأيناها فجت تبهر
 ظلت بها كل المدائن تجار
 حتى لأصبح وهو ذكر يؤثر
 للنيت أعقبه السحاب المطر
 أحلى مذاق الحلو وهو مكرر
 منهل متفائل مستبشر
 ما أبصروا من الجلال فشمروا
 حملت على بعض الكواهل أبحر
 خوا الطريق لوجها لانفمروا
 أعياءكم ومحوطكم ويدبر
 والشبل يقتل ساعديه القصور
 يحلونها كبا يشع الجواهر
 تغير الدنيا ولا تغير
 وفي يدافع عنكم ويزجر
 لا خائف حفر ولا متستر

أغنته عن حبل الضيف عزمة
والليث أبرز ما يكون مصاولا
(شيخ الشيوخ) ولا أزيدك بعدها
وأرى صغير النفس إن يثر به
فانهض بعينك يا محمد إنه
واجمل بطانتك الكرام فانهم
وم شذا لكم وم نفعاتكم
ولكل كون كائنات مثله
الأزهر فوق روض ذاه يانع
ولكل كون بمد ذاك لسانه
فالبروم من لغة الظلام وفي الضحى

فبها المجلى في السياق مقصر
حق الثناء وإن مثلك يعمر
ظلت معاهدها خلاص تصغر
وسهرت حولها تشيد وتعمر
والأزهر للعمور بيت آخر
فيه يمينك نهري التنجهر
حذب يطوف على بنيه ويسهر
يجرى به قلم البليغ ويسطر
يثنى عليك فما يقول الأسمر
الدهر منشدها ومصر المنير

شيخ الشيوخ جرى الفريض لغاية
فاعذر فلست بمن تفيه قصيدة
أحيا بك الله الشريعة بمد ما
وحيت كعبته بمصر وصننها
له بيت فوق مكة قائم
والأزهر للعمور روض موقن
أنت الرئيس له وأنت به أب
ماذا يقول الشعر فيك وما عسى
أهمالك البيضاء أكبر شاعر
وأرى اجتماع اليوم خير قصيدة

خطبة فضيلة الاستاذ الأكبر

ثم نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر وسط عاصفة من الهتاف والتصفيق فألقى هذه الخطبة للجامعة التي تعتبر في ذنها دستوراً علمياً سيقوم عليه الأزهر فيحقق الآمال فيه :

مضرات السادة المدعوين :

أحمد الله جل شأنه على ما أولانيه من لكرامة بهذه المنزلة في نفوسكم ، وأشكر الحضرات الداهين المحتفلين بكم وكرمهم ، وعاطفة الحب الفيض البادية في قلوبهم وفعلهم ، في شعركم ونثرهم ، والحضرات المدعوين تشریفهم واحتمالهم مشقة الحضور الذي أعربوا به عن جميل عطفهم وحبيبهم .

ويسهل على قبول هذه المن كلها واحتمالها إذا أذتم لي في صرف هذه الحفاوة البالغة عن شغفي الضعيف ، واعتبارها كلها موجهة الى الأزهر الشريف ، الذي تجلونه جميعاً ، وتعتبرونه بحق شيخ المعاهد الإسلامية في مصر وغيرها من البلاد .

ولئن دل هذا الاجتماع بالقصد الأول على غرض التكریم ، فقد دل بالإشارة والتبع على معانٍ أسمى من غرض التكریم .

دل على أن الأزهر خرج من عزلته التي طال أمدها ، ونهض يشارك الأمة في الحياة العامة وملايساتها ، وعزم على الاتصال بها ليضد ويستفيد . وهذه ظاهرة من ظواهر تغير الاتجاه الفكرى ، الذى نشأ عن تغير طرائق التعليم فيه ، وعن شعوره بأن في الحياة معارف غير معارفه القديمة يجب أن تدرس وتعرف ، وطرائق للتعليم يجب أن تحتدى ويهتدى بها .

ومنذ أربعين سنة اشتد الجدل حول جواز تعليم الحساب والهندسة والتاريخ في الأزهر ، وحول فائدة تعليمها لعلماء الدين . ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا

كتاب الهداية في الفلسفة في داره ، على شرط أن نكتب الأمر لثلاثتهما الناس ويتهمونا بالزيغ وثرندقة . والآن تدرس في كلية أصول الدين الفلسفة القديمة والحديثة ، وتدرس الملل والنحل ، وتقارن لديانات ، وتعلم لغات أجنبية شرقية وغربية .

ومن الحق أيها السادة علينا ألا ننسى في هذه المناسبة - والحديث حديث الأزهري والأزهريين - ذلك الكوكب الذي انبثق منه النور الذي نهتدي به في حياة الأزهري العامة ، ويهتدي به علماء الأقطار الإسلامية في فهم روح الإسلام وقصائمه . ذلك الرجل الذي نشر الحياة العلمية والنشاط الفكري ، ووضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم ، وعبد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها ، وصاح بالناس بذكرهم بأن العظمة والمجد لا يبنيان إلا على العلم والتقوى ومكارم الأخلاق . ذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته ، ولم تدره قدره إلا بعد أن أمعن في التأريح . ذلك هو الأستاذ الإمام محمد عبده ، قدس الله روحه وطيّب نراه ! وقد مر على وفاته ثلاثون حولاً كاملة ، ومن الوفاء بعد مصى هذه السنين ونحن نتحدث عن لأزهري ، أن نجعل لذكره المكان الأول في هذا الحفل ، فهو مشرق النور ، وباعث الحياة ، وعين الماء الصافية التي نلجأ إليها إذا اشتد الظلم ، والدمعة المباركة التي نأوى إلى ظلها إذا قوى لفتح الهجير .

الأزهري كما تعلمون أيها السادة هو البيئة التي يدرس فيها الدين الإسلامي الذي أوجد أمماً من العدم ، وخلق تحت لوائه مدينة فاضلة ، وكان له هذا الأثر الضخم في الأرض ، فهو يوحى بطبعه إلى شيوخه وأبنائه واجبات إنسانية ، ويشعرهم بفروض صورية ومعنوية يمدون مقصرين آثمين أمام الله وأمام الناس إذا هم تهاونوا في أدائها . وإنهم لا يستطيعون أداء الواجب لربهم ودينهم ولمعهدهم وأنفسهم إلا إذا فهموا هذا الدين حق فهمه ، وأجادوا معرفة لغته ، وفهموا روح الاجتماع ، واستعانوا بمعارف الماضين ومعارف المحدثين فيما تمس الحاجة إليه مما هو متصل بالدين أصوله وفروعه ، وعرفوا بمض اللغات التي تمكنهم من الاتصال بأراء العلماء والاستزادة من العلم ، وتمكنهم من نشر الثقافة

الاسلامية في البلاد التي لا تعرف اللغة العربية . هذا كله يحتاج الى جهود تتوافر عليه ،
والى التسايد التام بين العلماء والطبية والقوامين على التعليم ، ويحتاج الى العزم والتصميم
على طي مراحل السير في هدوء ونظام ، وجد وصدق نية ، وكمال توجه الى الله ، وحب
للعلم لا يزيد عليه إلا حب الله وحب رسوله .

وللمسلمين في الأزهر آمال من لحق أن يتنبه أهلها :

أولاً - تعلم الأئمة الاسلامية المتأخرة في المعارف ، وهدايتها الى أصول الدين ،
والى فهم الكتاب والسنة ، ومعرفة للفقه الاسلامي وتاريخ الاسلام ورجاله ، وقد كثر
تطلع هذه الأئمة الى الأزهر في هذه الأيام ، وزاد قاصدوه منها أفراداً وجماعات ، وشتت
طلبا لعلماء الأزهر يرحلون اليها لأداء أمانة الدين ، وهي بيانه ونشره .

ثانيا - إنارة كنوز العلم التي خلفها علماء الاسلام في العلوم لدينية والعربية والعنلية ،
وهي مجموعة مرتبط بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات . وقد حاول لعلماء كشفها
فنبهوا عنها وبذلوا جهودا معضنية ، وعرضوا نتائج بعضها صحيح ، وكثير منها غير صادق .
وعذرهم أنهم لم يدرسوا هذه المجموعة دراسة واحدة ، على أن بعضها متصل بالآخر كما
هو الحال في دراسة الأزهر . فإذا وفق الله أهل الأزهر الى التعمق في دراسة هذه
المجموعة دراسة قديمة وحديثة ، ودراسة للمعارف المرتبطة بها ، وأتقنوا طرق العرض
الحديثة ، أمكنهم أن يعرضوا هذه الآثار عرضا صحيحا صادقا بلغة يفهمها أهل العصر
الحديث ، وإذا ذلك يكونون أداة اتصال جيدة بين الحاضر والماضي ، ويطلعون العالم
على ما يهمل الأنظار من آثار الأقدمين . وأعتقد أن التعليم الأزهرى على النحو الذى
أشرت اليه هو الذى يرجى لتحقيق هذا الأمل ، وأنه مدحر لا بئانه ، إن شاء الله .

ثالثا - عرض الاسلام على الأمم غير المسلمة عرضا صحيحا فى نوب نقي خال من
الفواشى المشوهة بجماله ، وخال مما أدخل وزيد فيه ، ومن الفروض المتكلفة التى بأبها
الذوق ومعجها طبع اللغة العربية .

رابعا - العمل على إزالة الفروق المذهبية ، أو تضيق شقة الخلاف بينها ، فإن الأمة في محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرق . ومعروف لدى العلماء أن الرجوع الى أسباب الخلاف ، ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي ، تهدي الى الحق في أكثر الأوقات ، وأن بعض هذه المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة في القرون الماضية لمناصرتها ، فغشطت أهلها وخلفت فيهم تعصبا يساير التعصب السياسي ، ثم انقرضت تلك المذاهب السيلسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا ترتكز إلا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها ، وهذه المذاهب فرفت الأمة التي وحدها القرآن وجعلتها شيعا في الأصول والفروع ، ونتج عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين ، ونتج عنه سخف ، مثل ما يقال في فروع الفقه الصحيح : إن ولد الشافعي كف ابن الحنفى ، ومثل ما يرى في المساجد من تعدد صلاة الجماعة ، وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف في التوسل والوسيلة وعذبات العائث وطول النحي ، حتى إن بعض الطوائف لا تستنحي اليوم من ترك مساجد حمرة المسلمين وتسمى لا إنشاء مساجد خاصة .

من الخير والحق أن نتدارك هذا ، وأن يعنى العلماء بدراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة دراسة عبدة وتقديم لما فيها من هداية ودعوة الى الوحدة ، دراسة من شأنها أن تقوى الرابطة بين المبدوري ، ونجعل المؤمن رحب الصدر هاشا باشا للحق ، مستمدا لقبوله ، عاطفا على إخوانه في الإنسانية ، كارها للبغضاء والشحناء بين المسلمين . قد أنهم بأنى تخيلت غفلت . ولا أبالي بهذه التهمة في سبيل رسم الحدود ولقت النظر اليها ، وفضل الله واسع ، وقدرته شاملة ، وما ذلك على الله بعزيز .

الآن وقد أوضحت بالتفريب آمال المسلمين في الأزهر ، ترون أيها السادة أن العبء الملقى على عاتق الأزهر ليس هين الحمل ، فإنه في حاجة الى تعاون الصادق من كل من يقدر على العون : إما بالمال ، أو بالمثل ، أو بالعارف والتجارب . وكل شئ يبذل في طريق تحقيق هذه الآمال هين إذا أنت الجهود بهذه الثمرات الطيبة المباركة .

ایرہا السادة :

أكرر لكم شكری ، وأبث من هذا السكان وفي هذا الجمع المبارك تحية لأزهر
لی للعالم الاسلامی ، والی دور العلم ومعاہده وأنشرف برفع ولاء الأزهر لی مقام
حصرة صاحب الحلالة الجالس علی عرش مصر الملك فؤاد الأول ، وصاحب الفضل
العمیم فی الأزهر فی انصر الحديث . دام الله عزه ، ومتع جلالته بالصحة التامة ولتوفیق
لدائم ، وأقر عينه محضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ولی الھد المحبوب .
والسلام علیکم ورحمة الله .

أداء الحق مع رعاية الادب^(١)

عن لؤلؤة خادم الرشید قال : جرى بين الرشید ونسب عمه زبيدة كلام ، فقال هارون :
أنت طائن إن لم أكن من أهل الجنة . ثم ندم جميع النعماء ، فاحتلفوا . فكتب إلى البلدان
فاستحضر علماءها إليه . فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم ، فاختلوا ، وبقی شیخ لم يتكلم ، وكان
فی آخر المجلس ، وهو الليث بن سعد ، قال فسأله ، قال : إذا أحل أمير المؤمنين مجلسه كلمته .
فصرفهم ، فقال : يدعيني أمير المؤمنين ، فأدناه . قال : أنكلم على الأمان ؟ قال نعم . فأمر بإحضار
مصحف فأحضر ، فقال : تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة الرحمن فقرأها ، ففعل .
فلما انتهى إلى قوله تعالى : «ولن خاف مقام ربه جنان» ، قال : أمسك يا أمير المؤمنين ، قل :
والله . فاعتمد ذلك على هارون . فقال : يا أمير المؤمنين الشرط أسلك . فقال والله ، حتى فرغ
من البين . قال : قل إني أخاف مقام ربي . فقال ذلك . فقال يا أمير المؤمنين : فهمي جنان
وليس بجنة واحدة . قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستور . فقال له الرشید : أحسنت ،
وأمر له بالجواز والخلع ، وأمر له بأقطاع الحبيزة ، ولا يتصرف أحد عصر إلا بأمره ،
وصرفه مكرما .

(١) من كتاب أخلاق العلماء ، تأليف صاحب الفضيلة الشيخ محمد سليم تائب المحكمة الشرعية العليا .

أقول . هذا تصرف عال من جمال العلم ودعى فيه الحق والأدب معا ، ترى الليث عرف ربه الفتوى وهو أن الطلاق لا يقع إذا كانت الرشيد من يخاف مقام ربه ، ورأى في نفسه أنه لا يسبح لها أن يطلق الفتوى على علاتها حتى ينوثق من الشرط وهو خوف الله تعالى ، ويكون هذا تخفيف الرشيد حتى تعلم أن نفس الامام إلى أن تنواه صادفت حقا ، فصرف من في مجلس الخليفة حتى لا يكون تخفيفه بمرأى منهم ، ولا تأخذ الرشيد نفسه كما قد همت حين أراد تخفيفه لو لم يذكره بشرطه عليه أن له الامان معه حتى سكن . ثم لم تكن فتوى الامام خلعة نفس بل من القرءان نفسه ، ولذلك أقرأه المصحف حتى آيه : « ولم يخب مقام ربه جنتان » فاطمان بذلك الرشيد وعرف أنه يمكك حرمه على حل صحيح نص قاطع من كلام الله . وهذه موهبة الحق في غالب أحوالها لا تنفك عن حسن الأدب عند من عقل وعرف .

قال يحيى بن عبد الصمد : خوصم موسى الهادي أمير المؤمنين إلى أبي يوسف في بستانه . وكان الحكم في الظاهر لأمر المؤمنين ، وكان الأمر على خلاف ذلك . فقال أمير المؤمنين لأبي يوسف : ما صنعت في الأمر الذي يتنازع إليك فيه ؟ قال : خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق . فقال له موسى : وتري ذلك ؟ قال قد كان ابن أبي ليلى يراه . قال : فردد البستان عليه .

أقول : وهذا أيضا ذوق خالص من القاضي أبي يوسف : عرف كيف يصل بالحق الذي رآه إلى صاحبه من غير أن يخرج صاحب الدعوى الذي قامت له الديمة وأظهر انقضاء في حانته .

وجاء في الكتاب المذكور تحت عنوان فضيحتهم :
جاء أصحاب الحديث إلى الأحمش يوما ليسموا عليه ، فخرج إليهم وقال : لولا أن في منزلي من هو أبلض إلى منكم ما خرجت إليكم

وخرج سفيان بن عيينة المحدث الورع يوما إلى من جاءه يسمع منه ، وهو ضجر ، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس هو أبا سعيد الخدري ، وجالست عمرو بن دينار وجالس هو ابن عمر رضي الله عنهما ، وجالست الزهري وجالس هو أنس بن مالك حتى عد جماعة ، ثم أما أجالسكم ؟ فقال له حدث في المجلس أنتصف يا أبا محمد ؟ قال إن شاء الله تعالى . فقال : والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بك أشد من شقائك لنا فأطرق وألهد قول أبي نواس :

خل جنيتك رام وامض عنه سلام
مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
إعيا السلام من ألجم فاه بلجام

فتفرق الناس وهم يتعقدون برجاحة المحدث . وكان ذلك المحدث يحيى بن أكنم الخبي ، فقال سفيان هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء ، يعني السلاطين .

وقد سلقت فراسته ، فتولى يحيى قضاء البصرة وهو ابن عشرين سنة ، ثم ترقى حتى ولاة
المؤمنين قضاء القضاة وتدير أهل مملكته .

وعن علي بن حرملة النيسبي عن أبي يوسف ، قال : كنت أطلب الحديث والعقود وأنا مقل
رث الحال ، فجاء أبي يوما وأنا عند أبي حنيفة فأنصرفت معه . فقال : يا بني لا تمدن وجلك مع
أبي حنيفة ، فإن أبا حنيفة خبزه مشوي ، وأنت تحتاج إلى المعاش ، ففصرت من كثير
من الطلب وآثرت طاعة أبي . فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني ، فجلعت أئدها على مجلسه ، فلما كان
ول يوم ، أتيت به بعد فأخبرني عنه ، قال لي : ما شغلك عند ؟ قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي .
جلست فلما أنصرف الناس دفع إلى صرة ، وقال استمع هذه . فنظرت فإذا فيها مائة درهم ، فقال
لي الزم الخدقة وإذا نقدت هذه فأعلمني ، فارتيت الخدقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إلى مائة
أخرى ثم كان يتعاهدني . وما أعلمته بحجة قط ، ولا أخبرته بفادشي ، ما ، وكان كأنه يخبر
سماعها حتى استغنيت ومولت

وجاء تحت عنوان أماتهم :

كان ابن عمر يقول : إذا أخطأ العالم أن يقول : لا أدري ، فقد أصيبت مقالة .
عن يحيى بن سعد قال : سئل ابن لعبد الله بن عبد الله بن عمر عن شيء فلم يكن عنده
جواب . فقلت إنى لأعظم أن يكون مثلك ابن إمام هدى يسأل عن شيء لا يكون عنده منه
علم . فقال . أعظم والله من ذلك عند الله وعند من عقل عن الله عز وجل أن أقول بغير علم ،
أو أحدث عن غير ثقة .

مطبوعات جديدة

من أخلاق العلماء :

هذا اسم كتاب طريف وضعه حضرة صاحب الفصيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد سليمان
نائب المحكمة الشرعية العليا . وزيد من كلمة طريف أنه لم يسج على منواله ، فقد ألم فيه بذكر
أربائة عالم ، وأثبت لكل منهم خمس ما أثر عنه من الفضائل ، شاء استكتاب على هذا النمط
أطروفة علمية أدبية جمعت في نحو ٣٥٠ صفحة ما تشقت في ألوف من الصفحات لا تسنى
قراءتها لعالم أو أديب ، وإن تسنت عز عليه أن يجمعها بين دفتي كتاب واحد مبهوة مرتبة
يرجع إليها في أي وقت أراد . فاستحق بذلك فضيلة القاضي الكبير شكرا لا ينفد من العلماء
والأدباء . جزاه الله من العلم خير ما يجزي به أوليائه .

الاسلام والتجديد في مصر :

هذا كتاب وضعه الدكتور تشارس كيمس الأمريكي وقدم له حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ النابه الشيخ مصطفى عبدالرازق ، ونقله الى العربية حضرة الالمى الاستاذ عباس محمود أحد خريجي قسم الفلسفة من كلية الآداب بالجامعة المصرية . هذا الكتاب يدور حول إيراد تاريخ الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده باعتباره واضع أساس التجديد الدينى في مصر ، ويذكر جمهرة العلماء والكتّاب الذين يعتبرون جارين على جادته ، ومتربعين آثار خطته ، فهو كتاب حافل بالمعلومات عن حركة التجديد المصرية ، مما لا يحوز أن يفشل لاطلاع عليه كل باحث في الدين ، أو معنى بتاريخ نهضة الراهنة .

التجديد في طرق الخطابة والوعظ الدينى :

هذه رسالة وضعها صاحب الفضيلة الاستاذ لشيخ احمد على مدرك من وطاء وزارة الاوقاف عنى فيها بإيراد أكثر من مائة خطبة على طريقة لتجديد لنى يتطبها المصلحون للخطب المنبرية من وحب صوغ المواعظ في قالب يأهه أهل العصر الحاضر ، وعبارات خالية من السجع والتنقيد تؤثر في قوسهم . فنلفت نظر وزارة الاوقاف الى هذه ارسالة ، فانها معنية اليوم بمشروع يرمى الى هذا الغرض الشريف .

أحلام في السياسة وكيف يتحقق السلام العام :

هذه رسالة فُسدة في نوعها وضعها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العامل بعلمه الشيخ طنطاوى جوهرى ، لنى فيها الاستاذ على فلسفته في الحياة الاجتماعية للانسان ، وبسط آراءه في الاصول والمبادئ التى يجب أن يتبها الناس للوصول الى السلام العام والسعادة الحققة . وهذه الرسالة كجميع مؤلفات الاستاذ ملأى بالافكار العميقة ، والنظرات البعيدة ، وحافلة بالوسائل التى يراها مؤدية بالأهم الى كمال المنشود جسدا وروحا .

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم :

لصاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد حسين النجار منشئ المدرسة الاسلامية بأسس رسائل كثيرة في المواضيع الاسلامية . والتي نحن بصدد تزيينها واحدة منها ، جمع فيها طائفة كبيرة من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، كتبها بلغة عصرية طلية تجذب القارئ بسطالة . فترجو

أن تم رسائله جميع المدارس ، وتكثر في أيدي المدرسين وغيرهم ممن يعنون بالافتداه بخاتم النبیین لیصلوا إلى السكال على طریقه المنلی .

الفاروق عمر بن الخطاب :

هذه رسالة في سيرة أمير المؤمنين الفاروق كتبها في لغة فصیحة وبأسلوب قیم حصرة الأستاذ دیاب عثمان العرابی أحد خریجی دارالعلوم . وقد جعل إهداءها لحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعید . فنشكر لحضرة المؤلف هذا الصنع الجمیل ، فقد أنحف بحبی السیرة العمریة بمجموعة من تاریخ الفاروق لا یجدونها فی غیر هذه الرسالة .

محسن الاسلام :

هذه رسالة كتبها الكاتبة الايطالية الدكتور لورا فيتشا فاليري وعرفها حصرة الأستاذ الفاضل طه فوزی افندی من موظفی محكمة الاستئناف بمصر . طالعنا هذه الرسالة فوجدنا حضرة الكاتبة الفاضلة قد ألصقت المسلمين بما كتبتنه عن دينهم عن علم واطلاع ، وإن مجرد مرد أبواب الرسالة يكفي في بيان غرضها منها . فإليك : محسن الاسلام سرعة انتشار الاسلام من صنع الحكمة الالهية بساطة العقيدة الاسلامية حكمة شعائر الاسلام . سمو الآداب الاسلامية وأثرها . الاسلام والمدنية . الصوف في الاسلام . الاسلام في علاقاته مع العلم . فشكرا للباحثة الفاضلة وشكرا للمعرب الفیور .

تيسير النعمة بكتاب مفتاح كتوز السنة :

يذكر القراء أننا أقمنا هذا بذكر كتاب للمستشرق الدكتور ففسنك جملته فهرستا عاما للاهتداء إلى الاحاديث المبوية الواردة في أربعة عشر كتابا من كتب السنة بحسب موضوعاتها وذكرنا أن حضرة الأستاذ الفاضل محمد افندی فؤاد عید لائق قد قام بترجمته . واليوم نقول : إن حضرة المترجم الفاضل رأى أن يضع لكل كتاب من الكتب التي ليس فيها أبواب فهرستا خاصا يحمل لكل منها فيه أرتاما مستقلة مطابقة للارقام التي وضعها له المؤلف . وقد أصدر فهرستين منهما عن صحيح البخاري وجامع الترمذی ، فنشكر لحضرة المترجم الفاضل جهده . وتعني أن يثيبه عليه ثواب العاملين .

Correction of page 20.

CHAPTER 30

On Islām being a religion whose burden is light ; and the words of the Prophet (Allah bless him and give him peace) : (The religion most acceptable unto Allah is the Hanifite (1) Faith, whose burden is light)

We are informed by Abul-us-Salam b. Mutahhar, who had it from 'Umar b. 'Aiy, through Ma'n b. Muhammad Al Ghafarī, through Sa'īd b. Abu Sa'īd Al-Maqbūrī, through Abu Hurairah, from the Prophet (Allah bless him and give him peace) . who said .

Truly Islām is a religion whose burden is light, for no one can be too rigorous in the practice of it, without being overcome by it . Therefore be ye upright and moderate, and hope for your reward, Call to your aid the early morning and the evening prayers, and also some prayer in the night.

بَابُ الدِّينِ يُسْرٌ وَقَوْلُ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ :

حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مُطَهَّرٍ قَالَ

حَدَّثَنَا صُرَيْنُ عَلَى عَنْ مَعْنٍ بْنِ مُحَمَّدٍ

النِّقَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ

الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا

وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا

بِالْقُدُورِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ

الدَّلْعَةِ ،

(1) The Arabic حَنِيفِيَّة implies the islamic faith, as originally revealed to Abraham حَنِيف is literally " to incline, " and so refers to Abraham's inclination to the truth, and his avoidance of error . { Ibn Hajar }

of Banī Sa'd b. Bakr "

(Related also by Mûsa and 'Alī
b. 'Abdul-Hamīd, through Sulaimān,
through Thâbit, through Anas from
the Prophet (Allah bless him and
give him peace) to this effect),

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

اللَّهُمَّ تَعَمَّقْ

فَقَالَ الرَّجُلُ : لَمَنْتُ بِمَا جِئْتُ بِهِ ،
وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَأَيْتُ مِنْ قَوْمِي ، وَ
صَمَامُ بْنُ تَمِيمَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ
بَكْرِ .

رَوَاهُ مُوسَى وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ
مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ .

" I am going to question thee, and I shall be searching in my questions, so do not take it ill of me. "

" Ask me whatsoever thou wilt "

" I ask thee by thy Lord and the Lord of those who lived before thee, hath Allāh sent thee to all men? "

" Yea, I call Allāh to witness. "

" I adjure thee by Allāh, hath Allāh commanded thee to enjoin upon us the performance of the five appointed prayers in the day and night? "

" Yea, I call Allāh to witness. "

I adjure thee by Allāh, hath Allāh commanded thee to enjoin upon us to keep the fast during that month of the year? "

" Yea, I call Allāh to witness. "

" I adjure thee by Allāh, hath Allāh commanded thee that those Alms be taken from our rich to be distributed among our poor? "

" Yea, I call Allāh to witness. "

" I have believed (1) in thy message; I am the messenger of my fellow tribesmen whom I have left behind me, and my name is Dīmām b. Tha-labah, the brother of the tribe

« قَدْ أَجَبْتُكَ » ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ سَأَلْتُكَ فُشِدُّ عَلَيْكَ فِي السَّأَلَةِ فَلَا تَجِدَ عَنِّي فِي نَفْسِكَ

فَقَالَ : « سَلْ سَمًا نَدَا لَكَ »

فَقَالَ : أَسَأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ : اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ؟
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ »

قَالَ : أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ : اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟

قَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ »

قَالَ : أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ : اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ ؟
قَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ »

قَالَ : أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ : اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فَقَرَانَا ؟

(1) It must be remarked that the man had asked the Prophet no questions on the unity of God or other doctrines nor had he demanded a miracle, and therefore it is to be assumed that he was already a believer. (Ibn Hajar,)

ج. Yûsuf Al-Firabrî and also by Muhammad b. Ism'âl Al-Bukhârî, who had it from 'Ubaidullâh b. Mûsa, through Sufiân, who said :

" If a *hadith* hath been recited before a narrator, there is no objection to the reciter saying : " He related to me . "

Al-Bukhârî adds : " I have heard Abu 'Asim state through Mâlik and Sufiân : " Reciting before a master is as vald as the master's own recitation

We are informed by 'Abdullâh b. Yûsuf who had it from Al-Laith, through Saïd (Al-Maqbûl) through Shark b. 'Abdullâh b. Abu Namr that he heard Anas b. Mâlik say :

While we were sitting with the Prophet (Allâh bless him and give him peace) in the mosque, a man came in on a camel, which he made to kneel in the mosque and then knee-haltered. Thereupon he said to them : " Which of you is Muhammad ? " The Prophet (Allâh bless him and give him peace) was sitting in our midst in a recumbent posture , " He is, we replied, " this man with the white face, sitting recumbent. " Then the man said to him : " O son of 'Abdu-l-Muttalib "

" I'm a ready to answer thee, " replied the Prophet .

وحدثنا محمد بن اسماعيل البخارى قال :
حدثنا عبيد الله بن موسى عن سفيان قال :
إِذَا قُرِئَ عَلَى الْمَدَّةِ فَلَا بُدَّ أَنْ
يَقُولَ : « حَدَّثَنِي »

قال : وَسَمِعْتُ أَبَا عَاسِمٍ يَقُولُ عَنْ
عَنْ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ : « الْقِرَاءَةُ عَلَى
الْعَالِمِ وَقِرَاءَتُهُ سَوَاءٌ » .

حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا
الليث عن سعيد - هو أقربى - عن شريك
ابن عبد الله بن أبي حمزة أنه سمع أنس
ابن مالك يقول :

يَتِمَّا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ
عَلَى جَلٍّ فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ
ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : « أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟ » وَالنَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئٌ بَيْنَ
ظَهْرَانِيهِمْ ، فَقُلْنَا : « هَذَا الرَّجُلُ إِلَّا بَيْضُ
الْمُتَّكِئِ » ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : « ابْنُ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ »

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

Dimâm asked the Prophet (Allah bless him and give him peace) whether Allâh had commanded him to enjoin upon them the performance of the appointed prayers. The Prophet answered in the affirmative. Dimâm asserts that this is therefore equivalent to a recitation made to the Prophet (Allah bless him and give him peace) . Dimâm reported this to his fellow tribesmen, who approved it .

Malik took as evidence the legal deed which is read before people who then say : " So and so hath called us to witness, " while that hath only been recited to them . Likewise the Qur'ân is recited to a master, and the reciter saith : " So and so heard me my recitation . " (1)

We are informed by Muhammad b. Salâm who had it from Muhammad b. Al-Hasan Al Wâsitî, through Awf, through Al-Hasan, who said .

" It is not invalid to recite a *hadith* before a master (2)

We are informed by Muhammad

أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَاةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
فَهَذِهِ قِرَاءَةٌ عَلَى أَبِي صُلَيْبٍ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُمْ قَوْمَهُ بِذَلِكَ فَأَجَاوَزَهُ .
وَاحْتِجَّ مَالِكٌ بِالْمَلِكِ يَقْرَأُ عَلَى الْقَوْمِ
فَيَقُولُونَ : « أَشْهَدُ نَا فُلَانٌ » وَيَقْرَأُ
ذَلِكَ قِرَاءَةً عَلَيْهِمْ ، وَيَقْرَأُ عَلَى
الْقُرْبَى فَيَقُولُ الْقَارِئُ : « أَفْرَأَيْتَ
فُلَانٌ » .

حدثنا محمد بن سلام حدثنا محمد بن
الحسن الواسطي عن عوف عن الحسن
قال : « لا بأس بالقراءة على
العالم » .

وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفَرِّجِيُّ ،

[1] The point is that just as the document is attested by people who have not read it themselves but have only had it read out to them , so a *hadith* may be considered valid even when the transmitter has had it orally approved by a master

[2] This type of tradition is termed *أثر* , *athar* [*Muxallaq*] i. e. suspended, that is, related without the name of the Companion of the Prophet being given .

tree. " (1)

يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ

CHAPTER 49.

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْعِلْمِ وَقَوْلِهِ

On what hath been said on Knowledge and the word of Allāh (be He exalted)

تَعَالَى: «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»

" Say, O my Lord, let me grow in Knowledge. " (2)

بَابُ الْقِرَاءَةِ وَالْمَرْضِ عَلَى

CHAPTER 49a.

الْمُحَدِّثِ، وَرَأَى الْحَسَنَ وَالتَّوْرِي

The reciting and submitting of a *hadīth* to the instructing narrator ; (4)

وَمَا لِكَ الْقِرَاءَةِ جَائِزَةً .

Al Hasan, Ath-Thawri and Mālik consider recitation valid for the purpose of transmission ;

وَاحْتَجَّ بَعْضُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى

A certain doctor of Islam offered the *hadīth* of Dimām b. Tha'labah as an argument for the validity of merely reciting a *hadīth* to a professor

الْعَالِمِ بِحَدِيثِ مِمَّامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، قَالَ

لَتَبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُ أَمَرَكَ

[1] Al-Bukhārī here repeats the *hadīth* in order to stress the view-point shown in the new heading, and also the fact that he had the *hadīth* from another source (Al-Kirmānī & Al-Aṣṣānī).

[2] Surah 20, verse 113.

[3] Al-Bukhārī here in the accepted reading, omits the usual [بَابُ] before this chapter, for which the commentators have offered no explanation. Al-Qasṭallānī and Al-Ḥāṣṣi, however, mention it.

[4] The student of the *hadīth* recites from memory or submits his written copy of it to his Shāikh, who passes it and authorises him to transmit it on his authority. Al-Bukhārī's object here is to refute those who maintained that a tradition was valid only if received directly from the mouth of a narrator, but not if it had been merely submitted to him for approval.

‘Abdullāh (Ibn Mas‘ūd) : “I HAVE HEARD the Prophet (Allāh bless him and give him peace) say so and so ;” - on Hudhayfah’s having said : “ The Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) TOLD US two hadīths : ”

On Abu-l-‘Aliyah’s reporting through Ibn ‘Abbās from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) on the message he REPORTS from his Lord (be He magnified and glorified) ”- on Anas stating from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) : “ He REPORTS a message from his Lord (be He magnified and glorified) ; ”- and on Abu Hurairah’s relating from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) : “ He REPORTS a message from your Lord (be He magnified and glorified) . ”

We are informed by Qutaibah, who had it from Ismā‘īl b. Jarfar through ‘Abdullāh b. Dīnār, through Ibn ‘Umar who stated that .

The Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said . “ There is an evergreen tree which is indeed the parable of a Muslim . Tell me which this tree is ”. The Faithful conjectured various trees of the desert It occurred to me (said ‘Abdullāh) that it was the palm-tree,

سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَةً .
وَقَالَ حَدِيثُهُ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ .

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْبُرُونِي
عَنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . وَقَالَ أَنَسٌ عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ
عَزَّ وَجَلَّ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِيهِ عَنْ
رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ .

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا إسماعيل بن جعفر
عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ
وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ» فَرَدُّونِي
مَا هِيَ «فَوَقَعَ أَنَسٌ فِي شَجَرِ الْيَمَامَى ،
قَالَ مَعْنَاهُ : وَوَقَعَ فِي أَنْفُسِ أَهْلِهَا

and give him peace) fell behind us while we were on a journey together⁽¹⁾ He then caught us up when we were surprised by the hour of prayer as we were performing our ritual ablution. We therefore proceeded to wipe our feet. ⁽²⁾ At this the Prophet called out at the top of his voice : " Woe unto your heels, for they shall bring you into danger of hell-fire. " This he said two or three times .

فِي سَفَرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَذْرَكْنَا وَقَدْ
أَرْهَقْتَنَا الصَّلَاةُ وَنَحْنُ تَوَضُّأُ
فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا؛ فَنَادَى
بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ»
مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

CHAPTER 47.

On the term used by the narrator : " We are informed, or ' we are told " , or "it is reported to us ; on Al-Humaidi's having told us that according to Ibn-Uyaynah " we are informed " " we are told " " it is reported to us, " and "I have heard," are all of the same value;—

On Ibn Mas'ūd's words : " WE ARE INFORMED by the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) who is the Truthful and the Trustworthy,—

On Shaqīq's words through

بَاب قَوْلِ الْمُحَدِّثِ «حَدَّثَنَا»
أَوْ «أَخْبَرَنَا» وَ«أَنْبَأَنَا»
وَقَالَ لَنَا الْحُمَيْدِيُّ: كَانَ عِنْدَ ابْنِ
عُيَيْنَةَ «حَدَّثَنَا» وَ«أَخْبَرَنَا» وَ«أَنْبَأَنَا»
و«سَمِعْتُ» وَ«وَاحِدًا»
وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: حَدَّثَنَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ
الْمُصَدَّقُ. وَقَالَ شَقِيقٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ:

(1) returning from Makkah to Madinah,

(2) The Prophet perceived that in the hurry to be in time for the afternoon prayer they had omitted to wash their heels properly.

present said : " He hath heard his question and was displeased at it . " Another said , " Nay, he hath not heard it, " At last when the Prophet had finished his discourse, he said : " Where is (I suppose he said) the questioner about the coming of the Hour ? " " Here am I, O Apostle of Allāh , " replied the Bedouin, " When trust shall have disappeared, " replied the Prophet, " then expect the Hour " " In what way shall it disappear ? " asked the man " When authority shall be in the hands of those who are unworthy of it , " replied the Prophet, " then expect the Hour - "

CHAPTER 46

On him who raiseth his voice in imparting Knowledge

We are informed by Abu-n-Nu-mān Ḥarīm b. Al-Fadl, who had it from Abu Ḥawānah, through Abu Bishr through Yūsuf b. Mālik, through Ḥabūdallāh b. Ḥamr, who related that .

The Prophet (Allāh bless him

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ . حَتَّى
إِذَا فَضَى حَدِيثَهُ قَالَ : « أَتَيْنَ أَرَاهُ
السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ » قُلَ . هَاهَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « فَإِذَا ضَيَّعَتْ
لِأَمَانَةٍ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » قَالَ : كَيْفَ
إِصْعَاقُهَا ؟ قَالَ : « إِذَا وَدَّ الْأَمْرُ
بِغَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ »

بَابُ مَنْ دَفَعَ صَوْتَهُ بِالْعِلْمِ :

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَرِيمُ بْنُ الْفَضْلِ

قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ عَنْ

يُوسُفَ بْنِ مَا تَهَكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو

قَالَ :

تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(1) لَيْد — Parenthesis by the narrator Muḥammad b. Faḍl

Knowledge (1)

CHAPTER 45.

On him who is questioned on Knowledge while he is engaged in his discourse and concludeth his discourse before answering the question .

We are informed by Muhammad b. Sinan, who had it from Fulaih , we are also informed by Ibrâhim b. Al-Mundhir, who received it from Muhammad b. Fulaih, to whom it was related by his father, who was told it by Hûlâl b. 'Alî, through 'Asîd b. Yasâr, through Abu Hurairah, who said .

While the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was at a gathering, speaking to the people, a Bedouin came to him and said : "When shall be the Hour ? "

The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) continuing his discourse one of those

بَابُ مَنْ سُئِلَ عَمَّا هُوَ مُشْتِغٍ
فِي حَدِيثِهِ فَأَتَمَّ الْحَدِيثَ ثُمَّ أَحَابَ
السَّائِلَ .

حدثنا محمد بن سنان قال : حدثنا
فليح (ح) وحدثني ابراهيم بن المنذر
قال : حدثنا محمد بن فليح قال : حدثني
أبي قال . حدثني هلال بن علي عن عطاء
ابن يسار عن أبي هريرة قال .

بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس
يحدث القوم جاءه أعرابي فقال :
مَتِ السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ ، فَقَالَ بَعْضُ
الْقَوْمِ : سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ .

(1) Surah 20, verse 113. The omission of any Hadith here may be attributed to Al-Bukhârî's doubts as to its fulfilling the conditions of genuineness required by him ; or perhaps to his having left a blank with the object of filling it in later . In fact Al-Bukhârî used to write his headings first, and subsequently fill in the blanks with appropriate hadiths. (Ibn Hajar and Al-Aini)

pardon for your late governor for he used to love to forgive .” He concluded by saying : “ I once went to the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and said : ‘ I take the oath of allegiance to thee embrace Islam . He then imposed upon me the further condition of giving good counsel to every Muslim I took the oath on this condition. By the Lord of this mosque, I am now giving you good counsel.’ He then invoked Allāh's pardon and came down (from the pulpit).

الْعَمْرُو. ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَتَيْتُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ : أَبَايَئْتُ
عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَشَرَطَ عَلَيَّ وَالنُّصْحَ
لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا ،
وَرَبَّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ
لَكُمْ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَزَلَّ .

CHAPTER 44

On the merit of Knowledge and on the word of Allāh (be He exalted) “ Allāh shall raise those of you who have believed, and those to whom Knowledge hath been given to different degrees. (1) Allāh knoweth full well what ye do , ” and — His word (be He magnified and glorified): “ O my Lord , let me grow in

بَابُ فَضْلِ الْعِلْمِ وَقَوْلِ اللَّهِ
تَعَالَى : « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ :
« رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » .

1 Surah 58. verse 12. At-Baidāwī and Ibn Hajar state that a difference of degree is implied, religious knowledge being preferred over belief

the leaders of the Faithful, and to the common People " In the words of Allāh (be He exalted) " provided they be loyal to Allāh and His Apostle . " (1)

1 We are informed by Musaddjad, who had it from Yahyā, through Ismā'īl, who was told it by Qais b. Abu Hāzim, through Jarir b. 'Abdullāh, who said :

" I swore allegiance to the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) to perform the appointed prayers , to pay the prescribed alms, and to give good counsel to every Muslim. " (2)

2. We are informed by Abu-n-Nu-mān, who had it from Abu 'Awānah, through Zād b. 'Alāqah , who stated that he heard Jarir, b. 'Abdullāh say on the day of Al-Mughīrah b. Shu'bah's death, when he had risen and and praised and glorified Allāh :

" It is your duty to fear Allāh as being alone and having no partner, to be dignified and calm until there come to you a new governor, who shall surely come to you immediately."

He then added : " Ask Allāh's

لَصَحُّوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ "

حدثنا مسدد قال : حدثنا يحيى

عن اسماعيل قال : حدثني قيس بن أبي

حازم عن جرير بن عبد الله قال :

بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

والنصح لكل مسلم .

حدثنا أبو النعمان قال : حدثنا أبو

عوانة عن زياد بن علاقة قال : سمعت

جرير بن عبد الله يقول يوم مات

المنيرة بن شعبة : قام فحمد الله وأثنى

عليه وقال : عليكم بأقوال الله وحده

لا تفرق له والوفاء والسكينة حتى

يأتيكم أمير فإنما يأتيكم الآن . ثم

قال :

استمعوا لأمريركم فإنه كان محبوب

(1) Surah 9, v. 92.

(2) Even if the advice is detrimental to the giver of it.

to its motive. "

2. We are informed by Hajjāj b. Minhāl who had it from Shu'bah who received it from 'Adiyy b. Thābit who heard it from 'Abdūl āh b Yazīd through Abu Mas'ūd, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) who said

"If a man spend aught upon his family through devotion to Allāh, it shall be accounted unto him as alms-givings."

3. We are informed by Al-Hakam b. Nāfir who had it from Shu'aib, through Az-Zuhri, to whom it was related by 'Amir b. Sa'd, through Sa'd b. Abu Waqqās who informed him that the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said

"Verily nothing that thou spendest where by thou seekest the face of Allāh goeth unrewarded, even to the delicacies which thou placest in thy wife's mouth."

CHAPTER 43.

In the words of the Prophet (Allāh bless him and give him peace)

"The corner-stone of religion is loyalty to Allāh, to his Apostle, to

فَهَجَرْتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ .

حدثنا حجاج بن منهل قال حدثنا
شعبة قال : أخبرني عدي بن ثابت
قال سمعت عبد الله بن يزيد عن أبي
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« إِذَا أَتَقَّقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ
يَحْتَسِبُهَا قَمَرًا لَهُ صَدَقَةٌ » .

حدثنا الحكم بن نافع قال : أخبرنا
شعيب عن الزهري قال : حدثني عامر
ابن سعد عن سعد بن أبي وقاص أنه أخبره
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إِنَّكَ لَنْ تَنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ
اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْمَلُ
فِي أَمْرَانِكَ »

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :
« الَّذِينَ اتَّصَفَتْ لَهُمْ وَلِرَسُولِهِ وَلَا أُمَّةَ
الْمُسْلِمِينَ نِعَامٌ مِنْهُمْ » وقوله تعالى : « وَذَا

faith, the ritual ablution, the appointed prayers, the prescribed arms the pilgrimage to *Makkah*, the Ramadan fast, and legal engagements, he word of Allāh (be He exalted) : " Say, ' O Muhammed, : ' Every man acteth after his own manner (that is to say, his intentions) ; whatsoever a man spendeth upon his kinsfolk out of devotion to Allāh shall be reckoned' as almsgiving ; the words of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) : " But the way of righteousness requreth moreover the Jihād and sincerity of motive "

1. We are informed by «Abdullāh b. Maslamah, who had it from Mālik, through Yahya b. Sa'īd, through Muhammad b. Ibrahim, through «Alqamah b. Waqass , through Umar that the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said

" Actions are judged by the intention and every man is requed according to what he ntendeth ; and if any man flee ⁽¹⁾ unto Allāh and his Apostle his flight is so accounted, and if his flight be to obtain a worldly goal or unto a woman to marry her, then it is accounted to him according

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى. « فَنُ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَا كَيْتِهِ » عَلَى نَيْتِهِ ، نَفَقَةً لِرَجُلٍ عَلَى أَهْلِهِ بِحَسَبِهَا سَدَقَةً ، وَقَالَ : وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيَّةٌ .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ إِدْرِاهِيمَ عَنْ عُلُقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مِمَّا نَوَى ، فَنَ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ مِرَاقٍ يَتَزَوَّجُهَا

(1) From *Makkah* to *Madinah* to join the Prophet in the cause of Islam See *Nūr-e-Islam Review* Feb. 1933, p. 2

may enter Paradise. They then asked him about various kinds of drink (1), and he gave them four commandments, and prohibited them four things. He commanded them to believe in Allāh alone, adding: 'Do ye know what belief in Allāh alone is?' 'Allāh and His Apostle know best,' replied they. 'It is,' said he, 'to testify that there is no deity but Allāh and that Muhammad is the Apostle of Allāh, to perform the appointed prayers, to pay the prescribed alms to keep the Ramadan fast, and to give the fifth part of the booty.' He then prohibited them four things: jars, gourds, vats made from palmtrunks, and vessels smeared with pitch (or perhaps he said tar) (2) adding: 'Commit these commandments to memory, and communicate them to those you have left behind you.'

CHAPTER 42.

On the tradition that action that actions are judged only by intentions; actions inspired by devotion to Allāhi and, every one is required according to what he intendeth - This includes

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ
الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تَعْتَلُوا
مِنَ الْغَنَمِ الْخُمْسَ. وَنَهَاهُمْ عَنْ
أَرْبَعٍ: عَنْ الْحَتَمِ، وَالذَّبَابِ، وَالتَّيْبَرِ،
وَالْمُرَقَمَةِ (وَرُبَّمَا قَالَ أُخْبِرَ) وَقَالَ:
«حَفَاطُوهُمْ وَأَخْبِرُوا بِهِنَ مَنْ زُرَّاهُكُمْ».

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ

وَالْحِسْبَةِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى،
فَدَخَلَ فِيهِ الْإِيمَانُ وَالْوُضُوءُ وَالصَّلَاةُ
وَالزَّكَاةُ وَالْحَجُّ وَالصَّوْمُ وَالْأَحْكَامُ،

(1) or the drinks contained in various vessels.

(2) Vessels of this kind produced rapid fermentation of the fruits (especially dates and raisins) steeped in them, and so might lead to unintentional intoxication.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مهمة الدين الاسلامي في العالم

٢١

دعوته الى تعرف السنن الالهية في الجماعات البشرية

الاسلام ألف أكبر مجتمع عهده الانسانية في تاريخ حياتها الاجتماعية، وقد أقامه على الأصول الخالدة، والمبادئ العامة، وقد شرحنا هذه الميزة الاسلامية الجليلة في مقال سابق، ونريد اليوم أن نقول إن الاسلام لم يكتف بما فعل، ولكنه بسطه بسطا علميا، ودعاه على الأدلة الواقعية المستمدة من الحوادث العالمية.

فأول ما عمد اليه في هذا الشأن الجليل أن يبين وحدة أصل النوع الانساني، وتساوي الآحاد والجماعات في الحقوق الطبيعية، وأن يخالف الناس في البيئات والقروميات لا ينبغي أن يتعاونوا على قطع مفاوز الحياة، وأن يتعارفوا ويتبادلوا المرافق الحيوية، قاضيا على الوم الشائع بين الأمم، وهو ما يخيل الى كل منها أنها أعلى كعبا من غيرها. وقد جمع هذه الأصول الأولية كلها قوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير». هذه الأصول الأولية هي أول ما طرق من نوعها سمع الشعوب المنبثة في الأرض، وصدم كبريائها الجاهلية. فقد كان منها من يدعى أن أصولها تنتهي الى الآلهة، ومنها من يعزى الى أبناء تلك الآلهة، ومنها من ينتسب الى الجبابرة الأولين الذين دوخوا أم الأرض، ومنها من كان ينتمي الى بعض المرسلين أو الأنبياء والصدّيقين. فجاءت هذه الآية بمصاحبة من العلم هي نفس ما قررته المعارف الاجتماعية بعد نزول القرآن بأكثر من ألف سنة.

ثم إن الاسلام تولى هذه الأصول التي عليها مدار سعادة المجتمعات بالبيان والشرح، وقواها بالأدلة المستمدة من الحوادث الماضية والراهنة، وهو لا جل أن يفتح للانسان مجالاً للنظر، ويوجد له ميزاناً للتقدير المستقر على قواعد صحيحة، كشف له سرّاً من أجل أسرار الاجتماع البشري، وهو أن للاجتماع سنناً إلهية لا تتخلف ولا تتبدل. فالأمة التي كتبت لها النجاة من علل الاجتماع أو الشفاء منها عند الانثيائات بها، تتعرف تلك السنن وتطبق أعمالها عليها؛ والأمة التي قدر عليها الاضطراب أو الفناء تفي عن هذه السنن، وتجري من أعمالها على غير هدى. قال الله تعالى: «سنة الله في الذين خلّو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً» وقال تعالى: «سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنةنا تحويلاً».

فكان هذا فتحة عظيمة في العلم، وأى فتح أعظم من أن يفهم الناس أن للعالم الانساني نظاماً مقررًا، وقانوناً مقدراً، لا تستطيع أن تعدوه لأنهم دون أن تصاب بما يستتبعه عدوانها من اللثالات، وما يجره من الانحرافات، جزاءً وفاقا.

وكان من نتائج هذا العلم أن أصبح المسلمون حريصين على تلئس هذه السنن من مظانها حرصهم على نقاء وجودهم، وسلامة كياناتهم. وقد دفع بهم هذا الحرص الى تحرى الصراط السوي في جميع أعمالهم ومعاملاتهم، وقيام بعضهم رقباء على بعض في سبيلهم وتصرفاتهم ائتماراً بما رسمه الله لهم بقوله: «ولتكن منكم أمة (أى جماعة) يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون». وكيف ينسأهلون في هذا الأمر والله تعالى يقول في قوم هالكين: «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون».

هذا كله جعل من المسلمين أمة تقوم على جادة الحق، وتعمل على بث هذا الخلق في الآحاد، وبرايق بعضها بعضاً في القيام عليها، تفادياً من أن يصيبها ما أصاب الأمم قبلها.

هت مجال لأهواء تنسرب الى النفوس فتوهها بأنها بمنجاة من هذا الإيماد، وأنها لمجرد انتسابها الى هذه الجماعة أو تلك تعامل من الله معاملة ممتازة الخ ، ففضى الله على كل هذه الأوهام بقوله تعالى : « ليس بآمائكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمس سوءاً يُجزيه ولا يبيد له من دون الله ولياً ولا نصيراً » .

وبهذه الآية تجلت الحقيقة العلمية للضرورة ، وهى أن نظام الكون يأبى المحاباة والمصانعة ، وأن سنن الله تسرى على الكافة على حد سواء ، كما نص عليه حديث قدسى كريم وهو : « الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبدا حبشيا ، والنار لمن عصانى ولو كان شريفا قرشيا » وقوله صلى الله عليه وسلم لا يفتنه : « اعملى بإفاطمة فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا » .

يلسقاط وم المحاباة أسقط الله تعالى من رموس صدر هذه الأمة وساوس كانت آثارها وبالاعلى الأمم التى نبتت فيها ، وأخذ بضيع المسلمين الى نهضة قوية سريعة خالية من جميع العوامل الشيطانية ، حتى انطلوت تحت أقدامها للسلاوف الشاسعة ، وجمت بين طرفى الشرق والغرب بما هو أشبه بجولة رياضية .

من مجموع ما أنزل الله فى أمر الاجتماع نشأ فى هذه الأمة ضرب من الرقابة المتبدلة بين الأفراد والأفراد ، وبينهم وبين الهيئته الحاكمة فيهم لأنه مادمت أخلاق الآحاد وأعمالهم تؤثر فى بنية اجتماعهم قوة أو ضعفا ، وماداموا هم مأمورين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ومادام كل عضو من جماعتهم مكلفا أن يعمل على درء ما يراه من المنكرات يده أو بلسانه أو بقلبه ، مادام كل هذا قائما فكيف لا تنشأ بين الآحاد مراقبة قوية محكمة ؟ .

بهذا التركيب الاجتماعى البديع يصبح فى المجتمع الاسلامي أداة تعمل باستمرار وبغير شعور من الناس على إزالة كل ما يذب الى الجماعة من جرائم الفساد ، فلا يترتها تحلل ولا ضعف ولا ارتسكاس وإنما المداوعلى العمل بهذه الأصول الاسلامية ، لاعلى

الاعتقاد بها والجرى على نقيضها . وقد ثبت أن العمل بها قد أثمر للآخذين بالاسلام ثمرات من تأسيس الدولة والتبسط في الأوض لم تصل الى مثلها أمة غيرها من الأمم التي سبقتها أو تلتها الى هذا العهد .

يصطدم بهذا الأصل هنا مبدأ من الإباحة سموه بالحرية الشخصية . ومؤدى هذا الأصل عند أهل أن للإنسان كل الحرية فيما يملكه مادام ضرره لا يمتدح إلا به دون غيره ، وعدوا بما يدخل في هذه الحرية تعاطي الخمر والاتجار فيها والزنا مادام الطرفان مترضين عليه ، والقمار في دائرة معينة ، والربا مادام لا يتجاوز حدا مقررأ ، وغير ذلك .

ولكن الاسلام مع احترامه لمبدأ الحرية الشخصية وتقديسه له ، يرى أنه لا يصح أن يسرى على هذه الآثام التي ذكرناها . فيرى أن الخمر والزنا والمقامرة والربا الخ لا يقتصر ضررها على آتياها فحسب ، ولكنه يمتداه الى أهله ومجتمعه .

وينازع الاسلام المشترعين فيما هو أدق من هذه السألة ، وهو أنه ليس مما ينطبق على مبدأ الحرية الشخصية أن يباح للإنسان أن يأتي ما يضر بشخصه ، لأنه مادام عضوا في مجتمع فلا يجوز أن يضعفه بإضعاف نفسه .

ومن العجيب أن الاشتراع الوضعي يتفق مع الاسلام في هذا التفسير لمبدأ الحرية الشخصية في بعض الأمور دون بعض ، فكان بذلك مناقضا لنفسه في أمم المبادئ الاشتراعية ، وأمسها بحياة المجتمع .

فهو يرى أن يبيع للإنسان أن يتعاطى المسكر ، وأن يدمن عليه ، ولا يرى أن يبيع له أن يستعط الكوكايين ، ولا أن يحتقن بالمورفين ، بحجة أن في عمله الأخير إضرارا بصحته مع أن في تعاطي الخمر من الإضرار بها ما لا يقف عنده حد ، لاعليه وحده فحسب ، ولكن على أهله وبنيه وبني حلالته أيضا . ويري أن يبيع له الزنا والقمار ، ولا يبيع أن يتمخط أو أن يبعث في الطريق بدعوى أن في هذه العادة الأخيرة ضررا بغيره

من ناحية نشر عدوى ما عسى أن يكون لديه من الأمراض ، مع أن في الزنا والفساد من الأضرار ما لا يقاس به ضرر البصق ، بل وما لا يقاس به ضرر الأوبئة الفتاك . ولم يذهب بعيدا : أليس بين يدينا لأحصاءات ناطقة بأن ما تفعله الخمر بالأجساد والمفول يفوق ما تفعله شر الطواغيت ، وجائحات الأوبئة ؟ فهذه المستشفيات خاصة بالمسنين ، وهذه البيمارستانات مملأى بالمجانين ، بل وهذه الدور حافلة بالذين لم يقعد بهم المرض الى حد المجز المطلق ، ولا اختلال القوى العقلية الى درجة الجنون الطبقي ، ولكنهم يعيشون على حال من سوء الأخلاق ، وفساد النفوس أمر على ذويهم وأبناء المجتمعات التي ينتمون اليها من أضرارهم الذين تؤويهم المصحات والسجون .

وهل نشر حب السرف والترف وندهور الأخلاق وانحلال الأمر وضياع الثروات عامل أنكا أثرا من إباحة الزنا والفساد والتهتك الشنيع ؟ فالترب الذي أصبحت علومه وصنائه ومدنيته عاجزة عن (أب صدوعه ، ورتق فتوقه ، وتقويم عوجه ، ما أوصله الى هذه الحالة لا ذيرع هذه الصروب من الفواحش فيه .

فالاسلام يوقفه من مبدأ الحرية الشخصية عند الحد الذي يسمح به النطق القويم ، والطبع السليم ، لا يقصد أن يكبل الحرية بقيود من حديد ، ولكنه يريد أن تكون حرية صالحة تنتج الآثار المنتظرة منها . أما الحرية التي تطلق الداعرين والفاستين والاباحيين ليرتكبوا تحت ستار هذا المبدأ الكريم ما يترفع عن مثله الحيوان الانجم ويعود منه على لانسان البلاء المحتم ، هذه الحرية يعدها الاسلام إباحة بهيمية ، فلا يقرها ولا يتقاضى عنها ، بل يضرب عليها نعلانا من حديد .

فالحقوق الطبيعية التي يحترمها الاسلام ، هي الحقوق التي نعرف بها الانسانية الحقة ، وتقتضيها الحياة الصحيحة ، وتستلزمها المدنية الفاضلة . وهو جار من هذا كله على سنة الله في خيتمته ، فإن هذه السنة لا تغفل من ميزانها القدرة ، ولا تخلص من محاسبتها الخطرة . وخير الشرائع الاجماعية ، ما وافق شريعة الله الكونية .

فالإسلام أحترم الحقوق الانسانية ، السائدة على الأوضاع الطبيعية ، ولم يحترم منها ما أوجده الهوى ، ولا ما ولدته الشهوة . وقد رمى من هذا الى تأليف مجتمع سليم في نفسيته ، سليم في عقلية ، سليم في بليته ، يجرى الى غاياته البعيدة ، كأنه جزء من الطبيعة لا خارج عليها ، ولا مدبر لها . وكل مجتمع يجعل هذه الطريقة وجهته يصل الى النهايات التي يقصدها ، خلافا للمجتمعات التي تبني وجودها على معاكسة السنن الالهية ، فإنها تصاب بمرار آثامها ، ولا تزال تنصف في سيرها حتى تنبذ غير مأسوف عليها : « قل سيروا في الأرض ثم نظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .

محمد فريد وجدي

أبلغ ما قيل في الاعتذار عن الذنوب

قال خالد بن عبد الله اسلميان بن عبد الملك أمير المؤمنين حين وحده عليه : يا أمير المؤمنين إن القدرة تذهب الحفيظة ، وأنت تبجل عن العقوبة ، ونحن مقرون بالذنب ، فإن تمع عني فأهل ذلك أنت ، وإن تعاقبني فأهل ذلك أنا .

وأمر معاوية بن أبي سفيان بمعاينة روح بن زبائغ . فقال : أشك الله يا أمير المؤمنين أن تضع مني خسيصة أنت رفعتها ، أو تنقص مني مهيرة أنت برمتها ، أو نشمت مني عدوا أنت وقتته ، إلا أتى حليك وسفحك عن خطئي وجهلي . فقال معاوية : خليا عنه ، إذا أراد الله أمرا يسره .

وروى أن عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين وجد على رجل الخفاء واضرعه ، ثم دعا به ليسأله عن شيء ، فرآه شاحبا ناعلا . فقال له : متى اعتللت ؟ فقال الرجل : ما سني سقم ، ولكنني جفوت نفسي إذ جفائي الأمير ، وآليت أن لا أرضى عنها حتى يرضى عن أمير المؤمنين . فأعاده معاوية الى سابق منزله .

وروى الميثم بن عدي : لما انهزم عبد الله بن علي من الشام قدم على المنصور وقد منها ، فتكلموا عنده . ثم قام الحارث فقال : يا أمير المؤمنين إنا لسنا وقد مباهاة ، وإنما نحن وقد توبة ، ابتلينا بفتنة استخف كرمنا واستفوت حليمنا ، ونحن بما قدمنا معترفون ، وبما سلف منا معترفون ، فإن تعاقبنا فقد أجزمنا ، وإن لمع عنا فطالما أحسنت الى من أساء منا . فقال المنصور للحرس : هذا خطيئهم . وأمر برد ضياعه عليه .

التفسير

سورة الرعد

- ٤ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : « وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَذًا كُنَّا تُرَابًا أَوْ نَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْقَابِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَيَسْمَعُ لَوْلَاكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ » .

لقد نبهني في صدر السورة الكريمة من آيات ربك الكبرى ما يسد باب الارتباب ، ويقطع دابر الشك يرهان اليقين . تجت فيها قدرة العزيز القادر ، وحكمة العليم الحكيم ، في ملكوت السموات والأرض ، وتسخير الشمس والقمر ، وتسخير السحاب ، وإجراء الأنهار ، وتنويع الثمار ، وقد استمدت من غذاء واحد ، وسقيت بماء واحد ، ومع هذا كان منها الخلو والر ، ومنها النافع والضار ، ومنها ما يصلح للغذاء ، وما يصلح للدواء . فكان من الواضح بالمكان العظيم أن من كانت هذه آثاره لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم ، وأن من خلق السموات والأفلاك والكواكب والحيوان والنبات ، وأيدع فيها من الحكم ما يبدو لكل ناظر ، ويزداد جلاء عند كل تأمل ، فقد ربه وحكمته وعلمه لا يصح أن تكون موضع ارتياب ولا محل

شك؛ وأن من بقى عنده بعد ذلك ريب أو شك فقد أهمل قضية عقله، وأعرض عن فطرته، وحقت عليه كلمة الضلال، لا يعرف إلى الهدى طريقاً، ولا الهدى يصل إليه من سبيل. فمثل هؤلاء هم أعجوبة الزمان، وشواذ بني الإنسان، والمنحرفون عن مقتضى العقل، والمخارجون على قانون الفطر. وإن شئت فقل: هم الذين أعطوا أسباب السعادة، ومكّنوا من طريق لنجاة وطيب الحيلة، قولوا عنها مدبرين، وتكبروا الطريق السوى، وسلكوا مسالك الشياطين. فهل هناك أعجب من حال هؤلاء؟ إن هذا هو المعجب العجيب، والغريب المحير للآلياب!

فقوله تعالى: «وإن تعجب فمعجب قولهم أنذا كنا تراباً أنما لى خلق جديد» زاء من الآيات السابقة بمنزلة لثمره من الشجرة. ذكر تعجبهم من أن يقدر الله على إعادتهم بعد أن ماتوا وصادوا تراباً، ولم يكفهم تلك الآيات الكبرى الدالة على عظيم قدرته، وواسع علمه، وبديع حكيمته. فأى الفريقين أحق بالمعجب: هؤلاء الذين نههم الآيات والدلائل، وتتوارى على مطالبهم جميع الوسائل، فيمرون عليها معرضين، ويتصبرون في أمر هو واضح كل الوضوح، أم قدرته تعالى على إعادة ما أوجد بدءاً، وعلمه بتفصيل ما خلق وأنشأ، وحكيمته في أن يعيد الناس ليوم لجزاء الأوفى ليجزى كل امرئ بما سعى؟

أما إن المعجب العجيب هو في مظهرم الذي كشف عن منتهى غيائهم، وانكشفت به مخازيهم، فإن كان هناك عجب، فالمعجب من بغائهم في حماة الجهالة بمعبرون، وأنهم عن غيهم لا ينتهون، بعد ما وضحت الأدلة التي تقطع ظلام الشك بنور اليقين. فال مخاطب في قوة تعالى: «وإن تعجب» هو من يتأني منه المعجب، وكأنه بدأ بذلك في سياق حكاية عجبهم من البعث بعد الموت ليقتلح عجبهم قبل نبأته، وليسد عليه طريق التطرق إلى الآذان، فضلاً عن أن يتمكن من الأذهان. وكأنه قيل: هم يعجبون للإمادة بعد البدء، وهم في عجبهم هذا أحق بأن يتمعّب منهم ومن غفلاتهم، وقد تجملت

البراهين أمام أعينهم ويكون المعنى : إن تعجب أيها المخاطب من شيء فأولى الأشياء بالعجب هو هذه الحالة الشاذة ، أو إن ترد أن تعجب فما هو ذا شأنهم أمامك يشبعك عجب ، فلا تبتغ وراءه عجباً . ويصح أن يكون الخطاب موجهاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كأنه قيل : إن تعجب يا محمد من حال ، فالعجب هو ما بدا على قومك الذين عهدت فيهم سعة العقل وقوة المدارك ، لا يزالون بعد هذه الآيات في حيرة وتعجب يقولون : أنذا كنا تراباً أننا لنى خلق جديد . ولا تمارض بين المعيتين .

ويروى أن الوجه الأول أشد في النسي عليهم ، والتشنيع على فساد رأيهم . وترتيب الجزاء في قوله : « فعجب قولهم » على الشرط أى « إن تعجب » من جهة أن معنى « فعجب قولهم » أى فتعجب من قولهم الخ . أى إن أردت العجب فتعجب من هذا ، أو إن تعجبت من شيء ما في الوجود فتعجب من هذا ، فهو أحق شيء بالعجب . وإنما كان هذا عجباً لأن تعجبهم من حصول البعث لا يبدو أن يكون لتوقفه على القدرة أو على العلم بتفاصيل المماد وذهاب جزئياته في كل مذهب ، وخلفاء حكمته . فأما القدرة والعلم فكيف يخفى شأنهما عليهم وقد وضع الأمر بما تجلى في العالم من آثار قدرته وواسع علمه وحكمته ؟ وأما الحكمة فهل يريدون أن يبقى هذا العالم فوضى تبعا لشهواتهم وأهوائهم ، ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ؟

قوله : « أنذا كنا تراباً أننا لنى خلق جديد » :

هذا مقول قولهم ، فعله نصب . أو هو بدل من قولهم على أنه بمعنى المقول ، فعله الرفع . والأول أوجه ، لأن التعجب فيه كأنه صرف إلى تلفظهم بهذه النكرات ، أى أن نفس النطق بها والتفوه بها عجب أى عجب ، فإياك بالجملة نفسها وهذا كما تقول لمخاطبك : أنا أعجب كيف أدركت لسانيك بهذه الكلمة ، وكيف نطق بها فوك ، بل كيف وردت على غايلك ؟ وأعمال ذلك ، سبائنة في إنكار الكلمة نفسها .

وتكرير الاستفهام الإنكارى في العبارة المحكية عنهم ، لحكاية الإنكار المتكمن

من نفوسهم ، كأنهم قالوا : أنيمنت بعد أن نكون ترابا ؟ أفنكون في خلق جديد بعد البلى ؟ وخلقنا : التكوين ، والجديد : ضد القديم ، وأصله من قولهم : ثوب جديد كأنما قد جده الخ ذلك عن قول نسجه ، أى قطعه .

ولقد ساقوا تعجبهم بصورة تساعد نفوسهم على استنكار إعادتهم ، وذلك بصوغ العبارة الدالة على تجديد خلقهم بأسلوب يدل على رسوخهم في الجدة ، وذلك في قولهم : **ثُمَّ إِنِّي خَلَقْتُ جَدِيدًا** ، وجعل ذلك في الوقت الذي كانوا فيه ترابا ، وذلك في قولهم : **أَتَدَّأ كُنَّا تَرَابًا** ، وذلك ليظهر منشا الاستبعاد والإنكار الذي يحاولون تقريره .

قال تعالى : **« أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »** :

أجل : إن من ارتاب في قدرة ربه على هذه الهزات الهيئات بالقياس إلى عظيم قدرته ، ولم يسلّم أنه قادر على أن يعيد ما بدأ خلقه ، فمعد كفر بربه الذي خلقه فسواه ولم يك شيئا ، وعلمه ما علمه بعد أن أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا ، وآتاه رزقه فماد ورياه وكان لا يملك شيئا ، أفن يعترف بهذه النعم التي أفاضها الله عليه وهو لم يعمل لاستحقاقها شيئا ، يصح أن ينكر قدرة هذا الرب الأعظم على الإعادة وهي أهون عليه ؟

أما إن الذين يسكرون البعث أو يرتابون فيه أو يتعجبون منه لهم هم هم الذين كفروا بربههم ، وأنكروا نعمه عليهم : من خلق وتربية ، ورزق وتنمية . فلو اعترفوا بالنعمة لما حام حول عقولهم هذه الشبهة . وأولئك الأغلال في أعناقهم ، نفل أعناقهم عن الالتفات إلى باهر الآيات ونير البينات ، فهم يبرعون عنهم عن النظر في الآيات المحيطة بهم كن أخذ عنقه في غل ، فلا يستطيع الالتفات بمنة أو يسرة . والنفل في العنق كالقيود في الرجل . وهذا كما قال تعالى في سورة يس : **« إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَعُونَ » . فهو من باب تمثيل المعرض عن النظر في آيات الله بصورة من وضع النفل في عنقه فتمعه عن تحريك رأسه . والمقمع هو المعرض وأصله**

البعير يرد الماء فيرفع رأسه ويشمخ بأنفه فلا يتناول الماء وهو محتاج إليه وميسور لديه . وعلى ذلك يكون قوله : « وأولئك الأغلال في أعناقهم » وصفا لهم في الدنيا ، وهو المناسب لقوله : « كفروا بربههم » . وقيل إنه وصف لحلمهم في الآخرة كقوله تعالى : « إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبون في الحميم ثم في النار يُسجرون » . وهو المناسب لقوله تعالى بعد : « وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

وأقول : إن المعنيين لا تعرض بينهما ، فلا مانع من إعادة الآية لكليهما ، فهم في الدنيا محجوبون عن النظر والتفكير والاهتداء ، وفي الآخرة تكون الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ، ففي أعناقهم أغلال^(١) الدنيا وأغلال الآخرة .

وقوله : « وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » نتيجة لازمة للجملتين قبله ، فإذا يكون حق الذين كفروا بربههم وغلت أعناقهم عن التفكير فهم يهتدوا ، وسحبوا بالأغلال في الحميم ، إلا أن يكونوا أصحاب النار هم فيها خالدون ؟ ومعنى أنهم أصحاب النار أنهم ملأوا بها لا ينفكون عنها ولا تنهى أصحابي لها ، كما يدل عليه التمييز بالجملة الاسمية « وأولئك أصحاب النار » دون مثل عبدة : وهم يصحبون النار ، مثلاً . وقوله : « هم فيها خالدون » أعيد الضمير لتكرار الإسناد ، تثبيتها للخلود ، بتقريره مستقلاً بنفسه لا تبعاً للجملة قبله ، وليبيان انصباب الخلود فيها عليهم انصباباً مباشراً .

بقى الكلام في اختيار اسم الإشارة في التمييز عنهم دون الضمير ، وفي حكمة تكراره في الجمل الثلاث :

(١) ولا يقال إن هذا من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو ممنوع ، لانا نقول : على تسليم منعه فلا خلاف في جواز عموم المجاز ويكون الأغلال هنا مستعلاً في كل ما يحول بين المرء ومراده من غل حتى في الآخرة ومعنى في الدنيا وهو صوارب النهوات والاهواء .

أما الأول فقد قرر علماء البلاغة أنه إذا ذكر شيء بصفات يستحق بها حكماً ، ثم أريد ترتيب الحكم على تلك الصفات ، فإنه يوثق في التعبير عنه باسم الإشارة ، كأن ذلك يحضره في الذهن متصفاً بالصفات التي سبقت له ، وكأنه ينصب أمام الذهن بحالته التي هو عليها ، فتشاهده النفس بصفاته ، فتوقع عليه الحكم من أجل تلك للصفات البادية عليه .

وأم التكرار فليتكسر حضوره في الذهن بتلك الصورة ، فيوقع عليه الحكم باستحقاق في كل مرة .

ونظيره وإن بعدت المسافة بين الفريقين قوله تعالى : « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » فإنه عبر عنهم بأولئك في الموضعين ليبين أن سبب استحقاقهم هذا الحكم هو تلك الصفات السابقة : من تقواهم ، وإيمانهم بالغيب ، وإقامتهم الصلاة ، وإيتائهم مما رزقهم الله ، وإيمانهم بما أنزل الله على رسوله وعلى الذين من قبله ، وإيتائهم بالآخرة وما أعد فيها .

قال تعالى : « ويستعجلونك بالسيدة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات ، وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب » :

كان شأنه صلى الله عليه وسلم مع قومه في قيامه بتبليغ رسالة ربه أن يدعو الناس لتوحيد الله وتعبيده ، ويأمرهم بعاقبته وإفراده بالعبادة وحده ، ويبين لهم واضح المعجزة بقوة الحجج ، فن تبعة فقد اهتدى ، ومن أعرض عنه فإن له نكال الآخرة والأولى ، فكان حينما يرضون عن النظر في آيات البينة التي يحملوها على بصائرهم وبصائرهم ، يخوفهم عذاب الله في الآخرة وفي الدنيا ، فكانوا إذا خوفهم عذاب الآخرة أنكروا البعث والمعاد ، حتى يبهروهم بالأدلة التي تقطع شفتهم ، كما نراه في الآيات السابقة ، إذ تدرج من بيان دلائل القدرة والعلم والحكمة ، إلى تقرير المعاد وتسفيه آراء من ارتأب فيه بعد ما وضع الصبح لذي عينين . وإذا خوفهم عذاب الدنيا استهزؤا به

وقالوا : ائتنا بما نعدنا إن كنت من الصادقين ، بل نمتنوا وتمادوا في طغيانهم وقالوا : « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا » الى قوله : « أو تسقط السماء كما دعت علينا كسفًا » بل ازدادوا اعتوا وقالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » .

كل هذا كان يحصل منهم وترتاح اليه أفئدتهم ، بل كانت نزغهم أقرب الى الشر واستعجال الضر . فكان من عادة الحكمة الإلهية ألا يستخفها سخفهم ، ولا يؤثر فيها نزغهم وطيشهم ، ولكن الله يفعل ما يشاء مما يحتوى على عظيم الحكمة ومتمن التدبير ، وأرق أساليب التربية ، فهو على لهم ويمهلهم حتى تزول النعرة عن نفوس بعضهم ، فيلوى على الآيات التي أنكرها وإذا بها تتلأأ أمام عينيه نورا ، وتكون شرته قد هدأت ، ونفسه قد سكنت ، فيلهمه الله ما فيه سعادته بعد طول شماس ، فيؤمن ويحسن إيمانه ، ويتمادى آخر في غيه وبهتانه ، فلعنه إن لم يؤمن جاء من عقبه من يوحد الله ويعبده . وكم من مؤمن نبت من صلب كافر ، فإن مات على كفره فالله شديد العقاب ، كما قال تعالى : « وأملى لهم إن كيدى متين »

ولقد أبرز المولى جل وعلا سخافهم على وجه يجب أن يتواري صاحبه من الخزي ، إذ حكى عنهم أنهم مولعون باستعجال الخير لا استعجال الشر ، وليس هذا من العقل في قليل ولا كثير ، فالعقل إنما ينتظر منه استعجال الخير لا استعجال الشر ، ثم قال : « قبل الحسنة » أى أنهم يطلبون إليك أن يسبق عذابهم رحمة الله التي هم مهبطون لنيلها لو كانوا يعقلون . ولو أن الأمر لم يسبق له سوابق لكان لهم بعض العذر ، أما وقد خلت المثلثات من قبلهم ، وشاهدوا ديار وأثار من عتوا ممن قبلهم كماد وثمود ، فما كان لهم من عذري نمرض أنفسهم للإصابة بما أصاب من قبلهم ، أفهم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم بطشا وأكبر قوة ، فما نعمهم ما كانوا فيه ، ولا دفع

عنهم عذاب الله فأبى سخافة تلك التي استحوذت على عقولهم فنتعهم أن يبصروا
مواقع الشر والخير ، فينلحسوا لأنفسهم ما به يصلحون ؟
والمراد بالسيئة العذاب الدنيوي الذي كانوا يوعدون به ، والمراد بالحسنة ما كان الله
بعدم به على لسان رسوله من الثواب والكرامة في الآخرة ، والنصر والظفر والتكفين
لهم في ذلك في الدنيا .

وقوله : « وقد خلت من قبلهم المثلثات » الجملة حالية . والمعنى : يستعجلونك بالضرر
ينزل بهم في حال أنه قد أصاب من قبلهم ، وقد وصلت إليهم أنباءهم .

والمثلثات : جمع مثلة ، وهي العقوبة التي تترك صاحبها مثلاً في التنكيل وعبرة لمن
يعتبر . وكان من أراد أن يوقع شخص قال له : لا تجعلك مثل فلان ، فكأنه يضرب به
للمثل في النكال . وهذا في الغالب إنما يقال على العقوبة لعاضحة ، كسمل العين ، وخلع
الأذن ، وتشويه الوجه ، وأمثالها مما يقال فيه : قتل فلان ومثل به . أو تسميتها مثلة لأنها
على قدر الجريمة . ومثلها كما يقال : واحدة بواحدة . والمعنى الأول أقرب .

وأما قوله تعالى : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب » :
فهو رد عليهم ليلقمهم بذلك حجراً ، فهو يقول لهم : ما كان تصرف الله في خلقه نادماً
لأهوائكم ونازلاً على حكمكم ، وإنما الله تعالى في خلقه شئون هو أعلم بحكمتها ،
فهو يغفر لبعض الناس مع ظلمهم ، وهو أعلم بعاقبة أصرم ، ويشدد العقوبة على آخرين ،
وهو حكيم عليم فيما أنزله بهم ، فلا يفرنكم واسع إهماله ، ولا تيأسوا من رحمته .
وهكذا يجب أن يكون المرء في كل حياته بين رجاؤه الله والخوف من عقابه « إن ربك
لشديد العقاب وإنه لغفور رحيم » وهكذا يحمل بالرب الحكيم أن يراعى الحكمة
في تربيته لا ما يلى عليه من غيره .

نسأله تعالى أن يشملنا بمغفوه ومغفرته ، وأن يعننا برحمته التي وسعت كل شيء .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
ابراهيم الخليل

أفعال العباد

والرد على الجبرية والمعتزلة وتحقيق الحق في ذلك

ورد إدارة المجلة أسئلة كثيرة من صاحب الإضاء، تقتصر منها اليوم على هذا السؤال الذي بهم كثيرا من الناس، وجوبه الذي أسهبنا فيه. قال السائل بعد الديباجة: نريد من فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوي أن يبين لنا ما هو الحق من مذهب الجبرية والمعتزلة والأشاعرة فيما يقع منا من أفعالنا، وأن يفيض القول في ذلك إفاضة لا تدع في قلوبنا شكاً، ولا في نفوسنا حيرة. فإن هذه المسألة مشكلة غاية الإشكال. وكيف لا وقد ورد في القرآن الكريم آيات تفيد أن الله سبحانه وتعالى خلقنا وما نعمل، وأنه يفضل من يشاء ويهدي من يشاء. ومن يضل الله فانه من هاد. وقد ورد به أيضا عدة آيات أخرى تفيد أن الإنسان هو الذي يشق نفسه، وأن الخير منه تعالى، والشر من العبد.

فكيف نوفق بين هذه الآيات؟ وإذا كان المولى سبحانه وتعالى هو مدير الأمور ومسير الخلائق حسب إرادته وأتى شاء، فلم يعافهم على ما اقترفوا من السيئات التي قدرها عليهم؟

عبد الرحمن عبد التاح
ناظر مدرسة نزلة احمد يونس

الجواب

الحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه. جاءت أسئلة كثيرة حول هذا الموضوع، ولهذا رأينا أن نطلب في الجواب ولا نختصر فيه، فنقول: مذهب أهل السنة أن خالق أفعال العباد بعد اختيارهم وإرادتهم، هو الله تعالى،

ولا يصح أن يطلق اسم الخالق على غيره عز وجل ، ولكن للعبد تدخّل فيه باختياره ، وهو أحد الأسباب التي يتوقف عليها وجوده ، بل هو أعظم حلقات سلسلة الوجود وأهمها ، على ما ستسمع ahead ، إن شاء الله .

وإنه ليكني لتصرة مذهب أهل السنة وسقوط مذهب الجبرية ، أن الجبرية قد صادموا البديهة ، وخالفوا المحسوس . فإن كل إنسان يفرق تفرقة ضرورية بين حركاته الاختيارية والاضطرارية ، وكل ما صادم الضرورة وناقض البديهة فهو غير مسموع ولا مستعق للرد عليه .

وقد كان من حقهم ألا يشتموا من شتمهم ولا يضربوا من ضربهم ولا يعاقبوا من جنى عليهم . ولكن من عرف استعداد الانسان ، وأنه مظهر التضادات والمتناقضات ، ويجمع المعائب والفرائب لم يستغرب ذلك .

ولقد رأينا من متناقضات النوع الانساني ما يضحك الشكلي ويبكي الخليم :
فترى المعتزلة قد غالوا في التوحيد بزعمهم حتى وصلوا الى التعطيل بنفي الصفات ، وزلوا في هذه المسألة زلة لا تقال .

والشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام . والرافض غالوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا الى الحلول والقول بالصمة في غير الأنبياء .

والخواارج أفرطوا حتى كفروا بالذنب . والمرجئة فرطوا حتى أغفروا للناس بالمعاصي ولم يقيموا لها وزناً ، الى غير ذلك من الحماقات والجهالات .

وإن شئت فانظر الى ما وقع فيه الخلاف حتى كان المخلفون فيه على طرفي تقيض ، كالعلم ، وهو من أظهر الأشياء لدى كل إنسان ، فقال بعضهم : إنه لا يجد لكونه ضروريا . وقال آخرون : لا يجد لكونه من النظريات التي يصعب تحديدها . وكذلك اختلافهم في الوجود وفي الضوء (الى آخر ما يليكم عن أعظم المصائب وأكبر الألعاب) .

ولا غرو فقد قال الله في حق الانسان : « إنه كان ظلوما جهولا » وقال في بيان طيشه . « خلق الانسان من عجل » . « وكان الانسان عجولا » وإن من ضعفه الذي خلق عليه جهله بضعفه (ولوعرف ضعفه اكانت تلك المعرفة دواء ضعفه) . وقد يفسد استعداد الانسان حتى يكون الدليل عنده مثيرا للشبهة والشك ، والنور لا يزيد الخفاش إلا تخبطا وحيرة . وقد قال تعالى في حق القران الذي هو هدى ونور : « يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا » .

الرد على المعترضة ويبين فساد مزعمهم :

أما المنزلة فهم أعظم الناس جمالا ، وأكثفهم حجبا ، وأكبرهم جراءة على الله ، وأبعدهم عن إدراك ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأشدهم مصادمة لمراتب النصوص ، وأكثرم تأويلا لها .

ولو تأملوا قليلا لعلموا أن الوجودات تنقسم الى ماله الوجود من ذاته ، وإلى ماله الوجود من غيره ، وكل ماله الوجود من غيره فلا قوام له بنفسه ، بل إذا اعتبرت ذاته من حيث هي ، كان عدما محضا . وقد عرف في أحكام الممكن أنه ليس له شيء من ذاته ، وأن الوجود والعدم بالنسبة اليه سواء ، فلا بد أن يكون وجوده وجميع أحواله مفاضة عليه من غيره ، وهو الواجب عز وجل .

أليس من أوضح الأدلة على أن العبد في قبضة الحق (وهكذا يجب أن يكون العبد مع رب الذي شملت ربوبيته كل شيء ، ويجب له بمقتضى إلهيته أن يرجع اليه الأمر كله ، وألا يخرج من حيطته وهيئته شيء من الأشياء) أليس من أوضح الأدلة على ذلك أنه تعالى أظهر للناس كل شيء ، وبين لهم كل طريق ؟ ولكن لا يمكنهم أن يسلكوا من طرق السعادة الدنيوية أو الآخروية إلا ما أَرَادَهُ اللهُ لهم ، فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة .

فبينهم كتاب الله ينطق بالهدى ، وسنة رسوله ﷺ تهدي الى صراط مستقيم . ولم يسمعوا

من نصائح الناصحين وإرشاد المرشدين ، وكل ذلك واضح للعين على المني سافر الحيا
غير مبرقع ولا محبوب . فهو على طرف النام المتناول . ولكنهم يرون به فلا يرون
ضوءه المتالي ، ولا يسمعون نداءه العالي ، وكأن في آذانهم وقراً وعلى أبصارهم غشاوة .
وكذلك مسألة السعادة الدنيوية وانظارها إن شئت في الأغبياء الذين لا يعرفون
كيف يسبرون ، والأذكىاء الذين قتلوا كل شيء . بحثاً ، ونجحت لهم كل الطرق بأوضح
معانيها وأدق خوافيها ، وجميع مبادئها وغايتها مرآتها . فكان لسان القدرة الإلهية يقول :
أوجدت كل شيء من وسائل الخير والشر والضلال والهدى ، وجعلته وضعا بينا على
جانبي الطريق الذي عمرون فيه كل يوم نشاهدونه بأبصاركم ، ونرون من يقع ومن ينجو ،
ومن يرتفع ومن ينخفض . ومع ذلك كله لا يمكنكم أن تقتطفوا ثمرة من تلك الثمار ،
أو تنظّلوا بشيء من ظلال تلك الأشجار ، أو تتوصلوا إلى سعادتهم بشيء من تلك
الوسائل التي جعلتها غير محظورة ولا محجورة ، وكأنكم لا تبصرون أو لا تفقهون .
أفلا تعرفون بذلك أنكم تحت قدرتنا وإرادتنا ، ولن يمنعنا من ذلك جعل الأعلام
واضحات ، والطرق بينات ، والدلائل ناطقات ، ووجوه لأمر سافرت ، ليكون ذلك
أدل على قدرتنا ، وأظهر في بيان تصرفنا واختيارنا ، فنجعل الأشياء سافرة تمام السفور ،
ونعطيكم لأبصار التي تخرق الستور ، ومع ذلك نجعلكم لا ترون ذلك النور ، فلا تسلكون
أولا تستطيعون ، لتعلموا أن الله كل شيء محيط ، وأنه على كل شيء قدير ، فأين تذهبون
أيها المحجوبون ، سنستدرجكم من حيث لا تعلمون ، وإنا أمرنا لشيء إذا أردناه
أن نقول له كن فيكون ، ويبدنا ملكوت كل شيء وإنا نرجعون .

ومع ذلك كله يتجراً لمعتزلة على القول بأن العبد يخاف أفعال نفسه الاختيارية وإن لم
يردها الله عز وجل فتتغذ مشيئة دون مشيئة الله « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن
يقولون إلا كذباً » .

على أننا نرى كل أحد يحس بالقضاء القاهر حتى للملادين والماديين ، وإن كان لهم

عبارات أخرى تنابر عبارات الموحدين ، فيقولون : لم تمسكنا الظروف ، أو الظروف قضت بكنا ، أو لم يساعدنا الحظ . إلى آخر عباراتهم ، الدالة على امتلاء نفوسهم بالقهر الإلهي والعجز البشري

وأما تشبث المعتزلة بالبحث عن أسرار الله في خليقته ، وحكمته فيما قضى وقدر ، ورد كل شيء إلى مقاييسهم الفاسدة وأفكارهم الضعيفة ، فنأى من جهلهم بالله وجهلهم بأنفسهم . فإن حل مسألة القدر على وجهها التفصيلي يستدعي أن تدرك كنهه علاقة الخالق بالخلق ، وأن يكون علمك بترتيب الأشياء وأسرارها وما يجب لها وما فيها من الحكم مساويا لعلم الله تعالى ، والفكر الانساني له حد محدود يقف عنده ولا يتأق أن يجاوزه .

وكان من خواصه أنه لا يصل إلى كنه الأشياء وحقائقها ، ومتى أراد ذلك اعترته الشكوك والأوهام ، فارتد طرفه خاسئا وهو حسير . فليس له من العلم بالأشياء إلا درجة مخصوصة يقف عندها ولا يتعداها . ولذلك كانت الفلسفة في كل زمان مشار الأوهام ، ومعشش الخيالات ، ومنبع الشبهات :

قل لمن يفهم عى ما أقول قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه قصرت والله أعناق الفحول

سبعانك ما عرفناك حق معرفتك ، لافى ذاتك ولا فى صفاتك ولا فى أفعالك . وهكذا الألوهية يجب ألا يعرفها غيرها ، ولا يحيط بها سواها .

ولنتنزل قليلا فنقول : هل يمكن الطفل أن يدرك السرقة كل ما عمله أبوه ؟ وهل يتأتى تفهيمه ذلك ؟ ولو صرح هذا للزم أن يكون استعداد الطفل كاستعداد أبيه ، وفهمه كفهمة أو قريباته .

ولديك لوجدانيات التى نحس بها ونحن من نوع واحد ، لا يمكن صاحبها أن يفهمها لغيره . بل المحسوسات التى لم نعرفها ولا ما يشابهها ، لا يمكننا أن نفهمك إياها ، كطعام

لم تذقه قط ولا ذقت ما يشبهه ، ولذلك لا يمكننا أن نفهم الصبي لذة الوقاع ، ولا من خلق
لكم تلك الألوان المختلفة ، وهكذا لأشياء كلها .

وأنت تعلم أن الحيوان البهيبي لا يبلغ بحاله من الإلهام الى تعرف حكمة الحكماء ،
وتصانيف الأذكيا ، ومعارف الفطناء ، ولا يتمكن من معرفة مقدار زيادتهم عليه .
فكذلك الحكماء لا يعرفون جميع حكمة الله تعالى ، ولا يستطيعون أن يعرفوا مقدار
زيادتها على ما يعرفون . وقد انكشف لموسى عليه السلام وهو صبي ما فعل الخضر
لعمد القطع ببطلانه .

ومما يجب الالتفات اليه أن لوعم في هذه المسألة غالب بقوته على من لم يمارضه تذكر
كمال الربوبية وقص العبودية ، ويتصرح الى الله في إمداده بهدايته . وينبغي للإنسان
في هذا المقام أن يتذكر ما يعلمه من نفسه ، من شدة الجهل ، وقلة العلم ، وتردده في الأمور ،
وحيرته في أشياء كثيرة ، ورجوعه عما كان عليه مرارا ، وندمه البالغ على كثير
مما فرط منه .

وقد قلنا : إن الله تعالى وصفه في كتابه العزيز بأنه ظالم جهول . وقد كان ينبغي
أن تعلم من التجربة للتكررة ، ومن قصة الخضر عليه السلام ، التفاوت العظيم بين الخلق
في معرفة الدقائق ، وخفيات الحكم ، ومحكمات الآراء ، ومعرفة عواقب الأمور ،
فكيف يكون التفاوت بين الخلق وخالقهم عز وجل ؟
ولنتنزل غاية النزول فنقول :

لو وهب الله عز وجل لبعض خلقه نصف علمه سبحانه لجاز أن يكون ذلك التأويل
في النصف الآخر . فأتى الإنسان في توحه نقي الحكمة إلا من جهله بقدر علمه وعلم
الله تعالى ، مع أن علمه الجلي بحكمة ربه كاف شاف . وإن علمه بكمال ربه في جميع أسمائه
الحسنى وصفاته العليا ، مع نقص العبد في كل شيء ، وكثرة جهالاته وظلمه ، وخيب كثير من
طباعه وغلبتها عليه ، يكفيه وارعا عن اتباع سنة إبليس حيث نازع ربه في حسن سجوده

لآدم . وهذه هي سنة السفهاء ، من الناس الذين قالوا : « ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها »
وقد قال سبحانه وتعالى للملائكة : « في أعلم ما لا تعلمون » . قال على كرم الله وجهه
لمن سأله عن مثل هذا : أعلم أيها السائل أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام
السدد المضروبة دون الغيوب ، الإقرار بحيلة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب .
فدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم
البحث عنه دسوخا .

وقد قال مالك لمن جادله : أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا لجذاله ما أنزل
على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ولئن شد هنا قول الزمخشري :

العلم للرحمن جل جلاله وسواء في جلالته يتقنم

مالتراب وللعلوم وإنما يسعى ليعلم أنه لا يعلم

ونك لتعلم الفرق بين قدرتك التي لا تستطيع أن تخلق ذبابا ، وبين قدرته التي خلقت
السموات والأرض وما لا يحصى من العوالم . فلتعلم أن الفرق بين علمك وعلمه كالفرق
بين قدرتك وقدرته . وقد جاءني هذه الآيات عفوفا :

لما علمت بما للعلم من سعة وما لرب البرايا الحق من عظمه

عزلت عني فم أقبيل تخرصه فيما يظن لجمل أنه علمه

وعند ما قد بحثنا عن حقيقته قد استبان لنا ما فيه من نهمة

وأحسن طريق عندي أن تفكر في دقائق خلقك المعجبة ، وما أودع في كل عضو
من أعضائك من الأسرار ، وما نيط به من الوظائف ، وما يكتشفه علماء الفزيولوجيا
من ذلك حتى لا آن مما أدهشهم . وكذلك علماء الحيوانات والنبات والملك ، حتى قال
العلامة الشهير (هرشل) : كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية
على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية لحكمته . فالجيولوجيون (علماء طبقات
الأرض) والرياضيون والطبيعون قد تمارنوا وتضافروا على تشييد صرح العلم
وهو صرح عظمة الله وحده .

وقد أتينا على كثير من ذلك فيما كتبناه في هذه المجلة ، خصوصا في تفسير قوله تعالى :
 « إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين » ، فهل نشك في حكمة بعد ما شاهدنا
 ذلك وأضعافه وأضعاف أضغافه ؟ فعلى العاقل أن يملأ قلبه بالفكر في المحكم لا في المنشابه ،
 « وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » .

وبعد ، فلنقل كما قال بعضهم :

إننا نعلم أن لنا إلها لا شريك له ، فيجب بمقتضى ألوهيته ألا يخرج شيء من محيطه
 كما قال تعالى : « وإذ قلنا لك إن ربك حاط بالناس » . « ما من دابة إلا هو آخذ
 بناصيتها » . ونسلم أن لنا أمالا اختيارية لا نشك في أنها باختيارنا . فلنؤمن بأول
 السلسلة وآخرها ، ولنُدع ما بينهما .

ومع كونى أطلت ، أجد في نفسى باعنا قويا أن أنكلم كلمة وجيزة في فعل الانسان
 واختياره ، غير مفرح على ما ذكره الأشاعرة في تفسير الكسب الذى أصبح مضرب
 الأمثال في خفائه ، فيقال في كل شيء ، دقيق أو غير مفهوم : إنه أخفى من كسب الأشعرى .
 قلنا لا أريد أن أخوض بك تلك الغمرات التى قلما تخرج منها مقتنع النفس مطمئن
 القلب ، فأقول وبالله التوفيق :

تقريب لمذهب أهل السنة

الذى هو وسط بين مذهب المعتزلة ومذهب الجبرية بمباردة واضحة

من البدهى أننا نختار الفعل على الترك ، والترك على الفعل ، فدرجج مشتتا متمتعين
 بالجبرية . وقد كان يجب أن يكون هذا كافيا في الجزم بجهتنا واختيارنا . وقد تعلم
 أن ما يعارض البدهى أو المحسوس يجب ألا يلتفت إليه ، ويكفى في سقوطه مصادمته
 للبدئية كما قلنا في رد مذهب الجبرية .

ولسنا نشك في أن لنا تدخلا في الفعل . فإذا لنا شيء في العمل لا محالة ، وإن كنا
 نعتقد أن ما يسهره الله كان وما لا فلا ، لأننا لا نستطيع أن نوجد جميع الأسباب التى

يتوقف عليها وجود الفعل ، فإن ذلك بيد الله وحده ، فهو المهيمن عليه ، والقادر على إيجاد وترتيبه . وكيف لا يكون لنا تدخل والأسباب الجاذبة لها تدخل في لأشياء كما هو مذهب السلف للأخوذ من الفرائد ؟ قال تعالى : « يُنبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات » . فجعل النباتات به كما جعل الأحياء به في الآية الأخرى « فأحيا به الأرض بعد موتها » الباء للسببية الظاهرة ، وإن كانت الأسباب غير مستقلة ولا قائمة بنفسها . والممكنات كلها كذلك ، ولكن لها خصائص في عالم الحكمة ، وإن كان المتأخرون لهم من العبارات ما يفيد سلب كل خاصة لها وفائدة ترجع إليها ، محافظة على توحيد الأفعال فيما ظنوا . ولكنهم وإن وفوا بحق القدرة قد أخذوا بحق الحكمة التي جعلت الأشياء مراتب وقضت بالتفاوت بينها ، فلم تجعل النار كالماء ، ولا السم كالتراب ، فسبحان من خلق فسوى ، وأعطى كل شئ خلقه ثم هدى ! فكيف لا يكون لنا تدخل فيما يكون منا ؟

هل السبب الآلى أقوى من السبب المفكر المختار ، الذى يستطيع أن يقلب الأسباب الآلية ويسيرها في أى طريق شاء وهو أعظم منها ، فإنها مسخرة له وهو مليكها ، فكيف لا يعطى ما أعطيته من الأحكام وهو أقوى الأسباب وأعظمها ؟ ولماذا يحملون من الأسباب التى يتوقف عليها الفعل نظر الإنسان وإرادته واختياره وترجيحه ؟ هل يكون لغير العاقل المقهور من التدخل فى الفعل ما ليس للعاقل المختار ؟ اللهم إن ذلك غير معقول . فلم يبق إلا التحديد وبيان مقدار ما للعبد من ذلك ، وهو غير ضرورى للعلم الإنسانى ، بل غير ممكن . فإن اكتناه الأشياء كما هي غير مستطاع للإنسان ، ولا داخل فى متناول قدرته . فهذا الغذاء الذى هو من أظهر الأشياء فى أدواره وما يترتب عليه لا نعرف من أمره إلا الظواهر التى لا تسمن ولا تفتى .

أما كيفية انقلابه أعضاء مختلفة : فيصبح عينا باصرة ، وأذن سامعة ، وغما مدرك الخ فهذه أشياء لا نعرفها ولا نستطيع أن نعرفها . وكذلك ما تنبت الأرض من أوضح

الواضحات من حيث أطواره المعروفة ، ولكن كيف تكون هذا النبات من التراب ، وكيف استحال التراب أزهارا بهية وأثمارا شبيهة ، فذلك مما لا سبيل الى الوصول إليه . وهكذا الأشياء كلها .

ومما يجب أن يلتفت إليه أن كل شيء نستطيع البحث فيه الى حد محدود . فإذا تجاوزنا ذلك الحد استغلقت علينا وانسدت أبواب الفهم فيه ، فأخذنا نضرب في مناهات الخيال ، ونخبط في مهامه من الظنون والأوهام ، فتضاربت الأقوال وتناقضت الآراء .

وسر ذلك أن الانسان لا يكاد يعرف إلا ما وقع عليه الحس ، ثم ينتزع منه ما قدر له من المعلومات والتجليات على حسب استعداده . ثم هو بعد ذلك تارة يصيب فيما ينتزع ويستفبط ، وتارة يخطئ فيما يحمدس ويتخيل . وقد قدروا أن الوهم كثيرا ما يظلب العقل ، وأن القضايا الوهمية كثيرا ما تشتبه بالقضايا الضرورية . والحق الذي صرفناه بالعم ثم بالتجربة ، أن السلطان الغالب على النفس في هذا العالم إنما هو سلطان الوهم لا سلطان العقل ، ولا يكاد يخلص من سلطان الوهم إلا الفذ بعد الفذ .

هذا ولا نزال نقول : إن حقائق الأشياء المشاهدة التي يقع عليها الحس وبدرتها اللبس لا يصل اليها لا انسان تماما ، وإن كان يظن ذلك جهلا وتبجحا .

فالعالم بكشفه الأشياء على ما هي عليه من كل وجه ، مختص بالله تعالى : « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء » . وقد خلقت على حد محدود في عقلك ، كما خلقت على حد محدود في سمك وبصرك .

ولو عرفنا هذه الحقيقة فلم نجاوز قدرنا ولم تتعد طورنا ، لزال هذا الغناء ، وذهب ذلك الشقاء . وهي حقيقة يجب أن تقرر وتكرر ، حتى تملأ الرءوس ، وتثبت في النفوس . ومن المصيب أنهم أطالوا القول في هذه المسألة (مسألة أفعال العباد) متجدين ومتممين ، مشرفين ومغربين ، فكانت من أعوص المسائل بين الفرق الاسلامية والمسيحية .

ولونأملوا لمرغوا أنه لا فرق بينهما وبين غيرها ، فكل شيء من الأشياء عويص إذا أردنا أن نقف على كنهه وحقيقته ، فإبنا تجاوز قدرنا ثم نكثر من الصراخ والضوضاء ؟ ولونأكلنا كلام المتأخرين في هذه المسألة ورجعنا إلى سلفنا الصالح ، لوجدنا كلامهم أدخل في باب الحقيقة ، وأقرب إلى الدوق والافتناع . فانظر إلى قولهم : «أمرين أمرين لا جبر ولا تفويض » يريدون أن العبد ليس بمستقل استقلالاً تاماً ، ولا هو مجبر على ما يأتي ويذر . وهذا شيء نحس به ولا نذكره ، وإن لم يمكننا بحديثه كما قلنا .

وقد سأل الإمام علياً كرم الله وجهه شيخ بعد انصرافه من صغين ، فقال : «أخبرني من سیرنا إلى الشام أكان قضاء الله وقدره ؟ » فقال : «والذي خلق الحية وبر الذئبة ما وطننا موطننا ولا هبطنا وادي ولا علونا تلة إلا بقضاء الله وقدره » . فقال الشيخ : «عند الله أحسب عنا ما أرى في من الأمر شيئاً » فقال له : «مه أيها الشيخ : لقد عظم الله أجركم في سيركم وأنتم سائررون ، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين » فقال الشيخ : «فكيف ساقنا القضاء والعذر ؟ » قال : «ويحك ! لعلك ظننت قضاء مجبراً وقدرنا قاسراً . لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب ، والوعود والوعيد ، والأمر والنهي ، ولم تأت لائمة من الله لمذنب ، ولا محمداً لمحسن ، ولو كان المحسن أولى بالمدح من المسيء ، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن . تلك مقالة جنود الشياطين وشهود الزور ، وأهل العمى عن الصواب ، إن الله أمر بتحذير ، ونهى تحذيراً ، وكلف يسراً ، لم بعض مغلوباً ، ولم يطع مستكراً ، ولم يرسل الرسل إلى خلفه عبثاً ، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » .

وقال الإمام الرضا : «إن الله هو المالك لما ملكهم ، والقادر على ما أقدرهم ، فإن احمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادداً ، وإن اختاروا معصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوا فليس هو الذي أدخلهم فيه » .

أقول : ولهذا كله ترى القراء ان ينسب الأفعال الى العبد نارة والى الله نارة أخرى ، نظرا للأمرين ، وتوفية للمنامين . وهكذا يجب في الشريعة الحكيمة التي تعتبر الأسباب وتراعى المراتب ، ثم لا تلبس أن تلفتك الى الحقائق وما يجب اعتقاده في حق خالق ، الذي تستمد جميع المخلوقات منه ، ولا غنى للممكنات عنه ، بمقتضى إلهيته الشاملة ، وربوبيته التي تعد كل شئ ، وتحيط بكل شئ .

والخلاصة أن هنا غلطين : (الأولى) ظنهم أن علم الله بالأشياء يوجبها بطريق الجبر لا بطريق الاختيار . ولا أدري كيف يفهمون ذلك ، مع أن العلم لم يتعلق بملك إلا على وجه لا اختيار منك ، فهو إذا يؤكد الاختيار ولا يعارضه . (والثانية) إخراج الإرادة الانسانية من سلسلة الأسباب وجعلها لغوا في اليبين . وقد اختصرنا لك الطريق ، وأهدينا إليك لباب التحقيق .

وبعد : فن عرف الألوهية وعظمتها ، لم يطمع في معرفة أسرارها ولا اكتنتها حكمتها في مخلوقاتها ، فإنه تعالى دبر العالم على حسب علمه لا على حسب علمك . وكل من عرف عظمة الربوبية لم يوجه اليها سؤالا ، ولم يتبع في شأنها خيالا . وما جاءت المصائب كلها إلا من تقدس الانسان عقله العاصر ونفسه الجاهلة ، وعدم معرفة ربه . ولكن فتضى قصور عقله أنه لا يدرش قصور عقله ، وجهل نفسه أنه لا يدرك جهل نفسه .

كلمة ختامية :

رأيتنا أن نختم كلمتنا هذه بما رواه البيهقي في كتابه الأسماء والصفات عن عمرو ابن ميمون عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه لما بعث الله موسى وكلمه قال : اللهم أنت رب عظيم ، ولو شئت أن تطاع لأطعت ، ولو شئت ألا نعصى لما عصيت . وأنت تحب أن تطاع وأنت في ذلك نعصى ، فكيف هذا يا رب ؟ فأوحى الله اليه : إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون . فأنهى موسى رواه البيهقي في مجمع الزوائد وعزاه الى الطبراني

وزاد فيه . فلما بعث الله مزيرا سأل الله مثل ما سأل موسى ثلاث سراة ، فقال الله تعالى له : أنتستطيع أن تصر صرة من الشمس ؟ قال : لا ، قال : أنتستطيع أن تنجيء بحكيال من الريح ؟ قال : لا ، قال : أنتستطيع أن تنجيء بمشقال أو بغيرا من نور ؟ قال : لا ، قال : فهكذا لا تقدر على الذي سألت عنه . فقال عيسى عليه السلام : القدر سر الله تعالى فلا تكلفوه .

وروى الطبراني عن وهب عن ابن عباس أنه سئل عن القدر فقال : وجدت أطول الناس فيه حديثا أجهلهم به ، وأضعفهم فيه حديثا أعلمهم به ، وجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس : كل زاد فيه نظرا ازداد تحيرا . وقد قال تعالى : « إني أعلم ما لا تعلمون » .

وسر ذلك أن الله قد خلق العوالم كلها كالشيء الواحد ، فلا يمكنك أن تحكم على شيء من الأشياء بالأحكام الصحيحة المحيطة إلا إذا أحطت خبرا بجميع العوالم وما بينها من العلاقات ، وما لها من للراتب ، وما فيها من الأسرار .

وقد امرضنا لهذا الموضوع في رسالتنا تفسير قوله تعالى : « لا يسأل عما يفعل ، بغير ما قاله المفسرون . وعلمها خير ما كتب في هذا الموضوع فيما نطق ، والفضل لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولنتقهر القلم على ترك الجولان في هذا الميدان ، والوفيق يكفيه القليل ، ولتخذول لا يقنعه الكثير .

أسأل الله أن يعرفنا قصور عقولنا ، وعظمة ربنا ، وأن يقينا شر الفتنة ، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين بجنه وكرمه .

يوسف الدمجري
من هيئة كبار العلماء

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

معاملة التجار وما فيها من الربا

ستفتاء موجه الى فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي

لا يخفى على فضيلتكم أن المعاملات قد تطورت حتى تركزت على حالة غير التي كانت عليها في الأزمان السالفة ، فقد كان الرجل لا يقدم على شراء شيء إلا إذا حصل على ثمنه في يديه فيشتريه ويبيت مطمئناً لا يطالبه أحد . أما الآن فقد استأخ الكل الأخذ بالآجال ، فلا زرع ولا تاجر ولا موظف ولا ذو مهنة ، إلا وقد أصبح مديناً . ومن تساهله في الدين صار بتدأين فيما لا ضرورة له ، حتى صار كل واحد يتن مما عليه . وهذه حال عمت القرى ولأهمصر ، فلا تجد بلداً إلا وهذا حاله .

وقد نشأت هذه الحالة من وجود البنوك في جميع أنحاء العالم ، وهم يمدون المصانع بالأموال لكي تتوسع في صناعتها ، ومنى توسعت ضطرت لتعريف مصنوعاتنا . ومع كثرتها لا نجد مشترين يشترونها نقداً ، فتبيعها بالآجال . وهكذا نفعل مع الزراع والتجار ، حتى توسعوا في أعمالهم ، واضطروا هم أيضاً لترغيب الناس في شراء ما عندهم بالآجال ، فأصبح جميعهم مديناً ودائناً معا . ونشأت حالة لا مناص منها وهي التعامل على قاعدة الربا وعليه صرنا في حاجة الى فتواكم على السؤالين الآتيين :

١ — هل ما يدفعه التاجر من الموائد عند تأجيل دفع المستحق عليه يعد معاملة بالربا ، ولو كان في حالة اضطرابية مرغمة له ؟

٢ — وهل يبيع كيميالات الدين لدى له على الناس يعد معاملة بالربا ، مع العلم بأنه

يبيعها بأقل من قيمتها، وهو إنما يضطر إلى ذلك لأنه هو الطريق الوحيد الذي يصونه من السقوط والافلاس والخراب المحقق ؟

نرجوكم الجواب عن ذلك ولكم من الله الأجر والثواب . والسلام عليكم ورحمة الله

عباس عوف

أحد التجار بالسكة الجديدة

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وأصحابه .

لا يجوز تأخير الدين مع الزيادة فيه لأجل التأخير . وهو ربا الجاهلية الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بقوله : « ألا وإن ربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب » .

وقد ذكروا في قوله تعالى : « يأها الدين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً واتقوا الله لعلكم تفلحون » في سبب نزول الآية أن الرجل في الجاهلية إذا كان له على إنسان دين ، فإذا ساء الأجل ولم يكن للدين ما يؤدي ، قال له صاحب الدين : زدني في المال حتى أزيدك في الأجل ، فربما فعلوا ذلك مراراً حتى يصير الدين أضعافاً مضاعفةً ، فنهى الله عز وجل عن ذلك ، ونزلت الآية

وقد نص الفقهاء على أن هذه الزيادة ممتنعة ، سواء كانت في القدر أو في الصفة . بل نص الفقهاء على أنها إذا اتفقا قبل انقضاء الأجل على أن يؤخره أجلاً ثانياً على أن يدفع له رهناً أو حميلاً ، كان ذلك في معنى الزيادة ، وكان ممنوعاً ، لئلا يلزم عليه سلف جرتفما . بخلاف ما إذا اتفقا عند الأجل على أخذ رهناً أو حميلاً على أن يؤخره بعد الأجل الأول ، فذلك جائز ، لأنه كابتداء سلف على رهن أو حميل .

وعلى الجملة فهي لا تجوز . وهي دخلة — كما نص الفقهاء — في باب : أنظرني أزدك .

ومسألة بيع الكياليات المؤجلة بأقل مما فيها جرمة أيضاً ، لأنها داخلة في تلك القاعدة القائلة : كل سلف جر نفعاً فهو حرام . وهذا قد أقرضه مائة مثلاً ليأخذها بعد ستة مائة وسبعة أو مائة وعشرة على حسب الاتفاق الذي بينهما على ما بينه السائل . وليس ما ذكره من لا اضطراب والإرغام ببيع الربا . ولو أئجناه لأجل ذلك لكننا كمن يداوى الأمراض الحادة بالمخدرات التي تحدث تسكيناً وقتياً ، ثم يعود الألم بعد ذلك بأشد مما كان ، مع ما يستتبع هذا الملاح من أمراض جديدة هي أخطر من المرض الأصلي .

فالدواء الحقيقي لهذه الكوارث التي شرحها السائل وذكرها على طولها ليسكون فيها عظة وعبرة ، إنما هو التفكير في استئصال هذه الأمراض من جذورها : بالرجوع إلى العمل بالشرعية وتعاليمها الحسنية ، التي تقي كل من اتبعها من التعاسة والشفاء في الدنيا والآخرة .

فلندع ذلك البذخ الفارغ ، وذلك الظهور الكاذب ، ولنعلم أن الضروري للإنسان في هذه الحياة قليل لا كثير . ولكن الناس بذخاطون في هذا غلظاً فاحشاً ، فغشبه عليهم الحجيات بل الكياليات بالضروريات . ومعلوم أن الكياليات لا حد لها ، بخلاف الضروريات ، فما أقلها وأهون أمرها !

نصف رغيف مشبع لمن أكل فالذل يا هذا لماذا يحتمل
هون على نفسك فالدهر دول غايته للوت وإن صال الأمل
وليت شعري ماذا صنعوا شاك الطواهر الخلابه مع تلك الأفكار المضنيه ، والمؤلمات
المبكية :

لا تغتر بنعيمهم لجسومهم في جنة وقلوبهم في نار
وعندي أنه لو كانوا ذوي حزم ورشد لتخلصوا من تلك الورطات بأية طريقة ،

وعملوا على تطهير أموالهم وإداحة أنفسهم من تلك الرزايا ولو بالتصفية المؤلمة (وليتولوها طوعا قيل أن يتولاهما غيرهم فهرا) .

ولا غرو فالمريض يبتز أحد أعضائه ليعيش مستريحاً من ألم المرض وانتشاره في جميع الأعضاء . ومدار الأمر فيها أراه على قوة العزيمة وتوطين النفس على الرضا بالقليل ، وسلوك سبيل الاقتصاد في كل ما يأتي ويذر . وإذا صدقت منه العزيمة في الرجوع إلى الله والتوبة مما هو فيه ، فسيجعل الله له فرجا ومخرجا « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » . ولأن يؤسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ، خير من أن يؤسس بنيانه على شفا جرف هار ينهار به في نار جهنم .
وكم شقاء يتصور للناس بصورة السعادة « أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا » .
وكم أناس ضل سعيهم في الحياء الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وما أحسن قول من قال .

إني أرى الدنيا وليدة فتنة	وعناء قد كبرت عن الترتيب
قد جاء منطقها ونص كتابها	بالزور من خلق ومن تهذيب
ألف التناحر نازلوها وانتهت	من غير تأليف ولا تبويب
يزداد فيها العقل عن مقدورها	والعقل يذنبها من التخريب

وخلاصة القول أنه لا دواء إلا ما جاء به الشرع الشريف ، غير أن للضطر له حكم آخر فيما بينه وبين الله تعالى تقتضيه الرحمة الإلهية ، ولكن ذلك خارج من حد الفتوى في تحديده وبيان مقداره . ولعل صاحبه أدري به من كل أحد ، ولكن عليه أن يقدر الضرورة بقدرها ، ولا يغش نفسه ، وأن يلتجئ إلى الله تمام الالتجاء ، متضرعا باكيا حتى يرشده ويعينه ، ثم يعجبه من دسائس نفسه الأمارة بالسوء ، فإنها أخفى من ديب الثمل في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، فليكن منها على حذر ، وليكن رجوعه دائما إلى خالق القوى والقدر ، فالله يرجع الأمر كله « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك »

لها، وما يُمسك فلا مرسِلَ له من بعده، وهو العزيز الحكيم». «إن أحسنتم أحسنتم
لأنفسكم وإن أسأتم فلها».

أسأل الله أن يصلح حال المسلمين في دينهم ودنياهم، وأن يلهمهم الرجوع إلى العمل
بشريعتهم حتى يسمعوها سعادة لا شقاء بعدها، بمنه وكرمه. يوسف الدمري
من هيئة كبار العلماء

استيضاح لفتوى

وقفت على فتواكم في مجلة نور الاسلام على سؤال الأستاذ أحمد محمد العدني
في صفحة ٥٤ من المجلد السادس لسنة ١٣٥٤ وهي إجازة تكم صرف أموال الزكاة المفروضة
على الأثنياء إلى مواساة فقراء المستثنى من المسلمين، وجلب الأدوية لهم، وعمار
أبنية بإزاء المستثنى المذكور للفقراء المذكورين، وعمار مدرسة إسلامية تعد
لتعليم البنات صونا لمن عن غشيان مدارس البشرين مع جلب لمعدات المسلمات. فقد
جاء جوابكم على طبق السؤال مشيرا إلى مشاهدة الحال، صريحا في صرف الزكاة إلى
ما أفاده السائل وحكاه مع شرطه في آخر تحرير الجواب، كما لا يخفى على ذوي الأبواب.
وبما أن لي بعض الإلمام بالعلوم الإسلامية، فلي في ذلك مقال ينبغى بيانه، ولا يسعني
كتابه، فأقول وبالله التوفيق:

لا يخفى عليكم أنه سبحانه وتعالى قد حصر الصدقات في ثمانية أصناف، تضمنهم قوله
تعالى: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب
والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل». وكذا قوله صلى الله عليه وسلم لسائله الزكاة:
«إن الله لم يرز بحكم نبي ولا غيره» في الصدقات حتى حكم هو فيها جزأها ثمانية أجزاء،
فإن كنت في تلك الأصناف — أي الأجزاء — أعطيتك حقك». رواه أبو داود.

فسلم من الحصر بأنما فی الآیة أنها لا تصرف لغيرهم ، وهو یجمع علیه ، وإنما وقع الخلاف فی استيفائهم : فذهب الشافعی رضی الله عنه : بحج استيعاب الأصناف إن قسم لامام وهناك عامل ، وإلا فالقسمة علی سبعة ، فإن فقد بعض الأصناف رد علی الموجودین منهم ومذهب الشافعی أيضا : فی سبیل الله . ثم الغزاة الذکور الذین لا سهم لهم فی دیوان المرتبة لاستعماله فی الجهاد أغلب عرفا وشرعا ، بدلیل قوله تعالى فی غیر موضع : « یقاتلون فی سبیل الله » غمل لا إطلاق علیه ، وإن كان سبیل الله بالوضع هو الطريق للوصلة الیه وهو أهم قال العلماء : ولعل اختصاصه بالجهاد لأنه طریق الی الشهادة الوصلة الی الله تعالى ، فهو أحق بإطلاق سبیل الله علیه .

ولا یجوز أيضا فی مذهب الشافعی صرف الزكاة فی عمارة المساجد وتکفین الموتی وغیر ذلك من المصالح العامة وإذا كان لا یجوز صرفها الی ما ذکر فلا یجوز صرفها أيضا الی ما أقاده السائل ، فإنه من باب أولى ، لأن فایته أنه من المصالح العامة ، فلا یجوز صرف شیء من النی . للمتطوع ، بل لو عدم النی . واضطررنا لی للترقی لیکفینا شر الکفار ، أعانه الأغنياء من أموالهم . كما لا یصرف النی . الی مصارف الزكاة .

وقول المجیب : « إن البنات والمرضى المذكورین من جملة الفقراء والمساکین ، وإن الجماعة الی تأخذ الزكاة کأنهم وکيلة عن أولئک الفقراء والمساکین » لا بأس به ، ولكن هذا متعذر حصوله عرفا وشرعا ، وذلك أن الجماعة المذكورة لا یجوز لها قبض الزكاة من الأغنياء ، وصرفها فیما ذکر إلا بإذن من الفقراء والمساکین ، بل ومن جمیع المستحقین . ولا شک أن هذا الإذن متعذر ، وصرف التمتع متعذر ، لأن کل أحد من المستحقین متشوف لخروج زكاة مصراقب لأخذها ، ولا تسح نفسه بتركها الی ما ذکر . کیف وقد قال صلی الله علیه وسلم : « لا یحل لامریء من مال أخیه إلا ما أعطاه من طیب نفس » . روه الحاکم بإسناد علی شرط الشیخین . وحيث إن الأغنياء دفعوا زکاتهم علی هذا الوجه للمتعذر ، لم تبرأ ذمهم عن الزكاة ، بل یبقی حق المستحقین عندهم ، لأن عملهم

مردود، لقوله صلى الله عليه وسلم : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» متفق عليه .
ولاحد «من صنع أمراً على غير أمرنا فهو مردود» . وقال في الفتح : وهذا الحديث
ممدود في أصول الاسلام وقاعدة من قواعده ، فإن معناه «من اخترع في الدين ما لا
يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه» ١١ .

وقول المصيب معلل : «لو فرضنا أن هناك فقيراً نعتذر تسليمه الزكاة لجنونه مثلاً
أو لغير ذلك ، لم نتوقف في جواز إعطاء الزكاة لوليه والقائم على أمره ، فمكذا هنا» .
فنقول : إن هذا في غاية البعد ، لأنه ليس كل مريض مجنوناً ، وليس كل فقير مسلوب
المبارة ، وإنما جوز في حق المجنون ونحوه لفقد عبارته ، ولأنه حبر عليه الشارع ،
فلو لم يكن عليه الحجر المذكور لكان مثل غيره . فشتان بين المقيس والمقيس عليه . وحيث
إني رأيت الجواب في غاية العموم بادرت ببيان هذا من باب التعاون على البر والتقوى ،
وترجوكم البيان في مجلة نور الاسلام .

المفتي خضر بن عبد الله عبد الرحيم الحسيني البغلي اللعجي

حول حرمة اليا نصيب

ورد على المجلة هذا السؤال من الطالب المفكر الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي بالسنة
الرابعة من القسم الثانوي بمعهد الزاويين يقول ما ملخصه :

قرأت من مدة بمجلة نور الاسلام ما يفيد حرمة تداول أوراق اليا نصيب ، لاربا إن
وبحت أو لاغرم إن خسرت . ولكن في نفسي من ذلك شبهة أريد إزالتها ، فإنها تمر
في نفسي حل تلك الأوراق وجواز بيعها وطيب كسبها . ذاك أن لتلك الأوراق فوائد
عديدة ، ومكانة في الأعمال الخيرية ، فهذه الجمعيات الاسلامية المسددة إن طالبت

ذوى اليسار بالتبرع لم نجد لهم أثراً، وإن حثت الناس على الجود لم نلق منهم نصيراً. وأمام هذه الجمعيات أعمال كثيرة في حاجة للمال وفقر الجهود الموحدة فهذه جمعيات الواساة الإسلامية أرادت أن تنشئ مستشفياتها العظيمة ولو مكثت سنين طويلة ما جمعت مالا يذكر. وهذه جمعيات للملاجئ والإسفاف وغيرها تشتكي من قلة المعين وندرة المحسنين. فالأمر أمران: إما أن تخلق هذه الجمعيات، وإما أن تبحث عن مورد جديد تؤدي منه أعمالها، فلو حرمت اليا نصيب لضاعت هذه الجمعيات وذهب أثرها.

بقي أن اليا نصيب تعدونه بيعاً، وهذا هو سر الإشكال. فلو نظرنا إلى غرض تلك الجمعيات لرأيناه شريفاً، وهو حث الناس على التبرع للأعمال الخيرية بفرض مكافأة لبعضهم ليتسابقوا في الإحسان. وإذا نظرنا إلى مشتري اليا نصيب وجدناهم لا يمدون طائفة متقفّة تعلم غرض الجمعيات فتدفع القرش جوداً وإحساناً من غير انتظار لجزاء، وطائفة تدفع القرش وتنتظر حظها عسى أن تكون من المسكافئين. فأى ضرر في ذلك والأمر لا يمدو وأن يكون مكافأة؟

الجواب

قال الله تعالى: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما». وقد كان الميسر المعروف إذ ذاك عبارة عن اجتماع قوم من فتيان العرب ورجالهم، يأتون يجزور ينحرونها، ويأتون بقداح لهم كانت معروفة عندهم، وهي الأزلام أو الأفلام، وكانت عشرة، لكل واحد منها اسم خاص: الفذ والتوأم ولريقب والجلس والنافس والمسبل والمبلى والنيبع والسفيح والنوغد، فيضعون هذه الأزلام في الرماية، وهي خريطة خاصة بوضع الأزلام فيها، ويسلمونها لأمين يديرها حتى يختلط بعضها ببعض، ثم يمد يده على غير هدى فيخرج قدحاً منها باسم واحد، ثم آخر باسم آخر، حتى يخرج العشرة الأفلح. وكان لكل قدح من السبعة الأولى نصيب معلوم: فالفذ جزء، وللتوأم جزءان، وهكذا إلى المبلى يكون له

سبعة أجزاء . أما البسج والسفيح والوعد ، فلا شيء لها بل أصحابها يفرمون ثمن للنافعة المنحورة . وكان من عادتهم أن يتشفعوا عن أكل لحم تلك الجزور ، بل يفرقونه على الفقراء إياه وشيئا ، فكان الكثير من الفقراء يلتفت حوله حينما يلعبون تلك اللعبة انتظارا لما يصيبهم منها .

فهذه هي المنافع التي ذكرها الله عز وجل بقوله : « ومنافع للناس » . فإذا كان يعود على اللاعبيين من لحمها شيء ، بل يكفون بلذة الظفر والفوز ، ومع ذلك حرّمها الله عز وجل بعد ما أنصفها ببيان ما فيها من منافع وما فيها من إثم . فإثمها تجده واضحا في الحفيظة والحقد ، لأن نفس المغلوب فيضمر الشر لنفسه ، وقد يندفع إلى السرقة منه أو البطش به ، مع الحسرة على ما دفع ، ومع اشتطاط الغالب في التيه والصلاف والمباهة .

وهذا أمر من شأنه أن يوقع العداوة والبغضاء بين نفوس المؤمنين ، كما قال تعالى : « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والبسر ويعدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » ، ومظهر الإيمان هو ما ذكر في قوله صلى الله عليه وسلم : « لن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وقوله عليه السلام : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ، فإذا نهوا عن ذلك البسر وهو لا يعود عليهم منه شيء ، بل جميعه كان يصرف للفقراء ، فكيف تبسره وهو يعود بخذوا فر بلا مقابل على واحد من الباسرين على حساب الباقيين ؟

وقد قالوا في سبب تسميته بالبسر : إنه يجب المال ببسر وسهولة بدون أن يقدم المستفيد ما يناسب ما استفاده من المال ولو بعض المناسبة ، أو من اليسار أي الغنى فإنه جالب له بلا حق بالنظر لفريق ، سائب له كذلك عند الباقيين ، ولو رأيت بعض من أولعوا بالبسر من صفار النفوس من الموظفين مثلا ، وقد رصد لهم باعة تلك الأوراق ينتظرون خروجهم من الدواوين أول يوم في الشهر ليأخذوا منهم ثمن ما باعوه لهم أثناء الشهر من

تلك الأوراق ، لفاضت نفسك عليهم حسرات ، إذ يكون أول ما يصرفه من رزقه ورزق عياله هو هذه النقود لللقاة على الأرض ، بل للغدوف بها في البيم ، وهي عرق جبينه ، ومحط آماله وآمال أسرته .

ولقد عرضنا في العدد الثامن من المجلد لأول من مجلة نور الاسلام لهذا الموضوع بتفصيل واف بوصح رجوع هذه العاملة الى الميسر ، فنحسب أن يرجع اليه القارئ ليقنع كل اقتنع ومما قلناه هناك : « إذا كان اليا نصيب ميسرا فكيف أباحت القوانين الوضعية مع حظرها لعب للميسر ؟ » وأقول : إن القوانين الوضعية لم تنبع بإطلاق ، وإنما رخصت لبعض الجهات الخيرية القائمة بالمشروعات الناعمة أن تتركب هذا الأمر لظهور بأصله لتصل الى مساعدات من الجمهور الذي قصر عن إدراك قيم المصالح العامة وجوب النهوض بها ومساعدتها . فهي تكاد تشبه الاتقام من تلك النفوس الجامدة على الأموال ، بابتزازها منها بتصوير أن في ذلك إعطاء لها . وكل من عرف ما يدور بخلد المقيمين على مشتري تلك الأوراق لا يخالجه شك في أنهم إنما يشترونها طمعا في مصادفة السعادة من غير طريقها المأمون . »

ولقد بينا في ذلك الموضع أن الشارح أبان من طرق الترغيب في التبرع للخير والبر ما لو اتبع تمام الانبعاث لأغنانا عن مثل هذا الانتداع . وعلى اجلة فالحلال بين والحرام بين .

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

براهيم الحبال

وصالة ابن صريحة الانصارى

وأوصيكم بالله أول وهمة	وأوصيكم بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم	وإن كنتم أهل السيادة فاعدوا
وإن أتم أعوزموا فتمفغوا	وإن كان فضل المال فيكم فافضلوا

مؤتمر تاريخ الأديان

بمناسبة قرب اجتماع مؤتمر تاريخ الأديان في بروكسل في سبتمبر الآتي .
وبمناسبة تولية حضرة صاحب الجلالة ملك مصر اعظم حفظه الله فضيلة الأستاذ
الأ كبر الشيوخ محمد مصطفى المراغي شيخنا للأزهر ، وهو العالم الإمام الكبير ، المعروف
بسمو مداركه وفهمه للإسلام فهما عاليا صحيحا ناضجا ، وفهمه للحياة الاجتماعية الحاضرة
فهما لا يقل عن ذلك .

وبمناسبة الحاجة الملحة لأن لتوجيه القوى والجهود الى توطيد أركان السلام العام
ودره خطر الحروب العامة المستقبلية بقدر الامكان . وبمناسبة ما هو منتشر الآن في أوروبا
من خيالات عن الاسلام وبني الاسلام وكتاب الاسلام مما لا ينطبق على الحقيقة ،
الأمر الذي لا يتناسب وروح التعاون بإخلاص بين الشرق والغرب .

بمناسبة كل ذلك ، أهيب بمؤتمر تاريخ الأديان أن يتوسع في مهمته نوعا لهذه الظروف
المحيطة ، وأن يأخذ عن الاسلام وتاريخه فكرة جديدة من أعضائه المصريين
الأزهريين ، وأن يجعل ذلك دستوراً لفهم الحقيقة الإسلامية ينير به الرأي العام في أوروبا
لينقذها من شرين محيقين :

الأول : شر الجهل بفهم حقيقة ديانة يعتنقها أربعة مليون من الجمعية الانسانية
بمحتكون بأوروبا حشوك الجوار والخلعة والامتزاج والوحدة لسياسية والاقتصادية ،
بينما هذا الدين صريح الحقيقة واضح المبادئ والتعاليم ، ليس فيه غموض ولا التواء ،
يدرسه المسلمون في معاهدهم دراسة علنية ، في أيدي المستشرقين لو أرادوا الخدمة العلمية
الحقة أن يقفوا عليه من معاهد الاختصاصية وقوفاً تاماً ، ولا سيما من أكبر تلك المعاهد
وأقدمها هذا منذ ألف سنة ، وأكثرها تبحراً ودراسة لجميع مذاهب الفقه الاسلامي ،

وهو معهد الأزهر الشريف ، ولأنه يقع فضلاً عن ذلك في أقرب البلدان الشرقية حضارة لأوروبا ، وفي أعرق البلدان العربية فقهاً باللسان العربي الذي جاء به لدين الإسلام . وقد ضم الأزهر الآن روحاً جديداً من الثقافة العامة إلى ثقافته الإسلامية ، مما يوجب على الجماعات الأوروبية وأقسام اللاهوت فيها ومقارنة الأديان ، أن يتلقنوا معارفهم الإسلامية عنه ، فليست تلك المعارف بأقل شأنًا من سائر البحوث العلمية التي تؤخذ عن الاختصاصيين من أهلها .

لأمر الثاني الذي يجب أن تنفذ أوربامنه ، الناشئ من سوء فهمها الحقيقي لإسلامية ، هو ذلك الازدراء والظمن المنتشران في بعض بيئات أوروبا ضد الإسلام والمسلمين ، والمقابل بالمثل في العالم الإسلامي . ولا شك في سوء عاقبة هذه الروح العدائية بين أمم وشعوب متجاورة مشتبكة في المصالح والاستمرار ، لاسيما والعالم الآن على شفا حرب مستمرة ، توقدها السياسة ، فتنفجر لها براكين العلم والكيمياء الجهنمية ، بما لم نره الكرة الأرضية في تاريخها .

فيجب لذلك قبل حصول الخطر أن يصطلح الأخوان الغرب والشرق ، ويكف الغرب عن ازدراء الشرق والإسلام ، وتقف حركة التأليف المنتشرة في أوروبا بالظمن على الإسلام من المبشرين والمستعمرين والملحدين وجهلة المستشرقين ، وتنشأ حركة تأليف عكسية تقرب الهوة بين الشرق والغرب ، وترفع تلك البقضاء الشاحنة بين العالم الإسلامي والأوروبي ، جذبا لأمة السلام العالمي بأسباب هي في أيدينا الآن .

ولا شك أن مؤتمر تاريخ الأديان هو قوة من القوى ، وعند الخطر تتجه القوى كلها إلى درته ، والمؤتمر صوت مقبول محترم يرفع ويسمع إذا علا وارتفع ، ولا لوم عليه إذا خص الإسلام بهذه العناية في دورته هذه لمزيد احتكاك الإسلام بأوروبا في الوقت الحاضر .

فعلى أوروبا الآن بعد فشل تجاربها العديدة ومؤتمراتها المتنوعة لضمان السلام العالمى أن تخلع عن الكبرياء والغطرسة، الذين كانت تنظر بهما للإسلام قتراء صورة وحشية، وأن تسعى فى فهم حقيقته عن أهله، وأن تكف سفهاها عن الطعن فيه، وأن تتخذ منه جارا ونصيرا لمفاجآت الدهر المقبلة. ولها فى الأزهر وشيخه الحالى أعظم فرصة سانحة لحسن التفاهم العلمى والسلام.

محمد عبد السلام القباني
المدرس بالأزهر

ما قيل فى اصطناع المعروف

قال الأخف بن قيس : « ما ادحرت الأكباء للأبناء ، ولا أبقت المومى للأحياء شيئا افضل من اصطناع المعروف عند ذوى الاحساب »
وقال حكيم : « أحمى معروفك بأمانة ذكره ، وعظمه بالتصغير له » .
وقال حكيم آخر : « من تدام كرم المسم النفاق عن حجته ، والاقرار بالفصيلة لشاكر نعمته » .
وقال غيرها : « للمعروف خصال ثلاث : تعجبله وتبسيره وتسييره ، فمن أحل بو حلة منها فقد بحس المعروف حقه ، وسقط عنه الفكر » .
وقيل لماوية بن أبى سفيان : « أى الناس أحب اليك ؟ قال : من كانت له عسدى يد صالحة ، قيل : فإن لم تكن له ؟ قال : من كانت له عنده يد صالحة » .
وقال ابن المبارك : « عن حميد عن الحسن قال : لأن أفضى حاجة لأح لى أحب الى من عبادة مئة » .
وقال اسماعيل بن مسرور عن جعفر بن محمد قال : « إن الله خلق خلقا من رحمته يرحمه لرحمته ، وهم الذين يقضون الحوائج للناس ، فمن استطاع منهم أن يكون منهم فليكن » .
وقالوا : « جهد المقل أفضل من غنى المستكثر » .

دحض شبهات عن الاسلام

للاستاذ (أسياء بومان) العالم الجغرافي الأمريكي مؤلف عنوانه (العالم الجديد) أعاد طبعه وزاد عليه فصلاً جعله تحت عنوان (العالم الاسلامي) ، وقد أفاض فيه في نواح سياسية واقتصادية واجتماعية لا نرى أن نساجه البحث فيها ، ولكنه تعرض لنحية دينية لا نجد بد من تصحيح نظره فيها . وإنا لنأثرون هنا ما قاله في هذا الصدد ، فإليك :

« قد وجد محمد البائل العربية التي كانت في حالة تنازع مستمر ، وأقبحها بأن يجتمع على فرض مشترك هو إعلان الحرب على العالم غير الاسلامي وتوسيع سلطان المسلمين . قضى على الاسلام ثلاثة عشر قرناً سمحت له فيها فرص كثيرة أن يمد رواق سلطانه على مساحات واسعة من الأرض وبين أمم مختلفة ، تخضع لتعاليمه السم والسود والصفر ، وانتشر انتشاراً خفيف ليس بين أهل الشرق المزدحمين في بيئاتهم خصب ، ولكن بين سود أواسط أفريقيا أيضاً . وسيطرة الاسلام بوجه عام على أتباعه خارقة للمادة الى حد أنه لا يوجد قط مسلمون تحولوا الى الديانة المسيحية . فمد نشوئه لم يتأثر أتباعه بما طرأ على الممالك المجاورة له من الحالات التعاقية كال تقدم في الثقافة أو في السياسة ، وكالتفكك والتضام ، وكالتوسع والتقلص ، ولم يتأثروا حتى من نتائج الحرب العالمية . »
 « لم تعوز الاسلام الفرصة ليكتشف ضعف أعدائه ثم يكر فيقضي عليهم . »
 « علينا أن نسأل : هل في تاريخ الاسلام أو في الموقف الحالي للعالم الاسلامي ما يعزز الخوف من أنه في مملكته الواسعة قد يعمل القضاء على المدينة الغربية الراهنة ؟ »
 فأجاب الأستاذ أسياء على نفسه : « بأن ذلك يقع لو أمكن اتفاقهم وتوحيدهم ، ولكن لقيام عقبات من ضروب شتى في وجوبهم منع هذا الاتفاق ، فإنه لا ينبغي منهم عليها » .

هذه ما قاله الأستاذ أسياه ، وإن لنا فيه لكلاما ، فنقول :

يؤسفنا أن نرى عالما جغرافيا يعرض لدين عالمي يدين به نحو خمس سكان الأرض على هذا الوجه ، فيعطى للناس منه صورة لا تمت إليه بصلة من أية ناحية من النواحي . إن الذي يتلو العبارة التي نقائناها هنا عن كتاب (العالم الجديد) بخيل إليه أن الدعوة المحمدية كان مرماها الوحيد لتحقيق غاية حربية هي لا غارة على العالم غير الاسلامي ، وإخضاع أممه وشعوبه لحكم المسلمين . وهذه تهمة تنفّر من الاسلام كل من يطلع عليها ، ويعدّه خطرا على المدنية الانسانية ، وعلى النظم الاجتماعية ، فهل يستطيع الأستاذ (أسياه) أن يدلل عليها من نصوص كتب لاسلام ، أو من تاريخ رسوله ، أو من سيرة أصحابه ؟

وهل يصح أن يكون للدين الذي يقول كتابه : « تلك الدار الآخرة نجماها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والواقية للمتقين » غرض مادي يسمى لتحقيقه من وراء إذلال الأمم وإخضاعها لسلطان أهله ؟

إننا لعارضون هنا حقيقة الاسلام وأغراضه الاجتماعية السامية يرى القارىء أين منها الأستاذ (أسياه) وغيره من الذين يكتبون عن الاسلام بغير بحث ولا تحقيق : الاسلام قبل كل شيء دين أنزل على فترة من الأديان ، وبأخرة من لزمان ، ليبان أهل الأرض آخر رسالة سماوية ، ويختتم دور الوحي بمقائق فيها سعادة الانسانية ، وشفافوها من علها الخلقية والاجتماعية . فجاءها بأصول هي على أعظم جانب من الخطورة ، ففهمها السابقون الأولون وتخلّفوا بها وقاموا بنشرها ، فدانت لهم الأرض فإن كان مهول الأستاذ (أسياه) الدوى الكبير الذي أحدثه المسلمون في العالم ، فهو أثر هذه الأصول لا أثر تلك الفتوح ، وهذا سر بقاء جميع الشعوب الاسلامية على عقيدتها طول هذه الأحقاب ، لا تنتقل عنها الى عقائد أخرى ، لأنها ترى أن ما هي عليه ليس مما يستبدل به شيء آخر من أعراض هذه الحياة .

وقد كان يجب على الأستاذ (أسياء) أن ينظر ما هي تلك الأصول وما سر تمسك أهلها بها الى هذا الحد، لأن يتمجبل فيصف الاسلام بأنه أشبه بانفاق جنائي على تدويخ العالم وإخضاعه لقوم مخصوصين .
أما ما يوصى به الاسلام كل آخذ به فهو :

١ - دعوة الناس كافة الى تعارف عام ما داموا إخوانا أبوجم آدم وأمههم حواء ، والإهابة بهم الى النفعية على الحزازات النفسية التي أوجدتها الأوهام القومية ، والفوارق الجنسية واللغوية ، وحثهم على التحاقد والتساحر . قال الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربي على أعجبي ولا لأبيض على أسود ، لا بالتقوى أو بعمل صالح كلكم لآدم وآدم من تراب » .

٢ - والدعوة الى وحدة الدين . فإن الاسلام يقرر أن الله أوحى الى أنبيائه جميعا ديناً واحداً هو ما يتفق والفطرة التي فطر الناس عليها ، ويتلاءم والعقل الذي غرس في نفوسهم احترام أحكامه . ولكن قادة الأديان تناولوا هذا الدين بالشرح والتأويل متابعين لأهوائهم ، وإخضاعا للناس الى سلطانهم ، فاختلف عن أصله ، وذهبت كل أمة فيه مذهب يباين ما عليه غيرها ، فبعدت بينهم شقة الخلاف ، فصار الناس يتبعون أوهاما وضعية ، لا حقائق إلهية . فكان الله يتدارك لانسانية بالرسول يبعثهم الى الأتم في فترات من الزمان ليهدوها الى ما كانوا يختلفون فيه من الحق ، وختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس كافة حقائق أولية صرفهم عنها قادة الأديان استغلالا لجهااتهم ، وهذه الحقائق هي أن دين الله واحد ، وأن الأديان لم تتخالف إلا بسبب بغي قادتها ، وأن الاسلام هو ذلك الدين الفطري الأول في تقاته ، فهو ليس بشيء جديد يريد أن يكلف به الانسانية استغلالا للمعاطفة الدينية . وأن الناس ما داموا قد خلقوا ليتعارفوا ويتعاونوا وجب عليهم أن يرجعوا الى هذا الدين الفطري ويتخذوه إماما لهم ،

ومؤداه لا يخرج عما يجدره منقوشا في صميم قلوبهم بالفطرة ، وما يدركونه ببداهة العقل ، وهو : أن يوحّدوا خالق الكون ولا يتناولوا ذاته بأفكارهم ، فانه بتعالى عن متناول العقول كما تعالى عن متناول الأبصار ، وأن يعتقدوا بجميع من أرسلهم الى الناس من رسل ، وما أنزل اليهم من كتب ، فلا يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض ، وأن يقيموا سلطان العقل ، فلا يستسلموا للأوهام ، ولا يمتقدوا شيئا إلا بدليل ، وأن يطلبوا الحق حيث كان ، ويقيموا العدل ولو على أنفسهم ، وأن يتخلفوا بحميل الخلال كالأحسان والرفق ، والسخاء والحياء ، والشجاعة والحلم والأناة الخ ، وأن يطمحوا الى معالي الأمور ويتجنبوا سفاسفها ، وأن يطلّوا العلم والحكمة حيث وجدوها ويعلموها للناس ، وأن يستعمروا لأرض ويحيوا مواتها ، وأن يتقنوا ما يصنعونه ويبلغوا به أقصى ما يمكن أن يبيّنه من كمال ، وأن يرتقوا في الأسباب ويأخذوا بالأصلح من كل شيء ، وأن يصلوا على نشر كلمة الله في الأرض .

الاسلام يقول إن هذا كله مؤدى كل دين أنزله الله الى العالم ، فإن كان من الأمم من خلط في عقائده ، وضل في مذاهبه ، واستسلم لأوهامه وأوهام غيره ، فليس ذلك من دينه الفطرى الذى غرسه في قلوب الناس كافة ، ولا من مولدت العقل فانه مفطور على نقي الخزعيلات ، ولكنه من استسلامه لزعماء أممهم من ناصيته فطوحوا به الى حيث شاءوا من مهامه ، الأضاليل ، ومتاه الخرافات .

أما وقد دار الزمان ، وبلغ العقل رشده ، فان الله أرسل رسوله محمد ، بالدين الأقدم وهو دين الفطرة البشرية ، ليهيب بالناس اليه تحت ضوء العقل ، وعلى هداية من العلم . هذه مراعى الاسلام ، وهى عينها مراعى كل فلسفة وعلم في الأرض ، فمن أية النواحي يعاب أهل دين على تمسكهم بهذه الأصول التى تعتبر عالمية عامة لا قومية خاصة ؟ وأى اتفاق جندى يمكن أن يلحظ فيها حتى يقوم مثل الأستاذ (أسياء) في القرن العشرين فيعلن أن المسلمين يتربصون بالسوء بالانسانية ؟

ينزعج الأستاذ (أسيه) من أن المسلمين لم يتأثروا بما طرأ على الأمم المجاورة من الحالات المتعاقبة، ولم يتأثرو حتى من نتائج حرب العمة. وإني لسائله: إن قوما على مثل ما ذكرته هنا من لأصول القوعية، والمبادئ العالية، وعدم التناقض بين العلم والعقيدة، كيف يمكن أن يتأثروا من أحوال متعاقبة طرأت على الممالك المجاورة من شكوك في الدين تحت تأثير العلم، ومن إلحاد فيه تحت مسولات الفلسفة لاسدية، ومن تولد المذاهب المتطرفة فيهم كالاشتراكية والشيوعية من سوء توزيع الثروة بينهم، مما مزق أحشاء الممالك وجعل أهله أشيما، ومما يهدد المدنية العالمية بالخطوب الجسم؟

يجب الأستاذ أسيه من نيات حال المسلمين بإراء جميع هذه التقلبات، ولكني أسأله: إذا كان قوم على مثل هذه المبادئ التي ذكرتها، لا يحدون مطمنا فيما هم يدينون به من الدين، ولا مغمزا في الأصول الاجتماعية والأدبية التي يوصي أهلها، بل يحدون أن كل ما أصابهم من محن، وما أصاب العالم من ثورات وانقلابات، أداة محسوسة على صدق ما لديهم من تلك لأصول، أفيمكن أن تأثر هذه الانقلابات العالمية حولهم تثبيتا لهم في حقيقتهم أم تشكيكا لهم فيها؟

أما كان الأولى بالأستاذ (أسيه) أن يدرس على هذا الثبات من المسلمين أمام التقلبات الخاصة والعامة ليرى السرفيه كما فعل قبله مواطنه الأستاذ الكبير (دريبر) فأودع كتابه (التنازع بين العلم والدين) ما أودع من ثمرات المدرس المستقل والفكر الحر والنظر الصحيح؟

على أن دريبر ليس الوحيد في دراسة الاسلام، فقد تقدمه (جوت) أكبر عباقرة الألمان فقال: «إذا كان الاسلام هو هذا فنحن إذن فيه». وتقدمه أيضا الفيلسوف الانجليزى الكبير (كارلايل) ومؤرخون وفلاسفة كثيرون وأقربهم منا (برناردشو) وقد بزم جميعا بقوله: «إنه لو تولى العالم الأوروبي رجل كمحمد لشفاء من علة كافة، وإن العام بدأ يفهم ما هو الاسلام، وإنه سيتم إسلام أوروبا عامة في قرنين من الزمان». أجل: ومن كان عنده دواء لنفسه وللناس أجمع فإنه يفكر في اتخاذ الوسائل التي

توصله الى استعمال هذا الدواء والانتفاع به ، وهو ما تراه باديا اليوم في كل شعب من شعوب المسلمين .

يخشي الأستاذ (أسياه) من اتفاق المسلمين على مصير المدنية ، وفي هذه الخشية دلالة كبيرة على تجهله تاريخ المسلمين . فليس مثله من يستطيع أن ينكر أن المسلمين في أول عهدهم أنقذوا المدنية العالمية من التلاشي ، وحفظوا العلم من الزوال ألم يعلم أن العالم الانساني كله كان في إبان البشة المحمدية في ظلام حالك من الجهل تحت حكم الطوائف الدينية ، وكان يجازى بالحرق كل من يجرأ على أي بحث حر أو إبداء أية نظرية ، أو القيام بترويج أي مذهب لم يكن مقروا من قبل ، وأن الكتب العلمية كانت قد كست في خزائن مؤصدة ترنع فيها الحشرات ، وتؤخذ من عيون كتبها الصحف لاستعمالها في الحاجات العادية . فلما بعث الله المسلمين أخذوا يجمعون هذه الكتب وترجموها الى لغتهم ، ويزيدون عليها من مباحثهم ، وينشرونها في جميع أرجاء العالم ، وأنهم قد ألفوا بين مدنية اليونان والفرس والهند والرومان ، فأخذوا من كل منها أحسنه ، وأسسوا مدنية جديدة برزت جميع المدنيات التي سبقتها في الأرض رواء وروعة ؟ ويرى الأستاذ (أسياه) بعين رأسه نابتة المسلمين تدرس في جامعات الغرب مع أبنائه جنبا إلى جنب ، ويرى شعوب الاسلام تفتيس المدنية الحديثة ولا ترى حرجا إلا بما يرى أهل الغرب أنفسهم أنه خروج عليها يجب التصون منه .

فلا يخافن الأستاذ (أسياه) من المسلمين على هذه المدنية ، فإنهم كانوا السبب الأول في ازدهارها بعد ذبول طال عليها الأمد فيه ، بما أمدوها به من معارفهم ، وما زودوها به من صنائعهم . فلئن كان يخشى منهم على شيء منها ، فعلى الموج الذي بها ، وعلى العلل التي أرمنت في أحشائها ، وهذا يعتبر إصلاحا فيها لا إفسادا لها .

بروح الأستاذ (أسياه) أن المسلمين قد توصلوا الى بسط رواق سلطنتهم على مساحة عظيمة من لأرض .

نعم إن قوما يقومون على مثل ما قام عليه المسلمون من الأصول العالية والمبادئ القيمة لا يكونون جذيرين لأن يفسدوا رواق سلطنتهم على جزء عظيم من سطح الأرض فحسب ، ولكن يحق لهم أن يقولوا أن يوجب الناس إلى أصولهم ومبادئهم مسوقين بعوامل الترقى ، وهم لا يركنون إلى هذه الآمال كما يركن أهل البطالة إلى الأحلام المستحيلة ، ولكنهم يقررونها علميا ويشاركون في هذا الرأي رجال من أهل العلم الغربيين ممن لا ينهمون بحماسة المسلمين وتعلمهم

فليبدأ بال الأستاذ (أسياه) وبال الذين يرون رأيه ، فإن المسلمين حوا العلم والمدنية أيام لا يحى لهما ، وجروا بهما شوطا بعيدا في طريق الترقى والتكامل . وإذا عادت زعامة العالم إليهم كما كانت فسيكونون أبر الناس بهما وأكثرهم رعاية لهما .

هذا ما رأينا أن نقب به على كلمة الأستاذ (أسياه) وإن لنا لكلمات أخرى على أمثال هذه التهم التي لا يفتأ يرى المسلمين بها بعض المتكلمين عنهم وعن دينهم حتى يحق الله الحق بكلماته ، وهو خير الناصرين .

محمد فريد وهدى

الأرض الخصبة أفضل المال

قال معاوية بن أبي سفيان لصبيصة بن صوحان : إنما أنت هاتف لمالك لا تنظر في أود الكلام ولا في استقامته ، فإن كنت تنظر في ذلك فأخبرني عن أفضل المال

يقال : والله يا أمير المؤمنين إنني لأدع الكلام حتى يخنجر في صدرى ثم أذهب به ، ولا ألطف فيه حتى أقبم أوده ، وأخبر متنه ، وإن أفضل المال لبرة صمراء في زبة غبراء ، أو نعجة صمراء في نعجة خضراء ، أو عين ثرارة في أرض خوار .

قال معاوية : لله أنت فاين الذهب والفضة ؟

قال صبيصة : حبران يصطكان ، إن أقبت عليهما مديا ، وإن تركتهما لم يريدا .

ونظر عبد الله بن عباس إلى درهم بيد رجل فقال له : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك .

يريد أنه لا ينتفع به حتى ينفقه ، ويستفيد غيره مكانه .

أسرار التشريع الإسلامى وفلسفته

وقفنا بمحاضرات القرء عند حدود متنوعة من البحث الفقهى، الذى يتلاقى مع ماسن فى البلاد من قوانين لها أوتق اتصال بالأحوال الشخصية ويجرى تطبيقها فى المحاكم الشرعية، إرادة أن نكشف لهم عن جانب من جنبات الفقه الإسلامى فى نوع من معاملات العباد بعضهم لبعض، يتصل به علم القضاء فى محاكم الأحوال الشخصية، ويفصل فيه على هدى مذاهب الأئمة المجتهدين، وآراء الفقهاء المشترعين.

والآن نريد أن نعرض ولو بإلمام يسير فى هذا الجعفر عن حكمة إرسال الرسل، تمهيدا للكلام فى الجعفر الثالث عن حكمة تشريع النكاح، ثم فى الرابع عن حرمانه، وفى البحث الخامس عن مباحاته، وفى الجعفر السادس عن اضطراب وقع فى آراء المشترعين فى الفقه الإسلامى بين جمهرة من علماء بعض العصور المستعدينة، وفى البحث السابع عما أطبق عليه المشترعون فى أحكام النكاح بكافة قروعه، والثامن عن الأسرار فى مشروعية الطلاق بكافة مدلولاته بما وقع فيه من اصطلاحات متباينة فى حدودها وتفاسيها لدى الطوائف الإسلامية والفرق السيحية، وأقوال أئمة علماء انفروع وما يفتقر اليه للبحث من مدد فى الأصول الأربعة، وعن البحث التاسع فى أنواع الطلاق وجملة من البحوث لأصحاب الآراء الحديثة المصرية، وبعض فقهاء القانون المصرى وشطر غير قليل من مبادئ لأحكام صدرت فى بعض المحاكم الأوروبية لها أوتق اتصال بموضوع الطلاق. فلنؤت القارى بما وعدناه به فى مبحثنا الراهن من حكمة إرسال الرسل.

فالحكمة فى إرسال الرسل جميعهم إسماعد الناس، وإصلاح مشئونهم الدنيوية والأخروية، وإيصالهم الى ما أرادهم لهم العليم الحكيم من الكمال، وذلك لا يكون بدون

الرسالة التي تشعها الرسل عن باري السموات ومدير الكائنات ليبلغوها الى الأمم ، أداء للأمانة في أكمل حدودها وأبلغ مداها ، واتصالا لداعية الهداية في الخلق أن تتغلب بغيره وسلطانها على داعية الشر المنبعث في ظلمة الشهوة الموزعة على أعضاء الجسم والحواس ، ولكن لا تترك حكمة إرسال الرسل إلا بفهم أمور أربعة :

الأول — أن الله جلّت قدرته خلق النفس وركب فيهم شهوة باعثة على فعل ما ينبغي تركه ، ونفرة حاملة على ترك ما ينبغي فعله ، ومنعهم عقلا مضادا لهم ، ووضع زمام الاختيار في أيديهم ، وأمكنهم من فعل الطاعة والمعصية ، فأدركهم التكليف الذي سره بعد ذلك أمران جليان : أحدهما حظر المنكرات والقبائح ، كندت الله بما لا يليق بجلاله وعظمته ، وإعرض المنعم عليه عن شكر المنعم ، ومقابلة إنعامه بالإساءة ، فإن ذلك يكون مباحا بغير التكليف ، وبإحاطة باطله قطعا . وثانيهما سعادة المكلفين ، لأنهم بفعلهم الخير وتركهم الشر امتثالا لأمر الله تعالى ونبيه مع وجود الدواعي لأضدادها ، يتمتعون بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ولكن تنازعت الدواعي هؤلاء الكلفين ، وتنافست الصوارف ، وبالم من النفس الأماردة بالسوء عناء عند إرادتهم اتباع العقل ، ومن العقل الأمر الناهي تأنيب عندهم بمعاوذة النفس ، فأوقفهم التردد وأقعدتهم الحيرة ، فكان من رحمة الله وقدرته أن يقوى التعريف العقلي بالتعريف الشرعي على السنة الرسل الكرام ، لتقوى دواعي الخير فيميل اليه ، وتضعف دواعي الشر فيأبى عنه . ولولا ذلك لما سهل على أحد عصفان نفسه والعمل بسعادته ، ولما عرف ما أريد له معرفته من شئون الله تعالى وصفاته ، ولما كان لله على الناس حجة .

الثاني — أن النوع الإنساني بما فطره الله تعالى عليه مجبول على الاجتماع ، فإن حاجته الضرورية والكفالية تستدعي تساعدا الأيدي العاملة ، وتحمل على الصلة بين الأسرة والعشيرة ، بل بين الأمة جميعها ، بل بين العالم كله . بيد أنه قد تمكنت منه لذة الاستئثار

بالتأفّع ، فهو لا يسكاد يفتر عن السمي له بكل قوه وحيلة ، وتسلبط عليه حب الرفعة التي
 لزامها من وجوه الخير لكان ذلك مانعا لبعض الشر ، ولكنه سلك لها كل سبيل ،
 وطلبها بلباس الأقدسة لباس الرهبة لا الحرمة ، وهذات كافيان لهدم بناء الاحتجاج
 الذي قام على أس الضرورة ، ولهذا أراد كثير من عقلاء الأمم حفظ لمجتمع الانساني
 من خطرهما المصدق به ، فوضعوا أصولا للفضيلة وبيانا للرذيلة ، وأبدوا ما وضعوه
 بالبراهين العقلية ، ونادوا في الناس للأخذ به ، إلا أنهم لم يصلوا بذلك الى ما أمكوا ، لأن
 تفاوت الناس في الإدراك وفترتهم من الانقياد لميرم ، حملهم على عدم احترام تلك
 الموضوعات والأخذ بها . ويعلم الله أن الناس بما يشاهدونه في أنفسهم من العجز والتفسير
 آونة الى غير مقصدهم ، يرون أنهم منهورون بقوة فوق قوتهم وقوة ما يحيط بهم
 من للشاهدات ، ومسرون بإرادة تصرفهم تصرفا لا يفقهون كنهه ، وأنهم مذعنون
 لهذا الذي فاق قوتهم وغلب إرادتهم وإن اختلفوا في فهم ما تنفخوا على الخنوع له . أتاهم
 الله تفضلا منه وإحسانا من هذه الجهة ، جهة الخضوع والاستكانة ، وأرسل إليهم هادين
 مميزين بخصائص في أنفسهم ، ومؤيدين بآيات باهرات ، ومعجزات قاهرات ، يثوب بها
 عقل العاقل لي رشفه ، ويرعوى بها الجاهل عن غيه ، ويبقى كل منهم الى قبول ما أتى به
 هؤلاء الرسل من الأنوار الغالبة للعقول ، الموضحة عينك القوة والإرادة ، الموقفة كلا
 عند حده ، الحافظة للمجتمع الانساني من التفرق والاضمحلال ، المرشدة لخيري
 الدنيا والآخرة .

الثالث — أن الناس وإن كانوا يؤمنون بالحياة الآخرة إلا أنهم يجهلون حدود
 ما يستوجب السعادة فيها ، وشروط قبول الأعمال وجوبها ، فإن لأعمال النفس تأثيرا
 في الأعمال الظاهرة . وعلى النفس كثيرة وخفية . فلا بد هنا من إرشاد الروحاني
 الخبير بشؤون اللاأعلى وشروط الروح إليه . والعقل وحده لا يستطيع أن يهتدى
 الى كل ذلك ، وحاجة البشر الى الأنبياء كحاجتهم الى الأطباء . ولذا لو لم يمن الله جل وعلا

على جميع عبادهم ، مهمهم وخصمهم بإرسال رساله بالبينات والهدى ليزكيهم وتعلمهم الكتاب والحكمة ، لما سهل على أحد منهم معرفة حقيقة ما يحصل به صلاح معاده . ولذا قال لرموف الرحيم : « وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولاً » .

الرابع - أن هذا العالم الحادث التام الصنع والترتيب في دقيقه وجليله لا بد له من محدث عالم حكيم ، وأن هذا المحدث هو إله الخلق أجمعين ، والملك المطاع على الإطلاق لذى . مب أن يكون له تكليف على عبادهم ، وأمر بالخير ونهي عن الشر ، ووعد على الطاعة ووعد على المعصية ، وذلك لا يكون إلا بإرسال الرسل وإنزال الكتب فن أنكر الرسالة فقد أنكر أن الله ملك مطاع ، وطعن في ذلك . ولقد قال تعالى في متكررها : « وما قدرُوا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » .

ولما كان إرسال الرسل في حاجة الى تبيان ما أرسلوا من أجله وما بلغوا له الرسالة عن ربهم ، كان يسير علينا أن نعرض لكثير مما جرى به التعامل في باب للمعاملات الواقعة بين العباد ، وكيف أنهم يكونون أطرافاً متبادلة في العقود التي تقع في باب التصرفات الحاصلة شرعاً بين ذوى الأهلية ولا مبرية في أن القضاء في حدود الأحوال الشخصية من شتى التصرفات في باب المعاملات ، وأن نعرض لأشدها اتصالاً بها أولاً فأولاً . من أجل ذلك يجب أن نعرض للتعريف بالنكاح وهو الجعفر الذي يمت الى القضاء الشرعى ، لغالبية ما يقع من حادثات وخصومات في ساحة التقاضى ، وما يفسر عقول العامة من شهوات الانتقام فيذهبون لفورهم الى القضاء اختصاراً للطريق ، وهذا ما يشبع نهمة العامة .

أما النكاح في مباحثه وتعاريفه إجمالاً وتفصيلاً فهو يتنوع الى خمسة أنواع (١) النكاح وأسراؤه (٢) من حرم نكاحهن وأسراؤه هذا التحريم (٣) تمدد الزوجات والسرديات وأسراؤه ذلك (٤) حقوق المرأة في الاسلام (٥) العلم بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح وأسراؤها .

فمن الأول : النكاح في الاصطلاح الذي توضع عليه الفقهاء ، عقد يستلزم جنس الاستمتاع (ويستمتع تعونا على الحياة) وقد ورد فيه قوله تعالى : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نكحوا تكثرُوا » وهو سنة من سنن سيد المرسلين ، قال الصادق لأمين : « النكاح سنن من رغب عن سنن فليس مني » بل هو من سنن الأنبياء السابقين ، قال تعالى وهو أصدق القائلين : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » . وقال في الرهبانية : « ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فادعوا حق رعايتها » . أما زك سيدنا عيسى عليه السلام له فلمل السر فيه أن حاله كان يؤثر فيها الاشتغال بالأهل ، أو يتعذر معها طلب الحلال ، أولا بتيسر فيها الجمع بين السكاح والتخلي للعبادة ، فأخذ بالحزم واحتاط لنفسه . وأما غيره من باقي الأنبياء فقد أخذوا بالعزم وجمروا بين فضلى العبادة والنكاح .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوة عزمه لا تمنعه كثرة نسائه عن التخلي للعبادة ، ولا يذوده أمر هذا العالم عن حضور قلبه مع الله ، فقد كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش زوجه ، ولهذا لا يجوز لنا أن نقيس أنفسنا عليه في الاكثار من النساء . وأما أسرار مشروعية النكاح وجعله من السنن التي تدب الله ورسوله إليها فهي : أولاً — إيجاد الولد الذي هو الأصل فيه ، والسر في خلق الشهوة في الذكر والأنثى ، لأنها تمين الذكر على إبراز البذر والأنثى على التمسك من الحرث ، فيكون بهذين اقتناص الولد ، كما يكون الحلب الذي يلقى بالشبكة اقتناص الطير . ولهذا ينبغي أن نطلب الوكود من النساء ، ويعرف كون البكر ولودا بأقاربها .

واعلم أن في الولد فضائل تستدعى تطلبه وتحمل على الرغبة فيه : (أولاهها) وجود خلف ينتفع به وترجى لرحمة بدعائه ، قال ، عليه الصلاة والسلام : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

(ثانيها) تقديم فرط للأخرة ينتظر نفعه وتؤمل المغفرة به .

(ثالثها) السعي في رضا نبيينا الرحيم بنا بتكثير ما به زيادة قدره ونماء شرفه ،
للحديث السابق ، وقوله عليه السلام : « تناكحوا تكثروا فإني مياہ بكم الأمم يوم
القيامة حتى بالسقط » .

(رابعها) موافقة ذلك لإرادة الله من حصول النسل وعدم خلو هذا العالم من
الانس ، فإن العبد القادر على العمل إذ أعطاه سيده بذرا وآلة حرث وهياً له أرضاً
للزراع ووكل به من يتقاضاه عليها فأدى ما أريد منه ، كان موافقاً لإرادة مولاه ومستجباً
بذلك رضا ، وإن قعد به كسله عن العمل بأن هجر تلك الأرض وعطل آلة الحرث وترك
البذر حتى فسد ودفع الموكل بيمض الجمل ، فقد خالف إرادة سيده واستدعى غضبه .
والله جل وعلا خلق النطفة في الفقار ، وهياً لها مجارى في الأثني ، وأوجد لها
مستودعاً في الرحم ، ثم قدر لها البروز الى عالم الشهادة ومكبدة مشئون الحياة فيه .

على أن الله جل وعلا صرح مراده من خلق هذه الأشياء على لسان أكرم الأنبياء ،
فقد قال كما سبق : « تناكحوا تناسلوا » فمن تزوج كان ساعياً في إتمام ما أحب الله ،
ومن أعرض عن الزواج كان مضيقاً ما كره الله ضياعه ، وجانياً على مفطور الفطرة
ومفهوم الحكمة من خلق هذه الأعضاء ، ولهذا نهى عن التبتل عند هدم العذر الداعي
إليه ، وعن عضل الولي موليته عن النكاح .

ولما كان السر الأكبر في النكاح الولد ، طلب الشارع أن تكون الزوج غير ذات
قربة قريبة وهي التي تكون في أول درجات الخؤولة والعمومة ، كبنت الخال والخالة ،
وبنت العم والعمة ، ثلاثي ، الولد ضاوي (الضعف الشهوة) وأحق لغبة الحق على أمثاله .
وما كان تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش ابنة
عمه رضي الله تعالى عنها إلا لمصلحة تشريعية هي حل نكاح زوج المتبني كما سيجي .
إن شاء الله تعالى بأوضح بيان .

وثانياً — غص البصر ومراعاة العفة وكسر التوقان والتحرز من الشيطان ، قال عليه الصلاة والسلام : « من زوح فقد أحرز شطر دينه فليتيق الله في الشطر الثاني » . وقال راده الله صلاة وسلاماً . « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج » ، ووجه ذلك أن الشهوة التي هي أقوى أسباب المعصية إذا هاجت ولم تجد من التقوى صاداً قوياً وضابطاً شديداً ، حلت على ارتكاب المحظورات ، والسقوط في الموبقات ، كما يقع كل حين من المتبتلين الطالبين رضوان الله . وإن عارضها صاد التقوى وحاجز الخوف من الله ، غص البصر وحفظ الفرج وبقي الفكر مسلطاً على القلب ، لأن للرء لا قدرة له على وقايته منه ، وحينئذ يتردد بالخطر المطلع عليه من يعلم السر وأخفى من أمور الواقع ما يستحي للرء من ذكره لدى أحسن الخلق ، وذلك بالؤمنين منج لا سيما في الصلاة التي يجب أن يكون القلب فيها خالصاً لله تعالى ، ولذا قال ابن عباس رضي عنهما : « لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح » .

وثالثاً — إيناس النفس بالمجانسة والمحادثة ونحوهما ، إراحة للقلب وتقوية له على العبادة ، فإن النفس ملول ، ومن الحق الذي يخالف طبيعياً نفور ، فإذا سئمت المداومة على ما لا يوافقها من الطاعات ستمصت ، وإذا روحت بالذات انتادت ، ولهذا ينبغي أن تكون الزوجة ذات جمال يروق ، وحديث بسر ، ومجانسة تحجب الهموم وتؤذن للسرور . وقد أجز للرجل كما أجز للمرأة أن ينظر منها وجهها وكفيها بعد قصد النكاح وقبل الخطبة ، ليحصل الميل ويتم الائتناس ، قال عليه السلام المغيرة وقد خطب امرأة : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » أي أن تدوم بينكما المودة والألفة . على أن الائتناس بالزوجة ستراحة مشروعة . قال تعالى : « وخلق منها زوجها ليسكن إليها » .

رابعاً — تفرغ قلب الرجل عن تدبير المنزل لما جرت به العادة من تبرع المرأة بذلك ، فيتدارك الرجل العلم والعمل ، فهي تقويه على طلب الآخرة والعمل لها ،

بتفريع قلبه من تدبير المنزل وقضاء حاجة بنفسها ، ومن دفع الشرور وحلب السلامة بعشرتها ، ولهذا يطلب أن تكون الزوجة ذات دين وحسب وعلم وأدب .

ولأجل فراغ القلب والتحصيلين أباح الشارع نكاح الأمة عند خوف العنت وعدم القدرة على نكاح حرة مع ما في إرقاق الولد من نقص في الحياة القصيرة الفانية ، واقتحام الفاحشة من نقص في الحياة الطويلة الباقية التي تقصر الأعمال الطويلة إذا نسبت الى يوم من أيامها .

خامسا - رياضة النفس بالولاية على الأهل والولد ، والسمي في كسب الحلال للجميع ، وهدايتهم الى خيرى لدنيا والآخرة ، قال عليه السلام : «يوم من وال عادن خير من عبادة سبعين سنة» وقال : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» وقال عليه السلام : «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة»

وبلى هنا نجزئ للقارئ بما أسلفنا في هذا الموضوع ، لأن لا إرسال فيه والتوافر عليه يتطلب من الوقت والبحوث المتنوعة ما لا يقدر بالشئ القليل ، إذا أضيف الى ذلك أننا سنتحرى في المستقبل البحوث القسمة في جميع أبواب المعاملات ، خصوصا ما كان منها متصلا أو تقي اتصال بالأحوال الشخصية لدى الطوائف التي تخضع لجميع الشرائع المعمول بها لدى المحاكم ذوات الاختصاص ، وموعدا بذلك كله المباحث التالية ،

إن شاء الله

عباس طه
الحامى

فضل القلم

قال أبو الفتح البستي :

وعده مما يكسب الخلد والكرم
مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

إذا أقسم الأبطال يوما بسيفهم
كفى فلم الكتاب محمدا ورفعة

استدراك على ما كتب في العدد الثالث

جاءنا من حضرات طلبة الأزهري ما يأتي .
 خطب حضرة صاحب الفضيلة لأستاذ الأكر في أول عهد توليه المشيخة الجليلة ،
 وقد سمعنا تلك الخطبة ووعيناها فلم نسمع أنه نسب قوله : « من أراد الدنيا فعليه
 بالعلم الخ » الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه عزاه الى مأثور الحكم الاسلامية .
 فلما رجعنا الى المجلة علمنا أنها نقلت هذه الخطبة من أصل مطبوع قُتِيع من جريدة
 يومية ، فأدركنا من أين تسرب التحريف في رواية هذا الحديث الموضوع .

استدراك آخر

جاء في بعض المتأوى المنشورة في ذلك العدد قول شريك : « من كثرت صلاته بالليل
 حسن وجهه بالنهار » منسوباً الى النبي صلى الله عليه وسلم . والحقيقة أنه من قول شريك
 القاضي لا من قول النبي صلى الله عليه وسلم كما نص على ذلك الشيخ عبد الرحمن الشيباني
 في كتابه (تمييز الطيب من الخبيث) . ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليرجع
 الى كتاب الشيخ مرتضى الزبيدي شرح إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي
 عند كلامه على الأحاديث الموضوعة .

تصحيح خطأ

جاء بالسطر السابع من الصفحة ٣٥٢ من هذا العدد . « فل سبروا في لأرض
 ثم نظروا » والصواب : « ثم انظروا » .

تعليم اللغات في الأزهر

لما فكر مولاي فضيلة الأستاذ الأكبر في أن يتم الطلاب اللغة ، أردت أن أعرض عليه ما يمتن لي في هذا الموضوع ، فأقول :

أول ما يتم الانسان ، لغته القومية ، ويجب عليه أن يحافظ عليها حتى لا يتعد من دينه وفوميته ويندرج في أخرى ، وقد تضطره البيئة والظروف التي تحيط به ، ويحفزه عامل الرقي وحسب الاطلاع والتكامل ، أن يتعلم لغة أو عدة لغات .

حقا إن من يجد في تعلم لغة أجنبية ، يرد أن يخلق من نفسه إنسانا آخر متصل بأهل تلك اللغة ، فيتعرف ما عتد من آداب ، وعادات ، وعلوم ، وفنون . ومن يحرص على رقي أمته ينقل إليها النافع ويترك الضار .

وكأنما اللغات كائنات حية تتقارض وتبادل بعضها بعضا ، والاختلاط أكبر عامل في ذلك . والآن وقد اتصل العالم ببعضه ببعض ، وتصلح الدين الاسلامي أن يربهم آياته في الآفاق ، ويذهبهم على مكانته ، وأن ليس العيب فيه وإنما العيب في أهله ، وجب على الأزهرين أن يعلموا لغة غيرهم لينشروا الدين ، فيكونوا بذلك قد فتحوا فصحا مينا ، وأعادوا لنا عصر المأمون .

وما لنا نذهب بعيدا وعصرنا هذا هو عصر التبادل الفكري ، لا نجد فيه مؤرخا ، أو كاتبا ، أو شاعرا ، أو فيلسوفا أو عالما ، إلا وهو يستعين بلغة أجنبية وبما يترجم إليها من سائر اللغات ، فيتجلى في نفسه معنى الجمال والشوق الى الكمال ، فيكتب وينظم ويعلم أمته الجمال ، ويهديها طريق الكمال .

ونحن إذا تعلمنا لغة حية ، انسمت أمامنا آفاق الكون والتفكير ، وعرفنا أن الجمال مبثوث في الكون ، لم يقتصر على أمة أو لغة دون أخرى في تعلم أي لغة حية نجد ألوانا من التفكير لم يكن لنا بها سابق عهد : نجد فلسفة

وأدباً وعلوماً وفنوناً، نجد كنوزاً جمة، وافرة الثراء، بدبعة الرواء، تهيك قوة على قوة، وجمالاً وكمالاً. وإن شئت فقل حياة أخرى تنعم بها، ونطير في جوائها الفسيحة الراهية الجميلة.

والناس إنما يتعلمون اللغات لما آرب شتى، فقد يتعلم الفرد منهم ليكون ترحماناً، أو ليظهر بمظهر الراقى، أو ليضم أدباً إلى أدبه، أو علماً إلى علمه.

والأزهر اليوم يريد أن ينشر رسالته كاملة عامة، ولا يقنى له أن يؤذيها على وجهها إلا إذا تغذى بتلك اللغات وقيلها، وحافظ على لغته غير منفرط فيها.

يحتاج الأمر في الواقع إلى الإخلاص، وحكمة الحكيم، والى إرسال المتواليات التي تخدمه وتكرر حياتها له، حتى يأبى بالثمره المرجوه منه.

ولكى نرسم خطة مجمدة يصح أن نتبعها، نقسم الأزهر تقسيمه الحالي، أعنى إلى ابتدائي، ولأوى، وعال. وتتصور أن مشيراً يشير علينا بأن نعم تعلم أى لغة في الأقسام جميعها، فهل تقبل ما يشير به بادئ الرأي، أو تريث قليلاً؟

الواجب علينا أن تريث قليلاً، لئلا نرى الصواب في أى جانب، فليس كل رأى صحيحاً. وحققاً إننا لو وافقنا هذا المشير على تعلم أى لغة من اللغات في السنة الأولى من القسم العالى ابتداءً من السنة التالية، لانهى الطالب منه وهو لا يعرف إلا شيئاً وجزاً. وأما لو وافقناه على تعليم السنة الأولى من القسم الثانوى إلى نهاية القسم العالى، فإننا نكون قد أصبنا في هذه الموافقة، وتخرج الطالب وقد تمكن بعض التمكن من اللغة المراد تعلمها، إذ هو بذلك يكون قد أمضى سبع سنين على الأقل، وسأوى تنفيذ الكفاءة، ولكنه ينقصه أنه لم يصطبب معه لغة أخرى.

إذاً من الحزم والاقتصاد أن تتبع من يشير بتعليم السنة الأولى لابتدائية، حتى إذا انتقل الطالب إلى السنة الأولى الثانوية اصطبب معه لغة أخرى. وهذا ما عني، عرضته على مولاي. وأرجو أن أكون قد قاربت. والله هو للوفى. رمضان محمد غنيم من العلماء

نهضة الادب العربي

بين القديم والحديث

يتجه البحث الحديث في الأدب الى الجدة في مناجيه ، والى الشوكة في مناججه ، والى القوة في عناصره ، فأصاب من الجدة حظا وفيرا ، ودفعت به الثورة الى الهدم والبناء دفعا عنيفا ، ومكنته قوة عناصره من الاستقامة أمام ما يعتوره من مدوجزر ، ونجاذب عاصف بين أولياء القديم الواقفين مع الماضي ، وأنصار الجديد (الثائرين) على ذلك الماضي ، استقامة إلا تكن أدنى الى السكال المرجو ففى منه بسبب متين ، استقامة طبعته بطابع وسط بين الجود والثورة الجامعة ، وإن شئت قلت طبعته بطابع ينهض به أن يكون على هذا السنن المستقيم .

والجدة والثورة والقوة ، ليست أشياء منفصلة عن طبيعة الحياة ، وإنما هى كامنة فيها ككون النار فى الخشب ، بورها الاحتكاك ، ونذكيها لأحداث ، وهى من عناصر الأدب الحى فى كل أمة ، وكل لغة ، وكل جيل . وهى كانت من أظهر مميزات لأدب العرب ، لاتصاله بالحياة اتصالا وثيقا دل عليه أخذه من أطوار الحياة بقدر ما أخذت منها الحياة . فهو أدب كان ضيقا فى موضوعاته ، محصورا فى حدوده ، حيث كانت الحياة التى نشأ فيها ضيقة محصورة ، وهو مع ذلك قوى رصين ، لأن تلك الحياة كانت قوية رصينة ، ولكنه بطبيعته كان مجددا ناثرا ، حيث تجددت الحياة واثرت فى ظلال ألوية الثورة الاسلامية ، واتسع أفقه ، وترامت مطارحه ، لأن أفق الحياة العربية اتسع ، وميادنها استعظمت . كان فى أول نشوئه أدبا خاصا بالعرب ، يصور حياتهم فى بواحيهم ، وممالكهم فى جزيرتهم ، فأصبح أدبا عالميا يصور أفكار الأمم التى انصوت تحت راية الاسلام مدفوعا بقوة العرب الفتية ، ومصوّرا بأسلوب العرب الجزل الرصين . فلما استضعف العرب وذهبت ريجهم ، ضمف الأدب ولان ، بل حقر واستخذى ، وعاد ضيقا أضيق مما كان ، فى ثوب مهلهل ، وأسلوب مترهل كسيح ، لا ينهض بشئ ،

ولا ينهض به شيء، وزاجته الآداب المنهوبة فسيقتته، ووقف هو في ظل القرآن الكريم محتميا، ونفض من كاهله العصبية القومية مستبثسا من نعمها، ولجأ الى كشف الدين في صورة المثل اللغوية وشي، قليل من النثر والشعر، يقتضيه الحياة والعمالية. والدين إلهي المصدر، عالمي المشرع، وإن كان عربى المظهر، فأخذ الدين بيد الآداب الى مظهره ونقاه من غلث الاستعجاب، وعربه تعريبا خالصا صافيا، ووجهه الى تفكيره ومورده حيث تتلاقى الآداب كلها في باحة الانسانية الطليقة من أغلال العنصرية.

تجدد الأدب، وثار، وقوى، ومشى مع النهضة، وإن شئت قلت سبق النهضة، وإن تشأ قلت كان من أقوى بواعث النهضة، وأخذ من البحث سمتا إذا كان القدماء قد عرفوه أو عرفو شيئا منه، فقد ساءعتهم على تلك المعرفة طبيعة الحياة في عصرهم، وبيئات الأدب عندهم، وقوة الدولة العربية فيهم، فكان لا بد أن يعرفوا ما عرفوا. وكان حتما أن يعرفوا أكثر مما عرفوا.

أما نحن فكل أحوالنا وما أحاط وبحيط بنا من بعد البيئات العربية، ونجاف عن الطبع العربى، وجود في التفكير يسود جماعاتنا، وفقر في المعارف العامة والخاصة ينتشر بيننا. كل ذلك يقعد بنا عن أن نعرف شيئا من هذا الذى عرفناه فكيف إذا تجدد الأدب؟ وكيف نأر؟ وكيف قوى؟

حديث هذا التجدد والثورة والقوة عجيب، ولكنه سهل يسير لا عسر فيه، فصلة الأدب بالحياة وثيقة، والحياة تجددت في جميع أنحاء العالم، وثار ثورة جامعة جامعة، وقويت واشتدت قناتها، فلم يكن في طوق الأدب العربى أن يتخلف عنها في جدته وثورته وقوته.

كان الأدب العربى في عهد ضعفه لا يخرج عن تحبير رسالة في تهنئة، أو تعزية أو مدح أو هجاء، أو استعطاف وما يدور حول هذا المحور، أو نظم قصيدة في حدود من الماعى لا تدمو ماعى النثر فى الرسائل، على نمط من التسجيع، ونحوى فنون البيديع تحريا يدخل بها الى الإغفار والتعمية والتعقيد.

ولكن لأدب الآن في مذهب أهل العصر بحث وتحرير ، ففي البحث أسلوب على يستند إلى صلة الحقائق بالحياة ، وفي التحرير أسلوب مذهب طليق من قيود الاقتتان بالإغراب ، يجمع إلى العناية بالغالب العناية بسمو المعنى ، بل العناية بالمعاني فيه أغلب وأظهر ، تأثر بروح العصر .

وليس هذا الطرز من البحث حديثا كله على الأدب العربي ، فقد عرف الكثير منه في صور أروع وأدق من الصور التي يعرفها الأدب الآن ، وجددينا يستند في مهيمة إلى ذلك القديم القوي قبل الركود والجمود ، ولكنه ليس محض التقليد أو هو تقليد الحر المفكر ، فهو صفوة الاجتهاد والابتكار .

هذه مؤلفات نهضتنا وبحوثها بين يديك ، فأنعم النظر في قرءتها ثم حدثني هل رأيت في تنسيقها وتناولها للمعلومات نهجا قديما ؟ أليست هذه المؤلفات الجديدة في أسلوبها هي التي حيثت إلينا القراء والفرس ، والبحث والإنتاج ؟ وهل ينقص من تجددينا في بحوثنا وجود المادة (الخام) في كتب الأقدمين ؟ وهل في وجود المعدن في باطن الأرض ما يسلب فضيلة الصائغ الماهر ؟ وهل للمعدن قيمة من دون الصياغة ؟ على أن البحث الحديث لم يقف دون الخلق والابتكار ، فقد خلق فكر ، وابتكر موضوعات لها طابعها الخاص ، وجرى على قول بعض حذاق الأقدمين : « إذا رأيت الرجل يقول : ما ترك الأول للآخر شيئا ، فاعلم أنه لن يفلح » .

يقوم في نهضتنا الأدبية اتجاهان : اتجاه يؤمن بالتقديم وجلاله ، فهو مستمسك به أشد الاستمسك ، ومع ذلك فهو مجدد ، مجدد في طرائق الأداء ، وتنظيم موضوعات الأدب وتقريبها ، واتجاه جديد ، أو هو يحاول أن يكون جديدا ، جديدا كله ، فهو تأثر على القديم ، شك فيه ، بل جاحد له . وأصحاب هذا الاتجاه يأبون الاستسلام ، ويرفضون رفضا شديدا قفل باب الاجتهاد ومتافضة القدامى رأيهم فيما ارتأوه ، يضعون الأدب جملة وتفصيلا تحت مجس البحث والنقد ، وبدأيون على فتنة قضاياها أشد الفتنة ، ويمتحنون نصوصه أعنف الامتحان ، وينقدون تاريخه أمر النقد .

يعرضون للأدب الجاهلي بالإنكار، وهم متفاوتون فيه، فبعضهم من ينكر إنكاراً عريضاً لا يقف عند رسالة أو قصيدة، أو رجل، أو قبيلة. ومنهم من يتحرى البحث فينكر شيئاً قد يصح إنكاره مستنداً على شيء من الأدلة التاريخية أو البيئية أو الطبيعية. وهؤلاء يصيبون في كثير، ويستفيد منهم الأدب كثيراً. فمن الحق ألا نزرى بأبحاثهم، وأن ننتفع بها في دراسة الأدب على نهجهم، لأن هذا النهج هو الذي حدد لنا الأدب تحديداً خاصاً، فأصبحنا نفهم من كلمة (لأدب) في هذا المقام الصور الراقية التي يحتفل بها ويدخل لون الخيال في تصويرها، ونعني بالخيال الاتساع في التصوير على النحو الذي يتراءى في الاستعارات والمجازات والتشبيهات والسكنايات من ألوان البلاغة. فشمع الجاهليين أدب خاص، وكثير من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أدب خاص، وشعر الإسلاميين القدماء والمحدثين وخطب الخلفاء، وزباد والحجاج، وثر عبد الحميد، وابن المقفع، وقدامة بن جعفر، وكتابات الجاحظ، وابن سلام في النقد الأدبي، أدب خاص، ويسر النحو والصرف والعروض وفنونه لغة أدباً خاصاً، وكان الأقدمون يعتبرونها مع غيرها من الفنون داخلية في مفهوم الأدب، قال الملامة ابن خلدون: «الأدب هو حفظ شعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف.. من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها».

وهذا كما ترى تحديد واسع كان يفهمه الأقدمون من كلمة (الأدب). ولكن البحث الحديث جرى على التخصيص، فلا يدخل في الأدب ما ليس منه، وإن اعترف أن الأديب في حاجة إلى أن يعرف شيئاً كثيراً من معارف الحياة الجديدة والقديمة. وبمد في كلا الاتجاهين تجديد وتقيد: أولئك قلدوا في النظام وطرائق الأداء، وهؤلاء قلدوا مناهج المستشرقين في البحث والتوسع إلى الإنكار، وأولئك جددوا ديباجة الأدب وأثوانه، وهؤلاء جددوا في موضوعاته وبحوثه. وستبحث في المقالات الآتية فيما يخص الاتجاهين، والتوفيق بيد الله. صادق إبراهيم عرجون

الادب العربي^(١)

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

بدأت ظواهر الانحلال والضعف تدب في العقائد الدينية ببلاد العرب في أواخر القرن السادس من الميلاد ، ففقدت كثيرا من حداثتها وسطوتها بين سكان الصحراء العربية من القبائل التي لم تسمح لهم حالة مدينتهم القاسية وكفاحهم المستمر في طلب القوات بالاستغراق في الحياة الدينية أو التعلق بأسبابها ، فإن ظروفهم المعيشية الشاقة انزعجت منهم فكرة انتظار العون السماوي ، كما سلبهم كفاحهم الدائم وراء الرزق كل الأغراض العليا في الحياة ، وجعلهم لا يرجون من الحياة سوى أسباب المعيشة الدنيوية ، وظهر أثر ذلك جليا فيما خلفوه من التراث الأدبي من شعر ونثر . وأما في مكة ، وكانت دائما أهم المراكز الدينية ، فلم تنأثر قيمة الأماكن المقدسة أو بقل فيها روق الحفلات والطقوس الدينية ، إلا أن سكان هذا البلد كان جنهم ما يمنونه من وراء إقامة مثل هذه الحفلات من فوائد تجارية ، أي أن الناحية الدينية الخالصة كانت في نظرهم دائما في المرتبة الثانية ، فكان لا يقام لها وزن بجانب الناحية المادية الدنيوية .

استمرت الحال على ذلك طول القرن السادس من الهجرة ، وفي بدء القرن السابع منه أيضا ، والعرب في تناحر مستمر وكفاح دائم ، والفكرة الدينية أبعد أن يكون لها في غيبتهم أي أثر ، إلى أن ظهر محمد ، وجاءهم بوحي من عنده ، فتأخروا بعد التخائل ، وتألقوا بعد التفريق ، وبث بينهم تعاليم جمعت بين أغراضهم وبين أغراض الحياة الدينية العليا ، فعرفوا الحياة الإنسان قيمتها على الوجه لا ككل ، مما يساعد على رسالته المؤاخية بين مطالب الدين والدنيا على ضوء من العلم والهدية .

(١) مترجمة من الألمانية نقلت عن كتاب « تاريخ الادب العربي » للمؤرخ الألماني الكبير الاستاذ

الدكتور « روكمان » .

حث القراءان على القراءة والتعم ، فقلت الأمية ، وبذلك قرب بين العرب وزاد من تفاهمهم ، وتحت آثار الجاهلية الغاشمة ، وظهر أثر ذلك وانحما في الأدب العربي الذي يرجع الى هذا العهد والمصور التالية . وكانت رسالة محمد سببا مباشرا في استنهاض هم العرب لمناصرة العلوم الطبيعية والفلسفية والدينية ، ففتحت الأذهان وقُدحت القرائح ، وظهرت لهم على أثر ذلك أبحاث ممتعة وأعمال خالدة ، استضاء بنورها العالم طويلا ، ولا زالت حتى الآن ذخرا هاما يرجع اليه في كثير من العلوم والمعارف .

جاء القراءان كما أسلفنا يضمن ما قد يحتاج اليه الناس في حياتهم الدينية والدينية ، ويكفل لهم السعادة الجسمانية والروحية ، واضحا أساسا دقيقا للمعاملات والشرائع ، ومستورا ممتازا ، لأنظمة الإدارة والسياسة ، ترناح اليه الأمم والقبائل على تباعد أجناسها ، وختلاف لغاتها ، وتباين عاداتها وحضاراتها ، فهذا الحياة للشعوب الاسلامية أجيالا طويلة ، دون أن يسرى في رابقتها الانحلال ، أو يتسرب الى عقيدتها الفساد ، رغمًا عن الحوادث العالمية الخطيرة التي أودت بأمم كبيرة وحضارات عالية .

ولقد اهتم بحفظ القراءان نفر كبير من الصغاية ، كما عمل خلفاء الرسول على جمعه وترتيبه بمساعدة زيد بن ثابت كاتب النبي ، حتى إنه لا يدور بخلد أي إنسان الشك في سلامته من التحريف ، ولا تخالطه الريبة في صحته بأي حال من الأحوال ، رغمًا عن المنازعات المديدة التي كثرت عقب غزوات النبي وخلفاء الراشدين ، وفتوحاتهم في مشارق الأرض ومغاربها .

وهكذا بقي القراءان محفوظا بعيدا عن كل تغيير أو تحوير ، نظرا للاحترام الرائد والتبجيل الشديد الذي يحوطه من جانب المسلمين على تباين نحلهم ومذاهبهم ، اللهم إلا من اختلاف طفيف في القراءات ، يرجع الى تعدد اللهجات في البلاد العربية الواسعة الأرجاء المترامية الأطراف ، دون أن يسكون له أي أثر في جوهر القراءان من حيث المعنى أو الأسلوب .

رأينا فيما تقدم أثر القرآن في الأدب العربي على وجه العموم من الناحية اللغوية، كما انضح لنا أنه لولاه لما عرف العرب الأغراض العالية للحياة الانسانية في الدنيا، فهدب من طبائعهم وأصلح من نفسياتهم، فسلست تعبيراتهم، ومرتت أفكارهم، وانسجمت ألفاظهم ودقت معانيها. وأظهر ما ظهر ذلك في الشعر. وكان النبي لا يميل اليه في أول الأمر لتبجح الشعراء الجاهليين، وتهجمهم على كتاب الله، وتكالبهم على مناظرته، فلما أن استقر رسول الله الأمر في المدينة، اتخذ له من الشعراء أصحابا للرد على شعراء وفود قبائل العرب المؤمنين، الذين كانوا يأبون اليه خاضعين له، مولين بإياه قيادة أمرهم. وكانت تنبارى شعراؤهم في التمدح به وبرسالته. وأول من اتخذ رسول الله من الشعراء حسان بن ثابت، وهو من قبيلة الخزرج من المدينة، وكان قد بدأ حياته بصناعة الشعر واتخذها موردا لرزقه في بلاط أمراء الحيرة ودمشق، ولما بلغه نالقي نجم النبي في يثرب وانكسفت بجانبه أوار الأشرار الآخرين، ذهب اليه ونصب نفسه وموهبته الشعرية لخدمته. فأحسن له رسول الله العطاء، ولكنه لم يبلغ من الصيت والشهرة ما كان يصبو اليه، وعمر طويلا بعد النبي، وتوفي سنة ٤٤ هـ ولم يعترف له معاصروه بفضل كبير على الأدب العربي، إلا أن الأجيال المتأخرة قد عرفت به بعض ما فقد من الشهرة إبان حياته، فأظهرت في أشعاره من السمو المعنوي ما يفوق ما يموزها من الجمال اللفظي، وكانت عبارته اللغوية سهلة في غير كلفة، مما جعلها في نظر معاصريه فطرة لاشعرية فيها، ولكنها كانت بذلك سهلة الفهم على الأجيال المتأخرة.

ولقد اشتهر من الشعراء بعد حسان بن ثابت في هذا العهد اثنان من قطاعل شعراء العرب، هما الأعشى وكعب بن زهير، ولكل منهما شعر بديع في مدح النبي، ولو أن أولهما مات وهو لم يدخل في الاسلام.

ولد الأعشى ميمون بن قيس من قبيلة قيس بن ثعلبة في المنطقة باليمامة في وسط بلاد العرب، وكان يرتزق من شعره مثل حسان بن ثابت، إلا أنه كان أكثر منه

توفيقاً ، وكان كثير التجوال بين ربوع بلاد العرب ، فجاها من أقصاها الى أقصاها : من حضرموت في الجنوب الى الحيرة في الشمال ، وكان محل إكرام الولاة أينما حل لقصائده الرنانة في المدح ، فلم ياجأ الى قصائد التهم إلا نادراً . ولقد استفاد كثيراً من رحلاته في بلاد العرب ، واقتبس كثيراً من علومهم ومعارفهم ، كما اهتم بالمسائل الدينية ، وكانت أساقفة تيجران في جنوب بلاد العرب تبالغ في إكرام وفادته ، وكان راويته مسيحياً من الحيرة ، ولكن لأعشى لم يعتنق المسيحية ، فلما بلغته شهرة النبي نظم قصيدة في مدحه جمعت كل محسن فنون اللغة ، وحازت إعجاب العامة لعدة قرون ، ولو أنها لم تبلغ من الشهرة والذوبوع ما بلغته قصائد حسان بن ثابت .

وأما كعب بن زهير فهو سليل أسرة عرفت بالشعر منذ القدم من قبيلة مزينة ، وتجلت فيه الروح الشعرية القديمة بأجلى مظاهرها ، فبذ سابقيه في الشعر من حيث الطلاوة والرواق ، وكان في أول أمره لايميل الى الاسلام لتقييده حريات الجاهلية الجارفة ، فلما رأى أخاه بجيراً قد دخل الاسلام ، نظم فيه قصيدة ملؤها السخرية والتهم الجارح ، فأغضب ذلك رسول الله فأهدر دمه ، فاضطهد المؤمنون في كل ناحية . لأنه تمكن أخيراً من الوصول الى رسول الله ، وألقى بين يديه قصيدة عصماء مطلعها (بانت سعاد) جمع فيها أحسن أساليب الشعر معنى وأجزأها لفظاً ، فرضى عنه الرسول وصفح عن ذلته ، ودخل في دين الله .

وأشهر شعراء العرب في عهد محمد هو بلا شك ليبيد بن ربيعة ، فقد تمثلت فيه الروح العربية القديمة بشكلها النبيل ، فبرز بين شعراء عصره وامتاز عليهم جميعاً . ولد ليبيد من عائلة تليدة من بني جعفر أحد فروع قبيلة (هوازن) من بني عامر حوالي عام ٥٦٠ ميلادية ، وكان أبوه كريماً باسطاً للمحتاجين كلنا يديه ، وتوفي في معركة وزركة صغيراً ، فتولى تربيته عمه أبو البراء عامر الملقب (بملاعب الأسنه) لشجاعته ، وكانت أمه تنحدر أيضاً من أسرة عريقة في المجد والإمارة ، واشتغل بالشعر منذ نعومة أظفاره ،

إلا أنه لم تعرف له قصائد هامة في ذلك الوقت نخلو شعره من الحوادث الهامة ، اللهم إلا من بعض الفتن والتنافس على رضا العيان ملك الحيرة . ولم يستقر الأمر لرسول الله في المدينة وبلغته رسالته ، جاء على رأس وفد من قبيلته لاظهار خضوعهم ودخولهم في الاسلام ، ومات أخوه بصاعقة من البرق على أثرهكبة عن دين الله ، فنظم فيه مراثيات غاية في الروعة والجمال وأقام أخيرا بالمدينة فلم يبرحها الى الكوفة إلا في عهد خلافة صمر ، وعاش طويلا ، فقليل إنه مات في أول حكم معاوية حوالي سنة ٤٠ هـ .

واشتهر لبيد كثيرا بالمسائل الدينية مثل النافذة والأعشى ، وكانت توضع منظوماته في مساكن الأول بين شعراء العرب . وليس أدل على ذلك من أن إحدى قصائده وضمت ضمن اللعنات السبع .

وقد اشتهرت المراثي بين منظومات العرب منذ القدم شهرة كبيرة ، فوضع فيها أكثر شعراء العرب آيات خالدة غاية في الجمال والروعة ، ولقد امتاز عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذا الضرب من الشعر بظهور اثنين من فطاحل الشعراء ، ولكل منهما مراثيات من أبدع ما نظمته العرب ، وهما متمم بن نويرة والخنساء .

ومتتم بن نويرة هو ابن زعيم يربوع من قبيلة تميم ، وكان أحوه الأكبر مالك شاعرا أيضا ، وورث الزعامة من أبيه ، ودخل هو (مالك) وقبيلته في الاسلام ، فاعتمده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لجباية أموال الزكاة ، ولكنه سرعان ما ارتد عن الاسلام بعد وفاة النبي ، وخرج عن طاعة الخليفة ، الى أن أخضعه خالد بن الوليد في معركة خرب فيها سريرا ، فرأه أخوه متمم يرثية مؤثرة للغاية ، وجاء الى المدينة في عصر خلافة صمر ، فأكرمه واعترف بفضلله .

وانتقلت بهذه الزعامة في شعر الرثاء الى النساء ، فظهر نبوغهن وتفوقهن في هذه الناحية من الأدب العربي ، وإلى المراثي يرجع الفضل في شهرة أول شاعرة عربية وهي نمضر المعروفة باسم الخنساء ، ولدت في قبيلة بني سليم حوالي سنة ٥٨٠ ميلادية ،

وقتل أخواها معاوية وصخر في زمن الجاهلية الوثنية ، فانكبت طول حياتها على نظم للراني ، وأطلقت لنبوغها في الشعر العنان لرثتها ، ولاستنارة قبيلتها للانتقام لهما ، وللإشادة بذكر من أطفأ جذوة حزنهما بالأخذ بثأرها .

وحانت الى المدينة وقد بلغت أوج شهرتها في عهد الخليفة عمر ، وكانت وقتئذ في الحسين من عمرها ، فتمرفت بها عائشة أم المؤمنين ، وأمرتها بالكف عن رثاء أخويها اللذين ماتا في الجاهلية ، وكان لها ابتتان ، ورثت إحداهما (أمره) موهبة أمها الشاعرية ، وللأنتين قطع شعرية جميلة حفظت حتى الوقت الحاضر .

وظهر كذلك من الشعراء عدد غير قليل أثناء الغزوات والفتوحات الإسلامية في عهد النبي وخلفائه الراشدين ، على أن هذا العصر كثيره من عصور الحروب على العموم لم يكن في صالح الشعر أو الأدب العربي ، فكان أثره في تاريخ العرب السياسي كبيراً إلى أبعد حد ، إذ تمكن العرب بدافع تحمسهم لدين الله في وقت قصير من زلزلة الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، وإخراجها من الشام وممتلكاتها الأفريقية ، وتفويض المملكة الفارسية . وبالرغم من ضعف الشعر وقلته في مثل هذه العصور السياسية ، فإن أثر هذا التقدم الوطني ظهر في المجهود الأدبي في ذلك الوقت ، فذاعت القصص واختلط فيها الخيال بالحقيقة ، وعزيت إلى أبطال الغزوات قصائد ومقطوعات أدبية جميلة لم يعرف أصحابها الحقيقيون ، لاشتراك أغلبية الشعب في هذه النهضة الأدبية من نواحيها المتعددة ، فاختفت بذلك الشخصيات البارزة في الفنون والآداب .

ومن شعراء عصر الغزوات الممتازين أبو محجن من قبيلة ثقيف ، وكان قد شارك في الدفاع عن مدينة الطائف ضد المسلمين الفاتحين ، ودخل هو وعشيرته بعد ذلك يزمن قصير في الدين الإسلامي ، ولكنه بقي على كثير من عوائده القديمة ، فاستخدم موهبته الشعرية في مدح الحر التي حرّمها الإسلام ، واشترك في حروب الفتوحات الإسلامية في الشمال ، وامتاز ببلاؤه في موقعة القادسية ضد الفرس ، فنفرت له شعاعته

إدمانه الخمر، ولكنّه سرعان ما أغضب الخليفة لمودته إليها، فأمر بنفيه عام ١٦ هـ وتوفى في متفاه بعد ذلك بزمان قصير، ولم يبق في شعره دليل على إسلامه، كما أنه لم يظهر أثر لهذا العصر المملوء بالغزوات والفتوحات الإسلامية فيما تركه هذا الشعر من المقطوعات، بل كان أهم محتويات أشعاره وصف الخمر ومدحها على نحو ما جاء في شعر العصر الجاهلي الوثني.

واشتهر بعده أبو دؤيب، وامتناز عنه بشخصيته البارزة، وموهبته الشعرية القوية، وهو بعد أشهر شعراء المهذلين، واشترك في غزوات الفتوحات الإسلامية، وجاء إلى إفريقية عام ٢٣ هـ فبات أولاده الخمسة في مصر يمرض الطاعون، فترأى ممرئية رائعة، وتوفى بمصر وهو في طريقه إلى المدينة بصحبة عبد الله بن الزبير، وكانا يقصدان الخليفة ليخبراه نبأ غزوة قرطاجنة.

وأما الشعراء المهجائي وكان دائماً في العصور القديمة، وكثيراً ما استخدم في الجاهلية في نزاعات القبائل المختلفة إلى أن انحط إلى أدنى درجات التهديد الشخصي والانتقام من وراء ذلك مادياً، فإنه انقرض بعد ذلك تدريجياً ولعل أشهر من عرف من شعراء المهجاء في هذا العهد هو جوهر بن أوس الملقب بالخطيئة، وكان يحوب بلاد العرب مقنعاً بالأس بلسانه للنيل منهم، ولولا الحزازات بين قبائل العرب وتحامل بعضهم على بعض لما حفظ شيء من هذا الشعر ولم يبق من مقطوعات من شعراء هذه الطبقة حتى العصر الحاضر.

فضل رجحان العقل على الكلام

قال محمد بن الفار: دخل رجل على سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين فشكّم بكلام أعجبه، فاراد أن يحتجّه لينظر عقله، فوجد كلامه أكثر من عمله، فقال: فضل العقل على المنطق حكمة، وفصل المنطق على العقل هجنة، وحير الأمور ما صدق بعضها بعضاً، وأنشد:

وما المرء إلا لأصغر من لسانه ومعقوله والجسم خلق مصور
فإن تر منه ما يروق فرعاً أمر مذاق لمرود والعود أخضر

آثار المدينة المنورة

هذا اسم كتاب نفيس وضعه حضرة الأستاذ السيد عبد القدوس الأنصاري المؤلف بديون إمارة المدينة وأستاذ الأدب بمدرسة العلوم الشرعية .

ألم المؤلف الفاضل في كتابه هذا بكل ما تقع عليه العين من آثار مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدور والقصور والحصون والمساجد والبلاطات (يريد الطرق المرسوفة بالأحجار) والأمكنة المشهورة والجبل والحرار (جمع حرة تمنح الحياء هي أرض ذات حجارة نخرة سوداء كأنها أحرقت بالنار) والأودية والآبار والعيون .

فكل هذه الأشياء بهم زائر المدينة أن يعرفها ويعرف تواريخها ، فهذا الكتاب بمثابة دليل مفصل لها . وقد وضع بعناية وتدقيق عظيمين ، وقد حلّى بالصورة الفوتوغرافية مما زاد في قيمته العلمية

ونحن نقطف بعض ما كتبه عن مسجد قباء الذي يسمع عنه كثير من الناس ولا يعرفون له تاريخاً مع أنه أول مسجد بني في الإسلام .

أسس هذا المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر إلى المدينة ، بدأ به حين وصل قباء ، وهو مكان يبعد عن المدينة نحو أربعين دقيقة للماشي على قدميه ، وقد علون النبي صلى الله عليه وسلم على بناء هذا المسجد بنفسه .

فلما رث نأوه وأوشك يهدم حذره عثمان بن عفان وزاد فيه . ولما ولي عمر بن عبد العزيز لا موى على المدينة من سنة ٨٧ إلى ٩٣ هـ بالغ في تجميله وتوسيمه وأنام له مثذنة وجعل له رجة وأروقة .

وفي سنة (٥٥٥) حذره رجل يقال له جمال الدين الأصمغاني . ثم حذره رجال آخرون في سنة ٦٧١ و ٧٧٣ و ٨٤٠ و ٨٨١ هـ . وفي عهد الدولة العثمانية صر عدة مرات كان آخرها على عهد السلطان محمود سنة ١٢٤٥ وعهد ابنه عبد المجيد

شكل مسجد قباء مربع طول كل ضلع فيه أربعون متراً ، وعدد أساطينه تسع وعشرون ، وفيه منبر من الرخام كان ملك مصر قايتباي أهدها لمسجد النبوي ليوضع مكان المنبر المحترق وذلك سنة (١٨٨٨) فلما أرسل السلطان مراد الثاني المنبر الحالي إلى المسجد النبوي رفع منبر قايتباي ووضع بمسجد قباء .

لمسجد قباء رجة محصنة فيها نبة وبئر . ويقال إن هذه القبة رفعت في المكان الذي يركت فيه ناقة النبي صلى الله عليه وسلم .

ولتقسم المستف منه قباب وستة أروقة .

كان لمسجد قباء طريق معوج الى المدينة تكثر فيه الحفر والشقوق ، فشق أحد الولاة سنة ١٣٣٦ طريقا مستقيما واسعا وغرس على جانبيه نخلا وأشجارا ، أخذ أرضه من أصحاب البساتين ، فلما ردت الحكومة اليهم أراضهم الداخلة في الاشئ ذلك الطريق فأضطروا تزود للسير في الطريق القديم ، ولكن في سنة ١٣٥١ أعاد فتح ذلك الطريق الواضح عبد العزيز بن ابراهيم وكيل أمير المدينة بأن اشترى ما يدخل فيه من الأراض من ماله الخاص ووقفه لله تعالى .

مسجد الجمعة

وجاء في الكتاب المذكور تحت عنوان مسجد الجمعة كلام للحصه فيما يأتي .
هذا أول مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة بالمدينة ، وهو لهذه الخصوصية يعتبر أثرا إسلاميا كبير القيمة .

يقع هذا المسجد في نعل وادي رانواء شرق الطريق الممهدة الى مسجد قباء ، يراه سالك هذا الطريق عن يساره في هدنة من الارض .

طول هذا المسجد ثمانية أمتار وعرضه أربعة أمتار ونصف متر وارتفاعه خمسة أمتار ونصف متر . وهو مبني بالحجارة بناء جيدا ، وله قبة مبلية بالأجر الأحمر ، في داخلها أربع فتحات ، تخدم بالنور والهواء . وله حظيرة في شمالها طولها ثمانية أمتار وعرضها ستة أمتار ، وارتفاعها متران .

وعلى جانبي باب المسجد حجرات من الرخام الأبيض مستطيلات مثنان في الجدار . وهما منقوشان بخط متداخل جدا قرأت منه : « أمر ببناء هذا المسجد أمير المؤمنين السلطان الملك المنصور السلطان بايزيد بتاريخ شوال سنة ٨٠٠ »

والسلطان بايزيد هذا من سلاطين آل عثمان تولى السلطنة ما بين عامي ٨٨٦ و ٩١٨ هجرية . وعليه فإن بناء هذا المسجد قد مضى عليه أربعة قرون ونصف .

كان هذا المسجد في أول أمره واقفا في منازل بني سالم من الأنصار ، أما اليوم فهو في وسط منتصف نال ، تقوم في شرقه أشجار من الطرفاء ، وغربه قطعة أرض جرداء ، وجوبه بستان وشماله بستان آخر . وكان يعرف بثلاثة أسماء مسجد الجمعة ، ومسجد نوادي ، ومسجد عاتكة ، ولما في الاسم الاول من قوة ودلالة على المسمى غلب إطلاقه على المسجد المذكور ، وبه يعرف الى اليوم .

مسجد المصلى أو مسجد الغمامة

وجاء في الكتاب المذكور أن هذا المسجد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه العيدين وهو قائم في قضاء المناخة في المكان الذي صلى النبي صلى الله عليه وسلم العيدين ، وداوم على صلاة العيدين فيها لتسمع الناس جميعاً ، وما زال على ذلك حتى توفى ربه .

لا يعلم متى بنى هذا المسجد ومن بناه وكل ما علم عنه ما رواه السهوي عن ابن شهاب عن أبي غسان الكنتاني أحد أصحاب مالك بن أنس أن المصلى كان بيتاً بصفة مسجد في القرن الثاني الهجري .

طوله ٢٦ متر وعرضه ١٣ متراً وارتفاعه ١٢ متراً وصلى حبرانه متر ونصف متر .

اعتذار

باعتذار لصحراء القراء عن عدم إمكاننا نشر المقالة الثانية لحضرة الدكتور النطاسي عبد العزيز اسماعيل في هذا العدد بسبب تراحم المقالات ، وسنعود ان نشرها من لعدد القادم وهو قمر الظهور ، ثم نوالى القراء بما يليها ، إن شاء الله .

في الملازم الانكليزية

من العدد الرابع

قد أعدنا في الصفحة ٨٤ نشر ما سبق نشره في الصفحة ٥٢ وفيها تعليق من المترجم واستدراك في الترجمة .

وسقطت كلمة « في » من قوله صلى الله عليه وسلم : « حتى ما يجعل في في امرأتك » من السطر ١٤ من صفحة ٧١

وأفضل حضرة المترجم سهوا ترجمة « كتاب العلم بسم الله الرحمن الرحيم » من صفحة ٧٣

" I came riding on a she-ass at the time when I was approaching the age of puberty, - while the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) was performing his prayers at Minā without a wall to conceal him . I passed in front of part of the line of worshippers ; then I let the ass loose to graze, and entered the line without my action being disapproved

2 I am informed by Muhammad b. Yūsuf who had it from Abu Mus-hir, who was told it by Muhammad b. Harb, who received it from Az-Zubaidi, through Az-Zuhri, through Mahmūd b. Ar-Rabi, who said :

" I remember of the Prophet how he sprayed my face through his mouth with water taken from a bucket when I was five years old. (1)

« أَقْبَلْتُ وَاسْتَيْسَرَ عَلَيَّ حِمَارُ أَتَانٍ
وَأَنَا بَوْمَيْدٍ قَدْ نَاهَزْتُ الْإِحْتِلَامَ
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُصَلِّيَ بَيْنِي إِلَى غَبْرِ جِدَارٍ فَزَرْتُ
بِيَدِي بَعْضَ الصَّفِّ وَأَرْمَلْتُ
الْأَتَانَ تَرْتَعُ غَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ
فَلَمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ لِي » .

حدثني محمد بن يوسف قال
حدثنا أبو مسهر قال حدثني محمد بن حرب
حدثني الزبيدي عن الزهري عن محمود
ابن الربيع قال :
« عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَجْعَةً مَجْهَاتِي وَجَهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسٍ
سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ » .

(1) This hadith is intended to show that the memory of a child of five is valid evidence. The Prophet's action may be attributed either to playfulness or to the wish to convey a blessing.

CHAPTER 5.

On the words of the Prophet
(Allāh bless him and give him peace)

"O Allāh, teach him the Book" (1)

We are informed by Abu Ma'nar who had it from 'Abdu-Wārith, who was told it by Khālid through 'Ikrimah, through Ibn 'Abbās, who said :

" The Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) embraced me and said : ' O Allāh teach him the Book ' "

CHAPTER 58.

At what age is a child's hearing of the hadīth valid ? (2)

1. We are informed by Ismā'il b. Abu Uwais, who had it from Mā'ik, through Ibn Shihāb, through 'Ubaldu'llāh b. 'Abdu'llāh b. 'Utabah, through 'Abdu'llāh b. 'Abbās, who said .

فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا
خَضِرًا ، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي
قَعَّ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ .

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ » :

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْنَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ
الْوَارِثِ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

صَنَعَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَقَالَ : « اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ » :

بَابُ : مَتَى يَصْرِحُ سَمَاعُ الصَّغِيرِ
حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ
قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ
صَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

(1) 1 = Give Ibn 'Abbās understanding of the Qur'ān .

(2) According to Ibn Hajar " the validity of a child's hearing and understanding of the hadīth with a view to transmitting it when he comes of age.

mention his story ? " " yes, I have heard the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) say : ' While Moses was in a company of Israelite notables, there came a man who said to him — Dost thou know anyone more learned than thyself ? — No — replied Moses.

But Allāh revealed to Moses the words:— Yea, It is Our servant Khadr — Then Moses asked the way to him, and Allāh set the fish as a sign unto Moses, and it was said to him :— When thou looses the fish, return, for then thou shalt meet him —

Moses followed the track of the fish in the sea,⁽¹⁾ and then his attendant said to him : — Behold ! when we took shelter by the rock, I forgot *about* the fish, and it was only Satan that made me forget to mention it *to thee*. That is what we were looking for ⁽²⁾— said Moses

Thereupon they went back retracing their footsteps ; they found Khadr and there happened to them⁽³⁾ what Allāh (be He magnified and glorified) hath related in His Book :

السَّبِيلَ إِلَى لَقِيهِ ، هَكَذَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ ، قَالَ :
نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

« بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ وَجَلٌّ فَقَالَ : هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ قَالَ مُوسَى : لَا ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى : بَلَى عَبْدُنَا خَصِيرٌ ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْخُوتَ آيَةً وَقِيلَ لَهُ : إِذَا افْقَدْتَ الْخُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ ، وَكَانَ يَتَّبِعُهُ أَثَرُ الْخُوتِ فِي الْبَعْرِ ، فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ أَرَأَيْتَ إِذَا أُوتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ ذُكِرَهُ ، قَالَ : ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي

(1) Hadith commentators follow Al Baladawi in suggesting that they carried the fish with them, hence the phrase means " watched for its disappearance into the sea ".

(2) i. e. the disappearance of the fish, which was the sign predicted for the meeting with Khadr

(3) i. e. Moses and Khadr.

by sea (3) to Khadir ; (2)

And the word of Allāh (be He exalted) : " Shall I follow thee on condition that thou instruct me from what thou hast learnt for my guidance . " (3)

I am informed by Muhammad b. Ghurair Az-Zuhri, who had it from Ya-qûb b Ibrâhîm, who was told it by his father through Sâhîh, through Ibn Shihâb who stated that he was informed by 'Ubaydullâh b. 'Abdullâh through Ibn 'Abbâs that -

he and Al-Hurr b. Qais b. Hisn Al-Fâzari were debating about the companion of Moses. Ibn 'Abbâs said " It is Khadir ". As Ubayy b. Ka'b passed by them, Ibn 'Abbâs called him and said : " I and my friend here have been arguing about the Companion of Moses, regarding the way to meet whom Moses enquired. Hast thou heard the Prophet (Allāh bless him and give him peace)

إِلَى الْخَضِرِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا » :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ غُرَيْرٍ الزُّهْرِيُّ قَالَ

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنِي

أَبِي عَنْ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَ

أَنْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَهُ عَنْ ابْنِ

عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ

قَيْسٍ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ فِي

صَاحِبِ مُوسَى ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :

« هُوَ خَضِرٌ » قَرَأَ بِهِمَا ابْنُ كُثَيْبٍ

فَدَعَاهُمَا ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : إِنِّي

تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي

صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ مُوسَى

(5) According to Ibn Hajar Moses started his journey by land, but concluded it by sea upon meeting Al-Khidr

(2) Also " Al-Khidr ". Many suggestions have been made as to his identity all of which seem to be pure speculations. Various attempts have been made to connect "Khidr" with greenness " as the etymology of his name suggests, the most accepted being his having drunk of the fountain of immortality and obtained perpetual youth. In any case " Al-Khidr " is only an agnomen, the other suggested names being Phineas, Elisha Balifa b. Maikân ; who lived in the time of Al-adus, (one of the ancient Kings of Persia), or he may have been the brother of Elias. There is no certainty as to whether he was a saint or a prophet, or an angel, but his actions seem to suggest that he was more likely to have been a prophet acting under divine revelation .

(3) or " instruct me in the well-guided Knowledge that thou hast received ". Surah 18, Verse 65.

" Steep yourselves in learning before becoming rulers. " (1)

Abu 'Abdullah (Al-Bukhārī) adds : " and after becoming rulers ; for the companions of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) studied in their old age. "

We are informed by Al-Humaidī who had it from Sufiān, who was told it by Ismā'īl b. Abu Khālik (differently from what we received from Az-Zuhri), (2) who heard it from Qais b. Abu Hazim, from 'Abdullāh b. Mas'ūd, who stated that the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said :

There should be no envy but in two cases : that of a man to whom Allāh hath given wealth, and empowered him to consume it aright, and that of a man to whom Allāh hath given wisdom, and he judgeth by it and teacheth it .

CHAPTER 59.

On what hath been said on the journey of Moses (Allāh bless him)

أَنْ تَسُوْدُوْا .

قال أبو عبد الله : وَبَعْدَ أَنْ تَسُوْدُوْا ، وَقَدْ تَعَلَّمْ اصْتَعَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِبَرٍ مِنْهُمْ : حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ (عَلَى غَيْرِ مَا حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ) قَالَ سَمِعْتُ فَيْسَ بْنَ أَبِي حَارَمٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَسَطَ عَلَى مَلَكَتِهِ فِي الْخَلْقِ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا »

بَابُ مَا ذُكِرَ فِي ذَهَابِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ

(1) The word *تسودوا* implies any form of authority or responsibility. Its derivative *سود* includes the meanings of lord, master, owner, husband, governor, chief or nobleman.

(2) Al-Bukhārī reports Sufiān's transmission through Az-Zuhri in the Book of Tawhīd

CHAPTER 57

On the understanding in Knowledge.

We are informed by 'Ali, who had it from Sufiân, who was told by Ibn Abu Najih, through Mujâhid, who said :

I accompanied Ibn 'Umar to Madînah and heard him narrate only one hadith from the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) namely: " We were with the Prophet (Allâh bless him and give him peace) when he was brought the pith of a palm-tree. 'Among trees, said the Prophet, ' is one which is the parable of a Muslim ' "

I wished to say that it was the palm tree ; but as I was the youngest present, I remained silent

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) then said ' It is the palm-tree . '

CHAPTER 58.

On emulation in Knowledge and wisdom ; and the words of 'Umar :

بَابُ الْفَهْمِ فِي الْعِلْمِ :

حدثنا عليُّ حدثنا سفيان قال قال

له ابن أبي نجيح عن مجاهد قال .

« صَحِبْتُ ابْنَ مُعَمَّرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ

أَسْمِعْهُ مُحَدِّثٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا قَالَ :

كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَأُنِيَ بِجُمَارٍ فَقَالَ : « إِنِّ مِنَ الشَّجَرِ

شَجَرَةٌ مِثْلُكَ كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ » فَأَرَدْتُ

أَنْ أَقُولَ : هِيَ النَّخْلَةُ ، فَرَدَّأَ أَنَا أَصْغَرُ

الْقَوْمِ فَسَكَتُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هِيَ النَّخْلَةُ » .

بَابُ الْاِغْتِيَاظِ فِي الْعِلْمِ

وَلِحِكْمَةِ : وَقَالَ مُعَمَّرٌ : تَفَقَّهُوا فَيُقِيلَ

adapt my exhortations to your case, just as the Prophet (Allāh bless him and give him peace) used to do with us, for fear of wearying us."

CHAPTER 56.

He to whom Allāh willeth good, to him shall He give understanding in the Faith.

We are informed by Saïd b. 'Ufar, who had it from Ibn Wabb, through Tūnus, through Ibn Shihāb, who said that Humaid b. 'Abdur-Rahmān stated that he heard Mu'āwiyah say in the course of a sermon that he heard the Prophet (Allāh bless him and give him peace) say :

He to whom Allāh willeth good, to him shall He give understanding in the Faith. I do but distribute *Knowledge*,⁽¹⁾ while Allāh giveth the *understanding of it*. This people shall not cease to walk in the way of Allāh, unharmed by their adversaries until the Day of Doom⁽²⁾

وَلَمْ يَأْتِ أَنْخَوُّكُمْ بِأَلْوَعِظَةٍ كَمَا
كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَتَحَوَّلُنَا بِهَا خَافَةَ السَّامَةَ عَلَيْنَا.

بَابٌ مَنِ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا
يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ :

حدثنا سعيد بن عقبة قال حدثنا
ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب
قال قال حميد بن عبد الرحمن : سمعت
معاوية خطيباً يقول سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْقَهُهُ فِي
الدِّينِ ، وَلِيْنَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي ،
وَلَنْ تَرَى آلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ
لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ » .

(1) by transmitting the Revelation equally amongst you (Al-Qastalānī and Al-Aini)

(2) This hadith is taken by the doctors of Islām as evidence of the inception of إجماع
(consensus of opinion) لا يجمع أمتي على ضلالة (my people cannot be unanimous on an error)

weary us .

2 . We are informed by Muhammad b. Bashshâr, who had it from Yahyâ b. Saïd, who was told it by Shubhah, who received it from Abut Tayyâh, through Anas, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

Make ye the way easy and make it not hard; Give ye glad tidings and estrange not. [1]

CHAPTER 55.

On him who appointeth fixed days for those who seek Knowledge.

We are informed by 'Uthmân b. Abu Shaibah, who had it from Jarîr, through Mansûr, through Abu Wâ'il, who said that :

'Abdul âh (Ibn Mas'ûd) used to instruct the people every Thursday . So when a certain man said to him : " O Abu 'Abdur-Rahmân, I would that thou shouldest give us instruction every day, " he said : " Indeed what prevents me from doing so is that I dislike to weary you, and therefore I

حدثنا محمد بن بشَّار قال حدثنا

يحيى بن سعيد قال حدثنا شعبة قال

حدثني أبو التَّيَّاح عن أنس عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال :

« يَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا

تَعْصِرُوا » .

أَبُ مَنْ جَعَلَ لَهْلِ الْعِلْمِ أَيَّامًا

مَعْلُومَةً :

حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال حدثنا

جرير عن منصور عن أبي وائل قال :

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُدَرِّسُ النَّاسَ فِي كُلِّ

حَيْسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : « يَا أَبَا عَبْدِ

الرَّحْمَنِ لَوْ دِدْتَ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ

يَوْمٍ » قَالَ : « أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ

ذَلِكَ أَنَّ أَكْرَهُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ،

(1) The connection of this hadith with the " Knowledge " set out in the heading is implied, i. e. make the way of Knowledge easy to learners, and do not estrange people by unpalatable truths.

Ibn 'Abbas said that " Be ye Rabbânîs " (1) meaneth " Be ye wise and well-instructed in the Faith ;"

and it is said (Says Al-Bukhârî) that the Rabbânî is one who instructs people in the rudiments of Knowledge before proceeding to the theoretical questions.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: « كُونُوا رَبَّانِيِّينَ
حُكَمَاءَ مُفْقِهَاءَ »
وَيُقَالُ الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي
النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ .

CHAPTER 54

On how the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to adapt his exhortation and *his imparting of Knowledge* (2) to his hearers so that they should not be estranged from him.

1 . We are informed by Muhammad b. Yâsuf, who had it from Sufiân, through A.-Amash, through Abu Wâ'il, through Ibn Mas'ûd, who said that :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to adapt his exhortations to us, by varying the days (3) through unwillingness to

بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمُ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ
كَي لَا يَنْفِرُوا :
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ
أَخْبَرَنَا سَفِيَّانُ عَنْ الْأَمْشِ عَنْ أَبِي
وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ :
كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا
بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةً السَّامَةِ
عَلَيْنَا .

(1) رَبَّانِي is a teacher who has acquired scholarship, practice and piety , in other words one who has perfect Knowledge of things pertaining to God . Probably the word is of Hebrew origin meaning *rabbîn* .

(2) عِلْم (Knowledge) is here inserted by Al-Bukhârî in order to adapt the hadith to his title *Knowledge* ; and so doing he has placed the general in relation with the particular

(3) According to Ibn Hajar and Al-Qastalânî.

servants as possess Knowledge fear Him, ⁽¹⁾ and His word: None can comprehend these parables but they that possess Knowledge, ⁽²⁾

and His word: "And they shall say, ⁽³⁾ Had we hearkened to the warning or had understanding of it we should not be among the children of the blazing Fire ; ⁽⁴⁾

and His word: " Shall those who possess Knowledge and those who possess it not be held equal ? " ; ⁽⁵⁾

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) said : " He to whom Allāh willeth good, to him shall He give understanding in the Faith ; " and " Knowledge is gained only by study " Abu Dharr said : " If you place a *Damascus* sword on this ", (pointing to the nape of his neck) " and then I thought that I could transmit a single word which I had heard from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) before you passed it through my neck, I should do so , "

وَقَالَ: «وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا اللَّهُ الْيَوْنُ»
وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا
كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ
وَقَالَ: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي
الدِّينِ» وَ«إِنَّمَا يَعْلَمُ بِالْغَيْبِ»
وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: «لَوْ وَصَّعْتُمْ
الْمِصْصَامَةَ عَلَى هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ—
ثُمَّ ظَنَنْتُمْ أَنِّي أَفْقِدُ كَلِمَةً سَمِعْتُمَا
مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ
أَنْ تُخَيِّرُوا عَلَيَّ لَا أَفْقِدُهَا»

1) Surah 35. verse 25.

(2) Surah 29, verse 42

(3) Surah 67 verse 10, e. " had we possessed Knowledge we should not have been in Hell. "

(4) Surah 39, verse 12

property and your honour must be held to be as sacred amongst you as this day, this month and this town-which ye hold sacred. Let him who beareth witness to these words communicate them to him that is absent, for it may be that the witness transmitteth to one who is more mindful of them than he

وَأَعْرَضَكُمْ عَنْكُمْ حُرَامٌ كَهَرَمَةٍ
يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَدْرِكُمْ
هَذَا، لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ
عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْفَى لَهُ مِنْهُ .

CHAPTER 53.

Knowledge cometh before the word and before the deed, as appeareth from the word of Allāh (be He exalted) : " Know thou that there is no deity but Allāh ".⁽¹⁾ Thus Allāh hath placed Knowledge first ;

The learned are the heirs of the Prophets, inheriting Knowledge. He who receiveth it, receiveth an abundant heritage ;

He who followeth a road in the quest of Knowledge, to him will Allāh make smooth a road to Paradise ;

The word of Allāh (glorified be His Name) : " On y such of Allāh's

بَابٌ : الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : « فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ » فَبَرَأَ بِالْعِلْمِ ،

وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ

وَرَبُّوهُمُ الْعِلْمَ « مَنِ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطَّةٍ

وَأَوْرٍ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي بِهِ

عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ،

وَقَالَ جَبْرٌ ذِكْرُهُ . « إِنَّمَا يَخْشَى

اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ ،

(1) Surah 47 verse 21 i.e. He began with the word " Know "

CHAPTER 52.

On the words of the Prophet :
 " He to whom a *hadith* is transmitted
 may be more mindful of it than he
 who first heareth it."

We are informed by Musaddad,
 who had it from Bisr, who was
 told it by Ibn 'Awn, through Ibn
 Sirin, through 'Abdur Rahmān ibn
 Abu Bakrah, through his father, who
 stated that :

The Prophet (Allāh bless him
 and give him peace) was seated on
 his camel—his halter or rein being held
 by a man—when he said : " What
 day is this ? " We were silent, as
 we thought that he was about to
 give it some other name . " Is not
 to-day " he continued, " the day of
 the Courban sacrifice ? " " Yes " we
 repl.ed. " What month is this ? "
 asked he . We were again silent, as
 we thought he was about to give the
 month another name. " Is it not the
 month of Dhul-Hijjah ? " he
 continued. " Certainly " we replied.
 He then said : " So your blood, your

بابُ مَقُولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«رُبُّهُ مُبَلِّغٌ أَوْ عَمَلٌ مِنْ سَامِعٍ» :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا بَشِيرٌ قَالَ

حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ :

ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَعْدَةً

عَلَى بَعِيرِهِ وَأُمْسَكَتْ لِنَسَاجٍ بِخَطَامِهِ

أَوْ بِرِجَامِهِ ، قَالَ : « أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ »

فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ

سَوَى اسْمِهِ ، قَالَ : « أَلَيْسَ يَوْمَ

النَّحْرِ ؟ » قُلْنَا : « بَلَى » قَالَ : « فَإِنَّ

شَهْرَ هَذَا ؟ » فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ

سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، فَقَالَ : « أَلَيْسَ

بِذِي الْحِجَّةِ ؟ » قُلْنَا : « بَلَى » قَالَ :

« فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ

While the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) was once sitting in the mosque in the company of the Faithful, three men came in. Two of them went up to the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace), while one withdrew. Then while the two stood listening to the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace), one of them, seeing a vacant place in the circle, sat down in it, and the other sat down behind the group. The third, however, departed on his way.

When the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) had finished his discourse, he said : " Shall I speak to you about these three men ? One of them hath turned unto Allāh and Allāh hath turned unto him, the second hath shown modesty, so Allāh hath shown modesty unto him, (1) the third hath turned away, and Allāh hath turned away from him. "

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَتِمَّا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ
مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ تَقَرُّ فَأَقْبَلَ
اِثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ ، قَالَ فَوَقَفَا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا
أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْخَلْقَةِ
فَجَلَسَ فِيهَا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ
خَلْفَهُمْ ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَدَبَّرَ ذَاهِبًا .
فَلَمَّا فَرَخَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : « أَلَا أَخْبِرُكُمْ عَنْ الثَّلَاثَةِ ؟
أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ
فَأَوَاهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا
فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ
فَاعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ . »

(1) i. e. will remit his punishment

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) once wrote a letter ⁽¹⁾ (or wished to do so), when he was told that a letter was not read by those to whom it was addressed unless it was sealed. He therefore adopted a silver signet ring on which were engraved the words " Muhammad the Apostle of Allāh " I still seem to see the whiteness of the ring *gleaming* on his hand When I (Shu'ban) asked Qatādah who had said that the words engraved were " Muhammed the Apostle of Allāh, " he replied - " It is Anas "

CHAPTER 51

On him who taketh his seat in the place where the study group ends and on him who perceiving a vacant place in the circle, sitteth in it

We are informed by Ismā'il, who had it from mālik, through Ishaq b. 'Abdullāh-Abu Talhah, who was told it by Abu Murrāh, the bondman of 'Aqīl b. Abu Talīb, through Abu Wāqid Al-Laithī that :

فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لَا يَقْرَأُونَ كِتَابًا إِلَّا
مَخْتُومًا ، فَأَتَخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ
نَفْسُهُ « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » كَأَنِّي
أَنْظُرُ إِلَى نِبَاضِهِ فِي يَدِهِ ، فَقُلْتُ
لِقَتَادَةَ . دَمَنْ قَالَ نَفْسُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ
اللَّهِ ؟ قَالَ « أَنَسٌ » .

بَابُ مَنْ مَن قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ
الْمَجْلِسُ وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلَاةِ
فَحَلَسَ فِيهَا .

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك
عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة
أن أبا مرة مولى عقيل بن أبي طالب
أخبره عن أبي وائقد الليثي

(1) Through an amanuensis,

the Prophet's command (Allah bless him and give him peace).

1. We are informed by Ismâ'il b. 'Abdullâh, who had it from Ibrâhîm b. Sa'd through Sâlih, through Ibn Shihâb, through 'Ubaidullâh b. 'Abdullâh b. 'Utbah b. Mas'ûd that he was told by 'Abdullah b. Abbâs that :

The Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) despatched a man with a letter of his, charging him to deliver it to the ruler of Bahra'n. The latter ² sent the letter on to Chosroes, who, after he had read it, tore it up.

I believe that Ibn Al-Musayyab said that the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) called down upon the Persians the curse " May they be torn in pieces "

2. We are informed by Muhammad b. Maqûl Abul-Hasan, who had it from Abdullâh, who was told it by Shurbah, through Qatadah, through Anas b. Malik who said that :

حدثنا اسماعيل بن عبد الله قال :
حدثني ابراهيم بن سعد عن صالح من
ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن
مخزومه بن مسعود أن عبد الله بن عباس
أخبره أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث بكتابيه رجلاً وأمره أن
يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم
البحرين إلى كسرى، فلما قرأه
مزقه ،

فَعَصِمْتُ أَنْ أَبَى الْمُسَيَّبِ قَالَ :
فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنْ يُمَرَّقُوا كُلُّ مُمَرَّقٍ .

حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن
أخبرنا عبد الله قال أخبرنا شعبة عن

قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :
كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كِتَابًا (أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ)

(2) After reading the letter and accepting Islam,

CHAPTER 50.

On what is mentioned during the personal transmission of a hadith and in written communication of knowledge by the doctors to the people of other lands ; (1)

On Anas' statement that Uthmān caused copies to be made of the Qur'ān and sent them to the four points of the compass :

Abdullāh b. 'Umar, Yahyā b. Sa'id and Mālik declared both these forms of transmission to be valid ; -

and on the argument drawn by one of the doctors (2) of the Hijāz in favour of personal transmission from the tradition of the Prophet (Allah bless him and give him peace) in which he handed to the company commander (3) a letter instructing him not to read it until he had reached such and such a place. When he reached the place, he read the letter to the people and informed them of

بَابُ مَا يَذْكُرُ فِي التَّنَاوُلِ
وَكِتَابِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعِلْمِ إِلَى الْبُلْدَانِ ،
وَقَالَ أَنَسٌ : نَسَخَ عُثْمَانُ
الْمَصَاحِفَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْأَقَافِ .
وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُمَرٍّ وَيَحْيَى
ابْنُ سَعِيدٍ وَمَالِكٌ ذَلِكَ جَائِزًا .
وَاحْتَجَّ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ فِي التَّنَاوُلِ
بِمَحْدِثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ
كَتَبَ لَا مِيرَ السَّرِيَّةِ كِتَابًا وَقَالَ : لَا
تَقْرَأُوهُ حَتَّى تَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا ،
أَلَمَّْا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَكَانَ قَرَأُوهُ عَلَى
النَّاسِ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(1) Abdullah b. Jahsh, the brother of Zaynab, the Prophet's wife.

(2) In the case where the master hands his written copy to the pupil, or when the pupil submits a written copy to him, the master may authorise him verbally or tacitly to transmit it. A written communication may be delegated in the same way.

(3) Al-Bukhari's Shaikh, Al-Humaidi .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مهمة الدين الاسلامي في العالم

٢٢

دعوته الى وجوب محافظة المجتمع على السمو الروحاني في جميع محاولاته الدنيوية

شرح الله الاسلام للناس ليكون دستوراً لهم يقومون عليه في أمورهم الدينية، وشئونهم الدنيوية، فإنه كما قرر في الناحية الأولى العقائد الواجب الأخذ بها، والعبادات المترتبة عليها، والأخلاق التي يجب التخلق بها، والأسلوب الذي ينبغي اتباعه في النظر والبحث والاستدلال بالاعتماد على العقل والعلم، والبعد عن الظنون والأهواء ولأوهام، وعن التقليد الأعمى، كذلك قرر في الناحية الثانية الأصول التي يقوم عليها الاجتماع والواجبات المترتبة عليها، والحواظ الضرورية لها، والأسلوب الذي يجب اتباعه في حفظ المجتمع سليماً من العلل، برئاً من الخلل، قابلاً للدخول في كل الأطوار التي تدخل فيها الجماعات، والخروج منها حاصلاً على جميع ما تستتبعه من ترقى صوري ومعنوي، ومن تكمل ديني ومدني. هذا ما فهمه المسلمون الأولون من هذا الدين، وقد دل عليه قوله تعالى: «وقبل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم»، قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين، وقد وعدهم الله بسعادة في الحياتين وعدا صريحاً في قوله تعالى: «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حية طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون».

فالاسلام تصدى من هذه الناحية لأمر جليل وهو التوفيق بين المصالح الدينية للمجتمع وبين مصالحه الدنيوية، بحيث تسكفل في إيصاله الى كماله المادي والأدبي، ولا تتناقض في دور من أدوار تطوره المكبرى، فيصبح العلم عدواً للعقائد، ويصير

العقل منابذ، للتقاليد الدينية، كما حدث في كل أمة تقدمت الأمة الإسلامية، وكما هو حادث اليوم أمام أعيننا في أمم كثيرة.

إن قيادة سفينة الحياة الاجتماعية في أمة في وسط هذه الشعوب القائمة من الحالات الانسانية المتعارضة، ودفعها في مضطرب تياراتها النائرة، والتحكم من حفظ توارثها، وتأديتها سليمة الى شاطئ النجاة، يعتبر فوق قدرة البشر، لا لأن الأمر جد خطير في ذاته حسب، ولكن لأنها سابقة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشر. فهل سبق في تاريخه أن أمة من الأمم تألفت تألفا عالميا حول أصول عامة من الأخلاق والمبادئ، مهددة في سبيلها الفوارق القومية والجنسية واللغوية، فقامت على صراط الحق المستقيم، متحرية بحاب الله في جميع مافعل، ومحاسبة نفسها على كل صغيرة وكبيرة من الانحراف من هذه الجادة للثلى، فبسطت سلطانها على نحو نصف المعمورة مما لم يتسن لأمة قبلها ولا بعدها، وأسست مدنية فاضلة قامت على تلك الأصول الإلهية نفسها، مما أصبح أمره معترفا به من جميع مؤرخي العالم الإنساني اليوم؟

هذا أمر لم يسبق له مثيل، فإن مبدأ القومية والجنسية كان طاغيا على جميع الاعتبارات العامة في كل دولة تأسست قبل الدولة الإسلامية. وما جاء ذا صبغة عالمية من الدعوات الدينية قبل الاسلام طغت فيه النزعة الروحية على الحاجة المادية، وسأقت الأمم الى زهادة مطلقة، ومجافاة تامة للعوام والفلسفة، وشدت العقل الى سلاسل من حديد ابنتى عليه جهل مطبق لازم أوروبا أكثر من ألف سنة (راجع كتاب المنازعة بين العلم والدين للأستاذ دريبر).

إذا تقرر هذا فإن في توفيق الاسلام بين روح السمو الدينى وروح العمل الدنيوى والكسح اسادى، يعتبر آية من آيات الوضع لإلهى.

هنا يمكن أن يعترض علينا معترض فيقول: إن ما نسمونه سما دينا كان في حقيقته عملا ماديا، فدينكم كان دينا ماديا محضا لا أثر للروح فيه إلا من الناحية العبادة المحضة، ولذلك تأدى بأهله الى ما نتأدى اليه كل التعاليم المادية من الرق والمدنية.

ونحن نود على هذا المعترض بأن اعتراضه يقوى ما يستنزل عجب القارئ لأجله، وهو أن أسرار التوفيق بين الأعمال الروحية والمادية متعذر الى حد بعيد حتى إنها لتظن مستحيلة كما يراها المعترض، ولكننا في سبيل إثبات أن المسلمين في عملهم الدنيوي المحض كانوا يحافظون على السمو الديني الذي ليس وراءه مذهب، نسأله هذه المسائل وهي :

١ - ألم يثبت أن المسلمين كانوا في معاملتهم لأصحاب الأجناس المختلفة، حتى الذين خضعوا لسلطانهم والأرقاء، يحافظون على مبدأ لمساواة في الحقوق، والعدل المطلق في الأحكام؟

٢ - أو لم يعملوا مقهورينهم بأن لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وأنه لا فضل لأحد على غيره إلا بالتقوى، أو بعمل صالح؟ حتى قال العلامة جوستاف لوبون الفرنسي في كتابه خلاصة تاريخ العرب: إن الإنسانية لم تر متغلبين أبرها وأرحم من المسلمين؟

٣ - أو لم يراعوا شروط العدل وعدم العدوان حتى في ميادين القتال ومناجزة الأقران، كما قال تعالى: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين». وقال تعالى: «ولا يجزئكم شأن قوم على أن لا تموتوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى». وقد حرم عليهم قتل الأطفال والشيوخ والنساء ورجال الدين حتى خدمة أعدائهم المحاربين؟

٤ - أو لم يدع الاسلام ذويه الى القيام بالقسط ولو على أنفسهم أو عشيرتهم أو آبائهم فقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين».

٥ - أو لم يعلن الاسلام على رؤس الأشرار أن الحرب التي تقتضيها حماية الدعوة ونشرها لا يعتبر ملوث فيها شهادة إلا إذا كانت نية المقاتل متصرفا الى إعلاء كلمة الله، لا الى غرض دنيوي، ولا غرض مادي، ولا المباهاة بشجاعة والنجدة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم: فلان يقتل

للدنيا ، فلان يقا تل حية ، فلان يقا تل عصبية ، ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله ، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

ومما هو جدير بالذكر في هذا الموطن كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى قائد جنوده ضد الفرس سعد بن أبي وقاص ، وهو : « أما بعد فإن أمرك ومن معك من الأحناء بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى الكيدة في الحرب . وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمصيبة هدمهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عدونا ليس كعدوكم ، ولا عدتنا كعدتكم ، فإن استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا تنصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا . فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، قرب قوم ساط عليهم من هم شر منهم ، كما سلب على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار الجوس ، فأسسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم » .

ألا يرى القارى في كل ما قدمناه أن الاسلام يحرم على أن يحافظ أهله على السموات والروحاني حتى في الموطن التي يعتمد فيها قادة الأمم أن يتناسوا هذا السموات ليشيروا في جنودهم أقصى ما يستطيعون إنارته من القوى الوحشية الثاوية في نفوسهم ؟ تصفح تواريخ الفاتحين لاولين واحدين فهل ترى فيهم من يقول لسكره إنكم إن قاتلتم هدمكم طلبا للمصلح الديني ، أو مباهاة بالحية ، أو دفاعا عن المعصية ، فقتلتكم ، لا نالون درجة الشهادة التي يحرم عليها المؤمنون ، وإنما كتبت هذه المسألة السامية للذين لا يقا تلون إلا لتكون كلمة الله هي العليا ؟

إن المأثور في هذه المواطن أن يقول القواد بلجودهم : هلموا الى أعدائكم فز قوم كل

ممزق ، وباتعوا في النكايه بهم ، واجعلوهم عبرة لمن تحدّثه نفسه أن يقف في طريقكم ، الخ الخ أما ذكر تقوى الله ، والتنبيه بمراعاة العدى ، وعدم العدوان ، وتجريد النفس من جميع الأغراض الدنيوية ، والأهواء الذاتية ، وتمحيض القصد لا ملاء كلمة الحق ، فهذا كله لم يرد على لسان قائد في الأرض حتى الذين كانوا يجادون لأغراض دينية ، بل إن المعارك الدينية قد امتازت بضروب من الوحشية يعجز عنها الوصف حتى ضربت بفظاعتها الأمثال (راجع تاريخ الحروب الدينية) .

يرى القارى بعد هذا البيان أن شبهة خصوم الاسلام قد دحضت دحوضاً لا قيام لها بعده ، وثبت أن هذا الدين يتشدد في وجوب ملاحظة السمو الروحاني في كل موطن حتى المواطن التي يسمح فيها الفادة للجنودم بارتكاب الأعمال الوحشية زيادة في النكايه بالعدو والأشخان فيه ، وبثبوت هذه الحقيقة يثبت أن الاسلام انفرد من بين جميع النظم الاجتماعية بهذا الأدب العالى الذى لا عهد للبشرية به الى اليوم .

إننا يبيننا هذه الناحية من الاسلام قد كشفنا للقارى من معجزة علمية له لا نقول معجز عن مثله المصلحون ، ولكننا نقول لم تدور في خلدكم الى هذا العصر ، فإن ما هو ظاهر أمام الناس ظهور الشمس من تفسيات الجماعات أنها قائمة على مبدأ الأثرة القومية المحض ، وإنها لا تعتمد في تحقيق أحلامها من الفتح والتوسع بشبه أصل من أصول الرحمة أو العدل ، فقيم أمة قبل نحو أربعة عشر قرناً بتعاليم ديانة عامة على نظام يوفق بين مقتضيات الروح العلوى ومقتضيات المادة على النحو الذى رأيناه هنا ، يعتبر أمراً خارقاً للعادة لا يكاد يتصوره العقل لولا نتائج المموسة باليد .

إن جماعة المسلمين قد برهنوا في أدوارهم كلها على أنهم رسل السلام والأمان ، وطلّاع العلم والحكمة ، ومقدمة المدنية الخفة في الأرض .

يقول المؤرخ سديو الفرنسى في كتابه تاريخ العرب : إن المسلمين نشروا العلم والحكمة والمدنية حيث وطئت أقدامهم . ويؤمن على كلامه جميع الذين كتبوا عن المسلمين قديماً

وحدثنا، فقررنا أنه لولا لم تقضى على التراث العلمي للأمم، ولأننى بعض الأمم بعضها من مواصلة الحرب. أفليس هذا من أدل الأدلة على أن المسلمين لم يكونوا يتحرون حياتهم وحدها، ولكن حياة الخلق كافة، على نظام من الشكافل والتعاون فتن مقهور بهم فأصبحوا بدون دعاية، من إخوانهم في الدين، وانقلبوا من محاربين لهم إلى مناضحين عنهم، ومن أعداء لهم، إلى أولياء لها، بل أئمة يهدون الناس إليها ويعملون على إعلاء كلمتها، لا بالعمل لذلك وهم قعود في أ كسار دورهم، ولكن بالرحلات البعيدة، والتضحيات التي لا تدخل ضرورها تحت حصر.

فلماذا كان من أجل ما يدونه العلم في تاريخ أمة أن ينقلب أعداؤها إلى أولياء يبادلونها الحب والسودة، فإن من أكبر ما يسجله من الآيات في تاريخ الإنسانية أن ينقلب أعداء أمة إلى أئمة يبذلون أنفسهم لإعلاء شأن دينها بين الخلق. محمد فريد وجدي

أقوال البلغاء في أطيب الكلام

قال أحد البلغاء: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل مجازته، وكثر إيجازه، وتناصبت صدوره وأعجازه.

وقال غيره: أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه، ويؤيس مضميه.

وقال سواهما ليست البلاغة أن يطال عمال القلم أو سنان، أو يبسط رهاق القول وميدانه، بل هي أن يبلغ أمد المراد، بالفاظ أعيان، ومعان أُمُراد، من حيث لا تزيد على الحاجة، ولا في إخلال يقضى إلى التلاقة.

ووصف أهل البيان البليغ فقالوا: فلا يبعث بالكلام، ويقوده بألن زمام، حتى كأن الألفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره، والمعاني تتخاير في الانتقال على أنامله.

إلى هذا يشير أبو تمام الطائي بقوله:

تخاير الشعر معه إذ صبرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتل

التفسير

سورة الرعد

- ٥ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى . (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ . اللَّهُ يَتَعَمَّ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغْبِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِعَقْدَارٍ . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ . سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . لَهُ مُقَبَّلَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، فَوَيْدَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) .

لقد كثرت ما نعتت المشركون وعاندوا ، ونجأت لهم الآيات والمعجزات فعموا عنها ووصوا ، فأنكروا قدرة الله على البعث والحشر حتى ألقوا حجرا بما اعترفوا به : من أنه خالق السموات والأرض ، ومنبت الكلا والزرع ، ومنوع النار في أكلا ولونها وهي تسقى بما واحد ونبتت في قطع متجاورت ، فهاذا يعجزه بعد ذلك أن يسيد ما بدأ وهو أهون عليه ؟

ثم استذكروا بأن تلك الأجزاء قد اختلط بعضها ببعض فكيف تكون القدرة

على تمييزها ورد كل جزء منها الى ما كان سركها معه حتى تلتئم أجزاء الجسم الأصلية كما كانت، وأنى يكون ذلك؟ فلم يكن يليق بهم إلا التعجب من سخافتهم وغباوتهم، والنهي عليهم بأنهم هم الذين كفروا بربهم الذى خلقهم، ووهبهم من النعم الواضحة ما وهبهم فعموا عنها ولم ينظرو اليها، فكان الأغلال فى أعناقهم فهم مقصحون، لا ينظرون ما هو تحت أبصارهم، ولا يستطيعون أن يلتفتوا يمنة ولا يسرة، وذلك ما ذكره الله عز وجل فى قوله: « وإن تعجب فعجب قولهم أنذا كنا ترابا أننا لفي خلق جديد. أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

ثم بعد أن حكى الله عنهم محاسنهم وتلكؤهم بقبولتهم، إذ يستعجلون لأنفسهم العذاب والسيئة قبل الحسنة، ولم ينفعهم النظر فيما أصاب من قبلهم من المثلثات التى حلت بأمم كانوا أشد منهم بطشا وأكبر قوة، وأن هذا لا يصدر إلا عن سفيه جاهل بمقدار نفسه وبمقدار اليد التى تلك ناصيته وتهيمن عليه، عاد الى ذكر طرف مما فتنوا به وعلفوا عليه بإيمانهم، كأنهم الغالبون يملون شروطهم على المغلوب، أو كأنما يطلب إليهم أمر يفتنع به الطالب، فهم يشتطون فيما يشترطون فيقولون: « لولا أنزل عليه آية من ربه، أو يقوله الذين كفروا منهم وتمكن الكفر من قلوبهم حتى عقدوا عن أن تنظر فيما فيه صلاحها، وغامت الفضاوة على بصائرهم فلم يبصروا ما تجلى من الآيات التى يهتدى بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فجحدوا تلك الآيات وأبوا. لا آيات يقتدر حونها ويعينونها، ويعرضون عما تجلى لهم مما هو أقوى منها، ولو أجيبوا الى ما طلبوا لجاء كل واحد يقول: هذا مقترح فلان ولا يقنعنى إلا أن نجيبنى لمقترحي، ولكانت الآيات لمبة نابذة لا هوائهم، ولو اتبع الحق هواهم لفسد السموات والأرض. وهانحن أولا. نورد عليك طرفا من نعمتهم الذى حكاه الله عنهم فى اقتراحتهم وتلاصيحهم :

في سورة الفرقان : « وقالوا ما لهذا رسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ، أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » فقد أبوا الاعتراف بنبوته من يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، ثم طلبوا أن ينزل معه ملك فيكون معه نذيراً ، ثم اقترح منهم مقترح أن يلقى إليه كنز من مال ؛ وقال آخر : فتكون له جنة يأكل منها . وبقى بعد ذلك الباب الذي لا يمكن سدده وهو تعلمهم بقولهم إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً . فلما جرى لهم بكل ما طلبوا لبي تعلمهم بأنه سحرم ، كما تملأوا في قصة انشقاق القمر حتى سألوا القادمين من الآفاق فأخبروهم أنهم رأوه منشقاً على مادي . ولقد كانوا يقولون قبل ذلك إن محمداً إن كان قد سحر أبصارنا فلم يقدر على أن يسحر جميع من في الأرض ، فلما أخبروهم بأنهم رأوا القمر منشقاً لوأروهم وأعرضوا مستكبرين . وفي سورة الفرقان أيضاً : « وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا اللاتكة أنزى ربنا ، لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً » . ولقد رد عز وجل عليهم بقوله جل من قائل : « يوم يرون اللاتكة لا بشرى يومئذ للمكرمين ويقولون حجراً محجوراً » فبين أنهم لو أنزلت عليهم اللاتكة على صورتهم لهلكوا عن آخروهم ، فكان طلبهم هذا وبالاً عليهم ، فما أشبهه بما جاء في الآية التي نحن بصدد تفسيرها فيما مر في قوله تعالى : « ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم اللاتات » ! وقال تعالى في سورة الأنعام : « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون » فهذا نظير قوله في الآية المذكورة آنفاً : « يوم يرون اللاتكة لا بشرى يومئذ للمكرمين » إذ يهلكون على كفرهم ولا يتنفعهم يومئذ إيمانهم ، فقد صار الإيمان عن عيان وإلحاء ، فلم يحمي عن ابتلاء العقول التي هي أعظم ما وهبه الله لبني الإنسان . ولو جاء الملك على صورة يمكن رؤيتها لكان على صورة رجل ، كما قال تعالى في سورة الأنعام : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبستنا عليهم ما يلبسون »

أى لجاء قولهم : يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، أو قولهم : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا

وكذلك اقترحوا أن ينزل كتاب من السماء معه ملائكة يشهدون بأنه من عند الله ، فجاء قوله تعالى : « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » فكيف الوصول إلى إقناع هؤلاء وكلما جاءتهم آية تطلوا بأوهى لمأذير ؟

ولنجعل لك ما حكاه الله عنهم فى سورة الإسراء ، إذ يقول عز وجل : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كجأ ذهبت علينا وكسفا أو تأتى باله والملائكة قبيلة ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه » . هكذا كانت الأعيهم ، وهكذا كان تعنتهم ، وهكذا كان عنادهم وبؤسهم ، فكانهم يأمرون أن يؤمنوا بربهم حتى يتجسلى لهم ، ويتنزل للعمل بأهوائهم . فلماذا كل هذا وقد وضح الصبح لدى مينين ؟ وماذا ينتمهم من أن يؤمنوا لبشر اصطفاه الله واختاره لوحيه ، وأيده بآياته الباهرة ومعجزاته للقاهرة ؟ فقد أبوا أن يعترفوا لله بهذا الحق : حق اختيار بشر للرسالة ، كما قال تعالى : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا » . وما دروا أن الرسول لا يمكن انتفاع للرسول اليهم به إلا إن ناسبهم وأمكنهم أن يفهموا منه ، وهم بشر لا ملائكة ، ولو كانوا ملائكة لأرسل اليهم ملكا مثلهم » قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » .

هذا هو تصوير حال المشركين وإبائهم وعنادهم مع الأنبياء والمرسلين . وهذا هو جلاء الآيات لهم ، ورد حججهم عليهم ، حتى لم يبق لهم متمسك يسوغ الاعتماد عليه فى نظر حافل ، أفن حكمة القادر القاهر أن يجعل آياته تحت تصرفهم وألعوبة لأهوائهم ، ثم أن

المزة الإلهية تقتضى أن يمرض عن هديانهم ويمضى الرسول في طريقه معرضاً عنهم غير آبه بهم، وأن يشد المولى عز وجل أزر نبيه ويأمره بالإعراض عن قوم هموا وصموا، فيقول عند ما يشرعون في محكماتهم: «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد»؟

لقد بسطنا القول طويلاً في هذا الموضع، وأطعننا فيه أكثر مما نعدونا، وما حملنا على هذا الإسهاب والتوسع في الاستشهاد بآيات متماثلة من محكم آيات الكتاب إلا لإبطال ما يتمل به بعض الكتاب، إذ يزعمون أن المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يؤيد من قبل المولى عز وجل بمعجزة سوى القرآن، وكل آياته هي الكتاب العزيز، فلم يظهر على يده صلى الله عليه وسلم معجزة ما غير القرآن الكريم. ونحن نقول: كفى بالقرآن آية بل آيات كبرى، ومن ذا الذي ينكر أو يستهين بما احتوى عليه القرآن العزيز من باهر الآيات؟ إلا أننا نقول: إنه مع هذا قد ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من الآيات الكونية والمعجزات الخارقة للعادة ما توارى في جلته، وإن كانت آحاداً، وقد صحت الأسانيد بالكثير منها، وبلغت جللتها حد التواتر، كما مثله وجود حاتم وشجاعة علي وأمثالهما مما صار مجموعهم غير قابل للشك وإن كانت آحاد الحوادث لم يبلغ واحد منها حد التواتر. وأما التواتر أن يصل الأمر عند النفس إلى حد لا تقبل الشك أو التشكيك فيه، فلو أنه قيل لك: إن حاتماً كان بخيلاً أو إن علياً كان جباناً، لم نجد ما يدعوك إلى التفكير فيه، وإن كانت آحاد حوادثه لم تبلغ عندك مبلغ التواتر. وإذا أردت مثلاً مما يقع في عهدنا فهناك: لقد تواتر عند الحاضرين أن بعض الساسة كان من الدهاء بحيث لا يشق له غبار حتى أصبح لا يقبل تغيير العقيدة فيه، فلو قيل لك مثلاً: إن إسمارك السياسى كان رجلاً غيبياً قصير النظر، لآبت نفسك الاستماع له أو كلفت نفسك مؤنة الرد عليه، مع أن أشخاص حوادثه لم يثبت لديك منها شيء بعينه. ويسمى متواتر المعنى.

ولقد تواترت المعجزات في جللتها وإن كان بعضها آحاداً صحيح الإسناد.

فنبع الماء من بين أصابعه ، واختفاؤه عن أعين الباحثين عنه وهو أقرب إلى مواقع أبصارهم ، وأمثالها ، من الآيات الكونية . بل من بعض وجوه الإعجاز في القرآن ما هو من الآيات الكونية ، كعم أخبار الأمم الماضية ، وكأخبار المستقبل فيقع كاهو ، كما في قوله تعالى : « آتت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفيلبون في بضع سنين » مما جرت بشأنه المراهنة المشهورة بين أبي بكر وبعض الكفار . والأخذ على قلوب اليهود الذين نطقوا الآية الكريمة بأنهم لن يمتنعوا الموت أبدا آية كونية ، فلقد كانوا أحرص من الناس على تلمس ما ينهض حجة لهم على محمد ، وما كان أهون عليهم من أن يقول قائل منهم : ليتني أموت ، فلا يقدر أحد على ادعاء أن هذا قول لساني . كان هذا بهمهم ويعنيهم جد الغاية ، ولا سيما في الوقائع التي كانوا ينزلون فيها من معاقلم على حكم السيف ، إذ غدروا بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما جرى لبني قريظة وبني النضير من اليهود .

والخلاصة أن أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم وأعظمها ولدائه منها ، هو القرآن الكريم . ولكن هذا لا يمتنع أن له معجزات كثيرة وردت بها الأخبار الصحيحة . أما ما في الآية التي مع أمثالها فقد تجلى لك بما سبق مؤمنه وأنه قطع لتعلائهم وتصويرهم بأنهم لا يؤبه لطلبهم ، ولا يعتنى بهذيانهم ، فليبيض المصلح في إصلاحه ، وليدعهم لرهبهم ، فهو القادر على أن يذيقهم وبال أمرهم « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » . هذا وحين تتأمل في قوله تعالى : « ويقول » تجد أن هذا كان يتكرر منهم ، وكان عادة لهم ودينهم . والتعبير عنهم بالذين كفروا تصويرهم بصورة من لا يرجى منه صلاح حال أو اعترف بحق ، فقد سدت قلوبهم عن إدراك الهدى بما عقد عليها من الكفر . وكلمة (لولا) للطلب الشديد المصحوب بمحس ، كأنهم جد حريصين على حصول تلك الآية ، ولم يكفهم ما بهرهم من جليل الآيات .

وكلمة (من ربه) لا يريدون بها إلا الهزؤ بدعواه أنه مرسل من ربه ، كأنهم يقولون :

إذا كان مرسلًا من ربه فلم يؤيده بإجابة ما نطلب ؟ لتلك كان الأمر يشتد عليه صلى الله عليه وسلم لمزيد حرصه على أن يؤمنوا أو يهتدوا ، وأن ينجح في مهمته وأداء رسالته ، فكان لتمام مقام أن يهون عليه ربه أمرهم ، ويرشده إلى ألا يكبر لأمر على نفسه ، فقال أولا : إنما أنت منذر ، أي ما كانت مهمتك أن تهديهم وتوصلهم بالفعل ، إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ، وقد بلغت على الوجه المطلوب منك ، فلا عليك أن يؤمنوا أو يكفروا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وثو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة . وقال له ثانيا : « ولكل قوم هاد » أي ما كان يدعى في الكون أن يحيى الرسول إلى قومه فيهديهم فيكون منهم المؤمن ومنهم المكذب ، بل هذه عادة الله في خلقه : يرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، فيكون من قومهم المكذبون والمصدقون ، فلك أسوة بإخوانك الرسل من قبلك وعلى ذلك يكون معنى « هاد » أي رسول يرشدهم كمنى منذر . ومن المفسرين من يرى في معنى الهادي الموصول بالفعل ، ويقول : الهادي هو الله ، أي أن الله هو الذي يهدي ويوصل إلى الخير . ولكن الوجه الأول أوجه ، فإن المولى جل وعلا لم يوصل بالفعل كل قوم ، فما زال من القدم من الناس مؤمن وكافر . إلا أن يراد أن الله هاد لكل قوم اهتدوا ، أي كل من حصلت له الهداية الإلهية فهدايتة من الله والله هو هاديه وأصحاب هذا القول يرون أن لفظ الجلالة بعد هاد خبر مبتدأ محذوف ، أي هو الله . ثم في الوجه الأول فوق التامى الذي شرحناه معنى أن لكل قوم هاديا يليق بقومه بحسب حالهم ، وأنت جئت لقومك على أتم الحالات التي تنتظر لهم وتناسبهم ، وجئت بالآيات الملائمة بقومك وبالناس أجمعين .

قال تعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار » :

هذا من تمام تسليته صلى الله عليه وسلم وتهوين أمرهم عليه ، وذلك ببيان أن الله عليهم بخفي حالهم ، فلو علم فيهم خيرا لأجابهم إلى ما يطلبون ، ولكنه أحاط بكل شيء

علما ، وعلم ما خفى وما ظهر ، وعلم نياتهم وما انطوت عليه قلوبهم . أليس يعلم الجل قبل أن يتكون ، بل هو الذى يكونه حسبما أراد ، وعلم ويعلم من دقائق تكوينه وما يحيط به ما لا يعلم هو من نفسه ولا يعلمه أحد غيره جل شأنه ؟ فهو يعلم ما تحمل كل أنثى : أذكر هو أم أنثى ، أشقى هو أم سعيد ، أمكابر هو أم مسترشد ، فيعطى كل ذلك ما يليق به ويوافق الحكمة وبحكم التدبير ، فلا يسير وراء أوهام من أوهوا أو توهموا ، كيف وهو أعلم بهم من أنفسهم ، فلا غرو كان أليق شيء الأمراض عن مفترحم ، فأعرض عنهم ، فنحن أعلم بهم من قبل ومن بعد .

وأردف ذلك بقوله : « وما تفيض الأرحام وما تزداد » لبيان أن سعة علمه جل شأنه لا تقتصر على ما حمل به أذكر أم أنثى الخ بل يعلم فوق ذلك ما غاضته الأرحام أرحام النساء ، أى نقصته من مادة كانت صالحة للتخليق فنقصتها الأرحام وغاضتها ، وما زادته الأرحام من مواد أضيفت إلى ما عذف فيها من نطف فتكونت منها النطفة نشر اسويا .

وإن من رجع إلى كلام أهل الذكر في هذا الباب رأى فيه أن النطفة تقذف في الرحم محنوية على عدة بويضات صالحة للتخليق فتدور حول بويضات من المرأة حتى يخرق بعض بويضات الرجل بعض بويضات نطفة المرأة فيذوب فيه ، وباقيها لم يرد الله تخليقه يكون بمزمل فيفسد ، فكان الأرحام غاضته أى انتقصته . ثم يكون من الأرحام إمداد لما صلح للتخليق منه فيزداد وينمو بأمر الله حتى يكتمل خلقا سويا ، ففى كل نطفة نخلق منها جنين غيض وازدياد . ويصح أن يكون معنى تفيض الأرحام أى ما يتلاشى فيها من النطف ، وما تزداد أى ما يتجدد فيها من الأجنة .

وعلى الجملة فالآية قد نبهت على أدق شيء فى تكوينهم ، فكيف يعزب عن علمه عالم وهو الذى كونهم : ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ فلو علم فيهم خيرا منتظرا لأجابهم إلى مطلبهم ، كما قال تعالى : « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمهم » ولكنهم لا خير يرجى منهم كما قال عقبها : « ولو أسمهم لثولوا وهم معرضون » .

وكلمة (ما) في قوله : « ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد » يصح أن تكون مصدرية أى حمل وغيض وازدياد ، أو موصولة أى ما تحمله وما تفيضه وما تزيده ، أو استفهامية أى ماذا نحمل وماذا تفيض وماذا تزداد ؟ وتكون معلقة لفظ (يعلم) عن العمل كما يقوله علماء النحو .

ولفظ تفيض يستعمل لازما ومتعديا ، تقول : غاض الماء ، وغضته أى نقص أو نقصته كما قال تعالى : « وغيض الماء » أى نقص وغيب في الأرض . ويصح أن يكون تفيض الأرحام وتزداد ، أى في الجنة كالولود ناقصا والولود كاملا ، أو في المدة كالولود لسبعة أشهر والولود لتسعة والولود لسنة أو أكثر ، أو في العدد كالولود منفردا أو متعددا اثنين أو ثلاثة أو أكثر . كل هذا يدل عليه تفيض وتزداد ، فوق ما سبق لك من انتقاص بعض ما يصلح للتخليق أو كلة ، ومن ازدياد المادة المختلفة بما يمدّها من دم الأرحام . وغير خاف أن إسناد تفيض وتزداد الى الأرحام مجاز عقلي ، وإلا فالله هو الفاعل لكل شيء في الحقيقة .

وقوله تعالى : « وكل شيء عنده بمقدار » تقرير لمضمون الجملة قبله ، وكأنه يقول : إنه مع إحاطة علمه بكل شيء جل أو قل ، فإنه بتقديره وحكمته قد رتب كل شيء حسبما يليق ، فما كان الأمر فرطا ولا ابن المصادفة ، ولكن كل شيء خاضع لتدبير الحكيم العليم . فهذا كقوله تعالى : « إن كل شيء خلفناه بقدر » فكل عرض وكل جوهر قد وضع حيث أراد الله ودبر بمقتضى الحكمة من الأزل ، فما كان لخلق أن يطمع في تغيير أمره أراد الله العليم الحكيم ، فكل شيء له مرتبته الخاصة به ووقته المعين له ، وحاله اللانفثة به لا يكاد يجاوزه . ومعنى « عنده » أى في علمه وحكمه . قال تعالى : « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » :

تقرير بمد تقرير ، وتثبيت إثر تثبيت ، حتى يطمئن قلبه عليه السلام الى ما أراه الله عز وجل بهم ، ويهون عليه أمرهم ، وهو الذي كان أشد ما يكون حرصا على إيمانهم

وهذا يتهم، حتى إنه قد خاطبه عز وجل بقوله: «فلعلك باخع نفسك على آثامك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً» يدفعه الى ذلك ما فطر عليه من رافة ورحمة، وشغف بأن لا يفوت الايمان بالواحد القهار أحداً من خلق الله العقلاء. كيف وهم قومه وعشيرته، والأمر أو ضح من أن يخفى، وهم ذوو عقول وفطن، لا يعذرون في تضییع ذلك الخير الجليل على أنفسهم. فالحق أن وقوفهم موقف العداء لأنفسهم أمر يضيق له صدر الحليم، ولاسيما وهم عشيرته الأقربون. فلا بدع أن يتلو الكلام بعضه بعضاً في تهوين أمرهم عليه صلى الله عليه وسلم، وتكرير القول في أن ذلك يجب رده الى علم الله وحكمته، فهو بهم أعلم، وهو عالم الغيب والشهادة، وهو الكبير المتعال، فلا هيمنة على الخلق ولا تصرف في شئونهم إلا للعالم بحالهم، وهو المنزه عما يتوهمونه من أن دعوتهم سيعود نفع منها على أحد غيرهم. ثم مهما زعموا لأنفسهم من عزة وعظمة فهم أهون عند الله من أن يلتفت الى شيء مما يدعونه لأنفسهم، فهو الكبير الذي تخضع أمام عظمته كل رأس، وهو المتعال عما يصفونه به مما تفوه به ألسنتهم، سبعاثن ربك رب العزة عما يصفون؛

وبعد أن وصف عز وجل نفسه بأنه الكبير المتعال، المنزه عما يحول بخواطرم أو تتفوه به ألسنتهم، عاد الى تعريفهم قدر أنفسهم، وأنهم أمام قدرة القادر وعلم العليم لا شيء، فلا يفلت منهم أحد عن سلطانه وإحاطة علمه بكل شأنه، فقال تعالى: «سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف باليس وسارب بالنهر» أي لقد خدعتم عن أنفسكم، وتوهمتم أنكم إذ تسرون القول بينكم وتستخفون عن الخلاق أمثالكم قد تخفى على الله خافية منكم، كلا! لقد طاش سبهم، وغاب ظنكم الذي ظنتم بربكم، فسواء منكم من أسر القول ومن جهر به، فالله عالم بكل أمر منكم، بل يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، بل يعلم ما تهجس به أنفسكم من قبل أن يخطر ببالكم، بل قد عم كل ذلك من الأزل قبل أن تخلقوا. وكما يعلم السر والجهر من أقوالكم

كذلك يعلم مظهر وما استتر من أعمالكم ، فيعلم من هو مستخف بالليل يظن أنه قد خفي عن ربه كما خفي عن الخلائق مثله ، لا بل الاستتار بالليل والظهور بالنهار بالنسبة اليه على حد سواء ، فإذا سعى شيء غيباً أو استتاراً أو إسراراً فهو بالنسبة إليكم أنتم ، وأما بالنسبة اليه جل شأنه فكل ذلك سواء . ومعنى مستخف أى مبالغ في الاختفاء كأنه فوق اختفائه طالب للمزيد من الخفية ، كما يفهم من السين والشاء . ومعنى سارب أى ظاهر ، من قولهم : سرب أى ذهب فى سر به أى طريقه لا يبالي بشيء ، قال الشاعر يصف فومه بالمرزة :

وكل أناس قاربوا قيد فخلهم ونحن خلعنا قيده فهو سارب
أى تركناه بلا قيد فهو يسير فى طريقه حيث أراد . ونكتة تقديم من أسر القول على من جهر به ، وتقديم من هو مستخف بالليل على سارب بالنهار ، أن المقصود تقرير شمول العلم ، ولا شك أن تعلفه بالسر والمستخفي أمكن فى هذا التقرير . ثم إن لفظ سارب عطف على من هو مستخف ، والمعنى : سواء من هو مستخف ومن هو سارب ، أو عطف على لفظ مستخف ويكون من عبارة عن شخصين ، أى سواء شخصان مستخف وسارب . وقد ورد له نظير فى اللغة ، ولكن الأول أقدم ، فإن الثانى يوم أن شخصاً واحداً هو مستخف وسارب . ثم إرداف المستخفي بالليل وإرداف السارب بالنهار ، لتأكيد الاستخفاء والسروب ، فالليل أعون على الاستخفاء ، والنهار جلى للسروب . قال تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » :

الضمير فى له وفى يديه وخلفه وفى يحفظونه راجع فى ما ذكر قبله فى قوله : « من أسر القول ومن جهر به ومن هو » الخ ، والمعنى : لذلك المذكور من السر والجهر والمستخفي والسارب معقبات الخ ، أى كيف يظن أحد من أولئك أنه قد خفى أمره على الله وهو قد أحبط بملائكة يتعاقبون عليه ليلاً ونهاراً ، يحيطون به من بين يديه ومن خلفه ، يحصون عليه ما يعمل ، ويكتبون كل ما صدر منه ، ويحفظونه مما يحيط به وهو لا يدري من

أمرهم شيئاً، وهم من أمر الله أى من عالم الأمر، وهو عالم خفى مغيب عنا أعلمنا الله به بواسطة الوحي الإلهي الباقي على أنبيائه فيخبروننا به . أى إذا كان قد أحيط بمجموعة من الملائكة تتبعه وتتبع أعماله فتحصيها ونكتبها أولاً فأولاً وهو لا يدري من أمرهم شيئاً، فكيف يتوهم أنه سيخفى علينا منه خافية ؟ فتكون العقبات بمعنى أنها تتبعه وتتبعه أينما كان وحيثما وجد وعلى أى حال حصل ، من عقبه بالتشديد أى جاء على عقبه ، والمعنى تبعه ، وقد يقال عقبه بالتخفيف أيضاً بهذا المعنى ، والتشديد للتكثير لا للتعمدية . أو بمعنى أنها طوائف تتعاقب ويحصى بعضها بعقب بعض كما ورد « إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وعلى كل حال فهو جمع معقبة بمعنى فئة معقبة ، أو جمع معقبة على أن التاء للسبالة كراوية ، فلا يقال كيف جاء جمعه جمع تأنيث وليست للملائكة بمؤنثة .

ولا يقال : ما فائدة هؤلاء الملائكة المعقبين ، وما فائدة كتابتهم مع أنه تعالى محيط بكل شيء ، علما ، ومحص ما يملأ العبد بلا حجة إلى الملائكة ولا إلى كتاباتهم ؟ لأننا نقول : إنه تعالى قد أحكم نظام ملكه ، وربط كل شيء بسببه استكمالاً للنظام ، وهو غير محتاج في إيجاد شيء إلى سبب ما ، ولكنه السكال في النظام . ولو شاء لأضأ الكون بلا شمس ولا قمر ، وأوجد الزرع والضرع بلا حرث ولا استيلاد . ولو شاء لأغسانا في حياتنا عن الغذاء وعن الماء ، ولو شاء لأوجد كل شيء قائما بنفسه غير مرتبط بغيره ، ولكنه أوجد الأشياء وباعد بينها في ذواتها ، وقارب بينها في ربطها بعضها ببعض ، وهو الحكيم العليم ، فهو قد ناط حفظ أعمال العباد وأقوالهم بملائكة معقبات مع استغنائهم عن الاستعانة بهم لحكمة يعلمها . ويكفين أن تؤمن بأنه الحكيم العليم ، سواء أتجلت لك الحكمة بعينها أم خفيت عن أفهامنا . ومع ذلك ففي تدوين الأعمال والأقوال بأيدي حفظة كرام بررة كاتبين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، قطع للمحل في الإنكار أو محاولة الاعتذار، لئلا يكون لأحد

من الناس على الله حجة وفي علم المكلف عن طريق الوحي الصادق بأن عليه حافظة يحصون عليه ما عمل عون له على مراقبة نفسه فيما يصدر عنه ، وزينة لمسكة الحياء في نفسه ، ليتغلب على داعي شهوته وغضبه ، ويتلو ذلك الخوف من ربه .
وليس في هذا ما يتعاصى على العقل فهمه والإذعان له متى ورد عن الصادق الإخبار به ، فقدرة الله صالحة ، وما يعلم جنود ربك إلا هو .

وقد وصف المنيات بثلاث صفات : (الأولى) أنها محيطة به من بين يديه ومن خلفه ، أي فلا يغيب عنها شيء ، ولا يخفى عليها منه شاردة ولا واردة . و (الثانية) أنهم يحفظونه أي فيحصون عليه ما عمل ، ويحومونه من كل ما قد يسه مما لا يدري به ، فحقه أن يحمد الله ويشكره على أن حفه بلطفه ، ومن شكر الله مراقبته فيما بهم به من شرفيته عنه ، أو ما ينويه من خير فيته ، فيكون يحفظونه أي يصونونه ، أو يحفظونه أي يحصون عليه ما عمل ، ويحفظون عنه كل ما صدر منه . و (الثالثة) أنهم من أمر الله أي أنهم من عالم الأمر الذي هو الخلق الغيب ، أو أنهم ما نصبوا أنفسهم بأنفسهم بل أنهم أقيموا فيما أقيموا فيه بأمر الله وإرادته . وعلى ذلك يكون قوله : « من أمر الله » ليس متعلفاً يحفظونه على معنى أنهم يحولون بينه وبين أمر الله ، وإلا فأمر الله لا ينفك عنه شيء ، بل المعنى أن ذلك الحفظ من أمر الله أي بسبب أمر الله ، أو أنهم هم من أمر الله أي من عالم الأمر وعالم الغيب .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لشكر نعمائه ، وأن يحفظنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
ابراهيم الحلي

الشرك وعقوبته الاخروية

ورد الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر كذاب من حضرة هذا الفسدى ذكى عبد الوهاب العفيف بشيرا مصر يرجو فيه أن يجاب على سؤال له في الشرك ، فاهتم فضيلته بالأمر وكلف فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يوسف الدجوى ، ومدير هذه المحلة ، أن يصح كل منهما جوابا عليه ، كل على حسب وجهة نظره ، فصدم كل منهما بهذه الاشارة كما يراه القراء في هذا العدد .

أما نص السؤال بعد الديباجة فهو :

« قبح الله الشرك وأوعد المشرك بعدم المغفرة والنجود في النار ، فلماذا ، وما حكمة هذا العقاب الشديد ، وما حكمة كونه لا ينقر ، وكيف النصح بالخلق ، وما الذى يترتب عليه في الدنيا حتى كرر الله ذكره ومقته مقنا عظيما في آيات كثيرة في القرآن ؟ ولماذا كان يفيظ ابتكر محمد وغيره عليهم ذلك على أن يحاربهم حروبا شعواء ؟ »
« وإذا كان المشرك لا ينفك عن إشراكه لنا فأبذة النصيح له ؟ »

« وما الفرق بين المشرك والمنافق ؟ »

« وكيف نوفق بين قوله تعالى « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وبين قوله « وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا » فكيف يكون من هو رحمة للعالمين سببا في عذابهم ؟ »
« ولوفرصنا أن عمدا لم نبعث في جزيرة العرب شادا كان يضر ؟ وقد بعث وأيس بها نهر ومات ولم يحفر بها نهرا ، فما حكمة ذلك ؟ »
هذا هو الكتاب مجردا من حواشيه فكان جواب فضيلة الأستاذ الشيخ الدجوى عليه ما يلي :

الجواب

إننا نعجب كل العجب من أعماق قلوبنا مثل هذه الأسئلة ، ولكن لا مندوحة لنا عن جوابها . وعلى العيب أن يداوى كل مريض يأنيه ، فنقول وبالله التوفيق :

لا يعرف قبح الشرك بالله وإجرام الشرك إلا كل من يعرف عظمة الله التى أدهشت العلماء ، حتى قال بعض الفلاسفة من فرط دهشته بمظمة الله الذى أبدع تلك العوالم ، التى لا يأتى عليها العد ولا يحيط بها الحد ، ولا يدرك كنه ما فيها من الأسرار

والمعائب إلا مبدعها العليم الحكيم ، قال ذلك الفيلسوف : « ليت شعري من ذلك الذي اجترأ عليك قسمك الله لأول مرة ؟ »

وقال سبنسر الأنجليزى ما ترجمته : « ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر الطبيعية ، وإنما الغرض الأسمى أن يشرف الإنسان على ذلك السر الباهر ، ويستطلع تلك العظمة الإلهية من وراء تلك الحدود التى يفتنى إليها علم الطبيعة . »
ولاشك أن جرم من يتجرأ على العظيم أعظم من جرم من يتجرأ على غير العظيم ، وهكذا متفاوت عظمة الجرم على حسب درجات تلك العظمة . فإذا المتجرئ على أعظم العظماء هو أعظم الجرمين .

وأما قول السائل : « وما الذى يترتب عليه فى الدنيا حتى كرهه الله ومقتنه مقتنا شنيعا فى آيات كثيرة من القرآن » فجوابه أنه يترتب عليه كل مفسدة يمجها السمع وينفر منها الطبع ، وتقوض أركان العمران وتذل نوع الإنسان ، وتذهب بالفضائل وتأتى بجميع الرذائل . أما من عرف الإله الحق العادل الحكيم الذى يحازى للمسىء بإساءته والحسن برحمانه ، وهو الذى يقول : « وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » ويقول : « فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ويقول : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين » . نقول : كل من يؤمن بهذا الإله الذى ذلك بعض صفاته وقليل من كماله ، لا يمكنه أن يظن أحدا أو يتعدى على أحد الخ . وكل ما تراه اليوم مما تضح منه الإنسانية وتصرخ منه الأخلاق وتئن له الفلاسفة والمصلحون ، فليس إلا نتيجة الشرك بالله والجهل بعذله وعلمه وقدرته . فازور المزورون ولا كذب الكاذبون ، ولا تلون السياسيون الخداعون ، ولا قتل الفاتلون ولا سرق السارقون ، ولا جار الفضاة الظالمون ، ولا خان الخائون ولا غصب الغاصبون ، ولا التهمت الأمم القوية الأمم الضعيفة . ولا استعبدهم وتفتنت

في ضروب الاستعباد لهم، ولا ضحك الأذكيا، على الأغبياء ولا لمتنورون على الجهلاء، ولا لأكابر على الأصاغر، ولا الأقوياء على الضعفاء: فلم يريدوا منهم إلا ما يريده رب الماشية من الماشية ورب الضيعة من الضيعة الخ، لم يقع ذلك كله وأضعافه وأضعاف أضعافه مما لا يخفى عليك، ولا حاجة بنا أن نسوقه إليك، إلا من عدم معرفة الله والایمان بعبد الله، وهو نتيجة من نتائج الشرك الجلي أو الخفي، والعدول عن سنن الدين وأهل الدين « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

ولو رسخ الإيمان في القلوب كما يريد الأنبياء، لتراحم الناس فيما بينهم، ولكانوا إخوة متحابين متضامنين، صملا بقوله صلى الله عليه وسلم: « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ». بل قد يصل المؤمن من لباب ذلك إلى حد أنه يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة، ويخاف من أن يؤذى هرة فضلا عن إنسان، لأنه يعرف ما قال صلى الله عليه وسلم: « دخلت امرأة النار في هرة ». ثم يقول في حديث آخر: « الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ». ولوعمل الناس بعالم الأنبياء لكانوا على غاية الصفاء والهناء، ولما شوا عيشة أهل الجنة في الجنة. وهذه هي الغاية التي يريد بها صلى الله عليه وسلم من الناس حتى جعلها شرطاً في الإيمان اكامل فقال: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». وقال: « والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن » قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائفه، إلى غير ذلك وهو كثير.

فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء لإفقاذ الإنسانية المعذبة ورفعها من حضيض الشقاء إلى أوج السعادة، ولكن كل إنسان يأخذ من هذا المعين الصافي وذلك البلسم الشافي حسب ما قدر له وسمح به استعداداً.

أما دعوى الأوربيين إتقاذ الإنسانية من شقاءها، فهي دعوى كاذبة قصد بها التفرير وتوسيع الاستعمار، فكانت من وسائل تمذيب الإنسانية لإتقاذها. ولعل السياسيين

ثم أعرف الناس بذلك . وسر هذا كله أن الانسان لا يجب أولاً وبالذات إلا نفسه ، ولا يجب الأشياء إلا من أجله ، فليس له ثم بمقتضى طبيعه إلا ما يعود عليها بالمنفعة من قرب أو بعد ، ولا يكاد يفكر في غير هذا أو يريد شيئاً سواه ، وكل ما يوصله الى ذلك فهو من بغيته وطلبته وإن خربت البلاد وهلكت العباد ، فهو وحش ضار يفترس أقرانه ويبيد بني نوعه بلاشفقة ولارحمة ، وليس لديه قانون إلا قانون المنفعة الذاتية ولا دستور إلا دستور المصلحة الشخصية ، فهو في نظر الفلسفة الصحيحة أخط من الحيوان وأضر من الثعبان . ولذلك أباح الدين دم الحربى لأنه سقط عن رنية الانسانية والتحق بالحيوانات المؤذية ، فكان الواجب للانسانية تطهير الأرض منه رحمة بها وشفقة عليها ، فلا عرو أن يهدر دمه ولا تراعى كرامته ، وهو الذى أضاع بسوء سلوكه وفساد إنسانيته « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

أما خلوده في النار فلعظم الجريمة كما قلنا . أو نقول ما قال كثير من العلماء : إنه كان ينوى الكفر بالله على التأييد . والعبرة عند الله ليس إلا بما تكنه النفوس وتنطوى عليه القلوب « إن الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » . أو تقول : إن هذا الرجل دأب على مساخط الله والعمل على فنون الذائل حتى صارت ملكة راسخة فيه ، فالتحققت بالغرائر ، وصارت بكثرة التمرن واستحكام المادة كأنها جزء من تكوينه الخلقى واستمداده الطبيعى ، فلا سبيل لا نزاعاً منه إلا بفساد تكوينه واقتلاع غرائزه وانخراط طبيعته ، ولذلك يقول الله تعالى : « ولو رُدُّوا لِمَادُوا لما سُوءوا عنه » . ومن عرف تأثير المادت وتكوينها للملكات الخبيثة أو الصالحة في النفوس ، لم يستغرب ذلك . وإذاً نقول : إن هذا الرجل كله خبيث وقذرة روحانية هي أشد من قذاره الحسيات لدى من بدرك للروحانيات معنى أو يشم لها رائحة « إنما المشركون نجس » . فكيف يدخل حضرة الله المقدسة التى لا يدخلها إلا المقديسون أو يفوز بجنته المظهرة التى لا يفوز بها إلا الروحانيون ، أو يسمع لذبذبة النجاسة

التي لا يظفر بشرها إلا المربون ؟ لعمري إن الحكمة تأبى دخوله الجنة التي أعدت للمتقين وحرمت على الكافرين ، لأنهم ليسوا لها بأهل وللمر الحكمة المقدسة التي تأبى أن تضع الأشياء إلا في مواضعها أو دخلوا الجنة لكان هذا في نظر الحقائق بمنزلة من يأتي بشر الدواب فيدخلها حظيرة الملك ويحل خواصه ويجلس ندمائه (وأى عقل يسمح بوجود الخير بحضرة الملك الكبير مع الوزير والأمر) ؟

ولا تعجب من هذا فإن الإنسان قد ينحط إلى أسفل دركات الحيوان فلا يكون إنساناً إلا بصورته وتخطيطه لا غير . وقد قال بعض الفلاسفة : « إن من الناس من تفسد إنسانيته فيصبح غير إنسان » . وليس هناك تفاوت بين أفراد نوع من الأنواع مثل التفاوت الذي بين أفراد نوع الإنسان ، الذي هو يجمع العجائب والفرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات . وقد قال تعالى في حق أولئك المشركين الجاهلين الذين صموا عن الآيات وكفروا برب الأرض والسماوات : « إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً » وقال : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

فهذا قول خالقهم العالم بما خلقوا عليه وانجذبوا إليه « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . وسيقولون في الآخرة : « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » .

هذا ولشيخ محي الدين بن العربي وابن تيمية وابن القيم كلام في الخلود في النار شذوا فيه عن الجمهور ، فلا حاجة لسوقه هنا أو التمرح عليه .

وأما قول السائل : « ما الفرق بين الشرك والمنافق ؟ » فلا أدري ماذا يريد به ، فإن الفرق بينهما واضح من حيث التحديد والتعريف ، وكيف يشتبه من يظهر الكفر بمن يظهر الإيمان ؟ وإن أراد الفرق بينهما في الدار الآخرة فلا فرق في استحقاق كل منهما العذاب الأليم . وقد قال الله : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار » . فلندعه وما أراد .

وأما قوله : « وإذا كان المشرك لا يتفك عن إشراكه فما فائدة النصيح له ؟ » فهو عجيب ، فإنت تريد أولاً إقامة الحججة عليه « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » . وثانياً علينا أن ندمو الناس جميعاً الى الخير والهدى « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي » عن بينة « وما أودع في استعداد الادمان من الأمرار لا يعلمه إلا الله تعالى . فالواجب علينا أن نصصح كل من نقدر على نصيحته بالوسائل المختلفة ، عسى أن يكون فيه قابلية للخير » ولو في طبقة من طبقات أرضه السابعة . فإذا لم ينتصح كنا معذورين ، وقامت عليه الحججة .

وأما قوله : « وكيف نوفق بين قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وبين : « وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا » وكيف من يكون رحمة للعالمين يكون سبياً في عذابهم ؟ » فجوابه أن الطبيب رحمة وإن أعرض عنه المغفلون ، وأن النيل رحمة وإن لم ينتفع به الجاهلون أو غرق فيه المجازفون . بل نقول : إن النار رحمة كبرى ، وقد امتن الله علينا بها في قوله : « أفرايتم النار التي ترون » الى أن قال : « نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمؤمنين » . ولا ينافي ذلك أنها قد تكون نقمة على بعض الناس . وهذا في غاية الوضوح

وكيف لا يكون رحمة للعالمين وقد باء بسعادة الدنيا والآخرة : فأعطى الروح حظها من معرفة الله وما خلقت لأجله ، وأرشدتها الى ما تكون به في أعلى عليين وتصبح مع الملائكة المقربين ، وأعطى لجسم حظه من مشتهياته التي رسم لها طريقاً يؤمن شره ويرجى خيره « كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

وأما قوله تعالى : « وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا » فهو جار على مقتضى العدل والحكمة ، فإن مدلل الله يأتي أن يعذب الخلق من غير إنذار ولا دعوة للاستبصار .

وإنك لتعرف ذلك في القوانين لوضعية ، فلا عقوبة إلا بعد سن القوانين وظهور التشريع ، ولكن من عارض القوانين بعد ظهورها ووقف في وجه المصلحين وعرقل تشريع المشرعين ، كان مستحقا للعقوبة لا محالة .

وليت شرى ماذا يرى السائل فيمن يخرج على الأطباء ، فيما يفرضونه من الحجر الصحي ، وبث التعاليم التي تنفع المرضى وتحمي الأسماء ، وتعاقب كل من يقف في سبيل الصحة العامة ، ونشر أعلامها بين ربوع الأمة ، حتى لا تنتشر الأوبئة الفتاك والأمرض المهلكة ؟ وهل ترى أن من أعرض عن أسباب السعادة بعد الدعوة إليها وانغمس في حمأة الشقاء بعد التحذير منها ، وأخذ يقاوم دعاة الإصلاح ويقف في طريقهم ، هل تراه من لم تقم عليه الحجة ولم يعارض دعوة للمصلحين ولا أعرض عن الحق بعد ما تبين ؟

وأما قول السائل : « لماذا كان يغيظ الشرك محمدا فكان يجاربه بحاربة شعواء » فلا أرى له معنى بعد ما تقدم . ولنعلم حصرة السائل أن لفصائل أقواما يفادون عليها ويسئلون في سبيلها كل من تخص وغال أكثر مما يحرص أهل المادة على المادة ، حتى إنهم لهون عليهم بذل الأموال والأنفس في هذا السبيل : سبيل الله الذي من مات فيه كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . ولكن أهل الدنيا لا يحسون بذلك ولا يذوقونه ، ولذلك لا يسترفون به « بل كذبوا بما لم يحيطوا به وما يأتيهم تأويله » . وما هذا والله شأن المؤمن ، فإذا لم تكن عالما فكن مقلدا .

هذا وإنى استسكر منه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم باسمه المجرد مع كونه في عصر نفق أهله في تعظيم الكبراء والعظماء ، فلا يستطيعون أن يذكروا أسماء الأمراء إلا بلقب الإمارة ، ولا أسماء الملوك إلا بوصف الجلالة ، وإذا صدحت الموسيقى بالسلام للملك في الحفلات الرسمية قام الناس وقروا إجلالا وتعظيما ، إلى آخر ما تعرف ولا تنكر . ماذا كان هذا شمار العصر وشعوره فكيف نذكره صلى الله عليه وسلم بدون أدنى تعظيم

ولا توقير ، وقد قال الله تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » .
 وسكنها لأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب
 وأما قوله : « ولو فرضنا أن محمدا لم يبعث في جزيرة العرب فإذا كان يضر ، فهو على
 دكا كته لا معنى له ، لأن الله يفعل ما يشاء ويختار من يشاء . ولو بعث من أمة
 أخرى لجاء هذا السؤال أيضا . فهو سؤال دورى لا قيمة له . على أن الناس معادن
 كمعادن الذهب والفضة كما في الحديث الصحيح ، وقد ورد أحاديث كثيرة في فضل
 للعرب ، وللعرب فضائل يعرفها من درس طباع الأمم وعاداتها . ومما لا شك فيه أن
 الناس متفاوتون في الاستعداد تفاوتاً لا يعلمه إلا الله تعالى . فاختار لرسالة سبحانه
 وتعالى إلا أشرفهم نفساً وأعظمهم استعداداً كما قال : « الله أعم حيث يجعل رسالته » .
 ولديك آثار . لمصلحين والعظماء والملوك والفلاسفة ، فهل يستطيع أحد أن يأتي
 لنا بمثل تلك الآثار أو بتعاليم فيها تلك الأسرار ، التي رفعت الأمة العربية من حضن
 الجهل إلى أوح العلم ، وخرقت القوانين الطبيعية ؟ كما قال جوستاف لوبون الفرنسي
 في حقهم ، وهو من أكبر فلاسفة أوروبا : « إن ملكة الفنون لا تستعكم في أمة من الأمم
 إلا في ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضوع ، وجيل الاستقلال . وقد شد
 العرب فوصلوا إلى الاستقلال في جيل واحد » . وقال أيضا « ما عرف التاريخ فاتحاً
 أعجل ولا أرحم من العرب » . وكل هذا بفضل التربية النبوية والتعاليم المحمدية .
 وقد أذكرني ذلك قول صاحب الحمزية في أصحابه صلى الله عليه وسلم
 أغنياء زاهرة فقراء علماء أئمة أمراء

وأما قوله : « إنه بعث بأرض الجزيرة ومات ولم يخفر بها نهرا » فناشئ من تغفل
 حب للساديات في نفس السائل ، فهي محور كل فضل عنده ، وهي المبدأ والنتهى .
 ولو أنصف لعرف أنه صلى الله عليه وسلم أجرى بها أنهر العلم الصحيح ، والعمل النافع
 والأدب الجم ، والدين القويم ، والتربية التي أدهنت فلاسفة أوروبا . ولو قرأ السائل

(حضارة العرب) لجوستاف لوبون الفرنسي، أو كتب (درابر) الأمريكى، أو أقوال غيرهما ممن لا يحصى عدداً، لم يقل ما قال، بل تخجل مما قال. وقد قلنا ولا نزال نقول: ماذا نريد منه صلى الله عليه وسلم بعد رفع الأمة العربية من حضيض الجهل إلى أوج العلم، ومن دركات الدل الذى كانت فيه العرب إلى أعلى درجات العز، وترقيتهم بأحسن التعليم، وأخذهم إلى مكارم الأخلاق من كل باب، حتى صار الواحد منهم أمة وحده بعد أن كانوا أشبه شئ. بالوحوش الضارية يأكل قويمهم ضميئهم، ويشدون بناتهم، إلى غير ذلك من الفظائع التى لا تفعلها الحيوانات، ثم يصيرون بعد ذلك علماء حكماء من أكبر الساسة وأعظم القادة فى أقل قليل من الزمن، ثم ينشر ذلك النور فى كل أنحاء الأرض؟ ذلك كله لدى الوجدان الصحيح والفطر الطاهرة أكبر دليل على أن مصدر ذلك كله هو مثال الخير وشخص الكمال والفضائل لا تقيض من الإنسان على غيره إلا على قدر رسوخه فيها.

إن مناص السعادة الحقة إنما هو تخليص أفراد النوع الإنسانى من غنائب الشرور التى أحاطت بهم، وغرس مكارم الأخلاق فى أعماق نفوسهم، ومراقبة الله تعالى فى سرهم وعلايتهم، فإن ذلك جماع الخير وأساس السعادة.

ونبينا صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق فى ذلك كله، وهو برهان ساطع على نبوته، وأنه أكبر المصلحين لدى من يطلب البراهين الوجدانية من ذوى الفطر السليمة. وأما غيرهم فنعلمهم على ما كانت منه من البراهين الحسية والحوارق الكونية، إذ لا يعرفون مقدار الحقائق التى يدور عليها تلك السعادة من ارتفاع الإنسان إلى الأفق الملكى، وترقية مقام البشر إلى أعلى عليين، ومعرفة الله تعالى، والكشف عن حقائق الأشياء، ورقة الإحساسات، وتنعم الأرواح، بما تشرئب إليه من العالم الأعلى حتى يتم للإنسان المدنية الأرضية والمدنية السماوية. فلا برهان عند ذوى البصائر أكبر من أعمال مدعى النبوة، وصفاته النفسانية، وكالاته الخلفية، وآثاره الخارجية،

التي ترقى الأمم وتسعد الشعوب ، وتجعلهم ملوكا في الأرض ملوكا في السماء ، كما كان ذلك للأمم الإسلامية حين تمسكها بدينها وشريعته .

ولا غرو فقد جاء ، كما قال بعض الفضلاء ، في باب التشريع الصالح لكل زمان ومكان ، الكافل للمدالة بأوسع معانيها بما لا يعرف مقداره إلا المظاء والحكام .

ولعمري إن فلاسفة الأخلاق وعلماء النفس على شدة تبجحهم وكثرة ما قالوا ودونوا ، لم يأتوا بشر ممشا ما جاء به صلى الله عليه وسلم صافيا من الأدناس ، خالصا من شوائب الأهام ، ممتلئا رحمة وحنانا بأبناء هذا النوع الضعيف . وهل وصت أمة من الأمم الراقية كما يقولون إلى الديموقراطية الحقة فسوت بين الشرق والغرب ، وقالت : لا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى كما قال الاسلام ؟

ولعمري الله لو درست ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وما يؤثر عن الفلاسفة والمصلحين لوجدت الفرق شاسعا والبون بعيدا ، فكل فيلسوف أو مصلح تحفظ عليه سقطات قضت بها عليه الأحوال المحيطة به ودرجة علمه في العهد الذي كان عائنا فيه ، مما يجعل تعاليمه تستدعي الإصلاح والتهديب إلى حدود بعيدة . ولهذا السبب سقطت جميع الفلسفات القديمة والتعاليم الإصلاحية ، واستبدل الناس بها فلسفات جديدة وتعاليم من طراز حديث بلا ثم ما وصل إليه للناس من الثقافة العمية ، ولكن التعاليم المحمدية لا تزال جديدة ملائمة لكل عصر بما فيها من الرونة ، وما تضمنته من الأسرار البديعة والإشارات الخفية ، والكمكيات التي يفنى الزمان ولا تنفنى عجائبها ، بل يرى فيها ما لم تنضج العقول للعمل به واكتناه جميع أسرارها ومزاياها .

ولهذا اعتقد عقلاء النوع الانساني وعلمائهم أن الخير كل الخير في أن تؤخذ تعاليمه صلى الله عليه وسلم بغير تمديد ولا تنقيح ، ويرون أنها بالغة أقصى درجات الكمال إلى حد أن كل إصلاح فيها يحط من قدرها ويطمس من لآلئها . وما أنت ذات ترى للفرق شاسعا بين الأمم الإسلامية عند ما كانت عاملة بشريعتها وما كانت عليه

من التعاطف والتراحم والعزة والرفعة والوثام والاتحاد ، وبين ما نحن عليه اليوم من لتفرق والانقسام والضعفة والذلة والاكتفاء بسطواهر الخلابة والظواهر الكاذبة والأقوال الفارغة دون الأعمال النافعة ، منذ ما تركنا العمل بالشريعة واتبعنا القوانين الوضعية التي لا تعنى إلا بإصلاح الظواهر دون البواطن ، وبالأشكال دون الحقائق ، ولا بعينها إلا لحفظ أبهة لدولة وسيطرة الحكومة دون تربية لأفراد وإصلاح النفوس .
وكم عيب على الفلاسفة فيما قردوا من علم ودونوا من إصلاح .

وسنكتب مقالا خاصا في الفرق بين النبي والفيلسوف ، إن شاء الله تعالى .

ومن عجيب أمره صلى الله عليه وسلم تلك الحكمة البالغة ، والعلم الواسع ، والنظر البعيد الذي أحاط بعصالح الدنيا والآخرة . وما عهدنا عظيما من العظماء إلا وقد نبغ في ناحية من النواحي فشغلته عما عداها ، بخلافه صلى الله عليه وسلم مما دل على أنه خارق للعادة مؤيد من عند الله .

وقد قال المسيو (بلانشيه) العالم الفرنسي المشهور : « إن النبي محمدا يعد من أبرز وأشهر رجال التاريخ ، فقد قلم بثلاثة أعمال عظيمة دفعة واحدة ، وهي أنه أحيأ شعب ، وأنشأ أمبراطورية ، وأسس دينا » .

هذا وقد أصبحنا في دور الانحطاط الذي يقضى فيه على الأمة شر القضاء ، فيُحتقر أبناؤها وأئمتها وعاداتها وآدابها ، ويحتقر بعضهم بعضا ، ولا تقدر إلا كلام الأجانب الذين فنيت فيهم فعلا ، واقتدت بهم عملا ، وإن تبرأت منهم قولا .

فلتتل عليك زيادة على ما تقدم كلام بعض المظالم من أساطين العلم والفلسفة بأوروبا في شأن نبيك الذي عرفوا عظمتهم وجهالتهم أنت ، أيها الشرق المسلم الذي لم يعرف تاريخ آباءه وأسلابه الذين كانوا أرفع لآئهم على الإطلاق وأعزها على الإطلاق .

ولو شئنا لذكرنا لك شهادة كثير من أولئك العلماء مثل (الكونت هنري ديكستري) و (كلين تيلر) و (جوزف تومبسون) و (لوازون) و (ماركس دودس)

و (مودسلى) والفيلسوف (تولستوى) وغيرهم . ولكن يقتصر لك في هذه العجالة على شهادة من سمح للمقم بذكرهم وإني أرى من الدواء اللازم لهذا الجيل الحاضر والنفس الجديده أن هذه الشهادات يجب أن تقرد وتكرر حتى تملأ الرؤوس وتستقر في النفوس ، فإنه جيل مفتون بكل ما جاء عن الأوربيين ، فلا يعرف غيرهم ولا يقدر سواهم ، فنقول :

شهادة رنارد شو الانكليزي وهو من عظماء الانكليز :

« إني أعتقد أن رجلاً كمحمد لو تسلم رمام الحكم لطلق في العالم بأجمعه اليوم تم النجاح في حكمه ، ولقاده الى الخير وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة » .

وقال مؤلف كتاب (دراسات في تاريخ الدين) : « ينبغي أى نذكر أن الدين الاسلامي مخالف كل المخالفة لهذه الأبراج المتشائمة التي تسقط من ضربة واحدة لأن فيه قوة كامنة وصلابة ومناة تجعله قادرا على للقاومة مقدرة تامة » .

وقال الميسو (ليون) في شأن القرآن الكريم :

« حسب هذا الكتاب جلاله ومجدا أن الأربعة عشر قرنا التي مرت عليه لم تستطع أن تجفف - ولو بعض الشيء - من أسلوه الذي لا يزال غضا كان عهده بالوجود أمس » .

شهادة لافريسي الطائر الصيغ التي همه التعريف :

قال : « أثرون محمدا كان أخا خداع وتدنيس وصاحب باطل ومين ؟ كلا ، بعد ما وعينا تاريخه ودرسنا حياته ، فمن الخداع والتدنيس والباطل واللين كل أولئك من نفاق العقيدة ، وليس للنفاق قوة العقيدة ، وليس للكذب قوة الصدق . وإذا كان قوة الصعود والمرى في علم الطبيعة والحركات الآلية هي المقياس الصحيح لقوة المصدر الذي تنفذ منه الرمية وتظهر في الأفق من القذيفة ، فإن العمل والفعل الذي يحدته المحدث في علم التاريخ

وسجل الخلود وكتاب الانسانية هو المقياس الصحيح لقدر الوحي وقوة القلب والوجدان والفكرة السامية العالية التي تنفذ الى مكان بعيد وتبقى زمنا طويلا وتمشي في الحياة اهداوخية . وهي لا ريب ففكرة قوية صدرت عن وجدان قوى . ولكي تكون تلك الفكرة قوية ينبغي أن يكون ظاهرها وباطنها الاخلاص ، وعلما الا كبر الحق والصدق ، وتروح معقولة يقبلها اللب ويعتمدها الذهن . ولا ريب أن ذلك ينطبق على محمد ورسالة والوحي الذي نزل عليه ، فإن حياته وقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه وخزعبلات قبيلته وشهامته وجرائته وبأسه في لقاء مائقيه من عبدة الأوثان وثباته وبقاءه ثلاثة عشر عاما يدعو دعوته في وسط أعدائه ، وبهرة خصومه في قلب مكة ونواحيها ومجامع أهلها ، وتقبله سخرية الساعرين وهزؤه بهزه الهزئين ، وحميته في نشر رسالته ، وثباته ونوافره عليها ، وحروبه التي كان جيشه فيها أقل من عدوه ووثوقه بالنجاح وإيمانه بأظفروإعلاء كلمته ، واطمئنائه ورباطة جأشه في الهزائم ، وأثامته وصبره حتى يحرق النمر ، وطواعيته وتطلعه الى إعلاء السكينة ، وتأسيس العقيدة ، لافتح الدول وإنشاء الأمبراطورية ، وإقامة القيصرية ، ونجواه التي لا تنقطع مع الله ، وقبض الله إياه الى جواره مع نجاح دينه بعد موته . كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضم خداعا أو يعيش على باطل ومين ، بل كان وراءها عقيدة صادقة ويقين مضى ، في قلبه ، وهذا اليقين الذي ملأ روحه هو الذي وهبه القوة على أن يرد الى الحياة فكرة عظيمة ، وحجة قائمة ، ومبدأ مزدوجا ، وهو وحدانية الله وتجرد ذاته عن المادة :

(الأولى) نزل على من هو الله . (الثانية) تنفى ما ألصق لوثنيون به .

الأولى حطمت آلهة كاذبة ونكست معبودات باطلة ، والأخرى فتحت طريقا جديدا الى الفكر ، ومهدت سبيلا للنظر . والفيلسوف والخطيب والرسول والمشرع والفنّان ومسرح الحرب وفاتح أقطار الفكر وراد الانسان الى العقل ، وتناشر العقائد

السمقولة الوافقة للذهن واللب ، ومؤسس دين لاوثنية فيه ولاصور ولارقبات ، ومنشئ مشرين دولة في الأرض ، وفاتح دولة واحدة في السماء من ناحية لروح والفؤاد . فذلكم هو محمد . فأى رجل لمعركم قيس بجميع هذه المقاييس التي وضعت لوزن المعظمة الانسانية كان أعظم منه ؟ وأى إنسان صعد هذه المراقي كلها فكان عظيما في جميعها غير هذا الرجل ؟ انتهى كلام ذلك الرجل العظيم الذي لم يأكل الخقد قلبه ولا الجهل عقله . وحقا ليس بدرى العظيم غير العظيم .

فهكذا تكون معرفة المعظمة الانسانية ؛ وهكذا يكون تحليل النفوس الكبيرة ؛ وهكذا تكون الموازين الصحيحة لوزن الرجال وعظام الأعمال ، لا حفر الترع وردم الجسور وأمثالها من أعمال المهم الأرضية ، التي لا تعرف إلا الماديات ، ولا تعيش إلا في الظلمات .

وقد جاءتني هذه الآيات عفوا وما أنا بالشاعر ، فقلت أخطب النبي صلى الله عليه وسلم :

إلى أجل مزاي	بهن قد صرت فردا
وسيرة تتللا	تفوق مسكا وندا
إن سار غيرك هزلا	نراك قد صرت جدا
في حكمة واعتدال	فما تجاوزت حدا
لكن سواك وإن كا	ت أعظم الناس مجدا
في جل ما يرثيه	لا بد أن يعمدى
من يدعى غير هذا	فلننى أحمدى

هذا ولا يفوتني أن أقول لحضرة السائل : إنك جاهل بجزيرة العرب وما هي عليه ، ولا سيما في ذلك التاريخ ، فإن طبيعتها خصوص قبل الاتصال بالممالك الأخرى كانت تأبى كل الإباء أن نحفر فيها الأنهار . فكان من العبث أن يحاول ذلك فيها وهي في ذلك

المهد على ما علم المؤرخون والجغرافيون . ولذلك بقيت حتى الآن وقد مضى أربعة عشر قرناً وهي متأخرة في المشروعات الأراضية التي يريد لها السائل غاية التأخر . ولو شئنا لأطلقنا .

وبعد : فقد أرسل صلى الله عليه وسلم بما هو سبب لسعادة الدارين ومصلحة النشأتين ، إلا أن الكافر فوت على نفسه الانتفاع بذلك ، وأعرض بفساد استعداداته عن هذه السعادات الى تلك المهالك . ويكفي أن الناس قد وقعوا بسبب إرساله صلى الله عليه وسلم على علوم جمة وأسرار عالية وفضائل سامية ، مما أودع في كتابه لذي فيه بيان ما كان وما يسكون عبارة وإشارة ، ثم ما جاء في سنته صلى الله عليه وسلم مما عجز عنه علماء النفس وأساتذة الاجتماع . وأي سعادة أعظم من التحلي بزينة العلم ؟

وحلى الجملة لولا النبوات لم يكن في العالم علم نافع البتة ، ولا عمل صالح ولا صلاح في مميشة ، ولا قوام للمملكة ، ولكان الناس بمنزلة البهائم والسباع العادية والكلاب الضارية التي يعدو بعضها على بعض . وكل خير في العالم فن آثار النبوة ، وكل شر وقع في العالم أو سيقع فبسبب خفاء آثار النبوة ودروسها فيما بين الناس . والعالم جسده وروحه النبوة ولا قيام للجسد بدون روحه . ولهذا إذا انكسفت شمس النبوة من العالم ولم يبق في الأرض شيء من آثارها البتة ، انشفت سماؤه ، واتثرت كواكبه ، وكورت شمسها وخسف قمره ، ونسفت جباله ، وزلزلت أرضه ، وأهلك من عليها . فلا قيام للعالم إلا بآثار النبوة .

ولو نظرت الى ما دونه علماء شريعته من العلوم التي تنو بها السفن فضلا عن الإبل ، وما أنجبته تماثيله من الفلاسفة التي يقدسها الأوربيون (وإنهم لأعرف هناك بملأنا منا هنا) لو عرفت ذلك لم تقل ما قلت ، ولم تكتب ما كتبت . وتنتلها قوله تعالى « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » .

هذا ولنا مقال يتصل ببعض هذا الموضوع في بيان مذهب المعتزلة والأشاعرة والجبرية، فراجعه .

أسأل الله أن يلهمنا الرشد ، ويقينا شر الفتنة ، ويرزقنا العلم الصحيح ،
والنظر الواسع ، بئنه وكرمه .

يوسف الربوي
من هيئة كبار العلماء



وهذا ما كتبه مدير هذه المجلة :

تسألون عن حكمة إيمان الله المشرك بعدم المفرة ، وبأنخلود في النار الخ، فيلوح لنا أنكم تستعظمون أن تستوعب مكايمة الشرك الجزء لا أكبر من جهود المرسلين ، ويخيل الينا أنكم ترون أن الشرك وإن كان في ذاته ضلالا إلا أنه لا يمد وكونه خطأ عقليا بسيطا لا يستدعي أن يخلد صاحبه في النار ، وأن يطرد أبديا من رحمة الله . بل ربما نسرب اليكم قول خصوم الأديان : بأن الأمم وهي في دور طفولتها لا تستطيع أن تدرك الوحدة الإلهية ، وأن لا بد لها من دور طويل الأمد تمضي فيه الوثنية ، فكيف نعاقب بأنخلود في النار أم لا نحصى لخضوعها لحالة لا تستطيع الافتكاك منها ؟ ويتبادر الى ذهننا أيضا أنكم تستكبرون كذلك أن تحارب أمة لا شيء غير أنها مشركة ، أفلم يكن أجدى عليها من ذلك أن تصرف هذه الجهود الجبارة والأموال التي تنفق في جهادها ، في سبيل تعمير بلادها ، وإحياء موانها ، ودفعها في طريق الحياة دفعا راجيا . أما الشرك السائد فيها فيترك حتى يستنفد دوده تحت تأثير ثقافة نيرة وتربية حكيمة ؟

يلوح لنا أن هذا روح سؤالكم ، وهو عينه قول خصوم الأديان للعاصرين ، وهو بهذا الاعتبار يكون جديرا بالناية ، ولا مناص من دحضه بأسلحة العلوم الحديثة التي يخضع لها هؤلاء الخصوم ، فنقول :

أما أن الأمم في دور طموحتها لا تستطيع بحكم قصورها العقلي أن تدرك وحدة الذات الإلهية، وأنه لا يحصى من أن تخفى أول أدوارها في الوثنية، فهذا القول سقط عن المرتبة العلمية، بعد أن أثبت الأستاذ الألماني الكبير (ماكس مولر) عمدة الباحثين في الأديان البشرية القديمة ومناشئها وتطوراتها، أن الناس كانوا في أول عهودهم موحدين للذات الإلهية لا معبدتين للآلهة، عاشوا على ذلك التوحيد دهورا طويلا، ثم طرأت عليهم الوثنية بفعل زعمائهم الدينيين، فقد سولوا لهم تمديد الآلهة للتأثير في عقولهم ليسهل قيادهم في أيديهم، وليصرفوهم فيما يشتهون، ويرفعوا في نظرهم إلى مرتبة خزانة الأسرار الإلهية، ومهبط العلوم العلوية. (ارجع إلى كتاب الدين وترقيته للأستاذ ماكس مولر، وكتاب اللاهوتية المستقبلية للفيلسوف الفرنسي جيو).

هذا رأى العلم اليوم، والأستاذ ماكس مولر لاهو من رجال الدين، ولامن العلماء الاعتقاديين، وإنما هو بحجة في تاريخ الأديان القديمة ومناشئها، وقد وقف على هذا الاكتشاف الأثرى الخطير من طريق تتبع سلسلة الأديان بالاعتماد على الآثار والنقوش والكتابات، لا من طريق التسوّم والظن. فيكون من أروع المعجزات العلمية للقرآن أن يوافق هذا الاكتشاف العلمي الخطير ما جاء فيه عن أصل الدين، قال تعالى: «وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا» وقال تعالى: «كان الناس أمة واحدة (أي متفقين على الفطرة ثم اختلفوا)، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم».

فإذا تركنا هذا التحقيق العلمي جوبا ورجعنا إلى معالجة هذه المسألة من ناحية أخرى، رأينا أن مجرد النظر للإنسان في سذاجته الأولى يشعر بأنه كان لا يعتمد بالسلطان (أي السلطة) إلا في فرد لا في جماعة، فكان لا يقبل الشركاء في سلطانه على أمره،

ولا الشركاء في سلطان رئيس قبيلته ، فبدأ الفردية كان متغلبا على جميع مشاعره ، فهل يمثل أن يمسى هذا الليل الطيبى فيه بالنسبة لخالق الكون غيرضى له ما لا يرضاه لنفسه ولا لرئيسه ؟ هذا ولوعى الباحث بدراسة عم الأساطير الدينية (الميتولوجيا) فإنه يرى في وثنية الشعوب من آثار الصنمة ، وخوادع الخيل ، ما يقصر عنه الانسان في أول عهده ، وبدل على أن كل ذلك حدث بعد عصور كثيرة من وجود الخليقة .

إذا تقرر هذا ثبت لدينا أن الشرك عصيان متعمد للفطرة التي فطر الله الناس عليها ، واستسلام معيب من الجماعات لأفراد اغتصبوا حق القومة الدينية عليها ، فأخذوا يملكون عليها من التقاليد والعقائد ما يزيد بها إغنا في الوحشية ، ومضيا في ارتباك العقلية ، ليلهوها بالخيالات والأباطيل ، وينفردوا بالسيطرة على نفوسها وعواطفها ، فيسوقوها للحصول على مجد حربي ، أو منعم مادي ، حرصا على تحقيق مطامعهم ، وتوفية لحاجات شهواتهم .

فأصبح الشرك على هذا النحو (أداة) في أيدي المتلاعبين بالأمم يأتونها باسمه بكل ما يناقض بدهة العقل ، وكل ما يخالف حقائق الأشياء ، ويشذ عن الموازين المنطقية . وقد عاش الانسان من حياته الأرضية دهورا دهارير منعادا للقوام على عقله انقيادا أعمى على هذا النحو . ولم كانت رحمة الخالق تأتي أت تبقيه في هذه الجأة كان يوالى رسله اليه ترى ، محاولين زحزحته من موقفه ، ولا سبيل لهم الى الوصول الى غايتهم إلا بمكاغة عقيدته الرئيسية وهي الشرك ، وهو كما قلنا كان الأداة الشيطانية في أيدي منتصبى السلطان على عقله يصدونه به من كل إصلاح اجتماعي وورق أدبي . ومن أراد دليلا محسوسا على خطر هذه الأداة ، وعلى أن المرسلين وهم أرشد مصلحي الأمم ، كانت دعوتهم تصطدم بهذه الأداة ولا تجد لها مساعا الى الأذهان مع وجودها ، وأن أول ما كان يجب عليهم حيالها أن يبدلوا بأبلغ جهودهم في تحطيمها ، قلنا من أراد دليلا محسوسا على ذلك كله فليتنامل في العقبات التي قامت

في وجه الدعوة المحمدية وهي آخر الدعوات الإلهية ، ليرى أن الشرك كان هو وحده الحائل للنتيج الذي قام في وجهها ، ولولا أن الله أراد إتمام إرادته فهدى لدينه قوما آخرين ، صد الشرك العرب أجمعين عن هداية الاسلام ، ولبنوا الى اليوم فيما كانوا فيه . ولأجل أن يتحقق الباحث من مبلغ تأثير الشرك في صد أهله عن الأخذ بالتعاليم الحقة ، والأصول الصحيحة نقلوا عليه قوله تعالى . « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة لها واحدا ، إن هذا لشيء عجاب . وانطق للبلاد منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق » . وقوله تعالى : « ويقولون أثنا لتأركو آلهتنا لشاعر مجنون » .

إذا تأمل الباحث في هذا رأى أن أهل الجاهلية لم يصدم عن الأخذ بالمبادئ المحيية التي أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الشرك . أفلا يكون من الحكمة أن يبدأ بمكافحة هذا الحائل القوي حتى يزول من طريق الدعوة ، لينفتح المجال للغير المأم الذي ابتنت عليه هذه الدعوة ، لأسباب والتوحيد هو الفطرة التي فطرت العقلية الانسانية عليها كما ثبت ذلك علميا بفضل البحوث القيمة التي قام بها الأستاذ ماكس مولر ومن سار على طريقته من النقيين في تلويح المبرزة الدينية عند الجماعات الأولى للنوع الانساني ، وإذا صح هذا وثبت أن الشرك مشار لجميع الانحرافات الخلقية ، ومصدر لكل العادات الوحشية ، فكيف لا يكرر الله ذكره في كتابه وبمجته أشد المقت ، ويرعد عليه الآخزين به بأشد العذاب وأدومه ؟

كان الناظرون في تطور المعتقدات البشرية يظنون قبل هذا العهد كما قدمنا ذلك أن الانسان بدأ معددا للآلهة بحجة أنه لم يكن يدرك التوحيد ولا يتذوقه ، فكان الناس يتخيلون له عذر في وثنيته ، ولكن ماذا يقولون وقد ثبت بالأدلة المحسوسة أنه بدأ حياته الدينية موحدا ، ثم استسلم لزعمائهم فزبنوا له التعميد فانقاد لهم . والذي يؤيد هذا

التقرير العلمي سرعة سريان الاسلام في الأمم في أول ظهوره ، حتى دخلت فيه أم برمتها طوعية بدون دعوة ، وحتى بلغ أتباعه في مدى قرن واحد نحو مائة مليون نسمة . ومما يؤيد ذلك أيضا سرعة انتشاره في القبائل المجردة من أية ثقافة علمية ، فتراها ترك دعاة الملل الأخرى وتستغنى عن المغريات لكثيرة التي يبذلونها لها ، وتقبل على دعاة الاسلام على فقرهم وتقبل الاسلام دينها . حتى أن الكاردينال (لافيغري) الفرنسي ذكر ذلك في تقريره الذي قدمه للبابا ، وقال إن ستين مليوناً من الرنوج دخلوا في الاسلام في النصف الأخير من القرن التاسع عشر بدعوة بعض الشيوخ الفقراء والتجار . أليست هذه السهولة في التغلغل من الشرك والاقبال على التوحيد تدل على أن التوحيد هو الفطرة الأصلية ، فتقبل النفوس حتى الساذجة منها إذا قدم إليها ولم تكن ذات مصلحة ذاتية في تأييده كما كانت عليه الحال عند أهل مكة .

إذا علمت كل هذا أفلا تقضى الحكمة أن يبدأ بالشرك وهو الداء الرئيس فيجنت من النفوس لتغلو لما يبت فيها من التعاليم الإلهية الرشيدة : من إقامة معالم العدل ، وتأسيس دولة الحق ، وإسقاط أولئك المتعكمين في نفسيات الخلق ؟

رأيكم تقولون : إذا كان الشرك لا ينمك عن إشراره فما فائدة المصح له ؟ كيف تقولون ذلك وقد رأيتم نجاح الدعوة الحميدة في أم برمتها ، ورأيتم نجاحها في هذا العصر أيضا في الأمم للشركة التي لا تمت إلى المسلمين أصلا ؟ وإذا كان هذا الشرك مخالفا للفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهو في الوقت نفسه علة رئيسية لجميع ضروب الرذائل ، والآفة الحائلة دون جميع الفضائل ، أفلا يكون من الحكمة أن يشدد في العقوبة المترتبة عليه ، لتغطن النفوس إلى خطورته ، وتنبه العقول إلى شناعته ؟

ولست أستطيع أن أدل على أن الشرك مصدر لجميع الوحشيات التي يرتكبها

الإنسان أبلى من لفت النظر الى ما يحفظه التاريخ القريب عنها ، وما لا يزال ماثلاً أمام الأعين منها .

فما حفظه التاريخ القريب من ذلك أن استكشاف مكسيكا بأمرىكا صادف مهرجاناً كان يقيميه أهلها للاحتفال بافتتاح معبد لهم . فما كان أشد دهش الرواد عند ما رأوا أن أولئك المحتفلين قد أعدوا من أسرى أعدائهم سبعين ألف نسمة ليريقوا دماءهم على مذبح ذلك المعبود . وقد أمضوا ما اعتزموه فسلات دماؤهم أنهاراً بين هتاف الشعب وتصفيقه ، وزمرمة رجال الدين وصلواتهم اكل هذا كان ترفاً للآلهة وتلصقاً لبركاتهما ؛ ومن عادة كثير من المشركين الى هذا اليوم ذبح زوجات من يتوفى منهم وبعض خدمه ، وقد عد الأستاذ (هربرت سبنسر) في كتابه أصول لاجتماع عدداً من الفياثل لا تزال تجري على هذه العادة .

وأشيع من هذه عادة إحراق الزوجة التي يموت عنها زوجها ، وكانت هذه العادة شائعة في الهند أيضاً ، وما توصل الانجليز الى إبطالها إلا بعد بذل جهود كثيرة .

ومن ضلالات الشركين اعتبارهم طائفة منهم أنجاساً متبوزين لا يسونهم ولا يعاملونهم ، ومن يفعل شيئاً من ذلك يعد آثماً ويجب عليه أن يحرق ثيابه وأن يغتسل . وبذلك تجمد عشرات الملايين من البشر في حالة يرثى لها يفترون الأرض ، ويتخذون من القمامات ، وم أفض الى إخوانهم في الدين والجنس من الكلاب الكلبة ، وأذل عندم من فقع يلقع .

وقد رأى الناس كيف خاب المصلحون الكبار في مسوأة المتبوزين بإخوانهم في الدين لدى بعض الأمم ، ولم يكن الحائل دون هذا الإصلاح الواجب سوى ما عليه تلك الأمة من الشرك . وقد خاب مصلحهم الى حد أن رمم القلاة بالأحجار وتقصدهم بالقتل . فاضطر هؤلاء المصلحون الى لزوم الصمت ، وبقيت الحال على ما كانت عليه .

هذه العادات الوحشية لم توجد لها قلة الثقافة العقلية ، ولكن أوجدتها الشرك ،
بدليل وجودها عند المثقفين من هذه الأمم ، وبدليل عدم وجودها لدى الجماعات
الإسلامية التي تقيم في بلاد هؤلاء المشركين وهي منهم جنسا ولغة وليست أرفع من
عامتهم علما ولا قها .

نسألك قائلا : ما الفرق بين الشرك والناثق ؟ وهذا سؤال لا يمت الى موضوعك
بسبب . فأما الشرك بالله فقد عرفته ، وأما النفاق فهو أن يعطى الإنسان عقيدة أو آيا
ويتظاهر بخلافها مجازاة لغيره ، أو مداراة له مداراة مشوبة بسوء النية .

أما التوفيق بين قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وقوله « وما كنا
معذيين حتى نبعث رسولا » ، فليس فيه كبير كلفة فإن الله يقول إنه أرسل محمدا
صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، أى بأن يحيط عنهم الأضرار التي حملوها أنفسهم ،
وبأن يهديهم الى منجاتهم بأحسن الأساليب وأكملها ، وبأن ييسر لهم الوصول
الى السماوات العليا من أقرب الطرق وأقومها ، وبأن يخفف التكاليف وأنعمها . وهذا
لا يتنافى وقوله تعالى : « وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا » ، فإنها تذكر عدل الله
في أنه لا يعذب أمة على ما اقترفت حتى يبعث اليها رسولا ينبها الى الطريق السوى ،
والمخلق الأمثل .

ولعلمكم أردتم بقولكم إن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث وليس بأرض الجزيرة نهر
وانتقل الى عالم الآخرة ولم يحفر نورا ، لعلمكم أردتم بقولكم هذا أن عنايته بمكافحة
الشرك استرعت جهوده كلها فلم يجد وقتا لعمل ينفع الناس في سالتهم المعيشية .

فندرد على هذا بقولنا إن النبي صلى الله عليه وسلم أتفق السنين القليلة التي لبثها بين
ظهور انى قومه في إحياء قلوبهم ، وبعث همهم ، واستنهاض عزائمهم ، ليعملوا لأرواحهم
وأجسادهم ، وقد بلغ الغاية القصوى من سرده ، فهب أصحابه من بعدهم فلا وال الأرض
فضلا وعدلا ، وعلم وعمرانا ، ومدنية .

أما النهر الذي تذكرونه فمن المحال إحدائه في البقعة التي بعث فيها النبي صلى الله عليه وسلم . فالأنهار لا يتحصل عليها بالحفر ، ولو كان الحفر هو الوسيلة لإيجادها لما وجدت شبرا مواتا في الأرض

فالأنهار إنما تفيض فيضانا من البحيرات ، والبحيرات تستمد مياهها من سيول زاعية تنزل إليها من قنن جبال شاححة قائمة بجوارها . وهذه السيول تحدث من ذوبان الثلوج التي تتكون فوقها من الأمطار الغزيرة التي تسقط عليها . فإذا حمت عليها الشمس ذابت وزلت على حالة سيول فتفيض الأنهار المشتقة من تلك البحيرات وتجرى لتغذية الأراضي التي تمر بها . وليس يبلد العرب الشمالية جبال تصلح لتكوين البحيرات ، ولا في غلرة أحد إيجادها بالصناعة .

هذا جواب ما سألتنا عنه ، والله يهدينا إلى سواء الصراط

محمد فريد وجدي

من وصايا عبد الله بن الحسن لابنه

أوصى عبد الله بن الحسن ولده فقال :

أي بني . إني مؤد حق الله في تاديبك ، فاد إلى حق الله في الاستماع مني ، أي بني : كف عن لأذي ، وارفض البدا ، واستمع على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام ، فإن للقول ساعات يضرب فيها خطأ ، ولا ينفع فيها الصواب . واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا ، كما تحذر مشورة الماقل إذا كان غاشا ، لأنه يريدك بمشورته . وأهم يا بني أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته ناعما ووجدت هواك يقظان ، فأياك أن تستند برأيك فانه حينئذ هواك . ولا تفعل فعلا إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا ترديك ، وأن نتيجته لا تمنى عليك . وإياك ومعاداة أرجال ، فانك لن تعلم مكر حلیم ، أو معاداة لئيم .

حرية الرأي في الاسلام

شرع الله تعالى الاسلام ديناً للانسانية عاماً خالداً ، وجعله خاتم حلقات سلسلة الوحي للتلاحقة في سجل التاريخ الانساني من لدن آدم الى محمد صلوات الله عليه ، فكان هو الحلقة المكتملة لتنزيل الرحمة التشريعية الى الانسان في هذه الأرض .

وقد شاعت حكمة الله أن تكون كل حلقة من حلقات التشريع الإلهي على قدر استعداد الجماعة التي تأتي لها في تكوينها الطبيعي والخلقي والاجتماعي ، وكأنما نظم الله الانسانية بالوحي مقدماً اجتماعياً متماثل الحلقات في كل جيل وقبيل ، وإن اختلفت في الوضع والتصوير ، لتتفق مع وضع الأمة في مكانها من الحياة « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » حتى إذا اكتملت الانسانية في حقيقتها المطلقة ونهيات للوحدة الفكرية والاتجاه العقلي ، جاءها الاسلام مهيمناً على زمانها ، يرشدها الى ما أعدت له من الكمال الذي يسمونها عن حضيض لأرض الى ملكوت السماء .

ومن ثم كانت الشرائع السابقة إنما تخاطب عقلاً خاصاً محدوداً خطايا خاصاً محدوداً ، لا يتعدى هذا الجيل من الناس الى غيره من الأجيال ، ولا هذا القبيل الى سواء من المجتمع ، ولا ذلك التشريع الى تشريع أوسع وأعمق ، لأن العقل الانساني العام لم يكن صالحاً حينئذ لهذا الخطاب العام . لكن لاسلام عهد الى هذا العقل الانساني العام بعد أن نهياً في تكوينه الى الاضطلاع بعلم الحياة ، وغاطبه خطاب المرشد الى الطريق الأقوم ، وجعله قتيماً على شئون الحياة كلها ، وأبى الاسلام أن يقبل سلطاناً غير سلطان العقل ، وشدد التكبير على الذين استسلموا لبلادة الحس ، وأناموا عقولهم عن النظر والتفكير ، فقال في دستورهم ناعياً عليهم ازدراء عقولهم وتشبيههم بالغباء في اتباع آباءهم

على ضلالتهم » وإذا قيل لهم اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ تَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ». وقال في هذا الباب أيضا على مهبوع آخر: « إن الذين ندعون من دون الله مبادأ مثلكم نادوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين. ألهم أرجل يمشون بها، أم لهم أيدي يبسطون بها، أم لهم أعين يبصرون بها، أم لهم آذان يسمعون بها؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون » فهذا التسفيه البالغ حد التحقير للمخاطبين أشد إيلا ما لنفوسهم، والدفع في أفئدتهم، وقد مهد له القرآن بقضية من بدائه الفطر لا تختلف فيها العقول سيقف للتنبيه على موطن الخطأ العقلي في مسلكهم، حيث لعبدوا أنفسهم لما لا يستحق الحياة، بله العبادة والتفديس. ثم يعمون أن الأصنام ليست لها أرجل تمشي بها، ولا أيدي تبسط بها، ولا أعين تبصر بها، ولا آذان تسمع بها، ولكن في نفي هذا المعلوم بذاهة على طريق الاستفهام إزاء على عقولهم بأدع أسلوب « أفن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم » ؟

وقد أراد القرآن الكريم بهذا المبدأ السامى إيقاظ العقل وتنبيهه الى أداء مهمته وإبراء النفس الانسانية من مرض التقليد الأصم، وتربية القوى الفكرية على الاعتداد بالنفس واستقلال الرأى وحرية التفكير، ولذلك انتهى على الدين أيقظوا عقولهم وتفلقوا من قيود التقليد الى ساحات النظر فى آيات الله فى الأنفس والآفاق، وساروا بسير العلم غير ملتفتين إلا الى الحق فلم يقولوا: « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » ولا اعتذروا اعتذار العاجز القليل « ربنا إنا أطلعنا ساداتنا وكبراءنا فأصلحونا السبيل » فقال تعالى: « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فنعنا عذاب النار ».

هذا النوع من التشريع الفكرى من أمم ما عني به القرآن الحكيم، فردده كثيرا فى آيات ينفات على أنحاء شتى، تعظيما لقدرة الانسانية، وإجلالا لمنطق العقل العام، فى حدود

تكبح من جماعه إذا تطلع الى تعدى طوره ، ومجاوزه حده . وهو يظلمنا على أخص خصائص الاسلام وأعظم مميزاته على الشرائع الأخرى إطلاقاً ، تلك الخصبه هي أن الاسلام أقام من العقل الانساني حارساً على الانسانية ، وملاك الانسانية الحياة لتكون حية نامية ، ولتخورق في مدارج السكال . وهو بهذه الروح الهادئة القوية ضمن لنفسه البقاء والهيمنة على ما سواه « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .

فهم المسلمون الأولون الاسلام على هذا الأساس ، فعظموا حرية الرأي تعظيماً جعل منهم أمة ناهضة مدت سلطانها على أقطار الأرض في زمن لا يمكن أن ينهض بهذا السلطان القاهر لو كانت الأمة القائمة على أمره حييصة العقل مقيدة التفكير وليس مبدأ الشورى الذي جاء به الاسلام وجعله مناط الثناء على المؤمنين فقال : « وأمرهم شورى بينهم » وأمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ليجعله دستوراً بينه وبين أمته فقال : « وشاورهم في الأمر » إلا قاعدة من قواعد حرية الرأي وتقديسها ، فاستمع الرسول أمر ربه ، وجرى على هذا السنن فيما لم ينزل عليه وحى فيه . روى البخارى في صحيحه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد اليهم أموالهم وسيبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معى من ترون ، وأحب الحديث الى أصدقائه ، فاختاروا إحدى الطائفتين : إما السبي ، وإما المال ، وقد كنت استأنيت بكم - وكان أنظروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حين قل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد اليهم إلا إحدى الطائفتين ، قالوا : فلما نختار سبيتنا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فإن إخوانكم قد جاءونا نائبين وإلى قد رأيت أن أرد اليهم سيبيهم ، فمن أحب منكم أن يُطِيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما ينق الله علينا فليفعل ، فقال الناس :

قد طيبتنا ذلك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يذن فأرجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم ، فرجع الناس ، فكلهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد صيبوا وأذنوا .

هذا الحديث الشريف يصور أقصى ما تبلغ إليه الأمم الناهضة من حرية الرأي ونظام النيابة الفاضلة وبحو الاستبداد . وفيه من الفوائد العظيمة التي تدنو منافع عصرنا هذا ، عصر حرية الفكرية واستقلال الرأي ، ما يجلب عن الوصف . ولنتحدث منه فيما يمس موضوع (حرية الرأي) الذي عقدنا هذا المقال لأجله :

أول ما ينبهه القارئ من هذا الحديث قول النبي صلوات الله عليه لهؤلاء الذين دخلوا في الاسلام جدد : « معي من ترون ، وأحب الحديث إلى أصدق » ، يشعرون بقانون الاسلام العام ، وهو احترام الحقوق وتقديس حرية الرأي ، والتجافي عن روح الاستبداد ، والحكم الفردي ، فكأنه يقول : إن الأمر صار إلى الأمة ، ولا بد من أخذ رأيها ، مع أنه لو فعل شيئا ما طرفت عين بمخالفته « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ، ولكنه مشرع لدين عام خالد ، وهؤلاء تلاميذ مدرسته العظمى ، مدرسة الحياة ، والقائون بأمر هذا الدين من بعده ، فهم في حاجة إلى دروس في التربية الاستقلالية ، والاعتداد بالنفس ، وحرية الرأي ، فرد إليهم الأمر ليعلموا فادوا الاسلام وروح التشريع في الاسلام ، وليعلم حياة الاسلام مكانهم من الدين ، ومكان الدين منهم .

ثانيا — لم يشأ صلوات الله عليه أن يجبر هوازن بعد أن استأنى بها وقطع عذرها على قبول طائفة بعينها ، بل خيّرهم بين إحدى الطائفتين : إما المال ، وإما السي ، وفي ذلك من احترام الرأي مالا يحتاج إلى بيان .

ثالثا — عرّض الأمر على أصحابه ، وذكر لهم توبة إخوانهم ، وقال لهم : إني قد رأيت أن أرد عليهم سببهم ، ثم أطلق لهم حرية الرأي ، وأبان أنه لا يحكم إلا بما تطيب به

نفوسهم ، فقالوا قد طيبتنا ذلك ، أفترأى — وهو الرسول الأمين — قام الى سبي هوازن
فرداه اليهم اتسالا على إجابة عامة من حشد المسلمين ، كيف ؟ ولعل في غمار المسلمين
من لم يؤبه له ، ولا يعرف رأيه في هذا الجمع العظيم ، والمسلمون سواء أمام التشريع
العالم ، لكل مسلم رأيه ، ولكل رأى اعتباره ، لا ، لم يتفرد النبي برأيه ، ولكنه صمد
في أدق نظم حرية الرأي ، وأحراها بالعدالة جفى عليها : أمرهم أن يرجعوا الى أنفسهم ،
ويتعرفوا منها الرضا ، أو الایاء ، ويتضجعوا رأيهم ، ويتفادضوا مع نوابهم ، ثم يرفعوا
اليه ما استقر عليه رأيهم .

نظام بلغ أسمی آیات (الديمقراطية) كما يقولون في أمة حديثة باشنة ، أليس هو
أحدث ما تطمح اليه الأمم الناهضة لتعيش في ظله ؟ فليتبصر الذين لا يعرفون من
الاسلام إلا قشورا متثورة هنا وهناك ليست من الاسلام في الصميم .

اشترع النبي صلى الله عليه وسلم هذه الشرعة النقية الطاهرة في حرية الرأي ، فاستن
بسنته خلفاؤه الراشدون بعده ، فهذا هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله
عنه قد ملكه المسلمون رقابهم وأموالهم ، وبايعوه بالخلافة بيعة رضا واطمئنان : خطب
الناس أول ما خطبهم بعد مقام الخلافة فقال : « أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم ،
فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني » . فكيف تكون إذن حرية الرأي ؟
خليفة يملك من أمر الناس ما لا يملكونه في بيوتهم ، ثم يرد اليهم أمر نفسه ويحملهم
ميزنا لأعماله ، ويطلب منهم العون إن أحسن ، والتقويم إن أسأ . بهذا الروح ظفر
أبو بكر رضي الله عنه بالعرب بعد أن ارتدت أقاصيها .

ولقد سرت هذه التعاليم في المسلمين ، فكان من أثرها أن يقوم وجل من عرض
المسلمين يقول لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب بعد قوله : من رأى منكرا فليغيره
فليقومه : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فيقول عمر : الحمد لله الذي

جعل فى أمة محمد من يقوم عوج صر : إنما حمد الله عمر لأنه رأى فى الأمة روح لا اعتداد بالنفس ساريا فاطمأن على أنه يتأسر أمة لا تبين لها فى الحق قناة .

بل إن عمر رضى الله عنه بث فى الأمة حرية الرأى بين كبيرها وصغيرها . روى ابن الجوزى أن عمر بن الخطاب قال : « لا تزيدوا فى مهوور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذى القصة » فن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال ، فنالت امرأة من صف النساء طويلة فى أنفها قطس : ما ذاك لك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن الله يقول : « وآتيتهم إحداهن قطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإنما مبينا » فقال عمر : « امرأة أصابت ، ورجل أخطأ » .

وإذا تأملنا فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الى رفيق لأعلى ولم يخلف على المسلمين رجلا بعينه ، وهذا كان ميسورا وحاسما ، علمنا أن ذلك أثر من آثار حرية الرأى فى الاسلام . وأبو بكر رضى الله عنه لم يخلف عمر بن الخطاب ، لا بعد أن فوض إليه المسلمون ذلك . روى ابن الجوزى « أنه لما نقل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس اليه فقال : إنه قد نزل بي ما ترون ، ولا أظننى إلا ميتا لما بي ، وقد أطلق الله يمانكم من بيعتى ، وحل عنكم عقدي ، ورد عليكم أمركم ، فأمرؤا عليكم من أحببتهم ، فلم أنكم إن أمرتم فى حياة منى كان أجدر أن لا تختلفوا بعدى » فقاموا فى ذلك وخلصوا عليه ، فلم تستقم لهم ، فرجعوا اليه ، فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك ، قال : فلعلكم تختلفون ، قالوا : لا ، قال : فمليكم عهد الله على الرضا ، قالوا : نعم ، قال : فأمهلونى حتى أنظر الله ولدينه ولعباده .

فإذا كانت حرية الرأى فى الاسلام تتحلى فى أخطر مسألة بدور عليها كيان الأمة ، ويترك لكل مسلم أن يقول فيها رأيه فى أخرج المواقف ، كانت أخرى أن تتمشى مع الأمة فى مراحلها التشريعية والاجتماعية . فأم التشريع فحسب الفارىء الاطلاع على تاريخ فجر النهضة الاسلامية ليعلم كم كان من المجتهدين الذين لا يصمدون فى رأى إلا عن

كتاب الله أو سنة الرسول الصعبة ، وحتى أن الأصوليين يختلفون في أصحاب رسول الله : هل جميعهم مجتهدون ؟ وكتب الفقه والأصول مليئة بالفروع التي وقع فيها الخلاف بين الأئمة ، وما عاب أحد منهم على أحد اجتهداه ، ولا حرج عليه رأيه . فهذا مالك بن أنس إمام المدينة : قال له أبو جعفر المنصور : اجعل هذا العلم علما واحدا . فقال له مالك : « إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في البلاد فأفتى كل في مصره بما رأى ، فلا هم للمدينة قول ، ولا أهل العراق قول » . وفي رواية أنه قال له : « إن أهل العراق لا يرضون علمنا » . فقال أبو جعفر : يضرب عليه عامتهم بالسيف ، وتقطع عليه ظهورهم بالسياط ، فأتى مالك . فأنظر الى إجلال مالك بن أنس — وهو من أجل أئمة المسلمين المقتدى بهم في مشارق الأرض ومغاربها — لحرية الرأي ونجافيه عن خذلانها . خليفة مسلط يعرض عليه شرعه في الأرض ولا يكون بين الناس غير رأيه فيأبى ، لأن لكل مجتهدى مصر من أمصار المسلمين رأيا أخذوه من منبع الشريعة .

حرية الرأي أساس فهم عمومية الدين ، وهيمنته على سائر الأديان ، وصلاحيته للشريعة لكل زمان ومكان ، وأنه لا حاجة معها الى قانون آخر . قال العلامة ابن القيم : « ومن له ذوق في الشريعة وإطلاع على كالاتها ، وأنها لثاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ، ويجيئها بغاية العدل الذي يفصل بين الخلائق ، وأنه لا عدل فرق عدلها ، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح ، وعرف أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها ، وأن من له معرفة بتفاصيلها ووضعها ومواضعها ، وحسن فهمه فيها ، لم يحتاج معها الى سياسة غيرها البتة » .

ومن البداهة بالمكان الأول أننا لا نغنى بحرية الرأي ما يفهم من كلمة (الفوضى) حتى يباح لكل متعلم فضلا عن شبه المتعلم أن يقول في الشريعة برأيه ، وإنما نغنى أن العالم الثقة إذا فهم في الشريعة فهما وساق بين يديه دليله ، فلا سبيل عليه ، ولا تحجير على فضل الله م

صادق إبراهيم عرجون

الاسلام والطب الحديث

٢

تفسير بعض الآيات وكلام عن الحياة

سورة البقرة : الآية ٢١ « وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » :
الماء ضرورى لاستمرار الحياة والنمو ، فالإنسان لا يمكنه أن يعيش بدون شرب
الماء بضعة أيام مع أنه يعيش على الماء فقط مدة شهر أو أكثر . والنباتات والجراثيم
وكل شئ - حتى يهلك من الجفاف وبحيا بالماء .

الآية ٦٠ « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك فخرج لنا
مما تنبت الأرض من بقلا وقتان وفرومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذى هو
أدنى بالذى هو خير ... الآية » .

هذه الآية الكريمة معناها - والله أعلم - أن اللحوم والأسماك والألبان الخ أفضل
فى التغذية من البقول والقمح والذرة . ومعنى الأفضلية ليس مقدار المواد الزلالية
الضرورية للجسم فى كل نوع ، لأن هذا يجب ألا يكون سببا مهما للأفضلية . فمثلا
الواد الزلالية فى اللحوم من ١٥ الى ٢٠ فى المائة ، وفى اللبن ٤ فى المائة ، وليس هذا معنى
الأفضلية ، لأن معناها أن اللبن غذاء مخفف وتركيزه يصير مثل اللحوم ، وكذلك
اللحوم بإضافة ماء عليها تصير مخففة مثل اللبن ، ولكن معنى الأفضلية هى فى نوع
الواد الزلالية لا فى كيتها ، وأن كل جرام من المواد الزلالية فى اللحوم أفضل من
جرام من المواد الزلالية «Protiens» فى القمح والذرة الخ .

وقد اهتمت أخيرا لجنة الأبحاث بالبحر (Medical Research Committee)

الى أن قيمة المواد الزلالية تختلف فى نوعها وفى المقدار منها الذى يتمتع المواد الزلالية
المسكونة للأنسجة من أن تحترق . وبعد أبحاث كثيرة ظهرت لها فوائد عملية فى بعض

أمراض مثل البلاجرا ، ورأوا أن اللحوم بالنسبة للعواد الزلالية ونوعها لها قيمة أكثر من اللبن والذرة مثل البيان الآتي :

لحوم	لبن البقر	أرز	بطاطس	فول	دقيق	ذرة
١٠٤	١٠٠	٨٨	٧٩	٧٠	٤٠	٣٠

إن هذه النتيجة التي تلخصها القرآن الشريف لم تظهر حقيقة ثابتة طبيا إلا منذ سنوات قليلة . وكانت النظرية السائدة قبل ذلك أن الأطعمة وقيمتها بالنسبة للعواد الزلالية هي مسألة كمية لا مسألة نوع .

وقد ظهر من أبحاث لجنة الأبحاث الملكية بالبحر في التقرير الثالث سنة ١٩٣٣ والآخر أن البقول (Cereals) يضر الإكثار منها بالأسنان ونموها ، حتى إن التقرير ينصح بعدم إعطائها مطلقا للأطفال ، وبالقلة منها للكبار ، ويقول إن لا كثار من البقول من أهم العوامل في تسوس الأسنان .

الآية ١٦٣ « وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة » :

الروح مهما كانت حقيقتها هي هبة من عند الله ، ولكنها لا يظهر تأثيرها إلا في نوع مخصوص من المادة ، وهذا النوع من المادة يختص بأن يكون في حركة دائمة من التحويل Metabolism وهذا التغير الكيميائي الدائم في كل خلايا الإنسان وكل دابة لا يمكن عليها إلا إذا كان فيه ماء بتقدير يختلف حسب نوع الخلايا . وهناك بعض أجزاء من الجسم الحى يقل فيه الماء جدا ، وهذه أغلبية إفرازات متجمدة ليس فيها حياة مثل الأظافر ، وأعنى أنها ميتة ، وهذا أيضا معنى الآية الكريمة « وجعلنا من الماء كل شيء حى » . فليس المراد أن الماء سبب الحياة مطلقا ، ولكنه شرط أساسى في المادة التي تظهر فيها الحياة ، وهناك فرق بين الاثنين . ومثل ذلك مثل السرة (التلفون) . فإذا كان اثنان يتكلمان على مسافة طويلة فليسبب في الصوت الذى يسمع

هو المتكلم من الناحية الأخرى، ولكن عدة المسرة شرط أساسى لسماح الكلام، حتى إذا طرأ عليها طارئ لا يمكن سماع أى شئ. كذلك الماء شرط أساسى لاستمرار الحياة فى الجسم، ولكن الحياة والروح هما مثل المتكلم شئ آخر مطلقا لا تعرف حقيقته، ولكن تغيير المادة يفقد عنصر أساسى مثل الماء، الذى يؤدى الى الموت بالنسبة الى الجسم المادى، بمنع وجود الروح والحياة، وقلة الماء فيه تؤدى الى عدم وجود الروح والحياة، أى الموت بالنسبة الى الجسم المادى.

الآية ١٧١: «يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون. إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله»:

هذه الآية الكريمة تنص على ألا تؤكل الميتة ولا الدم، فالحيوان الميت لا يموت إلا لسبب مثل المرض أو الشيخوخة، فإن كان لمرض فما لاشك فيه أنه لا يزال فى الجسم نتيجة التقسم من مواد غير طبيعية وضارة للإنسان حتى بعد أن يعقم من الجرثيم بطريق النار، فالجسم الميت فى هذه الحالة يشبه الغذاء المتفسد الذى مهما طهر من الجرثيم بالحرارة لا يزال مضرا بالإنسان، وربما أدى الأكل منه الى الوفاة.

وكذلك الدم، فإنه يسبج أغلبه وأهم عنصر فيه وهو الكرات الحمر حلاياحية، وفيه من إفرازات الجسم ما هو معد للإفراز بواسطة البول والعرق الخ. فالدم فى الحقيقة مزيج من مواد قليلة مفيدة للجسم، ولكن أغلبه مواد مضرة ويجب أن تفرز، وإذا كان الحيوان المأخوذ منه الدم مريضا كان أكل الدم أشد ضررا، وكان بقاءه فى أنسجة الحيوان قبل أكله مضرا جدا لما فيه من مواد مضرة تحدث تخمرا بسرعة فى أنسجة الحيوان مثل العضلات، فيكون لحمه غير صالح للأكل.

وأما إذا كانت الميتة بالشيخوخة فضررها كضرر الميتة بالمرض، لأن الشيخوخة معناها انحلال أحد الأنسجة قبل الأنسجة الأخرى، فتؤدى الى انحلال الكل. وانحلال أحد الأنسجة لا يأتى، لا لضعف طبيعى فيها، أو بمرض تدريجى غير منظور يحدث تغييرات فى لحوم الحيوان تقلل من قيمتها الغذائية وقابليتها للهضم.

وربما قائل يقول : إن الميتة تؤكل يومياً في البلاد الباردة مثلاً، وكذلك الدم ولحوم الحيوانات تؤكل بدون ذبحها ونصفية دمها بدون ضرر ظاهر . ولسواب على ذلك أن ضرر التخمر يقل كثيراً في الأقاليم الباردة ويزيد في الأقاليم الحارة، والدين الاسلامي أنزل للمسلم كله بما فيه الأقاليم الحارة التي يحدث التخمر فيها بسرعة مذهشة . إذاً فما لا شك فيه طيباً أن لحم الحيوان السليم الذي يذبح ويعصى دمه أحسن غذاء وليس فيه أقل ضرر ، بخلاف الحيوان المريض الميت المتخلة لحومه بالدم .

لحم الخنزير - إذا كان سليماً من الأمراض لا ضرر منه على ما نعلم للآن ، ولكن كثيراً ما يصاب بأمراض تضر الإنسان إذا أكله ، فضرره أكثر من نفعه .

فتلنا نحو خمسة في المائة من الخنازير في بعض جهات أمريكا مصاب بمرض (تركيتا) وهو نوع من الديدان خطر ، لأنه إذا أصيب به الإنسان يحدث به تسماً صومياً وإسهالاً مثل (الكوليرا) وقد يؤدي إلى الوفاة . وأهم من ذلك أن لحم الخنزير للصاب لا يمكن تطهيره من هذا المرض بسهولة ، فعملية السلق البسيطة أو الشى لا تكفي ، ويجب غلي اللحوم مدة لا تقل عن نصف ساعة على الأقل لتطهيرها . وإذا كانت الإصابة شديدة كانت اللحوم غير صالحة للتغذية حتى بعد تطهيرها ، لأن الحيوان يكون في حالة تسمم عموي قبل الوفاة .

وهنا كانت حكمة الدين الاسلامي في اجتناب الضرر الذي لا يمكن الوقاية منه إلا بطرق ليست سهلة التناول ، وأحسن الوقاية العملية هي الامتناع عن أكله .

ولهذا لم نشاهد من هذا المرض حالة بين المسلمين ، مع أنه ليس نادراً في أوروبا وأمريكا . ثم إن الخنزير سبب عدوى ديداني أخرى أقل ضرراً مثل (الأسكاريس) وأنواع من (التينيا) .

الآية ٢١٨ : « يسأونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس وإنهما أكبر من نفعهما » :

الخمر أساسها مادة الكحول (الكثول) بكميات مختلفة . وهذه المادة توجد

بنسبة خفيفة في جسم الانسان في عملية هضم المواد السكرية (الجلوكوز) مثل الموجود في العسل . ولها فوائد لها طيبا ، ولكن يظهر أن هذه الفوائد قاصرة على هذا القدر البسيط جدا ، فإن زاد عن ذلك أحدث ضررا ، خصوصا إذا كان التعاطي لمدة طويلة فإنه يحدث التهابا مزمنيا في الأعصاب وفي الكلى ، وتصلبا في الشرايين ، وتحجرا في الكبد ، وضعفا في القلب .

ورب سائل يقول : لم لا يؤخذ منه مقدار بسيط ؟ والجواب أن الكحول (الكثول) يختلف عن أغلب المواد في أنه حتى بالمقادير البسيطة يحدث ضعفا في قوة الارادة والحكم ، وتزداد به الانفعالات لتفسانية ، وهذا هو الخطر ، لأن الشخص يصبح شخصا آخر وإرادته تصبح غير إرادته الطبيعية . ومع علمه بضرر الزيادة في حالته الاعتيادية لا يقوى على منع نفسه وهو تحت تأثير البسيط منه ، وقد يحدث الشيء البسيط منه حركة انتعاش ، ولكن ضعف الإرادة يجعل الشخص عبدا لعادة شرب الخمر . وقد وصفها كاتب من أكبر الكتاب الانجليز في كتابه ، وكان يتعاطى الخمر ، فقال : « إنى لا أحس أنى في شعورى وإدراكى إلا إذا كنت متأثرا بالخمر ، ولكنى في هذا الوقت وأنا سكران لا أعرف نفسى الأولى » فكانه في الحقيقة أضاع نفسه ، لأن عادة الخمر كانت شديدة ، حتى إنه في الأوقات التى لا يشرب فيها يشعر بكآبة وبؤس ولا يحس نفسه سعيدا ، وكان شيئا مهماً ينقصه حتى إذا شرب شعر بالسعادة . ولكنه في هذه الحالة ليس طبيعيا بل هو سكران . وقد مات في شبابه بالسل ، مع أنه لو عاش لم يبعد أن يكون أ كبر شاعر .

وهنا يلاحظ أن الخمر ، حتى قليلا ، لا يزيد قوة التفكير العميق بل يضعفها . وأما الملكات الأخرى مثل الموسيقى والشعر فربما ظهرت بوضوح من قليل من الخمر . وهذا معنى قوله تعالى : « وإيهما أ كبر من نعمهما » .

أما تأثير الخمر من الوجهة الأخلاقية والاقتصادية فليس محل بحثنا .

دكتور عبد العزيز اسماعيل

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

خلق الله الانسان مؤلفا من طبيعتين متباينتين : إحداهما ملكية علوية ، والأخرى
جسمانية شهوانية ، فمن غلبت شهوته عقله التحق بصنف البهائم ، ومن غلب عقله شهوته
التحق بالملائكة . وقد شرع الله التكاليف امتحانا خلفه ، ثم قرنها بالزواج والمطبات
لتكون عوناً لعقله على التغلب على دواعي الشهوات فيه .

فالتكاليف الشرعية قاصرة على نوع الانسان كما قال تعالى : « إنا عرضنا الأمانة
على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان
ظالما جہولاً » وقد فسر أكثر العلماء الأمانة بالتكاليف الشرعية . على أنه لم يقصد
من هذه التكاليف تسخير الانسان أو تحميله مالا قبل له به ، ولكن أريد بها تطهيره
وتخليص جوهره من الكدور التي علقته به ، كما قال تعالى : « ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .
وقد عمل المسلمون الأولون بهذه التكاليف فصحت عقولهم وأجسامهم ، وقويت
نفوسهم وإراداتهم ، وتمصنهم روح علوية سموها بها على جميع الأمم المعاصرة لهم حتى
سادوا عليها وأصبحت لهم خلافة الله في الأرض .

فإذا كانت هذه الكالات ثمرة التكاليف الاسلامية ، فكيف لا يحرص عليها
المسلمون ويمثلون بها ويتدارسونها ويحملون التواصي بها أصراً محمداً على كل منهم
فردا فردا ؟

هذا وقد تفضل الله على الانسان بهبات عظيمة جسمانية وروحانية ، وامتعه بخصائص
عالية صورية ومنوية ، أفلم يكن من حقه عليه أن يشكره على هذه النعم الجليلة ، والمطايا
الجزيلة ، بالإقرار بفضلها ، والإخبارات لمزته ، والخشبة من جبروته ؟ لذلك وجب علينا أن

تقابل هذه الآلاء الإلهية بالشكر الجليل ، وأن نفهم أن الأرواح قبل أن ندنس بلعالم الجسماني قد خضعت لربها فانطبع فيها الإقرار بالوحدانية ، فالواجب عليها أن تقرّ بها ، وأن تعترف بالعبودية لبارئها ، وأن تبقى حافظة لمهدا القدم بعد أن لا يستها تلك لأجسام البشرية وأحاطت بها إحاطة السوار بالمعصم .

إذا فالعبادة لله أقدس غاية من غايات الأرواح ، وأسمى مقصد من مقاصدها ، وثمرة العبادة خلاص الانسان من أسر جنانه ، وعروجه بروحه الى أرقى درجات الكمال من وجوده الصوري والروحاني . وهذه غاية يجب أن يسعى بها ، وتراض النفوس لبلوغها ، فإنها أسمى الغايات على وجه الإطلاق .

وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين الاسلام والايمان فقال : « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا » قال : « والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

والأحاديث صريحة في أن الأعمال الظاهرة للانسان من الايمان ، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ودناها إمطة الأذى عن الطريق » . وقوله لوفد عبد القيس : « آصركم بالايمان بالله وحده . أتدرون ما الايمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم » ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب ، لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب ، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الايمان . وفي المسند عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الاسلام علانية والايمان في القلب » . وقال سفيان بن عيينة : كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم الى بعض بهذه الكلمات « من أصلح سريره أصلح الله علاقته ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن عمل لا آخرته كفاه الله أمره دنياه » . رواه ابن أبي الدنيا في الاخلاص .

وثبت عنه عليه السلام من وجوه متعددة أنه قال : « الحياء شعبة من الإيمان » .
وهذا من حديث ابن عمر وابن مسعود وصران بن الحصين وقال أيضا : « لا يؤمن
أحدكم حتى يكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » ، وقال : « لا يؤمن
أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه » ، وقال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ،
والله لا يؤمن » ، قيل من يا رسول الله ؟ قال : « الذي لا يأمن جاره بوائقه » . وقال :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك
أضعف الإيمان » ، وقال : « ما يموت الله من نبي إلا كان في أمته قوم يهتدون بهديه
ويستنون بسنته . ثم إنه يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون
ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، وليس وراء
ذلك من الإيمان حبة خردل » . وفي الحديث المتفق عليه من رواية أبي هريرة رضي الله
عنه ورواه البخاري من حديث ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن ، ولا ينرب الخرجين بشرها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين
يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب الثبة يرفع الناس اليه فيها أبصارهم وهو مؤمن » .

ثم إن علماء السنة قد اختلفوا فيما بينهم في : هل الإيمان يزيد وينقص ، أو أنه لا يزيد
ولا ينقص ؟ وتشعب البحث تشعبا أففى الى كثرة من القول مستفيضة . ثم إننا كنا
قطعت مع القراء شوطا بعيدا في مشروعية النكاح وأسبابه ومن يجوز نكاحه ومن
لا يجوز ، وقد بق أن نتكلم عن حرم نكاحهن المحصورات في عشرين محرمة . كذلك
كنا قد وعدنا حضرات القراء باستتمام البحث في حكمة إرسال الرسل . غير أن بحثنا
الراهن لا يتسع لكل هذه التفصيل . لذلك نستطيعهم عذرا في الوقوف بهم عند هذا
الحل اليوم من البحوث التشمية . وموعدا بإتمام هذه البحوث في الأعداد المقبلة
إن شاء الله

عباس طه

تاريخ اللفاظ في اللغة العربية

كلمة (الادب) وأطوارها

هذا فن من العلم قد يكون جديداً على اللغة العربية ، أو على الأقل غير معروف في مباحثها ، وهي في أشد الحاجة إليه ، فيجب أن يوجد ، وأن يعرف ، لما له من عظيم النفع وجيليل الفائدة في تحديد معاني الكلمات بأوقاتها التي استعملت فيها ، وتمييز أصل الوضع من طائرته ، ومولده ودخيله من عريبه ، وحقيقته من مجزئه . وفي ذلك إرشاد الى أطوار الحياة في الأمة ، وانتقالها من درجة في العارف الى درجة أخرى ، وليس في معاجم لغتنا ما يقوم هذا المقام .

فلو أن إنساناً اعمد الى واحد منها كالقاموس ، أو لسان العرب ، أو صحاح الجوهري ، وما إليها ليعرف منه معنى كلمة من الكلمات ، لوجدتها تتردد بين كثرة من المعاني إذا صح أن العرب عرفوها كلها كان ذلك دليلاً على ما لهذه اللغة الشريفة من الخصوصية في الأوضاع ، والثروة في المدلولات التي تداولها العرب في مختلف قبائلهم قبل اختلاطهم بغيرهم من الأمم .

ومن ثم يعرف المطلع عليها مقدار اتساع مناحي الحياة عند العرب ، لأن التعبير عن الشيء فرع معرفته ، فهم إذاً قد عرفوا كل ما عبروا عنه في لغتهم ، وهم قد عبروا عن كثير من المعاني الفكرية والاجتماعية في صور مختلفة تبين مقدار تفننهم فيها . واللغة الصعبة من أصدق المقاييس على حياة الأمة .

ولكن هذه المعاني التي تذكرها تلك المعاجم اللغوية اختلطت بمض المولد والدخيل فيها بالعربي الصريح اختلاطاً يصعب معه على المنتهى في عصرنا — بله البتدي — أن يطمئن الى أن هذا المعنى عربي خالص ، لأنه لا يثق بأن العرب الخالص نطقوا بهذا اللفظ مستعملين في ذلك المعنى قبل أن يفرمهم الدخلاء .

أخذت يدي كتاب القاموس، وهو من أهم كتب اللغة عندنا، لأكشف فيه عن معنى كلمة (الدين) فوجدته يقول: الدين: «الجزء» و«الاسلام» و«العادة» و«العبادة» و«المواظب من الأمطار» أو «الدين منها» و«الطاعة» و«الذل» و«الداء» و«الحساب» و«القهر» و«الغلبة» و«الاستملاء» و«السلطان» و«الملك» و«الحكم» و«السيرة» و«التدبير» و«التوحيد» و«اسم لجميع ما يتعبد لله عز وجل به» و«الملة» و«الورع» و«المعصية» و«لا يكره» و«من الأمطار ما يعاهد موضعاً فصار ذلك له عادة» و«الحال» و«القضاء». سبعة وعشرون معنى تردد بينها كلمة (الدين) وهي من الكلمات التي تكشف معانيها عن تاريخ الأمة من ناحية التفكير والاجتماع والأدب. وأنت ترى أن الفيروزبادي ذكر هذه المعاني دون تمييز بين ما حدث بعد الاسلام، وما وضع قبله، وإن كان بعض المعاني يتم عن تاريخه الاجمالي بنفسه، وأغلب تلك المعاني (ديني) شرعي، وبعضها يمكن القطع بأنه عربي جاهلي، وبعضها متردد بين المصور العربية، وهو أشقها وأحوجها الى التاريخ.

وهذه أيضاً ألفاظ (المائدة والطعام) لو قرأها إنسان في تلك المعاجم يخرج منها بما يقلب تاريخ العرب من جهة الحضارة والبداءة، لأنها تبين عن أصناف وأذواق لا تسرفها البداءة، وهي من الحضارة في صميمها. بيد أن التاريخ القديم يأبى إلا أن يصور العرب أمة بدوية حاهلة لا تعرف إلا الناقة والجمال، والصحراء والجبل، ورؤد البنات، وشن الغارات، والظعن والارتحال.

فلم لا نتذكر أن بعض المعاجم اللغوية نبه على أن بعض الكلمات معربة، أو دخيلة على العربية من الرومية أو الحبشية أو غيرها، وأن بعض العلماء ألفوا كتباً في بيان الدخيل من الكلمات على اللغة، ولكن هذا شيء قليل يجانب ما في هذه اللغة من ثروة لو خلصت لأبانت عن تاريخ العرب أحسن إبانة، وهو مع قلته لا يغنى شيئاً

عن تأريخ الألفاظ ، لأن تلك الكتب لم تبين متى جاء ذلك اللفظ الدخيل ؟ وهل كان في اللغة ما يعني منه ؟ فحاجة اللغة العربية الى (فن تأريخ الألفاظ) وتتبع أطوارها ، واستعمالها كبيرة جدا ، فهو واجب عيني على الجميع اللغوي ، وفرض كفائي على الجماعات الأدبية المستغلة ببعوث اللغة .

وإذا كان القدامى من أئمة اللغة لم يمتوا بهذا الطرز من البحث لأن الحاجة لم تكن عندهم ماسة اليه ، أولأنهم كانوا على علم بتمييز الدخيل من العربي تقرب عندهم باللغة في معاهد الجزيرة ، أو لأى سبب آخر ، فحاجتنا نحن اليه شديدة ، لأن الآداب الأجنبية التي تزاخم لأدب العربي عنيت به عناية شديدة ، ولأن هذا الفن يساعدنا مساعدة فعالة على الكشف عن تاريخ العرب الأدبي والاجتماعي والديني قبل الاسلام ، إذا الاعتماد على روايات التاريخ القصصية أصبح شيئا لا يمكن التعويل عليه في معرفة الحقائق ، ولأننا هرجتنا من طريقه فأفكر بعض الباحثين أن يكون للعرب حياة أدبية قبل الاسلام ، لأن لغتهم لم تعرف كلمة (الأدب) إلا بعد مجيء الاسلام ، فلو كان لدينا هذا الفن قائم القواعد لتفادينا هذا الجدل العقيم ، وخطينا بالأدب العربي خطوة أوسع تبوئه مكانا عليا بين الآداب للناهضة الحية .

انصلت نهضتنا بنهضة الغرب ، فأخذنا عن المستشرقين كثيرا من مناهجهم في البحث ، وكان فيما أخذنا منهم تاريخ أدب اللغة طريقة ، لا مادة ، وهم قد بحثوا عن تاريخ الألفاظ ، فألمنا بشئ ضئيل منه دعت اليه ضرورة التقليد ، حصره الباحثون في كلمة (الأدب) ، ولكن في اتجاهين : اتجاه يحتمى بالقديم ويستعين به ، واتجاه يتأثر مناهج البحث الحديث طليقا من كل قيد . وسنعمل خلاصة المدهيين ، ثم نقى بما يدا لن من رأى ينتهى بهذه الكلمة الى وضعها التاريخي الصحيح .

يقول أنصار القديم : إن أول ما عرفت كلمة (لأدب) عند العرب في العصر الجاهلي جاءت مصعرا لأدب يأديب اللازم ، وهو من باب ضرب ، بمعنى صنع طعاما

يحتفل به ، ويدعوا اليه ، والاسم من ذلك (المأذبة) ولكمهم لا يذكرون شاهدا واحدا من كلام العرب الأفعاح في العصر الأول ذكرت فيه كلمة (الأدب) بهذا المعنى ، ويكادون يجمعون على التثنية بقول طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندمو لجللى لا نرى (الأدب) فينا ينتقر

وهو مروي في ديوانه من قصيدته الرائية التي مطلعها :

أصحو اليوم أم شافتك هر ومن الحب جنون مستعر

وواضح أن بيت طرفة لا يثبت الدعوى بنصها — كما يقول الجليليون — وأقصى ما يفيد أن (الأدب) اسم فاعل بمعنى الذي إلى الطعام هو الذي عرف من مادة (دب) ويبقى البحث على حاله متشوقا إلى معرفة : هل نطق عرب في العصر الجاهلي بلفظ (الأدب) على أى معنى من المعاني التي عرفت لهذه الكلمة بعد ؟ .

يتخلى أولياء القديم من أمانيذ النهضة الحديثة العصر الجاهلي عند هذا الحد مسرعين إلى عصر صدر الإسلام وبنى أمية ، فتسغمهم النصوص ، ويجدون كلمة (الأدب) ليست ثوبا جديدا ، وأخذت معنى التهذيب والتعليم في صيغ متعددة ، ويستشهدون على هذا المعنى الجديد لكلمة الأدب بحديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى » ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبعض بني « يا بنى انسب نفسك فصل رحلك ، واحفظ محاسن الشعر بحسن (أدبك) . » ويقول : « من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله » . وبكلمة معاوية بن أبى سفيان لابنه يزيد في وصيته حين حضره الموت : « ثم انظر الى أهل الشام » جعلهم الشعار دون الدثار ، فإن رابك من عدوك ريب فارمهم هم ، فإن أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام الى بلادهم ، ولا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بنبر أدبهم » .

وبروون عن عتبة بن ربيعة قوله لابنته هند أم معاوية ، وهو يمت لها أباسفيان بن

حرب ليكون زوجها لها : « يؤدب أهله ولا يؤدبونه » وقول هند لأبيها : « إني لأخلق هذا الوامقة ، وإني له لموافقة » ، وإني لأخذته بأدب البعل مع قوم قبتي ، وقلة تلفتي .
ثم يتوسمون في هذا المعنى نفسه إلى أن يولدوا منه معنى آخر إن لم يكن هو فليس منه بعيد . وعُرف الناس يجرى على هذا المعنى المولد ، فيقولون : فلان (مؤدب) و (أديب) إذا كان ظريفا في خلقه ، لطيفا في عشرته ، وينشدون شاهدا له قول سالم ابن وابصة ، وهو شاعر أموي :

إذا شئت أن تدعي كرمًا مكرما أدبيا ظريفا ما جسدًا حرا
إذا ما أنت من صاحب لك زلة فكأن أنت محتالا لزلته عذرا
ويستظهرون أن الكلمة نقلت من هذا المعنى إلى معناها (الفنى) أى للمعنى الاصطلاحي الذى تعارفه الناس حين صار الأدب فنا مستقلا
صالح إبراهيم عجمي

بعض ما قيل في الحسد

قال علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه : لا راحة لحسود ، ولا إغناء لمسلول ، ولا عجب لسمي الخلق .
وقال الحسن البصري : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، نفس دائم ، وحزن لازم ، وغم لا ينقذ .
وقال معاوية : كل الناس أقدر أذنبهم إلا حاسد نعمة ، فإنه لا يرضيه إلا زوالها .
وقال الشاعر :

كل العداوات قد ترضى إياها إلا هدة من جادك من حسد
وقال عبد الله بن مسعود : لا تعادوا نعم الله . فقيل له . ومن يعادى نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . يقول الله في بعض كسبه : الحسود هودو نعمتي ، مانحط لقصائي ، غير راض بقسمتي .

مآثر العرب في علم التاريخ^(١)

انتهى العصر الأول من تاريخ الأدب العربي بانتهاء القرن الرابع من الهجرة، ثم تلاه عهد امتاز يوفره التأليف في التاريخ وتنوعها ولعل السبب في ذلك يرجع إلى اهتمام الأمراء بهذا الفرع من فنون الأدب، وبتعصيدهم للقائمين بأمره تعصيدا كاد يسوى بين منزلتهم ومنزلة الشعراء، فزد بذلك عدد المؤرخين. على أن ذلك لم يمنع ظهور مؤرخين لم يكن تعصيدا لأمراء هو الدافع لهم على مزاوله أعمالهم، بل كانوا يجدون في ذلك لأغراض علمية بحتة. ولم يكن إحتاج هؤلاء من حيث الوفرة أو القيمة أقل من أولئك. وإلى الأخيرين يرجع الفضل غالبا في جمع المصادر التاريخية الأولى ونشرها. ولعل أهم ما امتاز به هذا العصر الجديد ظهور نوع جديد للتاريخ وهو وضع التراجم، ولو أن هذا النوع كانت توجد بذوره في مؤلفات الأولين أمثال علي المدائني. هذا إذا استثنينا ما جاء في تاريخ حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) فإنه لم يحل منه عصر من العصور منذ بداية الأدب النثرى، وإن كان ذلك أقرب إلى علم الحديث لصبغته الدينية. تطور فن وضع التراجم في هذا العصر تطورا سريعا، وأصبح من مميزات الوضحة وخصوصا في شرق البلاد الإسلامية، حيث اقتنى المؤرخون أثر كتب الملوك الفارسيين. وكانت هذه التراجم توضع إبان حياة أبطالها، فكانت تكيل لهم أنواع المدح، وتقبيض في تمديد مناقبهم، هذا إلى إصراف واضعها في استخدام المحسنات اللفظية لإظهارها في ثوب جميل موقن مما قلل من قيمتها التاريخية، إلا أننا ندين لها بكثير من معلوماتنا عن الأحوال الداخلية في الدول المتتابعة وبلاط الملوك المختلفة، مما بحث علينا به المؤلفات التاريخية.

(١) بقية ما نشر في الجزء السادس من المجلد الخامس من هذه المجلة مرقعا عن الألمانية نقله عن كتابه « تاريخ الادب العربى » لمستشرق الالماني الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان » .

وأول التراجم المعروفة من هذا النوع هي الترجمة التي وضعها محمد المعني (أبو النصر) للتوفى سنة ٤٢٧ هـ في تاريخ السلطان يعين الدولة محمود الغزنوي المتوفى سنة ٤٢١ هـ وهو الأمير لدى في عهده نظم الفردوسي الشاهنامة المشهورة .

وأما في الشرق فقد بدأ وضع التراجم محمد النسوي الفارسي الذي كتب تاريخ السلطان جلال الدين ما نكوبرتي (خوارزم شاه) وكان قد التحق بخدمته بعد أن غلبه للذبول على أمره على ضفاف نهر السند عام ٦١٨ هـ ربي في بطائنه حتى وفاته عام ٦٢٨ هـ ووضع بعد ذلك بمشر ستمين ترجمته . وامتنازت هذه الترجمة بدقتها التاريخية .

وأما في آسيا الصغرى فكانت شخصية صلاح الدين بارزة الى درجة أنها طبعت تاريخ تلك الناحية بطابعها الخاص ، فتوفر ثلاثة من كبار المؤرخين على وضع تاريخ ذلك المجاهد الكبير ، أولهم معاصره عماد الدين الكاتب الأصفهاني ، وكان في أول أمره في خدمة السلجوقيين في العراق ، ولماساء حاله بعد وفاة ولي نعمته الوزير ابن هبيرة اتصل بالأيوبيين في دمشق ، واكتسب صداقة صلاح الدين ، وارتقى بسرعة الى أن صار رئيسا لمجلس الدولة في عهد السلطان نور الدين . ولما ولي ابن نور الدين من بعده عزله من منصبه في عام ٥٦٩ هـ وأبعده عن البلاط ، فاجأ الى صلاح الدين وكان قد أسس له ملكا في مصر ، وأخذ في الزحف على سورية ، ورافقه في كل غزوانه حتى وفاته في عام ٥٨٩ هـ ومن ثم اعتزل الحياة العامة واشتغل بالأدب الى أن وافته المنية سنة ٥٩٧ هـ . ومن أهم مؤلفاته تاريخ أولياء نعمته الأولين أمراء السلجوقيين ووزرائهم حيث تقل فيه الى العربية كتاب أنوشروان (شرف الدين) بعد اختصاره ، ثم وضع سفرًا مكون من سبعة أجزاء في تاريخ عصره لم يبق منه إلا الآن سوى جزء واحد .

أما عزوات صلاح الدين في فلسطين وسورية فقد أفرد لها سفرًا خاصا . وأخيرًا وضع كتابا في شعراء القرن السادس للهجرة إلخافا لكتبه الثماني ، ولكن مما يؤسف له أن كل مؤلفاته ملأى ببيارات كثيرة من التورية ومصوغة بأسلوب الدواوين السقيم .

وثاني مؤرخي صلاح الدين هو يوسف بن شداد بهاء الدين (الحلبي) وقد وضع مؤلفه بناء على مشاهداته الخاصة أيضا .

وبعد وفاة صلاح الدين احتفظ به ابنه الملك الظاهر في حاب في مثل منصبه الأول ، وبقى فيه في عهد الملك الظاهر الى أن ترك هذا الحكم في عام ٦٢٩ هـ واعتكف في داره . وأما ثالث مؤرخي صلاح الدين فهو الأستاذ دمشقي أبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ فقد وضع كتابه (الروضتين في أخبار الدولتين) في تاريخ صلاح الدين ونور الدين .

وفي عهد حكم صلاح الدين وضع أحد رجاله وكان وزيرا للعربية تاريخا نحاه منحي المصعو لوزير اسمه قراقوش منتقدا أوامره الإدارية وتصرفاته المستهجنة . وقد لقي هذا الكتاب ذيوغا واسما وانتشارا عظيما ، وكان له من الأثر البعيد ما جعل لاسم هذا الوزير صدى بعيد المدى ، فبقى ماثلا حتى اليوم في كثير من القصص والحكايات التركية والمصرية ، وتناوله التحريف فصار يعرف باسم قره قوز .

وكذلك وضع أسامة بن منقذ (أبو المظفر) في زمن صلاح الدين تاريخا مسهبا لحياته جاءت فيه موضوعات شتى قيمة في تاريخ هذا العصر ، ولد أسامة في سنة ٤٨٨ هـ بمدينة شيزار في شمال سوريا فلما شب وكبر اضطره أمير تلك الولاية وكان من أقاربه ، فاضطر للرحيل الى دمشق حيث أقام بها ست سنوات في خدمة الحكومة ، ثم اضطر لترك عمله ومغادرة البلاد الى مصر لعدم مما لآته للبلاط ، وعاش في مصر بضع سنين بعيدا عن الأعمال العامة الى أن اشترك في الحروب الصليبية في سنتي ٥٤٥ و ٥٤٨ هـ بمدينة عسقلان ، ومن ثم تابع سفره الى دمشق ، وأقام بها الى أن اشترك مع السلطان نور الدين في غزواته من سنة ٥٥٧ الى سنة ٥٦٠ هـ وأخيرا اعتكف في حصن حيفا في شمال سوريا حيث اهتم بالاشتغال بالأدبيات وعلى الأخص بتدوين تاريخ حياته الخاصة . وفي سنة ٥٧٠ هـ استدعاه صلاح الدين الى دمشق ولكنه لم يحظ بمعطفه طويلا وتوكل في دمشق عند ما نقل حاضرة ملكه الى القاهرة الى أن توفي هناك سنة ٥٨٤ هـ .

ظهر من بعد هؤلاء المؤرخين أبو الفتح البنداري الذي جعل كل همه إخراج صورة جديدة لتاريخ السلجوقيين الذي وضعه محمد الدين أول مؤرخي صلاح الدين مجتهدا في إصلاح أسلوبه السقيم . ثم جاء من بعده علي الحسيني فاقببس منه مخلصا وأضاف إليه تاريخ الأتابيك (الصدور العظام) حتى عام ٦٢٠ هـ . وحذا عدد كبير من المؤرخين حذو مؤرخي هذه الأسرة الذين تقدم ذكرهم . وأهم الكتب التي طهرت في العرب على هذا المثال ما وضعه عبد الواحد المرزا كشي المتوفى سنة ٦٢٠ هـ في تاريخ الموحدين . أول من كتب في تاريخ بغداد من مؤرخي هذا العصر هو العالم المحدث الكبير أحمد الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ وقد اعتنى في كتابه في تاريخ بغداد بالتقسيم الطبوغرافي مع مراعاة علم الحديث الذي كان يعتبر فيه حجة قوية .

واقفى أثره في تدوين تاريخ المدن علي بن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ فوضع سفرا عظيم الشأن في تاريخ دمشق يقع في مقدمة ٨٠ جزءا لم يبق الدهر منه إلا مقطوعات متناثرة ، وقد عني فيه بتراجم العلماء عناية فائقة ، ولم يقتصر على ذكر علماء دمشق فحسب بل إنه لم يغفل ذكر العلماء الذين نزلوا ضيوفا على المدينة في أي وقت من الأوقات . ووضع ابنه القاسم المتوفى سنة ٦٠٠ هـ تاريخا لفلسطين جعل جل عنايته فيه الأماكن المقدسة بها وأهميتها الدينية .

ووضع أحمد بن العديم (العقيلي الحلبي) تاريخا مسهبا لمدينة حلب في عشرة أجزاء ، وكان أم ما عني به تاريخ العلماء أيضا بعد ترتيبهم حسب الحروف الهجائية . وكان أحمد بن العديم قاضيا بمدينة حلب ، وعاش بها إلى أن سقطت في يد التتر في ٩ صفر سنة ٦٥٨ ففر هاربا إلى مصر إلى أن استدعاه «هولاكو» التتري وأسند إليه منصب كبير قضاة سوريا . واشتغل في سنيهِ الأخيرة بوضع كتابه في الصورة التي نعرفها الآن . وقد أتى في كتابه هذا على تاريخ مدينة حلب بترتيب زمني حتى عام ٦٤١ هـ ، لا أنه لم يسكد يتم تنسيقه حتى وافته المنية بمدينة القاهرة .

ووضع الشاعر ماهرة الحكمي (البحني) كتابا في تاريخ بلاد العرب الجنوبية ولد ممدرة في عام ٥١٥ هـ وتقابل وهو يؤدي فريضة الحج مع أمير مكة المكرمة فأعجب به كثيرا وأرسله سفيراً له في بلاط الفاطميين بالقاهرة، وبقى بها إلى أن دخلها صلاح الدين فانضوى تحت لوائه، إلا أنه اشترك أخيراً في مؤامرة دبرت لإعادة آخر سلالة الفاطميين إلى عرش أجداده بمساعدة الصليبيين، فأنكشف أمرهم وأعدم مع جميع المتآمرين في ٢ رمضان سنة ٥٦٩ هـ وكان قد وضع قبيل وفاته كتاباً آخر في تاريخ الوزراء المصريين. وأما تاريخ مصر فقد وضعه في أول هذا العصر محمد السبعي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ

في سفر عظيم لم يصلنا منه سوى جزء من أجزائه الأخيرة

واهتم كذلك ابراهيم بن واصف شاه (المصري) في أواخر القرن السابع من الهجرة بوضع تاريخ مختصر لمصر مهدله بمقدمة استعارها من الخيال عن حالة مصر قبل الاسلام. ووضع علي بن سعيد (المغربي) كتاباً في تاريخ مصر لم يصلنا منه إلا شذرات متفرقة. ولد صبي بن سعيد في غرناطة وطلب العلم في أشبيلية، ثم جاب بلاد الشرق بضع سنين دخل بعدها في خدمة سلطان تونس عام ٦٥٢ هـ ثم عاود سياحته إلى الشرق، ولما كان في مدينة الاسكندرية بلغته أعمال «هولاكو» القترى فزاره في «رمينيا». ويقول بعض المؤرخين إنه توفي في دمشق سنة ٦٧٣ هـ ويذهب بعض آخر إلى أنه توفي في تونس سنة ٦٨٥ هـ. ويشمل كتابه تاريخ جميع البلاد الاسلامية الغربية.

وأما في الأندلس فازدهرت العلوم التاريخية إلى أقصى حد وأمددت مؤلفات المؤرخين حتى كفلت لنا إلى يومنا هذا معلومات وافية من تاريخ ذلك العصر الذهبي. ولحسن الحظ بقيت أغلب هذه المؤلفات حتى الوقت الحاضر على صورتها الأصلية. وفي مقدمة مؤرخي هذا العصر ابن الفرضي المتوفى سنة ٤٠٣ هـ في قرطبة وابن بشكوال المتوفى بقرطبة عام ٥٧٨ هـ وابن الأبار وهو من أهل أشبيلية وتوفي سنة ٦٥٨ هـ وظهرت كذلك مؤلفات عديدة في شعراء الأندلس من وضع ابن خاقان

للمتوفى سنة ٥٣٥ هـ وابن بسام المتوفى سنة ٥٤٢ هـ وقد اهتم كل من ابن حبان المتوفى سنة ٤٦٩ هـ والبدیع المتوفى سنة ٥٧٠ هـ بتدوين التاريخ السياسي لتلك البلاد، ولكن مما يدعو للأسف الشديد لم يبق الدهر من مؤلفاتهما إلا التزوير اليسير ووضع المدعو ابن الأذاري في أواخر القرن السادس من الهجرة تاريخاً للأندلس جعل أهم موضوعاته ما جاء في تاريخ شمال أفريقية. ومن الوثائق التاريخية الهامة التي يرجع عهدها إلى هذا التاريخ أيضاً قصيدة ابن عبدون الشهيرة التي وضع لها ابن بدرون تفسيراً تاريخياً قيباً. إلى أن جاء عماد الدين بن الأثير المصري ونقل هذا التفسير التاريخي بحذافيره، وأضاف إليه بعض الحوادث التاريخية الهامة حتى عام ٦٩٧ هـ.

وأما في التاريخ العام فإن كتاب الطبري، وسبق لنا ذكره، بقي في هذا العصر أيضاً من أقوى المصادر وأهم المراجع، ولو أنه ظهر في هذا العصر أيضاً عدة مؤلفات أخرى قيمة في التاريخ العام، نخص بالذكر منها السفر الجليل الذي وضعه الكاتب اللبق الثعالبي، ولم يصلنا منه سوى الجزء الخاص في تاريخ الفرس.

ووضع مؤرخ آخر - غير معروف اسمه - وهو من أنصار الفاطميين في القيروان في القرن السادس كتاباً أسماه (كتاب العيون) امتاز بإعلاء شأن الأمويين وتمجيدهم. ووضع حكيم بغداد وفيلسوفها الكبير ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ كتاباً في تاريخ انبياسيين المتأخرين وأمراء الولايات المختلفة.

بقيت هذه الكتب أهم ما ظهر في هذا العصر في التاريخ العام إلى أن جاء عز الدين ابن الأثير وهو عالم كبير ينتهي إلى أسرة كريمة بالموصل، وتوفى به سنة ٦٣٠ هـ وكان كتاب الطبري وقتئذ لا يتفق مع روح العصر العلمية لتفككه وسرده الوقائع التاريخية بدون ارتباط أو تعليق، فحاوله عز الدين بن الأثير بالتهذيب حتى جعله وصفاً شيقاً متنوع الحوادث ملئاً بالبيان، وكان يستعين بمراجعة المصادر الأصلية، فيدرسها ويمحصها ثم يلخصها ويدمجها بعضها ببعض في أسلوب لغوي منسجم متنشياً مع نهضة الأدب

الجديدة . هذا الى أنه أضاف اليه مكملات عديدة مستعينا بمراجع أخرى مثل ما أورده في تاريخ ما قبل الاسلام من تقدير عن وقائع العرب القدماء وحروبهم ، وأخيرا استأنف إتمام هذا السفر الجليل حتى أتى على تدوين الحوادث التاريخية الى عام ٦٢٨ هـ . ومن أهم مؤلفات عز الدين بن الأثير كتابه (أسد الغابة في معرفة الصحابة) ترجم فيه لما يقرب من ٧٥٠٠ من صحابة (رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

واشترك في وضع التاريخ العام في هذا العصر نفر قليل من العلماء المسيحيين أيضا مثل المسكين بن العميد المصري ، وكان يتقلد مناصبا كبيرا في الدولة الأيوبية ، وتوفي بدمشق عام ٦٧٢ هـ وكتابه في التاريخ يشمل تاريخ العالم منذ بدء الخليقة الى ما قبل وفاته . كما وضع بطرس بن ارحيب (أبو شكر) كتابا مماثلا له في التاريخ العام أيضا .

وفي سوريا وضع رئيس أساقفة اليمقوبيين المتوفي سنة ٦٨٨ هـ كتابا قيا في التاريخ العام . ولم يقل اهتمام مؤرخي هذا العصر بتاريخ الأدب والعلوم عن اهتمامهم بالتاريخ السياسي أو التراجم المتنوعة ، فظهرت مؤلفات عديدة نخص منها بالتدكير تاريخ العلماء الذي وضعه على القفطي الذي شمل جميع كتاب العلوم الطبيعية والفلسفية قبل وبعد الاسلام . ولد على القفطي بمدينة قفط بصعيد مصر عام ٥٦٨ هـ وأقام بمدينة حلب حتى سنة ٥٩٨ هـ وتولى هناك بعض الأعمال الادارية حتى وافته المنية سنة ٦٤٦ هـ ولم يمنعه اشتغاله بالأعمال العامة عن الدرس والتحصيل في شتى العلوم والآداب ، ويعتبر كتابه هذا من أهم المراجع التي لدينا لمعرفة مقدار ما نقله العرب عن اللغات الأجنبية وجمع ابن خلكان في موسوعته تراجم جميع مشاهير الاسلام في الأدب والسياسة . ولد ابن خلكان في أربلا سنة ٦٠٨ هـ وطلب العلم في حلب ودمشق ، وأسند اليه بعد ذلك منصب القضاء في مدينة القاهرة حيث بدأ بوضع كتابه المشهور ، إلا أنه اضطر الى ترك هذا العمل حين استدعي الى دمشق ليتقلد منصب كبير قضاة سوريا سنة ٦٥٩ هـ . انتهى

في فلسفة الاخلاق

صاتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك في المجتمع الانساني العام

تواضع علماء الأخلاق الأقدمون على أن أصول الأخلاق كلها أربعة ، وهي :
الحكمة ، والعفة ، والشجاعة ، والعدل إذا أحكم تديرها وروعت شروطها فطر الانسان
في أدوار وجوده من الحيائين بالفوز الأكبر . وقد أطبق علماء الأخلاق وعلماء
النفس على أن كل أصل من تلك الأصول الأربعة تنضوي تحته جزئيات متولدة عنه
هي في واقع أمرها ملاك المجتمع وعماده ، وهي أمه وعتاده . فالحكمة مثلا ينضوي
تحتها الذكاء والتعقل ، وصفاء الذهن وسرعة الفهم وقوته ، والذكر وسهولة التعليم .
والحكمة هي العلم بالوجودات من حيث هي موجودة . وبالتالي العلم بالأمور اللاهوتية
ليكمل العلم بالحيائين : المعاش والمعاد . ومتى كان العلم برهانيا فلا سبيل الى الشك في أن
ما يصدر عنه برهاني كذلك . فالذكاء وهو إحدى المنضويات تحت ما صدق لحكمة
هو سرعة انقذاح النتائج وسهولتها على النفس ، بحيث تكون مقدمات تلك النتائج
متصلة بالقضايا الصحيحة حليلة كانت أو شرطية . والتعقل هو موافقة بحث النفس عن
الاشياء للوضوعة بقدر ما هي عليه . وصفاء الذهن هو استعداد النفس لاستخراج
المطلوب ليكون سبيل الاستنتاج مستبيناً . وجوده الذهن أو قوته وحدته هي تأمل
النفس لما قد ترم عن المقدم بحيث إن وظيفة النفس تكون قائمة على تعرف قوة ما بين
النال والمقدم من اللزوم . وسهولة التعم هي حدة في الفهم وصفاء في النفس بها تدرك
الأمور النظرية . ثم يأتي دور الكلام عن المنضويات من الفضائل تحت فضيلة العفة
التي هي أصلها ومصدر وجودها : فهي الحياء والدعة والعبر والسخاء والحرية والقناعة
والدماثة والانتظام وحسن الهدى والمسألة والوقار والورع . فالحياء هو انحصار النفس
أو وقوفها عند حد معين مخافة إتيان القبائح حذار الذم والوقوع في الناس على وجه

يطابق الواقع. ولذمة هي سكون النفس عند حركة الشهوة للذة، فإذا ما ثارت في النفس شهوة الانتقام أو التسلط أو الغلبة والظفر للجاء أو للمال أو للنفس ثورة تجاوز بصاحبها نقطة الهدف وحد الاعتدال، كان من الذمة الفل من غروب تلك النفوس الجائعة، وأن تقتل تلك الشهوة النائرة في أنواعها المترامية في أطرافها. فالذمة أخص من العدالة، وهي نوع من الورع الذي يحبوه الله كثيرا من خاصة خلقه، فهي لا تنفك عن الصبر على السكراة والمفزع، وهي نوع من أنواع الرضا بالقضاء والقدر. والسعاء هو التوسط في الإعطاء، وهو أن ينفق المال فيما ينبغي على مقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي. والحرية هي فضيلة للنفس بها يكتسب المال من وجهه ويعطى في وجهه، ونمنع من اكتسابه من غير وجهه. والقناعة هي التساهل في المال كل ولشارب والزينة. وسنأتي على باقي المنصوبات في فرصة أخرى.

وليست الأخلاق في حقيقة صورها لمختلفة شيئا آخر غير حجاج الخير وينبوع السمادات كلها. على أن كثير من علماء الأخلاق اختلفوا في تركيز الخلق أو تحوله ختلافا عظيما، فقال بعض الأقدمين منهم: إن خلق خاص بالنفس غير الناطقة على معنى أنه غير قابل للتحول والانتقال، والنفوس الناطقة من طبائعهم أن تتحول وتنتقل بالقياس في ما يعرض لها من تفاعل بما يقع تحت الحس والمشاهدات والسمادات. ويذهب فريق منهم إلى أن شيئا من الأخلاق ليس طبيعيا للإنسان ولا هو غير طبيعي له، ذلك أنما مطبوعون على قبول الخلق، فننتقل بالتأديب والمواظب البالغة إما سريريا أو بطيئا تبعا لقوة تفاعل النفوس أو ضعفها. وإن كان هذا الرأي الأخير هو المرغى لجهرة من الأخلاقيين، وجري عليه ابن حزم في مله ونحله، ونحانحوه الامام الغزالي، وتابمه كثير من السلف، واختاره (جالينوس) وحكاه ابن مسكويه عن إرسططاليس. وحجة أصحاب هذا الرأي ما يقع لهم من مشاهدات مختلفة، وما يتفاعل به المجتمع من المشاهدات، وما يحيط بها من تطورات مختلفة وشتى الملايسات. ولأن الرأي

الأول من جهة أخرى يؤدي إلى إبطال وظيفة التمييز في العقل ، ثم إلى رفض السياسات كلها وترك الناس همجا مهملين ، ثم بالتالي ترك الأحداث والصبيبة وإلى ما ينفق أن يكونوا عليه دون سياسة ولا تعليم ، وهذا فضلا عن أنه ظاهر الشناعة والسفك جد الظهور ، فهو من جهة أخرى يلقى بهذا الوجود وما فيه من مظاهر وما يحيط به من بواعث إلى قذورات الصدف وفروض الاتصاف ، ويحيل هذا المجتمع سوقا وضعية من السلع تكون فيه الغلبة للقوى ، وتنحصر فيه أنواع من السلطان الظالمة مأخوذة بدوع من الشهوات في سائر مناحي الإنسان ، وهذا هو المعول الهادم لبناء هذا المجتمع . أما الواقيون فيما ذهبوا إليه من شذوذ منقطع النظر ، وأما جماعة من المشائين وبعض آراء منسوبة إلى صوابا وإن خطأ إلى (جالينوس) وأما ما ذهب إليه فريق من العندبة وبعض فلاسفة الهند مما يتنافر مع النظريات السليمة التي تقوم عليها عمارة هذا الكون ، فوعدنا بتبيان ذلك كله والكشف عنه الأعداد التالية إن شاء الله .

عباس ط

مجلة الأزهر

رأى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكرم أن يغير اسم هذه المجلة ، فجعله (مجلة الأزهر) بدل (نور الاسلام) ، وهو عمل حكيم ، فإن في هذه التسمية الجديدة دلالة ذاتية على مصدر المجلة ، وبما لو جهتها وغايتها ، خلافا للاسم القديم فإنه لا يفرق بينها وبين ما يصدره الأفراد من المجلات ، فنحتاج معها إلى التعريف والتمييز .

وقد ظهرت هذه المجلة من أول هذا العدد بهذا الاسم الجامع ، فربحوا الله أن يجعله فاتحة عهد جديد لها تنال فيه غاية ما قدر لها من ذبوع وانتشار ، وتؤدي للعالم الاسلامي كله ما ينطلع إليه من غذاء عقل وروح ، وما يرى إليه من ثقافة عامة وارتقاء فكري .

محمد فريد وجدي

day " O ye people " said he, " ye will estrange men from the congregational prayer, let the leader in prayer lighten it, for among the congregation are some who are sick, or weak, or have other duties "

Translated by I. H. EI-MOUGY

فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمَئِذٍ ،
قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ! فَنَكُمُ الْمُتَفَرُّونَ
فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ
فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَدَا
الْحَاجَةَ ،

divorced his wives " "No," replied he. I then exclaimed : " Allāh is greatest ! " (1)

صلى الله عليه وسلم فقلتُ وَأَنَا قَائِمٌ :
أَطَلَّتْ نِسَاءَكَ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَت :
اللهُ أَكْبَرُ !

CHAPTER 70

On the anger shown by one exhorting or teaching, on perceiving something of which he disapproves.

I We are informed by Muhammad b. Baḥr, who had it from Sufiān through Ibn Abū Khāṭid, through Qais b. Abū Hāzim, through Abū Mas'ūd Aḥ-Ṣāri, who stated that :

A man (2) said : " O Apostle of Allāh, I almost had to give up (3) the congregational prayer owing to the way in which a certain man (4) protracted it. " I never saw the Prophet (Allāh bless him and give him peace) become more angry in an exhortation than he did on that

بَابُ الْغَضَبِ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالْتَعْلِيمِ

إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ :

حدثنا محمد بن كثير قال أخبرنا
سفيان عن ابن أبي خالدة عن قيس بن
أبي حازم عن أبي مسعود الأنصاري
قل :

قال رجلٌ : " يا رسول الله لا أكاد
أذكرُكَ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوَّلُ بِنَا فَلَانٌ " .
فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(1) الله أكبر often used as an expression of surprise like " Good Gracious ! ". Ḥmar here expresses his astonishment at Aḥ-Ṣāri having spread such a false rumour.

(2) Probably Ḥazm b. Abū Kaṣb (Ibn Ḥajar)

(3) Or : " I could not wait to the end " (owing to physical weakness). See Al-Ain , 'Undit-ul-Qari, Muniriāh Press, Cairo, vol. II, P. 106.

(4) I e. , Mu'adh b. Jabal. The expression بِنَا is here used instead of the name in order that the complaint may be an impersonal one. Ibid. P. 107

"I and a neighbour of mine who was one of the Ansār were at the village of Bani-Umayyah b. Zaid, which is a part of the district of 'Awāli near Madinah. (1) We each took turns in going down to the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) he going down on one day and I on another. Whenever I went down I used to bring back to him the news of that day including Qur'anic revelations and other things. When he went down he did likewise. My friend the Ansari went down one day when it was his turn, and on returning he knocked at my door violently and asked if I was there. I was terrified and came out to him. He said, "Something serious hath happened". (2)

'Umar (3) said, "I then went to see Hafsa and found her weeping. I asked her if the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) had divorced them "Not that I know of" replied she. At this I went to see the Prophet (Allāh bless him and give him peace), and without sitting down I asked him if he had

كُنْتُ أَنَا وَجَارِي مِنْ الْأَنْصَارِ
فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ
وَكُنَّا نَتَنَاقَشُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ يَوْمًا
وَأَنَا نَزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ
يُخْبِرُنِي ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ أَوْخَى وَغَيْرِهِ،
وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَنَزَلَ
صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبِهِ
فَصَرَبَ بَابِي صَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ: أُنْتُمْ
هُوَ أَفَزَعْتُمْ فَخَرَجْتُ إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ:
وَمَا حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ! قَالَ
فَدَخَلْتُ عَلَى خَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ
تَبْكِي فَقُلْتُ: طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: لَا
أَدْرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ

(1) حَوْل = Highlands i.e. the tableland overlooking Madinah from the East, From 3 to 8 miles distant from it.

(2) A rumour had gone abroad that the Prophet had divorced his wives, although as a matter of fact he had only left them temporarily.

(3) Hafsa's father

Uqbah and the woman he had married also. Uqbah said to her: "I am not aware that thou suckledst me, nor didst thou ever tell me". He then rode to the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) at Madīnah and put the question to him. The Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said: "How couldst thou consummate thy marriage with her after it had been said that thou wert her foster-brother?" Thereupon Uqbah put away his wife who married another husband. (1)

أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ بِهَا،
فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: « مَا أَعْلَمُ أَنَّكَ
أَرْضَعْتَنِي وَلَا أَخْبَرْتَنِي » فَوَكَّبَ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « كَيْفَ وَقَدْ
قِيلَ؟ » فَقَارَقَهَا عُقْبَةُ وَتَكَفَّتْ
زَوْجًا غَيْرَهُ .

CHAPTER 69.

On taking turns in the quest of Knowledge

we are informed by Abu-l-Yamān who had it from Shuraih, through Az-Zukrī; also Abu-ʿAbdullāh stated that he had it from Ibn Wahb who received it from Yūnus, through Ibn Shihāb, through Ubaidullāh b. ʿAbdullāh b. Abu Thawr, through ʿAbdullāh b. ʿAbbās, through ʿUmar, who said:

بَابُ التَّنَاقُوبِ فِي الْعِلْمِ:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ
عَنِ الزُّهْرِيِّ (ح) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ
ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ
عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَوْرٍ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ قَالَ :

(1) Two legal points arise from this hadith. First, that a woman may be admitted as single witness in cases where a man's evidence is not available or competent. Second, that association with the same foster-mother constitutes a prohibited degree of consanguinity in marriage.

prescribed alms, to keep the Ramadân fast, and to give the fifth part of the booty " He then forbade them the use of gourds, jars, and vessels smeared with pitch. (1)

Shur-bah adds. " Perhaps he mentioned vats made from palmtrunks, and may have said " tarred " (instead of " smeared with pitch ").

Then the Prophet said (Commit this to memory, and transmit it to those you have left behind you. ")

CHAPTER 68

On a journey undertaken to obtain a decision on a special case and to instruct one's people.

We are informed by Muhammad b. Muqâtil Abu-l-Hasan, who had it from Abdullâh, who was told it by 'Umar b. Saïd b. Abu Husain, who received it from Abdullâh b. Abu Mulaikah, through 'Uqbah b. Al-Harith that .

He had married a daughter of Abu Ihâb b. 'Aziz. A woman came to him and said that she had suckled

الله ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ،
وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَتُعْطُوا الْخُمُسَ
مِنَ الْمَغْنَمِ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الدِّبَاغِ
وَالْحَنْثَمِ وَالْمُرْقَتِ ، قَالَ شُعْبَةُ .
رُبَّمَا قَالَ النِّقِيرِ وَرُبَّمَا قَالَ الْغَقِيرِ .
قَالَ أَحْمَدُ طَوَّعٌ وَأَخْبَرُونِي مَنْ رَأَاهُمْ .

بَابُ الرَّحَلَةِ فِي الْمَسَافَةِ النَّازِلَةِ وَأَمَلِيهِ أَهْلِهِ .

حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن
قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا عمر
ابن سعيد بن أبي حسين قال حدثني عبد
الله بن أبي مليكة عن عقبة بن الحارث .
أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِحْصَابِ بْنِ
عَزْبَةَ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ

(1) Owing to the danger of intoxication arising from the rapid fermentation of juices contained in these vessels.

the Abdu-l-Qais visited the Prophet (Allāh bless him and give him peace) who said "What is this deputation? (or what is this tribe?) They replied; "we are of the tribe of Rabi'ah. (1) " "Welcome to you, tribe! (or deputation!) who come without humiliation or regret. (2) " "We come to thee," replied they, from a distant region; and between us and thee there is that unbelieving tribe of Mudar, and so we can come to thee only during a sacred month. Therefore give us a commandment which we may transmit to those we have left behind us, and through which we may enter Paradise." He then commanded them to do four things and forbade them four things. He commanded them to believe in Allāh as being one (be He magnified and glorified), adding "Do ye know what belief in Allāh as being one is?" "Allāh and His Apostle Know best," replied they. "It is," said he, "to testify that there is no deity but Allāh and that Muhammed is the Apostle of Allāh, to perform the appointed prayers, pay the

الْقَيْسِ أَتُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ: مَنْ الْوَقْدُ؟ (أَوْ مِنَ الْقَوْمِ؟)
فَالَوْ: رَيْبَعَةٌ. فَقَالَ: مَرْحَبًا
بِالْقَوْمِ (أَوْ بِالْوَقْدِ) عَيْرَحَزَ يَا وَلَا
بَدَامِي، فَالَوْ: إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ
بَعِيدَةٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْخَلْقُ
مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ
نَأْتِيكَ إِلَّا فِي شَهْرِ حَرَامٍ، فَمَرَّنَا
بِأَمْرِ مُعْتَبَرٍ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ
الْجَنَّةَ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ
مَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَحَدَّهُ - قَالَ: هَلْ تَذَرُونَ
مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحَدَّهُ؟ فَالَوْ: اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

(1.) The Abdu-l-Qais are a branch of the clan Rabi'ah

(2) I. e. without being constrained by the humiliation of defeat or by regret for the loss of opportunities to embrace Islām. The fact that they addressed the Prophet as رَسُولُ اللَّهِ and referred to the Mudar tes as كُفَّارٍ shows that they had already accepted Islām.

it three times. Then it shall be said unto him : " Sleep in peace, for we now know that thou art indeed a true believer in him " As for the hypocrite - or the doubter (I do not know which of these words Asmâ used), he shall say : (I do not know *what to say* ; " I have heard people say something and I have repeated it. "

CHAPTER 67.

On how the Prophet (Allâh bless him and give him peace) urged the deputation of *the tribe of Abdul-Qais* to preserve the Faith and the Knowledge, and to transmit them to those whom they had left behind ;

And on Mâlik b. Al-Huwari having stated that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said to them : " Go back to your people and instruct them. "

We are informed by Muhammad b. Bash-shâr, who had it from Ghundar, to whom it was narrated by Shu-bah, through Abu Jamrah, who said :

I was *once* acting as interpreter between Ibn 'Abbas and the people, when he said that the deputation of

بِالْبَيْتِ مَاتَ وَالْهَدَى فَأَجَبْنَا وَابْتِمْنَا ،
هُوَ مُحَمَّدٌ - ثَلَاثًا ، فَيَقَالُ : نَمَّ صَالِحًا
قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ مُؤَقِّنًا بِهِ ،
وَأَمَّا الْمُسَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ
(لَا أَدْرِي أَيْ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ)
فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ
يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ .

بَابُ تَعْرِيفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَقَدْ عَيَّنَ الْقَيْسُ عَلَى أَنْ يَحْمِلُوا
الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُنْخِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ ،
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ارْجِعُوا إِلَى
هَلِكِكُمْ فَعَلِمُواهُمْ » :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا
غُنْدَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ :
كُنْتُ أَوْ تَوَجَّهْتُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ
وَبَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ إِنْ وَفَدَ عَبْدُ

it a sign of Allah's wrath ? said I. She nodded her head as an answer in the affirmative I then stood up in prayer behind the faithful until I felt faint, so I began to pour water on my head

After the prayer the Prophet (Allah bless him and give him peace) praised, and extolled Allah (be He magnified & glorified) then said : ' There is nothing of what I have not been shown, but I have seen here and now, even Paradise and hell-fire It hath been revealed to me that ye shall be tried in your graves in the same way or nearly (I do not know which expression Asmâ used) as ye shall be tried in the days of the Antichrist. It shall be said unto each one of you : ' What dost thou know of this man ? ' As for the true believer--or the faithful (I do not know which word Asmâ used), he shall say : ' It is Muhammad the Apostle of Allah, who came unto us with proofs of his mission and with the true Guidance We accepted his message, and followed him. It is Muhammad the true believer shall say

السَّمَاءَ فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ فَقَالَتْ :
سُبْحَانَ اللَّهِ ، قُلْتُ : آيَةٌ ، فَأَشَارَتْ
بِرَأْسِهَا أَيْ نَعَمْ ، فَقُبْتُ حَتَّى تَجَلَّأَنِي
لِلنَّفْسِ فَجَعَلْتُ أَصْبُ عَلَى رَأْسِي
الْمَاءَ ، فَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَى عَلَيْهِ نَمَّ قَالَ :
دَمًا مِنْ نَفْسِهِ لَمْ أَكُنْ أَرِيئُهُ إِلَّا
رَأْيَهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ،
فَأَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ مُتَقَنُّونَ فِي
مَقُورِكُمْ مِثْلَ وَفَرِيًّا (لَا أَدْرِي
أَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ) مِنْ فِتْنَةِ
الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ، يُقَالُ مَا عَلِمْتُكَ
بِهَذَا الرَّجُلِ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ
الْمُؤْمِنَةُ (لَا أَدْرِي بِأَيِّمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ)
فَيَقُولُ : هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا

[1] Fátimah who had it from Asmâ.

[2] By the Angels of death Munkar and Nakir

[3] The Prophet ; the Angels do not refer to him as such because they do not wish to prompt the dead man

shaved my head before I slaughtered the victim." The Prophet signed with his hand indicating that there was no sin.

2 We are informed by Al-Makki b. Ibrahim, who received it from Hamzah b. Abu Sufian, through Salim who heard it from Abu Hurairah, who had it from the Prophet (Allah bless him and give him peace), who said:

"Knowledge shall pass away,⁽¹⁾ and ignorance and tumult shall prevail, and *hari* ⁽²⁾ shall increase." The Apostle of Allah was asked what *hari* was, and replied by making a sign with his hand which he moved diagonally as if he meant killing.

3. We are informed by Mua b Isma'il who had it from Wuhaib, who was told it by Hisham, through Fatimah, through Asma, who said:

"I once went to 'A'ishah and found her praying. I said: 'What is the matter with the people?' ⁽³⁾ She pointed to the sky and muttered: 'Glory be to Allah', ⁽⁴⁾ and 'lo! the faithful were standing in prayer.' Is

قِيلَ أَنْ أَدْنَحَ ، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ : وَلَا حَرَجَ .

حدثنا السكي بن ابراهيم قال أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان عن سالم قال سمعت أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«يُقْبَضُ الْعِلْمُ ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَتَفْتَنُ ، وَيَكْثُرُ الْهَرَجُ» قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمَا الْهَرَجُ ؟ فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَقَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ

حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا وهيب قال حدثنا هشام عن فاطمة عن أسماء قالت :

«كُنْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ : مَا شَأْنُ النَّاسِ ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى

(1) Owing to the death of the learned (Ibn Hajar)

(2) Probably of Hebrew origin, through Ibn Hajar suggests Ethiopian, —meaning battle, tumult or slaughter

(3) The people were in a state of panic owing to an eclipse of the sun, and were performing the prayers customary on such occasions.

(4) *Subhan Allah* formula of apology used in an interrupted prayer, being "muttered" so as not to disturb it

Prophet, 'there is no sin'. Then there came up to him another who said: "I unwittingly slaughtered the victim before I threw the stones." "Throw them" said the Prophet, "there is no sin." So the Prophet (Allāh bless him and give him peace) was never questioned as to whether anything should be done sooner or later but he answered, "Do so, there is no sin."

CHAPTER 66.

On one who giveth a fatwā by a sign of the hand or the head (1).

1. We are informed by Mūsā b. Isma'īl, who had it from Wuhaib, who was told it by Ayyūb, through Ikrimah, through Ibn Abbas that :

the Prophet (Allāh bless him and give him peace) was questioned on the occasion of his farewell pilgrimage by a man who said : "I slaughtered the victim before I threw the stones." The Prophet gave a sign with his hand saying : "It is no sin." Another man said : "I

« اذْبَحْ وَلَا حَرَجَ » فَبَاءَ آخَرُ فَقَالَ :
لَمْ أَشْعُرْ فَتَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أُرْمِيَ ،
قَالَ : « اُرْمِ وَلَا حَرَجَ » فَمَا سَأَلَ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ وَلَا
آخَرِهِ إِلَّا قَالَ : « افْعَلْ وَلَا حَرَجَ »

بَابُ مَنْ أَجَابَ الْفَتْيَا بِإِشَارَةٍ
الْيَدِ وَالرَّأْسِ :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ
حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ
عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ :
ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أُرْمِيَ ، فَأَمَّا يَدُهُ
قَالَ وَلَا حَرَجَ ، قَالَ : حَلَقْتُ

(1) A. Bukhārī's practice is to proceed from the general to the particular; the title being a generalisation of which the particular case given in the hadith is an illustration. This explains why some headings are found without any following hadith.

" While I was sleeping, a bowl of milk was brought me *in my dream* I drank until I did see the liquid flow from my finger-nails,⁽¹⁾ and then I gave the residue to 'Umar b. Al-Khattāb. When they asked the Apostle of Allāh what interpretation he gave to it, he said: ' it is Knowledge. ' »

« بَيْنَمَا أَنَا نَذِيمٌ أُتَيْتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ
فَشَرِبْتُ حَتَّى أَتَى لَأَدَى الرَّمَى يَرْجِعُ
فِي أَظْفَارِي ، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالُوا : فَمَا أَوَّلُهُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « الْعِلْمُ »

CHAPTER 65

On a fatwā ⁽²⁾ given by one standing *on the back* of a mount or elsewhere

We are informed by Isma'īl, who had it from Mal'ik, through Ibn Shihab, through 'Isa b. Tolhah b. 'Ubaidullah, through 'Abdullah b. 'Amr b. Al-'As that the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) stood, on the occasion of the farewell pilgrimage at Mina, for the people to ask him questions. A man came up to him and said

" Unwittingly I shaved my head before I slaughtered *the victim* for sacrifice. " Slaughter it " said the

بَابُ الْفَتْوَا وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى الدَّابَّةِ
وغيرها :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ
عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ
بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ
الْعَاصِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَقَفَ فِي حَبَّةِ الْوَدَاعِ رَجُلٌ
لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ ، فَبَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : لَمْ
أَشْرُقْ فَخَلَعْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ ، فَقَالَ :

(2) Or preferably as a metaphor—I drank until I did feel satisfaction ooze from my finger-tips

(2) A decision given as a matter of religious law or ritual

Anas, who said: I will convey to you a hadith which no one will convey to you after me. (3) I heard the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) say:

" Among the signs of the Hour is that Knowledge shall decrease and ignorance be diffused, that adultery shall be widespread, that women shall increase and men decrease until there shall be for fifty women one supporter "

لَا حَرْثَ لَكُمْ حَدِيثًا لَا يَحْدِثُكُمْ
أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « مِنْ أَشْرَاطِ
السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ،
وَيَظْهَرَ الزَّوْنُ، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ
الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِحَمْسِينَ امْرَأَةً
الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ »

CHAPTER 64.

بَابُ فَضْلِ الْعِلْمِ :

On the excellency (2) of Knowledge
We are informed by Sa'id b. 'Ufair, who had it from At-Laith who was told it by 'Uqail, through Ibn Shihāb, though Hamzah b. 'Abdullāh b. 'Umar that the last-named said that he heard the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) say :

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي
الْأَيْبُ قَالَ حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ
عَنْ هَمَزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ ابْنَ
عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ:

(1) I.e. I am the last of the Companions to have heard this utterance directly from the Prophet

(2) The rendering of " residue " or " excess " given by some commentators is suggested by the expression used in this hadith *عطيته لغيري* - I gave my residue to 'Umar. They base their contention on the fact that the title of the first Chapter of this book is the same (فضل العلم), and that, therefore, there would be no point in repeating the idea in a subsequent hadith. Al-Aini, however, considers that in the first chapter reference is to the merit of " possessors of Knowledge " but in this Chapter of " Knowledge " itself, especially as the Prophet himself interpreted *عِلْمٌ* as " Knowledge " indicating the " excellency " of Knowledge.

up the water at midday—instead of
 يمتصها — absorbs the water

Al-Bukhārī defines *ع* as land
 which water covers without remaining
 on it : and *المستوى* as flat land. (1)

مِنْهَا طَائِفَةٌ قِيلَتْ الْمَاءُ ،

قَالَ يَمْلُؤُهُ الْمَاءُ ، وَالْمُتَصِفُ

الْمُسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ

CHAPTER 63.

On the passing of Knowledge
 and the diffusion of ignorance ,

And the words of Rabī'ah : " It
 is not right for one who possesseth
 any Knowledge to waste his life . " (2)

1. We are informed by 'Imrān
 b. Ma'sarah, who had it from 'Abdul-
 Wārith, through Abu-t-Tayyāh,
 through Anas, who stated that the
 Apostle of Allāh (Allāh bless him
 and give him peace) said :

"Among the signs of the Hour
 is that Knowledge shall pass away,
 and ignorance shall be established,
 that wine shall be drunk *openly*, and
 adultery shall be widespread. "

2 We are informed by Musaddad
 who had it from Yahyā, through
 Shu'bah, through Qatādah, through

بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ ،

وَقَالَ رَابِعَةُ : لَا يَتَّبِعُنِي لِأَحَدٍ عِنْدَهُ
 شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَضَيِّعَ نَفْسَهُ :

حَدَّثَنَا صِرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ قَالَ حَدَّثَنَا

عَبْدُ الْوَرِثِ عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ عَنْ أَنَسٍ

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

«إِنَّ مِنْ أَسْرَاطِ السَّاءَةِ أَنْ يُرْفَعَ

الْعِلْمُ ، وَيَنْتَبِثَ الْجَهْلُ ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ ،

وَيَظْهَرَ الزِّنَاءُ .

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ

شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ :

(1) Al-Bukhārī is in the habit of explaining corresponding expressions in the Qur'ān,
 namely *مِنْهَا طَائِفَةٌ*

(2) by failing to impart his knowledge

(3) Or " diffused " according to Muslim

give him peace) who said :

" The parable of the Guidance and the Knowledge that Allāh hath sent me to *preach* is that of the abundant rain which falleth on the land. Some of this land is fertile, and absorbeth the water so that it bringeth forth grass and herbs abundantly. Some of it is hard (1) ground, and retaineth the water, so that Allāh turneth it to the use of men to drink, to water the cattle, and to grow crops. And some of it falleth on another kind which is only flat tabieland that doth not catch the water nor bring forth plants. "

That is the parable of him who is enlightened in the Faith of Allāh, and of him who profiteth by that which I have been sent by Allāh to *preach* so that he acquireth Knowledge and imparteth it; and of him who is too proud to raise his head (2) to receive it; and of him who doth not accept the Guidance of Allāh which I was sent to *bring*. (3) According to Abu 'Abdallāh (Al Bukhari), Is-haq gives the variant *وكان منها لا تسكب عليه* one kind of it sucks

مُرَدَّةً عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : -

« مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى
وَالنِّمْرِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ
أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِيَّتُ الْمَاءِ
فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْمُشْبَ الْكَثِيرَ ،
وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ
فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا
وَزَادَهُمْ ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ
آخَرَى لَمْ تَأْخُذْ بِقِيَمَانٍ لَا تُسَكِّبُ
مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا ،

فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ وَفَّقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ
وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَسَلِمَ وَعَلِمَ ،
وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا
وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ »
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَسْحَقُ : وَكَانَ

(1) i.e. non-porous

(2) Or -turned away from it. The reference here is to Muslims who do not trouble to receive the teachings of Islām or to impart them

(3) These are the people who are called to Islām but reject it (Al-Qastallānī)

No—replied Moses. But Allāh (be He magnified and glorified) revealed to Moses the word — Yea, it is Our servant Khadir—Then Moses asked the way to meet him, and Allāh set the fish as a sign unto Moses, and it was said to him.—When thou locest the fish, return, for then thou shalt meet him

So Moses (Allāh bless him) followed the track of the fish in the sea, and then his attendant said to him:— Behold! when we took shelter by the rock, I forgot about the fish, and it was only Satan that made me forget to mention it *to thee*. That is what we were looking for. — said Moses. '

Thereupon they went back retracing their footsteps; they found Khadir, and there happened to them what Allāh hath related in his Book "

CHAPTER 62.

On the merit of him who hath acquired Knowledge and imparteth it

We are informed by Muhammad b. Al-A'ala* who had it from Hammād b. Usāmah, through Buraid b. 'Abdullāh through Abu Mūsa, from the Prophet (Allāh bless him and

إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَتَيْتُكُمْ
أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ قَالَ مُوسَى: لَا،
فَأَرْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى: إِلَى
عَبْدُنَا خَضِيرٍ، فَسَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى
لُفْيِهِ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْخُفَّ آيَةً وَقِيلَ
لَهُ إِذَا قَدَدْتَ الْخُفَّ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ
سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ مُوسَى سَبِي اللَّهِ عَلَيْهِ
يَنْتَمِعُ أَثَرُ الْخُفِّ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ
فَتَى مُوسَى لُوسَى: «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْفَيْنَا
إِلَى الصَّعْرَةِ فَأَتَيْتُ نَيْتُ الْخُفِّ
وَمَا نَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ.»
قَالَ مُوسَى: «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْتَغِي»
فَارْتَدَّا عَلَى أَثَارِهِمَا قَمَصًا، فَوَجَدَا
خَضِيرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَعَنَّ
اللَّهُ فِي كِتَابِهِ.»

بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ:

حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا حماد
ابن أسامة عن يزيدي بن عبد الله عن أبي

CHAPTER 59

On setting out in search of Knowledge ; and how Jābir b. ʿAbdullāh made a month's journey to ʿAbdullāh b. Unais for the sake of a single hadīth.

We are informed by Abu-l-Qasim Khālid b. Khalīyy, who had it from Muhammad b. Harb, who stated that Al-Awzāʿī received it from Az-Zuhri, through ʿUbaydulāh b. ʿAbdullāh b. ʿUtbah b. Masʿūd, through Ibn ʿAbbās that :

he and Al-Hurr b. Qais b. Hishn Al-Fazārī were debating about the companion of Moses, when Ubayy b. Kaʿb passed by them, and Ibn ʿAbbās called him and said—"I and my friend here have been arguing about the companion of Moses, regarding the way to meet whom the latter inquired. Hast thou heard the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) mention his story ? " Yes " replied Ubayy, I have heard the Prophet (Allāh bless him and give him peace) say: 'While Moses was in a company of Israelite notables, there came a man who said to him Dost thou know anyone more learned than thyself ? -

بَابُ الْخُرُوجِ فِي مَلَسَبِ الْعِلْمِ،

وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَسِيرَةَ

شَهْرًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ فِي حَدِيثٍ

وَاحِدٍ :

حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ خَلِيدُ بْنُ خَلْفَةَ

قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ قَالَ

الْأَوْزَاعِيُّ أَخْبَرَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ

اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ

ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْخُرَّاءُ بْنُ

قَيْسٍ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ

مُوسَى فَمَرَّ بِهِمَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ فَدَعَاهُمَا

ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا

وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى

الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لَقِيَّتِهِ ، هَلْ

تَمَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَذْكُرُ شَأْنَهُ ؟ فَقَالَ أَبِي : نَعَمْ تَمَعْتُمْ

النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ

يَقُولُ : « يَذْكُرُ مُوسَى فِي مَلَأَ مِنْ أَنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مهمة الدين الاسلامي في العالم

٢٣

دعوته الى العمل على إقامة العمران في الارض

يسوغ الباحث في الاسلام أن يلقيه بدين العمران ، فانه ماحل بأمة لإدفعها الى إقامة صرح العمران دفعا ، بتهيئة أسبابها لها من العلم والعمل والتفكير ، وتبديد سبيلها اليه من الخث على إحياء الموات ، وإقامة المنفض ، وإلإشادة بذكر الحياة الطيبة ، والجنات للمعجبة ، والنياه الجارية ، والبركات المتواترة ، جزاء للقائمين على سنته في الحياة الدنيا ، بمعجله لهم فيها ، ويعدم إذا انتلبوا الى ربهم بحياة أرفع منها ، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . كل هذا وهو جار على طريقته من الجمع بين البسطين : بسطة الروح وبسطة الجسم ، والتوفيق بين السعادتين : سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

ما كاد النبي صلى الله عليه وسلم ينتقل الى الرفيق الأعلى حتى انتدب المسلمون لتحقيق موعود الله من إعلاء كلمة الله في الأرض ، فانساحوا فيها لا مادين على أهلها ولكن داعين لهم الى الحق ، ولا هادمين لما شيدوه ولكن مكمليه وموجهيه الى وجهة الخير المحض ، تالين على العالم قوله تعالى : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما » من عمل صالحا من ذكر و أنسى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

فما كانت إلا كومضة برق، كما قال مؤرخو الغرب أنفسهم، حتى انتهى المسلمون الى الصين، وما لبثوا بعدها غير قليل حتى عمت دعوتهم القارات الخمس، وانفتحت أمامها أبواب العالم التي كانت مؤسدة، فسرت في أمم كافة روح لم تكن فيهم من قبل، وكأنها كانت مندفة في تيهور فوقفت حيث تتسمع لتلك الصيحة التي رددت أصداها بقاع الأرض.

وما هي إلا سنون معدودة حتى نبض عرق الحياة في الشام ومصر وكانت جثتين هامدتين تحت براثن الرومان، ثم تلتها العراق وفارس وكانت تحت سلطان أهلها هيكليين عظميين لم يبق فيهما غير ذماء يوشك أن ينضب فتصبعا هشيما تذرؤه الرياح، ثم ما لبثت الممالك القائمة بين فارس والصين والهند وسيبيريا أن أفاقت من غيبوبتها الطويلة، وأدركت أن لها وجودا وأنها يجب أن تحيا حياة جديدة.

ثم ما كاد يفتح طارق بن زياد الأندلس وينشر فيها روح الحياة حتى تنبعت الممالك الأوربية لما هي فيه من اختلافات المذهبية، والحروب الجاهلية، والجهالة المستحكمة، فأخذت تنقسم نسمات ذلك العالم الجديد، وتعشو الى ضوئه وتستفيد من جواره.

كل هذه الأمم التي كانت كالجثث المصبرة، أو الأجساد المسخرة، هبت تنفس الحياة والعمران، متأسية بما كانت تراه وتسمع به من أثر الاسلام في أهلها، من تمصير الأمصار، وإشادة البلدان، وتمييد الطرق، وإحياء الموات، وتسهيل الاتصالات، وإقامة الملباتى، وتنشيط التجارات، وبعث الصناعات، واستخراج المعادن، وبناء المستشفيات ودور العلم وبيوت الحكمة، وتأسيس المكتبات وترجمة المؤلفات.

هذه الحركة الحية التي كان مشارها بلاد المسلمين وصلت الى ما يجاورها من البلدان ومنهم الى من يليهم، حتى عمت المعمور، وتولد منها ما فيه العالم اليوم من علم ومدنية ولولا أنه قد سبق لنا الاستشهاد بقوال المؤرخين في هذه المواطن لا تينا على الشيء.

الكثير منها ، فلندعها طلبا للإيجاز راجين القراء أن يراجعوا ما كتبناه هنا تحت هذا العنوان .

فهل كانت هذه الحركة من النهوض العالمي العام بباعث من الاسلام ؟ إذا كان الأمر كذلك فما هي الآيات الدالة عليها من الكتاب ، والدلالات الفاطمة عليها من الآثار ؟

قال الله تعالى : « وإلى ثمود أخام صالحا (أى وأرسلنا إلى ثمود أخام صالحا) قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب . » في هذه الآية الكريمة حث على العمران وامتنان من الله على عباده بربانيتهم القدرة عليه . قال العلامة البيضاوي في تفسيره عند قوله تعالى . « واستعمركم فيها » : أى أقدركم على عمارتها وأمركم بها .

وقد أكرم الله تعالى في آيات كثيرة من الكتاب شأن العمران ووصى المسلمين بأن يحافظوا عليه ، ويؤمنوا به فقال جل وعز : « ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب للمعتدين . ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين » ووصف الله الفاسقين فقال : « الذين ينفضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض ، أولئك هم الخاسرون . » وعرف أعداء الخصوم الحق في آية كريمة ، فذكر أن من أخلاقه : « وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد . » ولو أردنا أن نستقصى ما ورد في الكتاب الكريم من الآيات السامية عن الفساد في الأرض لاستوعبت صفحات كثيرة ، فلنكتف بما ذكرنا فان فيه لبلافا للعتوسمين .

فم إن الفساد ليس خاصا بالعمران ، فانه يشمل كل ضروب الأعمال التي توجب التمدد في بناء الاجتماع ، والاضطراب في نظام المعاملات ، والإخلال بالأمن ، والمدوان

على الضعفاء الخ، ولكن مما يندرج في مناه هدم المباني وتحطيم المعالم، وتخريب المدن، وإهلاك الحرث والنسل.

ومما يدل على أن الله تعالى يعتد بكل ذلك، امتنانه على بني سبأ من اليمن بما وفقهم اليه من تشييد القرى والإكثار منها، والإشارة إلى ما أسدى بمض القرى من بركاته فقال تعالى: « وجعلنا بينهم وبين القرى التي يادكون فيها (قرى الشام) قرى ظاهرة، وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليلى وأياما آمنين » فهذا نص صريح في الإشادة بذكر العمران والتنبية على أنه من فضل الله على عباده الصالحين. ومما يناسب هذا المقام قوله تعالى: « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية، جنتان من يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل مخيط وأثل وثى من يسدر قليل. ذلك جزيناكم بما كنتم تروا وهل نجزي إلا الكفور، وفي هذه الآية إشارة من الحق سبحانه بأن الخصب والبركة وخفض العيش آية من آياته نستدعى الشكر لواهبا، وفيها تنويه بالبلدة الطيبة إيدانا بأنها من النعم التي تجب المحافظة عليها والاعتداد بها. ثم انظر كيف أن الله جعل جزاء أهلها حين أعرضوا عن محابه وأقبلوا على مكارهه أن أبدلهم بالخصب والنماء والبلدة الطيبة الحافلة بوسائل العمران، أطلالا دارسة، وبيئة لا تهمهم غير النباتات الجشبة. فكما جعل الخصب والعمران من النعم التي يجب استدامتها، جعل الفحولة والخراب من الفقم التي يجب تجتنبها.

ولفت الحق سبحانه وتعالى الناس إلى أنه لا يهلك القرى لأنه يكره لشيمته التوسع في العمران، ولكنه يهلكها لحيد أهلها عن الصراط السوي وإسرافهم على أنفسهم، واستخدام وسائل التمتع المشروعة التي فتحتها عليهم في الاستهتار في الشهوات، فقال تعالى: « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ».

وقد بين الله تعالى في موطن آخر أن العلة الحقيقية في إهلاك القرى وإزالة

عمرانها ما جناها أهلها على أنفسهم من ناحية آدابهم وأخلاقهم ، وأنه جل وعز أعذر إليهم بالنصح وإرسال النذر لعلمهم بشيئون إلى (شدم ، فقال سبحانه : «وكم أهسكننا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم ، لا قليلا وكنا نحن الوارثين . وما كانت ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون» .

فانظر كيف يشير الله تعالى إلى أن أهول المساكن بسكانها ، وحقوقها بأهلها ، من النعم التي يجب أن تستبقى بالقيام بحقوقها ، وأن ما يتناقض هذه الحالة من إقواء الدور من قطعانها ، وإفئادها من أصحابها ، سببه البطر ، والبطر في هذا الوطن الاستخفاف بالنعمة وعدم الاعتداد بها .

ومن أقطع الدلائل على اعتداد الاسلام بالعمران وإكباره لشأنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى أصحابه حين يبعثهم للغزو عن هدم الدور وإحراق الزروع ، إلا ما تقضى به حاجة حربية ماحقة . وليس بمد هذا فيما نظن مرمى في الاعتداد بالعمران ، وفي الاحتفال بأمره .

بهذه الروح الكريمة انساح المسلمون في الأرض فروا على مدن وأمصار وقرى لا تدخل تحت حصر فلم يمسوها بسوء ، بل زادوا في عمرانها ، وأمروا بإشادة أمثالها ، وعرفوا أن العمران لا يقوم إلا بحافز من الخصب ، فعملوا على إحياء موات الأرض . ولم استتب لهم الأمر أمروا بترجمة الكتب اليونانية والسريانية والهندية في الزراعة والعمارة وطبقوها على العمل . ولما كان لا يقوم العمران بلا صناعة تؤاتيه بالحاجات الضرورية له ، لم يدعوا صناعة من الصناعات التي صادفوها في البلاد المختلفة إلا تعلموها وحذقوها ، وزادوها تحسينا وارتقاء .

وبما أن الصناعة في حاجة مستمرة إلى مواد الأولية فلم يقصروا في هذه السبيل ، فاحتفروا الأرض واستخرجوا كنوزها المعدنية ، وأسسوا المصانع لسبكها وصنعها ،

وكل هذا يحتاج الى إلمام شامل بالعلم الطبيعي ، فلم يَتَوَّأ في تدارسه وتفهمه ونقل كتيبه القديمة الى العربية ، وبالفوا في دراسة الجواهر وصفاتها ومميزاتها وكيفية تحليلها وتركيبها ، ووضعو لذلك علما سموه بالكيمياء ، وعنهم أخذ المعاصرون باسمه العربي . ولما كان هذا لا يفي إلا بالتوسع في العلوم الرياضية فقد تبسطو فيها الى أبعد مما وصل اليه الكلدانيون واليونانيون القدماء والفرس ، حتى أدام التبحر فيها الى ابتكار علم جديد فيها سموه علم الجبر . وقد أخذ الأوربيون عنهم بهذا الاسم العربي .

لم يدع المسلمون علما ولا فنا ولا صناعة ولا ذريعة لتكميل صرح العمارات إلا أخذوا بها وزادوها بجهودهم رقياء ، ولم تمض عليهم مئاة سنة حتى كانوا في كل ناحية من نواحي النشاط العقلي والعملي أنمة يرجع الناس اليهم فيها . فلم يكونوا مجرد متحنيين ولكنهم كانوا معلمين ومصلحين أيضا . نزلوا الشام فعمرؤا مدنها ، وأحيؤا مواتها ، وجعلوا عوصمها عواصم العلم والحكمة . وامتلكوا مصر فنشروا فيها العدل والانصاف ، ورقوا صنائعها وجعلوها تنافس أرقى الممالك الأرضية . وتولوا العراق وكان قبا لهم تابعا للفرس ، فنقلوا إليه عاصمة الدولة ، فألقوه الى مكة من السؤدد لم يكن له حتى في زمن الآشوريين والبابليين ، فكانت عاصمته بغداد سيدة العواصم كلها علما وصناعة ومدنية ، فاحتظت بأسكان حتى بلغوا فيها الى مليوني نسمة ، وهو عدد لم يسمع به في بلد سواها حتى ولا أثينية ورومية في إبان عزها وحضارتها التاريخية .

واجتازو الأندلس فأسسوا فيها دولة كان لها الأثر البعيد في نشر الثقافة العلمية حتى أصبحت جامعاتها تهب النور لمن يطلبه منها ولو كان أجنبيا عن الاسلام لا يمت الى دولته بأقل صلة . فكثرت فيها الطلاب الأوربيون يعبون من معينها الصافي ، ويمردون الى بلادهم ينشرون العلم والمدنية . وكان ممن تعلم فيها سلفستر الذي تولى ليا بوية الرومانية . وقد بلغ من علو كعب الأندلس في العماران والمدنية أن ملوك أوربا كانوا يقصدونها

للاستشفاء، على أبدي أطبائهم، فيقابلون بكم كرام، ثم يمدونهم الى بلادهم مشيدون بذكر الحضارة الاسلامية.

وقد أثرت مدينة المسلمين في الأوروبيين تأثيرا عميقا، حتى إنهم نقلوا كتب ابن رشد وابن زهر وابن سينا وغيرها الى لغاتهم وأخذوا يتدربون بها، فكانت سببا في إنهاضهم وهم في ليل دامس من الحكم المطلق، فهبوا يتطلبون الحياة نأثرين على نظمهم الجائرة، مجازفين بحياتهم في سبيل الحياة والحرية. فدام التنازع بينهم وبين الآخذين بمعتقدهم فرونا حتى تم لهم النصر عليهم في القرن السادس عشر، فكان العهد الذي يسمونه عهد البعث الذي سبق عهد المدينة لأوربية الحاضرة. فهذه المدينة التي فتنت العالم اليوم بعلومها وفنونها وصناعاتها مدينة للمسلمين بوجودها كما رأيت، وكما يعترف به مؤرخوها في مؤلفاتهم المتداولة. وقد نقلنا الشيء الكثير من ذلك في مقالاتنا للناضية. والفتوح الاسلامية لم تكن في حقيقتها إلا صوت الحق ينبه النافلين، ويوقظ النائمين، ويستعصم هم الحاكمين والمحكومين، الى نفس الحياة المسيحية، والخروج مما هم فيه من التقاليد الموبقة، ولرسوم المردية.

وقد أنجح الاسلام في تحمل هذه التبعة الى حد بعيد، فحدث في العالم دوا امتاز به دون سائر الفتوح العلية. فكان من أثره الخير للعمم، بخلاف تلك الفتوح، فقد خلفت وراءها الخراب والدمار، حتى إنها أفنت أمما برمتها تحت كلال كل ضطهادات يقشعر لقرائنها جلد الانسان.

فلا يستحق بعد هذا البيان أن يلقب الاسلام بدين العمرن، العمران العالمي

محمد فريد ومجدي

للعام ٢

التفسير

سورة العنكبوت

- ٦ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُبْذَرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا، وَيُنَشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ، وَيُسَبِّحُ زُجُجُهُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ السَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي آفِهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِسَابِ،

قد بينت الآيات السابقة أن الإنسان في هذه الحياة محاط بمله تعالى وبغوذ قدرته، فلا يخفى عليه تعالى من أمره شيء: «سواء منكم من أسر النقول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار»، ولا يفلت منه شيء، بل «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله»، وقد سبق في العدد الماضي تفسير ذلك وما قاله فيه أئمة التفسير. وترى في هذه الآية الشريفة التي نحن بصدد تفسيرها تقريراً الفعلة الاجتماعية، وشرح القانون الإلهي الذي ارتضاه جل وعلا لسير هذا العالم الإنساني في حياته التي اختارها له عز وجل. فالإنسان مع إحاطة علم الله بكل ما ظهر وخفى من شئونه، ومع خضوعه لأحكام القضاء والقدر المتسلطين عليه تسليطهما على كل عالم

من العوالم ، قد مسحه عز وجل نوعاً من الاختيار في أعماله ، وإطلاق التصرف ، يصنع ما يريد ويفعل ما يختار ، ولكن في دائرة لا تتجاوز عم الله وإرادته ، فهو يعمد إلى اختيار ما يحلوه ويطلب في نفسه ويقلب عليه الميل إليه من خير أو شر حسب ما وهبه الله من قوة الإرادة والاختيار ، ولكن ما يختاره في مستقبله ويميل إليه بإرادته ومشئته قد علمه عز وجل منه وأرادته في الأزل ، وأراد أن يفعله باختياره وبحض إرادته ، لا أن يفعله سرغماً مكرهاً مقهوراً مجبراً : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » ، فإرادة الله الأزلية وعلمه الأزل لم يخل باختياره ولم يسلب عنه مشيئته ، بل قد حققها . فإله قد أراد منه أن يفعل باختياره ، فحال أن يفعل مكرهاً ، وإلا لم يتحقق ما أراد الله من أن العبد يفعل بإرادته واختياره ، ولم يتحقق معنى (تشاءون) في قوله : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » فإرادة الله وعلمه لأزليان لا إخلال فيهما بإرادة العبد ومشئته ، بل هما محققان لها .

ولقد أبدع جل وعلا فيما سنه للإنسان من نظامه الاجتماعي ، فربط المصائب بأسبابها ، وهداه النجدين طريق الخير والشر ، ونصب لكل منهما مغريات وبواعث تدعو إليه ، فأودع فيه الميل للشهوات ، واختلاس الفرض وحب الذات ، وأشرب نفسه الميل للملو على الغير وحب الانفراد بالطيبات ، مما يكون مدعاة للأناية والاستئثار ، وأعطاه من سلاح القوة ما يستطيع به التغلب على مزاحمه ومنافسه ، فتطغى بذلك فيه قوة الشهوة والغضب والأناية والأثرة ، ويميل إلى العظم والاستهتار والخلاعة والمجون . ولكنه لم يدمع هذه المهلكات تفتك به وتشقيه ، ويجعل حياته نعمة بما يتفنى فيه من تنأحر وتناحر ، وبما يوهن من عزيمته من خلود إلى الدعة والراحة واستغراق في الشهوات واللذائذ ، بل عصمه أولاً بنعمة العقل والتمييز والإدراك ، حتى يصير عاقبة كل فعل حلاً مبدؤه وخبثت عاقبته ، فيعتبر ويزدجر بك سر عليه من تجارب ، وأمدته نانياً بنعمة الشرائع تنزل من لذه جل وعلا رحمة بالإناس ، فتعين العقل على مغالبة العواطف التي تغتايه فتطمسه .

وقد جاءت الشرائع لسعادة الناس مناسبة لحالهم في كل عصر وأوان ، حتى كل
 الإنسان واستعد لتلقى أعظم وأدوم شريعة جامعة لمصلحته في كل طور وكل عصر ،
 وكفيلة بسعادته في الدنيا والآخرة ، ومنظمة لملاقاته بربه على أكل الوجوه وأتمها ،
 ومنظمة لملاقاة أفراد بعضها ببعض ، سواء في الاجتماع اللاصق للقريب وهو باب
 لأحوال الشخصية ، أو في المجتمع البعيد على اختلاف مراتب البعد من السياسة المدنية
 كالعاملات والحدود ، والسياسات الدولية كالمحالفات والعهود ، وصون كل أمة حياتها
 وحمايتها مصالحها .

جاءت الشريعة موفقة للعقل ، هادية له الى سبيل الخير ، مرشدة لى ما يتبني عمله
 وما يتبني تركه ، بيان عاقبة كل فعل من خير أو شر ، حتى يتقوى سلطان العقل
 على سلطان الهوى ، لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

فجاء في الشريعة الفراء قصص الأمم الماضية وما انتابها وحقا بها من سوء أعمالها ،
 وعدد بالتفصيل ما أنعم الله به عليها وما مكن لها في ملكه ، وشرح ما أصابها حين
 استغرقت في لذائذها وشهواتها ، أو غلب عليها الغرور وانغمست في الشرور بظلماتها .
 كل ذلك جاء تفصيلا في غير ما آية من الكتاب العزيز ، يكسر من حدة اعتداد الإنسان
 بنفسه ، وتغديه في غروره ، ونسيانه أن الاعتدال في كل شيء هو مصدر بقاء بنيان
 السكون ، وأن ليليل هو سبب التهدم والانهار .

وجاءت هذه الآية الكريمة جامعة لما تفرق في كثير غيرها من الآيات والمعظات ،
 فهي من أجمع جوامع الحكم ، فقال تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
 ما بأنفسهم » أجل حقا وصدقا : لقد جرت عادة الله في الأقوام والأُمم أن من سلك
 للحياة سبيلها القويمة ، ودأب على مراعاة قوانينها المنظمة ، فإنه إن كان في أول أمره
 في فقر وعدم فإن دأبه في عمله الصالح وجدّه في تحصيل خيرات الله التي وعدّها لمن
 أحسن عملا ، سيفقره به الله من فقر وعدم ومن وحدة ووحشة ، الى يسار وغنى ، والى
 عمران وكثرة ، والى راحة وهناءة .

انظر الى الأمم تبدأ بالبداوة والوحشية فتستمرى طمطم الملل والجد ، فلا تلبث أن تغدق عليها الخيرات والنعم . فإذا ما استمرت في سلوك هذا السبيل كانت كل يوم تزداد نعماء ورغدا ، وهكذا حتى بدال لها على غيرها وتصبح في عز ومنعة ، تتصلح لأن تسود غيرها ، ويمكن الله لها في ملكه حتى تصبح مهيمنة على كل أمة تتصل بها ممن لم يجد جدها ولم يكدها ، ولم يرع قانون الاعتدال في أحواله مثلها . فإذا ما طفت تلك الأمة وحادت عن الجادة ، واستمرأت مرعى الشهوات الوحيم ، واستقامت للراحة والكسل ، وانغمست في اللذائذ التي تأكل لهم وتبرء العزائم ، وتميت الرجولة وتذيب النفوس ، ضاعت منعها ، واضمحلت حياتها ، وذهب دمجها ، وأبدل بها الله من هو خير منها في استعمار الأرض والسيطرة على الحياة . وذلك ما ذكره الكثير في تفسير قوله تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذك أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » .

ومثل الاسترسال في الشهوات ، الاندفاع في الطغيان ، والنمرد على بني الانسن ، والجماة لقانون العدل والإنصاف ، والتمادي في اغتيال الحقوق ، والاستئثار بالثرات والخيرات اعتمادا على القدرة وقوة البطش . فهذا أيضا باب من أبواب الهلاك والدمار ، فإن أقرب نتائج انصراف هم العاملين المغلويين عن استعمار الأرض واستثمارها ، فيم الخراب القوي والضميف ، وينزل مقت الله على الجميع .

وهكذا تجد الآية السكرة مقررة هذه القاعدة الاجتماعية الصادقة ، وهي أن تغيير الله لخال الأمم تابع لتغيير ما بأنفسهم من خير الى شر أو من شر الى خير ، وما كان الذي ذكرناه إلا أمثلا جزئية لما ينطوى تحت هذه القاعدة الشاملة الكلية .

تنقل بنظرك حيث شئت في أم حاضرة تشاهدها ، أو ماضية نقرأ أخبارها ، نجد القاعدة مطردة ، وتجد نظام الكون دائم السير على نظام واحد ، لا يفرق بين قوم وقوم ، ولا بين أمة وأمة ، وأن كل شيء قد ارتبط بسببه ارتباطا محكما لا يؤثر فيه غيره ،

وليس بلازم إذا رقت أمة في شيء أن ترق في كل شيء ، ولا إذا انحطت في شيء أن تنحط في كل شيء ، وإنما اللازم أن ما وضعه الله عز وجل من ارتباط شأن من مشئون الحياة بشأن آخر منها ، قد أحكم نظامه ، وأوثق رباطه فلا يُخَلَف من اتبعه ، سواء أكان من أبواب الخير أم من أبواب الشر .

لا تجدد أمة جدت في إتقان صناعتها وضاعت عليها ثمرة إتقانها ، ولا أمة اجتمعت في ترقية زراعتها وخيب الله سعيها أو أخلفها خيرها وميرها ، ولا أمة هذبت أخلاقها وقوت خلق الصدق والأمانة بين أفرادها ، وكافأها الله على ذلك بضياح الثقة والطمانينة بين أفرادها بعضهم مع بعض ، أو ضاعت الثقة بها عند الأمم الأخرى لمجاورة لها العارفة بأحوالها ، سواء أكانت فيما بينها وبين ربها قائمة بحقوق العادة أم أخلت بشيء منها . ومن ذا الذي يقول إن أمة غلبت عليها شقوتها واستحوذت على عقولها شهوتها وأخذت إلى السكينة والراحة واستعذبت الكسل واستمرأته ثم اكتفت بأن قامت بمراسم العبادة فيأما صوريا لم يتغلغل إلى قلوبها ، ولم يملك عليها وحدانها ملكا يضبط جوارحها ويهذب من أخلاقها ويبعدها عن مغاضب الله في الصدق والأمانة ، تكون هي الحائزة للسيطرة على هذه الحياة ، وتمتلك التصرف في رقاب العباد ؟ لا ، لا :

فلا تقطع ذكر المني قلبي وءوس أموال اللفائس

إن لكل طريق غاية يوصل إليها ، ولكل عمل ثمرة منتظرة منه ، ولكل خلق فائدة تترتب عليه ، ولكل سبب مسبب منوط به ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، لا فرق في ذلك بين خيرات الدنيا والآخرة وشُرور الدنيا والآخرة ، فمن قام بعبادة ربه وأدى طاعته فقد سلم مما أعد الله للعصاة في الدار الآخرة . ولكن هل إذا أضاف إلى ذلك التواني والكسل وإهمال العمل ، نهال عليه أمطار الرزق وبهيم عليه غيث الخير ؟ لا ، لا ، كلا وألف كلا ؛ فكل مسبب مرتبط بسببه . بل إذا قال قائل إن ثمرة الإيمان الصحيح هو أن يتبع المؤمن ما سنه الله خلقه

من مراعاة حكمته في استخلافه لبني الانسان في أرضه ، يستعمرونها ويستثمرونها ، بما وهبهم من قوة ، وبما مكن لهم في الأرض ، وبما قال لهم في كتابه العزيز : « خالق لكم ما في الأرض جميعا » أقول : إذا قال قائل إن هذا من ثمرات الايمان الصحيح ، لم يكن في قوله بعيدا عن الصواب . فكما أنك تقول : إن من قام بإتقان عمله التجارى ربح ولا يلزم أن تصح زراعته ، ومن قام باصلاح زراعته جنى ثماره ، وليس بلازم أن يحسن إدارة التجارة ، ومن حذق أساليب الصناعة ارتقت أعماله الصناعية وإن كان أجهل الناس بالزراعة والتجارة ، وهم جرا ، فقل كذلك إن من حذق أساليب العمران ارتقى العمران على يديه ، ومن قام بواجب الدين أنابه الله في آخرته ، ومن أتقن الأمرين مما أحرز السعادتين ، ومن أهملهما معا خسر الصفتين ، ومن كان في حال ثم تبدل بها غيرها فقد أحرز نتيجهتها شرها أو خيرها « فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » لا فرق في الثمرين ما في الدنيا وما في الآخرة .

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس
وإن العدل إلا لهى لعدل مطلق لا ينبغي أن ينتظر فيه أن ينعب امرؤ أو أمة ويجد ويكد ثم هو مع ذلك يحرم من الثرات ، بينما آخر قد استنام وأحلد الى الدعة والكسل ثم هو مع ذلك يفوز . كلا كلا : إنما ذلك يجرى فيما بين العباد عن ظلم واعتساف ، فإذا ما استمر ذلك في قوم وساد بينهم الظلم ولم يجدوا من يضع لهم حدا ينقذ الأمة من وخيم عواقبه ، فقد غيروا ما بأنفسهم ، فلا يلبثون أن يحل بهم من الخراب ما يحقق قوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ولا تنس أن الآية تقرر قاعدة اجتماعية أى حكما يتعلق بالانسان من حيث يجتمع هو وغيره في شئون الحياة ، يرشدك الى ذلك التعبير بلفظ قوم دون أحد أو إنسان أو امرئ أو نحو ذلك ، فلا يقال : قد زى رجلا صالحا قام بعمل واجتاحتها جائحة أو ما يشبه ذلك ، لأن هذه الأحوال على ندرتها ليست من أحكام الاجتماع العامة ، وإنما هي من الحوادث التي يريد الله لحكم قد نعلها وقد لا نعلها ، والله عليم حكيم .

وبعد : فإن مضمون هذه الآية الكريمة لو فرض أهلها لم ترد في كتاب الله الذي لم يصر فيه من شيء ، لحق على الناس أن يفهموه من مشاهداتهم للأُم المحيطة بهم ، بل من النظر في أحوالهم أنفسهم من ماض وحاضر ، فلا تكاد تجد أمة إلا وقد مرت بها أدوار انحطاط وارتفاع ، وانحلال وتماسك ، وكل ذلك تابع لما أصيبوا به أو دفعوا له من عوامل بقاء أو فناء ، وسعادة أو شقاء .

ومن ذا الذي يخفى عليه أدوار مصر في ارتفاعها وانخفاضها ، والعوامل التي أوجبت ذلك بحسب ما تماقبت عليها من أنواع الحكم الذي هو أكبر عامل في تكيف الأُم ؟ بل نرى بأعيننا بعض قرى تماقبت عليها أحوال متناقضة حسبما وقع فيه أهلها من عوامل الفناء أو البقاء .

لا أنسى بلدة رأيتها قد امتازت في تنويع مزروعاتها واختيار أرق أصناف الزراعة التي تحتاج إلى دقة وتنتج خيرا وفيرا ، فسألت عن سبب امتيازها بين جاراتها بهذه الأنواع ، فقيل لي إن هذه البلدة قريبة من المدينة عاصمة لمديرية كما ترى ، فكان ذلك مدعاة لا يغفوا أبناءها وتلبيهم بعلاهيها ، وإسرافهم على أنفسهم في شهواتهم ، فلم يلبثوا أن ركبهم الديون حتى اكتسحهم من أملاكهم وأصبحوا فيها غرباء ، فأشرفوا على الفاقة للهلكة ونزعت منهم أملاكهم للدائنين ، قرأوا أن الزراعة المعتادة لا تنقذهم من وهنهم بعد ما صاقت بهم أملاكهم التي كانت واسعة ، ففتقت لهم الحاجة أبواب الحيلة ، ففتننوا في زراعات جديدة من البذور الغالية ، وعكفوا على تميمتها وترقية أصنافها ، فسدت عوزهم فذاقوا لذة الغنى ، فأكبوا على الأخذ بأسبابه ، فراجعت حالهم . فقد كانوا أغنياء كلهم فاقتروا كلهم ، ثم أنصاهم الله جميعا ، وكل ذلك بموامله وأسبابه ، فقلت : صدق الله العظيم « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وإن تعجب بعد ذلك فعجب أن تتضافر المشاهدات المتكررة والوحي الصادق على إثبات قاعدة لا تريد التجارب إلا رسوخا ، ثم تدعو إليها مصلحة الأُم ، وتجدد

مع ذلك ينصرفون عنها ولا يسلون بمقتضاها . فهل هذا إلا من عمى القلوب ؟ سبحانه
 اللهم أنت تهدي من تشاء وتضل من تشاء ، ومن يضل الله فله من هاد ، وإذا أراد
 الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال .

أجل : لو لم يكن الأمر كذلك ، وأنه إذا أراد الله قوم سوءا فلا مرد له ، فبماذا
 نعلل خروج الأمم العاقلة لمبصرة على ما علمته علم اليقين ، وزادت به استبصار بالتحارب
 والمشاهدات في نفسها وفي غيرها ، ثم تدين فيه مصلحتها ؟

رب إن الهدى هدى وآيا فك نور تهدي بها من تشاء

في مثل هذه الأمم مجد الأفراد يتقاذفون اللامات ، وكل يتنصل مما أصابها
 ويرى غيره بأنه سبب بلائها . ولو أنصف كل امرئ من نفسه لعم أنه بإصلاح حاله
 وقيامه بواجبه حق قيامه يكون قد أكسب أمته خيرين : خيرا بزيادة عدد الصالحين
 النافعين واحدا ، وخيرا بتقص عدد الفاسدين الشريرين واحدا ، وفي كل من زيادة
 المصلحين وتقص المفسدين فائدة ومنفعة . فاللهم اهدنا صراطك المستقيم :

نرى من هذا أن الآية الكريمة محتملة لإفادة العموم في كل شئون الانسان ،
 والحمل على العموم أغزر للفائدة . ويكون التناسب بينها وبين الآي السابقة أن الكلام
 مباه من أول السورة على بيان آيات الله الكونية الدالة على عظيم قدرته ، وبديع حكمته ،
 وواسع علمه ، وباهر نظام تكوينه ، فسيقت آيات الشمس والقمر والزرع والنبات
 وأمثالها ، وفصلت تلك الآيات بالتعجيب من حال المنكرين للبعث الآمنين مكر
 الله ، والنفي عليهم ، وتسفيه أحلامهم في استمعالمهم بالسيئة قبل الحسنة ، وفي طلب
 إزال آية ، كأن لم يكفهم ما داروا ، ثم العود الى تقرير الأدلة الناصحة على إحاطة علمه
 جل شأنه بكل ما خفي وما ظهر ، وأن جنده يحيطون بالعباد ، ولا يغفلت من أمرهم شيء ،
 ولا يصيبهم مما يحيطهم شيء . إلا ما قضى وقدر ، وأن أمره نافذ في جميع ملكه بلا
 معارض ولا مناع . ثم أردف ذلك ببيان أن نظام العالم في ارتباط أسبابه بمسبباته نظام

مطرده ، لا يخلع عماره ، ولا يغير ما حكم ، إلا أن تكون حكمة تقتضى أسرا مميّنا هو أعلم به وأمره موكل إليه ، وإلا ساعدا ذلك من إنتاج كل عمل ما رتب عليه من خير أو شر أسر مطرده ، فاحذروا أن يصيبكم ما أصاب المعوجين من خراب وهلاك ، وارجوا من فضله ورحمته مغنمه من قبلكم ممن أحسنوا السير ، فلا السعادة ولا الشقاوة منشورتين قرطاً ، ولا الأمور تجري على غير هدى ، بل هو حكم بالغ ونظام كامل ، فمن اتبع سبيل الهدى والاستقامة أدرك السعادة ، ومن اعوج وحل ندم حيث لا يتغمد الندم « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وبهور المفسرين على أن المعنى : إن الله لا يغير ما بقوم من النعم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعات ، وأنه لا ينزل عذاب الاستئصال والمقت إلا على العصاة . وهذا - على ما نرى - بمض ما تشمله الآية . وفي نظرنا دلالاتها أوسع مما ذكره . والقاعدة على ما قررنا « بلغ » والله المستعان .

وأما قوله تعالى : « وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » فوقها مما قبلها يشبه ما يسميه علماء البديع (الاحتراس) فلانها تدفع ما قد يتوهم متوهم من أن العالم حينئذ خاضع لما يجري من العباد ويأتونه من خير أو شر ، فأين قدرة الله وإطلاق مشيئته وإرادته ؟ فجاءت هذه الآية لدفع هذا الوم ورد الأمر الى نصابه الحقيق ، ببيان أن من يهتدى الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فله من هاد ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله . وكون مشيئة الله أصلاً لمشيئة العبد لا يقتلج ما للعبد من مشيئة ، فله مشيئة واختيار يبتنى عليهما تكليفه ، فيستحق الثواب والعقاب على ما أتى ، وترى فيه الهداية التشريعية لإفادة الخير لما فيه من النفع الدائم الخالد ، وتفرع منه حب العاجلة بما يضييع عليه الآخرة الآجلة . فهو مختار بلا شك ، ومكلف أن يتخير ما فيه الخير الحقيق لنفسه . وقد بين له الطريقين « وهديناه التحدين » « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا ننصيب أجر من أحسن عملاً » .

ومعنى الآية الكريمة أنه تعالى مع كونه قد ربط ما يصيب العباد من سعادة وشقاوة بما يصدر منهم من خير أو شر، وأنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فيستحقوا ما ينزله بهم من شقاء أو نعيم، فإنه مع ذلك نافذ لإرادة في ملكه وفي خلقه، فإذا أراد بقوم سوءاً أوقعه بهم لا يدفعه عنهم دافع، فهو الفاهر فوق عباده، فاتقوا سطوته وخافوا غضبه، فإنكم إذا تعرضتم لغضبه أنزل بكم ما تستحقون، ولا يكون لكم من يلى من أمركم شيئاً، ولا يرد عنكم سوءاً. فقلوه: «وما لهم من دونه من وال» أى لا يكون لهم حينئذ من يعضد عنهم من عذاب الله أو ينصرم إن أراد بهم العذاب. نسأله تعالى النجاة من غضبه، وأن يصيبنا برحمته:

قال تعالى: «هو الذى يرىكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيافته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال»:

ما أحسن ما فى الآية الدالة على عظيم قدرته وأنه لا راد لقضائه بهذه الآية الكريمة التى تربهم مظهرها من مظاهر القدرة لا قبل لهم بانقائه ولا الفرار منه، ولا يعضد عنهم من دون الله من عاصم ذلك هو ما يرونه من الآيات السماوية تنقض على الناس من فوق رؤوسهم من غير سابقة إنذار، فإذا بها قد أصابتهم من حيث لا يشعرون، فأين يفرون وبأى ملجأ يعتمدون؟ ألم يروا إلى البرق يفاجئهم فتختلف بهم النزعات ما بين خوف من رهيبته وقوته، وطمع فيها ببشرته أن يتلوه من غيث ومطر، فتلعب بقلوبهم العوامل المختلفة، وتهتز جوانحهم وغبار رهبا، لا يملكون أن يدفعوا عن قلوبهم تلك الهزات فضلاً عن أن يدفعوا مصدرها أن يصيبهم بالهلاك. فهل يبقى بعد هذا قلب لا يخضع لعظمة الله ويخشى سطوته ويرجو رحمته؟ أف أن لكم أن تعترفوا بعجزكم، وترجعوا إلى الهدى الذى يبيحكم من ربكم، وهو الذى ينشئ السحاب الثقال؟ وقد علمتم أن ذلك مياه منجمّة فى الجو، فلو كان الأمر قاصراً فى التصريف على ما عهدتم لكائنات تلك المياه

بحاجة الى إنا، سميك بحفظها، ومكان ثابت ترتكز عليه لثقلها، ولكن قدرته والنواميس التي ثها في ملكه دلائل على قدرته، أوسع من أن تحف عند ما تمهدون، وأن تقتصر على ما تعتقدون، فإنني أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فأين أنتم وماذا تظنون ؟ .

وهو الذي يسبح الرعد بحمده بما يدل على عظمة مبدعه وواسع قدرة منشئه، فينطق كل قلب وكل لسان بتحميد منشئه وتمجيده، ذاك أن المرء متى رأى الأمر العظيم الذي يهوله، انطلق لسانه بتحميد مبدعه، بل قال إن هذا آية ناطقة بتحميد فاعله : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » فليس يلزم أن يكون التسبيح بالنطق اللساني، بل أن نطق لسان المقال من صدق لسان الحال ؟ على أن التسبيح اللساني لا استحالة فيه، فلا نرى ما يمنع من الحمل عليه إذا سمحت الرواية المعصومة بتفسيره به . وأنت ترى في هذا الذي قلنا ما يبين معنى التسبيح من الرعد، فهو إما بمعنى حمل العباد الشاهدين له السامعين لصوته على تسبيحه تعالى وتزييه، وإما بمعنى دلالة على أنه جل شأنه منزّه عن كل عجز أو نقص، مستحق لكل ثناء وحمد، فيكون على الأول من باب المجاز العقلي، أي يسبح سامعوه، وعلى الثاني من باب المجاز اللفظي، أي يدل على تزييه عز وجل . والبناء في يسبح بحمده للمصاحبة، أي ينطق بتزييه تعالى من كل ما يليق، تزيهاً مصحوباً بالثناء عليه بصفات العظمة .

وقوله : « والملائكة من خيفته » أي وتسبح الملائكة خوفاً منه تعالى، فانه لا يأتى من مكر الله إلا القوم الخاسرون . ومن ذا الذي يعلم من عظمة البارئ ما تعلمه الملائكة المقربون ولا يمتلي هيبة وخشية ؟ وهل لا يكون الخوف إلا من وقوع العذاب ؟ ألا فيعلم أن خوف الرهبة ربما قتل وأهلك بجموده . والملائكة هم عباد الله المكرمون لا يعصون الله ما أمرهم وينسأون ما يؤمرون، وهم بتصرف الكائنات العالمة موكلون، فما من عالم من بحار ورياح، وسحاب ورعد وبرق ووزرع وحيوان، إلا وعليه ملائكة

مصرفون بأسر ربهم ، حافظون عليه كيانه وآثاره ، يحفظونه مما هو عرضة له بأسر ربهم ، كما سبق في تفسير « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » « وما يعلم جنود ربك إلا هو » وليس هذا عن حاجة المولى عز وجل اليهم ، حاش لله ! ولكن نظام الملك كاملا ، وآثار العظمة باهرة .

قال تعالى : « ورس الصواعق فيصيب بها من يشاء » :

هذا من تنمة الدلائل لسابقة التي تملأ النفوس رهبة وخشية ، ولعلها أشدها في إيجاب الحذر والخوف ، فالصواعق تنقض^٤ على حين غفلة ، وتنزل على ما تصيبه بفتة فأبن منها المبر وهي يصيب بها من يشاء ؟ ودع ما يتعلل به المتعللون من نصب جاذبات الصواعق على ظهور البيوت ، يزعمون أن معدنا خاصا يجذب الصاعقة النازلة اليه فينبجوا بالبيت ، فهب هذا فالذى يصمم صاحب البيت في غدوته وروحاته ، بل ما الذى يصمم البيت من أن تكون الصاعقة قوية تستأصل الجاذب وما يحيط به ؟

يا للعجب ! كل هذه الدلائل الباهرة تترأى لهم وتكرر أمامهم وهم يجادلون في الله جدل من يشك في قدرته وواسع علمه ، فهل بمد هذا من غفلة ؟ وهل غير هؤلاء القوم يرى لهم ولما أصيبوا به في عقولهم ؟ أفأكفام كل هذا حتى لا يزولوا يجادلون في الله وفي قدرته وهو شديد المحال ؟ أى شديد الحول عظيم القوة ، على أن الميم زائدة ، أو هو شديد الكيد عظيم التدبير ، من قولهم : نمحل لكذا ، أى تكلف استعمال الكيد واجتهد في الحيلة . والمراد بمثل هذا أثرفلك لا حقيقته ، فهو كقوله تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير المكرين » ، فإن حقيقة المكر مستحيلة عليه تعالى ، والمراد لازمه وهو أخذهم على غرة من حيث لا يحتسبون ، فكذلك هنا : المراد وهو شديد الكيد بالإيقاع بهم وإحباط مساعيهم والتغلب عليهم بحالة خفية كما يفعل المتحلل الكيد ، والمعنى فيهم متفارب .

هذا والبرق والرعد والصواعق ظلوا هر جوية معروفة لكل الناس ، ومعرفتها على

هذا الوجه كاف في الاعتبار والازدجار، وفهم كلام العزيز الجبار . أما حقائقتها وأسباب تكوينا فلها علوم آخر تكفلت بشرح ذلك شرحا وافيا، فليرجع اليها من أراد استقصاءها. ولعل ماورد في بعض الروايات من تفسير الرعد بملك يسوق السحاب وأمثاله، يقصد منه الشرع - إن صححت روايته - توجيه نظر السائل الى ما ينبغي أن يتجه اليه في الملاحظة عند رؤية البرق وسماع الرعد، من أن يلتفت الى عظمة ملك الله وقوة سلطانه وبديع نظامه، ليملك عليه قلبه، فينتقل من رؤية الآثار الى تسبيح مؤثرها لعزير القهار، فهو من باب ما يسمونه في علم البديع (أسلوب الحكيم) وهو تلقى السائل بغير ما يترقب تنبيها على أنه لا ولي بحاله والمهم له، بل هو الذي ينبغي أن يرجع فيه الى تعليم النبوة . ونظير هذا قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » . سألوا عن السبب في أن الهلال يبدو صغيرا ثم يكبر، فأجيبوا بالحكمة المترتبة على ذلك، وهي أن يرنب الناس مواقيتهم ومصالحهم الدينية والدنيوية، أما دقائق العلوم والصناعات فليست من مقاصد نظر النبوات، وإنما يتوصل اليها الانسان بواسع تفكيره وثاقب نظره، فيتهدى الى ما تحتاج اليه مصالحه في معيشته . وقد قدمنا لك أن لكل عالم من العوالم ملائكة موكلين بتصرفه وتديره وهم من أمر الله، وليس ذلك لمعجز عن أن يستقل بالأمر، أو لاحتياج اليها في تدير الملك، بل لاستكمال النظام . كيف وهو رب كل شيء، وخالق كل شيء، والعالم بكل شيء، وهو على كل شيء قدير ؟

نسأله تعالى أن يمن علينا بالهدى، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والله المستعان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم الجبالي

الاسلام والفلسفة

نظرة تاريخية :

كان العرب في جاهليتهم أمة بدوية رحالة تنتمع مساكب الغيث وتستوطن منابت الكلاء ، فشغلها هذه المشقة العنيفة في سبيل تحصيل المعاش وجلب القوت عن التأمل في أسرار الكون والطبوح الى معرفة نشأته ومصيره ، ولم يحل بينهم وبين الإنتاج الفلسفي ضيق طبيعي في عقولهم ، وقصر فطري في أذهانهم كما يزعم « أرنست رينان » في كتابه « خطب ومحاضرات » الذي رى فيه العقلية العربية بأفصح الصفات ، ووصمها بأشنع العيوب . وأسمع برهان على بطلان رأى « رينان » هو أن العقلية العربية استطاعت فيما بعد ، أى حين هيا لها الاسلام الفرص الثلاثة ، أن تبرز في الفلسفة ، وأن تأتى في كل النواحي العقلية بالمعجب العاجب كما يظهر ذلك من دراسة فلاسفة الاسلام .

أما أخلاقهم وطباعهم في ذلك العصر الجاهلي ، فقد كان كثير منها غابة في النظرة والقسوة والبربرية . وأما تشريعهم فكان يكتنفها نوع من الهمجية لا يعرف له نظير إلا لدى الأمم للتوحشة . وأما دياناتهم فكانت وثنية ساذجة حافة لا روح فيها ولا حياة ، تسير فيها العبادة على نسق لا يسيغه العقل ولا يؤيده المنطق أو اللوق السليم . وعلى الجملة ، فقد كانت كل حياتهم الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية مضطربة اضطراباً يؤذن بالخراب والدمار : يشتعل أوار الحرب بين القبيلتين ويستمر أعواماً طويلاً تزهق أنفاسها مئات الأرواح وتيمم مئات الأطفال ، وتبتم مئات النساء ، كل ذلك من أجل سباق حصانين ، أو من جراء كلمة نافهة تخرج من فم شاب متسرع أو ما شا كل ذلك .

فلما أراد الله جل شانه أن ينقذ هذا الشعب من تلك الوهدة السحيقة التي هوى فيها ، بعث اليه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيدا بذلك الكتاب الفخم الذي يقول في وصفه العالم الفرنسي مؤلف كتاب « في الدراسات الدينية » ما يلي : « كفى هذا الكتاب مجدا وجلالا أن الأربعة عشر قرنا التي مررت عليه لم تستطع أن تحفف أسلوبه الذي لا يزال غضا كأن عهده بالحياة أمس » .

بل هو الذي تحدى أعداءه على طول الخط أن يجاروا أقصر سورة منه في ميدان الفصاحة والبلاغة اللتين كانتا كل مامتاز به العرب من موهبة ، فأعلنوا عجزهم ، وسلموا الراية لصاحب هذا الدين الجديد ، وأخذوا ياتعرون بأمره ، وينتهون بنبيه ، وهو في كلتا الحالتين لا ينطق عن الهوى ، ولا يصدر إلا عن وحى أو إلهام من أحكم الحاكمين وأعلم العالمين بالخير والمصلحة . فكان من الطبيعي أن تقودم هذه الأوامر الإلهية إلى النظام العمراني ، والرفعة الاجتماعية ، والكمال الأخلاقي ، وهذا هو الذي كان بالفعل ، فلم يكند الاسلام ببسط جناحيه على جزيرة العرب حتى رأب صدوعها ، ولم شعثها ، وجمع متفرقها ، وأخذ يضرب بيد من حديد على كل أسباب الفشل والشقاق من عادات العرب وتقاليدهم الممجية الأولى ، ونشر فيهم روح الديموقراطية والسلام ، وأعلن فيهم أن الاسلام قد سوى بين ربيهم ورضيعهم ، وحرم عليهم لمسك بتلك العصبية البربرية . فلما تفللت في نفوسهم هذه التعاليم ، خلقتهم خالقا جديدا ، وكونت منهم خير أمة صالحة للعبادة فحسب ، بل لبسط سلطاتها ونشر دينها على قارتي « آسيا وأفريقيا » وجزء عظيم من قارة « أوروبا » ، ولولا ظروف خاصة ذكرها التاريخ السياسي لا كتسح الاسلام أمامه البيانات الأخرى ، ولا ظل المعمورة بظلاله الوارفة .

ولما ازدهر الاسلام واستقر سلطان العرب وسرت فيهم روح المدنية ، وأخذوا يدونون حوادثهم ويقيدون معارفهم ، شأن الأمم الآخذة في الرقي ، كان بدهيا أن يحدث

بين هذه المعارف المدونة شيء من الخلاف في الرأى والتفكير ، لا سيما وأن القرآن قد أباح لهم التأمل والتفكير في أسرار الكون ، بل طالبهم بهما ، وأوجبهما عليهما كما سنشير إلى ذلك عند ذكر أسباب تفلسف العرب .

اختلفت آراء المسلمين حول العرضيات والثانويات الاسلامية منذ ذلك الحين ، ولكنها كانت كلها اختلافات محصورة في دائرة لا تتعداها ولا تخرج عليها ، وهي دائرة الخضوع للكتاب والسنة . غاية ما في الأمر أن بعضهم يأخذ بظاهر الكتاب ، والبعض الآخر يبيع التأويل ، وهذا طبيعي مادام أن في القرآن آيات محكمات ، وأخر متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله . فدعت هذه الحالة الجديدة الى الحاجة الملحة الى التأليف وتدوين تفسير القرآن ، والخوض في أدلة وجود الله ووحدانيته وقدرته ، الى غير ذلك مما كوّن علم الكلام الذي كان له فيما بعد شأن عظيم في تاريخ الحركة العقلية الانسانية .

ولما اتسعت فتوحات الاسلام واحتك العرب بالأجانب من الفرس والروم والهنود والمصريين ، واطلعوا على ما في هذه الأمم من معارف وثقافات ، زادت معلوماتهم ، وشحذت أذهانهم التي فطرت على الحدة والتوقد ، ومنعت جانباً عظيماً من لئلا ، والمبقرية ، فاجتذبت لديهم زروة علمية ضخمة هيأت لهم فرصة البحث والتفكير والاستنتاج ، فبحثوا واستنتجوا ، ووازنوا بين ما ترجوه من فلسفة اليونان والهند والفرس ، وانتقوا منه أصلحه وأقره الى العقل المستقيم ، ثم مزجوه بتعاليم دينهم ، فكوّنوا من هذا المزيج فلسفة مستقلة خاصة بهم ، للاسلام فيها جزء ، وللفلاسفة المقلوبين من الأجانب جزء ، ولعقولهم الناضجة المستقيمة الباقي . وإذا فلم يكن فلاسفة العرب نقلة أو ترجمة كما يقول الممتنون ، وإنما كانوا ذوي آراء مستقلة ، وأصحاب فكر مبتدعة .

« أسباب تفلسف العرب »

السبب الأول - القرآني

لا ريب أن كل من يلقى نظرة فاحصة على القرآن، ويتأمل في آياته الدافعة إلى التدبر والتفكير في شيء عظيم من الجدد، يتضح له أن هذا الكتاب الكريم هو أول أسباب نفاخل الفلسفة في اليبثات العربية، بل هو أول كتاب سماوى فرض تعلم الفلسفة على أتباعه فرضاً، وأوجب عليهم التفكير فى أسرار الكون وخفايا الوجود، ليصلوا من هذا التفكير إلى معرفة المبدع الأول ولايمان به، والتيقن بخلود الروح وبالعودة إلى حياة أخرى تتحقق فيها عدالة الخالق بمجازاة الخير والشرير بما يستحقانه على عملهما. وهل الفلسفة حلقة شيء غير هذا؟ وهل هناك فرق بين دعوة الفلسفة معتقبيها إلى التأمل فى نشأة العالم ومصيره، وفى عظمة الكون ونظام تسييره، وبين هذه الآيات القرآنية التى تقول: « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء؟ » « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبالب » « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بديناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأبقينا فيها من كل زوج هبيح. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » « هو الذى أنزل من السماء ماء، لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسعر لكم الليل والنهار والشمس والقمر، والنجوم مسخرات بأمره، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون. وما ذراً لكم فى الأرض بختلفاً ألوانه، إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون ».

تأمل كيف يدعو القرآن الناس إلى التفكير فى سائر الكواكب مدعنة لنظام رسمته لها قدرة الله العالمة، ولو تعدته لاصطدم بعضها ببعض، ولهوت كلها فى لحظة واحدة إلى مكاف سحق. ثم تأمل كيف يلفت أذهانهم إلى أن النبىات لا ينبت

إلا بوساطة لها، ليفهمهم أن السببب أسبابا، والمعلولات عللا ناشئة عنها ومتربة عليها، وتلك هي جزئيات الفلسفة بل انظر لى قول القرآن حين ينتقل بالناس من الأمر بالتفكر فى الكون العام الى التأمل فى النفس وما اشتملت عليه من خفايا وأسرار فيقول : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ٢ .

السبب الثانى لفلسفة العرب — الترجمة :

أسلفنا أن القرآن هو العامل الأول الذى فتح للعرب باب البحوث الفلسفية المؤسسة على المنطق والتأمل ، فظهر لهم شىء من هذه البحوث يدور حول علوم الدين من توحيد وتفسير وفقه ، وخصوصا استنباط الأحكام الشرعية من القرآن والحديث ، ولم يحاولوا فى أول أمرهم أن يتغلغلوا فى غير ذلك من البحوث الفلسفية التى دفعت غيرهم اليها الحاجة الى اكتشاف الحقيقة المطلقة ، لأنهم كانوا فى غنى عن اكتشاف تلك الحقيقة بوساطة المجهود الانسانى ما داموا قد حصلوا على غايتهم منه بوساطة الوحي الصادق الأمين الذى كان ممثله ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يزال قائما بينهم أو قريب عهد بهم ، فاكثفوا بالبحث فيما قدمناه من علوم عما لا تدعوم اليه الضرورة فى ذلك الحين .

ولاشك أن هذا طليعة ساخرة من ملاحم الفلسفة ظهرت فى سور الاسلام وأخذت تنمو وتزاد الى أن بدى فى الترجمة عن الأجانب من يونان وفرس ، بوساطة السريانيين فى أواخر الدولة الأموية ، وهذه الترجمة وإن كانت قليلة وضعيفة إلا أنها أوجدت فى النفوس شيئا من الشغف بالفلسفة والمعارف الأجنبية .

ولما استولى بنو العباس على زمام الملك واستقر لهم الأمر ، شرع أبو جعفر للنصور بمشورة وزرته من الفرس فى الترجمة عن الهندية والفارسية واليونانية . وإذا كان هذا الخليفة عالما ممتورا على الميل الى الفلسفة من ناحية ، ورأى من ناحية أخرى أن أعظم الممالك وأجلها وأجلها ما قام على أسس العلم ودعائم المعرفة ، فقد أجزل العطاء للملأ

والمترجمين، وقربهم من مجلسه، وشجعهم بالاحترام والاحلال على السير في خطتهم، وكانت هذه سنة حسنة سرت فيمن أنى بعده من الخلفاء، فنجح عنها تضاعف حركة النقل وزيادة الانتاج في الترجمة والشرح والتعليق الى أن بلغت هذه الحركة أوجها في عهد الخليفة الأمون الذي أنشأ مكتبته الفخمة المعروفة في التاريخ بـ (دار الحكمة) ورأس عليها (حنين بن اسحاق) وكان من أكابر العلماء الذين تتفوقوا بالمارف الأجنبيّة ومن أكثرهم إلتاحا في الترجمة والشرح وكتابة التعليقات. ولا شك أن هذه لمزة العلمية العظمى هي التي حدث لها أمون الى ترئيسه مكتبته مع مسيحيتها.

فلسفة المترجمين ومن أئند عنهم :

كثر المترجون في العصر العباسي كثرة تجمّل إحصاء أسمائهم من الأمور للتعذرة، ولم يكونوا هم ومن أخذ عنهم مجرد نقلة وحمله لثرات الأمم القديمة كما يزعم المتعاملون، وإنما كانوا كما أسلفنا أصحاب آراء خاصة وأفكار مستقلة، واستنباطات حرة، وترجيحات مستقيمة من شأنها أن ندرجهم في عداد الفلاسفة.

أما ما يأخذ عليهم خصوم العربية من أنهم لم يبتدعوا مذاهب فلسفية جديدة، فإنه حق بالنسبة الى المترجمين، ولكن له أسبابا ذكرها مؤرخو الفلسفة نوجزها فيما يلي :

١ - أن الكثرة الساحقة من هؤلاء الترجمة كانت مسيحية خاضعة لتعاليم الإنجيل والكنيسة التي كانت قد وصلت الى حد بعيد في اضطهاد الفكر الانساني وحصره في دائرة ضيقة لا يتعداها، فتأثر المترجمون المسيحيون بهذا الضبط ولم يستطيعوا أن يطلقوا لأذهانهم أعنة التفكير الحر في ميادين الفلسفة الابتداعية.

٢ - ومن الأسباب المانعة لظهور مذاهب مستقلة لترجمة العرب، هو أن أكثرهم كان يشتغل باطّبع كهنه أساسية، وأما الفلسفة فلم تكن إلا ثانوية، فعاقبهم هذا الاعتبار عن الإبداع فيها.

٣ - يروي بعض مؤرخي الفلسفة أن من هذه الأسباب التي حالت بين المترجمين

وبين الابتداع ، هو أنهم كانوا جميعا في خدمة الخلفاء والأمراء ، وأن هؤلاء كانوا يتملقون الجامدين من الفقهاء والعامة ، فهم يكنونهم أن يطلق المترجمون الأعنة لأفكارهم ففسير بحرية قد تشوك الجامدين والمتعصبين . ونحن لا نستطيع أن نوافق على هذا السبب الأخير ، لأن العقيدة الإسلامية الخالصة من الخرافات لا تنزع من الفلسفة ولا تضطرب من صولتها ، بل لا تضطرب معها البتة ، وإذا فلم يكن الفقهاء في حاجة الى لملقى أو الى الاسترضاء . وفوق ذلك ، فإن أجلاء الخلفاء كالنصور والمهدى والمرشيد والمأمون كانوا أكبر من أن يتملقوا العامة بتأييد ما يعتقدون أنه باطل ، وهم ما يؤمنون بأنه حق ونور .

ومهما يكن من الأمر ، فإن ترجمة العرب لم يبدعوا المذاهب مستقلة ، وإن كانوا قد برزوا فيها هذا ذلك تبرزوا يستوجب الاحترام والاجلال

لكتب المترجمة :

يلاحظ المطلع على أسماء الكتب التي ترجمت الى العربية عند إلقاء النظرة الأولى أن مؤلفات (أرسطو) لها المرتبة العليا بين النقول اليونانية وقد حال بعض المؤرخين هذه الظاهرة بأن ابن القفيع قد نقل منطق (أرسطو) الى اللغة العربية في بادئ الأمر ، فلفت أنظار الناس الى منتجات هذا الفيلسوف ، فالوا اليها ، وطلبوا ترجمتها ، ولكن يظهر أن السبب في هذا هو أن هذه المنتجات (الأرسطوطاليسية) تتفق في كثير من الأحيان مع ميول العرب ومع بعض تعاليم الاسلام ، ولا سيما ما فيها من منطق واقعي ، وأخلاق عملية ، وسياسة اجتماعية ، ونظر صائب الى الحياة ، واعتبار الجسم الانساني كأحد عنصرى الوجود لا يمح إهماله ولا الاستهانة به . وهذه الأسباب هي التي وضعت كتب (أرسطو) في الدرجة الأولى من درجات الترجمة . واليك بعض هذه الكتب التي ترجمت في العصر العباسي من مؤلفات (أرسطو) خاصة :

ترجم حنين بن إسحاق شرح (تيمستايوس) على الكتاب الحادى عشر من (ماوراء الطبيعة) وكذا كتاب (المقولات) وكتاب (الطبيعة) وكتاب (الأخلاق). ونقل ابنه وتلميذه اسحاق بن حنين الى العربية من مؤلفات (أرسطو) : (ما بعد الطبيعة) وكتاب (النفس) وكتاب (العبارة) وكتاب (السكون والفساد) مع تفاسير مختلفة (للاسكندر الأفروديسى) و (فرفيوس) و (تيمستايوس) و (أمينيوس) ونقل ابن ناعمة الى العربية شرح يحيى النحوى على كتب : (الطبيعة) الأربعة لأرسطو. ونقل أبو بشر متى بن يونس من السريانية الى العربية كتابي : (البرهان) و (الشعر). ونقل فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندى الى العربية الكتاب الثالث عشر من (ماوراء الطبيعة) وكتاب : (تحليل القياس) و (البرهان) و (شرح المقولات) ووضع كتابا فى ترتيب كتب (أرسطو) .

وقد أشرف المعلم الثانى (أبو نصر الفارابى) على ترجمة بعض الكتب التى سلف ذكرها ، واختصر للنطق على نهج المتكلمين ، ووضع له مدخلا ، وشرح (المقولات) و (العبارة) و (تحليل القياس) و (البرهان) و (الجدل) و (الخطابة) وكتاب (الطبيعة) وكتاب (السماء والعالم) وغير ذلك مما يطول الكلام عليه .

سنقف بك اليوم عندما قدمناه إليك من نشوء الفلسفة ودورها بين أعطاف الاسلام ، ومن أمره العالى بالمطف عليها والعناية بها ، وسنحدثك فى الفصل المقبل عما أحدثته الترجمة الأجنبية فى العقلية العربية والمتنحات العربية من آثار بارزة النتائج لا فى الفلسفة المسلمين وحدهم ، بل فى المتصوفين و المتكلمين والفقهاء ، كما سنحدثك عن مصير الفلسفة فى الغرب الاسلامى ، وعن محاولة الانلاسة للتقريب بين الفلسفة والدين ومجهوداتهم فى ذلك ، إن شاء الله

الركنور محمد غموب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

محاريب المساجد

من هي مذابح أهل الكتاب ؟

رأيت طائفتين من المسلمين مختلفتين : هل محاريب مساجد المسلمين هي مذابح أهل الكتاب المنهى عنها أم لا ؟ وسئلت عن ذلك فرأيت أن أكتب كلمة في هذا الموضوع بعد البحث والتحري ، فقلت :

قال ابن الأثير في النهاية : « المذبح واحد المذابح ، وهي المقاصير ، وقيل لمحاريب » . وفي القاموس : « والمحراب : الغرفة ، وصدر البيت ، وأكرم مواضعه ، ومقام الامام من المسجد ، والموضع ينفرد به الملك فيتقاعد عن الناس ، والأجمة ، وعنق الدابة » . والمذبح عند أهل الكتاب مقصورة يبلغ ارتفاعها مترا ونصف متر ذات أعمدة أربعة ليس بينها حواجز ، وفوقها سقف تحته خلاء يوضع فيه القرايين وبعض دم المسيح في اعتقادهم وبعض ماء المعمودية في الأعياد ، وبعد الصلاة يخرجها الكاهن ويوزعها على من في المعبد تبركا . وهذه المقصورة داخل حجرة فسيحة أمام المعبد يصعد إليها سلم ذي درجات قليلة تسمى الهيكل لا يدخله إلا الكهنة وأرباب الخطايا الذين يريدون الاعتراف بذنوبهم للكاهن كي يطلب لهم المغفرة . فالمذابح المنهى عنها بما رواه البيهقي في السنن الكبرى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « اتقوا هذه المذابح » وما رواه ابن أبي شيبة عن موسى الجهني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « لا تزال هذه الأمة — أو قل أمتي — بخير ما لم يشغذوا في مساجدكم مذابح كذاب النصارى » هي المحاريب بالمعنى الخاص ، وهي الغرف التي تكون على شكل المقاصير في حجر الهيكل ، لأنها من شعائر دينهم وخاصة بكنائسهم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : « إنما هي للكنائس فلا تشبهوا بها » لا المحاريب بالمعنى العام لأنه لا يقول بذلك أحد . ولذا أتى النبي عليه الصلاة والسلام في حديث

عبد الله بن عمر باسم إشارة المحسوس وأل العبدية ، وفي حديث موسى الجهني بأداة التشبيه . وعبر فيهما بالمذبح التي هي محارِبُ بالمعنى الخاص ، ولم يعبر بالمحارِبِ التي هي أعم .

ويمثل هذه المذابح تمام المماثلة للمقاصير التي تتخذ في المساجد وغيرها على قبور بعض أموات المسلمين داخل حجر القباب التي تشبه الهياكل ، فإنها مثل المذابح شكلا ووضعا . وكثيرا ما رأيت الجاهلات من السلمات ينظفن هذه المقاصير بقلانس أولادهن وثيابهم ، ويضعن في تلك المقاصير ماء في إناء ويتركنه ليلة ثم يسفينه للمريض ويفسئنه به للاستشفاء والتبرك ، فهذه المقاصير هي المذابح المنهى عنها بالأحاديث المتقدمة .

وأما محارِبُ مساجد المسلمين المعروفة الآن ، فهي علامات غير مخوفة اتخذت في وسط حوائط المساجد القبلية نحو حص ، أو تجاوبف فيها من منطقة وهي الطاقات لتكون دليلا على جهة القبلة لمن لم يعرفها ، وتكون مبينة لمقام الإمام من المأمومين ، لأن السنة أن يقف الإمام إزاء وسط الصف . نهى مخالفة لمذابح أهل الكتاب شكلا ووضعا وغرضا ، كما يعلم ذلك من رؤية المحارِبِ في المساجد ، والمذابح في الكنائس ، وإن رأيت ثلاثة مذابح في الكنيسة المرقسية بالاسكندرية على الشكل والوضع الذي بينته ، وعرفت الغرض منها من أحد الكهنة ، وعرفت منه ومن بعض كبار المسيحيين أنها في جميع الكنائس على هذا الوضع والشكل والقصد . فليست محارِبُ للمساجد هي المذبح المنهى عنها ، لأنه ليس كل محراب مذبحا . والحكم عند الفقهاء بكره الصلاة داخلها لالأنها مذابح كمذبح النصراني ، بل لـ يترب على ذلك من اختفاء الإمام عن المأمومين ، فنشتبه عليهم حركاته وسكناته ، ولئلا يكون هناك صورة فرقة في أكبر عبادة تقتضي الوحدة .

لا يقال ، إن النبي عليه الصلاة والسلام ترك وضع هذه العلامات في المسجد مع وجود للفتضى فتركها سنة وفعلها بدعة ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام غرز خشية في مسجد

قوم أسامة الجهمي بعد أن خطه لهم لتكون دليلا على جهة القبلة ، فدل هذا على مشروعية وضع علامة عليها لإرشاد الضال ، فهي من قبيل التعاون على البر ولا خصوصية للخشبة إلا بدليل

هذا على أنه لم يكن لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم محراب في زمنه ، وأحدثه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . وقد روى البيهقي في السنن الكبرى عن وائل بن حجر قال : « حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ - أو حين - نهض إلى المسجد فدخل المحراب ثم رفع يديه إلى التكبير ثم وضع يمينه على يسراه على صدره » فدل ذلك على أنه كان لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم محراب في زمنه . وتأويل المحراب في الحديث بصدر المسجد وأشرف مكان فيه ، خير ظاهر اللفظ ، لأنه لا يقال في اللغة دخل الشيء إلا إذا كان الشيء بحيث يمكن الدخول فيه والخروج منه ، وصدر المسجد وأشرف مكان فيه ليس كذلك ، وكان المناسِب « نهض إلى المسجد ووقف في المحراب » .

فالمحراب الذي اتخذهُ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حائط مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وجعله علامة ثابتة على جهة القبلة على الوصف الذي يراه المسلمون الآن مخالف لمذاهب أهل الكتاب من كل وجه كما يعلم بالمشاهدة ، وليس بدعة ، وكذلك محارب مساجد المسلمين ، فلا تدخل تحت النهي . أسأل الله التوفيق إلى الصواب في

عمر الجندى

مرافق معهد الاسكندرية

القبیح لا يدفع الاحسان

كان الحسن النصرى إمام المحدثين مع سعيد بن جبير وهو من أجلاء علماء التابعين يشيعان جنازة ، فسمع سعيد أصوات التواضع ، فهم « لا نصراف » بكارا لهذه المسكرات ، فقال له الحسن : إن كنت كلما رأيت قبیحا تركت له حسنا ، أسرع ذلك في دينك .

بَابُ الاسْتِئْثَانِ وَالْفَتْاْوَى

حكم تشريح الميت في الشريعة الاسلامية

ورد إدارة لمجلة سؤال من سعادة د.عوف باشا سكرتير الجمعية الاسلامية الهندية
بسيلان ملخصه استفتاء العلماء عن تشريح الميت . وقد قال فيه :
هل يسمح قانون شريعتنا الاسلامية بتشريح جثثنا أم لا ؟ ثم رجا إدارة المجلة أن
تجيبه على عجل . وقد أجاب فضيلة الأستاذ الشيخ الدجوى بما يأتي :

الجواب

ليس عندنا في كتب الفقه نصوص شافية في هذا الموضوع وقد جطن طأن أن ذلك
محرم لا نجيزه الشريعة التي كرمت الآدمي وحشت على إكرامه وأمرت بعدم إيذائه .
ولكن المردف بروح الشريعة وما تتوخاه من المصالح وترى اليه من الغيات يعلم
أنها توازن دائما بين المصلحة والمفسدة ، فتجعل الحكم لأرجحهما على ما تقتضيه الحكمة
ويوجبه النظر الصحيح . فيجب إذاً أن يكون نظرا بعيدا متمشيا مع المصلحة الراجعة
التي تتفق وروح الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان ، الكفيلة بسعادة الدنيا والآخرة .
وإذا نقول :

من نظر الى أن التشريح قد يكون ضروريا في بعض الظروف كما إذا اتهم شخص
بالجناية على آخر وقد يبرأ من التهمة عند ما يُظهر التشريح أن ذلك الآخر غير
مجنى عليه . وقد يعني على رجل ثم يلقى بمسد الجناية عليه في بر بقصد إخفاء الجريمة
وضياع الجناية ، الى غير ذلك مما هو معروف ، فضلا عما في التشريح من تقدم العلم الذي
تنتفع به الانسانية كلها ، وينقذ كثيرا ممن أشقى على الهلكة أو أخطت به الآلام من
كل نواحيه ، فهو يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ، الى غير ذلك مما لا داعي

للإطالة فيه . نقول . من نظر الى ذلك الإجمال وما يتبعه من التفصيل لم يسه له إلا أن يفتى بالجواز تفديماً للمصلحة الرجعة على المفسدة المرجوحة . ومتى كان تشریح الميث بهذا القصد لم يكن إهانة له ولا منافاة لإكرامه . على أن هذا أولى بكثير فيما نراه مما قررره الفقهاء ونصوا عليه في كتبهم من أن الميث إذا ابتلع مالاً شق بطلنه لا إخراج منه ولو كان مالا قليلا ، ويقدره بعض المالكية بنصاب السرقة أي ربع دينار أو ثلاثة دراهم . وكلام الشافعية قريب من هذا . وربما كان الأمر عندهم أهون وأوسع في تقدير المال الذي يبتلعه . فإذا قسنا ذلك المال الضئيل على ما ذكرنا من القوائد والمصالح ، وجدنا الجواز لدرء تلك المفاسد ونحصيل تلك المصالح أولى من الجواز لإخراج ذلك المال القليل . فهو قياس أولى فيما نراه .

استدراك تدبر منه :

غير أننا نرى أنه لا بد من الاحتياط في ذلك حتى لا يتوسع فيه الناس بلا مبالاة . فليقتصر فيه على قدر الضرورة ، وليتق الله الأُطباء وأولو الأمر الذين يقولون ذلك ، وليعلموا أن الناقد بصير ولهم من فدير ، والله يقول هدى الجميع .

ماذا يراد بولد الصلب

في عبارة الواقفين ؟

وورد إدارة المجلة ما نصه :

ما قول العلماء الأخيار المالكية في وقف أهلي محكوم بصحته وفرومه من حاكم شرعي حنفي من قضاء المسلمين ، وقفه واقف مالكي للذهب ، وشرط أن يكون النظر أولاً لنفسه مدة حياته ، ثم للأرشد فالأرشد من ولاده نصلبه ، ثم للأرشد فالأرشد من المستحقين بالفعل الخ فأت الواقف المذكور وخلف ولدين ذكرين وتيسنا ما ظنرين على الوقف المذكور ، ثم مات أحدهما وخلف أولادا ذكورا وإناثا . فهل يقوم أولاد

الولد مقدم أيهم في نظارة الوقف المذكور مع ولد لواقف المذكور ؟ وهل يتقدم ولد الولد على ولد الصلب إذ كان أرشد منه ، ولا ينتمه قول الواقف : من أولاده لصلبه ؟ وهل قول الواقف : من أولاده لصلبه ، يشمل ولد الصلب وولد الولد معاً ، أم لا يكون ولد لولد ولداً صليباً مع كونه من أولاد الظهور ؟

أفتونا بنص صريح من معتمد مذهب الإمام مالك رحمه الله وآجركم الله آمين
حسين إبراهيم فرج الحجاب

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .
قد صرح الواقف بأن نظارة الوقف تكون للأرشد فالأرشد ، ورتب في الطبقات ثم ، فجعل النظارة بعده لأولاد الصلب أولاً ثم للمستحقين من بعدهم ثانياً .
وحيث يجب أن يكون مراده أنه إذا وجد أولاد الصلب وتساووا في الأرشدية كانت النظارة بينهم . فإذا زاد أحدهم في الأرشدية اختص بالنظارة . فإذا مات أحدهم وترك أولاداً كانت النظارة لأخوته من ولد الصلب ، ولا تنتقل لأولاده لمجرد الزيادة في الرشد . ومن هذا يتضح أن ولد الصلب في السؤال يختص بالنظارة دون أولاد أخيه ، وأن قول الواقف : من أولاده لصلبه ، بينهم حيث لم يكونوا من أولاد الصلب ، فإن أولاد الصلب هم من لواقف عليهم ولادة مباشرة ، وهو معنى كونهم لصلبه ، وأن مجرد زيادتهم في الرشد على ولد الصلب لا تقدمهم عليه ، لأنها إنما تعتبر بين أفراد العينة الواحدة كما قلنا .

بيان ذلك من كتب الفقه المأثور السائل .

قال الخرشى في شرح قول خليل « أر على بنيه دون بناته » : « وكذلك يعمل الوقف إذا وقفه على بنيه المذكور دون بناته الإناث » إلى أن قال : « وكلام المؤلف في بنيه وبناته

لصلبه ، فيصح وقفه على بنى بنيه دون بنات بنيه ، فهو لا يريد بنيه لصلبه إلا الطبقة الأولى من ذرية الواقف . وقال الصاوى فى الحاشية على أقرب المسالك للدردير عند قوله « وكره على بنيه دون بناته على الأصح » بمد نقل الخلاف فى المسألة ، قال : « وكلام المؤلف فى بنيه وبناته لصلبه ، وأما بنو بنيه دون بنات بنيه فيصح وقفه اتساقاً ، فقابل أولاد الصلب بأولاد الأولاد . وهذا واضح جلى .

هذا وليلاحظ أن هذا الوقف على هذه الصورة التى ذكرها السائل لا يعتبر صحيحاً على مذهب مالك إلا إذا حكم الحاكم بصحته كما فى السؤال . ولولا ذلك لكان باطلاً على مذهب مالك لشرط الواقف النظر لنفسه .

فقد نص فى المذهب على أن الوقف يبطل بشرط النظر للواقف . ووجهه على ما ذكرنا أن فى ذلك جولان يده فيه وعدم حوز الموقوف عليه أو من يقوم مقامه ، ذلك الحوز الذى هو شرط فى تمام لوقف . وقد استثنوا من ذلك صوراً منها أن يحكم حاكم بصحته ، لأن حكم الحاكم برفع الخلاف كما هو معروف .

والخلاصة أن أولاد الصلب هم أولاد لواقف مباشرة ولا يدخل فيهم أولاد أولاده . وألفاظ الواقف تحمل على العرف إلا أن يصرح الواقف بما يخالفه كما نص عليه الأمير فى حاشيته على المجموع ، والشيخ حجازى عليه أيضاً . وحينئذ فأولاد الأولاد لا يزاحون أولاد الواقف مباشرة فى النظر مدام واحد منهم موجود . ولا ينظر لتفوقهم فى الرشد على أولاد الصلب ، إذ لا حق لهم فيه مع وجود واحد منهم كما تفيد عبارة الواقف . وبهذا تبين جلياً أن أولاد الأولاد لا يقومون مقام أيهم فى النظر على الوقف . وأنه لا يتقدم ولد الولد على ولد الصلب إذا كان أرشد منه ، وأنه لا يشمل ولد الصلب ولد الولد .

ولعل فى هذا مقنناً وكفاية

يرسب الرجوى

من هيئة كبار العلماء

الاسلام والطب الحديث

- ٣ -

قال تعالى : « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » البقرة - الآية ٢٢٢ :

إفرازات الجسم على نوعين : نوع له فائدة في الجسم مثل الهضم أو التناسل ، أو إفرازات داخلية تنظم أجهزة الجسم وأنسجته الخ . وهذا النوع يسمى (Secretion) وهو ضرورى للحياة وليس فيه ضرر .

ونوع ليس له فائدة ، بل هو بالعكس يجب إفرازه من الجسم الى الخارج ، وهو مكون من مواد سامة إذا بقيت في الجسم أضرت به ، وذلك مثل البول والبراز والعرق والمحيض . . . الخ . وهذا النوع يسمى (excretion) .

فهذه الآية الكريمة علمت الانسان قبل أن يعرف شيئا عن أنواع الإفرازات أن المحيض أذى وأنه لا يفيد الجسم . وأما الجزء الثانى من الآية الكريمة « فاعتزلوا النساء في المحيض » فسيبه أن الأعضاء التناسلية تكون في حالة احتقان ، والألمصاب تكون في حالة اضطراب بسبب إفرازات الغدد الداخلية ، فالاختلاط الجنسى يضرها ، وربما منع نزول المحيض كما يحصل كثيرا من لاضطراب العصبي ، وقد يكون سببا في التهاب الأعضاء التناسلية .

وهذا هو السبب في أن الطبيب الإخصائى لا يكشف على مرضاه من النساء وقت المحيض .

* *

« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » البقرة - الآية ٢٢٨ :

معنى الآية صريح ، وهو أنه في مدة ثلاثة أشهر تكون علامات الحمل قد ظهرت : من عدم وجود الطمث ، ومن الاضطرابات الممدية ، ومن كبر في الجزء الأسفل من البطن . وميعاد ثلاثة أشهر هو ميعاد موضوع بحكمة فائقة ، لأنه قبل ذلك بشهر يصعب جدا التثبت من الحمل حتى بواسطة الأطباء الاختصاصيين بل الكيميائيين ، وبعد هذا التاريخ تكون أعراض الحمل ظاهرة للشخص العادي . نعم قد توجد حالات يصعب الجزم فيها بالحمل أو عدمه حتى بعد مضي أربعة أشهر أو خمسة أو أكثر من ذلك خصوصا عند العوام ، ولكن هذه لأحوال نادرة ، حتى إنها لا يجوز أن تكون محل تشريع خاص . وقد رأيت حالات في الشهر التاسع اشتبه فيها الاختصاصيون ولم يتبين بسهولة بالأشعة ، فهذه النوادر لا تدخل تحت الأحكام العامة .



« والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » .
البقرة - الآية ٢٣٣ :

مما لا شك فيه طيبا أن لبن الأم أصبح غذاء من كل أنواع اللبن المتاعى ومن اللبن العادى مهما عدل حتى يقرب من لبن الأم . وفائدة لرضاعة للأم مهمة ، لأن اللبن بالنسبة للأم إفراز لواد بعضها يتزايد مدة الحمل لهذا الغرض . والرضاعة نفسها مفيدة للأعضاء التناسلية ، وتقلل من الاستعداد للحمل مدة الرضاعة عند البعض ، وهذا يمنع الحمل المبادر الذى ينهك القوى .

وأما مدة لرضاعة فهي موضوع فيه آراء كثيرة . ويجب أن نلاحظ صحة المولود وصحة الرالذ والظروف المحيطة به . ومما لا شك فيه أن مدة سنتين هي أقصى مدة للرضاعة ، أى بعد ذلك يجب أن يغذى الطفل بغذاء آخر زيادة عن اللبن .

وقد تغيرت النظريات الطبية في هذه المدة ، فقد كان الأطباء يتصحون بالرضاعة مدة تسعة أشهر فقط ، وأحيانا سنتين ، ولكن آخر تقرير في سنة ١٩٣٣ من فائدة

الرضاعة الطبيعية للجسم والأسنان يقول : إن المدة يجب أن تكون فوق السنة ويستحسن أن تكون سنتين كاملتين .

« الله لا إله إلا هو الحي العليم لا تأخذه سنة ولا نوم ... » الخ الآية ٢٥٥ : هذا أبلغ وصف في الاختلاف بين الذات لاهية وبين الانسان ، فبعد أن وصف الإله بأنه حي ، وصفه بأن صفة الحياة فيه تختلف اختلافا كلياً عن حياة الحيوانات ، لأن كل شيء يحتاج الى النوم والإله لا ينام أبداً . ولم يتقدم الطب في معرفة كنه النوم وأسبابه كلها ، ولكن آخر الأبحاث يضع النوم صفة أساسية للأنسجة التي فيها الحياة ، والتغيرات التي تحدث في الأنسجة وقت الحركة هي سبب لاستراحة والنوم . وبالنوم نستعيد الأنسجة سيرتها الأولى كما كانت ، وهكذا . فالنوم ضروري للحياة ، كما أن الحياة والحركة ضروريان للنوم . وبالاختصار إن النوم أشبه شيء بالموت ، إلا أنه موت وقفي ، فكان الله تعالى يقول : إنه حي باق لا يموت . وإلا فلو جاز عليه النوم لجاز عليه الموت لأنه لا حياة بدون نوم .

وإذا علمنا أن ما كتب عن النوم وعن أسبابه في لأفنين من السنين الأخيرة بمئات مجلدات كثيرة حتى إن بعض الفلاسفة والأطباء في أوقات مختلفة كتبوا عن إرشادات لمنع النوم لأنه مضيعة للوقت ولا فائدة منه ، ظهرت لنا حكمة الله ، وظهر لنا أن القرآن لا يأتيه الباطل أبداً ، لأنه وضع النوم شرطاً أساسياً لكل حي . وقد اتجهت الأفكار أخيراً — وجميع المشاهدات العلمية تؤكد هذا — الى أن النوم ناشئ من تغيرات كيميائية تحدث من الحركة في الأنسجة ، فإذا استمرت هذه التغيرات ومنع النوم بالقوة ، أدت الى الموت .

أما إذا تركت وشأنها فانها تؤدي الى النوم الذي يعيد التغيرات الكيميائية الى ما كانت عليه قبل الحركة . وهكذا تستمر الحالة بين الحياة نهاراً والموت الوقفي ليلاً .

د أوكالدي مر على قرية وهي خوية على عروشها قال أتني بحبي هذه الله بعد موتها

فأما الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فما نبين له قال أعم أن الله على كل شيء قدير . وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تنجي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قاي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله مزيّر حكيم « الآية ٢٥٩ :

من غرائب النوم أن الانسان إذا نام وصحاً من نومه لا يمكنه أن يعرف مقدار النوم أكان مدة قصيرة أم آجالاً طويلة ، وعليه أن يعتمد على ما يقوله الناس له . وهذا معنى قوله تعالى : « فلما تبين له » لأنه بعد أن نام مائة عام لم يعرف الزمن الذي مر عليه إلا بالفحص وسؤال الناس الذين حوله . ونوم الانسان مائة عام معجزة ككل المعجزات التي من صنع الله وهي كخلق كل المخلوقات . وسأشرح ذلك في تفسير آيات أخرى . والله لطيف بعباده يختار من طرق الشرح لمبيد ما يتناسب مع عقولهم . وهذا هو أيضاً معنى قصة الطير التي أمر بها إبراهيم عليه السلام ، لأن إحياء الطير بعد موته لا يقل في لا عجز عن خلق آدم أو عن إحياء جميع الموتى . ولكن مخ الانسان لا يستطيع صدمات قوية ، إذ عند وقوعها إما أن ينتحر أو يذهب ليه . ولهذا كانت المعجزات في شكل سهل التناول ، مع أن أبسطها هو من مميزات القدرة الالهية ولا يتسنى للعالم كله أن يأتي به .



« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وادعوا ما بيني وبينكم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » البقرة - الآية ٢٧٨ :

هذه الآية التي تحرم الرأى بترك تفسيرها العلماء التشريع والاقتصاد ، ولكنني سأتكلم عن نقطة طبية واحدة ، وهي تأثير الانفعالات العصبية التي تحدث عند عدم تمكن المدين من الدفع . وكما شهدنا حالات أدت الى ظهور البول السكري ، وزيادة ضغط الدم

والشلل ، وأرق قديودى الى الجنون ، لأن الاضطراب العصبي في هذه الظروف يزيد مادة الأدرنالين في الجسم ، وهذه تؤثر في الضغط الدموي ، وفرازات البانكرياس . هذا الى أن هذه الانفعالات لا تتفق مع النفس المعشنة التي يخطبها الله بقوله : « يأتيها النفس للطمئنة ارحمى الى ربك رضية مرضية » والتي لا تكون إلا حيث يكون الإيمان الثابت .

وقد دلتنا الأزمة الأخيرة على أن الدائن لا يقل ضررا عن المدين ، فقد أفلس أناس كثيرون لأن مدينتهم لم يؤدوا ديونهم ، وأكبر المصارف العقارية في العالم كانت في خطر الإفلاس وما زالت ، لأن الزارعين لم يؤدوا ما عليهم ، فاضطر مساهمو هذه للمصارف الى أن يشاظروا المدينين في الحالة التي تدهوروا اليها .

وهكذا علمتنا الأزمة أن الدائن والمدين اذا استملا الربا حق عليهما قوله تعالى : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » .

وأما الدائنون من الأفراد الذين يتعاملون بالربا أضعافا مضاعفة ، ويرتهنون أشياء تابعة لا تنزل قيمتها مثل الذهب ، فضررهم من الوجهة الصحية شديد ، لأن الإثراء السريع يؤثر في الأعصاب أكثر من المصائب ، وذلك لأن الانسان عند حدوث للصيبة يعالج صدمتها بالأمل في زوالها أو التعويض عنها ، وهذه حكمة إلهية لا تقاوم الصدمات . وأما الانفعالات الناشئة من العلو دفعة واحدة فالانسان غير قادر عادة على تقاؤها ، لأنه لا يتصور زوالها ، إذ لو تصور ذلك لذابت سعادته وذهب سروره بها . وكثير من الأمراض العصبية غير العضوية ينشأ من مثل هذه الحالات .

أما الكسب الحلال مثل التجارة والزراعة ، فانه يأتي تدريجا . ومهما كان كثيرا في النهاية فان صاحبه يرقبه من يوم الى يوم ويتوقع الكسب يوما واخسارة يوما آخر . وبهذه الانفعالات الوقتية المتكررة يقوى على احتمال الصدمات النهائية من الكسب واخسارة

دكتور عبد العزيز اسماعيل

روح الاسلام والمذاهب الفلسفية

« وإذا كانت هذه الشرائع حقا وداعية
الى النظر المؤدى الى معرفة الحق ، فانا معشر
المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني
الى مخالفة ما ورد به الشرع ، فان الحق لا يضاد
الحق ، بل يوافق ويشهد له »
(الفيلسوف ابن رشد)

« وليس في المعارف
الحقة الصحيحة المستقرة
شيء يمكن أن يناقض
أصول الدين ويهدمها »
(الأستاذ المراغي)

بلغ الفكر الانساني طورا ساميا من أطواره في الكشف عن حقائق الوجود ،
ولا ندعي أنه منتهى شوطه ، بل لا يمكن لإنسان أن يزعم أن للنشاط الفكري نهاية
لأن النهاية إنما تكون للمحدود ، ومجال الفكر لا يعرف التحديد وقد كانت هذه
الحقيقة قبل الاسلام سببا في النفرة بين الدين والفكر ، وأخرى أن يقال بين المتدينين
والمفكرين ، لأن الدين به على حقائق ، وتذب القلوب الى اعتقادها ، فاستعصى سهر
غورها على العقول ، وأبى الفكر الحر أن يقف أمامها ساكنا واجبا ، فشى إليها في ثقة
قوة ليكشف عنها ، فانتفض المتدينون لذوده عن مقامه بحجة أن الدين من وحي الله ،
فهو سر من أسرار الله ليس للفكر فيه مجال ، فتجم حينئذ ذلك التناقض الدامي في تاريخ
الانسانية .

فلما جاء الاسلام قرر في أولى حقائقه أنه إذا كان الدين من وحي الله فالفكر من
فيض الله ، وبهذا وضع الاسلام قاعدة التآخي بين الفكر والدين ، فتصالحا في ظله ،
وأخذوا في سبيل هداية لانسانية متماوتين على قيادة الوجود الى سعادة الخلود .

ومن ثم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذون الدين بفطرة تقية وفكر
مذهب ، فلم تنوهم عقبات الجدل الأجوف عن العمل الصادق في نشر الدين في أقطار

الأرض ، ففتحوا الأفطار ، ومصرروا الأمصار ، ولكن هذه الفطرة أصابتها الحياة بالصدأ بعد إذ بعد العهد بنور الوحي ، فاحتجت في أخذها الدين وفهم حقائقه الى أداة من البحث ، وكانت علوم الأوائل قد وصلت الى أيدي المسلمين ، فلم يحجموا عن النظر فيها ولاستعانة بها ، لأنهم وجدوا من الاسلام ديناً آخى بين الفكر والدين ، وهذه المؤانسة هي روح الاسلام الخالدة .

وإذا كانت الفلسفة آية من آيات الفكر الانساني ، فهمى من صميم الاسلام ، لأن الفلسفة ليست شيئاً أكثر من النظر في الموجودات ، وتعرف صلتها بالخالق ، وإبراز حصائصها . وهذا المعنى هو الحكمة في لسان العرب ، والحكمة جعلها الله من أعظم منته على أخصاء عباده ، فقال تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » .

تناول مفكرو المسلمين علوم الفارين ومذاهبهم الفلسفية بالنظر ، وخاضوا خضمها ، ودرسوا مذاهب في الالهيات والطبيعيات ، والفلكيات ، وعلوم النبات والحيوان بقول راجعة ، لا ترد الحق ، ولا تقبل الباطل ، قال الفيلسوف ابن رشد : « ينبغي لنا أن نضرب بأيدينا الى كتبهم (الأوائل) فننظر فيما قالوه من ذلك ، فإن كان صواباً قبلناه منهم ، وإن كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه » .

نعم لم يسلم فلاسفة الاسلام من النقد والتعامل في فترة قصيرة من الزمن ، فمنهم النارة على أسرار الفكر ، وقادة الرأي ، ورموم الزندقة ، ولكن ما لبثت هذه السحب أن تقشمت ، وغلف للمكرون لنا ثروة علمية وذخيرة أدبية يدوم لنا نفعها ما دام أمر الفكر الانساني نافداً في الوجود .

عرضوا لأدق النظريات الفلسفية فبحثوها ، وأثبتوا لهم فيها رأياً قوياً تكنفه الحجة الصادقة ، وبحموله البرهان المبين . فابن سينا لم يترك نظرية إلا درسها وكتب

فيها محمداً ناقداً ، والفارابي لقب لعظمته في البحث بالمعلم الثاني ، وابن رشد قالوا عنه إن كتب أرسطو ما كانت لتصل إلى أيدي الناس لولاه ، وأبو حامد الغزالي الملقب بحجة الاسلام سبق (ديكارت) بتقرير نظرية الشك عند البحث حتى لا يسيطر التقليد على الذهن ، فقال في كتاب (ميزان العمل) : « ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلا ما يشككك في اعتقادك الموروث لكفى بذلك نفعاً ، فإن من لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى في العمى والخيرة » .

هذا حال علماء الاسلام لأقدمين في فهم روح الاسلام ، وإقبلهم على دراسة المذاهب الفلسفية على اختلاف اتجاهاتها ، وبلوغهم فيها درجة جعلتهم أعلام الدنيا ، فاشأنا نحن ؟ وكيف فهمنا روح الاسلام ؟ وما موقفنا من دراسة ما جدّ في الحياة من مذاهب فلسفية قامت عليها حضرة العالم ؟ وكفى عداد المسلمين الآن من فيلسوف ؟ بل كم فيهم من مطلع على الفلسفة اطلاع المفكر الحر ؟ إن الجواب على ذلك مؤلم مؤسف ، ولكن علينا أن نجابه الحقيقة المريرة لفهم أنفسنا ، ونفهم مكاننا الصحيح من ديننا وتاريخنا ، فذلك أجدى علينا من المراوغة والدأورة .

منذ خمدت الحركة الفلسفية الاسلامية في الأندلس ، وانتقلت إلى أوروبا ، سارت مترسمة خطواتنا حيناً من الدهر ، ثم ارتقت فابتكرت مذاهب جديدة صمدت بها إلى ذروة المجد ، وقبينا نحن متخلفين ، بل بقينا منكربين ساخطين ، فتأخر تفكيرنا وجمدت قرائننا وأصابنا العمم ، فما نتج شيئاً فيه ربحنا وعليه طابع ديننا .

جست مذاهب في بعضها هداية نحن أحق بالسبق إليها ، وفي بعضها إلحاد وزيف نحن أحق بفهمها لننقدها ونزيف باطلها ، وجست مذاهب في الطبيعة استخدمت بها أوروبا مرافق الوجود في السماء والأرض .

من الذي درس من المسلمين مذهب (دارون) في التنشؤ ، والارتقاء وطابق بينه وبين ما يقوله القرآن الكريم في أصل الانسان ؟ ومن الذي بحث نظرية الجاذبية

التي كشفها (نيوتن) وعرف صلتها بقول الله تعالى: «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا» والله جل شأنه لا يمسك السماء والأرض كما يتصور الجاهلون، وإني يمسكهما بناموس الارتباط العام بين ذرات العالم أجمع؟ ومن الذي درس من علماء الاسلام مذهب استحضار الأرواح وعرف صدقه من كذبه، وفد ملأ دونه الدنيا، وقلب كثيرا من الحقائق كان يدين بها الديون؟ ومن الذي درس مذهب (ديكارت) وعرف فرق ما بينه وبين مذهب الغزالي؟ ومن الذي درس نظرية النسبية التي وضعها (نشتين) وعرف قيمتها؟...

أنا لا أنكر أن أفرادا من أذكى المسلمين متبشرين هنا وهناك وجهوا أفكارهم هذا الاتجاه الصالح، فدرسوا واطلوا، ولكنهم قليلون، وهم مع قلةهم مبالغوا أن تكون لهم آراء تقسم إلى جانب آراء فلاسفة الغرب كما كان لأسلافنا من الاستقلال الفكري، ونحن لا نريد أن نقف من الحياة موقف التمرج، ولا موقف المقلد، لأن ديننا وتربختنا يبيان علينا ذلك الجرد، ويحدثنا على النظر والدرس: «أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء؟»

إن الأهر، وهو أعظم معاهد الاسلام، يجب عليه أن يمد يده إلى هذه المذاهب الحديثة ويدرسها ليخرج فيها فلاسفة يقودون الأمة إلى سرائق النلاح، وإنه لا فلاح لأمة جامدة التفكير. يقول الفيلسوف ابن رشد: «يجب علينا إن لقينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظرا في الموجودات واعتبارا لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما أثبتوه في كتبهم، ف كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق فنهنا عليه وحدثنا منه وعذرناهم». بهذا النحو من التفكير تقدم ابن رشد على الناس: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق».

هل للمرأة أن تتعلم العلوم العالية

وأن تحافظ الرجال وتشاركهم في الأعمال ؟

كتب البنا كاتب فاضل يقول : يرغب بعض الشبان اليوم أن تتعلم المرأة المصرية العلوم العالية ، وأن تحافظ الرجل وتشاركه في الحياة العملية ، زعماء منهم أن في هذه المحافظة والمشاركة فائدة لها والمجتمع ، ويرى غيرهم أن ليس لها ذلك ، فهل لكم أن تبينوا الحق في هذه القضية من النواحي الاجتماعية والأدبية والدينية ؟

ونحن نجيب حضرته بأن الاسلام يضع للنشاط العقلي للمرأة حداً ، فأباح لها أن تتوسع في العلوم ما أمكنتها الفرص من ذلك ، وما ساعدها عليه استعدادها ، ولم يمنعها أن تبت علمها في الناس ، ولم يحظر على الرجال الأخذ عنها ، بل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » يريد عائشة أم المؤمنين . وقد روت ما رآته من سنته ، وما وعته ذاكرتها من كلماته ، وأخذ منها الرجال ، وكانوا يقصلونها ليستزیدوها عما . وما كانت هي تضمن عليهم بذلك .

ورويت لغيرها من نسائه صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة أخذها عنهن المسلمون وعملوا بها .

وشهر في التابعين نساء أخذن العلم وبرعن فيه ، منهن ابنة سعيد بن المسيب ، ومما روى عنها أنها لم تزوجت وبكرت زوجها خارجاً ، سألته أين يذهب ؟ فقال لها الى حلقة أليك سعيد . قالت له : اجلس أعلمك علم سعيد .

فالمسلمون في الصدو الأول لم يروا بأساً من أن تتلقى المرأة العلوم العالية . فلما استبحر العلم فيهم ونبع فيهم لآئمة أصحاب المذاهب ، لم يروا حرجاً منهم بأساً في تلقي المرأة العلوم العالية ، بل سمحوا لها أن تجتهد إن بلغت درجة الاجتهاد ، وجوز بعضهم أن تلي القضاء ، وأن تقضى المسلمين .

وقد دل تاريخ المسلمين في جميع أدوارهم أن نساء بلغن درجات عالية في لأدب وسائر العلوم ، ولم يوجد من أسكر ذلك عليهن على أى وجه من الوجوه .
أما مشاركتها للرجل في أعماله الخارجية ، فإن العطرة المجردة والعلوم العصرية نفسها نافيها ، وترى فيها خطرا عظيما على المجتمع .

فأما العطرة فإنها نأبى أن ترى المرأة ، التى اختصها الخالق بمهمة تكثير النوع الانسانى وتربيته ، تتكلف ، فوق ما تعاميه من الشاق ، مشاطرة لرجال أعمالهم المرهقة ، وأن تهجر دارها ساعات طويلة ، وأن تترك أولادها يهيمون على وجوههم في الشوارع والأزقة وهم في أشد الحاجة الى حمايتها ورعايتها .

هذا أمر يأباه مجرد العطرة ، لذلك ألهم الناس من أقدم عهودهم أن يضمنوا بنسائهم عن الأعمال الخارجية ، وأن يقصروهن على الحياة الداخلية ، اللهم إلا همجا متوحشين يمشون بجوار الغابات الأفريقية والامستريالية ، فيجاس دجالهم لا يعلون شيئا ويسرحون نسائهم ليجلبن لهم ما يتسنى لهم جبهه من جذور الأشجار وأوراقها ، وما يصطدنه من بعض الحيوانات الصغيرة ليتناولوا بها ، كما تفعل الوحوش الضارية ، فهو لا يقيم لهم وزن ، ولا يعبا بهم في استدلال .

وأما العلم فقد قال كبلته الأخيرة في هذا الموضوع ، ولا يزال أقطابه يرددونها في كل مناسبة . وإنا نؤتى القارئ خلاصة من ذلك مستخرجة من كتاب النظام السياسى على مقتضى الفلسفة الوضعية للفيلسوف الكبير أجوست كومت الفرنسى ، واضع تلك الفلسفة ومؤسس علم العمران ، قال : « ينبغي أن تكون حياة المرأة بيتية ، وأن لا تتكلف بأعمال الرجال ، لأن ذلك يقطعها عن وظيفتها الطبيعية ، ويفسد مواهبها الفطرية . وعليه فيجب على الرجال أن ينفقوا على النساء دون أن ينتظروا منهن عملا ماديا ، كما ينفقون على الكتاب والشعراء والفلاسفة ، فإذا كان هؤلاء يحتاجون لساعات كثيرة من الفراغ لا إنتاج ثمرات قرائنهم ، كذلك يحتاج النساء لمثل تلك الأوقات ليتفرغن

فيها لأداء وظيفتهن الاجتماعية : من حل ووضع نظرية . ومن جهة أخرى فإنه لو سمح للنساء ، على ضعفهن ، أن يشتغلن خارج بيوتهن ، تعرضن لمنافسة قوية من جانب الرجال ، فلا ينلن بجانبهم إلا الخشلة التي يعفون عنها ، فيقعن في الفاقة ولا يجدن الفتى إلا تملنا . بله الضرر الفادح الذي يحيق بمجتمعاتهن من جراء خروجهن على نظام الطبيعة ، وعصيانهن لتوايمس الحياة الصحيحة .

هذا رأى العلم الحق ، أما ما يكتب ضده وينقله عنهم المفتونون بالمظاهر منا ، فهو رأى جمهرة من قصصيين وكتّاب إباحيين يسوغون للمرأة أن تخرج على مقتضى الفطرة ، ويخدعون السطحيين من القراء عن الحقائق العلمية ، وغرضهم من ذلك ترويح كتاباتهم بدعوى تجديد الحياة الاجتماعية ، والخروج مما رث ويلي من التقليد الوراثية .

وقد أثرت هذه الكتابات في أوروبا والشرق بسبب أن الناس ميلون الى قراءة الأقايمص ، والكتابات السطحية التي توافق غرضهم الشهوانية ، فتكون رأى عام على أصالة هذه النظرية ، فاندفع الناس في تحقيقها اندفاعاً جنونياً ، فهجر النساء الدور وأقبلوا على الأعمال الخارجية ، وكان من أثر هذا الاختلاط ذبوع عادات لا تتفق والحياة الصالحة ، كانت شراً مستطيراً على الزواج المشروع ، فكثر الأخدان والخدينات ، وطمت العلاقات الخائنة بين الجنسين ، وشاعت العزوبة بين الشبان ، وأصبح التبرج المخالف للذوق السليم عادة مألوفة ، واستهتر الناس في ذلك حتى أصبحوا يرون أن يروى للنساء نصف عاريات ضرب من ضروب الأناقة ، ووجه من وجوه الظرف ، وحتى صار مما يروى أنهم أن تصور لهم الجرائد اليومية التي يقرءونها صور الخليعات المتهتكات ، فيصرفو في التأمل فيها وقتاً ثميناً ، ويدعوها لا بناتهم وبناتهم غير خاشين أن ذلك يؤثر في آدابهم تأثيراً شنيعاً .

ولكن الانسان متى اعتاد شيئاً وألفه ترقى فيه وأبلغه الى أقصى أطوره ، فانهى

أسره بأن لا يقنع بالمرى المصنى ، فأوجد العرى الكامل فى بعض المسارح التى يتردد عليها . فخل وقف به التطور فى الخنا الى هذا الحد ؟ لا ، ولكنه أبى إلا أن يبلغ به الى ما بعده ، فابتكر مبدأ العرى فى الأحوال العادية لا على المسرح فحسب ، وأسس أنديته فى أكبر عواصم بلاد المدينه يجتمع فيها رجال ونساء ، فيتجردون من ثيابهم ويمضون ساعات طويلة على تلك الحالة فى غناصرات وألعاب رياضية ، وما تجر اليه من ضروب المنكرات ، ثم يلبس كل منهم ثيابه ويعود الى بيته .
فعم إن الحكومات تضيق الخناق على هذه الأندية ، وتطارد أصحابها ، ولكنها عاجزة عن ملاقاتها ، وهى تزيد انتشارا يوما فيوما .

أفتظن أن تطورات الانسان فى هذا الباب تقف عند هذا الحد ؟ اللهم لا ، لا إذا حدث ما ليس فى الحسبان من حدوث قوارع جسيمة ، ومثلات ما حفة ، يقتضيها هذا العمل الحيوانى البحت ، فيرد أصحابه منه صاغرين : « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » .
هذا ولو دفع الباحث فى شئون العالم ، وشخص علل المجتمعات العصرية تشخيصا علميا دقيقا ، لراى أن أكثر ما تشكو منه هذه المجتمعات من تدهور أدبى ، ونقد اجتماعى ، واضطراب مالى ، منشؤه تساعها فى نهتك النسوة ، وتركها جالهن على عواربهن .

فعم إن من غسائر المرأة القصور ، ولكن الرجل لا يفتأ يخضعهم بالمسؤولات والمغريات ، لميت هذه العريضة فيها ، ويطوح بها الى ميدان الإباحة ، وقد أتيح فى إغرائها الى حد بعيد ، فهى اليوم تتبع خطواته ، ولكنه قد بدأ يتبرم بها ، حتى إن أشد المولمين بفتنتها أخذ يشهر بنهتكها ، ويبنى أقاصيصه على إغرائها فى تبذلها .

وقد خسرت المرأة من استسلامها لهذه الآراء الضالة كل مميزاتها ، ولم نستعص منها شيئا مما وعد بها مضالموها .

كانت المرأة ممنوعة في سُر من العرة ، فأصبحت بهذا التهنك مبتذلة . والتهتك في حقيقته مبالغة في عرض النفس ، وكل معروض مهان كما لا يخفى . والاضراب عن الزواج مظهر من مظاهر هذا الهوان . فكان للمرأة كثرة عرضها نفسها على الرجال قد فقدت أعز شيء ، عليها وهو عرشها !

وكانت المرأة في الدار حاجة من حاجات النفس ، يسكن إليها الرجل ليروح عن نفسه ، فأصبح الرجال لكثرة اختلاطهم في الحياة العملية بالنساء ، يتطلبون وقتاً يخجلون فيه لأنفسهم بعيدين عنهم ، فسكرها الزواج ، وأرادوا أن تكون بيوتهم خلوا منهم ، لأنه لم يبق معنى لاستمرار العيش معهم خارجا وداخلا !

وكانت المرأة تُدخِر لأداء أسمى مهنة في العالم وهي تربية الصغار ، وتلقينهم مبادئ الآداب ، وأصول الأخلاق . وقد أطنب الفلاسفة والمربون في خطورة المدرسة البيئية ، فجُردت المرأة بتأثير هذه التعاليم الفاسدة من وظيفتها الشريفة ، وأسندت إليها وظائف مبيدة لكرامتها النسوية في المرافق والمقاهي ودور التمثيل والسينما . وكسرت الإباحيون وراء كلمة الفنون الجميلة ، فأحدثوا انقلابا خطيرا في حياة المرأة ستجني الانسانية شروره أجيالا طويلة .

هنا يشور علينا تأثر فيرفع عقبرته قائلا : أنتم تريدون أن تسجنوا المرأة ، وأن تدلوها ، وأن تستغلوا مواهبها ، وأن تسلبوها استقلالها ، وأن تجردوها من كل عمل تكسب به قوتها ، وتحتل به مكانها تحت الشمس .

كلمات جوفاء ! استخدمها هؤلاء ، الثائرون على نظام الطبيعة في استدراج النساء إلى الحياة الإباحية ، ولا يزالون يستعملونها استر خطيئتهم الفادحة . ولكن على من كل هذه التثرة ؟ أعلى أرفع الناس عقولا من الفلاسفة والاجتماعيين ، أم على الذين يرون بأعينهم المخازي التي جنوها على مجتمعاتهم وضاعت فيها حيل الصالحين ؟ !

إن الناس يشهدون اليوم ندهورا خلقيا ، وانحطاطا أدبيا ، لم يرو تاريخ البشرية

مثيلاً ، فإذا كانت حياة النوع البشري لا تقوم إلا بانغماسه في هذه المقادر ، فأهون بها من حياة نموت معها جميع النرائز الانسانية الكريمة : من الغيرة على العرض ، والحرص على الكرامة ، والترف عن الفحشاء ، والتزهد عن النقيصة .

لو كان لانسان خلق بهما لعاش عيشة البهائم ، ولما ناز على هذه المقادر ، ولكنه خلق إنساناً ، فهو كما يشعر بشهوات جنائية ، وأهواء نفسية ، كذلك يشعر بمميزات معنوية . يمنحها الحيوان ومنعها الانسان ، لتصدده عن التزوات البيعية . فالانسان قد ينحط ، وينحط ، ويتغلغل في الانحطاط الى أبعد حد ، ولكنه لا يفقد مميزات المعنوية مهما أراد أن يفقدها ، فلا تزل به حتى ترهب تلك المقادر على حقيقتها ، فيثور عليها ، ويدفعها عن نفسه في شيء كثير من العنف والجبرية .

ودلينا على هذا أن الانسان كثيراً ما سقط في مهاوى الرذيلة حتى ظن أنه لن يخرج منها ، وأنها قتلت كل ما فيه من غرائز شريفة ، ولكنه لم يابث أن تنفضها عن عاتقه ، وخرج منها يتطلب الحياة الصحيحة . لو كان الأمر جارياً على غير هذه السنة لما رأيت للفضائل دولة في الأرض بمد أن بلغت الرذيلة أقصى مداها في أحوار كثيرة من حياة البشرية .

فأما ما يشعرون عليه من سجن المرأة وإذلالها ، وسلب استقلالها ، فتلك مبيحات يقصد بها التهويل ، وطمس معالم الحقائق ، وإلا فكيف يتخيل الناس أن قصر المرأة على مملكتهم البيتية سجن وإذلال لها ؟ وهل يطالبها المصاحون المعاصرون بنير ذلك ؟ وإذا كان يفهم أن اشتغال الانسان بما خلق له سجن له ، فكنا إذاً مسجونون ، من أول المؤلف في مكتبته الى المعدن في منجمه . وإذا كان هذا يستقيم في الفهم فلتعتبر للمرأة مسجونة كجميع أبناء نوعها ، إذ لا وجه لاستثنائها منهم .

أما استقلال المرأة فلا يعني في علم الاجتماع شيئاً غير الشذوذ من الربط الاجتماعية ، فإن للمرأة خلقت لتكون زوجة ، ولزوجية تفرض على كلا الزوجين التزامات متبادلة ،

فلا معنى للاستقلال هنا مع وجود هذا الترابط الوثيق بين الاثنين . ولكن لما كان القصصيون الذين لا شغل لهم إلا في الكلام من الحب والمحاولات الغرامية والخيانات الزوجية ، فهم يلوحون بهذا الاستقلال للمرأة ليسوعوا لها الخروج على الالتزامات الزوجية ، بل وعلى نظم الطبيعة نفسها . وإذا كانت على النظم الاجتماعية هم الأدباء والقصصيون ، فعلى الاجتماع البشرى العفاء وسوء المنقلب .

ويقولون : أريدون أن تجردوا المرأة من كل عمل تكسب به قوتها ، وتقول نحن : لا ، فإننا نريد أن تكسب المرأة قوتها من طريق الزوجية ، لأن الله خلق النساء على عدد الرجال مع تفاوت لا يمتد به هنا تارة وهناك تارة أخرى ولكنكم أنتم بتسويلائكم لها الخروج والتبرج والاختلاط بالرجال ، قد عملتم من طريق غير مباشر على إشاعة المزوجة كما قدمنا . وشيوع المزوجة يفضي الى وجود جيوش من النسوة لا يجدن القوت ، فيضطرون للعمل مع الرجال والعمل مع الرجال يزيد من إغراقنا في المزوجة للأسباب التي لا نحكي على أحد . فأنتم الذين قضيتم على المرأة بأن تذلل في العمل الخارجى . نعم : هو إذلال لها أى إذلال ، فإنها لم تخلق لتتمن كباتمة أو كاتبة أو سائقة أو ترمويل أو مسارة أو حوزة الخ الخ ، ولكنها خلقت لتكون ربة بيت ، وأن هذا البيت لو كان كوخا فقيرا فهو أكرم لها ، وأحفظ لميزاتها من أن تكون بالمة أو كاتبة أو سكرتيرة . ولنا نذكر أن المجتمع مهما بالغ في المحافظة على النظام العيسى حبال النساء فيوجد منهن من يعوزها القوت ، ولكن عدد المعوزات يكون قليلا يمكن الحكومة الرشيدة من ندير أعمالهن تليق بكرامتهن .

ولكنكم أيها الثائرون لا يعنيكم قوت المرأة ، وإنما يعنيكم أن تجدوا بطالات لا قابضكم من المائلات المليلات ، وما لكم والنساء الطامعات التي تلفح وجوههن النار ؟ فليس مقصدكم المدافعة عن النساء ولكن إخراجهن من خدورهن ، وما إكثاركم من ذكر استقلالهن وحقوقهن إلا ستر لمبادئكم الإباحية .

وقد قطنت أوروبا وأمريكا ما يبتى على عمل للمرأة وحريتها المفرطة واستقلالها من الضار على الشئون الاقتصادية ، فأخذ مصلحوها يضمون حداً لمصلحتها الخارجى ، ويدعونها للدخول فى خدورها ، وقد أخذت هذه التحولات شكلاً عملياً فى كثير من الأمم الصناعية كالولايات المتحدة والمانيا وإيطاليا ، ولا بد من أن تبلغ أقصى غاياتها فى مستقبل ليس بالبعيد .

هنا يسوغ لى أن أرفع صوفى عالياً ، مؤكداً أن الفطرة الانسانية الكريمة أحكم من أن تقع فى هذه المخاخ الشيطانية ، فتدع هذه المدنية التى حصلت بها بئس جهود جباذة وفى قرون عديدة ، تعمل وتلاشى تحت تأثير السبب نفسه الذى حل ولاشى المدنية الرومانية من قبل ، وهو تبرج النساء وطفان الميول الإباحية . فإن عجز المصلحون عن قمع هذه الميول فليست هذه المدنية بأكرم على الله من اللذنيات التى سبقتها ، فإنها تنوء تحت عبثها القاتلة ، وتصبح كأن لم تكن شيئاً مذكوراً ، وتعمل محالها مدية يعرف أهلها كيف يحافظون على الحدود التى حدها المبدع الحكيم للخلق : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »

محمد فرير وعبدى

الوصية بالمرءة

كان صد الملك بن مروان يقول : يا بنى أمة أحسانكم أعراضكم ، لا تعرضوها على الجهال ، فإن الدم بق ما بقى الدهر . والله ما سرى أنى هجيت بيت الأعمش ولى طلاع الأرض ذهباً وهو قوله فى علقمة بن علاثة :

يبينون فى لمشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى يستن خائصا
والله ما يبالى من مدح بهذين البينين ألا يمدح بغيرهما ، وهما قول زهير :
هالك إن يستحبوا المال يخلوا وإن سألوا يعطوا وإن يسروا يعاوا
على مكثهم حق من يعتريهم وعند المتدين الساحة والبذل

الإخلاص في القول والعمل

داعية السداد

لم تقم عمرة هذه لدنيا منذ عهد الخليفة بالوجود ، ومنذ تضافرت القوى على بناء الاجتماع وإنشاء مؤسسات الخير كأفضل ما يدل على عظم هذا الوجود من أثر ، إلا على إخلاص المخلصين . فبالإخلاص للجماعة ، وهو أول دور من أدوار الاجتماع ، يسعد المجتمع في آجله وعاجله . وبقدر ما يشيع الإخلاص في عمل العاملين له يكون النجاح والفلاح

أسس الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم بمجموعة صالحة كانت هدى ورحمة ، وبشيراً بإسعاد الخلق ، فقامت من بعدهم خلف على أقدامهم وصلو سلسلة الاجتماع ، ثم تابعوا السير فأنشأوا بقوة ما حلوه من رسالات ، وأدوه من أمانات ، ترانا إلى الأمم مجيذا يتوارثه الأَخلاف عن الأسلاف ، ويستضيء به الأَعقاب ويتخذونه لهم شرعة ومنهاجا . أُرأيت شيئا في هذه الدنيا قام على غير الإخلاص ؟

لقد كان الإخلاص ولا يزال نورا يهتدى به الأئمة والرؤساء ، والزعماء وأولو الرأي من العلماء . والله سبحانه أبى إلا أن يفتح للمخلصين إلى الخير طريقا ، لأن الإخلاص معناه تضييع القلب لله وتجريده عما عداه . من أجل ذلك لم يأخذ الله الناس بأعمالهم فحسب ، بل أخذهم أيضا بخوايا قلوبهم ، فإن كانت النية معقودة على الخير ثم قُتِرَتْ بعده فعلا كان الأجر عليه مضاعفا . وهذا يفسر حديث ابن عباس عن الرسول لأعظم صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله عز وجل قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم يتن ذلك : فمن لم يحسنه فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن لم يعملها كتبها

الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن لم يسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن لم يعملها كتبها الله سيئة واحدة » . (١)

ومما هو جدير بالتنويه أن الإخلاص فوق ما أعد الله له من مثوبة ومضاعفة إحسان ، يتعجل لثوبة في الدنيا ، كما يتعجل عكسه العقاب . فالخلصون يجرّون بأعمالهم خيرا في حياتين العاجلة والآخرة ، وهذا من الله سبحانه تمكين لقلوب المخلصين في الاطمئنان إلى الجزاء لا وفي ، وترغيب إلى من يهيج نهجهم في تلك الثوبة حتى تم بمجموعة من الخير أنواعا من العباد ، فيتضاءل الشر في القلوب والجوارح ، ويشيع الخير فيها فيتمو العمل الصالح ، فتتوثق روابط الاجتماع ، وتتماصّد الجوارح ، وتتآخى القلوب .

ما هلكت الأمم السابقة إلا لأنهم فقدوا نعمة الإخلاص ، وأعوزهم الصبر على أسكاره والويلات ، وأدركهم العجز عن الإخلاص والوفاء لله ، فنشروا في آفاقهم الخلل والخديعة ، واللق والرياء والمداورة ، فانهار بناء قوميتهم ، وتحللت منهم العزائم ، وضعفت في نفوسهم الآمال . وما حيت الأمم وكتب لها الوجود في صيغة الخلود بأثارها ومنفعة أخلاقها وقوة عقائدها وصحة ذوقها وسلامة مطلقها ونضوج عقليتها إلا بالإخلاص . فالإخلاص وحده ملاك الخير وعنده ، وقوته وسنده .

فإذا ترامت إليك الأنبياء بإخفاق الزعماء ، وذل العلماء ومهانة الرؤساء وفناء الكبراء في أمة من الأمم ، فلك أن تستخلص من آيات فضائلهم وعنوان ضعفهم أنهم فقدوا الإخلاص في جميع مناحيه ، واتخذوا إلههم هوام .

فالإخلاص حين يقترن بالأعمال وتتفاعل به النفوس المطمئنة ، ينشأ عنه تفاعل مطرد البناء بين أجزاء المجتمع ، قال الله عز من قائل : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

تأريخ الالفاظ في اللغة العربية

كلمة (الأدب) وأطوارها

— ٢ —

عرضنا في المقال السابق إلى رأى الباحثين المصريين من أنصار الماضي الذين جددوا في طرائق لأداء ، وقلدوا في الاتجاه والموضوعات . والتقليد في الاتجاه تجديد في الأدب العربي لأنه تقليد لباحثين جدد ليسوا من عصارة الفكر العربي ، ففهموا الأدب العربي طبقاً لبيئتهم وطبيعة تفكيرهم ، فأحسنوا كثيراً فيما يتصل بالطبيعة العامة للتفكير الإنساني ، ولكنهم أساءوا فيما يتصل بالطبيعة الخاصة بالعرب ولاسلام بل بالشرق عامة .

وأما التقليد في الموضوعات ففيه خير كثير ، وليس هو محض الخير . هو خير لأنه قائم على أساس من الحياة ، لأن فديتنا حتى بلغته وأسايبه ، وحتى بما أكتبه الاسلام من أفكار خالدة . وهو شر لأنه يقف بالعقول عند أدنى مراحل الحياة ، وهذا حكم بالعمى على الفكر الإنساني يحجزه عن الخلق والابتكار ، وليس في طبيعة المكر الخسوع لهذه القيود التي ترفضها الحياة ، ويأبأها تطور الزمن .

وسنعرض في هذا المقال إلى رأى الباحثين المصريين الذين أغرموا بالشوكة على الماضي ، ثورة جاعحة في كثير من الأحيان ، وثورة فيها شيء من الاعتدال في بعض الأحيان . وهؤلاء مقلدون في طرائقهم وموضوعاتهم لباحثي الغرب من المستشرقين ، وهم مجددون في التطبيقات لنظريات أولئك الباحثين ، أى في إخضاع لغتنا وأسايبنا وتفكيرنا وطبيعتنا لتلك القوانين التي وضعها المستشرقون للأدب العربي .

أنصار هذا الاتجاه (الناصر) يأبون التسليم لتلك الشواهد القليلة التي ساقها الأولون في بيان أطوار كلمة (الأدب) ويحاولون تتبع تاريخ الكلمة مستعدين لأطوار الحياة

العربية وأوضاعها أكثر مما يستندون الى تلك النصوص التي يشكون فيها شكاً عريضاً، وينكرونها إنكاراً جامعاً يقتلها مع أشخاصها وقبائلها من وجه الأرض .

هذا الاتجاه على ما فيه من غلو وإفراط يسمج به في عالم الخيال، قد يكون مفيداً للأدب العربي في توجيهه وجهة من الحياة تتطلبها الفكر المعصرى، ومفيداً أكثر في تنبيه الأذهان الى إعداد المدة لدفع الهجوم، ويفرط في التشاؤم من يخشى على الأدب العربي من هذه الثورة في البحث لأنها في مقدمتها إنما تعتمد على الفرض والتخمين .

وقد اخترت بعد إنعام نظر وطول تفكير أن أمثل هذا الرأي في باحثين قد لا يخرج كلام غيرهما من أنصار هذا الرأي عن كلامهما .

يقول الأستاذ المستشرق (نلينو) : إن كلمة « أدب » مشتقة من الدأب بمعنى السادة، ويرى أنها لم تشتق من المفرد وإنما اشتقت من الجمع ، فقال لقد جمعت « دأب » على « أدأب » ثم قلبت فقيل « أدأب » كما جمعت بر ، ورثم ، على آبار ، وآرام ، وكثير استعمال (الآدأب) جميعاً للدأب حتى نسي العرب أصل هذا الجمع وما كان فيه من قلب ، وخيل إليهم أنه جمع لا قلب فيه ، فأخذوا منه مفردة (أدأب) لا (دأب) وجرى استعمال هذه الكلمة بمعنى العادة ، ثم انتقل من هذا المعنى الطبيعي القديم الى معانيه الأخرى المختلفة .

قال الدكتور طه حسين نافداً لهذا الرأي بعد سوقه في كتابه (في الأدب الجاهلي) وظاهر أن رأى الأستاذ نلينو كراى غيره من أصحاب اللغة يعتمد في أصله على الفرض، فليس لدينا من المصوص أو القرائن العملية الواضحة ما يبين لنا أن لفظ (الأدب) قد اشتق من (الأدب) بمعنى الدموة الى الولاثم ، أو قد اشتق من الآداب جمع دأب . نأخذ هذا النقد في جانب البحث ، ونضيف اليه أسئلة لا يمكن أن يسلم هذا الرأي ولو خلس من نقد الدكتور طه إلا إذا أجيب عنها ، فالأستاذ نلينو لم يقل متى كان هذا الاشتقاق حتى يعتمد عليه تأريخ الكلمة ؟ وكيف كان الاشتقاق من الجمع ؟

وما نظيره في لغة العرب ؟ وفي أى مذهب من مذاهب علماء اللغة كان الجمع أصلاً من أصول الاشتقاق ؟ وفي أى عصر استعمل العرب هذه الكلمة بمعنى العادة ؟ وأى معنى من المعاني الأخرى كان أسبق في الانتقال إليه من هذا المعنى الطبيعي ؟ وما معنى كون هذا المعنى طبيعياً ؟ وإلى أى عصر يمتد قدم هذا المعنى الطبيعي ؟ وكيف خيل إلى العرب أنه جمع لا قلب فيه ؟ وكيف أخذوا مفردة أدبا ، لا دأبا ؟ هل كان ذلك بطريق تعليمي ، أو هي السليقة تحيلت وأخذت ؟ !

على أن التنظير بلفظ بئر ورثم لذي سند به الأستاذ ثلثين رأيه ليس تاماً من كل وجه ، لأن « بئر ورثم » وإن أقالما الشبهة في جانب القاب يبقى جانب الاشتقاق معها لا يستند شيء ، وهو الأصل في البحث .

ويقول الدكتور طه حسين : إنه ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت أن لفظ الأدب وما يتصرف منه من الأفعال والأسماء قد كان معروفاً أو مستعملاً قبل الإسلام .. ويمد يد الدكتور طه هذا الحكم إلى زمن صدر الإسلام ، ويرى أن حديث « أدبى ربي فأحسن تأديبي » لا يثبت حكماً لغوياً إلا إذ ثبت ثبوتاً لا يقبل الشك أو كان من الواجب على أقل تقدير أنه صحيح بلفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم . وهو لا يحفل بالكلام المحمول على الخلفاء الأربعة مما يستشهد به مؤرخو الأدب ، بيد أنه يسلم أن هذه الكلمة (لأدب) كانت شائعة مستفيدة أيام بني أمية ، وأن أول معنى استعملت فيه إنما هو التعليم ، ثم خلس إلى فرض افترضه كما افترض من قبله الأستاذ ثلثين فقال بمد تمهيد في تأثير لغة قريش في لغات العرب وتأثيرها بها : فإذا لم نجد مادة الأدب في لغة قريش ، ولا في العبرانية ، ولا في السريانية ، فليس ما يمنع أن تكون هذه الكلمة قد دخلت في لغة قريش إبان العصر الأموي ، انتقلت إليها من إحدى اللغات التي ضاعت .

من هذا الفرض الطريف الذى فرضه الدكتور نفهم أنه يؤمن بأن العرب عرفوا

مادة (الأدب) في عصرهم الجاهلي القديم ، وإن كان هو لم يفصح عن المعنى الذي استعملت فيه المادة ، ولم يبين عن الصيغ التي تداولها أولئك العرب الأقدمون في إحدى اللغات العربية التي ضاعت ، ومنها انتقلت الى لغة قريش . وكذلك لم يصرح بالسبب في عدم معرفة لغة قريش لهذه المادة معرفة (ذاتية) تقضيها دواعي التعبير ، أو معرفة مستمدة من إحدى أخواتها في العصر الجاهلي .

ونحن نؤمن هذا الايمان بأن العرب عرفوا مادة (الأدب) في العصر الجاهلي ، ونؤمن إيماناً زائداً بأن لغة قريش لم تتخلف عن صوابياتها في هذه المعرفة .

وسنتحدث في مقال مستقل عن قيمة التصوص الأدبية المعزوة الى العصر الجاهلي واختلاف اللغات ، والحياة الأدبية لدى العرب ، وتوحد لغة الأدب في ظل لغة قريش قبل مجيئ الاسلام ، ومناقشة دواعي الشك في تلك التصوص . وستعلم أن هذه الحياة الأدبية كانت إذ ذاك خصبة متمعة قوية ، فيها من المعاني والمعارف ما يجعل وجود مادة الأدب في لغتهم يسيراً مقولاً ، لأن اللغة في حقيقتها ووجودها تعبير عن مظاهر الحياة ودواعيها . ولستأ نفهم أي مانع يحول دون صحة هذا البيت :

نحن في المشتاة ندعو الجاهلي لا ترى الآداب فينا ينتقر

إذا جاءنا عن طريق الرواية الراجحة أن عربياً جاهلياً يقول الرواة بن اسمه طرفة ابن العبد قاله متمدحاً به ذاكراً مجد قومه بأخص صفات العرب وهي الكرم والجلود وهو يهذبنا الى أن العرب في عصرهم الأول عرفوا مادة الأدب بصيغة اسم الفاعل وبمعنى الدعوة الى الولائم .

وإذا قرأنا في بعض كتب الأدب المعتبرة عند أئمة الأدب أن امرأة عوف بن عجل الشيباني أحد سادات العرب في الجاهلية قدمت لي بنتها حين أريد حملها الى زوجها الحارث بن عمرو ملك كندة بنصبغة الأم المجربة الى الفتاة الغريبة الحديثة العهد بحياة الزوجية وإدارة البيت فتقول فيها : أي بنية : إن الوصية لو تركت لفضل (أدب)

تركزت لتلك منك . فليس من حرج يقف دون أن نفهم أن مادة الأدب جاءت حيثما
آخر في صيغتها ومعناها ، فن حبة الصيغة استوت نصا في الموضوع — كما يقول
الأصوليون — ومن ناحية لمعنى فقد نحت نحوا جديدا غير المدعوة الى الولايم ،
وأصبحت تؤدي معنى التهذيب والتعليم وحسن الخلق .

وبذا حدثنا أبو الفرج في الأغاني أن المنذر الأكبر أهدى الى أنوشروان جارية
كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر ابن أبي شمر الفسائي ، فكتب اليه بصفتها ،
وقال في ثنائه كتابه : « قد أحكمتها لأمر في الأدب » ، فلا علينا أن نجري هذا النص مجرى
الشاهد المؤيد لحجة عرفان العرب الجاهليين هذه للمادة وذهبهم بها مذاهب متنوعة .

قد يكون بعض هذه القصص مصنوعا موضوعا ، ولكن تعددها يحجبها
من البطلان مرة واحدة ، وهي على الأقل تفيدنا أن العلماء والرواة كانوا مطمئنين
الى أن هذه المادة مما كانت تعرفه لغة العرب الأقدمين ، وهذا الاطمئنان لا تنسك
به كدليل على إثبات حكم أقوى ، وإنما هو سبيل الى الحجة العامة ، وإن لم تعتمد على
شاهد جزئي ، لأن ذبوع المادة اللغوية بصيغ كثيرة وتداولها على الألسنة يحتاج
الى زمن طويل يصقلها ويذيعها ويشرها بعد ولادتها ، وأما قدرنا زمن واضع إحدى
هذه الروايات الأدبية فلا بد من امتداده الى الماضي بالنسبة للمفردات زمتا كافيها
لجعلها مألوفة الاستعمال ، وهو لا يقصر بها عن الامتداد الى العصر الجاهلي

صاحب إبراهيم عجمي

فضل الرجال بالأعمال

قال عبد الله بن المبارك : كل من ذكر لي عنه شيء وجدته دون ما ذكر عنه ، إلا حيوة
ابن شريح وأبا عون .

وبما أثر عن حيوة هذا وخلد في سجل منافيه أنه قد يكون في الدرس فتاوى أمه فتقول له :
قم يا حيوة ألق الشعر للدجاج فيقوم . وهذا أبلغ ما عرف من طاعة الآمات .

كلمات حكيمه

لفضيلة الاستاذ الاكبر

خالق هذه المجلة أن تصيد كل كلمة تصدر من حضرة صاحب الفضيلة الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى فتدونها وتطرف بها قراءها ، لأنها كلها ، وإن تعددت مواضعها ، ترى لفرض واحد وهو الاصلاح الذى يلبسه المسلمون فى بقاع الأرض كافة ، ويوجدون أن يبلغ كماله على عهد .

وإن فى لكلمة الموجزة التى ألقاها فضيلته فى الاحتفال بافتتاح المعهد الدينى الذى أنشأته جمعية المحافظة على القرآن الكريم بمدينة دمنهور لأصولا من الاصلاح الاجتماعى والآدى يتعين على كل مسلم أن يقرأها وينمىها ويعمل على تحقيق أغراضها . قال حفظه الله :

صدق الله العظيم . « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

إن الأمة الاسلامية قد عنت بحفظ القرآن أدق عناية ، واجهدت فى هذا السبيل أقوم جهاد ، حتى إنها حفظت روايته وعدد آياته وعدد كلماته وعدد حروفه ، وحفظت ما نزل منه ليلا وما نزل منه نهارا ، وما نزل فى السفر ، وما نزل فى الإقامة ، كما حفظت لهجائه ، فأصبح القارئ يقرأ القرآن وليس يعتريه أدنى شك ولا يداخله أقل ريبه فى أن الذى يتلوه ويقرؤه هو الذى أنزله الله ، وهو الذى قرأه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى وصل إلينا لم يزد عليه شئ ، ولم ينقص منه حرف ، لحفظ من التحريف والتغيير ، وكانت تلك العناية به مصداق قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ولحفظ القرآن ثلاث درجات ، كل درجة توصل الى ما بعدها . فالدرجة الأولى لحفظ

القرآن، حفظه في الصدور، وتجويد حروفه، وهي التي لأجلها فتح مهدهم، والدرجة الثانية فهم معاني القرآن وأسراره وحكمه ومراميه، وهذه التي تقوم على العناية بها للمعاهد الدينية، وحضرات أئمة المساجد، والوعاظ والمرشدين. والدرجة الثالثة هي العمل بما في القرآن من أحكام، والتخلق بأخلاقه، وهذه هي الغاية القصوى، والمدرجة العليا التي لأجلها بعث الله الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أجلها أعد الثواب والعقاب وخلق الجنة والنار.

وهذه الدرجة هي التي تنظم بها شئون المجتمع، وترقى إلى أوج السعادة في الدنيا والآخرة. وقد رأينا المسلمين في الصدر الأول، أيام أن كانوا من هذه الدرجة في الغاية القصوى، كيف استقام لهم أمرهم، وقويت كلمتهم، وملكوا البلاد والعباد. كل ذلك لتمسكهم بالدين، والعمل بالكتاب الكريم. فلما انحرف عنه أخلافهم وصلوا إلى ما ترون من الذلة والمسكنة والضيق، حتى أصبحنا يُدبّر لنا أمرنا ونحن لا همون، ويُقضى في شئونا ونحن غافلون.

ولم تكن تلك الذلة لهم فإن الله قد كتب العزة للمؤمنين، حيث يقول: « والله العزة لرسوله والمؤمنين » ويقول: « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستغلفنهم في الأرض كما استغلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا، يسدوني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ».

والعمل بالقرآن يقضى بالتخلق بأخلاقه، ومن أخلاقه الصدق، والصبر، والوفاء والزهدي في الترف، وإيثار النفس على التوسع في النعيم. وتلك الأخلاق اليوم مفقودة من بيننا، فمن ذا الذي يصبر على المكاره، ويحمل نفسه على مشاق الطاعات؟ فنحن إذا أردنا أن نأخذ الناس الآن على التخلق بأخلاق القرآن لا بد لنا من جهاد وصبر طويل، وقد تمر أجيال قبل نشأة نبي، مستكمل للتخلق بهذه الأخلاق، ولكننا إذا شئنا

تقوم الأخلاق من الآن فلا بد لنا من أن نطالب الحكومة، ونطالبها بقوة أن تضع تشريعا حاسما لردع المفسدين، ورجس النفوس الجالحة عن الدين، ونستعمل السوط والدرّة، إذا دعت اليهما الحال.

كان لدينا وظيفة الحسبة، وهي وظيفة نافعة للأمة الإسلامية. كانت تؤدي لنا فائدة كبرى ونفعاً عظيماً. فيجب أن تعود، ويجب أن يعود السوط والدرّة.

قد يقول فريق من الناس إنا متمصبون. فنحن نقول لهم. نعم نحن متمصبون. وليس ينجلنا أن نكون متمصبين، متمصبين للحق ضد الباطل، فالتعصب للدين تعصب للحق، تعصب للفضيلة ضد الرذيلة، وما يضيرنا أن نتعصب للحق وقد تعصب غيرنا للباطل: لقد مضى زمن كان يستحي فيه المسلم من أن يرى بالتعصب، وما زال ينكمش كلما سمع هذه الكلمة شيئا فشيئا، ويتراجع شيئا فشيئا فشيئا، حتى أخذ الغير مكانه واحتل موضعه. كل ذلك فرارا من التعصب.

وقد يقول فريق آخر إن هذا تأباه الحرية، ولكننا نقول لهم: لا خير في حرية تجمل من الشاب غمّشا، ومن الفتاة شبا، إنما نريد لرجل رجلا كاملا مستكمل الرجولة في استقامة ونزاهة، ونريد الفتاة أنثى مستكملة الأنوثة، في عفة وطهارة.

يا أمر القرآن بالنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أصبحنا في حالة يرتكب فيها المنكر سرا وجهارا، وليلا ونهارا، والله تعالى يقول: «لئن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون».

فكل أمة يفسد فيها المنكر ولا تنتهي عنه، تستحق اللعنة كما لعنت الأمم السابقة. وكل أمة تفسد عن أمر ربها تستحق الدمار. قال الله تعالى: «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا» وإن الأمة الإسلامية قد راج فيها الفسق والضلال، فاستحققت هذا الوعيد وقد حاق بها أوكلا.

والأمراض التي انتابت الأمم الإسلامية ، كلها من ضعف الإيمان أو من عدمه .
 هذا الإيمان ، ولا أريد أن أدخل بكم في المسائل العملية فأعرقكم ما هو الإيمان ، ولكن
 يمكن أن نستعرض مظاهره :

فالإيمان يقضى أن يقوم الانسان بما يطلبه منه ، ويدفعه الى ما يوجبه عليه ، ويكرهه
 على أداء فرائضه . فبذلك هي لوازم الإيمان ، وهي أداء الواجب تلبية للواجب ، فإذا
 انعدمت هذه اللوازم انعدم الإيمان ، على ما يقوله العلماء من أن انتفاء اللازم يقضى
 بانتفاء الملزوم . فإذا قلنا إنا مؤمنون فعلى ضرب من التحور ، وإذا قلنا مسلمون
 فعلى نوع من التساهل ! فالإيمان داع الى بذل النفس والمال ، وإيثار مرضاة الله على
 كل شيء من متاع هذه الحياة الدنيا وزينتها . فكل من يكون الله أهون عليه
 من نفسه فليس بمؤمن . وكل من يكون الله أهون عليه من ماله فليس بمؤمن . وكل
 من يكون الله أهون عليه من ولده وزوجه وعشيرته فليس بمؤمن ، ولينتظر ما ينزله
 الله به من العقاب والنتكال :

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها
 وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
 فتمسكوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

ثم قال فضيلته بعد إضافة في هذا الموضوع وحث على الأخذ بمكارم الأخلاق
 والنسك بتعاليم الدين وآدابه :

أراني أطلت عليكم في هذا الموقف . (فارتفع الضجيج : زدنا زادك الله) .
 ولكن قبل أن أختم كلمتي أحب أن أحيب عن مطيعين طلبهما منى حضرات خطباء
 الجمعية :

أولها أن تكون هذه الجمعية محل عطفي وموضع رعايتي . وإني أنشرف بأن أكون

من خدم المحافظة على القرآن . ثم قال : وأصرح لكم بأنى أعد نفسي سعيدا بأن أكون من هذا اليوم عضوا في جمعية المحافظة على القرآن الكريم بدمهور . (فارتفعت الأصوات بالدعاء لفضيلته) .

وأما عن المطلب الثانى وهو إنشاء معهد دينى بدمهور ، أو قسم عام لتعليم الدين فيه ، فإننى أتمنى من صميم قواذى نشر المأمد الدينية فى جميع البلاد ، ولكنكم تعلمون أن هذا المطلب مرتبط بأرقام الميزانية ، والوعد مع التقيد بتلك الأرقام مجازفة ، ولكنى أعدكم أن أنشئ لكم - إذا استطعت - معهدا دينيا ، أو قسما عاما للمستمعين . والسلام عليكم ورحمة الله .

تدبير المال

قال الماوردى رحمه الله :

« إن يدير المال مع حسن التقدير ، وإصابة التدبير ، أحدى تقا وأحسن موقعا من كثيره مع سوء التدبير ، وفساد التقدير ، كاليدى فى الأرض إذا روى يسيره زكا ، وإن أهمل كثيره اضمحل . وقال محمد بن على رضى الله عنه : الكمال فى ثلاثة : العنة فى الدين ، والصبر على النوائب ، وحسن التدبير فى المعيشة . وقيل لبعض الحكماء : فلان غنى . فقال لا أعرف ذلك ما لم أعرف تدبيره فى ماله ، فإذا استكمل هذه الشروط فيما يستمد من قس الكفاية ، فقد أدى حق المروءة فى نفسه . وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة ، فقال : العفة والحرفة . وقال بعض الحكماء لابنه : يا بنى لا تكن على أحد كلا ، فانك تزداد ذلا ، واضرب فى الأرض عودا ويدها ، ولا تأسف لمال كان فذهب ، ولا تمنح عن الطلب لوص ولا نصب ، فهذا حال لازم . وقد كان ذوو المهن الملية والنفوس الأبية يرون ما وصل الى الانسان كسبا ، أفضل مما وصل اليه إرثا ، لأنه فى الارث فى جندوى غيره وبالكسب يجد الى غيره ، وفرق بينهما فى الفصل ظاهر .

فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس الناطقة — أُرْ ذَكَ في المجتمع الانساني العام

ألمنا في البحث السابق شيء غير قليل مما يتصل بالأخلاق التي يجب أن تكون في الانسان كأفضل ممزانه بل مقوماته، وأنتا ما يتألف منه قوام الأخلاق من أنواع وأقسام، وبخاصة ذلك الطابع الذي يطبع انفس بطابعها الخاص، ويروضها على أفضل المثل العليا وأعقها أثرا في صميم هذا المجتمع.

وليس من شك في أن كل جسم من الأجسام له صورة تشخصه وتحدده، فلا يقبل صورة أخرى من نوع ما تعين عليه من الصورة الأولى إلا بعد مفارقتها لها.

فمن المسلم به أن الجسم إذا قبل صورة من الصور كالترجيع أو التثايت مثلا، فلا يقبل شكلا آخر كالتدوير إلا بعد أن يفارقه الشكل الأول، كما أنه إذا قبل صورة من النفوس أو الكتابة أو ما إليها، فلا يتأتى أن يقبل صورة أخرى كذلك. ولكن النفوس لا تجرى على هذه السنة، فإنها تقبل جميع الصور حتى المتناقضة منها، ولا تمنع صورة أثر صورة أخرى. وهذا دليل على أنها من جوهر لطيف مبين لجوهر لمادة. وأن طبايع النفوس وخلقها تباين طبايع الجسم وخواصه، وأنها أكرم جوهر وأفضل طباعا من كل ما في هذا العالم من الأمور الجسمية.

والنفس وإن كانت تتلقى كثيرا من مبادئ العلوم عن الجسم، لها من طبيعتها مبادئ أخرى، تلك هي المبادئ الشريفة، والمطالب العالية التي لا تمت إلى عالم الأجسام بأو هي سبب، وهي المبادئ التي تستنبط منها الأقيسة الصحيحة.

فتلا إذا حكمت النفس بأن ليس بين النقيضين واسطة فليس ذلك مأخوذا عن الحس. وكذلك إذا حكمت على الشيء بأنه صادق أو كاذب فلا يمكن أن يكون ذلك وحده مستفادا من الحس، ولكنه مستفاد مما تجده النفس بالقياس إلى المقدمات

والنتائج . ونحن نجد النفس المافلة فينت تستدرك شيئا غير قليل من خطأ الحواس ، لأنه لا يضاد نفسه فيما يحكم فيه في مبادئ أفعالها وفيما ترد عليها أحكامها . فالبصر مثلا يحوز عليه أن يخطئ فيما يراه من قرب أو من بعد ، فأما خطؤه البعيد فقد يدرك الشمس مثلا صغيرة مقدارها عرض قدم وهي في واقع أمرها تماثل الأرض مليوناً وثلاثمائة مرة عند علماء الفلك بشهادة البرهان الرياضي .

وأما خطؤه في القريب فتشاله ضوء الشمس إذا وقع علينا من كوة صغيرة أو من مربعات صغار ، فلم يدرك بها الضوء الواصل إلينا منها مستديراً ، فتدرك النفس المافلة عليه ذلك الحكم وتخطئه في إدراكه ، وتعلم أنه ليس كما يراه .

ويخطئ البصر أيضا في حركة السفينة والشاطئ والنجوم والكواكب . ويخطئ في الأشجار للتراصة وفي النخيل ، وفيما هو متجانس الألباس حين يراها مختلفة في أوضاعها . ويخطئ أيضا في الأشياء التي تتحرك على الاستدارة حتى يراها كالخلفة والطوق . ويخطئ أيضا في الأشياء الغائصة في الماء حتى يرى أن بعضها أكبر من مقداره ، ويرى بعضها معوجا وهو مستقيم ، فيستخرج العقل أسباب هذه كلها من مبادئ علمية ، ويحكم عليها أحكاما صحيحة .

وكذلك الحال في حاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس ، فالعقل هنا يرد هذه القضايا ويقف منها موقف المدافع الذائد عن بيبضته ، ثم هو يستخرج أسبابها ويحكم فيها أحكاما ظاهرة الصحة . والحاكم في الشيء ، الزيف له أو المصحح ، أفضل بكثير وأعلى رتبة من المحكوم عليه .

وعلى إطلاق فإن النفس إذا علمت أن الحس صدق في تقديره أو كذب ، فليست تأخذ هذا العلم من الحس قطعا ، ثم إذا علمت أنها قد أدركت معقولاتها فليست تعلم هذا العلم من علم آخر ، ولكن من ذاتها ، لأنها لو علمت هذا العلم من علم آخر لاحتاجت في ذلك العلم أيضا إلى علم آخر ، وهذا يمر بلا نهاية ، وليست نحتاج في إدراكها ذاتها

الى شيء آخر غير ذاتها . ولهذا قيل في أواخر هذا العلم : إن العقل والعاقول والمعقول شيء واحد

وإذ قد تبين من هذه الأشياء بقاء واضحة أنت النفس ليست بجسم ولا يجرى من جسم ولا حال من أحوال الجسم ، وأنها شيء آخر مفارق للجسم بجوهره وأحكامه وخواصه وأفعاله ، فلا بد من أن نعرض لشيء غير قليل مما تصبو اليه النفوس ويدخل في متناول عقليتها ، فنقول :

من المسلم به أن النفس شقيقة الى معاملة الفضائل مع نبوها عن الأفعال الجسمانية العالقة بعالم لأجسام . والفضائل لا يستطيع تحصيلها إلا بعد أن تطهر نفوسنا من الرذائل التي هي أضدادها ، وهي شهواتها الرديئة الجسمانية ، ونزواتها الفاحشة البهيمية . فإن الانسان الخير إذا علم أن هذه الأشياء ليست فضائل بل هي رذائل ، نجبها وكره أن يوصف بها ، وإذا ضن أنها فضائل لزمها وصارت له عادة . وهكذا تصبو النفوس الخيرة الى كل مغانى الخير ، وتنبو عن كل مغانى الشر ، مما تحاول تبيانه وعلايه وبسط آراء الأخلاقيين في تكوين صورة عليا من صورته في العدد التالى ، إن شاء الله

عباس ط

من حكم خالد بن يزيد

كان خالد بن يزيد بن معاوية ، وقد تولى الخلافة ثم استقال منها تورط ، عالما كثير الدراسة للكتب ، وربما قال الشعر . فمن شعره قوله :

هل أنت منتفع بما حلك سره ولملم فافع
ومن المشير عليك بالزى المسدد أنت سامع
الموت حوض لا يحيا له فيه كل الخلق شارع
ومن التقي فزيع فاند لك حاصد ما أنت ذارع

الله جل جلاله

تعاليت يا رب ما أجلك ! خلقت الخلق ، وأجريت الرزق . بك ينعم الورع
ويذر الضمير .

* *

سبحانك اللهم ما أوسع ملكك ، وما أعظم سلطانت السماء والأرض لك ،
والملكات الظهار جندك ، والملكوت المتوجون عبيدك .

* *

تباركت وتعاليت ، صنعت فأعجزت ، وصورت فأحسنيت ، الجن والإنس خلقك ،
والجسم والروح عملك .

* *

لا إله إلا أنت ، منعقتا بصائر لا تنكرك ، وأبصارا لا تدركك . يسبح الرعد بحمديك ،
ويترنم الطائر بحمديك . البحار لا تفر من خشيتك ، والجبال جامدة من هيبتك . ولقد
جرى النسيم بلطفك ، وتقلب كل مخلوق في رحمتك .

* *

تباركت تباركت ! لا أول قبلك ، ولا آخر بعدك ، كيف تنحى الشمس بعض
بيناتك ؟ وكيف تدرك الروح بعض أسرارك ؟ فأنت الأول والآخر ، والظاهر
والباطن .

* *

تعاليت تعاليت ! آمن بك المؤمن ولم يرك ، وحمدك الجاحد ووجوده شاهد
بوجودك !

سبحانك سبحانك ! بهرتنا آلاؤك ، وغاب عنا لآؤك . ماء وحجر ، وأرض
وقر ، وزاحف وطرائر ، وصادح وباغم ، أنبت لنا من الأرض عجباً : نخيلاً وأشجاراً ،
وأزاهير وثماراً .



رب : من أين للورد شذاه ؟ ومن أين للنعمن عوده ولحاه ؟ ومن أين للنمار
طعومها المختلفة وأشكالها المتباينة ؟ من أين كل هذا يارب ؟ سائغ وغير سائغ ،
وناصع وفاقع ، تباركت مخرج الخضراء من الغبراء ، وخالق العجب من طين وماء :



سبحانك سبحانك ! جلّت عظمتك ، أعجزت الانسان بالجبل والسماء ، بل أعجزت
الانسان بذات الانسان ، عظم ولحم ، وعروق ودم ، وظفر وشعر ، وسمع وبصر ،
قلت للسان ذق ، وهو قلدة لحم ، فذاق ، وقلت للعين أبصري فأبصرت وهي ماء .



سبحانك اللهم وهذا القلب الخافق بم يخفق ؟ أشهد أن لا إله إلا أنت ، عجزت
عقولنا عن الإحاطة ببعض ما خلقت ، فكيف تحيط بك ؟ سبحانك اللهم سبحانك !
هذه دنياك فكيف آخرتك ؟ وهذا شأن آثارك فكيف شأنك ؟ ! تقدمت من إله
صدق ، وتعاليت من رب حق !

محمد الواسع

موعظة جليّة

كتب رجل الى أبي العتاهية :

يا أبا اسحق إني	وافق منك بورك
فأعني بأبي أنه	مت على عبي برشدك
أطع الله بجهدك	واغنياً أو دون جهدك
أعط مولاك الذي	تطلب من طاعة عبدك

فاجابه بقوله :

فقيد العلم والدين

فأنا أنى نعى لحضرات القراء المرحوم السيد محمد رشيد رضا في الصدد الماضي ، وهذره أنه كان قد تم طبعه ولم يتأخر إلا انتظارا لطبع المئمتين الانجليزيتين ، فغستدرك ذلك اليوم ، وإن كان قد وصل نعيه الى المسلمين كافة في جميع قاع المعمورة ، وقوبل بأسف شديد وأسى عظيم . ولا عجب فقد تجرد السيد رحمه الله لخدمة الاسلام ، ووقف له كل ما وهبه الله من علم وقوة وصبر ومناورة ، وليس يؤسف الناس من وفاته حموت صوت من أرفع الأصوات في الدفاع عن الاسلام لحسب ، ولكن من خلو مكان رفيع كان يشغله أيضا بين العاملين على تطهير عقول المسلمين من البدع التي اعتبرها عامتهم من الدين ويست منه في شيء .

نعم إن ثورة المرحوم السيد رشيد رضا عن البدع لا يوجد لها نظير إلا في أفراد من السلف الصالح ، فقد صمد لها صمودا أشفق عليه منه حتى الذين كانوا يشاطرونه رأيه من العارفين ، ولكنهم لم يؤتوا الشجاعة التي أوتىها فباتوا يتوقعون له الشر المستنير . وقد لقي منه مآلو لقيه سواء لصده عن السبيل ، ولكنه ثبت لمعارضين ، واستبسل في الكفاح أينما استبسال ، حتى استطاع بفضل إخلاصه وصبره أن يحدث في الصفوف المتراصة حياله ثمرة اقتصبها على ما وئيه وفي أثره جمهور غفير من كانوا لا يجرمون على مواجعتها مجتمعين ، فأصبحنا وللسنة الصحيحة أنصار مجاهرون ، وحيال البدع خصوم مجاهدون .

فلو لم يكن لعقيد العلم والدين السيد رشيد رضا غير هذا الموقف الخلد ذكره في تاريخ المسلمين . في ظنك به وقد أسقط دولة التقليد ، تلك الدولة التي قضت على المسلمين بأن يقسموا شطرين شطرا أجدوا على مآم عليه من التقاليد المنافية لروح الدين ، وقوماء صرقوا من الاسلام واتخذوا لهم طريقا غير طريق المؤمنين ، فلو كان دام سلطان التقليد لقضى على حزب التقليد أن يقضى في حزب الخارجين ، وهي كارثة جذير بكل من يعرف حقيقة الاسلام أن بذوب قلبه أسفا منها .

فكان السيد رشيد البطل المعتم في هذا الموطن الشريف ، تلقى فيه نصدره كل ما يناقاه المصلحون من الجاهدين ، وكان لجهاده أثر بعيد في تبصير المسلمين بسماحة دينهم وبقاء باب الاجتهاد فيه مفتوحا الى يوم يسثون .

مرحم الله هذا المجاهد الكبير رحمة واسعة ، وأجزل له من عطائه وأحسن قراءه ، ورفع منزلته بين عباده المقربين .

تصحيح اخطاء

ورد في مقالة بالعدد الممتاز لفضيلة الشيخ عبد الفتاح بدوى صفحة ٤٦ حديث منسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم الخ » وقد نبهنا في الصفحة ٣٥٢ من الجزء الخامس بأنه من مآثور الحكم الاسلامية وليس بمحدث .

وحاءنا استدراك على مقالة فضيلة الأستاذ ابراهيم عمار المنشورة في صفحة ١٠١ من العدد الممتاز ، بأنه اعتبر عبادة بن الصامت من الأرقاء ولم يكن رقيقا . واعتذر الأستاذ عن ذلك بأنه لم يعتبره رقيقا إذ قال : « وعبادة بن الصامت الذى كان أسود فاحا يرسل على رأس وقد ليضع مع المقوقس عظيم القبط في مصر شروط الصلح مع العرب » . وإنما خصه بالذكر لأن المقوقس أنف أولا أن يناوضه لسواد جلده ثم اضطر لمفاوضته .

وأبلغت فضيلة الشيخ عباس طه أنه سقط من مقالته المنشورة في الجزء الخامس تعليق ذكر فيه أنه استأنس فيما كتبه برأى المرحوم ابراهيم افندى على أخذنا من كتابه أسرار الشريعة الاسلامية .

وحاء في العدد السادس أيضا هذه الأخطاء :

صفحة	س	خط	صواب
٤٢٣	١٠	التي علقت	الذى علق
٤٢٨	١٣	نخطينا	نخطونا
٤٣٣	١٤	شيزار	شيزر
٤٣٣	١٩	حصن حيفا	حصن كيفا
٤٣٥	٩	واصف شاه	وصيف شاه
٤٣٧	٩	ابن الرحيب	ابن الراهب
٤٣٧	١٩	أربلا	إربل

الاسلام الصحيح

هذا اسم كتاب ألفه حفرة الأستاذ اللوذى محمد إسعاف النفاشبي من أعضاء المجمع العلمى العربى جاء فى ختام مقدمته : « وبعد فهذا كتاب يثبت لمسلم دينه ، ويقوى إيمانه ويقيه ، ويحامى عن كتاب الله ، ويذود عن رسول الله ، ويدعو الناس كافة الى هدى الله ، وقد استعان صاحبه بالله ، وهدى بالقرآن : « إن هذا القرآن يهدى للذى هى أقوم » ، واستظهر بالعربية : « وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا » ، فالعربية ترجمانه ، وبها تبيانه ، والعربية لسان هذا الدين »

أما أهم المناحت التى أفاض فيها فهى : الوهيدية . الزيدية . الشيعة . الامامية . آل البيت . التفسير والعقل . الصلاة على النبي . هل فى الاسلام طهقت . الاحاديث والمحدثون . وقد أجاد فيها كل الاجادة ، ووفى بما يطلب من عالم بصير فى هذه المواضع ويمتاز هذا الكتاب بكثرة تعليقاته ، ولكتها مفيدة للغاية ، وتقف التالى للكتاب على ما لا يتسنى لوقوف عليه ، لا بعد ، نفاق أوقات طويلة ، فنشكر حفرة المؤلف عمله الجليل ، ونرجوه التوفيق .

رسالة الحج - فلسفته وأسراره

هذه الرسالة كتبها أحد رجال السلك السياسى المصرى تحت اسم « دبلوماسى » وهى فى نظرنا من أحسن وأبلغ ما يمكن أن يكتبه كاتب عصرى مثقف العقل تنقيفا علميا ، وواقف على أسرار الاجتماع وعلوم النفس . وقد كتبها بلغة عربية فصيحة جمعت الى جزالة العروبة ، جمال الديباجة وسمو الأسلوب . فهى من الرسائل التى يحرم مقتنيها على قراءتها فى مجلس واحد ، وتطالبه نفسه أن يقرأها على غيره ، وإن وظهر ، مثل هذه رسالة النسيمة داعيا قويا لأهل الثقافة المصرية لأداء فريضة الحج . فنشكر دبلوماسينا الكريم راجين الله أن يكثر من أمثاله .

سوايح التجاريب

هذه حلقة جديدة من سلسلة دواوين عديدة أصدرها حفرة الشاعر النابه محمد اوسدى توفيق حالى بوزارة المعارف . وقد تصممه هذا الجزء فوجدناه كالأجزاء التى سبقته : سداه ولحنه الموضوعات الاجتماعية ، والشئون الوطنية ، حتى لبكاد يكون حفرة الشاعر المفضل متفرغا لها دون سواه ، ونعم ما اختار لنفسه . فنجوا الله أن يزيده توفيقا وتسديدا ، وأن ينفع المجتمع بما ينشئه من القصائد فى هذه الموضوعات المختارة .

hadith from the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) such as is narrated by so and so. Az-Zuhair replied : " Indeed I have never left the Prophet, but I have heard him say . ' Whoever falsely ascribeth sayings unto me, shall surely take his seat in hell-fire.' "

3. We are informed by Abū Mamar who had it from 'Abdu-Wārith, through Abdu-A'izz that Anas said :

" What indeed preventeth me from transmitting to you much Hadith is that the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said . 'Whoever intentionally attribute sayings unto me falsely, shall surely take his seat in hell-fire' "

4. We are informed by Makki b Ibrāhīm, who had it from Yazid b Abū Ubaid, through Salamah, who said that he heard the Prophet (Allāh bless him and give him peace) say :

" Whosoever ascribeth unto me what I have not said shall surely take his place in hell- fire."

Translated by J. H. EI-MOUGY

إِنِّي لَا أَتَمَكُّ نَحْدَتِ عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يُعَدَّتْ
فُلَانٌ وَفُلَانٌ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَفَارِقْهُ
وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: « مَنْ كَذَبَ
عَلَيَّ قَلْبَتَهُ يَوْمَ مَقْعَدِهِ مِنَ النَّارِ »

حدثنا أبو معمر قال حدثنا عبد
الوارث عن عبد العزيز قال أسئ :
إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أَحَدَّثَكُمْ
حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: « مَنْ نَعَمَّ عَلَيَّ كَذِبًا فَتَبَتَبَوْا
مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

حدثنا مكِّي بن إبراهيم قال حدثنا
يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال سمعت
النبى صلى الله عليه وسلم يقول :
« مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ
قَلْبَتَهُ يَوْمَ مَقْعَدِهِ مِنَ النَّارِ » .

[1] 3 o Although he never left the prophet's side, he is afraid of repeating any utterance inaccurately

hold sacred in this month. Behold !
Let him that is present transmit it to
him that is absent. (Here Muhammad
Ibn Sirin exclaimed ' The words of
the Apostle of Allāh— Allāh bless him
and give him peace have come
true ; this transmission of the Hadith
hath come to pass ! ') O ye people !
Have I delivered my message ? Have
I delivered my message ? '

CHAPTER 80.

On the sin of him who falsely
ascribeth sayings to the Prophet
(Allāh bless him and give him peace)

We are informed by 'Aly b. Al-
Jad, who had it from Shubāh, who
received it from Mansur, who heard
it from Rib'i b. Hirāsh, who heard
'Al say that :

The Prophet (Allāh bless him
and give him peace) said : ' Ascribe
not sayings unto me falsely, for verily
he who doth so shal. enter hell-fire. '

We are informed by Abu-l-Wa'id
who had it from Shubāh, through
Jāmi b. Snaddād through Amr b.
Abdullāh b. Az-Zubair, through his
father, who stated that he *once* said
to his father

I never hear thee transmit any

عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ
هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا لِيُبَلِّغَ
الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ (وَكَانَ مُحَمَّدٌ
يَقُولُ : صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، كان ذلك) أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟
مَرَّتَيْنِ .

بَابُ إِثْمِ مَنْ كَذَبَ عَلَى النَّبِيِّ

صلى الله عليه وسلم

حدثنا علي بن الجعد قال أخبرنا
شعبة قال أخبرني منصور قال سمعت
ربيع بن حراش يقول سمعت عليا
يقول :

قال النبي صلى الله عليه وسلم .
« لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ
عَلَيَّ عَلَيْهِ سَجِجَ النَّارُ » .

حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة
عن جامع بن شداد عن عامر بن عبد الله
ابن الزبير عن أبيه قال قلت للزبير :

and hath not permitted it to you. Moreover He hath only permitted it to him⁽¹⁾ for a portion of time in a day, after which its inviolability hath been restored to it to day as it was yesterday. Let him that is present communicate *this* to him that is absent.

On Ibn Shuraih's being asked what 'Amr's reply was, he said : " 'Amr replied : ' I understand the meaning of *this hadith* better than thou, O Abu Shuraih ; Makkah can never be the refuge of a rebel, nor the sanctuary of a murderer or a thief. ' " ²⁰

2. We are informed by 'Abdullāh b. 'Abdū-Wahhāb, who received it from Hammād, through Ayyūb, through Muhammad, through Ibn Bakrah, through Abu Bakrah, who, — *relating a hadith in which the Prophet* (Allāh bless him and give him peace) *was mentioned* — *quoted from it* : " So your blood and your property (Muhammad Ibn Sirin added that he thought Ibn Abu Bakrah said . ' And your honour) must be held as sacred amongst you as this day which ye

عليه وسلم فيها فقولوا إن الله قد أذن
لرسوله ولم يأذن لكم، وإننا أذن
لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت
حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس،
وليلغ الشاهد الغائب »

فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ : مَا قَالَ
عَمْرُو؟ قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ بِمَا أَنَا
شُرَيْحٌ : لَا تُعِيدُ عَاصِيًا وَلَا فَارًّا
يَدَمٍ وَلَا فَارًّا خِرَاقَةٍ .

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب
قال حدثنا حماد عن أيوب عن محمد
عن ابن أبي بكرة عن أبي بكرة، ذكر
الذي صلى الله عليه وسلم قال : « فَإِنْ
دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ (قَالَ مُحَمَّدٌ
وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَأَعْرَاضُكُمْ)

(1) ل is used here instead of ا to stress the Prophet's specific privilege

(2) Although 'Amr apparently agreed with and extended the moral of the hadith, he in reality evaded the point which was concerned with his violation of the Sanctuary by war-like operations. He farther showed temerity in elaborating a hadith transmitted by Abu Shuraih directly from the Prophet.

CHAPTER 79.

Let him that is present impart the Knowledge to him that is absent—transmitted by Ibn 'Abbās, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace).

1 We are informed by 'Abdullāh b. Yūsuf, who had it from 'Al-Laith, who received it from Sa'īd, through Abu Shurāih, who said to 'Amr b. Sa'īd when he was sending troops to Makkah :

Allow me, O Amīr, to relate to thee an utterance made by the Prophet (Allāh bless him and give him peace) the day after the Conquest of Makkah, which my ears heard and my heart pondered upon while my eyes saw the Prophet as he was speaking it. He thanked Allāh and praised Him, and then said : " Verily Makkah hath been sanctified by Allāh and not by men ; so it is not lawful for any man who believeth in Allāh and the Last Day to shed blood in it, nor to fell a tree in it, if any one giveth himself permission to do this, owing to the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) having fought in it, then say: 'Surely Allāh hath permitted it to His Apostle

بَابُ : لِيُبَلِّغَ الْعِلْمَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ :

قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ قَالَ حَدَّثَنِي الْلَيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدٌ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْيَهُودَ إِلَى مَكَّةَ :

اِذْنٌ لِي أَبِهَا أَلَا مِيرُ أَحَدَنَكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَتْحِ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ ، سَمِعْتُهُ أَذُنًا وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرْتُهُ عَيْنَيَّ حِينَ تَمَكَّمَهُ بِهِ : سَمِعْتُ اللَّهَ وَأَنْسَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « إِنْ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ ، فَلَا يَحِلُّ لِمَرِيءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْمِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْصِدَ بِهَا شَجَرَةً ، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

CHAPTER 78.

On him who heareth a thing which he hath not understood and so discusses it with his teacher until he hath understood it.

We are informed by Saïd b. Abu Manam, who received it from Naïf b. Umar, who had it from Ibn Abu Mulaikah that :

‘A’ishah, the wife of the Prophet (Al-lah bless him and give him peace) never heard anything that she did not understand but she discussed it until she did ; and that the Prophet (Al-lah bless him and give him peace) said ‘Whosoever is called to account, shall suffer torture.’ (1) ‘A’ishah said ‘I then asked whether Allāh (be He exalted) had not said ‘His reckoning shall be made light’ (2) “ This, ” replied the Prophet, ‘is only referring to the reviewing on the Day of Judgment (3) but he whose reckoning is examined closely shall perish.’

بَابُ مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَوَرَّاجَهُ حَتَّى يَعْرِفَهُ :

حدثني سعيد بن أبي مرزوق قال أخبرني نافع بن عمر قال حدثني ابن أبي ميسكة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ حُوسِبَ عَذِّبَ » قالت عائشة فقلت : أو ليس بقول الله تعالى : « فَسَوْفَ يُجَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرٌ » ؟ قالت فقال : « إنما ذلِكَ العَرْضُ ، وَلَكِنْ مَنْ نُوفِيَ الحِسَابَ يَهْلِكُ » .

(1) The mere fact of being called to account on the Day of Judgment and brought to shame is a torture in itself.

(2) Surah 84, Verse 8.

(3) الحسب = (a) the placing on the Balance on Judgment Day (Ibn Hajar) or (b) the exposure of good and bad deeds or (c) as handed down by ‘A’ishah the indulgence after indictment (Al-Aini).

choose." He appointed a day for them, on which he went to meet them and gave them an exhortation, enjoining upon them certain commandments. Among the things he told them was: "No one among you shall be bereaved of three children but shall have a screen placed between her and Hell-fire." "And if there be only two?" asked a woman. "Even if they be only two", replied the Prophet.

Al-Bukhārī states that this Hadīth was related to him by Muḥammad b. Bashshār, who had it from Qunḍra, who received it from Shurḥab, through Abdur-Rahmān b. Al-Asbahānī, through Dhakwān, through Abū Saʿīd Al-Khudrī, from the Prophet (ﷺ), (1) and also through Abdur-Rahmān b. Al-Asbahānī, who heard it from Abū Hāzīm, through Abū Hurairah, who said: "Bereaved of three children who have not attained the age of discretion." (2)

لَا يَوْمًا مِنْ تَفَيُّتٍ « فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا
لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَدَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ
فِيهَا قَالَتْ أَمْرًا « مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ
تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا
حِجَابًا مِنَ النَّارِ » فَقَالَتْ امْرَأَةٌ:
« وَاثْنَتَيْنِ؟ » فَقَالَ: « وَاثْنَتَيْنِ »

حدثنا محمد بن يسار قال حدثنا غنندر
قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن
الأصبهاني عن ذكوان عن أبي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
بهكذا، وعن عبد الرحمن بن الأصبهاني
قال سمعت أبا حازم عن أبي هريرة قال:
« ثَلَاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَةَ » .

(1) This was added (a) to clear up the obscurity on the identity of Al-Asbahānī and (b) to add the remark transmitted through Abū Hurairah on the presumptive age of the children,—the earlier years of childhood especially endearing the child to its mother. The purpose of the hadith would appear to be to fortify mothers against the calamity of bereavement, and so to discourage the pagan customs of the excessive expression of grief. (See Al-Aḥadīth, Manṭraḥ ed., Cairo, Vol. 1, P 135)

(2) Properly "sin"—i.e. children dying before the age of responsibility, when sin can be imputed to them, are sinless and have Paradise as their natural destiny, besides being a screen against hell-fire for their parents. * idid

b. Al As, who stated that he heard the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) say :

Allāh shall not do away with Knowledge by snatching it away from men ; but He will do away with it by taking unto Him the learned, until when He hath not left one, men shall take unto themselves ignorant leaders who, on being questioned, shall give opinions without Knowledge, going astray themselves and leading others astray

Al Firabrī stated that he had it from Abbās who received it from Qutalbāh, who was told it by Jarir, through Hishām to the same effect :

CHAPTER 77.

Should a special day be set apart for the instruction of woman ?

We are informed by Adam, who had it from Shubah, who received it from Ibn Al Asbahānī, who heard it from Abu Salih Dhakwān, through Abu Saïd Al-Khudrī who said

The women said to the Prophet (Allāh bless him and give him peace) " The men have had the advantage over us in regard to thee ; so set aside for us a day that thou wilt

عن عبد الله بن عمرو بن المأمون قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْزَاعًا

يَنْزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ

الْعِلْمَ يَقْبِضُهُ اللَّهُ أَمَامَهُ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ

هَالِكًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا بَهِيمًا لَا

يَسْئَلُوا فَافْتَوَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا

وَأُضِلُّوا »

قال الخليل بن يحيى حدثنا عباس قال

حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن هishām نحوه .

بَابُ هَلْ يُجْعَلُ لِلنِّسَاءِ يَوْمٌ هَلَى

خِدَّةٍ فِي الْعِلْمِ ؟

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال

حدثني ابن الأصبهاني قال سمعت أبا

صالح ذكوان يحدث عن أبي سعيد

الخدري قال :

قالت النساء للنبي صلى الله عليه

وسلم : « غلبنا عليك الرجال فاجعل

CHAPTER 76.

On how Knowledge shall pass away ;

And on 'Umar b. 'Abdu-'Aziz having written to Abu Bakr b. Hazm " See thou what sayings of the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) are extant, and write them down ; for I have been dreading the disappearance of Knowledge and the passing of the learned Do not accept any but sayings of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) Let the Knowledge of the *Hadith* be diffused, and let meetings be held so that he that is ignorant of it may be instructed ; for verily Knowledge shall not perish until it is kept secret. "

Al Bukhārī states that this, namely the utterance of 'Umar b. 'Abdu-'Aziz as far as the words "the passing of the learned" —was related to him by Al-Aḍā b. 'Abdu-Jabbār who had it from 'Abdu-'Aziz b. Muslim, through 'Abdu-āh b. Dinār.

We are informed by Ismā'il b. Abu Uwais, who had it from Mā'ik, through Hishām b. 'Urwah, through his father, through 'Abdu-āh b. Amr

باب كيف يقبض العلم، وكتب

عمر بن عبد العزيز الى أبي بكر بن

حزم :

« انظر ما كان من حديث رسول

الله صلى الله عليه وسلم فكتبه، فاني

خفت دوس العلم، وذهاب العلماء،

ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله

عليه وسلم، وتفتشوا العلم وتجلسوا

حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا

يهلك حتى يَكُون سِرًّا »

قال أبو عبد الله حدثنا العلاء بن عبد

الجبار قال حدثنا عبد العزيز بن مسلم

عن عبد الله بن دينار بذلك، يعني حديث

عمر بن عبد العزيز الى قوله: ذهاب العلماء.

حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال

حدثني مالك عن هشام بن عروة عن أبيه

They accordingly proceeded one and all to take off and to throw their earrings and rings, which Bilāl collected in a fold of his garment.

Ismā'il stated that he had it through Ayyūb, through 'Atā', and through Ibn 'Abbās that the latter said: "I testify of the Prophet (Alāh bless him and give him peace) (1)"

CHAPTER 75.

On the zeal shown in the acquisition of the Hadith.

We are informed by 'Abdal-Aziz b. 'Abdullāh, who had it from Sulaimān, through 'Amr b. Abu 'Amr through Sa'īd b. Abu Sa'īd Al-Maqburi, through Abu Hurairah who stated that the question was once asked (2)

"O Apostle of Alāh! Who shall be the most blessed among men through thy intercession on the Day of Resurrection?" "Indeed I have thought, O Abu Hurairah," replied the Apostle of Alāh (Alāh bless him and give him peace), "that no one would question me on this hadith before thee, for I have observed thy zeal for the Hadith. The most blessed of men through my intercession on the Day of Resurrection shall be he who hath said truly from his heart (or his soul): 'There is no deity but Alāh'."

Translated by J. H. E-MOUGY

اَقْرَطَ وَالْخَاتَمَ وَيَلَالُ يَأْخُذُ فِي
سَلَفِ نَوْبِهِ .

وَقَالَ لِمُسْمَعِينَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ
عَطَاءٍ وَقَالَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَشْهَدُ
عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

بَابُ الْخُرُصِ عَلَى الْحَدِيثِ :

حَدَّثَنَا هَيْدُ الْحَزِينُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ
حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ أَبِي عَمْرٍو عَنْ
سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْقُبُرِيِّ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ
بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ ظَنَنْتُ بِأَنَّ
هَرِيرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ
أَحَدٌ أَوْلَى مِنِّي لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ
عَلَى الْحَدِيثِ ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ (أَوْ نَفْسِهِ) » .

(1) This is a gloss indicating that the hadith is منقطع (disconnected) at this point, since Ismā'il died the year Al-Bukhārī was born, and so cannot have come into contact with him.

2. By Abu Hurairah himself.

‘Amir adds. “We give thee this *saying* without desire for reward whereas for even less important matters journeys have been undertaken to Madinah.”⁽¹⁾

ثُمَّ قَالَ عَامِرٌ : « أَعْطَيْنَاكَ بِمَيْرٍ شَيْءٌ ، قَدْ كَانَ يُرَكَّبُ فِيهَا دُونَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ » .

CHAPTER 74.

بَابُ عِطَّةِ الْإِمَامِ النِّسَاءِ

وَلَمَّا يَمِينٌ :

On the exhortation given by the Imam to woman and his instruction of them.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا

We are informed by Suaiman b. Harb who had it from Shurbah, through Ayyub, who heard it from ‘Atā, who heard it from Ibn ‘Abbās, who said :

شُعْبَةُ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ سَمِعْتُ عَطَّةً قَالَ

سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ :

I testify of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) — or, ‘Atā stated that he testified according to Ibn ‘Abbās—that the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) went out from the men's ranks accompanied by Bilāl; and as it occurred to him that he had not made his voice heard by the women, he gave them an exhortation and commanded them to give alms.⁽²⁾

أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَامٍ - أَوْ قَالَ عَطَّةً . أَشْهَدُ عَلَى ابْنِ

عَبَّاسٍ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَمَعَهُ بِلَالٌ ، فَظَنَّ

أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ النِّسَاءَ فَرَمَطَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ

بِالصَّدَقَةِ ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي

(1) In the early days of Islām journeys were made to Madinah to obtain exact information on points of ritual and practice ; in later times after the expansion of Islām, other Capitals gained equal rank with Madinah as sources of authority. Here Ash-Shaabi (‘Amir) is answering an inquirer from Khorasān on the point of a man's relations with his female slave.

(2) الصدقة = both legal and voluntary alms

CHAPTER 73

On instruction given by a man to his female slave and his household.

We are informed by Muhammad b. Sa'llām, who had it from Al-Muhārribi, who was told it by Sā'ih b. Hayyān, who stated that 'Amr Ash-Sharbi received it from Abu Burdah, through his father who stated that the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said:

Three sorts of men have double reward—a man from among the people of the Book who hath believed in his own Prophet and also in Muhammad (Allāh bless him and give him peace) the unemancipated slave who fulfilleth his duty to Allāh and to his masters, and *lastly* a man who, having a female slave in his house, educateth her with kindness in good morals, and likewise giveth her religious instruction, and then freeth her and marrieth her, — he also¹) shall have a double reward

بَابُ تَعْلِيمِ الرَّجُلِ أَمَتَهُ وَأَهْلَهُ:

حدثنا محمد — هو ابن سلام — حدثنا

الحارثي قال حدثنا صالح بن حيان

قال قال عامر الشعبي حدثني أبو بردة

عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم:

«ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ

إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوْلَاهُ .

وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا

فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ

تَعْلِيمَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَزَوَّجَهَا، فَلَهُ

أَجْرَانِ.»

1 Or according to Al-Karmānī the three categories are probably meant, the words being repeated owing to the length of the sentence. This is also explained as emphasising the fact that although the *third* fulfil a fourfold duty, he has no more than the twofold reward, for, if the female slave is a member of his household, her moral education and religious instruction are no more than an ordinary obligation (See Al-Aḥqāf, Vol II, P. 119).

Prophet (Allāh bless him and give him peace) that:

Each time the Prophet made a pronouncement he repeated it thrice so that it might be well understood, and whenever he went to anyone's house⁽¹⁾ and greeted him, he used to repeat the greeting thrice

3. We are informed by Musaddad, who had it from Abu 'Awānah, through Abu Bishr, through Yūsuf b. Mālik, through 'Abdullāh b. 'Amr, who said :

The Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) fell behind while we were on a journey together. He then caught us up when we were taken unawares by the hour of prayer — the afternoon prayer⁽²⁾—as we were performing our ritual ablution. We therefore had only begun to wipe our feet⁽³⁾. At this the prophet called out at the top of his voice: "Woe unto your heels, for they will bring you into danger of hell-fire" This he said two or three times.

أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَسَلَّمَ بِكَائِمَةٍ أَعَادَهَا
ثَلَاثًا حَتَّى تَنْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى
قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا.

حدثنا مسدد قال حدثنا أبو عرونة
عن أبي بشر عن يوسف بن مالهك عن
عبد الله بن عمرو قال:

تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ سَافَرْنَاهُ فَأَذْرَكْنَا وَقَدْ
أَرْهَقْنَا الصَّلَاةُ صَلَاةَ الْمَصْرُورِ نَحْنُ
تَوَضُّأْنَا، فَجَعَلْنَا نَسْحُ عَلَى أَرْجُلِنَا،
فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ دُونَ لِيْلَ آعْقَابِ
مِنَ النَّارِ « مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

(1) In the case of calling at a house (اِى حى), the threefold greeting implies (a) asking permission to enter, (b) the salutation on entering and (c) the leave-taking. Another less acceptable interpretation is that if the three greetings made outside the house receive no response, the speaker departs. In the case of taking (اِى حى) to mean passing anyone, the threefold greeting is made in case the first greetings are not heard (See Al-Ain, Muniriāh ed., Cairo, Vol. II, P 117).

2. The reference is, not to the time of the beginning of the afternoon prayer (about 3 p. m.), but to its conclusion (about 6 p. m.), when the period of the evening prayer begins.

3. According to Muslim rules of ritual ablution, the feet must be washed thoroughly with water three times before prayers, as well as the other members.

thrice in order to be *clearly* understood,

And on the Prophet's words :
" And behold ! ⁽¹⁾ false witness,"
which he kept repeating : ⁽²⁾

And on the statement of Ibn
'Umar that the Prophet (Allāh bless
him and give him peace) said thrice:
"Have I conveyed my message?" ⁽³⁾

1. We are informed by 'Abdah,
who had it from 'Abdu-s-Samad who
received it from 'Abdullāh b. Al-
Muthannā, who was told it by
Thumāmah b. 'Abdullāh, through
Anas, from the Prophet (Allāh bless
him and give him peace) that .

Each time *the prophet* gave a
greeting, he used to repeat it thrice,
and whenever he made a pronouncement,
he repeated it thrice

2 We are informed by 'Abdah
b. 'Abdullāh who had it from 'Abdu-
s-Samad, who was told it by

'Abdullāh b. Al-Muthannā, who
received it from Thumāmah b.
Abdullāh, through Anas, from the

لِيُفْهَمَ عَنْهُ ، فَقَالَ : « أَلَا وَقَوْلُ

الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا ،

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْ بَلَغْتُ » ثَلَاثًا :

حَدَّثَنَا عَبْدَةُ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ

الصَّمَدِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَيْمُونٍ

قَالَ حَدَّثَنَا ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا ، وَإِذَا

تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَمَادَهَا ثَلَاثًا .

حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا

عَبْدُ الصَّمَدِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَيْمُونٍ

قَالَ حَدَّثَنَا ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(1) ^١ Here the expression is asseverative as explained by Al-Aini, Muṣṭarḥ
ed. Cairo, Vol. II, P 115.

(2) The complete hadith runs

« أَلَا أَنْبِشْكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ؟ ثَلَاثًا . قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ الْإِشْرَافُ عَلَى النَّاسِ وَعَقْرُ الْوَالِدِينَ -
وَجُلُوسٌ وَكَانَ مِنْكُمْ » فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قَدَا لَيْتَهُ سَكَتٌ .

(3) These words are near the conclusion of the Prophet's sermon on his Farewell
Pilgrimage .

CHAPTER 71.

On him who kneels (in respect)
before the *imām* or the traditionist.

We are informed by Abu-l-Yamān who had it from Shu'āib, through Az-Zuhri, who received it from Anas b. Mālik that :

As the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) was going out of his house, 'Abdullāh b. Hudhāfah arose and said : " Who is my father ? " " Thy father ", replied the Prophet, " is Hudhāfah ". Then when the Prophet was importuned, he said : " Ask on ! ". Thereupon 'Umar fell on his knees saying : " We are well-satisfied that Allāh is our Lord, that Islām is our faith, and that Muhammad (Allāh bless him and give him peace) is our Prophet. ¹ After that the Prophet held his peace . ⁽¹⁾

CHAPTER 72

On him that repeateth a *hadith* ⁽²⁾

بَابُ مَنْ بَرَكَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ عِنْدَ
الْإِمَامِ أَوْ أَحَدٍ لِحَدِيثٍ :

حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شبيب
عن الزهري قال أخبرني أنس بن
مالك : أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج فقام عبد الله بن حذافة
فقال : من أبي ؟ فقال : ه أبوك
حذافة ، ثم أكثر أن يقول :
« سلوني » فبرك عمر على رُكْبَتَيْهِ
فقال : « آميناً بالله رباً وبالإسلام
ديننا و محمد صلى الله عليه وسلم نبينا »
فصكت .

بَابُ مَنْ أَعَادَ الْحَدِيثَ ثَلَاثًا

(1) or — more appropriately the variant سكر was appeased

(2) i.e., a religious pronouncement

said the Prophet, "It is thine or thy brother's or the wolf's."

3. We are informed by Muhammad b. Al-A'la', who had it from Abu Usamah, through Buraid, through Abu Burdah, through Abu Musa, who said that :

The Prophet was being questioned on certain things *in a way* which offended him, and when they became persistent, he became angry and said to the people : "Question me on what ye will !". A certain man⁽¹⁾ said : "Who is my father ?" "Thy father" replied the Prophet, "is Hudhāfah". Then another man⁽²⁾ rose and said : "Who is my father, O Apostle of Allāh ?" "Thy father", he replied, "is Salīm, the client of Shaibah".

Then when 'Umar saw the expression on the Prophet's face, he said: "O Apostle of Allāh, we turn in repentance unto Allāh (be He magnified and glorified)".⁽³⁾

لَا خِيَابَكَ أَوْ لِلذَّنْبِ .

حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا
أبو أسامة عن يربد عن أبي يربدة عن
أبي موسى قال :

سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ
غَضِبَ ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : « سَمَوْنِي عَمَّا
سِئْتُمْ » قَالَ رَجُلٌ مَنْ أَبِي ؟ قَالَ :
أَبُوكَ حَدَافَةُ ، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ : مَنْ
أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « بُوكَ سَالِمٌ
مَوْلَى شَيْبَةَ » فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي
وَجْهِهِ قَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَتُوبُ
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

(1) 'Abdullah b. Hudhāfah

(2) Sa'd b. Salīm the freedman of Shaibah b. Rabī'ah

(3) The object of this hadīth is to point the justification of a professor's anger at being asked inappropriate questions by his students, a proceeding which is laid down as inadmissible

2. We are informed by 'Abdullāh b. Muhammad, who had it from Abu Amir, who was told it by Sulaimān b. Bishr Al-Madīnī, through Rabīrah b. Abu Abdu-r-Rahmān, through Yazīd Al-Munbarīth's freedman, through Zaid b. Khālīd Al-Juhānī that :

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) was questioned by a man on lost property, so he said : " Examine the string it is tied with (or perhaps he said " its container ") and its cover ; then advertise it for a year, and then make use of it, but if its owner comes to claim it, hand it over to him. " " If it is a she-camel that hath strayed ? " asked the man.

At these words the Prophet became so indignant that his cheeks became red (or perhaps he said " he became red in the face ").⁽¹⁾ " What hast thou to do with her ? " replied the Prophet. " She hath her store of drink with her, and she hath her feet so that she can go to the water and browse on the bushes. So leave her alone until her master finds her. " And what if the animal strayed is a sheep ? " asked the man. " Then ",

حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا
أبو عامر قال حدثنا سليمان بن بلال
المدني عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن
عن يزيد مولى التميمي عن زيد بن
خالد الجهمي :

أن النبي صلى الله عليه وسلم
سأله رجل عن القطاة فقال :

« اعرِفْ وَكَاءَهَا (أَوْ قَالَ وَعِيَاءَهَا)
وَعِصَامَهَا ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً ثُمَّ اسْتَمْتِعْ
بِهَا فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ » ،
قال : « فَضَالَةٌ الْإِبِلِ » ، فَغَضِبَ حَتَّى
احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ (أَوْ قَالَ أَحْمَرَّتْ وَجْهَهُ)
فَقَالَ : « وَمَالِكَ وَلَهَا ؟ مَعَهَا سِقَاؤُهَا
وَحِدَاؤُهَا ، تَرِدُ الْمَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ
فَتَذُرُّهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا » ، قال
« فَضَالَةُ النَّعَمِ ؟ » قال : « لَكَ أَوْ

(1) The Prophet's anger is explained by the fact that the first question applied only to portable property picked up ^{القطاة} while the second question was off the point, the man having misunderstood him.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مهمة الدين الاسلامي في العالم

٢٤

دعوة الى تأسيس مدنية عالمية فاضلة

إن كلتي مدنية ودين تعتبران في عرف أهل العصر الحاضر متناقضتين ، فإن ذكرت الكلمة الأولى أيقظت في ذهن سامعك الرخارف الفنية ، والمبدعات الصناعية ، والمتع المادية بما تنطوي عليه من الرافض والمسارح والملاعب . متع مطلقة من القيود إلا ما تحده العادات ، مفتحة من الربط إلا ما توجه الآداب المتفق عليها ، والتقاليد للمعول بها ، لا الآداب ولا التقاليد التي يقررها العلم ، ونحوها الفلسفة . وربما أيقظت في ذهن سامعك مبدأ الإباحة أيضا ، ولكن في حدود تلك الآداب المتفق عليها .

وإن ذكرت كلمة دين نبهت في نفس سامعك لزهده من متع الحياة ، والتملص من علائق الدنيا ، ومكافحة الميول البدنية مكاتفة لا هواة فيها ، والنظر الى الرخارف والمبدعات الكيالية نظرا استخفاف وزريرة ، وتطهير النفس من كل رغبة مادية ، وإنكار حقوق الجسد لمصلحة الروح التي يجب أن تستوعب جميع القوى للمعنوية .

هذان الاعتباران المتناقضان قد تغلبا على العقلية الانسانية في أكثر الأمم ، وبعد العهد عليهما حتى لا يكاد الباحث يعثر على مبدأ نشوئهما ، وقد تقررا في الأذهان الى حد أن أصبحا في عداد البدهيات العلمية ، وجاءت أقوال وأعمال حفظة الأديان مؤيدة لهما بحيث صار من المتعذر إعادة النظر فيهما .

ولكن القرن العشرين قد وضع كل المدركات البشرية في الميزان ، حتى ما كان يعتبر منها من المفردات العلمية التي لا تقبل الشك ، وهل بعد الأصول اليكانيكية

والرياضية شيء في الرسوخ والاستقرار ؟ فقد جاءها العلم هي أيضا تحت التخصيص ، فلم يبق بعد هذا شيء يتعالى على إعادة النظر فيه .

ونحن نستفيد من هذه النزعة التجديدية فنعالج مسألة الدنية والدين تحت هذا الضوء الساطع ، فنقول : هل يمكن أن تتفق الدنية والدين ؟ وهل الدنية بطبيعتها تنافي الدين ؟

وقبل أن نخوض في هذا البحث ننظر في ماهية الدنية وماهية الدين ، حتى يكون حكمنا بامكان اتفاقهما أو تنافيهما مؤسسا على أصول صحيحة ، ومقررات قوية . فما هي الدنية وما هو الدين ؟

إذا اعتبرت كلمة الدنية في أوسع معانيها دلت على مجموعة من الشئون تشمل المبادئ المقررة ، والعادات الشائعة بين الآحاد المؤلفين لمجتمع مستقل . وعليه فتوجد مدنيات بفدر ما وجد ويوجد من جماعات . ولكن ليست كل المدنيات تستحق هذا الاسم على إطلاقه فكل منها يقرب أو يبتعد عن المثل الأعلى للدنية على نسب مختلفة . وهذا المثل الأعلى يتألف من اجتماع أصول بالغة أقصى درجات سمو ، مستمدة وجودها من صميم الروح الانساني في أصنى وأتزه ، تكون عليه ، ومنطبقة على العلم والفلسفة في أقصى ما تؤدي اليه .

فمن يوم أن وُجد الناس على الأرض وألّفوا الجماعات ، وُجدت لديهم مدنيات تناسب أحوالهم ، ثم أخذت هذه المدنيات ترقى يسيرا يسيرا حتى وصلت الى ما نحن عليه اليوم ، فهل ما نحن عليه هو المثل الأعلى الذي ليس بعده مذهب ؟ هل الأصول التي تقوم عليها مدنيتنا بالغة أقصى درجات لسمو ، ومستمدة وجودها من صميم الروح في أصنى وأتزه ما تكون عليه ؟ وهل هي منطبقة على العلم والفلسفة في أقصى ما تؤدي اليه ؟ إن أهل هذه المدينة أنفسهم لا يدعون ذلك ، ويرجون أن يهذبوا من أحوالهم لتصل الى المثل الأعلى .

بقى الدين ، فهل هو شيء غير المثل الأعلى الذي يتخيله الانسان للمدينة ؟
نعم : إن للمتمدين قدسات ظنونهم في الأديان ، لما رأوه من سيرة زعمائها في الأمم
التي خضعت لزعاماتهم ، ولما أدخل عليها من الآراء والتأويلات ، حتى ينسوا أن يوجد
واحد منها ينطبق عليه بميزات المثل الأعلى للمدينة .

إنهم لا ينكرون أن الأديان تعلم الرحمة والإيثار والبذل ، ولكنهم يقولون إنها
في مقابل ذلك تبث عقائد تنافي أوليات العقل ، ويداهات النظر ، وتحرم على ذويها إجابة
الفكر فيها ، وتعادي العلم وتقف له كل مرصد ، علما منها أنه ينبر البصائر وينقر الناس
من العقائد التي نصبوا أنفسهم قواما عيها ، وتقيد الحريات الطبيعية ، وتضيق الخناق
على المذاهب الفلسفية والآراء المستقلة ، وقد فتك قاذنها بألوف مؤلفة من خيرة
العلماء وجلة الفلاسفة ممن تجاسروا على بث تمليمهم في القرون الماضية .

وقد تأثروا من هذه المشاهد التاريخية الى درجة أنهم أصبحوا لا يمتقدون أن ديننا
في الأرض يخلو من هذه العقبات الكأداء في سبيل تقدم البشرية . ولذلك فهم
ييفضون الأديان جملة وإن كان عامتهم لا تزال تتمسك بخيالات منها لا سلطان لها على
أعمالهم اليومية ، والسواد الأعظم منهم يعدون أنفسهم منها بالاسم دون الواقع .

فاذا أمكن إقامة دليل على أن واحدا من الأديان تنطبق أصوله على مميزات المثل
الأعلى للمدينة ، فلا يوجد ما يمنع من إعلان اتفاق الدين الحق والمدينة .

ونحن معشر المسلمين نعلم أن الاسلام ينطبق على المثل الأعلى للمدينة ، ويزيد عليه
سموا ، فعملينا وحدنا التدليل على ذلك ، والقيام بنشره في الآفاق في أسلوب من العلم
يرضاه المتمدون ، ويلتئم ومقرراتهم الفلسفية .

فالاسلام بمعناه اللغوي والاصطلاحي يدفع الانسان للتجرد من الأحوال البهيمية ،
والتحلق بالأخلاق الإلهية ، في أسمى ما يتخيله العقل من نزاهة ورفعة روحية . وقد
قُدِّرت أصوله ومبادئه على هذا المعنى ، ليصل الانسان بالقيام عليها الى تحقيقه

في عالم الانسانية . فليس هو يمدو للعقل ولا للعلم ، بل هو يعتمد عليهما في التدايل على سموه ، وعلى أنه عام وخالد خلود الأصول الأولية ، والحقائق العلوية . وقد أطلق كل المواهب الكريمة للنفس البشرية ، بعد أن قرآن النفس نذحة إلهية ، إطلاقا لا يقف بها عند حد من توثباتها التكميلية ، فلم يضع للخير حدا ، ولا للعقل والعلم تحجا ، ولم يعين للإحسان دائرة ، ولم يحصر العدل والرحمة في قبيل دون قبيل ، ولم يجعل للارتقاء الصوري والمعنوي مدى لا يتجاوزه ، ولم يعين للفضيلة أحوالا لا تتعداها . وشرطه في كل هذه الإطلاقات أن تكون غايتها الحق والخير ، والارتقاء الشخصي والاجتماعي .

وكما فتح الإسلام للنفس باب الارتقاء الروحاني على مصراعيه ، ووسع من مداه الى ما لا يصل اليه خيال امتخيل ، فتح كذلك لها باب الارتقاء المادي ، فلم يحرم عليها علما نافعا ، ولم يضع للعلوم حدودا ، واستنهض المهمة للشئون الصناعية ، والإبداعات الفنية ، إلا ما كان منها عاديا على الفضائل النفسية ، أو مثيرا للقوى الشهوانية . وعد الارتقاء في هذه المجالات العلمية والعملية فتوحا بطية يثاب عليها الموفق لها ثواب العاملين على ترقية الانسانية .

هنا يدوخ لي ، وقد انتهيت الى هذا الحد ، أن لا أكتفي بالقول بأن المدنية والدين يجب أن يتفقا ، بل أعلن على رؤوس الأشهاد أن الدين هو ذروة المدنية ، وليس معنى هذا أن كل مدنية قائمة دين ، وأن كل دين قائم مدنية ، ولكن معناه أن المدنية التي تستحق هذا الاسم بنزاهة أصولها ، وطهارة مبادئها ، وحكمة حرياتها ، وسمو أغراض عوامها الخ ، هي غرض دين الحق الخالص من كل شائبة بشرية ، المؤدى الى أرفع السكالات الصورية والمعنوية .

أشعر وأنا أفضي بهذا التقرير أن مترضا يفاطعني قائلا : إن كان ما تقولونه يسوغ في عالم الخيال ، فلا يسوغ في عالم الحقيقة ، وليس له صورة في الواقع ، فإن

الإنسان في تسياره نحو التكمّل وهو على فطرته من تسلط الموامل الشهوانية عليه ، لا يستطيع أن يعيش على حالة من النزاهة والسمو لا يكون عليها إلا الأفذاذ المفلطرون على الفضائل . فالمدينة لا يمكن أن توجد إلا ملتانة بالذائل ، بل ولا تزداد ارتقاء وازدهارا إلا بحوافز قوية من الشهوات البهيمية . فاذا صح هذا ، وهو ما لا سبيل في إنكاره ، وجب القطع بأن المدينة تنافي الدين منافاة لا وفاق معها .

نقول : إن هذا الاعتراض لا يصيرنا في شيء ، فإننا أثبتنا الدليل على أن المدينة الفاضلة المزهة من الرذائل ، تتفق والدين الحق ، بل هي غاية المرجوة . وهذا القول لا يعني أن المدينيات التي ظهرت في العالم الانساني لم تلك ملتانة بأفذار الشهوات البهيمية ، والانحرافات العقلية ، ولا يعني كذلك أن المدينيات المستقبلية تبلغ قبل تمام نضجها مبلغ الدين من النزاهة الروحية ، والطهارة القلبية .

ولكن هل يرى المعارض أن ليس للمدينة مثل أعلى تحاول الاقتراب منه على قدر الإمكان ؟

إن قال نعم ، قلنا وهذا المثل الأعلى هو الدين الحق كما قررنا . وإن قال لا ، قلنا هذا محال ، لأن جميع المحاولات البشرية مثلاً علياً تحاول القرب منها ، والوصول إليها ، وإلا استحال عليها الترقى مما هي عليه ، بل إن هذه المثل العليا تتألف لهذه المحاولات بنفسها باعتبار أنها الغايات النهائية لها ، فإن منمت موانع من الوصول إليها بقيت هي ماثلة نصب أعين العاملين ، تحفزهم لتحسين وسائلهم لبلوغها . والمدينة لا تشذ في هذا عن سائر المحاولات البشرية ، بل هي أدناها للمثل العليا في كل عنصر من عناصرها العملية والعملية . لذلك تجد جماهير من أعلم علمائها انقطعوا لدراسات مختلفة تتعلق بها ، منها ما يتصل بأخلاق الأفراد وآدابهم ، ومنها ما يختص بأصنافهم وطبقاتهم ، ومنها ما يبحث في مقومات الاجتماع وما ينقلبها من عوامل مضخفة وعوامل مقوية ، ومنها ما ينظر في البيئة وفواعلها ، وما يجب إصلاحه منها الخ .

وكل هذا يشمر بأن المدنية في حاجة ماسة الى التقويم والتعديل في كل شيء من أشتاتها . وكل هؤلاء العلماء لا يفترضون في أعمالهم أن المدنية لا تقوم إلا ملتانة بالشهوات والموبقات ، كما لا يفترض علماء الصحة أن الناس لا يستطيعون أن يعيشوا إلا مرضى على نسب مختلفة ، ولكنهم يبحثون في موضوعاتهم على أكل ما تكون الصحة عليه . فالذين يبحثون في الأخلاق والآداب يأتون بالمثل العليا لها غير مبالين بإقبال الناس عليها أو إدهارهم عنها ، منبهين الى خطر الاستعصاء عليها ، ويجري مجرام سوامم ممن ينظرون في شئون أخرى .

كذلك لا نستطيع ، ونحن نبحث في هل يمكن اتفاق الدين والمدنية ، أن نفترض الحالات المرضية للمجتمعات فنبني على ذلك رأياً علمياً لا يلبث أن يظهر فساداً تطور جديد للجماعات ، أو انقلاب فكري لا يحول في خيال أحد ، والمفاجآت في العالم الانساني لا تقف عند حد .

ظهر لنا مما سر كله أن المدنية الفاضلة لا تنافي لدين ، بل الدين هو المثل الأعلى لآرق مدنية ، ونعني بالدين الدين الإلهي الخالص من كل مشائبة بشرية ، لا الدين الذي تداولته الجماعات بالتحريف والتصحيف ، والشرح والتأويل ، حتى خرج عن حقيقته وأصبح هيكلاً حجرياً غير قابل لما شاة التطورات التي تدخل فيها الانسانية في كل مرحلة من مراحل حياتها العقلية والمادية

وليس بين أيدي البشر من الأديان ما حفظه الله على قائه الأول غير الدين الاسلامي . وقد رأيت مما ذكرناه عنه إجمالاً في هذه المقالة ، وما أفضنا فيه تفصيلاً في مقالنا السابقة ، ما يكفي لإثبات أنه المثل الأعلى لمدنية فاضلة إن لم تصل اليها الانسانية الى اليوم فستصل اليها لا محالة تحت تأثير التطورات الأديّة التي لا تتأطرأ عليها .

ولا يقولون قائل : أئني هذا ، والعالم يزداد كل يوم إيفالا في حمأة المفاذر ، وإسفافا الى حضيض النأكر ؟

لأننا نقول : هذا صحيح ، ولكن تدهوره هذا يصحبه شعور قوي بالتفرز مما هو فيه ، يدل عليه القلق الذي يساوره في كل حركة من حركاته ، وروح السخط المستولية عليه حتى وهو في معمان لذاته ، وهذا أمر طبيعي من كائن كل ما فيه يدعوه لتكامل ، وبهيته خلافة الله في أرضه .

فكل ما يمكننا أن نقوله في أمر هذا التناقض أنه دور من أدوار الحياة ينتهي أمده ، ثم يحل محله دور جديد فيلبث حتى ينتفضي عمده ، ثم يخلفه غيره ، وهلم جرا حتى تظهر الفطرة البشرية من أفذائها ، وإذ ذاك تسير الى السكال قُدما لا يلوها عنه شيء حتى تصل اليه .

وفي أثناء هذه الانقلابات لا يفتأ الاسلام مثلا أعلى للعندية تقترب الانسانية منه يسيرا يسيرا حتى تبلغه ، وإذ ذاك تشعر النفوس بسعادتها الخفة ، فتعيش في أمان وسلام ، فاذا انقضت آجها بابعت ترقياتها في عالم الروح المحض ، حيث تجدد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

محمد فريبر ومجدي

فضل الادب

قال شبيب بن شبة : اطلبوا لأدب فانه مادة للعقل ، ودليل على المروءة ، وصاحب في الغربة ، ومؤنس في الوحشة ، وصلة في المجالس .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب فانكم إن احتجتم اليه كان لكم مالا ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا .

وقال بعض الحكماء : اعلم أن جاهها بالمال إنما يصحبهك ما يحبك المال ، وجاهها بالأدب غير زائل عنك .

التفسير

سورة النعد

- ٧ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : دَلَّهِ دَعْوَةُ الْخَلْقِ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ
 شَيْئًا إِلَّا كِبَاسٌ طِيبٌ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِيَةٍ ، وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ . وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ
 وَالْأَصَالِ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قُلِ اللَّهُ ، قُلْ أَمَّا نَحْنُ فَمِنْ دُونِهِ
 أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ
 تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ، أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ،
 قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ،

قد رأينا في الآيات السابقة كيف تجلّت آيات الله الكونية على وجه لا يدع للريب
 مسلكا إلى النفوس لئى نبتقى الهدى وتنشد الحق وتريد الاعتماد عن مزللات الضلال ،
 فمن رفع السموات بغير عمد ، إلى تسخير الشمس والقمر ، إلى مد الأرض وبث الجبال
 والأنهار ، من الآيات الثابتة المستقرة ، ثم تجميد الرووع والثمار وتنويعها أنواعا مختلفة
 في الأكل والفوائد والآثار ، مع تجاوز بفاعها واتحاد سفيها ، من الآيات المتجددة
 التي تحرك النفوس الجامدة .

ورأينا كيف كان أولئك الطغاة الكافرين المكابرين لا يزالون في غياوتهم
وبلادة أذهانهم يتعجبون كيف يقدر لنشى على أن يعيد ما نشأ ، وهو عجب بحق
منه كل العجب ، فمن أراد أن يعجب قنهم يعجب .

ثم رأينا كيف كان حقهم يدفعهم الى استعجال السيئة نصيبهم ممن شاهدوا إيقاعه
العذاب بمن هو أشد منهم بطشا وأكبر قوة ، ذلك العذاب الذى هو المثل الأقصى
والجدير بأن يتمثل به من يستعرض أنواع العذاب وأشدّها .

ورأيت كذلك كيف عميت بصائر أولئك القوم فلم ينتفعوا بالآيات ترى
على مرأى منهم ، بل أنكروا وجودها وطلبوا أن ينزل عليه آية من ربه ، مما جعل
الحق في جوابهم أن يمرض عنهم وعن طلبهم وعن نعمتهم ، ويبين لهم قيمتهم وأنهم
أخطأ قدرًا من أن يكون الحق مسخرًا لأهوائهم وأسير رغباتهم ، أو أن يكون اعتداؤهم
أمرًا خطيرًا لدى من بدعهم حتى يقض مضجعه ويقلق راحته أن يفوته اقتناعهم ،
فأمر الداعى عليه السلام أن يحض في طريقه ولا يأبه بهم ولا يعتد بطلباتهم ، فويل له :
« إني أنت منذر » فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، وقد خلت اليبينات والنذر ،
ولكل قوم هاد .

وقص عليه صلى الله عليه وسلم ما يُطمئن قواده ، ويهون أمرهم عليه ، ويغلا قلبهم
روعة ، ويعرفهم مقدار أنفسهم في نظر الحق ، فذكر علمه تعالى بما دق وما جل ،
وما حى وما ظهر ، وإحاطته بخلاجات الأعين وخطرات النفوس ، وإحاطته كل موجود
بمظاهر القدرة وملائكة التصريف يحيطون به ، ويحسون عليه كل ما صدر منه ،
وعم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، كل هذا تطيب
لنفس الداعى صلى الله عليه وسلم وتهوين لأمرهم ، وإنذار لهم بأنهم لا يفلتون من قبضة
الحق جل جلاله .

وقد أردف ذلك كله بتقرير القاعدة الروعة الآخذة بالقلوب ، وهى المذكورة

في قوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وإذا أراد الله بقوم سوما فلا مرد له ، فما أجدرهم حينئذ أن تهتز أعصابهم وتلين قلوبهم ، ويشوب اليهم رشدهم ! ولكن أتى هذا وقد أغفلوا عقولهم ، وكرهوا الرشد بأنهم على يد رجل منهم ، ووصل عنادهم بل كراهيتهم لمصلحتهم أن يقول قائلهم : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ، فهل مثل هؤلاء ينفعهم إلا آيات التخويف والترهيب بصحبه شيء ، من التشويق والترغيب ؟ هذا هو ما ذكر في الآية الثانية وهي قوله : « هو الذي يرسم البرق خوة وطمعا وينشيء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » . وبهذا يكون قد جمع لهم الآيات المتنوعة التي تكفي كل آية منها لهداية أصلب الناس عودا وأشدهم عنادا ، فكيف وقد اجتمعت على ما رأيت من تنوعها ؟ إنهم بعد ذلك يحادلون في الله ، ويتحلقون ويكيدون ، فليكيدوا ما شاءوا فهو شديد الحال والقوة والكيد .

بعد أن تنتصر الآيات والأدلة على هذا الوجه البرهاني ، وتكمل باصمة لا يشوبها شائبة ولا يفلربها ريبة ، يجيء دور تقرير النتيجة اللازمة قارة مستقرة لا زلزلة فيها ولا تردد . هذا هو قوله جل من قائل : « له دعوة الحق » ، والضمير في (له) لله سبحانه وتعالى ، ودعوة الحق من إضافة الموصوف للصفة مثل كلمة الحق . والدعوة بمعنى الدعاء أي الطلب ، أو بمعنى العبادة ، فإنها إنما تكون لمن يرجى منه النفع ودفع الضر فيطلب منه ذلك .

فالمنى على لأول أن من يريد أن يطلب الخير لنفسه ودفع الضر عنها فحقه ألا يطلب ذلك إلا من الله ، فهو الكفيل بإجابة من دعاه ، والدعاء الحق لا ينبغي أن يوجه إلا إليه ، فكيف ينصرفون عنه ويدعون من لا يستجيب لهم بشيء من تلك الاصنام التي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا فضلا عن أن تملكه لنفيسها ؟

والمعنى على الثاني : بعد أن رأيت من آيات ربوبيته ودلائل عزته وقدرته ما رأيت فلا ينبغي أن تكون العبادة إلالة ، فله وحده العبادة الحققة .

وعرفت أن تسمية العبادة دعوة ، لأن من يعبد إنما يعبد من يغيبه إذا استغاث ويحييه إذا دعا ، فالعبادة الحققة لا تكون إلالة ، والدعوة الحققة لا ينبغي أن توجه إلالة . وهذا الحصر مأخوذ من تقديم الخبر وهو له « على لبتداً وهو دعوة الحق » .
ويصح أن تكون إضافة دعوة للحق لأنها ملازمة للحق يصحبها ، ولا يشوبها بطلان ، فيكون المعنى أن الدعوة التي تصحب الحق والصحة وهي جذيرة بالاجابة ، هي ما وجهت اليه جل شأنه ، أو الدعوة التي تصدر عن القلب صدورا حقيقيا وتخرج لها النفس منبثقة من أعماقها كدعوة الخوف الشديد ، لا تكاد تقبض إلا موجهة اليه عز وجل ، كما قال تعالى : « وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره » .

وهذه المعاني على تقاربها تجذفها تفسير الدعوة بالطلب أشد مناسبة لما يأتي في قوله : « والذين يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يُسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ » وتفسيرها بالعبادة أشد مناسبة لما سبق من الآيات الدالة على نفردة تعالى بالربوبية وتصريف الكائنات ، فهو الأحق بأن يعبد .

وقولنا أشد تناسبا ، لأن في كل من المعنيين مناسبة لكل من السابق واللاحق ، فالمعبود الحق هو ما يوجب المضطر إذا دعاه ، وليس هو من لا يستجيب لداعيه بشيء ؛ والطلب الحق هو ما يوجه الى القادر القاهر ، الذي ظهرت آيات ربوبيته ، وبهرت دلائل قدرته . وأيضا الدعوة الحققة والعبادة الحققة هي ما لا يستحق والثبات ، وبعدت عن مصاحبة البطلان بوجه من الوجوه .

قال تعالى : « والذين يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يُسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ ، إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفِيهِ إِلَى السَّاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ، وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » :

الذين يدعون من دونه هم المعبودات التي كانوا يعبدونها : من أصنام ، وأوثان ، وكواكب ، وملائكة . والتميز عنهم بلفظ الذين مع أنه للعقلاء وأكثروا معبوداتهم أصنام لا تعقل ولا تفكر ، من باب مجازتهم في مزامعتهم ، فإنهم لما وجهوا اليهم العبادة وطلبوا منهم ما لا يطلب إلا ممن يعي ، كانوا في نظرهم من العقلاء الذين يعبر عنهم باسم الموصول الذي هو للعقلاء ، ليلقى التمييز الصورة التي في أذهانهم لتلك الأصنام . أولاً لأن هذه الأصنام جعلت تماثيل لأفراد من الصالحين ابتدأت بإحياء ذكرهم ، ثم انقلب لأمر عليهم فعبدهم . أولاً لأن من للمعبودات الملائكة وبعض الأنبياء ، فغلبوا على يقية الأصنام .

وضمير يدعون للمشركين والمائد على الموصول محذوف ، أي والأصنام الذين يدعون للشركون ويطلبون منهم ، أو يعبدونهم ويتقربون اليهم ، لا ينتظروهم منهم فائدة ، ولا نعود عليهم بهم عادة ، فأنهم لا يسمعون دعاءهم ، ولو سمعوا ما قدروا على شيء ، فهم لا يجيبون لهم طلباً إلا كما يجيب الماء من بسط يديه إليه متضرعاً ويقول له . يا ماء : لي إلى ، أغثنى وأرثي ، فإذا كان الماء في البئر أو في النهر يسمع نضرع من يتضرع إليه فيرتفع إليه من بئر إجابة لدعائه ، أو ينتقل إلى الطالب من نهره سماعاً واستجابة ، فلينتظروا من معبوداتهم أنهم يستجيبون لهم . فيكون معنى بسط كفيه إلى الماء ، أي بسط نضرع ودعاء . ويجوز أن يكون معنى بسط الكفين إلى الماء أي أخذه بكف مبسوطة ممدودة منشورة الأصابع ، فكيف تنفل هذه الكف للماء ليبغ فيه والماء لا بد له من ممسك ضابط يحفظه أن يسيل ؟ وهل الأول أبلغ في تصوير حالهم ، وأنسب بما هم فيه من دعاء من لا يستجيب .

وكلمة ليبغ فاه لتصوير اضطرابهم وهلعهم ، فإن كلمة ليبغ فاه تعلى أنه على أشد ما يكون حرارة من الظم ، فهو يعالج ليلع الماء إلى فيه حتى يطفى طيبه وروى ظاهراً . وهذا أشد في التصوير من قولك : ليصل إليه الماء ، أو ليحرزه ، أو ليناله ، أو نحو ذلك ،

فربما كان طلب الماء لبعض الشئون الكمالية ، أو من باب الاستعداد للطوارئ مثلا ، بخلاف كلمة ليبلغ فاه ، فانها تصوير لحالة الظأ على أشدها ، وأنه يجد لبوغ غابة يسمى للوصول اليها . وقوله : « وما هو بياضه » تصوير لليأس والحرمان المحيط به ، للوقع له في الحزن والكمد ، المقطع للأوصال والمهرق للكبد ، وذلك هو المقصود من سياق ذلك التمثيل ، فهو أحق بأن ينص عليه صراحة وإن كان لو سكت عنه لفهم من حال من يتضرع الى الماء أنه لا ينجيه ، ومن مد كفيه ونشر أصابعه ، أنه لا يصيبه ، فيكون من التصريح بالمقصود ، لأنه أبلغ في النكاية والتنكيل بهم .

وحاصل المعنى تصوير حالهم وقت اضطرارهم للمعونة والمساعدة — وما أكثر ذلك الوقت في الحياة — ودعائهم تلك الأصنام التي لا تفيث ملهوا ولا نجيب مضطرا ، بل لا تملك لنفسها قعا ولا ضرا ، بل لا تسمع ولا تعقل ولا تفنى عنهم شيئا ، بصورة من قتله المعش وأهلكه الظأ ، ورأى الماء أمامه يجرى في نهره أو يستقر في بئر ، فوقفت أمامه يتضرع اليه ويسط اليه كفيه : أغثنى أيها الماء الجاري ، اعل إلى أيها الماء القار ، لقد هلكت شوقا إليك وقد شقر فاه ليصل اليه الماء ، فلم يسمع الماء دعاه ، ولم يدل اليه فيه ولم يستجب نداه ، فكم تكون حسرته والماء أمامه وما هو بياض فيه .

ورؤية الماء نذكي غلة الصادى

أو بصورة من يحاول عبثا أن يتعلق الماء بأصابع منشورة ، ويلتف عليها حتى يبلغ فاه . وكلا الأمرين محاولة محال ، وضرب من ضروب الضلال . فلا غرو أن جاء بعده قوله جل شأنه : « وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » .

بقى أن نلفتت الى سر قوله تعالى : « بشىء » فلما أدخل في المقصود من أن يقال : لا ينجيهم الى طلبهم مثلا . ذلك أنه ربما يقال إنهم لم يجيئوا طلبهم ولكنهم عوضهم عن ذلك ما هو خير منه ، أو أقدم إمادة أخرى تحقق عنهم ، أو نحو ذلك . فأما وقد قال : « لا يستجيبون لهم بشىء » فهو سد للباب في وجوبهم ، وتقرير أنهم خسروا كل شىء فلم يستجب لهم بشىء .

وقوله بعد ذلك: «إلا كباسط كفيه الى الماء» الخ. نجد فيه من حسن الأسلوب ما يأخذ بالعقول، فكلمة «إلا كأنها تفتح ذهن السامع الى أنهم قد حصل لهم استجابة ما، فيتصرف لتصرفها، ويريد أن يتلفها، وإدائها الاستجابة المؤيسة تمام اليأس، هي استجابة من لا يسمع ولا يعقل ولا يفنى عنك شيئاً، فهي أشبه شيء، بما يسميه علماء البلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم، أى إن كان من اللاء لمن يدعو استجابة فيكون من تلك الأصنام لهم استجابة. وقوله: «وما دعاء الكافرين إلا في ضلال» من باب تميم المعنى بذكر النتيجة اللازمة تجري مجرى الأمثال العامة، فهي من الكلم المحكمة.

هذا وقوله تعالى: «وما دعاء الكافرين إلا في ضلال» إن أريد بالدعاء العبادة فظاهر، فإن عبادة الكافرين لاغية ما داموا على كفرهم، سواء أوجهوها الى الله تعالى مصحوة بإثرا كهم شركاءهم، أم وجهوها الى آلهتهم. وإن كان المراد بالدعاء الطلب فكذلك إذا وجهوا الطلب الى الهتهم فقد دعوا من لا يستجيب لهم، أما إذا كان دعاؤهم موجها الى الله سبحانه وتعالى كدعائهم حين يسهم الضر، أو كدعاء المظلوم منهم، فقد يستجيب الله تعالى لهم بعض الدعاء وإن كانوا كافرين، فقد جاء قوله تعالى: «أم من يجيب المضطر إذا دعاه» وورد ما يفيد أن دعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافراً. وناهيك باستجابة الله دعوة إبليس إذ قال: «رب أنظرني الى يوم يبعثون». قال إنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم». ولا يدفع هذا بأن الله قد علم أنه من المنظرين سواء أدها أم لم يدع، لأن كل دعاء مستجاب هو من هذا القبيل: علم الله أن الداعي يدعو وأنه يستجيب له، وما كان الدعاء بغير شيئاً مما علمه الله في الأزل. فالدعاء كسائر الأسباب التي ناط الله بها مسيبياتها، فنقطع رغبة شخص مثلاً فزهقت روحه، قد علم الله من الأزل أنه سيقطع عنقه في هذه اللحظة فيموت. وهذا لا ينفي أن إزهاق الروح مترتب على الموت. فارتباط المسببات بأسبابها شيء، وعلم الله تعالى من الأزل

بما سيقع في الكون شيء آخر . وإنما المخلص أن المراد أن دعاء الكافرين في ضلال بالنسبة له يتعلق بالآخرة ، مما يرتبط بالعبادة التي هي المقصود من سياق الآيات من أول السورة الى الآن .

قال تعالى : « ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال » :

أي والله وحده لاغيره معه ، ولا لغيره دونه ، فتقديم الخبر لا فائدة المحصر ، أي قصر الأفراد وهو قطع شركة الغير ، أو قصر القلب وهو قطع الحكم عن غيره تعالى أن يستقل به . « يسجد » أي يخضع وينقاد ويتطامن أمام عظمته ، ولا يكاد يرفع رأسه أمام عزته وكبريائه . فالمراد بالسجود الخضوع والالتحاق والاستسلام والعجز عن المكابرة والمعاذة . « من في السموات والأرض » من الللائكة والثقلين الإنس والجن . وبدأ بمن في السموات لما وقر في النفوس من أنهم أعظم قوة وأشرف عقولا وأكمل هداية ، فهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولأن الواسطة في تبليغ الشرائع من لذه جل جلاله الى الثقلين إنما تكون منهم . « وطوعا وكرها » أي طائعين وكرهين ، أي مختارين ومقهورين . فالسجود طوعا معروف وهو خضوع النفوس المختارة وطاعتها باختيار منها وعلم بما تفعل أمام العزة الإلهية . والسجود كرها هو انقيادها وقبولها لأنار التكوين الإلهية ، من وجود وعدم ، من صحة ومرض ، من نمو وذبول ، من زمان ومكان وأحوال ، فلا تتوجه القدرة بأمر من التكوينات الى شيء من الكائنات إلا خضع لقبوله لا يملك أن يأبى ولا أن يتأخر : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

ويصح أن يراد بالطوع ما يأتي من أفعال العبادة عن انشراح صدر وقبول نفس ، وبالكراه ما يبدو على المرء حين يحسه الضر من الالتجاء الى عظمة الله تعالى . والشعور بذلك كامن في نفسه خبائه الأهواء والفضالات ، فلا ينكشف لصاحبه إلا عند مس

الحاجات وحلول الصرورات ، وإحاطة الأحوال وتقلب الأحوال ، فينشذ ينبت
الشعور الفطري الكامن بين جنبيه ، فتدفعه الضرورة الى تلمس المساعدة والانتد ،
فلا يجد ملجأ حقا إلا لجوءه الى ذى الملك والملكوت والعزة والجبروت . فن لم تعطفه
النعمة ، دفعته النعمة ، ولكل نفس علاجها . وجوز بمضهم أن يراد بالكره حال بعض
من أسلم ولم يدخل الايمان في قلوبهم ، أو حال بعض المنافقين .

ولعل الوجهين الأولين في تفسير الكره أقرب وأقعد ، بل الوجه الأول وهو
تفسيره بالانقياد والخضوع أمام القدرة الإلهية وقبول الآثار التكوينية ، أنسب
بقوله جن شأنه : « وظلالهم بالغدو والآصال » فإن سجود الظلال عبارة عن قبولها
ما سلط عليها من آثار التكوين ، فهي تنقبض وتنفس تبعاً للناموس التكويني الذي
ربطت به ، من مواجهة الجسم لنير قريب أو بعيد ، مرتفع أو منخفض ، متحرك
أو ساكن ، فإن سجود الظلال لا يظهر معناه إلا على هذا الوجه كما لا يخفى .

هذا ومن اليت الواضح أن عطف « ظلالهم » على « من في السموات والأرض » لبيان
أن هذا الخضوع والانقياد قد شملهم وشمل كل ما ينصل بهم ، لا يفت منه شيء .
ولا يشذ عنه شأن ، حتى إن ظلالهم وهي أظهر شئونهم انفصالاً عنهم تشاركهم
في السجود والخضوع والانقياد لقدرة تعالى ، فأى شيء منهم يتماهى على سلطانه ؟
وكلمة « بالغدو والآصال » لتفريز سجود تلك الظلال ، أى أقف ترون كيف أن الغدو
وبكرة النهار يجلبها لكم متقابلة شيئاً فشيئاً ، ووقت الأصيل يظهرها نامية شيئاً
فشيئاً ؟ أفليس هذا كله من خضوع الكائنات بأسرها لنواميس تكوينه وآثار
قدرته ؟ أفلا توجهون أبصاركم الى ما يقع كل ساعة أمامكم ، وتأملوا فيه وفي أسبابه
وفي مكنون تلك الأسباب ، لتروا آيات ربكم متعلية في كل ما يقع عليه نظركم ؟

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وبعد : فما أظنك بحاجة الى أن نبين لك اتصال هذه الآية بما قبلها ، كيف وقد

انضح لك أن قوله تعالى : « له دعوة الحق » توجيه للسامعين الى عبادة ربهم لذى تجلت لهم آيته فيما سبق من الآيات ، وأنهم يجب ألا يلتصوا الخير إلا منه ، ولا يستدفعوا الشر إلا بعزته ، فهو وحده القادر القاهر ، وهو الذى نعموا له الجباه وتخفض أمام عظمتهم كل لرموس طوعا وكرها ، بل يخضع له كل ما يتصل بتلك الرؤوس حتى الظلال ، فهو وحده الجدير بالعبادة ، وهو وحده الحقيق أن توجه اليه المطالب ، وأن تنزل أمام ساحة سلطانه الرغائب ، فهذه تكاد تكون من تمام الآية قبلها .

وقوله : « بالغدو والآصال » إما حال من الظلال ويكون تخصيصهما بالذكر لأن آثار التقلص والنفى تظهر في هذين الوقتين ، أو متعلق يسجد ويكون المقصود الدوام ، كما يقال : بكرة وعشيا ويراد دائما ، فلا يحتاج لتوجيه تخصيص هذين الوقتين بالذكر لأنهما كناية عن الدوام .

والغدو جمع غداة وهى أول النهار . والآصال جمع أصيل ، وهو وقت ما بين المصير والمغرب ، أو هو جمع أصل جمع أصيل فيكون الآصال جمع جمع .

وهذه الآية من آيات السجدة ، فإن من تلاها وتدبر معناها ، وفهم أن كل ما فى الكون من شئ ، قد خضع وانقاد للقدر الباهرة والمظنة القاهرة ، حتى معبوداتهم التى كانوا يظنونها لا تخرج عن فهمه وسلطانه ، بل حتى كل ما يتصل بها أو يتبعها فى الوجود ولو كان ظلالها . نقول من تدبر الآية وفهم هذا فقد امتلأ قلبه باستحضار المظنة الإلهية ، فيطلب منه ، بل لا يسهه إلا أن يخترع ساجدا لله تعالى طوعا كما سجد كل شئ ، فى الوجود طوعا وكرها . ومن قبيل هذه الآية قوله عز من قائل : « أو لم يروا إلى ما خلق الله من شئ . يتفيا خلالاه من اليمين والشمال سُجدا لله وهم داخرون »

قال تعالى : « قل من رب السموات والأرض قل الله ، قل أفأنخذكم من دونه أولياء . لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى

الظلمات والنور، أم جملوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، قل الله خالق كل شيء ، وهو الواحد القهار .

أما وقد بلغت الحجة مبلغها ، وأتمت إفادة المقصود منها ، ووضع الصبح لدى عيني ، ولم يبق لأحد عذر في ريب أو مبرر ، فقد وجب الرجوع بهم الى مراجعة ما في نفوسهم ، واستخلاص العقيدة من مكشورات ضائرتهم ، وحملهم على الاعتراف بما يراودهم ، اعترافا ناشئا من قرارة أنفسهم وأعمق قلوبهم ، فلون الخطاب بسؤالهم مما لا يسعهم إنكاره ، ولا التلصؤ في الجواب عنه .

فأمر صلى الله عليه وسلم أن يسألهم : من رب السموات والأرض . وهذا أمر لا يستطيعون المكابرة فيه ، ولا محاولة نسبة خلقه لأنفسهم ، ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله .

ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يذكر الجواب الذي لا مفر لهم من أن يجيبوا به ولا ينتظر منهم النطق به أو السكوت محاولة ابتداء التخلص من الحجة التي ملكت عليهم مسالكهم ، ومتى أجابهم به وهم مترفون ، أقروا لا محالة ، فقال : « قل الله » فإنهم سوف لا ينس أحد منهم بكلمة معارضة .

ثم أمر أن ينتقل بهم الى ما يلزم هذا الاعتراف وما يترتب عليه الترتب الجلي ، وذلك قوله تعالى : « قل أما اتخذتم من دونه أولياء لا يملكون أن ينصروهم فاعصوا ولا تضلوا » فسترهم حينئذ وقد دهشوا وحاروا ، من أخذ السالك عليهم ، وسد طرق المراءغة في وجوههم ، وسيكون لسلطان حجتك ما يحيرهم ويهينهم ، أي إذا كان رب السموات والأرض هو الله وأنتم تعلمون وتترفون ، أفترتب على علمكم واعترافكم هذا أن تعملوا عن عبادته وتتخذوا من دونه أي متجاوزين عنه ، أولياء يزيدون منهم أن يلوا أمركم فيمنحكم النفع ويدقموا عنكم الضر ، وهم على ما ترون لا يسكنون لأنفسهم نفعاً ما ولا ضراً ما ، فكيف بلغ حكم النباء أن يجعلهم لكم أولياء ؟

وهل من عجز أن ينفع نفسه أو يدفع عنها الضر يستعين به غيره، فيطلب منه جب النفع اليه أو دفع الضر عنه؟ فيكون لا يسكار الاستفادة من همزة الاستفهام في قوله: « أفأخذتم »، موجه الى ترتب هذا الاتخاذ على الاعتراف بأن رب السموات والأرض هو الله، أي فهل يترتب على اعترافكم بربوبيته للسموات والأرض، وهو بالضرورة رب ما فيهما، أن تمذلو عن الخضوع له وإخلاص العبادة والابمان له، الى اتخاذ عاجز عن نفع نفسه؟ وهل هذا يقع من عاقل بصير؟ وهل هذا شأن مميز واع؟ وهل يكون هذا إلا عمى وحماقة وسفها وغباوة؟ فهل ترضون لأنفسكم أن تكونوا من المحاقة والعمية بهذه المثابة؟ وهل ترضون لأنفسكم العمى والبلى « قل هل يستوى الأعمى والبصير »؟ فالمراد بالأعمى من عمى عن الحجة النافعة وقد تجملت له حتى لم يبق إلا أن ينظر فيرى ما ينتفعه وما يضره . فلما انغمضوا أبصارهم وأهلوا عقولهم ولم ينتفعوا ببصائرهم، كانوا كالعمى بل شرا منهم، فللأعمى عذره لعدم قدرته، وأما هؤلاء فقد أهملوا نعمة الله والعقل الذي وهبهم إياه، فكان عليهم عمى، ومع ذلك فقد اكتفى بسؤالهم عمالا ينجي جوابه على أحد، وهو استواء الأعمى والبصير، وفيه من التبكيت لهم والنمى عليهم ما لا يقدر قدره، لاسيما وهي حجة مستخلصة مما تكنه أنفسهم، وتنطوي عليه قلوبهم، وتعرف به ألسنتهم، وهو أنه تعالى رب السموات والأرض، فهو بالضرورة رب جميع ما فيهن، والله يمن على كل شيء، وهو على كل شيء قدير .

والبصير طبعا للراد به من آمن بالله وانتفع بهدايته وأخلص له في عبادته . ورأى بعضهم أن المراد بالأعمى مبيوداتهم التي لا تسمع ولا تفعل ولا تفتي عنهم شيئا، ويكون المراد بالبصير الإله الحق الذي وسع علمه كل شيء، في السموات والأرض . وزى الأول أظهر .

وقوله: « أم هل نستوى الظلمات والنور » ترقى في التفرع بتصوير ظلمهم وقد أعرضوا عن الحجج الظاهرة بحال من يتخبط في الظلمات لا يدري أين يتجه، فقد

يحدد السير وهو في الحقيقة إنما يسعى في طريق هلاكه ، وقد يمسود القهقري فيضيع
تعبه سدى . وإنما كان هذا زرقيا في تصوير شناعتهم لأن الأعمى إذا كان في نور
ربما وجد من يهديه الى الصراط السوى ، كما يحكى أن رجلا رأى أعمى يسير ليلا ومعه
مصباح ، فقال : أنت أعمى فما انتفاعك بهذا المصباح تحمله ؟ فقال : أحمله لكي لا أضلهم
بأعمى قلب مثل ... ! وأما إذا عمّت الظلمات فقد أصبح الجميع حيارى يتخبطون ، فهم
في بقاء يسهون ، وفي طريقهم يمتسفون . فيكون إصرارهم على الكبرياء وإجماعهم على
رفض الهداية ، يجعلهم كلهم في الظلمات المتعددة : ظلمة الجهل ، وظلمة العناد ، وظلمة
الكبرياء ، في ظلمة العقيدة الفاسدة ، وظلمة الأعمال الباطلة ، وظلمة الأخلاق السافلة ،
وظلمة المعاملة الفاشية . كل هذه وغيرها ظلمات بعضها فوق بعض ، بخلاف النور فهو
طريق واحد سديد ، وصراط مستقيم ، لا تشعب فيه ولا عوج ، والله در القائل :

المقل خن واحدا وطريقه أدري فأرصد الجنون فنون

فالمراد بالظلمات والنور : الكفر الذي انغمسوا فيه ، والایمان الذي يدعوهم اليه .
ويكون التناسب بين هذا السؤال وما قبله ظاهرا ، فإذا أريد بالأعمى والبصير المعنى
الثاني أي المعبودات الباطلة والمعبود الحق ، يكون التناسب من جهة أنه كما لم تستو
آلهتكم الضعيفة العاجزة بالإله القادر ، كذلك لا تستوى طريقتكم المظلمة بطريقة
الایمان المنير للقلوب .

وأم هنا بمعنى بل التي للانتقال من سؤال الى سؤال آخر ، وليست هي التي للتعين ،
فتلك خاصة بوقوعها مع همزة الاستعها ، ولا تنجي ، معاقبة لهل كما قرر في علم العربية .
وقوله : « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلفه فتشابه الخلق عليهم » من باب تميم
الحجة بالبحث عما عساه أن يكون قد اعترض سييلهم حتى اشقبه الأمر فيه عليهم ،
فهو يقول : إذا كان الأمر على ما ترى ، فإذا أوقعهم في هذا الضلال يا ترى ؟ هل عثروا
بشريك له في الخلق وأوامنه خلفا لخلق الله ، فلما شارك الله في الخلق جعلوه شريكا له

في العبادة ؟ كلا ، لا شريك له في الخلق ، فلم يخلق أحد شيئا ما ، لا خلقه تعالى المنظم
الكامل ولا خلقا ناقصا ، بل الله خالق كل شيء جل أو قل ، فإذا عسام يعتذرون به ؟
إنك إذا سألتهم من خلق ؟ قالوا : الله ، وإذا سألتهم هل خلق غيره شيئا ؟ قالوا كلا ،
فقل الله خالق كل شيء ، فستعبر بذلك عما يعتقدون ، كما عبرت فيما سبق إذ قلت لهم :
من رب السموات والأرض ، وقلت لهم : « الله » ، فإذا يدعهم الى هذا التلصك
ويوقعهم في هذه الحيرة والضلالة ، والله خالق كل شيء . وم معترفون ، وهو الواحد
في الخلقية ، وهو الواحد في الربوبية ، وهو الواحد في المعبودية الحقة ، وهو الواحد
في كل شيء ، فأين تلك الآلهة والأرباب التي يزعمون ؟ أما إنه مع كونه هو الواحد ،
فهو القهار ، تنفذ قدرته في كل شيء ، ولا يتعاصى على قدرته شيء ، فهم وما يعبدون
مقهورون لعظمته خاضعون لسلطانه ، أذلاء أمام عزه وكبريائه ، فإن استمعوا وأمعوا
فقد أحرزوا ما به يسمعون ، وغازوا بما ينتفون ، وإن أعرضوا فما على الرسول إلا البلاغ
للمبين ، وقد بلغت فأبلغت ، وهديت فأبنت ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ،
فمن اعتدى فإتما بهتدى لنفسه ، ومن ضل فإتما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل .
اللهم اهدنا صراطك المستقيم ، واجعلنا من الذين أنعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ؛ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
ابراهيم الجبالي

الادب

قال ابن المقفع : إذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك ، فإن الكرامة
تزول بزوالها ، ليعجبك إذا أكرموك لدين أو أدب .
وقال الأخنف بن قيس : رأس الأدب المنطق ، ولا خير في قول إلا بفعل ، ولا في مال
إلا بجد ، ولا في صديق إلا بوفاء ، ولا في فقه إلا بورع ، ولا في صدق إلا بلبية .

الفيلسوف والنبي

جاءنا هذا السؤال من صاحب الإيضاح ، قال بعد الديباجة : إننا نرى حكما عالية وقوانين صالحة للاجتماع والعمران لفلاسفة اليونان وغيرهم ، ونرى لهم بجانب ذلك معرفة بالله وثناء على الله . وقد جاء عن سقراط وأفلاطون وغيرهما شيء كثير من ذلك ، وقد كانوا قبل المسيح ، فلماذا لا نعتبرهم أنبياء ، وقد أسسوا مدنية فاضلة وتلاميذ صالحين ؟

نرجو من فضيلتكم بيان ذلك والإسهاب فيه كما هي مادنتكم ، أبقاكم الله للمعلم والدين ، وحفظكم للإسلام والمسلمين بحسنه وكرمه ما
عبد الرحمن محمد
أستاذ بالمدرسة

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد معدن الأسرار ومنبع الأنوار ، أعرف خلق الله بالله ، وعلى كنهه وصحبه أجمعين .
أما بعد : فقد سئلت مثل هذا السؤال منذ زمان بعيد من عظيم من عظماء المصريين ، فأجبت بما افتنع به إذ ذاك . واليوم نذكر لك خلاصة ذلك الجواب ، ثم نفيض في الموضوع إمامة لا تدع في النفس شكاً ، ولا في الأمر ريباً ، فنقول وبالله التوفيق :

قلنا لذلك الباشا عند ما سألنا عن ذلك : إن هناك فروقا كثيرة بين النبي والفيلسوف ، منها أن الفيلسوف إذا نزلت به نازلة أو سئل عن معضلة ، فزع إلى فكره فشحذه وإلى نفسه فأيقظها ، وإلى معلوماته فاستعرضها ، عسى أن يمشي فيها على حل أو يظفر منها بجواب .

أما النبي فإنه على العكس من ذلك : يعتمد الى نفسه فيسكن من حركتها ، والى أفكاره فيهدى من نوراتها ، والى حواسه فيقلل من تعلقاتها ويبدعها من محسوساتها ^(١) ، ثم ينتظر الوحي من الله والتلقى عن الملائكة الأعلى ، فإذا نزل عليه الوحي من عند الله صدح بذلك في وضوح لا يمازجه تعقيد ، ولا يشوبه التواء عن المقصد ، ولا تحير في الناية ، ولا تحيل على إصابة الصواب ، ولا استمانة بتجربة أو التجاء الى مفدمات طويلة كثيرا ما تتعرف بالناس أو ينصرف فيها صاحبها عن النهج القويم والصراط المستقيم ، فيعدل به نظره القاصر وضعفه البشري عن الحق ، وقد يوقعه في شقاء بالغ من حيث لا يشعر ، فالنبي يروى عن رب المخلوقات المحيط بها ، العالم بأسرارها :

« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »

فلو زار أفلاطون أعشاب قدسه ولم يُعشِه عنها سواطع أنوار
رأى حكمة قدسية لا يشوبها شوائب أنظار وأدناس أفكار
فالسبيل المأمونة والجادة الواضحة ، إنما هي سبيل الأنبياء والمرسلين ، لا سبيل
الفلاسفة التي ترى بك في ظلمات الأوهام البشرية ، وشبهات التخييلات النفسية ،
على ما سنسمع اليوم ، إن شاء الله .

ثم قلت لذلك العظيم : إن الفلاسفة أنفسهم لم يدعوا النبوة ، وربما كانوا غير
قائلين بها ، فكيف ندهيها لهم وهم لم يدموها لأنفسهم ؟ ثم إن للنبوة آيات لا بد منها :
من صفات ذاتية ، ومعجزات حسية ومعنوية ، ونفوس جاوزت أطوار البشرية ،
واستقرت في تلك للمعالم القدسية ، فهي لا تعرف غير الله ، ولا تحدث عما سوى الله
إلا بما جاءها من الله ، قد اتسع نظرها ، وتم نورها ، فعلمت من حقائق الأشياء
ما لا يعلمه غيرها ، وعرفت من جلال الله ما لا يعرفها سواها . الى آخر ما قلت لذلك
الباشا في ذلك العهد .

(١) اشتهر الآن استعمال اصناف وتمثلة من يبرر بالحواسات وهو خطأ بين كما أوسع ذلك كل الإباح
صاحب الجاسوس . ولصاحب المخصص ما يقيد ذلك ايضا (راجع الجاسوس على القاموس) .

ولنبين ذلك الإجمال، ونذكر لك شيئا من صفات النبوة وخصائصها التي جبل عليها الأنبياء، فنقول :

إن في ذات النبي نورا خلقيا في أصل تكوينه اقتضته درجة روحه الشريفة (وبين الأرواح من التفاوت في الدرجات واختلاف الاستعدادات ما لا يعلمه إلا الله تعالى). وبذلك للنور لا يمكن تلك لذات التي خلقت على هذا الوجه إلا أن تكون على أكل الفضائل. فهي مثلا قول الحق وتقديسه ولو كان فيه حنفا وهلاكها، فإن ذلك من سجيته وطبيعته. وقد طلب المشركون منه صلى الله عليه وسلم أن يرجع عن قوله وراودوه على ذلك بكل حيلة، فأبى وامتنع، ثم نصبوا له العداوة ورموه عن قوس واحدة، ف زاده ذلك إلا تثبتا ورسوخا، لأن الذات الشريفة مطبوعة على قول الحق لا يتصور منها غيره.

ومن تلك الصفات التي جبل عليها النبي، الرحمة بجميع المخلوقات حتى الحيوان الأعجم، ولذلك جاء صلى الله عليه وسلم في باب التحذير من القسوة بما تعجب له، وأبان من جزاء الشفقة على خلق الله ما لا غاية وراءه، فذكر في الحديث الصحيح أن امرأة دخلت النار في هرة عذبتها. وجاء في الصحيح أيضا أن رجلا مسرفا على نفسه وجد كلبا يلهث من العطش فسقاه حتى أرواه فشكر الله له ذلك فمقر له. إلى غير ذلك مما يثبتك مما كانت تمتلئ به نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة بجميع المخلوقات.

وهكذا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فهم أبر الناس بالناس، وأنفع الناس للناس. وأعظمهم في ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم، حتى إن ما تراه من شدة صلى الله عليه وسلم على الكفار والمشركين، فتشوه إنما هو رحمة بهم وشفقة عليهم أن يتجالمهم الشياطين فتأخذهم عن السعادة الأبدية إلى الشقاء الأبدى، فيشقون وتشق بهم الإنسانية، فكان حربه صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حربا لجند الشيطان الذي يريد أن يسلب الإنسان سعادته. إلى آخر ما لا يسع المقام تفصيله وبيان أسرار.

ومما يجب أن نبينه هنا أن للأنبياء أذواقا في الأشياء لا يصرّفها إلا الخواص من عباد الله ، فإن أكثر من في الأرض لا يذوقون إلا الحميات ، ولا ذوق لهم في المعنويات وما أودع في الأشياء من لطائف وأسرار . وقد يقرب اليك ذلك بعض التقريب ما ترى أو تسمع به من عشق رباب النفوس الطاهرة لأعلى الأشياء ، وإفثارهم العلم والمعرفة على كل شيء ، لأنهم يذوقون من ذلك لذة تفوق كل لذة مادية ، وقد قال قائلهم :

سهرى لتفتيح العلوم ألدلى من وصل غانية وطيب عناق
ونمايلي طره لحل عوبصة أشهى من النفات للعشاق
وألد من نصر الفتاة لدفها تفرى لألقى الرمل عن أوراق
ولمك ذقت من هذا شيئا ، فلا فليل فيه .

ولا بد لنا في هذا المقام من أن نشير إلى أن أرواح الأنبياء من طراز آخر في علمها وقوتها وكل صفاتها ، ولذلك تظهر عليها خوارق العادات ، من كشف للغيبيات وظهور الآيات ، مثل ما حصل له صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج . ومن ذلك ما يقال إن عيسى عليه السلام كان يمكث أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني » فهو لا يحس بتلك المؤلمات إلا إذا رجع لهذا العالم وسادت عليه أحكامه وقوانينه ، أما ما دام عند ربه فهو أرفع من أن تؤثر فيه تلك النواميس المعروفة ، أو تسيطر عليه هاتيك القوانين المشاهدة . إلى غير ذلك من المعجزات المأثورة ، والخوارق المشهورة

أما علمهم بحقائق الأشياء وما غيب عنا من أمور الآخرة وما يكون فيها ، فهو علم يشبه علمنا بالمبصرات بآبصر والسموعات بالسمع ، بل حواسنا قد تخطئ ويقع الخلط والاشتباه في مدركتها ، بخلاف علمهم وما ينكشف لبصارهم من الحقائق والمخبيات . ثم نلفتك بعد ذلك إلى ما تعرفه من تفاوت الناس في العلم ، وأن ما يكون قطعيا لبعض

الناس يكون ظن لبعض آخر ، بل قد ينكره كل الآخر ليعمد ما بينه وبينه حتى لا يتأقن له أن يفهمه أو يسلمه .

وبالحيلة لاستعداد الرسول أشرف استعداد ، وتكوينه أجل تكوين ، وبهذا كان مهيبا للرسالة والتأني عن اللأ الأعلى ، كما يشير الى ذلك قوله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » . فليس قلبه كبقية القلوب ، وإنما هو قلب امتلاء بنور الله ، لكونه غارة في عظمة الله ، مفعما بجلاله ، معرضا عما سواه .

وأين للفلاسفة ذلك النور الذي كان يرى به صلى الله عليه وسلم — كما في الحديث الصحيح — أصحابه ، في الصلاة وهم خلفه كما يرام أمامه ، وفيه أنه رأى بيت المقدس عيانا وهو بمكة ، ورأى قصور الشام وأبواب صنعاء ومدائن كسرى وهو يحفر خندق المدينة ، ورأى الجاثي بالحبشة حين مات وهو صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فخرج الى المصلى فصلى عليه ، الى غير ذلك .

ذلك كله من أجل ما أودع فيه من النور الساطع والاستعداد الرفيع الذي أهله غرق الماديات بطريقة لا يكاد يعرفها الماديون ولا يعقلها غير الروحانيين وكيف يدركون بشرتهم الظلمانية أسرار ملكاته النورانية ؟
ولتقرب لك الأمر بعض التقريب فنقول :

إن الروح من عالم آخر له نواويس أخرى يستوى فيها القريب والبعيد والظاهر والخفي . على أننا رأينا في عالم الماديات من المجائب ما يسهل عليك التصديق بذلك عن بصيرة واقتناع بعد ما ورد في دينك وشرعيتك ، فإن أشعة « روتجن » تحول الأجسام الكثيفة للمعتمة الى أجسام لطيفة شفافة ، وتظهر ما يتغلغلها من العظام وغيرها ، وأشعة « أف » التي بواسطتها يمكن كشف المعادن في باطن الارض وإحراق البارود في باطن البواخر ومكامن الحصون ، فبالك بأشعة الله الذي خلق أشعة روتجن وأف وعلم الانسان ما لم يعلم ؟ فلا بد أن تعرف أن للأنبياء قوى روحانية اختصاصا بها

فلا توجد في غيرهم . ولذلك سمع سليمان عليه السلام كلام الخلة ، فما سمعه إلا بسمع الروح لا بسمع الجسم الطبيعي . (وكيف نستغرب ذلك وعلماء الحيوان الآن يشبهون للنحل وغيره حاسة لا توجد فينا ، ويذكرون من أفاعيل النحل ما يعجب له الإنسان العاقل ؟) وقد قال يعقوب عليه السلام . إني لأجد ريح يوسف ، فأحس بها وشمها من مسيرة أيام . فكيف يفاسون على غيرهم في شيء من الأحاسيس والعلم والإدراك ؟ ولا غرو فقد قال الله تعالى في الحديث القدسي في حق عبده الذي تقرب إليه : « فإذا أحببته كنت سمعه لدى يسمع به وبصره الذي يبصر به » الخ .

وإجمال القول أن نفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صنف مخالف لسائر النفوس في قواها الظاهرة والباطنة ، فتعوتهم وصفاتهم التابعة لها يجب أن تكون مخالفة لسائر السموات والصفات التي في غيرهم ، ومتى كان لروح الفاعل والجسم القابل في غاية الكمال كانت الآثار في غاية القوة والشرف والصفاء . ولذا قيل إن صفات الأنبياء وقوام الذاتية من حوارق العادات ، وإنه لو أمكن الناس أن يقفوا على كمال تلك النفوس لما احتاجوا في لتصديق برساتهم إلى معجزة ، فإن فضيلة الصدق والأمانة مثلا إذا بلغت حد الكمال ولا عجز لا يقع معها كذب أو خيانة . وقد آمن كثير من الصعابة وغيرهم (حتى من الأوربيين) بمعجزة السموات غير ملتزمين لتلك الخوارق والمعجزات الظاهرة التي لا يعول عليها في إيمانه إلا العامة . وقد قال قائلهم في حقه صلى الله عليه وسلم :
لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت خلافتك تنبيك بالخبر

وقد ذكر فيلسوف الإسلام العلامة ابن خلدون في مقدمته أن النفوس البشرية على ثلاثة أصناف : صنف عاجز بالطبع عن الوصول إلى الإدراك الروحاني ، فينقطع منعظا إلى الحمة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية ، وتركيب للعاني من الحافظة والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية الفكرية ، وهذا في الأغلب هو من أن الإدراك البشري الجسماني إليه تنتهي مدارك العلماء

وفيه نرسخ أقدامهم . وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني ، والإدراك الذي لا يفتقر إلى الآلات البدنية بما خلق فيه من الاستعداد ، فيتسع نطاق إدراكه عن الآليات ، ويسرح في قضايا المشاهدات الباطنة ، وكلها وجدانات لا حدود لها . وهذه مدارك العلماء ، الأولياء ، أهل العلوم الدنية والعارف الربانية ، وهي الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة في البرزخ . وصنف معطور على الانسلاخ من البشرية جملة إلى الملكية من الأفق الأعلى ، ليصير في لحظة من اللحظات ملكاً بالمعمل ، ويحصل له شهود الملائكة الأعلى في أفقه ، وسماع الكلام النفساني والخطاب الإلهي في تلك اللحظة ، وهؤلاء هم الأنبياء صلوات الله عليهم ، فهم يتوجهون إلى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا ، بتلك الفطرة التي قطروا عليها ، لا بآكتساب ولا صناعة ، فإذا انسلخوا عن شريرهم وتلقوا من الملائكة الأعلى ما يتلقونه ، عاجوا به على المدرك البشرية ، فتزلوا به إلى قواها لحكمة التبليغ اه . وبهذا كله نعرف سر ما نوجبه لهم في علم التوحيد من أهميات الفضائل : كالإمانة ، والصدق ، والتبليغ ، والقطاعة ، وما يحمله عليهم من السفاسف والدنيا التي تجوز على غيرهم .

وبعد : « هنا طريق قريب يعرفك ما بين الأنبياء والفلاسفة من المرق التاسع واليون البعيد ، وهو أن تقارن بين ما سمعته عنهم وما سمعته عن الفلاسفة ، ثم تحكم بعد ذلك ، فانظر مثلاً إلى مثل ما جاء في القرآن في تقرير علمه تعالى بكل شيء ، مثل قوله : « وعنده مفاتيح الغيب » الخ . « وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن » الخ . « ما يكون من نحوى ثلاثة » الخ . ثم لقول الفلاسفة إنه لا يعلم الجزئيات ، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى كتاب كبير .

الفهرسة :

أما الفلاسفة فليست لهم هذه المراتب العالية ، ولا ذلك الاستعداد الرفيع الذي يؤههم لأخذ من الملائكة الأعلى ، فهم يقولون بأفكارهم وعقولهم ، ولهذا قد نجد لهم من الخطأ الشائن والمفوات الزرية ما يسقط الإنسان المادى فضلاً عن الفيلسوف .

ولسنا نتكرأن لهم حكما بلاغة، إلا أن ذلك غير مقصور على من اشتهروا بالفلسفة، فكثيرا ما نجد للمبرين وذوى النفوس الكبيرة في كل عصر ما يوازي حكمة أرسطو وأفلاطون. ولعلماء الأمة المحمدية وصالحاتها من ذلك ما لا تسعه الدفاتر. ولعلنا نورد شيئا منه ومن كلام الفلاسفة، ونقارن بينهما في عدد آخر. وفلسفة هذا شأنها غير مأمونة ولا معصومة، فانها تعتمد الباقية في التعبير، والاعتراف في التفكير، وبهذا تعد فلسفة، ولو كانت مستمدة من منبع الشهوات والأهواء كفلسفة أبيقور وأتباعه. وعلنا نذكر شيئا منها بعد.

ولنفكك الآن بشيء من فكاهاتهم أو ترهاتهم، فنقول:

سوى من زهات الفلاسفة وفكاهاتهم:

إن (فيثاغورس) من أكبر فلاسفة اليونان، وله أشياء نفيسة، ومع هذا فقد كان يقول: «إن ذئب من يقتل الذبابة أو الزبور أو غيرها من الهوام مثل ذئب من يقتل إنسانا». ويزعم (انكسفوراس) أن السماء صنعت من حجارة كهذه الحجارة. وسبب ظنه ذلك أنه قد اتفق ذات يوم أن حجرا سقط من جهة السماء، فظن انكسفوراس أن السماء مصنوعة من حجارة، ثم أخذ يفكر في علة لبقائها أبدا لا يآب فقال: «إن دوران الفلك أوجب بقاء تلك الصنعة بلا خلل بحيث لو اختل الدوران لحظة لفسد نظام السموات والأرض»، فانظر الى ذلك الخيال الواسع ومجاراته الى حيث يريد!

ويذكر عن أرسطيبي الفيلسوف أن الملك بصق في وجه يوما من الأيام، فغيب عليه في ذلك، فقال بفلسفته الخفاء: «إن الصياد يتحمل مشقة الصيد حتى يتل بأبهر لصيد سمكة صغيرة، فكيف لا أتحمّل ريق الملك لصيد الحوت الكبير!»، واتفق أيضا أنه زجى الملك ديلنسى لبعض أصدقائه فودعه الملك ولم يقبل رجاءه، فخر أرسطيبي على قدمى الملك وقبلاهما، فاستقبح ذلك بعض من كان في المجلس، فقال أرسطيبي: «لا لوم في ذلك على إنما اللوم على الملك حيث وضع أذنيه في قدميه».

ومن كلامه الذي لا أدرى أستهجنه أم نستعجبه قوله : « إن الحكيم لا ينبغي له أن يلقى يديه إلى التهلكة لأجل حفظ وطنه وإن الدنيا كلها وطنه ، فليس من اللا نصاف أن يخاطر بنفسه لأجل حماية المجانين » . وأكسينوقراط كان من عادة التي اقتضتها فلسفته تعطير أقدامه ، فمثل عن ذلك قصص : إن رائحة العطر الذي يوضع في الرأس تطير في الهواء ، بخلاف ما إذا عطرت الأقدام فإن الروائح تصعد إلى الأفق . وذكروا في تاريخ الفلاسفة أن أرسطيپ سافر إلى مدينة قورنث وركب البحر فصادفته ريح عاصفة أحدثت الرعب فيه إلى حد ممقوت إشفافا من الهلاك ، فسخر منه إخوانه في السفينة ولاموه وقالوا له : كيف نحن مع جهلنا لم يصادف قلوبنا مصادف قلبك من الفزع والخوف وأنت من عظماء الفلاسفة ؟ ف هذا الوجع وما هذا الاضطراب ؟ فأجابهم بقوله : إن أنفسكم ونفسي ليسو في درجة واحدة بل شتان ما بين الذي أخسره وبين ما تخسرون . فانظر إلى تلك الفلسفة المعكوسة التي تشنى صاحبها بلا شففة ولا رحمة . لاجرم أن الجهل خير من تلك الفلسفة .

ثم انظر بعد ذلك إلى ما جاء به الأنبياء من تعظيم الحياة الأخرى وما فيها من السعادة الأبدية ، وتحقير هذه الحياة الدنية حتى جعلها القرآن متاعا وقنيا ، وجعل الآخرة هي دار القرار . حقرها صلى الله عليه وسلم حتى جعلها لا تساوي جناح بعوضة ، إلى آخر ما جاء في الكتاب والسنة ، وهو كثير .

ومما يحذر التنبيه عليه أن الأنبياء يصدق بعضهم بعضا فيما جاءوا به من العلم في غير الأحكام الجزئية التي يقتضيها اختلاف المصور وتباين الاستعداد . أما الفلاسفة فلا يكادون يثبتون على رأى واحد ، بل يتخالفون ويتناقضون .

وقد كانت فلسفة أرسطو مقدسة عند الأوربيين ، حتى جاء الفيلسوف (راموس) فنقضها ، فقتلوه في وفة (سان برسلي سنة ١٥٧٢ م) وهي الواقعة التي قتل فيها كاثوليك فرنسا البروتستانت .

كلمة أفلاطون في أصناف الناس :

ولنغتم موضوعنا هذا بما روى عن أفلاطون كبير فلاسفة اليونان ورئيس الحكماء، الاشرافيين فنقول :

قسم أفلاطون الناس الى ثلاثة أقسام : (١) المشرعون أى الفلاسفة (٢) الجنود (٣) الصناع وأهل المهن . قال :

أما الأولون فهم المخوفون للسيادة دون غيرهم ، وسماهم الصنف الذهبي . أما الجنود فهم حراس المملكة ، وأطلق عليهم الصنف الفضي . وأما الصناع فهم المخوفون للصناعة العمياء ، ودعاهم الصنف الحديدي . أما العبيد فقال عنهم إنهم ماشية الأمة ، مثلهم كمثل البهائم اسائمة . فانظر الى هذا وفارن بينه وبين من أوجب قتل الانسان إذا قتل الذبابة ، وما بينهما من التناقض ، فان أحدهما يحترم كل ذى روح ولو كان من أخفر الأشياء ، ولا آخر على العكس من ذلك في أشرف نوع وأعلاء وهو نوع الانسان ، ولهذا كانت الفلسفة في كل عصر منار الشكوك والأوهام ، ومبعث الاختلاف والتنازع ، حتى قيل :

نهاية إقدام العقول عقل وأكثر سعى العالمين ضلال^(١)

ولم نستفد من بحثنا طول صرنا سوى أن جئنا فيه قيل وقالوا

حتى حرم بعضهم النظر في كتب الفلسفة ، لأن ضررها أقرب من نفعها ، وشكها أكثر من يقينها . ثم قارن بعد ذلك كله بين كلام أفلاطون الذى بدعى بأفلاطون الإلهي « والذى أحترمه وأجله » وبين ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من احترام أفراد النوع الانساني ، وعقد المساواة بينهم ، وبث الديمقراطية الحقة في الناس جميعا ، فلم يحمل لأحد فضلا على أحد إلا بالتقوى .

وقد جاء في القرآن الكريم : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

(١) كان بعض أعياننا يقرأ العالمين في البيت بكسر اللام لا ينتهيا .

وقد سمع صلى الله عليه وسلم أباذر يقول لعبده : « يا ابن السوداء » فقم عليه ذلك وقال له : « نك امرؤ فيك جاهلية » فأعتقه أبو ذر وصار من ذلك اليوم يسوى خادمه بنفسه ، حتى إنه إذا لبس حلة ألبسه مثلها . وقد جاء في تعظيم سلمان الفارسي وبلال وغيرهما شيء كثير . ومن ينظر في التاريخ يجد الموالي في الاسلام قد اعتلوا من المناصب السامية والمنازل العالية ما لا يحصى .

ولمنا نمود لمعالجة هذا الموضوع مرة أخرى ، إن شاء الله تعالى .

يوسف المجرى
من هيئة كبار العلماء

شهادة الرجال للرجال

روى أن عبد الله بن عباس سئل عن أبي بكر رضى الله عنه فقال كان والله خيرا كله مع الخدمة التي كانت فيه . قالوا فأخبرنا عن عمر رضوان الله عليه ، فقال : كان والله كالطير الحنور الذي نصب فخ له فهو يخاف أن يقع فيه . قالوا فأخبرنا عن عثمان رضوان الله عليه ، فقال : كان والله صواما قواما . قالوا فأخبرنا عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال : كان والله بمن حوى علما وحلما ، حسبك من رجل أعزته سابقته ، وقدمته قرانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقما أشرف على شيء إلا ناله . قالوا : يقال إنه كان مجذوبا . قال : أحم تقولونه . (أى ليس الأمر كذلك) .

وروى أن رجلا أتى الحسن فقال يا أبا سعيد : إنهم يزعمون أنك تبغض عليا . فبكى حتى اخضت لحبته ، ثم قال : كان علي بن أبي طالب سهما صائما من مرأى الله على عدوه ، وربانى هذه الأمة ، وذا سابقتها ، وذا فضلها ، وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالنومة عن أمر الله ، ولا بالمسألة في حق الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائم ففقر منه برياض موقفة ، وأعلام بيئة ، ذلك علي بن أبي طالب !

ودخل عروة بن الزبير بستانا لصيد الملك بن مروان أمير المؤمنين ، فقال عروة : ما أحسن هذا البستان ! فقارله عبد الملك : أنت والله أحسن منه ، إن هذا يؤتى أكله كل عام ، وأنت تؤتى أكلك كل يوم !

دحض شبهات عن الاسلام

من العجب العاجب أنه لا يزال في العالم الغربي علماء يخطئون في فهم لاسلام ، ويهتمونه بما ليس فيه ، ويجهلون نفسية الشعوب الآخذة به ، بعد ما كتب فيه فلاسفتهم وعلمائهم ومؤرخوهم ما كتبوا من جليل البحوث ، ودقيق الدراسات . من ذلك ما نشرته جريدة كوكب الشرق المصرية لكاتب اسمه (أندريه هرفيه) ونحن نلخص آراءه هنا ونقتبعا بملاحظاتنا عليها قال :

« لقد أثرت الديانة الاسلامية في ذوبها تأثيرا عظيما بحيث جعلتهم على اختلاف أجناسهم وبيئاتهم كأنهم أمة واحدة لهم مثل عليا ، ونصورات واحدة ، وهم شديدو الاعتقاد في سمو عقائدهم ، ومتعصبون لها أكبر تعصب . فإن كان هذا التعصب لا يندر اليوم بخطر جليل فنلك لأن الشعوب الاسلامية قد أدركها الضعف والهرم . » وليس هذا الضعف الذي يشكو منه المسلمون إلا نتيجة جهود العقائد الاسلامية وتضييقها على عقولهم الى حد أن أصيبت بالشلل .

« ومع هذا فالاسلام لا يزال يلعب دورا في نكيف الانسانية لا يصح إغفاله . فالثلاثمائة مليون من المسلمين في ازدياد مطرد ، بسبب التكاثر الطبيعي أولاً ، وبسبب دخول ألوف مؤلفة من أهل القبايل فعمل المبشرين بالاسلام .

وقد دخل أخيرا في لاسلام في الهند وحدها اثنا عشر مليوناً وأسلم أصغافهم في الصين وتركستان وسيبيريا والملايو .

« وفي الامكان فهم عقلية اسلم وعدم التحامل عليه ، ونبذ الروايات الكاذبة التي تشيع عنه ، والقيام بخدمات مفيدة له . ولكن من السخف أن نتوهم أننا بذلك نستطيع أن نحكمه ، فإن بين المسلمين تضامنا عاما وإن تفرقت بيئاتهم ، فكل واحد منهم تهمه مصالح إخوانه المسلمين وإن بعدوا عنه مهما كانت أجناسهم ، فجميعهم يجمعهم

وطن أعظم من أوطانهم هو الاسلام، وعاصمته مكة، والحاكم فيه دون منازع نبي الاسلام وحده .

« إن تنابع القرون فكيفت عقلية المسلمين وطبقها بمقائد الاسلام . ولما كانت هذه التعاليم هي عصارة العقل العربي ، وجب أن ندرس تاريخ العرب إن كنا نريد أن نفهم نفسية أي أمة من أمة العالم الاسلامي . ودراسة كهذه شاقة لوفرة موادها ، والبيان الاسلامي محتجة عنا بسبب تعدد المعتقدات المستم بها ، وكثرة الروايات وأخطاء الشراح فيها ، ونحامل أعداء الاسلام عليه . ومع هذا فإن دراسة كهذه ضرورية لفهم نفسية المسلمين .

« إننا لا ندري كيف فقد السوريون والمصريون والمراكشيون نشاطهم وقوة إدراكهم وروح الابتكار التي كانوا عليه أيام سيادة اليونان والرومان بمجرد إسلامهم . وكيف نسي العرب تاريخهم الباهر واستسلموا للجبل والتفرق بعد أن كانوا وصلوا الى مدينة واقية ؟

« وإننا لم نفهم الى اليوم أسباب التوسع السريع في فتوحات العرب ، وم نفهم كذلك علل زدهور أمبراطورية خلفاء ، وإصابتها بالشلل بسبب العقائد الدينية الجامدة التي تنحكم في كل ناحية من نواحي حياة المسلم اليومية ، وكل مظهر من مظاهر نشاطه ، وعموم الآثار السيئة التي أتت المسلمين بمنزل عن المدنية .

« وصلت بعض المؤلفات العلمية والفلسفية الموضوعة في اللغة العربية أو المترجمة منها الى اللاتينية الى أوروبا ، فأعجب بها علماء القرون الوسطى على قلة بضاعتهم العلمية ، أعجبوا بتلك المؤلفات ونحيلوا أن العرب وصلوا الى درجة عالية من الثقافة العلمية ولكننا عرفنا اليوم أن تلك المؤلفات لم تكن نتاج العقول العربية ، وسكنها ترجمات لمؤلفات يونانية قديمة ترجمها السوريون للعرب ترجمة لم يراعوا فيها الأمانة والدقة ، وما زال معظم المؤرخين يتخذون بها ويدعون أنه كانت توجد حضارة عربية عالية

لا يمكن النزاع فيها ، والواقع أنه لا توجد مدينة عربية كما كانت توجد مدينة يونانية ولاينية ، إذا كانت الحضارة هي بذل الجهود الشخصية المبكرة في سبيل التقدم العمراني .

« على أنه يمكن أن يقال إن هناك حضارة إسلامية ، ولكنها حضارة لبس للعرب ولا للإسلام فيها شيء ، هي حضارة الأمم التي دخلت في الإسلام ، فتأملت هذه الأمم تقدمها على الرغم من العرب ومن المعاند الإسلامية .

« والسباح العظيم للفتوحات العربية لا يثبت لنا شيئاً ، فأمثال أثينا وجانكيزخان قد أخضعوا الشعوب ، ولكن المدنية ليست مدينة لهم ، فالشعب الظافر لا يمكن أن يترك أثره العمراني إلا إذا كان أكثر تمدناً من المجهورين .

« وقد هضم الاسبانيون وبربر أفريقيا الشمالية الحضارة اللاتينية ، ولكن العربي الفاتح بقي بربراً ، وزاد فأخذ المدنية في الممالك التي قهرها وخنقها . والذي دفع بعض المؤرخين أن يعزوا للعرب مدنية هو أن المدنية اليونانية لم تمت فوراً في الممالك المقهورة ، إذ كانت حافلة بالحياة ، بقيت ثلاثة أجيال تطلق قذائفها القوية من وراء الجبهة الحمدية .

« لقد كان على الأمم المقهورة أن تختار لإسلام أو المصير التمس ، أي أن تهلك ويصبح آسارها عبيداً . ولم كانت لأديان التي اصطدم بها الإسلام إما وثنية في حالة النزاع ، أو مسيحية لم ترسخ عقائدها بعد ، فضلت الشعوب المقهورة قبول الإسلام ديناً . « لم ينقص جيل واحد على سيادة العرب حتى استوصلت الثقافة العقلية استئصالاً تاماً . والشعوب التي بقيت تحت تأثير الحضارة اليونانية أو اللاتينية قد أصيبت تحت النير الإسلامي بالشلل ، ولم تستطع الأمم الغربية إنهاضها مع مابذلت من الجهود ، وذلك لأن عقلية هذه الشعوب قد شوهها الإسلام ، الإسلام الذي هو نتاج العقل العربي وعصارتة .

« وقد كان العربي واقفيا لا يتصور شيئا أبعد مما تقع عليه حواسه . لذلك كان في الآداب كما كان في العلوم والفلسفة مجرد جامع لا مؤلف .

« يتولى الاسلام من يأخذه من لهدى الى الاهد ، فلا يدع له أى مجال للتفكير أو النشاط ، ولا يدع له فرصة للحرية والإبداع . فهو أشبه بأداة تقبض على اسبق ، ولا تتيح لصاحبها إلا قدرا محدودا من الحركة .

« مجمل القول أن العربي استعار كل شيء من الأمم الأخرى حتى أفكاره الدينية وسلط عليها عقله الضيق . ولما كان يعجز عن السمو الى تصور الفلسفة العليا عمد الى تشويه كل شيء وجده في طريقه ، وإلى تحريفه وتبويضه ، وهذا هو سر تأخر الأمم الاسلامية وعجزها عن التخلص من الحالة ابريرية التي تعيش فيها » .

هذا ما نشره لسيو (أندرية هرفيه) وهو أشبه بأقصوصة منه بدراسة علمية ، ولكنها أقصوصة من نوع مبتكر مبنى على إنكار الواقع ، وهو لذلك يتهم الذين شهدوا للإسلام من بناء لعقل العصري بأسمهم انخدعوا فعزوا للمرب ما هو لغيرهم من المتهورين ، ووصم الاسلام بنقائص ينطق كل نص من نصوصها ليس بأنه منها براء فحسب ، ولكن بأنه متحل بنقائصها من الأصول العليا .

ونحن نحصر آراءه في دائرة محدودة ، ثم نكرر عليها بالرد خدمة للحق والتاريخ مما ،
فإليك :

- (١) إن التعاليم الاسلامية ليست بشيء غير عصارة العقل العربي .
- (٢) كان للشعوب التي سادها اليونانيون والرومانيون نشاط وقوة إدراك وروح ابتكار جردتها منها الياذة الاسلامية .
- (٣) عقائد الاسلام جامدة تتحكم في كل ناحية من نواحي حياة المسلم اليومية .
- (٤) المسلم العربي لا يمدو ما ترجمه السوربون العرب ترجمة مشوهة انخدع بها المؤرخون ونسبوها العرب زورا .

(٥) الحضارة التي يزعم أنها عربية هي في الواقع حضارة الشعوب التي وقعت تحت نيرهم ، فتأبعت سيرها على الرغم من العقائد الاسلامية الجامدة .

(٦) نجاح العرب في فتوحاتهم العظيمة لا يعلى من قيمتهم ، فإن الفاتحين من أمثال أتيل وجانكيزخان قد أخضعوا شعوبا كثيرة ولكنها ليست مدينة لهم بمدينة .

(٧) لقد هضم الاسبانليون وبربر أفريقيا الشمالية الحضارة اللاتينية ، ولكن العربي مع احتكاكه بتلك الحضارة بقي بربريا ، وأخذ مدينة الشعوب التي ساد عليها .

(٨) لقد كان على الأمم أن تسلم أو تبديد وكانت إما على وثنية في حالة النزاع أو على مسيحية غير أصيلة ، ففضلت هذه الأمم أن تسلم فتنجو من الهلاك .

(٩) لم ينقض جيل واحد على سيادة العرب حتى استؤصلت الثقافة العقلية استئصالا تاما ، ولم تستطع الأمم الغربية فيما بعد إعادة الحياة اليها لأن الاسلام قد قضى عليها

(١٠) العربي لا يجيد التصور فلا يدرك فوق ما يدركه حوسه ، لذلك كان في لآداب كما كان في العلوم مجرد جامع لا مؤلف .

(١١) الاسلام لا يدع للأخذ به أى مجال للحرية والإبداع ، فهو أشبه بأداة تقبض على العنق ولا تتيح لمصاحبها إلا قدراً محدوداً من الحركة .

(١٢) العربي استعمار كل شئ ، من الأمم الأخرى حتى أفكاره لدينية ، وسلط عليها عقله الضيق . ولما كان يعجز عن تصور الفلسفة العليا عمد الى تشويه وتبليس كل ما صادفه في طريقه ، وهذا سر تأخر الأمم الاسلامية .

هذه آراء للسيو أندريه هرفيه ، فلو كان مما يفيد أن نقابلها بأبغ عبارات الأسف مما نشهده فيها من قصر النظر ، ونكراز الواقع ، ومحاولة طمس الحقائق ، وجهل تواريخ الأمم ، إلا أننا منها صحفا ، ولكننا نعلم أن الحكم للدليل القاطع ، فلنعمد عليه في تفنيد هذه المفتريات ، ثم نكل أمرها للحق يدعنها ويدريها في الهواء ، شأنه مع كل

باطل : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فاذا هو رقيق ، ولكم الويل عما تصفون »
 الشبهة الأولى — يقول المسيو أندريه هرفيه . إن التعاليم الاسلامية ليست بشيء
 سوى عبارة الفكر العربي .

هذه دعوى لا تستحق النظر ، وعذر المسيو أندريه فيها أنه لا يعرف أصول
 الاسلام ، ولا عقلية العرب على عهد جاهليتهم ، فترى أن نبينهما له بإيجاز ، فنقول :
 (ا) كان العرب وثنيين يعبدون آلهة كثيرة ، زاعمين أنها تقرهم من الله زاني ،
 وكانوا جامدين على وثنيتهم لا يبتغون عنها حولا .

(ب) وكانو حريصين على تقليد آبائهم تقليداً أعمى ، لا يرون أن يجيلوا فمام عليه
 نظرا ، ولا أن يسموا به نقدا .

(ج) وكان لا يعنيتهم أن يفرقوا بين ما هو حق وما هو باطل من الأمور ، لأنهم
 كانوا لا يتوهمون للسكون نظاما ، ولا يتخيلون لحوادثه ناموسا .
 (د) وكانوا يعتبرون الحق للقوة لا لصاحبه إن كان ضيفا .

(هـ) وكانوا إباحيين لا يرون للشهوات حدودا ، إلا ما يفرضه عليهم العجز الطبيعي ،
 وما يجتمه الصعف الجثائي .

(و) وكانوا قومى من الناحية الأدبية ، ليس لديهم أصول يردون أعمالهم اليها ،
 إلا ما أملة عليهم الحالة الجاهلية ، والسذاجة البدوية .

(ز) وكانوا مستريحين لى الجهل والأمية ، ومستقيمين الى ما كانوا عليه من الحالة
 البدوية ونصف البدوية ، حتى اعتبروها المثل الأعلى .

(ح) وكانوا لا يعرفون للمعدل حدودا إلا ما تقرره التقاليد للبهنية على أصول
 مناسبة للحالة القبلية التي كانوا عليها .

(ط) وكانوا لا يقيمون للمساواة وزما لا بين الأقوياء والضعفاء ، والأثرياء
 والفقراء فحسب ، ولكن بين اليبسوتات والجماعات أيضا لا اعتبارات تواضعوا عليها
 ليست من الحق في شيء .

هذه هي الأصول التي تنزلت منها عصارة الفكر العربي قبل البعثة المحمدية ، وقد جاء الاسلام بنقائضها :

فأمر بتوحيد الله ونزيهه ، وأسقط الوسطاء والشفعاء ، وأخلى ما بينه وبين خلقه ، ونهى عن التقليد بدون نظر ولا دليل ، ودعا الى التفرقة بين الحق والباطل ، والى العلم والفكر ، والى التقيد بضوابط الأخلاق ، والى تجريد العمل لله وحده في جميع المقاصد ، وحرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأهاب بالناس الى لزوم النظام في كل شيء ، مقررًا أنه خلق كل كائن بقدر ، والى الاجتماع والألفة تحقيقًا للوحدة الانسانية والعمل على تعيمها بين الناس حتى تصبح عالمية ، والى الحياة الحضرية الفاصلة وما تقتضيه من تماطف وترادف وإحسان ، والى محق الفوارق الجنسية واللونية واللغوية ، مقررًا أن الكل أبوم آدم وأمه حواء ، وأن لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أو بعمل صالح ، والى العلم والحكمة بأقصى ما تستطيعه القدرة البشرية معلقا عليهما سعادة الحيانيين ، والى العدل المطلق بين الناس كافة مؤمنهم وكافرهم عربيهم وأعجميهم ، والى القيام بالقسط والشهادة لله ولو على النفس والأقرباء والوالدين ، والى المساواة بين الخلق مهما كانت نحلهم وبيئاتهم ، والى نطلب الرقي الصوري والمعنوي من جميع مظاهرهما ، وعدم الجلود على حال واحدة .

ثم هو مع هذا كله قد دعا الناس الى وحدة عالمية ، والى دينة فطرية عامة تسع الناس كافة في كل زمان ومكان . (راجع القرآن الكريم)

لا مشاحة في أن هذا كله ليس بمصارة الفكر العربي ، ولا يمت اليه بأدنى صلة ، ولا هو بمصارة أرقى أمة كانت قائمة على عهد البعثة المحمدية أو قبل عهدها ، بل ولا عصارة رقى أمة من الأمم العصرية كما يرى القارئ بأقل تأمل ، فإذا تقرر هذا فقد سقطت أولى شبهات السيو أندويه هرفيه ، وأصبح بينها وبين الواقع المحسوس بعد للشرقين ، بل أبعد منه بما لا يستطاع تقديره .

الشبهة الثانية - يقول المسيو أندريه: كانت الشعوب التي سادها اليونانيون والرومانيون نشاطاً، وقوة إدراك، وروح ابتكار، جردتها منها السيادة الاسلامية. اللهم إن هذا منافض لبدايات التاريخ مناقضة صراحة.

وذلك أن البلاد التي فتحها المسلمون وكان يسودها آثار من اللدنية اليونانية والرومانية هي سورية ومصر وشمال أفريقيا كله والأندلس. فأما سورية فكانت ثمانى من عنت الرومانيين في الحكم، ومن اضطهادهم لها في الدين، ما أفردت له صحف سوداء في التاريخ، حتى حمل ذلك مثالب لألوف من اليهود واليعاقبة والذساطرة أن يلجأوا الى بلاد العرب هرباً من الجور لذي كان حاثقاً بهم، وفي هؤلاء علماء أعلام استخدمهم العرب فيما بعد في ترجمة العلوم، وأحسنوا مكافأتهم، وحججهم شرور الاضطهاد، وقرهم اخلفاء منهم حتى كانوا من أخص بعائاتهم، وعولوا عليهم في الطب والعلوم الطبيعية والرياضية، وحلدوا ذكرهم في مؤلفاتهم التاريخية.

وأما مصر فقد كانت كما يقول المسيو جول لا بوم على عهد الرومانيين، كالجنة للصرة، فبعد أن قتلوا من أهلها نحو ثمانمائة ألف نسمة لا اعتنائهم للسيحية بقصد إبائهم، عادوا بعد أن تنصروا هم فاضطهدوا مخالفينهم في الاديان، وأرهقهم بالضرائب والآثاوت، حتى قضيت خيراتهم، ووجد نشاطهم، ونحجرت عقولهم. فلما انتدب العرب لفتحها رعى المصريون بأنفسهم بين أيديهم، وعاونوهم على التخلص من نير مستعبدتهم. أليس هذا التواطؤ وحده أدل دليل على ما كان يعانيه المصريون من عسف الرومانيين وظلمهم وهم أبناء دين واحد؟ فلو كان للمصريين نشاط وقوة إدراك وروح ابتكار أفاضتها عليهم الدنية الرومانية لما سمحت نفوسهم أن يجازوا أصحابها بمائة أعدائهم عليهم.

أما شمال أفريقيا الذي استولى عليه المسلمون. ركة حرية تشبه رياضة عسكرية، فقد كان أهله من البربر واذحين كالمصريين تحت نير الاستعمار الروماني، بل كانوا أنفسهم

منهم حالا، فإنه كان للمصريين ذماء من مدنيّتهم القديمة، وأما أولئك فكانوا مجردين من مثل هذا الذماء أيضا، لأنهم لم تكن قديمة مدنية ولا وراثة أدبية، فكانوا على ما هم عليه اليوم من البداوة المتأصلة في نفوسهم، اللهم إلا جماعات عايشة الرومانيين واليونانيين في المدن التي أسسوها في بلادهم وكان حفظهم معهم حفظ المييد من سادتهم فإذا كان المصريون قد برموا بسادتهم الرومانيين إلى حد أنهم مالوا والعرب على تسليمهم بلادهم، فهل يمكن أن يكون بربر شمال أفريقيا أحسن حالا منهم؟

وهذه الأصابع من أفريقيا ظلت خاملة الله لا يسمع عنها شيء، يعتد به التاريخ حتى ملكها المسلمون، قد خلت تحت ظل الاسلام في دور جديد، فتألفت فيها خلافة مدت سلطانها على مصر نفسها، وكانت لها والجزائر وتونس أساطيل تهيبتها أساطيل أوروبا قرونا طويلة.

وأما لاندلس فقد كانت في عهدها الأخير تسودها قبيلة الوزيفو، وكانت عدوة للدينية الرومانية لم تدع معل من معالمها إلا هدمته. وجرت في حكم البلاد على طريقة الجور والاستبداد للفرطيين. وقد دخلها المسلمون بتواطئ بينهم وبين النصارى على حكومة المقتصبين. وما كادت تظفرها أقدامهم حتى أصلحوا إدارتها، وأحسنوا سياستها، وأسسوا فيها المدارس والجمعات، وأقاموا اللباني والعمارات، ونشطوا الزراعة والتجارات، وأحيوا الفنون والصناعات، حتى أصبحت مضرب المثل في العمران والدينية إلى اليوم.

أليس من غرائب التعصب أن ينكر المسيو أندريه كل هذه الآثار الناطقة ويدهي أن سيادة المسلمين أخذت نشاط الشعوب في البلاد التي احتلتها؟ ألم ير أن الشرق الاسلامي لبث متفوقا على الغرب في كل مجال إلى نحو ثلاثمائة سنة؟ فإذا كانت اسبانيا قد نجحت في التخلص من حكم المسلمين بسبب انقسامهم على أنفسهم فقد استعاض المسلمون من ذلك بفتح شرق أوروبا، وما زالوا ظاهرين حتى وصلوا إلى وسط تلك القارة

وهددوا رومية نفسها ، وحافظوا على فتوحاتهم فيها قرونا . وما ضرم إلا فترة من السكون اعترتهم بعد عراك طويل للحوادث دام ألف سنة ، بلغوا في خلالها قمة المجد ، وآلت اليهم فيها زعامة الأرض في السياسة والعلم والفنون والأدب . فهل يسمح لمسيو أندريه لنفسه أن يعتقد أن عصارة الفكر العربي الجاهلي تُمكن الآخذين بها من الاستيلاء على الزعامة العالمية طوال تلك المدة الطويلة من الزمن ؟ فبئس كانت عصارة الفكر اليوناني الروماني لتقاوم هذه الحركة الجاهلية في الأرض ؟ ألم يعلم أنها كانت قد جفت وتطايبت ذراتها في الهواء حتى جاء المسلمون فأعادوا تقطيرها ثانية ، وزادوا عليها من فيض جهودهم ما ضمن لها البقاء والنماء ما شاء الله لها أن تبنى وتمتد وتوثق ثمراتها للخلق ؟

من العبث أن أستشهد هنا بأقوال المؤرخين من أبناء الرنجة ، فهم في نظر المسيو أندريه هرفيه قد خدعوا فظنوا المدنية التي كانت عليها الأمم التي سادها المسلمون مدنية عربية ، والحقيقة أنها كانت يونانية أو رومانية . إذا صح هذا كان للمسيو أندريه هرفيه الذي ليس مؤرخ قد أتى المكابرين في التاريخ بوسيلة فذة لا تكلفهم أقل عناء ، وهي خرق إجماع المؤرخين .

ينجح لو كانت هذه وسيلة من وسائل التحيص لسهل على كل مكابر أن يثبت مدعاه برأيه الخاص ، فلا نصيب للحوادث التاريخية قيمة ، ولا يكون الإجماع أصلا من أصول التحقيق ، ويمتنع الاستشهاد بالتاريخ .

يقول للمسيو أندريه هرفيه : إنه كان الشعوب التي أحضرها اليونانيون والرومانيون نشاط وقوة إدراك ودروح ابتكار جبرتها منها السيادة الإسلامية . فكيف يعقل هذا الكلام والصفات التي يذكرها لم تكن لليونانيين والرومانيين أنفسهم في العهد الذي ظهر فيه الاسلام ؟

فهل يعقل أن يكون شيء منها مستعمراتهم التي امتصوا دمها وتركوها حجة مأمدة ؟

ألم يجمع المؤرخون على أن أوروبا كلها كانت في ظلام سالك من القرن الرابع إلى القرن الخامس عشر، حتى لم ينبغ فيه، في مدى هذه العشرة القرون عالم واحد، وهو العهد الذي يعرف عندنا بالقرون الوسطى؟ فليد لنا المسيو أندريه هرفيه عن النشاط وقوة الإبداع والابتكار التي يذكرها ثري أن كانت ثابته من ثباتها هذه الغياهب المتلبدة.

لا مشاحة في أن هذا خرق ثانٍ لإجماع المؤرخين يتحمل منه المسيو أندريه هرفيه تبعه فادحة، أقل ما فيها أن لا يكون لأقواله أية صبغة جدية، ولا أقول علمية.



بقيت عشر شبهات نتولى دحضها في المقالة التالية، إن شاء الله.

محمد فريد ومجدي

وجوه البلاغة

قالوا إن البلاغة تكون على أربعة أوجه : تكون باللفظ والخط والامارة والدلالة ، وكل منها له حظ من البلاغة والبيان ، وموضع لا يحوز فيه غيره .

فأما الخط والامارة فمفهومان عند الخاصة وأكثر العامة ، وأما الدلالة فكل شيء ذلك على شيء فقد أخبرك به ، كما قال الحكيم : أشهد أن السموات والأرض آيات دالات ، وشواهد قاطعات ، كل يؤدي حثك الحجة ، ويشهد لك بالربوبية .

وقال آخر : سل الأرض من غرس أشجارك ، وشق أنهارك ، وجنى محارك ، فإن لم تحبك إخباراً ، أجابتك اعتباراً .

ومن انشاء بالدلالة لا باللفظ من الشعر قول الشاعر :

لقد جئت أبني لنفسى مجيراً فجئت الجبال وجئت البحوراً
فقال لي البحر إذ حثته فكيف يجير ضرر ضريراً
ومثله قول نصيب بن رباح :

فما جوا فالتوا بالذي أنت أهله ولو سكنوا أننت عيك الحفائب
الثناء هنا كله بالدلالة لا باللفظ .

تأريخ الالفاظ في اللغة العربية

كلمة (الأدب) وأطوارها

فرغنا في المقالين السابقين من عرض آراء الباحثين في تأريخ كلمة «الأدب»، ولفتنا نظر القارئ الكريم إلى ما في مذهب أنصار القديم من قصور في البحث والاستدلال، وإلى ما في مذهب أولياء الجديد من تطرف يتسع أحيانا حتى ليوشك أن يكون نهورا، ولم نكنم فضلا لأحد المذهبين.

وفي هذا المقال الذي سنهني به الموضوع نحاول أن نوجه البحث إلى شيء من الأدلة على أن مادة «الأدب» كانت معروفة عند العرب بصيغ مختلفة في لعصر الجاهلي، وفي عصر صدر الاسلام، ومعروفة بهذا المعنى (الفني) الاصطلاحي الذي عرف لها في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي.

والواقع أن الاعتماد على النصوص الأدبية من الخطب والأشعار في العصر الجاهلي لا يفيدنا كثيرا في إثبات استعمال كلمة «أدب» في معناها الاصطلاحي (الفني) لأنه ليس لدينا نص صريح يثبت لنا ذلك. ونبادر إلى القول بأننا نقصد بالمعنى (الفني) ما كان يقصده شيوخ المؤدبين في العصر العباسي كالمفضل الضبي، والبرد، وثلعب، والكسائي، وأبي عبيدة، والأصمعي، وخلف الأحمر وأضرابهم، من حفظ الغريب والنحو والصرف وأيام العرب وما قيل من شعر ونثر... الخ، ولا يمكن أن نقصد إلى هذا المعنى المتعارف بيننا الآن، وهو الذي سميناه أديبا خاصا في المقال السابق، لأن هذا معنى مستحدث، أو هو تخصيص للعام، كما يقول العلماء.

هذان البحث إلى عبارة في «أساس البلاغة» للزحشرى، ولم أر أحدا من الباحثين تعرض لها، لأنها لم تذكر في مادتها، بل ذكرت عرضا في مادة أخرى، هذه العبارة قد تقلب نظرية بعض المستشرقين وأشباعهم من الباحثين في الأدب العربي، الشاكين

في معارف العرب الأدبية ، إذا عني بها المنصفون عناية جدية ، وتتبعوا مصادرها وتأريخها .

قال صاحب (الأسس) : « ونكلم فأغرب إذا جاء بخرائب الكلام ونواديه ، وتقول : فلان يغرب كلامه ، ويغرب فيه ، وفي كلامه غرابة ، وغرب كلامه ، وقد غربت هذه الكلمة : أي غمضت فهي غريبة ، ومنه مصنف الغريب ، وقول الأعرابي : « ليس هذا بغريب ، وسكنكم في الأدب غرباء » .

ونحن وإن كنا بعيدين عن معرفة من يكون ذلك الأعرابي ، وهل هو جاهلي أو إسلامي ؟ لكن سياق عبارة الأساس يفيد أن الكلمة عني بها « الأدب » بمعنى معرفة الكلام الغامض ، وهو كما قلنا معنى اصطلاحى عرف في أواخر الدولة الأموية وصدر العباسية .

ولا سبيل إلى القول بأن الكلمة مولدة لا تثبت حكماً لغوياً ، لأن المعاجم اللغوية يرض فيها غالباً عدم التعرض للمولد من الألفاظ دون إشارة أو فهم من السياق . والفخرى بخصوصه لم يمهّد منه ذكر المولد دون تقييده عليه ، وفي أساسه مزلة يفوق بها المعاجم اللغوية ، وتجعله نواة صالحة لقن تأريخ الألفاظ ، ذلك أنه يتتبع أطوار استعمالات الكلمة في حقيقتها ومجازها ، وقد ينلو في التوسع بالمجاز فيعتبر كل استعمال جاء بعد الاستعمال الأول مجازاً . ولعل هذا يرجع حصراً الحقيقة في الاستعمال الجاهلي غالباً ، كما يتبين للمتتبع له .

بخف بعض الشيء هذا العسر الذي يحده الباحث حين يعرض إلى بحث أدبي أولوى في العصر الجاهلي ، إذا جزنا ذلك العصر إلى ما بعده من عصر صدر الإسلام ، حيث تبدأ الحياة العربية في الجدة والانساع ، وحيث تأخذ اتجاهها منتظماً . فالنصوص الأدبية ، تحفظ لأن الناس حينئذ حراس على اللفظ لداعي الدين واللغة والمصيبة ، وتذاع وتقيد لأن الحياة الجديدة تتطلب تلك الإذاعة ، وذلك التقيد ، وحيث

أصبحت الرواية فناً مستقلاً له أصوله وقواعده يستبق الرواة في ميدانه إلى النقد والتحصيل .

يحدثنا أبو الفرج في لاغاني أن عمر بن الخطاب رداً ابن الزبير وصاحبه على حسان ابن ثابت فأسمعهما من شعره كما سمعاه حتى اشتق منهما في ملأ من الناس ، ثم قال عمر ابن الخطاب على مشهد من حضره : « إني كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعا للتضامن عنكم ، وبث القبيح فيها بينكم ، فأما إذ أبرا فاكذبوه ، واحتفظوا به » فدونوا ذلك عندهم . قال أبو الفرج : « قال خلاد بن محمد : فأدركته والله وإن الأنصار لتجدها عندها إذ خافت بلاء »

زل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم وتدارسه مع أصحابه ، وتحدث إليهم في شرح ما غمض من أحكامه ، وتبيين ما أحمل في آيه ، والنبي صلوات الله عليه شرع فيما لم ينزل به عليه قرآن مما أذن الله له أن يحدث به عنه ، ويشعره لأمرته وحياً غير وحى التلاوة والقرآن ، والصعابة دم في كثرة الأتوف انتشروا في أرجاء الأرض يعلمون الناس آداب هذا الدين الكريم وشرائعه ، ومما قتشوا يسألون ، ويسألون ويتحاورون ويبحثون . وجماعات من العرب بقيت مع الماضي ما برحت تذكره وتفتنى به ، وتكثر من الحديث عن أيام جاهليتها ، وما قيل فيها من منظوم ومنثور ، فكان القرآن الحكيم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ومأثور أصحابه وخلفائه وما تخلف من أدب العرب في جاهليتهم وتحدث به من أدركوا الإسلام منهم ، هي مادة البرنامج الحديث لتلك المدرسة الأدبية العربية الإسلامية الجديدة التي أسسها الإسلام .

ففي أيها وجد لأدب حجته تلقاها واتقاها مطمئناً إليها ، فإذا لم يجد البحث في القرآن الكريم نصاً يثبت مادة « الأدب » فليس ذلك سبباً ينهض للدلالة على عدم عرفان لغة العرب لهذه السادة قبل الإسلام ، لأن القرآن لم يجمع ألفاظ اللغة كلها ، وليس هو معجماً للغة حتى يفرض فيه النص على كل مادة لغوية .

وإذا ولى، لا نصار البحث (التأثر) أن يجدوا منفذا إلى التشكيك في صحة بعض النصوص الأدبية في العصر الجاهلي، فليس من السهل التسليم لهذا التشكيك في عصر صدر الإسلام.

وحديث «أدبى ربى فأحسن تأديبي»، وإن لم يرتفع في مرتبة إلى الصحة القاطعة لكنه لم ينزل عند ثقات الحديثين إلى الوضاعة الكاذبة، وعدم ثبوته بلفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنع الاحتجاج به في إثبات وجود مادة «الأدب» في صدر الإسلام، لأنه على فرض أن الراوى رواه بالمعنى وعبر عنه بعبارته من عنده، فهو لم ينتجر المأخذ افتجاراً، وإنما المقول أن يكون التعبير منه باللفاظ معروفة متداولة فيما بينهم، وذلك يكفي لإثبات وجود مادة «الأدب» في صدر الإسلام، وهذا النص لا تشبث به نشيت الغريق بعود الخلفاء، وإنما نستأنس به استئناس الغريب ببلد سمع لحن قومه وبلده.

والحديث مروي في مقدمة «النهاية» لابن الأثير في سياق يختلف به معناه عما يفهمه كثير من الباحثين، فإنهم يفهمون منه: التعليم والتعلق والتهديب، وسياق ابن الأثير يفيد أنه يراد منه بعض للمعنى الاصطلاحي (الفنى) للكلمة. وعبارته: «وقد عرفت أبدك الله وإيانا ملطفه وتوفيقه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب لساناً وأوضحهم بياناً، وأعذبهم لفظاً، وأسدعهم لفظاً، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخصب، وأهدام إلى طرق الصواب، تأييداً إلهياً ولطفاً سماوياً، وعناية ربانية ورعاية روحانية، حتى لقد قال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وسمعه يخاطب وقد بنى همد: يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا فهم أكثره. فقال: أدبى ربى فأحسن تأديبي، وربيت في بني سعد».

ولو قدروا عدم صحة هذا الحديث بلفظه فليس ذلك بمضرب للبحث، لأننا عثرنا على حديث يرتفع بنصه إلى مقام الصحة عند الثقات رواه الترمذى في سننه وهو قول النبي

صلى الله عليه وسلم : « ما نحل والد ولد من نحل أفضل من أدب حسن » وهو يذهب بالمادة مذهباً آخر في سميتها ومحتواها ، لأنه يذكر كلمة « أدب » وهي نص في موضع النزاع — كما يقولون — ويستعملها بمعنى التهذيب والتربية الخلقية ، وهذا أقرب المعاني الى المعنى (المعنى) الاصطلاحي .

وهذا حديث ثان لا ينزل عن مرتبة الصحة الرجحة ، برويه أصحاب الصحيح عن عبيد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن هذا القرآن مأدبة لله تعالى ، فتمعدوا مأدبته ما استطعتم وإن أصغر البيوت ليبت أصغر من كتاب الله » . قال السيد المرتضى في أماليه شارحاً لهذا الحديث . « المأدبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ، ويدعو اليه الناس ، فشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما يكتسبه الانسان من خير القرآن ونفعه وعائده إذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به ، يقال قد أدب الرجل يأدب فهو أدب فهو أدب إذا دعا الناس الى طعامه وشرابه ، ويقال للمأدبة المدعاة ، وذكر خلف الأحمر : أنه يقال فيه أيضاً مأدبة بفتح الدال : قال طرفة المبدي :

نحن في المشتة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتفر
وقال الهذلي يعصف عقابا :

كان قلوب الطير في جوف وكرها نوى القسب ملني عند بعض المآدب
أراد جمع مأدبة . وقد روى هذا الحديث بفتح للمأدبة ، وقال الأحمر : أراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الصم ، وقال غيره . المأدبة بفتح الدال مقلة من الآدب معناه أن الله تعالى أنزل القرآن أدماً للحلق وتقويماً لهم .

فأنت تراه قد صرف الكلام وأداره كله على لفظة « المأدبة » من الحديث ، وهذا يدلنا على مراعاة هذه المادة في لغة العرب ، وأنها صحيحة ورود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو أن شيئاً من الشك أو الضعف لا يس هذا الحديث يتمه لنبه عليه

الثقات ، ولكان السيد المرتضى يشير إليه على الأقل في صدد نقل أقوال العلماء في معنى المأدبة وتفسيرها .

وهذا حديث ثالث يرويه صاحب الأغانى وكتب السير في قصة مقتل أبي جهل يوم بدر: أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصف لأصحابه أبا جهل بصفة تميزه من بين قتلى المشركين فقال : « انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح بركبته فإني زدت أنا وهو يوما على مأدبة لعبد الله ابن جدعان ، ونحن غلامان ، وكنت أشب — أو أشف — منه يسير ، فدفعته على ركبتيه فخدش في إحداها خدشا لم يزل أثره فيها بعد » . وهذا الحديث يجري ذكره في هذا لمبعث جرى الشاهد الأدبي الذي يعتضد به غيره .

وأما الكلام السابق عن الخلفاء وعلماء الصعوبة وأدبائهم فلا يكتفى لرفضه أو الشك فيه هذا الكلام المجمل الذي لا يستند إلى حجة . ونحن إذا قرأنا كثرة النصوص التي استعملت فيها هذه المادة أيام الخلفاء وعصر الصعابة ، أحسنا إحساسا لا يخلو من قوة بأن مادة الأدب كانت معروفة لهذا العهد متداولة في معانيها المختلفة . ومن ثم ترجع من طريق الصقل الزمني إلى العصر الجاهلي دون أن نستطيع البحث تحديد الوقت الذي ظهرت فيه من ذلك العصر ، لأن النصوص القاطعة تموزنا لا تثبت أولية هذه المادة ، غير أني أؤمن إيمانا قويا أنها اتصل اتصالا وثيقا بحضارات العرب في اليمن والمراق والشام ، ومكة ويثرب ، وقد يصح أن يكون عرب البوادي ظلوا ببيدين من تداولها ما داموا في عزلتهم ، أما بعد نشأة تلك المجتمعات الأدبية في أسواق العرب وأنديتهم وحول البيت الحرام ، فبعد ألا يكونوا قد عرفوها وتداولوها فيما بينهم ؟

صادق إبراهيم عرجوم

الاسلام والطب الحديث

بحوث دينية علمية

— ٤ —

قال تعالى : « تُولَجُ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَتُولَجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَنُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مِنْ تَشَاءِ بِغَيْرِ حِسَابٍ » آل عمران الآية ٢٧
 قيل في تفسير ذلك : إنشاء الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ، ولكن النطفة هي حيوانات حية ، وكذلك خلق حيوان من النطفة ، فهو خلق حي من حي ، فلا تنطبق عليه الآية الكريمة على هذا التفسير ، والله أعلم .

فلماذا قيل إن معنى الآية خلق آدم من طين أى خلق حي من ميت فهذا صحيح ، ولكنه ليس المقصود من الآية ، والله أعلم ، لأنها تشير الى أن الخلق شيء عادي يحصل يوميا بدليل ورودها بعد « تُولَجُ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَتُولَجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ » بالتماف ، وهذا شيء اعتيادي . فانه يضرب لنا مثلا نشاهده يوميا ودائما .

والتفسير الحقيقي هو « إخراج الحي من الميت » كما يحصل يوميا من أن الحي ينمو بأكل أشياء ميتة ، فالصغير مثلا يكبر جسمه بتغذية اللبن أو غيره والغذاء شيء ميت ، ولا شك في أن القدرة على تحويل الشيء الميت الذي يأكله الى عناصر ومواد من نوع جسمه بحيث ينمو جسمه هو أهم علامة تفصل الجسم الحي من الجسم الميت . وقد كتب علماء حيوان فقالوا : إن « النعجة » مثلا تتغذى بالنبات ، وتحوله الى لحم ، وهذه أهم علامة على أنها حية ، وكذا الطفل يتغذى باللبن لميت ويحوله الى جسمه الحي . وأما إخراج الميت من الحي فهو الإفرازات مثل اللبن (وإف شت فلهوم الحيوانات أيضا والنباتات) فإن اللبن سائل ليس فيه شيء حي (بخلاف النطفة فإن

فيها حيوانات حية) ، وهذه تخرج من الحيوان الحى ، وهكذا ينمو الحى من الميت ، ويخرج للميت من الحى ، والله أعلم بمراده (١) .



قال تعالى : « ورسولاً الى بنى اسرائيل ائى قد جئتكم باية من ربكم ائى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا ياذن الله وأبرى الأكمه والأبرص وأحيى الموتى ياذن الله » الآية ٤٩

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » الآية ٥٩

« بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » الآية ١٢٥

لقد وضعت هذه الآيات بعضها مع بعض لأنها من نوع واحد فى إظهار قدرة الله بالنسبة للإنسان ، وقد اعترض على حمل الطين بشكل الطير ، لأنه لا لزوم لذلك ما دام الله قادراً على إحيائه الخ . والحقيقة أن فى ذلك حكمة عالية ، لأن الإنسان خلق محدود الإدراك والحواس ، ولا يفهم ولا يرى ولا يسمع إلا ما كان فى متناول إدراكه ، فإن رأى شيئاً فوق طاقته اجتهد فى أن يردّه الى شىء يعرفه ، فإن لم يمكن بقى متعيراً ، وإن تكرر ذلك أدى الى اضطراب فى الأعصاب قد يكون خطراً . وهنا يلتحظ لطف الله فى أنه لا يظهر قدرته للإنسان إلا بطريق التدرج ، وهذا يلاحظ فى كل المعجزات على الإطلاق ، لأن الله تعالى يخلق الطير من العيين ومن غير الطين ، سواء أكان فى شكل الطير أم لم يكن . وكذلك لا داعى للتنفخ لأن طريقة الإرادة الإلهية هى « كن فيكون » ولكن الله يقرب فهم الإرادة بهذه الطريقة ، لأن الطين إذا كان

(١) نشر ما ذكره الدكتور على أنه رأى له . وقد قيل إن مناه يخرج اللسان الحى حياء عليه وقلية من رجل ينتهز بيتاً لتجرده من هذه اللواهب ، ويخرج المجرّد من هذه الحياة الروحية من رجل حائل عليها على أكمل حال .

بشكل الطير يشته فيه الانسان بالطير الحقيقي ولا يكون هناك فرق بينهما إلا الحياة مع أن ذلك كل الفرق ، وبعدها ينفع فيه .

وعملية النفخ تجعله ينتظر تغييرا كما يحدث في أشياء كثيرة مثل الكرة إذا نفخ فيها وغير ذلك ، فعند وجود الروح في هذا الهيكل الطيني تكون الصدمة قد تكسرت حدثها بانتظار حدوث شيء مهم ، مع أن كل هذه المقدمات لا تدخل لها مطلقا في وجود الحياة والروح .

وهذا هو بنفسه ما يحدث عند إبراء الأكمة الخ ، لأن ذلك قد يحدث من نفسه أو بواسطة طبيب في حالات عصبية مخصوصة (غير عضوية) ، ولهذا يشته فيها الناظر . وللمعارضين أن يقولوا إنها ليست معجزة لأننا نراها على أيدي أشخاص كثيرين ، مع أن الفرق بين إبراء الأكمة الذي فقد بصره بفقد العين نهائيا ، وبين إبراء الأكمة المصبب بالمستيريا الخ مثلا ، يشبه الفرق بين الطين لذي في شكل الطير والطير الحقيقي ، ولكن الله تعالى أراد أن يفهم الانسان بذلك قدرته تدريجيا ، فالانسان أولا يشك ويقول ربما كان كل هذا من الأشياء العادية التي ليست فوق قدرة الانسان ، وربما كانت شيئا غير عادي ، ولكن الله يقول بعد ذلك : وأحي الموتى ، لكي لا يدع مجالا للشك مطلقا .

إننا نجد هذه الطريقة نفسها في تربيخ سيدنا عيسى عليه السلام ، لأنه خالق من نقطة الأم فقط ، وفي العالم المادي لا يمكن أن يخلق الحيوان إلا من نطفى الأب والأم . ولكن الطريقة التي ولد بها سيدنا عيسى كانت بحيث لا تكون صدمة لمقول للعاصرين ، فقد انهم هؤلاء السيدة مريم مدة من الزمن ، لأنهم يصيغتهم فسروا ولادته أو اعتبروها كولادة الناس عامة ، ولكنهم أخذوا يفهمون الحقيقة تدريجيا عند ما اقتنعوا بصحة المعجزات الأخرى التي أتى بها المسيح . وقد وصلوا إلى هذا الفهم على الرغم من أن عيسى خلق من أم فقط ، ولكن خلقه على هذه الصورة لا يقل

من خلق آدم من طين ، لأن نظام الكائنات يجري على سنة واحدة لا تتخلف أبدا
إلا حيث يريد الله ، ومتى أراد الله ، فلا معنى لطريقة خاصة ، ولا حاجة لى واسطة إلا
بقدر لا يقلل من تأثير الصدمة على الانسان كما بينا .

وهنا يظهر جليا معنى قوله تعالى : « بخمسة آلاف من الملائكة » الآية ، وهى التى
طلعن فيها أيضا بدعوى أنه ما دام الله تعالى يريد نصرته فذلك لا بد أن يحدث بدون
ساجدة الى إرسال ملائكة ، ولكن إرسال هذه المساعدة وتعيين عددها الخ هو لتقريب
طريقة التصرف لفهم الانسان ، فلا يقع فى الحيرة ، وأما عمل الله فهو فوق إدراكنا ،
ولا يمكننا أن نفهم منه إلا « كن فيكون » .

وكذلك الحال فى عصا موسى التى استعملها مع الساحرين وشق بها البحر لتخفيف
وقع الصدمة على الحاضرين ، فهذه الحال لا تختلف ، فى رأى العين ، عن عصا الساحر ،
ولكن أثرها يختلف اختلافا كبيرا .

وكذا حمل امرأة سيدنا زكريا ، التى ذكرها القرآن فى سورة مريم ليمهد بها
لقصة سيدنا عيسى : لا تقل فى الإعجاز من كل المعجزات ، ولكنها ملطفة لأن الناس
كثيرا ما يشاهدون العاقر تعالج وتلد وكذلك الشيخ الكبير ، ولكن عقمها كان
لسبب حقيقى كالذى فقد رجله ، ولكن الله جلت قدرته أراد اللطف بعبده .

ولمنع التكرار سأورد هنا آيات من مريم لعلاقتها بسيدنا عيسى : قال الله تعالى :
« فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت إني أعوذ
بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لا أهب لك غلام زكيا . قالت أنى
يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هب » .

وهذه المعجزة كما قلنا لطف الله فيها بمریم فأراها ملكا فى شكل بشر ، وقال لها
سأهب لك غلاما ، فأجابت بأن هذا غير ممكن لأنه لم يمسسها بشر ، ولكن رؤية الملك
والظروف المحيطة برؤيته أوجدت عندها بعض الشك فى أنها ربما حملت ولكن
بطريقة غير عادية ، وهذا ليهي عقلها لاحتمال صدمة الحمل عند ما يحصل .

«والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا» : هذا ليمى . أفكار الناس ويقتل من صدمة المعجزة ، وكان الله تعالى يقول لنا إن النفخ أخذ مكان نقطة الرجل مع أن تمثل الملك بالبشر ليس إلا مثل تشكيل الطين بالطير ، و « النفخ » فى حكاية سيدنا عيسى ليس إلا كالنفخ فى الطين ، وكل ذلك لتقريب فهم المعجزة .

والحقيقة أن سيدنا عيسى خلق من نقطة السيدة مريم ، والجزء الآخر الذى يمثل الرجل خلق بإذن الله وقدرته ، ولا يمكننا أن نعرف أكثر من ذلك « كن فيكون » وأهمية الحادث هى ليست فى خلق إنسان لأن الآلاف تولد يوميا ، ولكن الأهمية هى فى أن السنن التى خلقها الله وكفل لها الاستمرار وعدم التبديل ، والتي وجدها العالم كله ويسمىها الطبيعيون الطبيعة « ولن نجد لسنة الله تبديلا » قد بدلت ، وهذا لا يكون ولا يمكن أن يكون ، إلا بالقدر الإلهية التى تضع جميع السنن ، أى أن سيدنا عيسى خلق بسنة جديدة ، نخلقه بثابة « بدء الخلق » تماما ، وهذا هو السبب فى أن ولادته وحياته كانت صدمة شديدة للذين كانوا فى عصر ولادته من الناس ، وللذين جاءوا من بعدهم ، حتى إن أمما فتنت وقالت إنه ليس بشرا مثل آدم بل هو ابن الله ، وأن ولادته مع ما صحبها من اللطافات قسمت الأمم شيما ، ولكن هذه إرادة المولى « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » . وكثر عبد العزيز اسماعيل

الرضا بالظاهر من المودة

ارض من المرء فى مودته	بما يؤدى اليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا	يصح منه غدا سرائره
يوشك أن لا يتم وصل أخ	فى كل زلاته تناثره
إن صا فى صاحبي احتملت وإن	مر فاني أخوه شاكره
أصفح عن ذنبه وإن طلب المذ	ر فاني عليه مذره

فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك في المجتمع الانساني

نريد في هذا البحث أن نعرض ولو لما الى شوق النفس وما يصدر عنها من الأفعال المميزة لها عن النفوس غير الناطقة ، فشوق النفس الى المعلوم والمعارف فضيلة من فضائلها ، بل هي الفضيلة المعطى التي أربت على كل فضيلة ، منذ قيام البشرية في الأرض بسبب التكليف .

وعلى مقدار طلب الانسان لهذه الفضيلة واستلزام الأصلاح منها في شتى مناجيها والتغلب على العوائق التي تقطعه عنها ، يكون نجاحه فيها . وقد أثبتنا في البحث السابق ما هي تلك العوائق التي تقف عتبة في سبيل التهوض بهذه الفضيلة .

وبدئنا أن الفضائل من حيث هي كذلك لا يستطيع تحصيلها إلا بعد أن تخلص النفوس من الرذائل التي هي أضداد تلك الفضائل وتقاوضها ، وهي شهواتها الشائرة الجسدية ، ونزواتها الفاحشة البهيمية . ذلك لأن الغرض المقصود من وجود الانسان حين يتوجه اليه هو ما يجب أن يسمى الشخص به حياً أو سميذاً . أما من عاقته للعوائق وصرفته الصوارف عن بلوغ ما يحصله من مميزات الانسان الذي يحمل النفس الناطقة ، فهو الشرير أو الشقي .

فالمميزات إذاً هي التي تحصل للانسان بإرادته وقمعه واختياره وسميه في الأمور التي من أجلها وجد الانسان وقام بمهمة عمارة الكون ونحري أفضل برامج الحياة .

وقد قسم الفلاسفة الأولون الأخلاق الى أقسام شتى ، قتها ما هي شريفة ، وسيأتى طرف ، ومنها ما هي ممدوحة ، ومنها ما هي بالقوة كذلك .

ولقد سبق لنا أن أثبتنا لحضرات القراء أن كل موجود من الوجودات له كمال خاص وفعل لا يشاركه فيه غيره من الوجودات . وهذا الحكم مستمر في الأمور العالوية

والسلفية كالشمس وسائر الكواكب ، وكأشكال الحيات والنبات والمعادن ، ولكن الانسان من بين سائر الموجودات له فعل خاص لا يشاركه فيه غيره وهو ما صدر عن قوته المميزة العاقلة ، فكل من كان يتميزه أصبح ورويته أصدق واختياره أفضل ، كان أكثر في إنسانيته وأبلغ في معقوليته وأفضل فيما يترتب عليها من الآثار .

وكما أن السيف والمشار مثلاً ، وإن صدر عن كل واحد منهما فعله الخاص وهو التقطع بالقياس الى كل واحد منهما منفرداً عن صاحبه ، يختلفان في كيفية التقطع وسرعته وبلوغ النجاة منه على أكل وجوهها ، فكذلك الانسان بالقياس الى ما دونه من نبي جنسه ، وكذلك الشأن في الفرس والبازي وسائر الحيوانات ، فإن أفضل الأفراس ما كان أسرع حركة وعدواً وأشد نشاطاً وتيقظاً لما يريد الفارس منه من طاعة للجسم وحسن القبول في الحركات وخفة العدو والنشاط ، فكذلك الناس أفضلهم من كان حريصاً على أفعاله الخاصة به وأشد تمسكاً بشرائط جوهره الذي تميز به عن الموجودات . وإذا يكون من الأحرى بكل ذي مسكة من العقل أن يحرص الحرص كله على الاستمسك بأسباب الخير ومصادره ، وأن يفر بدنه وهرضه وخلقه من أسباب الشر ويواعه ليستكمل من الحيائين أو فر حظ وأوفى نصيب ، فإن الحيوان كالفرس مثلاً إذا بدا منه تقصير عن الحد الذي يحفظ له نمت الفرسية وانحط عن الفضل المتعم لما هيته بحيث لم تظهر بميزاته اللاصقة به على أكلها وأتم وجوهها ، انحدر الى مرتبة الحر وكان خليفاً أن يؤخذ بالأفكاف ، وأن يساق بالعصا كما تساق الحر .

وكذلك حال السيف وسائر الآلات متى قصرت عن أداء ما يحفظ لها نعمونها انحطت عن مراتبها الى ما دونها واستعملت استعمالاً يتفق وما هبطت اليه من غير مستواها الموجهة اليه . فالانسان إذا قصرت أفعاله وقصر فيما خلق له وقامت في وجهه الصوارف لفعله الصادر عنه باختياره بحيث تكون أفعاله الصادرة عن رويته غير بالغة حد الانسانية الملهذية العاقلة ، انحط الى مرتبة البهائم والتحق بأصناف ليست من صفه . أما إذا صدرت عنه تلك الأفعال مضادة لأنواع الخير بحيث تكون مظاهر

من الشر ومجموعة غير سالحة من الرذائل التي من شأنها أن تصرفه عما عرض له من تركية نفسه وصفها في قالب من الخير ينتهي به الى الملك الرفيع والجاه المنيع والسرور السرمدي والديش الرضى، وانخدع عن هذه الموهبة السرمدية الشريفة بتلك الخسائس الوهمية التي لا ثبات لها، كان خليفا بالمقت من خالقه، حقيقا بالرأه له

وإذا تجلى الناظر أن سعادة كل إنسان تكون بالقياس الى ما يصدر عنه من لأفعال الميزة للإنسان والتي هي جزء من مقوماته، وأن لهذه السعادة للترتبة عما يصدر عنه من الأفعال مراتب كثيرة بحسب الروية والمرؤى فيه، ولذلك قيل: أفضل الروية ما كان في أفضل مرؤى، ثم ينزل رتبة رتبة الى أن ينتهى الى النظر في الأمور الممكنة من العالم الحسى، فيكون الناظر في هذه لأشياء قد استخدم رويته والصورة الميزة له التي بها صار سميدا مستأهلا للملك الأبدى والنعيم السرمدي بالقياس الى أشياء دنيئة وأمور تافهة لا ثبات لها ولا ظل لها من الحقيقة، فقد تبين أن هناك أجناسا من السعادات على الجملة، وأن أجناسا من اشقاقات على الجملة، تنحل هذه وتلك الى جزئيات بحسب ما يصدر عن الانسان من العوامل الموجبة أو السالبة، وبحسب ما تتفاعل به نفسه منساقا بعوامل الخير أو بدوافع الشر، وكل ميسر لما خلق له، وأن الخيرات والشرور في الأفعال الارادية هي إما باختيار الأفضل والسمل به، وإما باختيار الأدنى والميل اليه. ولما كانت هذه الخيرات الانسانية وملكانها التي في النفس كثيرة ولم يكن في طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها، وجب أن يقوم بجميعها جماعة كثيرة منهم، ولذلك وجب أن تكون أشخاص كثيرة وأن يجتمعوا في زمان واحد على تحصيل هذه السعادات المشتركة لتكميل كل واحد منهم بمأونة الباقين له، فتكون الخيرات مشتركة والسعادة معروضة بينهم فيتوزعونها. ولأجل ذلك وجب على الناس أن يحب بعضهم بعضا، لأن كل واحد يرى كما له عند الآخر، ولولا ذلك لما تمت للفرد سعادته، فيكون إذا كل واحد بمنزلة عضو من أعضاء البدن، وقوام الانسان بتمام أعضاء بدنه. عباس طه

الاسلام والمسيحية

اطلعنا في المجلة الاسلامية التي تصدر بلندن باللغة
الانجليزية على محاضرة تحت هذا العنوان، قرأنا نقلها الى العربية
لما حوته من المعلومات النفيسة عن المدينة الفاضلة التي أوجدها
الاسلام، فأليك :

يتناول الموضوع الذي سأتكلم فيه الليلة، المقارنة بين ديتين، وللفارقات، كما تعلمون،
من الأشياء غير المرغوب فيها والتي تكثفها المضاعف. ولكن كثيرين من المسيحيين
قد قاموا فعلاً بالمقارنة بين الدين الاسلامي والدين المسيحي، فكانت الصورة التي صوروها
من الاسلام ناقصة، وكانت من الانصاف أن تُسهب ولو قليلاً في جلاء الحقيقة
في هذه المحاضرة.

حاء الدين الاسلامي في القرن السابع بعد الميلاد وكانت المسيحية إذ ذاك، على حد
قول سير وليم مور، واهنة فاسدة عاجزة من جراء الشقاق والانشقاق بين معتنقيها،
وكانت قد استعاضت عن التعاليم القديمة الصحيحة بالخرافات والخرعبلات الصبائية،
وكان العالم المتمدن في ذلك الوقت على حافة الدمار، وكانت المدينة كشجرة ضخمة متمفنة
لا تقوى على الوقوف، وكانت بلاد العرب أقيم بقعة في عالم مظلم، كان يسكنها شعب
لا يعرف قانوناً سماوياً ولا دنيوياً، ولا يفتأ يلجأ في كل حين الى ضروب من الفتنك
وسفك الدماء.

وولد محمد، رسول الدين الاسلامي في هذا الشعب، وعرف فضله في داخل بلاده
وفي خارجها على السواء، فقد أصبح لبلاد العرب تحت زعامته دين واحد وقانون واحد،
ثم انتشر هذا الدين وهذا القانون من بلاد العرب الى العالم شرقاً وجنوباً. قال كارليل :

» إنه لم يمض قرن على ظهور الاسلام حتى أخذ يتألق نجم بلاد العرب ويضيء شطرا كبيرا من العالم ثم ظل كذلك مصورا طويلا .»

إنكم تعرفون أنه لما جاء الاسلام كانت المسيحية مستندة الى سلطان الأباطورية الرومانية ، كما كانت قائمة على التقاليد الحميدة لليهودية واليونانية ولرومانية . ولكن الاسلام على الرغم من ذلك ، كان يتقدم في كل ناحية وصوب ، فنقص نفوذ المسيحية وأصبح للمسلمين في جميع أنحاء العالم مقام خطير ، ولم تستطع المسيحية منافسة الاسلام لا في السياسة ولا في الإدارة ولا في الثقافة العلمية ، على الرغم من أن المسيحية كانت الوارثة الوحيدة لثلاث مدن عظيمة . ومن سوء الحظ أننا نجد هذا الماضي الحميد مدفونا في بطون التاريخ لا يلم به كثير من المسلمين ولا غير المسلمين ، حتى ليحسب الانسان العادى أنه يستحيل على الاسلام أن ينافس المسيحية في معترك الحياة في أى وقت من الأوقات .

إن آلافا من وعاظ المسيحية الغيورين الذين يقررون بأن الحياة الدنيا حياة غواية وغرور ، يحاولون في هذه الأيام إقناع الناس بتفوق المسيحية على الاسلام ، مستندين في ذلك الى المدينة الراهنة المتصلة ، صبح ذلك أو لم يصح ، بالديانة المسيحية ، كأن الاسلام لم يكن له من التاريخ الحميد ما يفاخر به سواء . ولقد وضعت مئات من الكتب في أن الاسلام لا يصلح ديناً لمجتمع متمدن ، كأن الاسلام لم تكن له مدنية ، وكأن المسيحيين كانوا دائما ، كما هم اليوم ، متمدنين ، وكأن الحضارة الحالية لم تكن إلا ثمرة التعاليم المسيحية .

ذلك أرى أن أطلعكم على شئ من ماضى الاسلام ، وأن أذكركم ببعض الظواهر الواضحة للعصاة التي تربط المسيحية بالمدنية الحاضرة . إذن فلنخلق معا فوق التاريخ القديم لنشهد شيئا من مجد الحضارة الاسلامية . ولهبط ، كما هبط السندباد البحري ، على شاطئ دجلة بينغداد المعروفة في كتاب ألف ليلة : كانت بغداد في العصر العباسي

عاصمة الاسلام ، وعين العراق ، ومقر الأباطورية ، وموطن لجمال والفن والثقافة . وكان المصور فسيح النصور ، سليم التصرف في حكومته ، كما كان كذلك أيضا في عضده ورعايته للفنون . ومما يحكى عنه أنه دعى مرة أمام قاضى المدينة بناء على طلب أصحاب الخمال ، فحضر بنفسه اعترافا بمساواة الناس جميعا أمام القانون ، ولم يكن في صحبته غير أمينه ، ثم وقف أمام القاضى كأحد للتقاضين العاديين فلم ينهض القاضى للقائه . وجاء الحكم في صالح المدعين ، فكافأ المصور القاضى اعترافا بنزاهته ، وإكباراً لحرية القضاء . هذا ذلك هو الذى عمل على جعل بغداد مركز العلم والثقافة ، وأسس بها قسما لترجمة المؤلفات العلمية الى اللغة العربية .

ونسج هارون الرشيد على منوال جده بقدرة وكفاءة ، فاعترف له المؤرخون بأنه من أعظم الحكام في جميع العصور . وكان للموسيقى ابراهيم الموصلى وجبرئيل الطيب من بين الرجاى البارزين الذين زدهر بهم عصره ، وكان الرشيد نفسه شاعرا ، فكان يعيل بطبعه الى الشعراء وبكائهم . ولقد أنشأ المواصلات بين بلاده والبلاد الغربية ، وبين بلاده وبلاد الشرق الأقصى . وكان أول من قبل في بلاطه السفراء من امبراطور الصين ومن شارلمان ، وتعد الساعة المحيية التى أهدها الى شارلمان عملا عجيبا من أعمال الميكانيكا حتى في وقتنا هذا .

أما خلافة المأمون فقد كانت عصرا من أبهى عصور التاريخ العربى ، إذ قد خلفت سنو حكمه العثرون آثارا باقية من التقدم الفكرى للمسلمين في جميع نواحي التفكير ، فلم يقتصر تقدم العرب على فرع من فروع العلم أو الآداب ، بل كان شاملا الفلسفة النظرية والأدب والعلوم والرياضة والفلك والطب وغير ذلك . وقد أخذت أسبانيا العربية والقسطنطينية المسيحية عن العرب هذا الميراث المجيد ، ثم أخذته عن هؤلاء أوربا الحديثة .

ويجب أن لا ننسى للمأمون حسنة من حسنات شهرته الخالدة ، ألا وهى تسامحه

وحكته السياسية . فقد أقام مجسدا للحكومة أو برلمانا مكونا من ممثلين يمثلون جميع الطوائف من مسلمين ومسيحيين وصائين وشيعة زرواستر وهندوس ، وكانت في أيامه تراعى الحرية الدينية والعكرية مراعاة تامة ، فكانت توجد نحو أحد عشر ألف كنيسة مسيحية ومئات من المعابد اليهودية ، فلم يحاول قط مصادرة مواردها أو تجريدها فسيها من حقوقهم وامتيازاتهم .

وكان يشرف على الترجمة من الإغريقية والسريرية والكلدانية كوستابن لوقا ، وكان يشرف على الترجمة من الفارسية القديمة بمحي بن هارون ، ومن السنسكريتية دويان البرهمي . ولقد قلص العرب حجم الأرض لم كانت أوروبا المسيحية تؤكد أنها منبسطة . واخترع أبو الحسن المظار القرب (التمسكوب) وأقام للمأمون أول مرصد باشمسية بصهول تدمر .

والعرب هم مخترعو الإبرة المغناطيسية (البوصلة) التي أمكنتهم من السفر الى كاتى وجزر السلايا لاسيا جباوه وباتانيا حيث نجد الآن ذرية العرب . ووصلوا جنوبا الى مدغشقر واستعمروا أفريقية الشرفية حيث نجد نفايا ، مبراطوريتهم القوية في سلطنة دار السلام . ووصلوا شرقا الى مولتان في الهند وغربا الى اسبانيا وجنوب فرنسا واستولوا على صقلية ومالطة ، ولا تزال آثارهم بها الى الآن .

وفي عصر الخلفاء العباسيين تفوق العرب في جميع الصناعات وشجعوا خلفاؤهم ، فكانت بالبصرة مصانع الزجاج والصابون ذات شهرة عالمية بزت مصانع البندقية للمنافسة لها في ذلك الزمان . وقد أنشأ المعتصم مصانع جديدة في بغداد وسامرا وغيرهما من المدن الهامة . وكل العرب يستقدمون العيال المصريين لصنع الورق في بغداد في الحين الذي كانت فيه المصانع الملكية لصناعة التطريز والزركشة بخيوط الذهب والفضة تزدهر في أسفهان وتبريز . أما سمرقند وبخارى ودمشق وخراسان وشيراز فقد كانت معروفة بأنوالها لنسج الحرير والساتان والسجاجيد .

وكانت الأمهراطورية العربية غنية أيضا بما تنتجه من المواد الأولية ؛ كالقمح والشعير والأرز والبلح والفاكهة بمختلف أنواعها . أما القطن فكان يزرع في حلب وبيروت وكيلات وصور ، كما كان يزرع قصب السكر ويكرر في الأهواز وفارس . وأنشئت الجامعات والمستشفيات في جميع البلدان الكبيرة حيث كان التعاليم والعلاج مجانا للفقراء . فبنى نظام الملك الجامعة النظامية ، وبنى المستنصر بالله الجامعة المستنصرية كما يعرف ذلك طلبة التاريخ .

ولقد ازدهرت أسبانيا تحت حكم الأمويين ، وليس في الامكان سرد أعمالهم التي كانت جرثومة الثقافة العالمية سرد . وأفيا ، ولكنى سأكتفى بسرد قليل من الخفائق لتعلموا الى أى مدى نحن مدينون لهم اليوم :

لقد وضع الرازى كتابا شاملا عن الجدرى ، وكان الجزء التاسع من هذا الكتاب العظيم المرجع الذى يرجع اليه الأساتذة في إلقاء محاضراتهم بالجامعات الأوربية . وتعلمون طبعاً أن أعظم اسم في الطب العربى هو اسم ابن سينا الممدود أحد أعظم الأطباء والفلاسفة في كل المصور ، إذ كان كاتباً مكثراً ، وكان في الوقت نفسه مميماً فيما يكتب . ومن بين كتبه نشر الى :

- | | |
|-------------------------|-------------------------------------|
| (أ) نفع وفوائد العلوم | (هـ) ملخص أقليدس |
| (ب) الصحة والأدوية | (و) الطبيعة وما وراء الطبيعة |
| (ج) مشاهدات فلكية | (ز) دائرة معارف في عشرين مجلداً . |
| (د) النظرية الرياضية | |

ووضع أبو القاسم الزهراوى فصلاً عن الجراحة ضمنه من التفاصيل ما يجعله في مقدمة السابقين في هذا العلم .

وفي الحين الذى كانت المسيحية تضطهد علماء الكيمياء وترميهم بالسحر والشعوذة ، كان العرب يتقدمون في هذا العلم ، فظهر أبو موسى جابر بن حيان أبو الكيمياء .

الريية ، فاكشف حمض الأزوتيك والماء الملحي ^(١) كما راد أيضا باكتشافه ما كان معلوما من طبيعة المعادن عند علماء الإغريق . واكتشف أبو بكر الرازي حمض الكبريتيك . ووضع العرب أساس الكيمياء والصيدلة . قال الأستاذ هلياراد عن هذه البحوث :

« استنبط العرب من المعلومات الأولية التي كان يطلق عليها اسم الكيمياء في مدرسة الاسكندرية ، علما بأصول أباؤوا فيه للمرة الأولى العلاقة الصحيحة بين الحقائق التجريبية والنظرية ، فاعترف الناس بفائدة التعليل العملي لعلم الكيمياء ، وابتدأت أوروبا أبحاثها الكيميائية على أساس سليم من الحقائق والنظريات . وكان أتناع النبي م أصحاب الفضل على أجدادنا ، فلنبادر بالاعتراف لهم بالجبل » .
وتوصل العرب الى صناعة الثلج التي لم تكن معروفة في أوروبا حتى النصف الأخير من القرن السادس عشر .

وكانت تتقدم الرياضة بفضل أبحاث واكتشافات العرب الذين أخذوا الطريقة المشرية من الهند ، فزادوا عليها ونقصوها . فلجبر مدين بتقدمه الى العرب ، حتى إن ابن موسى في القرن التاسع تمكن من استبدال الأوتار بالمستقيبات في علم حساب المثلثات ، واكتشف المعادلات ذات الدرجة الثانية . وكتب الكندي مائتي مؤلف في موضوعات مختلفة مثل الحساب والهندسة والفلسفة وعلم الظواهر الجوية وعلم الأبصار والعصب . ولقد ظلت جداول أبي مشر وأبي وفا المرجع الأساسي في علم الفلك . كما أن أول مرصد أنشئ في أوروبا كان مرصد إشبيلية تحت إشراف جابر ابن حيان سنة ١١٩٦ . وفي القرن العاشر أنجبت مدرسة القاهرة ابن يوس الفلكي العظيم الذي أتم عمله ابن الفيلبي ، وكان من مشاهير علم الفلك أيضا .

وذهب الرحالة البيروني الى بلاد الهند وعاش بين أهلها وتعلم لغتهم وعلومهم وآدابهم

(١) مزيج مكون من حمض الأزوتيك والكبريتيك يذيب القصب .

وفلسفتهم وعاداتهم وأخلاقهم وقوانينهم وديانتهم وأساطيرهم ، كما درس أحوال البلاد
جغرافية والطبيعية ، وضمن تلك المعلومات كتابا اقتبس فيه نبذا من شعره وميوس
وفلسفة أفلاطون وغيرهما من رجال الأدب والفلسفة الإغريقية . ثم إنه الى ذلك كان
يكتب ويحاضر في الفلك والرياضة والتفاهيم والطبيعة . وجاء بعده عالم قد لا يقل عنه
في المسألة يدهي ناصر خسرو الذي يمد كتابه المسمى « السفرنامه » أمتع كتاب
من نوعه ، فقد زار صاحبه أغلب جهات العالم التي كانت معروفة في أيامه .

أما في التاريخ فإن أسماء المسمودي والطبري وابن الأثير دائمة التلق . ولم يكن
أبو بكر محمد بن يحيى مؤرخا شهيرا فحسب ، بل كان فيلسوفا ومن رجال العلم أيضا ،
فضلا عما أحرزه من التفوق في الموسيقى ، وقد استطاع إدخال سلم موسيقى يمكن
أن يستفيد منه كل شعب . ويمكننا اعتباره لأساس الذي تنبنى عليه الموسيقى
في العصر الحالي .

ويحيى . اسم ابن رشد العظيم في مقدمة علماء الفقه . وابن رشد هذا سليل أسرة
من مشاهير القضاة . وكان رئيس القضاة في كل من إشبيلية وقرطبة على الترتيب .
وكان صديقا لابن الطفيل المعروف بعلمه الواسع .

هذا قليل من دلائل المدنية الإسلامية الأولى ، أسرده على سبيل المثال ، ولكنني
أواني مقصر إذا ما أهملت الإشارة الى ما قام به النبء للعلماء .
« البقية في العدد التالي »

الكرم واللؤم

قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « كل كرم دونه لؤم فاللؤم أوى به ، وكل لؤم
دونه كرم فالكرم أوى به » .

معنى هذا الكلام الثمين أن أولى الأمور بالإنسان حصال نفسه ، فإن كان هو كريما وآباؤه
لئام ، لم يصره ذلك ويوصف بالكرم . وإن كان لئاما وآباؤه كرام ، لم يمنعه ذلك ويوصم باللؤم .
وهذا حق ويطابق قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » .

تشریح الاموات

كتبنا في العدد السابع من هذه المجلة رأينا في حكم تشریح الميت ، ووزنا بين ما يترتب عليه من المصالح والمفاسد ، ثم رأينا أن المصلحة أرجح من المفسدة ، وكثيرا ما يكون في التشریح ذرة مفسدة كبرى مثل دفع تهمة اتهم بها رجل من المسلمين ظلما ، فأبان التشریح أن الميت غير مجنى عليه مثلا ، الى غير ذلك مما هو معروف . وقلنا إن الجواز هنا أولى مما ذكره فيما إذا ابتلع الميت مالا ، حيث أجازوا شق بطنه وإخراج المال منه إذا لمغ نصاب السرقة أو نصاب الزكاة . فجاءنا من بعض الأفاضل انتقاد على ذلك ، وأنه يجر الى توسعهم في أذية الميت وإهائه .

وتقول لحصره ولكل من يدور هذا الخيال بخاطره : إننا حذرنا من ذلك التوسع في آخر ما كتبناه ، فقلنا مستدركين على ما قررناه ووجهناه ما نصه : « غير أننا نرى أنه لا بد من الاحتياط في ذلك حتى لا يتوسع فيه الناس بلا مبالاة ، فليقتصر فيه على قدر الضرورة ، وليتق الله الأطباء وأولو الأمر الذين يتولون ذلك ، وليعلموا أن الناقد بصير والمهيمن قدير » .

على أننا صرحنا بأن ذلك مبني على قياسنا مسألة التشریح على مسألة المال الذي ابتاعه الميت . فإن كان ذلك القياس صحيحا قلنا الحمد على توفيقه ، وإن كان غير صحيح في نظر الفضلاء فهو مردود على مرتبه . ولا شيء عينا بعد أن بين أن هذا هو رأينا الخاص . وقد احتطنا في المسألة فحذرنا من التوسع في ذلك . فإن كان هناك من لا يصنى الى التحذير أو يخص في التطبيق ، فلا ذنب علينا . وكثيرا ما أخطأ المحطون في آيات الله وسنة رسول الله .

أما من لم يبال ، أي كتبه العلماء ، فهو سادق غلواته ، غير ملتفت إلا الى آرائه وأهوائه ، سواء أعتنا أم أبجنا ، كتبنا أم سكطنا ، ضيقنا أم وسعنا ، فإنه بمنزل عن ذلك كله .

وإنا لنكتب ما نكتب ونمنع ما لمون أنه لا ينتفع به إلا من وفقه الله تعالى . وقد قلنا في بعض ما كتبناه بهذه المجلة مانعه :

« إنا نرى من الاخلاص للدين والعلم أن نقول : إن مثل هذه المسألة محل اجتهاد يصح أن تختلف فيه الأنظار . وإذا رجحنا شيئاً فإننا نكتب عن رأينا أو رأى فريق من علمائنا ، وخير كله في التوسط والاعتدال ، والشركه في الإفراط والتفريط . وبعد : فنشكر لحصرة الفاضل غيرته وإخلاصه ، ونوافق على أن الأطباء الآن توسعوا غاية التوسع بلا مبالاة بكرامة الميت ولا مراقبة لله تعالى .

مع أنه قد ورد عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن كسر عظم الميت ككسره حيا » رواه مالك وأبو داود وابن ماجه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لأن يجلس أحدكم على جرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده ، خير له من أن يجلس على قبر » رواه مسلم وأبو داود والنسائي . وعن عمرو بن حزم قال : رأى النبي صلى الله عليه وسلم متكئاً على قبر فقال : « لا تؤذ صاحب هذا القبر » رواه الإمام أحمد .

وسر ذلك أن الروح تدرك ما يفعل بجسدها وتأنم له ، ولكن الشرية بعد ذلك توازن دائماً بين المصلحة والمفسدة فتجعل الحكم لأرجحهما على ما تقتضيه الحكمة ويوجبه النظر الصحيح . فيجب ألا نكون جامدين ، كما يجب أن نكون محتاطين .

والله يتولى هدى الجميع م

يوسف الدهوي

من هيئة كبار العلماء

(مجلة الأزهر) تقول في هذه المناسبة إنه قد وردت إلينا مقالة من حضرة الأستاذ الشيخ محمد عبد الوهاب بخيري من كلية الشريعة يستدرك على مقالة فضيلة الأستاذ الشيخ لدجوي سندبها في العدد القادم ، إن شاء الله .

أسرار التشريع الإسلامي وفلسفته

البيع

أطبق جمهور الفقهاء على أن البيع يتألف من أركان ثلاثة: صيغة تصور العقد ويتأدى بها، والعاقدة، والمقود عليه.

فالصيغة هي إيجاب من أحد المتبايعين وقبول من الآخر، وقد يكون ذلك بلفظ صريح، وقد يكون بلفظ كنفائي، وأغراض ذلك كثيرة: منها أن الصيغة في حقيقتها تدل على الرضا للمعنوي المعتبر شرطاً في صحة البيع، لكن لما كان اللفظ الصريح أقطع لشوائب الاختصاصات، كان أجدر بالنظر من الكنفائي. ومنها أن الله سبحانه أحل البيع والشراء لأنه كما أسلفنا أول عناصر التعامل لمساواة حاجة البشر إليه في مبادلاتهم

أما العاقدة وهو كلا المتبايعين والشرط الثاني من شروط صحة العقد، فقد اشترط فيه التكليف، إذ لا يمكن للصبي أن يباشر العقد مباشرة فجعله بمنتهى من تطرق الفساد إلى ما تم التعاقد عليه، ويجرى هذا الجرى المحجوز عليه.

وأما المتعاقد عليه وهو الركن الثالث والأخير من أركان البيع، فقد اشترط في صحته العقهاء شروطاً كثيرة: منها أن يكون ظاهراً للعين من شأنه الانتفاع به لمن ملكه، وأن يكون مملوكاً للعاقدة أو مأذوناً له فيه، وأن يكون مقدوراً على تسليمه شرعاً، وأن يكون معلوم القدر والوصف والعين، وأن يكون مقبوضاً إن ملك بمعاوضة، فإن الخمر أو الجيفة مثلاً لا يمكن اعتبارهما داخلين في مسمى البيع ومدلوله، لأن في الاتجار بهما شناعة وجناية على الأخلاق. من أجل ذلك اقتضت حكمة البديع الأعلى التهي من التكسب بالأنجاس وإن كان بعض الفقهاء أباح بيع الكلب والسرجين إذا مست الحاجة إلى منهما، وما لا منفعة منه مظلونة أو متيقنة كالخشرات والهوام والوحوش التي لا تقع

في الشباك ، فلا يطلبه — كما قال بعض الأثبات من علماء الفروع — إلا أحد رجلين : رجل لا يعرف في تصرفاته الصادرة عنه نقما ولا ضرا ، بل يتخذ جشعه الأشعث مقياسا لربحه في كل ما يصدر عنه من تصرفات ، ورجل نظر في نفسه الى فائدة ضمنية لم يفصح عنها في مجلس العقد ، فالأول لم يكن على بينة من تصرفه ، والثاني مشرف لاعمالة على خلية والندامة . وإن أمكن الانتفاع به على وجه صحيح كاطيور الحسنة الصودة أو الطيور ذوات الأصوات الشجية ، جاز بيعها ، لأن التفرج من بلايل الصدور من الأغراض المقصودة المباحة . كما يحرم لو كان من آلات العزف وللهو لأنها مظنة الانصراف عن الاشتغال بالشئون الرئيسية في الحياة ، لأن جريان المقديعه وحل اقتنائه يحمل الناس على بلعاصي ويزنيهم من خطايرها ، فالأول لم يكن مملوكا للعاقبة ولا مأذونا له فيه لا يصح غلصه شرعا لفقدان رضا المالك بذلك حين البيع . وغير المقذور على تسليمه شرعا كالمرهون وكالصغير من غير أمه ، أو حسا كالآبق والسماك في الماء ، لا يمكن تحقيق عقد البيع فيه . وعالم يمكن معلوم العين لا يمكن أن يدخل فيما صدق البيع شرعا كبيع شاة غير معينة في قطع أو غيرها ، وكذلك ما كان مجهول القدر كبيع زنة هذه الحفنية ذهباً وهي مجهولة الوزن أو الوصف ، فإن في ذلك كله إيهاماً يقضى في نتائجها الى سلسلة من الخصومات . وقصارى القول في ذلك أن ما كان قاطعاً لانزع المترتب على التعاقد يجب أن يكون طاهراً للعيان مقطوعاً بوضوحه ، وقد ضرب الشارع له حداً وهو التفرق من مجلس العقد . والسرى وجوبه أنه جعل لتمييز حق كل من المتبادلين ورفع خيارهما في رد أحد العوضين . فلولا ذلك لأضر أحدهما بالآخر ، ولوقف كل عن التصرف فيما بيده خشية أن يرجع الآخر عليه ، فإذن الشارع اعتبره فعلاً وهو (التفرق) لا قولاً ولا معاطاة ، فإن القول لا يصلح في ذاته أن يكون دلالة قوية قاطعة في اللراد بالنسبة لهذا العقد ، إذ المساومة لا يمكن خلوها منه إظهاراً للرغبة القوية في المساومة ، وما يدل على إيجاب العقد غير ميسور ، ولا يمكن التناطلي في العقد لعدم صلاحيته أيضاً ، فإن اشترى لاعمالة

أخذ ما يطلبه ليحاول التصرف فيه على وجه من أوجه التصرف ، والتمييز بين الآخذين عسير كما لا يخفى ، وظاهر مما تقدم أن إعلانه أكثر من مجلس العقد غير ملائم لمصاحبة الثبايعين ، فإن كثيرا من السلع يراد الانتفاع به حين البيع فإن تكون فائدته معجلة أو يكون لا يطرأ في استعماله فيه مظنة التلف والهلاك على من يده . على أن العادة قضت فيما قضت باجتماع العاقدين للعقد في محبته ثم تفرقهما بعده . والنس يرون في الأعم الأغلب رد البيع بعد التفرق من مجلس العقد لكثرة ما يداخل النفوس من حب الظلم .

ومن أجل أن التفرق من مجلس العقد كان حدا فاصلا بين الاستمرار في تنفيذ البيع وبين الرجوع عنه ، وأن مجلس العقد هو محل الخيار كما بينا ، نهى الشرع عن النسل هربا من الإقالة وفرارا من الاستعفاء ، فإن في ذلك نذرا للأوضاع المتفق عليها عباس ط المصاحف

علامات العقل في الانسان

نظم أحد الشعراء العلامات التي يوزن بها عقل الانسان لدى خاصيته فيحكمون له أو عليه وهي :

يعرف عقل السوء في أربع	مشينه أولها والآخر
ودور عيبه وألفاظه	يعد عليهم يدور الفلك
وربما أخلفن إلا التي	آخرها منهن حميت لك
هدى دليلات على عقله	ولعقل في أركانه كالمك
إن صبح صبح المرء من بعده	وهلك المرء إذا ما هلك
فانظر الى مخرج تذييره	وعقله ليس الى ما انتهك
فربما خلط أهل الخما	وقد يكون الوك في دى الفك
فإن إمام سال عن أصل	فادلى على العاقل لا أم لك

هندي يدعى المعجزات

كتب الينا قارى فاضل بن إحدى الجرائد ذكرت أن فى جبال سائبورا بالهند رجلا هندوسيا يدعى النبوة ويحدث المعجزات من ذلك أن قرية سادهو كانت فى خطر من الجفاف فأخرج أهلها يستجدون به ، فقام معهم ووضع قدميه فى قاع النهر فقام الماء من تحتها وزال خطر القحط بل خطر الموت ظاهراً .

نقل الينا ذلك الفاضل هذ الخبر ، ورجانا أن تبدي رأيا فيه . ورأينا هو أن هذا الخبر غشلق روجه أتباع ذلك المنبئ كما يروج أتباع كل تحفة المعجزات عن صاحبها ، وزاده رواية الأخبار مبالغة لاهاء قرائهم بطرائف الأخبار كما هى عادتهم غير متحرجين من نشر المزعجلات بين الناس .

لانه لو صح أن رجلا يأتى المعجزات فى هذا العصر حملت أخباره التلغرافات ، ولأمله الباحثون من كل حذب ، ولكتبوا عنه الكتبات الإضافية فى الصحف ، شأنهم فى كل أمر مهم العلم الوقوف عليه .

إن مكاتب الصحف الانجليزية فى الهند ينقلون الى جرائدكم كل شئ حتى النافه من أخبار الألعاب الرياضية ، أقيمون أخبار مواطنهم بظهور نبي جديد قد تكون له تعاليم صارمة بالحالة الزاهنة فى الهند ؟

ونحن نطلع باستمرار على ما يحد من الحوادث العالمية فى الثغور النفسية وترد إلينا مجلات خاصة باستيعاب هذه الحوادث فى كل مظان حدوثها ، فلم نصادف ورود أى نبا فيها عن صانع المعجزات فى قرية سادهو الهندية . وبيننا وبين مسامى العالم اتصال فيما يتعلق بالأشور الاعتقادية ، فلم يرد إلينا من بلاد الهند ما يشعرنا بوجود داعية من ذلك الطراز .

فاذا أردتم زيادة التحرى عن هذا الأمر فوجهوا رجاء إلى كاتب ذلك الفصل فى الجريدة التى ذكرتموها ليخبركم عن اسم الجريدة الأوربية أو الهندية التى اطلع فيها على ذلك الخبر ، ليحسبكم أو يمكننا الاطلاع عليه والوقوف على قيمه الحقيقية .

أما تعليقاتنا على خبر مقطوع السند وارد فى فصل يكتب عادة لترويج قهوس القراء قبل التثبت من صحتة ، فليس من الحكمة فى شئ . وفى هذه المناسبة رجوا كاتب مثال هذه الحوادث فى الجرائد أن يذكر مواضعها ، وأن ينقلوها عن حالاتها مجردة من المبالغات .

الى رحمة الله

في الحادي والعشرين من شهر رجب الماضي ، استأثرت رحمة الله بالأستاذ العلامة الحليل الشيخ عبد بجيت المطبعي ، فقضى مبكيا من مئات الآلاف من العلماء والطلاب في جميع بلاد المسلمين كانوا يرون فيه النثل الأعلى للاطلاع الواسع والافادة والفتيا .

حصل رحمه الله العلم بالأزهر فتمخرج في علوم الشريعة والعربية ، وقال فيها شهادة من الدرجة الأولى سنة ١٢٩٣ للهجرة أي منذ نحو اثلثين وستين سنة ، وأكسب من ذلك العهد على التدريس والافادة بهمة يندر أن يعادف لها مثيل في حياة العلماء العاملين . ثم نذب للاشتغال في القضاء فتنقل في وظائفه حتى بلغ أعلى درجاته ، مظهرا في كل منها من الكفاية ما لا يكون إلا للعلماء الراسخين .

فلما بلغ السن القانونية لوظائف الحكومة ، ترك الاشتغال بالقضاء ، وعكف على الدرس والتدريس والافتاء فكانت داره ماثبة للمستفتين والمستفيدين ، وكان لا يحفل على أحد بالفتيا ، حتى إذا كان بعيدا عنه مكلف له كتابة الفتوى وأرسلها اليه بالبريد .

وكانت شهرته قد تجاوزت مصر الى العالم الاسلامي كله ، فكانت ترد اليه الاستفتاءات تترى في مختلف المسائل ، ومنها مشا كل تحتاج الى مرجعات كثيرة مضنية ، فكان لا يرضى بنفسه من القيام بها فيحررها ويرسل بها للمستفتين .

ومما انفرد به أنه كان قد استخدم كتابا لنقل فتاواه وتولى إرسالها الى طلابها في مختلف الأقطار ، متحملا مكافاتهم شهريا وأجر ما يرسله بالبريد من الكتب والرسائل .

وقد عرف رحمه الله بالزطمة في علم الأصول ، فكان يرجع اليه جلة العلماء فيما يشكل من مسائله ، ويصادون لديه لسكل مشكلة حلا كأنها مرت به من قبل فعالجها وانتهى الى ما يحسن السكوت عليه من أمرها .

فاذا كان السلم الاسلامي بأسره يتكبد اليوم ، فأعما يكنى علما من أعلام العلوم الاسلامية قل من يحد الفراغ الذي تركه في صفوف أقطابها العاملين .

فرحمه الله رحمة ترفعه الى مقاوم السكرامة هنده ، وأفرغ على مريديه وتلاميذه صبورا ، وهو ضيهم عنه خيرا إنه ولي المؤمنين ا

مطبوعات جديدة

تفصيل آيات القرآن الكريم

للاوربيين وبخاصة البعثيين منهم هناية عظيمة بالاقتصاد في الوقت ، فلذلك تراهم يعمدون الى تبسيط كتبهم بالفهرسات والمعاجم لسهولة الرجوع الى ما يريدون منها مما يختص بالموضوعات والأماكن والأعلام وغيرها . وقد نرفقنا هنا قبل عدة شهور ما وضعه المستشرق فلسطيني من القهرست العام لأربعة عشر مرجعا من مراجع السنة ، وقد نقله الى العربية حضرة الأستاذ الغيور محمد افندي فؤاد عبد الباقي ، فأوجد به المشتغليين بالأحاديث وسيلة يستخرجون بها أي حديث يطلبونه لمعرفة ترجمته في دقائق معدودة .

وقد أنعمنا اليوم الأستاذ المذكور أيضا بترجمة عامة للآيات لقرآنية الكريمة وضعه المسو (جول لاوم) الفرنسي ، يحدقه الانسان الآيات الواردة في المواضيع المتنوعة بمجموعة في حين واحد ، فإذا أراد مستطلع أن يعرف ما ورد من الآيات في الأخلاق أو في البيع والشراء أو في الروح أو في غيرها ، يجد كل ما ورد في هذه الموضوعات مجتمعا على حدة .

إن هذا الكتاب كان حاجة لمؤلفين والباحثين والكتاتيب منذ زمان طويل ، وقد وضعه الأوربيون منذ عشرات من السنين ، وأعوزنا مثله حتى انذبت الأستاذ محمد افندي فؤاد عبد الباقي على نقله الى العربية ، فأضاف الى خدمته للحديث خدمة للكتاب الكريم أجل من لأولى ، فاسحق الشكر العظيم .

وقد التزمت طبعه مكتبة عيسى الساني الحلبي فشأطرت المترجم في هذه الخدمة الجليلة .

الفتح الى باقى

هو علم على كتاب جمع فيه حضرة ، الأستاذ الشيخ احمد الساعدي مسند الامام احمد بن حنبل ورتبه على أبواب بحيث يسهل البحث فيها ، وهو يصدره كراست كل شهر . وقد صدر منه القسم الأول من الجزء الثالث . فلشكر له هذا العمل القيم ، ونرجو له الانتشار . عنوان الاستاد بحارة الروم بالقاهرة .

received it from Al-Hakam, who heard it from Sa'ïd b. Jubair, through Ibn 'Abbâs who stated .

I was once spending the night in the house of my maternal aunt Maymūnah bint Al-Hārith, a wife of the Prophet (Allāh bless him and give him peace), when he was with her on the night set apart for her. Having performed the evening-prayer in the mosque he went to his quarters, where he prayed four rak'as and then went to sleep. Later he rose and said: " Is the dear lad asleep ? " — or words to that effect.^[1] Then he stood up to pray, and I stood on his left ; but he placed me on his right. He first prayed five rak'as and after that two. He then fell into such a deep sleep that I heard him snoring. Last of all he went to the morning-prayer.

Translated by I. H. EI-MOUGY

عن ابن عباس قال :

بُثِّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بَنْتُ
الْحَارِثِ رَدِيجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ ثُمَّ جَاءَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ
فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ نَامَ ثُمَّ قَامَ
ثُمَّ قَالَ : « نَامَ الْغُلَامُ ؟ » — أَوْ كَلِمَةً
تُشَبِّهُهَا — ثُمَّ قَامَ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ
فَجَبَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ ، فَصَلَّى خَمْسَ
رَكَعَاتٍ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ نَامَ
حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ أَوْ خَطِيطَهُ ، ثُمَّ
خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ .

[1] The lad in question is Ibn Abbās himself the narrator of the hadith; he is not certain as to the exact expression used. He is supposed to have been sent by his father to report on the way the Prophet spent his nights. This forms the connection between the hadith and its title. (Al-Aini, Ibid p. 180)

apartments ⁽¹⁾ unto prayer, for many a woman richly clad in this world shall be naked in the next ⁽²⁾

CHAPTER 83

On Knowledge as the subject of social conversation at night

We are informed by Sa'īd b. 'Ufair, who had it from Al-Laith who received it from 'Abd-ur-Rahmān b. Khālid, through Ibn Shihāb, through Sālim and Abu Bakr b. Sulaymān b. Abu Hathmah that 'Abdullāh b. 'Umar said :

Once towards the end of his life the Prophet, (Allāh bless him and give him peace) after he had led the evening-prayer with us and given the final salutation rose and said "Know ye what night this is ? Verily a hundred years hence there shall no longer be on the surface of the earth any one of those living now" ⁽³⁾

2. We are informed by Adam, who had it from Shu'bah, who

بَابُ السَّحَرِ فِي الْعِلْمِ :

حدثنا سعيد بن عُمير قال حدثني

الليث قال حدثني عبد الرحمن بن خالد

عن ابن شهاب عن سالم وأبي بكر بن

سليمان ابن أبي حنيفة أن عهد الله بن

عمر قال :

صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الْعِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ

فَقَالَ : « أَرَأَيْتَكُمْ كَيْفَ تَكُونُونَ هَذِهِ ؟ »

فَأَنْزَلَ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهُ لَا يَبْقَى

مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى طَهْرٍ إِلَّا رَحِمَ أَحَدُهُ »

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال

حدثنا الحكم قال سمعت سعيد بن جبیر

(1) i.e. The Prophet's wives. This hadith implies that prayer must be resorted to, whenever dreams or evil come upon the sleeper. The Prophet was sleeping that night in Umm-Sa'adah's apartment, and so it fell to her to waken the rest.

(2) i.e. only good works in this world can stand her in good stead in the next.

(3) Or, according to some Commentators " Any one of those present here." The Prophet himself died a month later. His object was to call attention to the shortness of life, and the need for good works.

writing "(1)

CHAPTER 82

*On the imparting of Knowledge
and preaching during the night*

We are informed by Sadaqah, who had 'it from Ibn 'Uyaynah through Mamar, through Az-Zuhri through Hind, through Umm-Salamah, Amir and Yahyâ b. Sa'îd, through Az-Zuhri, through Hind, through Umm-Salamah, who said :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) awoke one night and said : * A.â! he praised * How many a tribulation hath been sent down(2) this night, but how many a treasure(3) hath been opened ! Awaken the ladies of these

بَابُ الْعِزِّ وَالْبَيْتَةِ بِاللَّيْلِ :

حدثنا صدقة أخبرنا ابن عيينة عن
معمر عن الزهري عن هند عن أم سلمة ،
وعمر بن يحيى بن سعيد عن الزهري
عن هند عن أم سلمة قالت :

استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة فقال : « سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا
أَرْسَلَ اللَّيْلَةُ مِنَ الْعَيْنِ وَمَاذَا فُتِحَ
مِنَ الْخَزَائِنِ يَقُطُّوا صَوَاحِبَاتِ الْخَجَرِ
قُرْبَ كَاسِيَةٍ إِلَى الدُّنْيَا عَارِيَةً فِي
الْآخِرَةِ »

[1] As regards writing, it is evident that the prophet was too ill to do more than give directions, as is testified by Umar's remark. It is thought that he may have intended to commit to writing the names of his successors, or to make some testamentary disposition, but at the same time he is supposed to have believed that writing would have defeated the principle of *شورى* (in that sense in the logical inquiry) or the *شورى* (democratic consultation), it is also alleged that he had Abu Bakr in mind as indicated by Aishah's hadith which states that he preferred Abu Bakr. Umar's point of view seems to have been that the words of a dying man might be equivocal and arouse controversy whereas the already extant word of God remained unchallengeable. It is clear that the Prophet did not repudiate this view, as he lived four days longer and raised no objection to it.

(2) i.e. revealed from the Tablet of Divine Decrees to the Prophet in his dream.

(3) Either figuratively in the sense of mercy or literally in the sense of treasures or, historically of the treasures of Byzantium & Persia as foreseen by the Prophet would eventually through the victorious wars with those empires.

b Sulaimān, who had it from Ibn Wahb, who received from Yūnus, through Ibn Shihāb, through 'Uba. du-l-lāh b. 'Abdullāh, through Ibn 'Abbās, who stated that :

When the agony of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) became more intense, he said "Bring me writing materials that I may have committed to writing for you what will preserve you from going astray hereafter." Then 'Umar said: "Surely the Prophet (Allāh bless him and give him peace) is overcome by pain, we have the Book of Allāh--it sufficeth for us." There arose a dissension among the Companions and there followed an uproar. "Rise and leave me", said the Prophet, "It is not seemly that there should be a quarrel in my presence."

Ibn 'Abbās (on relating this to 'Uba. du-l-lāh) went out saying: "It was a great calamity indeed that any hinderance should have come between the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) and his

ابن وهب قال أخبرني يونس عن
ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله
عن ابن عباس قال :

لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَجَعَهُ قَالَ : « ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ
لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ » قَالَ عُمَرُ :
« إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَتْهُ
الْوَجَعُ وَعَجِدْنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا »
فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ ، قَالَ « قَوْمُوا
هَنَى وَلَا يَنْتَهِنِي مِنْدِي التَّنَازُعُ » .
فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : « إِنَّ الرُّزِيَّةَ
كُلَّ الرُّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ كِتَابِهِ »

O Apostle of Allāh " Write it ⁽¹⁾ down for Abu sâ and sô, " ⁽²⁾ replied the Prophet. A Quraishite ⁽³⁾ interrupted : " Make an exception for the idhkhir, ⁽⁴⁾ O Apostle of Allāh, for our houses and our graves, " "Except the idhkhir, " said the Prophet (Allāh bless him and give him peace) twice.

3. We are informed by 'Alī b. Abdullāh, who had it from Sufiān, who received it from 'Amr who was told it by Wahb b. Munabbih, through his brother ⁽⁵⁾, who stated that he heard Abu Hurairah say .

"There is none of the Companions of the Prophet (Allāh bless him and give him peace) that hath retained more of this Hadīth than I, uness it be 'Abdullāh b. 'Amr,—for he used to write it down whilst I did not.

Marmar, as fellow-witness with Wahb b. Munabbih, confirms this narration through Hammām, Wahb's brother, through Abu Hurairah

4 We are informed by Yahyā

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ دُجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ :
« إِنْ لَا إِلَّا ذِكْرٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ، فَأَنَا
تَحْمِلُهُ فِي يُؤْتِنَا وَقُبُورِنَا » فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِلَّا إِلَّا ذِكْرٌ ،
إِلَّا إِلَّا ذِكْرٌ »

حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا
عمر بن الخطاب قال أخبرني وهب بن منبه عن
أخيه قال سمعت أبا هريرة يقول :

« مَا مِنْ أَمْتٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ يَتَنَبَّأُ
إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ،
فَأَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ »

تَابِعَهُ مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثني

(1) At the end of the hadith this sentence occurs in some of the copies

(فقبل لا إله إلا الله : أي شيء كتب له ؟ قال كتب له هذه الخطبة)

= A. - Bukhari , on being asked what it was that was written down for him , replied that it was this speech of the prophet

(2) His name was Abu shah

(3) Abbas b. Abdul-Muttalib by name .

(4) idhkhir—a kind of aromatic rush (schoenanthum) used for roofing houses and strewing in graves

(5) i. e. Hammām b. Munabbih

informed of this, he mounted his camel and addressed them thus .

"Verily Allāh hath kept Makkah inviolate from bloodshed—or *the people of the Elephant*, (1) (Al-Bukhārī is uncertain as to which of these two words) and He gave to the Apostle of Allāh and the Faithful power to invade this City But I say unto you fighting in Makkah was not made lawful for anyone before me, nor shall it be for anyone after me; nevertheless it was made lawful unto me only for a space in one day . Now in this very hour it is again inviolate, its thorns shall not be uprooted, nor its trees cut down; that which is lost in it shall not be picked up except by him that will make it known (2) Whosoever hath a kinsman murdered shall choose the better of two considerations—either to receive blood-money, or retribution " (3)

A man from Al Yaman then came up and said: ' Write it down for me,

« إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ —

أَوْ الْفِيلَ — (شَكَتْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ) وَاسْلَطَ

عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَالْمُؤْمِنِينَ، أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ

قَبْلِي وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَلَا

وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، أَلَا

وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ لَا يُجْتَنَبُ

شَوْكُهَا وَلَا يُغْضَدُ شَجَرُهَا وَلَا

تُلْمَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِلنَّشِيدِ، فَمَنْ

قُتِلَ فَهُوَ بِحَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِمَّا أَنْ

يُغْفَلَ وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ »

فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ:

« اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ » فَقَالَ: « اكْتُبُوا

(1) The occasion when Abrahah the Abyssinian Viceroy of Al-Yaman marched against Makkah with a large army including one or more elephants, and was miraculously routed by birds dropping stones.

(2) In other places than Makkah the finder may keep the property after advertising it for a year, while in Makkah the finder never has any claim to it, but must advertise it continually—owing to the fact that pilgrims who lose property in it may not return for an indefinite time. Everything within the City shares in its sanctity (Al-Aini 'Idl. P. 168.)

(3) (قال أبو عبد الله رحمه الله) Al-Bukhārī states in an addendum that the correct reading is *بلاد* and not *بلاد*, since the latter is synonymous with *بلد* and would not make sense.

5. We are informed by Māsa, who had it from Abu 'Awānah, through Abu Ḥasim, through Abu Sālih, through Abu Hurirah, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace), who said :

" Give your children my name but not my surname. ⁽¹⁾

Whosoever hath seen me in a dream, hath seen me in reality, for Satan cannot assume my form ⁽²⁾

Whosoever falsely ascribeth sayings unto me intentionally, shall surely take his seat in hell-fire "

حدثنا موسى قال حدثنا أبو عروبة
عن أبي حصين عن أبي صالح عن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال

« نَسُوا بِاسْمِي وَلَا تَكْتُمُوا
يَكُنِّيَنِي - وَمَنْ رَأَانِي فِي الْأَنَامِ
وَقَدْ رَأَانِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقْدِرُ
فِي صُورَتِي - وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا
وَلَيْتَبَوْا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

CHAPTER 81

On the writing down of the Hadith.

1. We are informed by Muhammad b. Sa'ām, who had it from Waki, through Sufiān, through Mutarrif, through Ash-Sha'bi through Abu Jubā'ifah, who stated that he

بَابُ كِتَابَةِ الْحَدِيثِ .
حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا
وكيع عن سفين عن مطرف عن
الشنبي عن أبي جحينة قال قلتُ

(1) The Prophet's name was Muhammad, his agnomen was Abu-Qāsim. The Jews used to mock the Prophet by calling their children " Abul Qāsim " . Then when they called them, the Prophet might think his own name was being called, when they would reply that they did not mean him. Hence this prohibition in the hadith { Al-A'ini, ibid p.155. }

(2) Muslim doctors of theology deduce from this hadith the doctrine of the validity of revelation as true vision { Al-A'ini, ibid } .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مهمة الدين الاسلامي في العالم

٢٥

زيادة بيان في مبحث المدنية الفاضلة والاسلام

يُنْتَفِياً فيما كتبناه في العدد السابق تحت عنوان الاسلام يدعو لتأسيس مدنية فاضلة ، أن الدين الحق والمدنية الفاضلة يتفقان في مبدأ والغاية ، وضاق المقام عن استيعاب كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع . ولما كان أمر المدنية من الشئون التي تعتبر في الدرجة العليا من الخطورة لافتتان الناس بها افتتاسمرياً يسلبهم إرادتهم ويدفعهم في سبل محفوفة بالأخطار دفعا آليا ، ونظرا لأن العقبة الكأداء أمام الدين هو ما يفهمه الناس من معنى المدنية ، وجب علينا أن نوفي هذه الناحية من البحث حقها من التحقيق .

واليوم نعرض لهذا الموضوع من جديد متوخين تحليل شبهاته لرئيسية تحليلها دقيقا ، وحلها حلا علميا ، لأن بقاءها ماثلة في بعض الأذهان على حالة شبهات لا تقبل الدحض ، وكامنة في نفسية الدهماء وإن لم يستطيعوا التعبير عنها بألسنتهم ، يجعل كل محاولة لإخراجهم من سلطانها ميثا محضا . وما أشبه المدافعون من الأديان بأشد من كراهتهم مواجهة الاعتراضات ، واقفاثها بالحديد عن طريقها ، وتركها تفتك بالنفوس والقلوب فتكا ذريما كما هو مشاهد محسوس .

رأى القارىء مما كتبناه في الفصل السابق أننا دللنا على أن الدين الحق هو المثل الأعلى لمدينة فاضلة جذيرة بالنوع الانساني الكريم ، وسلكنا للوصول الى هذه النتيجة

طريقا واضحا للعالم لا يتكره متأمل . ولكننا في هذه لتتمة نريد أن نبين هذه الغاية عنها باقتحام معاقل الآراء المخالفة ، وشق طريق لهذه الحقيقة الكبرى من خلال خطوطها الدفاعية ، مبشرين بذلك كل ما عندها من قوى وأسلحة ، ليكون نجاحنا في تطويقها بمعونة الله دليلا عمليا على أن تلك القوى المعارضة لا تقوى على حماية مواقعها ، فإذا لم نفعل ذلك خشينا أن يبقى في بعض النفوس بقية من الزاعم السابقة .

الآن نبدأ بإيراد ما تصدينا له من هذه المحاولة العلمية فنقول :

إذا كانت المدنية ثمرة الجهود التي يبذلها الإنسان لتحسين حياته المادية ، وتسهيل محاولاته المعاشية ، والذهاب في ترقية وسائله الحيوية ، وحاجاته الأدبية والفنية ، إلى أبعد ما يمكن أن نصل إليه تحت ضوء العلوم والصناعات المختلفة ، فما الذي أوجد ما يتخيله بعضهم من التناقض بين الدين والمدنية ؟

ليس في المدنية الصحيحة كما رأيت من مقالنا السابق ما ينافي الدين الحق أو يقف في سبيله ، اللهم إلا فيما تشره من مذهب فلسفي يرى غير ما يقرره الدين في مسائل الاعتقادات ، وهذا الخلاف مرده العلم ، والعلم الصحيح لا يخالف الدين الحق في شيء ، فلا يلبث هذا الخلاف العارض أن يتحسم ، أو يبقى مقصورا على طائفة ، لا يؤثر شذوذها على السواد الأعظم من الناس .

وإذا كان الأمر على ما ترى ، فما الذي أوجد هذه الهوة السحيقة بين الدين والمدنية

في نظر بعض الآخذين بعبادى الحياة العصرية اليوم ؟

أوجدناها خطأ جلا تسرب إلى عقولهم ولم ينفذوا إليه ، وهو أنهم خلطوا بين المدنية بمناها الصحيح ، وبين ما أوجده أهل الإباحة من التعميدات المنوعة على العلم والفلسفة والأخلاق الفاضلة ، تحت ظل الحرية الشخصية وألصقوا بالمدنية . ومصدر هذا الخطأ الفاحش هو ما يراه الناس بأعينهم اليوم في جرى الأمم المتمدة قاطبة وراء المنع النفسية من ما كل ومشرب وملبس ومنظر غير متقيدين فيها بفكر ما توجهه عليهم

تقاليد من العرف تواضعوا على مراعاتها في الشبهة والقعدة والسلام والكلام وتناول الشراب والطعام، أما ما وراء ذلك من مخالفة ما يأتونه لأصول العلم والآداب الصحيحة فلا يكثر له أحد، ولا يعتبرونه أصرا يذنبى أن يؤبه له. فالعلم يحرم كل ما يحرمه الدين على مقتضى وجهة نظره الخاصة، فيحرم الخمر والميسر والتبرج والتهتك والرفى والمناظر النيرة للشهوات، والسماع المبيت للقلوب، والتواضع على تقاليد تعتبر أدبية وليست من آداب الصحيحة في شيء الخ. ولكن الذين يعتبرون أنفسهم متمدينين لا يقيمون للعلم وزنا، ولا يمتدنون على مقرراته فيما هم مدفوعون اليه من إشباع أهوائهم النفسية، وملاذم الجسدانية. فهذه المدنية على هذا النحو ليست علمية، ولا هي ثمرة أى مذهب فلسفى حتى ولا المذهب المادى نفسه، فإن الملاحظة وإن كانوا يكفرون بالأمور الاعتقادية إلا أنهم لا يبيحون لأحد أن يخرج على مقررات العلم في شيء مما يختص بسيرته في نفسه أو خيال غيره.

فهذه الانحرافات الخلقية التى يسميها السطحيون مدنية، محكوم عليها بالتلاشى أو على القليل ببقائها موصومة بأنها خروج على العلم وعدوان على الحكمة.

وإذا ثبت هذا فإن هناك مدنية تنفق والعلم، ومتى اتفقت والعلم فقد اتفقت والدين لأن العلم الصحيح لا يعقل أن يخالف الدين لحق على أى وجه من الوجوه.

والنزاع القائم الآن هو بين المدنية والعلم أكثر مما هو بين المدنية والدين، وموضوعه: هل لوقام الناس على ما يوصى به العلم من كبح جماح الأهواء النفسية، والإباحيات البهيمية، والاعتدال في توفية المطالب الجسدية، لا يؤثر ذلك في إضعاف العوامل المنشطة للمدنية؟ ووجه الشبهة أن الناس متى لزموا حدود الحكمة في مطعمهم ومشربهم، وامتنعوا عن كل ما يقرر العلم ضرره بصحتهم وعقولهم، ولم يخرجوا في ملاهيهم وملاعبهم واجتماعاتهم مما رسمه لهم من آداب وتقاليد، صيانة لأموالهم وأخلاقهم وأعراضهم، بطلت المعافاة والمفاصرة، والمخاضرة والمكثرة، وهذه الأمور كلها وإن

كانت تستنزف الأموال ، وتبديد الآداب والأخلاق ، وتفسد القلوب ، وتهتك الأعراض ، إلا أنها تدفع الصناعات للإتقان ، والفنانين للإبداع ، والكتاب والشعراء للإنتاج ، وتلهب النفوس كافة إلى التبارى لنيل المال الذي يوصلهم إلى استيفاء جميع ضروب للمشتريات ، والمال لا يوصل إليه إلا بالعمل وللدأب والإتقان والابتكار ، فيكون من وراء هذا النهم الثائر لتحصيل المآرب المتنوعة ، دوافع حافزة للتقدم في جميع نواحي النشاط العقلي والعمل .

ولكن لو اكتفى الناس بتحصيل العيش في حدود الاعتدال ، ووقفوا من المشتريات عند ما هو مقرر منها في العلم ، خمدت في نفوسهم هذه النار التأججة وراء المآرب لإفراصية ، وتبع نخودها تصبوح زهرة المدنية ، ويطلان سحرها الفاتن الخلاب ، وربما أدى ذلك كله إلى ارتكاس النوع البشري إلى عهد الفتور والظلام .

ويزيدون على هذا قولهم إنه مما يقوى حججهم أن العلماء والفلاسفة أنفسهم لا يعملون بما ينصحون به الناس ، فهم يشربون الخمر ويفاسرون ويفسقون ، ويرتكبون كل ما يرثيهم الجاهلون من العدوان على الآداب العلمية الصحيحة ، والأخلاق الفلسفية السليمة . يقول المعارضون : أنريد دليلا بمد هذا على أن العالم لا يرق إلا مدفوعا بمخاوف من الشهوات المطلقة العنان ، راكبة رأسها لا تبالى في غلواتها بقانون أدبي ، ولا ترتبط بمهد علمي على النحو الذي هي عليه الآن ؟

هذه شبهة يثيرها الإباحيون على كل من يتصدى للإصلاح الأدبي العام باسم العلم والفلسفة والدين ، وهي شبهة مبنية على قصر نظر يؤسف له أشد الأسف ، وإنا نبين ذلك في كلمتين فنقول :

إن الذين يرفعون صرح المدنية ويشيدونه ليسوا هم من تقع عليهم عينك من المترفين الإباحيين ، الذين يأكلون ويشربون ويمرحون ، ولسكنهم طبقة من الناس شغلهم مأم فيه من الملل المتوصل ، لا أقول عن اللهو والتصفى ، ولكن من حاجاتهم الضرورية ،

فهم يصلون الليل بالنهار دأبا على ما هم فيه، كأن قيم الوجود سخرم له، فهم قانون فيه لا يستطيعون عنه تحولا. فجمهور الذين يضعون العلوم، ويرتأون النظريات، ويقررون المبادئ الأولية، من العلماء والفلاسفة لا يكادون يجدون في صرح وقتنا للاشتغال بغير ما هم فيه، وأكثرهم عاشوا في فاقة لا ذعة، أغنياء بما اختارهم الله له من الأعمال الخالدة. وجميع العباقرة الفنانين الذين وضعوا المثل العليا للفنون الجميلة والآداب العالية مرضى لا يكادون يسمنون طعاما ولا شرابا، ولا يستطيعون لأنفسهم لهوا من هول ما هم فيه. وهؤلاء، جميعا مدفوعون بقوة فاهرة لعمل ما يعملون غير ناظرين لما يجره عليهم من الربح الوفير، وكثير منهم بذل في عمله ماله كله وبات محتاجا لشروى تقيير.

فالمدينة ليست مدينة للذين يتمتعون بطيباتها وسرفون، ولكنها مدينة لتلك الطبقة من الأفاضل للنزليين الذين يبدعون فيها يعملون، ولا يعيرون بالمعيبين واللاحين، بل إتهم بدأبون على ما هم فيه ولو لحقهم بسببه أدى من الجامدين والتعصبيين.

والمدينة لا تنصوح زهرتها إن راعى أهلها الآداب العلمية، ولسكنها تزداد بهجة وتأرجا، وتكتسب سطوعا وتألقا، فيتوحد فيها الحق والجمال، ويتآخى الإبداع والجلال، وتصبح الحياة جنة وارقة الظلال، يحمد فيها الخائف أمنا، والمحتاج عوناء، والضعيف ركنا، لا كما هي عليه الآن نار موقدة تلتفع وجوه المستمتعين بها والمحرومين منها على حدسوى.

فأما الأولون فلا تهمهم لا يضعون لمطامعهم حدا، فهم مندفعون في تيارها اندفاعا جنونيا، لا يباليون بما يصيب المجموع من جراء إفراطهم، ولا بما يشيره إغراقهم من مقتضياته حولهم، من الطبيعة تارة ومن المعاشين لهم تارة أخرى. فأما الطبيعة فقد قامت على العدل للطاق، فهي تحاسب المتمدن فيها على الذرة، فيجدون آثار عدوها في صحتهم وأمواهم وأولادهم، وأما المعاشون لهم فيضطرون لمقابلة هذا الاندفاع منهم، بالانتهاب بهم ليقفوم عند حدم. وما ثمة هذا لا تمار إلا مبادئ متطرفة يدينون لها

وعدوانات موبقة ينتوون القيام بها ، ليس ضد مناخاريم وحدهم ، ولكن ضد النظم القائمة ، والمذاهب السائدة أيضا ، مما جعل المجتمعات المتقدمة أشبه بمرجل مؤصدة ، تفل على تناير موقدة ، تهدد بالانفجار في كل آونة .

فهل هذا كله إلا ثمره لتحلل خالق ليس له ما يحفظه في حدوده الطبيعية من عقيدة راسخة ، أو مثل أعلى ، أو وازع من أى ضرب كان ؟

فالذين يزعمون أن المدنية لا تزدهر إلا بحوافز من الميول الإباحية التي عليها الناس اليوم يخطئون خطأ جما ، ويرتكبون شططا فاحشا . فإذا كان يقرم أن في المدنية من المناعة ما يحفظها من توالى أمثال هذه الكوارث عليها ، فإنهم يتنافلون عن تاريخ للدينيات البائدة .

وإذا سمعنا لهم بقدرة هذه المناعة ، فأى مصلحة للتروح البشري في أن يبقى على هذا التحرم من الحياة للضطربة ، والميول للضطربة ، والسأم الذي أصبح يغرى بعض النفوس للريضة بنفس الكرة الأرضية لو استطاعت الى ذلك سبيلا . ألم يقل الفيلسوف الكبير روبرت دو هارت من ^(١) خليفة شوينهور زعيم الذهب التشاؤمي إن الحياة الأرضية مادامت لا تعدو لفساد تركيبها هذه الحالة الشنيعة فليس لها إلا حل واحد ، وهو أنه متى وصل الانسان في مستقبل الأيام الى ابتكار مادة مدمرة قوية تصلح لتسف الكرة الأرضية ، فإنه تأسفها بها لا محالة ليرتاح العالم من حياة كلها ضرور وآثام ، ومصائب وأهوال .

يخرج ينجح : إن مدنية تولد مثل هذا القول على لسان قطب من قطاب لفاسفة لهى مدنية في حاجة الى مثل أعلى ينظم حركتها ويرأب صدوعها ، وإلا لحقها ما لحق سواها وأصبحت أحاديث .

محمد فخر ربه وجرى

(١) روبرت دو هارتمن فيلسوف وعالم ألماني ولد سنة ١٨٤٧ في برلين وتوفي بها سنة ١٩٠٦

التفسير

سورة الرعد

- ٨ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : « أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ، وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ، كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَلْقَى وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الْوَبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْسِكُ فِي الْأَرْضِ ، كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ . لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْأُخْسَى ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَائِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلُهٗ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِيهَا الْمَبَادِ . أَفَمَنْ يَنْسَلِمُ أَنْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْخَلْقُ كَمَنْ هُوَ أَشْمَى ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ . »

قد سبق في الآيات المتقدمة تقرير الحجة البالغة بما لا يدع للشك مجالاً ولا للشكابر مقالاً ، ولم يبق إلا أن يكون من عرضت عليه تلك الأدلة الناصعة والشموس الساطعة أعمى لا يبصر وغيباً لا يهتدى ، فثله لا ينفعه النور مهما تجلى ، ولا تفيده الشمس مهما سطعت . ولكن من ذا الذي يأبه له أرى يمتد . الله وما هو إلا عدو لنفسه ، عرضت عليه المنافع الكاملة ودعى لا غتنامها فأبى عليه غباؤه إلا أن يعرض عنها ، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟

فبعد أن قرر جل شأنه الأداة ناصبة على قدرته تعالى ونبين الحق لدى عيتين ، ولم يبق إلا إعراض المهروم واكتفاؤه بالدون ، ضرب جبل وعلاملا للحق المدعو اليه والباطل انفر عنه ، ليتجلى حال حسن الاختيار وسوئه ، وما يصيب من أبصر واهتدى ومن ممي فضل ، وذلك ما سيذكر في الآية التالية : « الذين استجابوا لربهم الحسنی » .

فالأية التي معنا وهي قوله تعالى : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، الى قوله : « كذلك يضرب الله الأمثال » ، بيان لحال الحق والباطل اللذين انكشف أمرهما وتبين حالهما بما قام عليهما من الأدلة الساطعة والبراهين الفاطمة ، يعطينا ذلك البيان حالهما في ذاتهما من البقاء والفناء ، ومن الغناء وعدم الغناء .

ولقد جاء بمثلها على هذا الوجه من أروع أنواع التمثيل وأبدعه ، فلقد أبرزهما في صورتين يراها الناس رؤية متكررة ، وقد اقترن في كل منهما أنفع شيء ، بأنفعه ، وأعلى شيء ، أخسه ، فن ذا الذي يخفى عليه ما في الماء من النافع الجلي ، وهو قد احتاج اليه كل شيء ، واستندت اليه حياة كل حي ، وأنت الزبد المقتن به بحسب شيئاً وما هو بشيء ؟ ومن ذا الذي يخفى عليه أن الماء باق يحفظ به ، إمامي أوديته وأنهاره ، وإمامي مسالكه في بنايع الأرض تنفجر به العيون في مواضع الحاجة حيث تستفاد منه الثوائد ؟ ومن ذا الذي يخفى عليه أن الزبد الذي يعلوه ويحاول منظره أن يجتذب العيون لا تكاد تننبه اليه النفوس أو تنجبه اليه الأفكار ، فهو والعلم أمام النفوس سواء ؟ فهل رأيت من تشبيه الحق والباطل ، وهل رأيت أن شأن الباطل كشأن الزبد في محاولة أن يطفو على وجه الماء وهو لا يستحق أن يكون له موطن ، وأنه يحاول مجارة الماء حيث جرى وهو أحقر من أن يكون له فريتا ؟ فالحق مع الباطل كالماء مع الزبد : في النفع وعدمه ، في المسيرة بدون استحقاق ، في محاولة الاستعلاء . وليس

له بأهل ، في الثبات والزوال ، في تمرضه للأفطار يسترعها وإعراضها عنه احتقارا وعدم اهتمام .

ومن دقائق هذا التشييل البديع أن كلام من الحق المضروب له المثل والماء الممثل به ينزل من السماء ، فخلق أمره ظاهر ، ونزل الماء من السماء إما على معنى تنزله من جهة العلو ، أو على أن المراد بالسماء السحاب ، أو لأن بلطر الذي تسيل به الأودية والأنهار يصعد في الأصل بخارا من البحار بواسطة أشعة الشمس وحرارتها ، فهو مستند إلى آثار الأفلاك العلوية . وكذلك يشتركان في أن كلامهما يأخذ منه ما صادفه وتلقاه بقدر احتمالها ، فالأودية تأخذ من الماء بحسب سعتها ، والقلوب تأخذ من الحق بحسب استعدادها وقوة احتمالها . وأيضا يشتركان في أن الماء منه ما يظهر أثره ومنفعته فيما أصابه حالا ، كالأرض المستعدة للإنبات ينزل عليها الماء فتنبت الكلا والعشب الكثير ، ومنه ما يختزن في الأرض فتسكه للناس ينتفعون به « فشربوا وسقوا وزرعوا » ، والحق منه ما ينتفع به صاحبه حالا فيعمل بمقتضاه في تحقيق عقيدته وتصحيح أعماله وتحسين أخلاقه ، ومنه ما يختزنه ليعلمه الناس فينتفعون كما انتفع ، ورعا عملوا به أكثر مما عمل . روى البخاري في صحيحه قوله صلى الله عليه وسلم : « مثل ما بعثني به الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منه نقيية قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعمل وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » . ولقد ترى هذه المعاني مستفادة من قوله تعالى : « فسالت أودية بقدرها ، فإني من الأودية ما يسيل بمقدار ما تروى أرضه فينبت به الكلا والعشب ، ومنها ما يسك الماء الذي سأل فيه لينتفع به الناس شربا وسقى دواب وزرع ، ومنها ما يتسرب منه إلى ينابيع فتنتقل إلى بقاع أخرى تلتفع بذلك الماء ، وشأن الحق كذلك منه ما ينتفع به

صاحبه ويقتصر نفعه عليه ، ومنه ما يحسك العلم ليحفظه للمتسلمين ينتفمون ، ومنه ما ينتقل منه العلم الى العلماء فينقلونه الى المتعلمين ولينتفمين كاليانيع النافلة للماء ، وهكذا يكمل وجه الشبه بين الحق والماء بقوله : « فسالت أودية بقدرها » .

واحتال السيل للزبد الذي يطفو ويربو على غير طائل مثل حمال الهدى للشبهات يتعلق بها المحرومون من المنفعة تاركين ما هو أولى بالاستمسك الى مالا طائل تحته ولا انتفاع به ، فاشبههم بالأطفال الذين يروهم حجاب الماء قد اجتمع حتى أراهم لونا أبيض يأخذ بأبصارهم فشتغلوا به فلم يحصلوا منه على ما ينفع غلة أو يروى من غلها وقد قتلهم العطش حتى أهلكهم ، ولكنه استعدادهم وغفلة نفوسهم عما ينفعهم .

والزبد إما أن يكون هو تلك الفقائيع المنتفخة بلا جدوى ، أو هو الشتاء والوضر الذي يحمله الماء معه فينتفخ به ويربو من مقدار ، وفي هذا الانتفاخ ذهاب منافعه . ثم هل تنبهت الى ما اقتنع به ضرب هذا المثل مما يقد أتم اتصال بينه وبين الآيات السابقة المشتملة على أدلة قدرته وإبراهيم سلطانه ؟ فقد ذكر في أوله قوله جل من قائل : « أنزل من السماء ماء » فكأنه بهذا الافتتاح جعله بسبب قوى من سبقه وكأنه من تتمته ، مع أنه قد سبق لبيان حال الحق والباطل في ذاتهما ، وفي أوصافهما من دوام وذهاب ، ومن انتفاع وبوار ، ومن أن هذا حقه لاستمسك به وذاك لا يلتفت إليه إلا الأغبياء البداء .

فانظر الى هذا التجلي البليغ في الأسلوب البديع ، ينتقل بك الى نتيجة مترتبة على ما سبق بعبارة كأنها من ضمن ما كان الكلام فيه ، من سوق الدلائل والإبراهيم على القدرة والسلطان ، فيالله ما أعجب وما أهدع ، تبارك الله رب العالمين !

وقد أردف هذا المثل بمثل ثان لا يقل عنه في تقرير الغرض المسوق له من بيان حال الحق والباطل ، وذلك ما تشهد في قوله تعالى : « وما يؤذون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله » أي وإن مثل ذلك الزبد الذي ترويه على سطح الماء الذي نسيل به

الأودبة زبد مما لعمله أيديكم ويناله صنعكم ، أرايتكم تلکم المعادن التي تستخرجونها من الأرض تبتغون بها إحراز حلالكم كالذهب والفضة ، أو تحصيل منافعكم كالحديد والنحاس والرصاص : ألسنتم تعدون الى تنقيتها من أوضارها ، وتطهيرها من الدنس الذي يملق بها ، فتوقدون عليها وهي في النار حتى تذيبها لتبدو تلك الأوضار عنها وتطهرها منها ، فتصفو لكم ويكثر بها انتفاعكم ؟ ألا فاعلموا أن الحق الخالص الصافي في نقائه هو كترك المعادن بعد تصفيته ، فن تحلى منكم بشئ منه فهو كن تحلى بتلك الجواهر بعد تصفيته ، ومن انتفع به في تهذيب نفسه وتصحيح عمله وإقامة العدل بينه وبين قومه وتكثير أسباب السعادة في دنياه وآخرته ، فله كمثل من انتفع بتلك المعادن بالمصفاة المستخلصة من بين تلك الأوضار ، ومن تعلق بتلك الأباطيل واستمسك بشبه لا طائل تحتها وأخلاق لئله الوقوف عندها ، وبإدارة من الرأي والهوى هتت له بلا تمحيص ولا تصفية ، فهو أشبه شئ بمن تعلق بتلك النفايات ، ووقفت به همته عند تلك الأوضار ، فلم يستصف لنفسه جوهرًا نقيًا ، ولم يستخلص تلك المعادن الجميلة والنافعة مما بذهب بهاها أو يضعف النفع بها . وكم تغاوت المعادن بالتصفية فتفاوتا يعمل زنة الدرهم من أحدها بعد تصفيته أغلى من القناطير المقنطرة من ذلك الجنس عينه بدون تصفية . ألا نرى الحديد مثلاً وهو لا يزال تدخل عليه النار فيصقى وينقى حتى تخرج منه أدق آلات الجراحة فيساوى ثمن القطعة الدقيقة أمثال زنتها من الذهب أو قناطير مقنطرة من نفس الحديد المستخدم في الحراثة أو قضبان البيايات ونحوها ؟ فما مائدة ذلك الثناء إلا نقصان قيمة ما اتصل به من نفيس الجوهر ، فهل من يتعلق بتلك النفايات يكون شأنه وشأن من صفى جواهره سواء ؟

ولقد نوح فيها بوقد عليه في النار لبرار نوحين أساسيين من مقاصده : أحدهما ما يتخذ للحلى والثينة ، والثاني ما يتخذ للمنفعة والفائدة ، وكلاهما لا يصل للر . الى مبيتناه منه إلا بعد أن ينقيه من زبده وأوضاره وخبثه . فهذا مثال الحق الذي لا يصل اليه صاحبه

إلا بعد أن يخلصه من آفات الهوى ونزعات الضلال ونزغات الشياطين، تلابسه فتعكر جوهره، وتضيع نفاسه، وتذهب بمنفعته، فإذا ما صنى من ذلك فهو النفيس الجليل وهو النافع المفيد، وإذا ما بقى فيه فقد أذهب روقه وأضاع نأذته. فهذا شأن الزبد إذا اختلط بالمعدن، فكيف بالزبد وحده؟ وما حال من تمسك به نابذا المعدن وراء ظهره؟ أفلا يكون مثلاً للغياوة والبلاهة؟ أليس يصدق عليه أنه استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير؟ وهل برضى بذلك إلا مأفون قد حبل بينه وبين عقله، وختم الله على قلبه وعلى سمعه، وجعل على بصره غشاوة؟

أما وقد تبين لك أمر الزبد مع الماء فى البقاء والبقاء، والمنفعة وعدم البقاء، وحال الزبد مع المعدن فى ذهابه بروقها، وإضاعتها لمنفعتها لمجرد اختلاطها بها، فضلاً عن أن يكون له منفعة فى ذاته، فلا جرم كان هذا أوضح مثل يبين قيمة كل منهما فى نظر العقل بإيرازهما فى صورة ما تبينه الحس. فجاءت جملة «كذلك يضرب الله الحق والباطل» بعد أن مهد لها الكلام السابق، واستشرقتها النفوس حتى كادت تنطق بها، وظهرت بعد أن تهيأت العقول لقبولها، فكانت مما بلاحق معناه لفظه، وحادت على التمثل المضروب بزيادة الانتباه وإتقان التأمل فيه، وكلما كررت فيه النظر، جلا لك العبر.

ثم قل تعالى: «فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض» فستخرج منه الحكم المنصود فى كل منها ليظهر لك حال الاختيار الموجه الى كل منهما حسناً وقبهاً، ورشداً وضياً.

ولقد جرت هذه الجملة الشريفة مجرى الأمثال، فكثيراً ما يستعين بها المتكلم فى شتى الأغراض فيجد فيها نعم العون على إيضاح مقصده ونصرة حجته. وأصل الجفاء المرمى المطروح، يقال: جفا: لوادى غثاه إذا نبذه وطرحه. والجفاء بالفتح مصدر منه، فإذا انضم المطروح لعضه الى بعض سمي ذلك المنضم جفاء بالضم. ومعنى لكث فى الأرض البقاء فيها معدداً للارتفاع به. وإنما يمكث فى الأرض الشيء المحتفظ به المصون لنأذته.

قال تعالى : « كذلك يضرب الله الأمثال » :

أجل : إن هذا هو البيان حقا ، فقد جلا لنا حال الحق والباطل بصورة ما يشبههما تمام الشبه في القيمة والفائدة مما عرفته النفوس وأصبح حكمه لديها ضروريا ، فلم يبق إلا أن يضحك المرء من نفسه كيف بلغ به حقه وضلاله حتى ألحقه بالأطفال الذين لا يفرقون بين التمرة والحجرة . وكان ذلك بعد أن أقام البرهان تلو البرهان ، والدليل يدعم الدليل من أول السورة الى هنا ، حتى ارتفع الشك باليقين ، ووضح الصبح لدى عيني ، ولم يبق سوى « أن يرى مبصر ويسمع واعي » .

وهذه الآية مدعاة لتكرار التأمل في المثل ورجع البصر اليه ، فإنه :

بزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

واسم الإشارة في قوله تعالى : « كذلك » راجع الى المثل المذكور ، أى على هذا النمط البديع الذى تجلى لك فجلى من المعاني انغزيرة ما ملأ قلبك اقتناعا تكون الأمثال التى يضربها الله للناس ، فما كانت للتبليغ والتفكك ، وما كانت مقصورة عن أداء ما سيقت لأدائه ، وما كان بينها وبين المعنى المراد جفوة أو نبوة . وثمرة مثل هذه الكلمة حث المخاطبين على الإصغاء ومزيد التأمل لتكمل منفعتهم منها .

قال تعالى : « للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به ، أولئك لهم سوء الحساب وماؤم جهنم وبئس المهاد » :

اعلم أن ما تقدم فى الآيات السابقة من تفسير المصحح وإقامة الأدلة وضرب الأمثال ، لم يكن المقصود منه تقرير نظريات فلسفية ، ومجرد تحقيق لمسائل عمية نظرية ، وإنما هو الوصول لترية النفوس والأخذ بها فى طريق العمل الى ما فيه سعادتها ونجاتها من شقوتها ، فبعد أن تجلى الحق وظهر الصدق وانضح الأمر بضرب المثل ، وصل الى المقصود من ذلك كله وهو بيان حال المدعويين من أقبل منهم واستجاب لربه ،

ومن أعرض عنه ولم يستجب لدعوته . فكأنه يقال لهم : حذار من أن نظنوا أن الأمر مقصور على مجرد تقرير النظريات فتحدنكم أنفسكم بالمرأغة فآلئين فليكن ما يكون فما لنا ولمذا كله ، سواء أ كان الحق في هذا الجانب أو في ذلك ، فإنما يعنيننا صالحنا وما بخصنا ، وتلك الحركة الجدلية لا نريد أن نزع بنفوسنا في ميدانها . فسدى وجوههم طريق هذه التعللات ، وقيل لهم لا بل الأمر إنما يعينكم أنتم ، وإليك يساق الحديث ، ومن أجلكم وحدكم كانت هذه المعمة ، فهي إمالك وإما عليكم ولا مفر ، وإنها لجنة أبد . أو لنار أبدا . فيكون قوله تعالى : « للذين استجابوا لربهم الحسنى » من باب جنى الثمرة بد كبير الاعمال في إنشاء للزرعة .

والحسنى تأنيث الأحسن ، أى أحسن الثواب وأفضلها ، وأخلصها من شوائب النقص والتقصيص ، يشهد بذلك اختيار لفظ « الحسنى » الذى هو مؤنث أقبل للتفضيل مع إطلاقه عن بيان جهة الحسن فيه ، فينعرف الى الأكمل .

وقوله : « والذين لم يستجيبوا له » حين يسمعا السامع يكاد ينطق بقوله لهم السواى ، فترك للسامع ما يكاد ينطق به بنفسه ، وأخذ في أسوب آخر يقرر له ما خطر بباله وبين مقدار سوءه ، وهو أنه سوء يرجع بما فى الدنيا كلها من متع ولذائذ ، وفوائد ومنافع ، فلو اجتمع لأحدم كل ما فى الدنيا دفعة واحدة ومثله معه يتقلب فى اللذائذ والمنافع ، ويمضى الثمار والفوائد ، وتكون كلها (جميع) أى مجتمعة ، ما أنشاء ذلك عما يلاق شيئا ، ولبذله كله يبنى النجاة مما هو فيه . فهذا التصوير من أرواح أنواع التصوير فى تقدير تلك السراى التى فهمها الخاطب ، وفيها أحسن مقابلة وأنجحها ، فقد ترك للسامع ما التقطه بفهمه ، وأتى له بما يقرره وبين مقدار . وإنه خلق وصدق ، فإن تلك لأموال التى يحجب المرء فى الحياة ، إنما أحبا من أجل ما يصل اليه من متعها ، فإذا كان قد استولى عليه البلاء حتى أذهله عن أن ينظر إليها أو يستمتع بها ، فما الذى أفاده من اجتماعها فى حوزته ، وهل يكسب من وراثتها إلا زيادة حسره ؟ وعلى ذلك يكون فى قوله « لو أن

لهم « الخ » مقابلة للحسنى بما قدرته في نفس السامع ، كقولهم : من باب إثبات الشيء بيئته . والافتداء بذل هزئ من مال وغيره لتخليص ما هو أعز منه .

وقوله تعالى : « أولئك لهم سوء الحساب » تصريح بالمعنى المستفاد ، فيزيده تحكيماً في النفس . والتعبير بأولئك للإشارة إلى أنهم كانوا أعرض عنهم ثم عاد يلفت النظر إليهم ويخفف منزلتهم بإبعادهم عن حظيرة الخطاب ، وذلك باسم إشارة انبيد .

وقوله : « وبئس المهاد » — أى مهادم — تطبيق للعذاب والسوء عليهم من جميع النواحي ، فكانه أصابهم من أعلام ومن أسفلهم ، رأى صعوبة تلك الصعوبة التي ارتكزوا عليها ، فثباً تقليباً فهي متمكنة منهم وهم متمكنون منها ، مع أن أصل المهاد مامهد للمرء ليستريح فيه ، ومنه مهد الصبي ، وقولهم : مهد الطريق أى ألاتها . فإذا كان هذا شأن مهادم ، فما شأن ما يحيط بهم ؟ وتلج تلك الإحاطة من قوله : « ما وائم جهنم » فإنها قد أحاطت بهم إذ أووا إليها ، بل تزداد الإحاطة حين تنظر إلى قوله : « أولئك لهم سوء الحساب » فإن الحساب المسير حزافى النفوس وتقطيعاً للأحشاء من الداخل ، فكان إحاطة السوائى بهم لم تقتصر على أن شملتهم من ظاهرهم ، لا بل شملتهم في قلوبهم وضمايرهم وقرارة نفوسهم . ومن ذا الذى يفكر ما للحساب المسير من الوخز فى الضمير ؟ قال المنسرون : وسوء الحساب أن يحاسبوا على جميع ذنوبهم لا يغفر لهم منها شيء ، وأنهم لا تقبل حسناتهم ، فاتهم ما فعلوه ابتغاء مرضاة الله ، وكيف يبتغون رضاه وهم ما استجابوا له ولا آمنوا به ولا برسله ؟

هذا وإذا تأملت تلك الجزاءات وجدتها جزاء وفقاً لما اجترحوا من السيئات ، فقد أعرضوا عن السعادة الحقيقية اكتفاء بتلك الذنائد التي استولت عليهم ، فكان من حق جزائهم أن يبتلوا بما تنالته أمامه لذائد الدين كلها مجتمعة ومثلها معها ، وأعرضوا بأفكارهم واستناموا هادئين وادعين لم تشغل الآيات والنذر من قلوبهم عملاً ، فكان من جزائهم أن يبتلوا بسوء الحساب يعاق بالهم ويشغل عقولهم ، فلا يجدون

لأنفسهم هدوا ، ولا لأنفسكم راحة ، وكيف يستريح من نقوش الحساب عسيرا ؟
ثم أودوا إلى فرشهم واستكنوا في حصونهم تمنعهم من العوادي ويترقبون فيها ، فعوقبوا
على ذلك بإبرائهم إلى جهنم ، وإلجائهم إلى مهاد يقض مضجعتهم ، ويحول بينهم وبين كل
راحة ، وذلك جزاء من استراح إلى الدعة ، وفوت على نفسه عيشة ذات سعة .

كيف يكون هؤلاء عقول يفتقرون بها ، أو آذان يسمعون بها ، أو عيون يبصرون
بها ؟ وكيف يستوى هؤلاء ومن رأى الحق فعرفه ، واستمع إلى القول فاتبع أحسنه
« أفن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كن هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولو الألباب » .
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنحنا حسن الذكرى ، وأن يبصر قلوبنا بالحق ،
ويحنبنا متابعة الهوى ، وأن يجعل رائدنا الرشيد والهدى ، إنه ولي التوفيق ، وهو حسبنا
ونعم الوكيل ؛ وصلى الله على سيدنا محمد لهادى البشر النذير ، وعلى آله وصحبه أجمعين .
إبراهيم الجبالي

التثبت في العلم

قيل لمصقلة : ما أكثر شكك ! قال : عمامة عن ايقين .
وسأل شعبة أيوب اسخنيان عن حديث فقال : أشك فيه . فقال شعبة : شكك أحب إل
من بقينى .
وقال أيوب : إن من أصحابي من رغبى بركة دمانه ولا أقبل حديثه .
وسأل إبراهيم النخعي طامرا الشعبي عن مسألة فقال : لا أدري . فقال إبراهيم : هذا والله
العلم ، سئل عما لا يدري فقال لا أدري .
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : من سئل عما لا يدري فقال لا أدري فقد أحرز
نصف العلم .
وقال مالك بن أنس : إذ تراء العالم لا أدري أصيبت مقائلته .

حكمة الصيام

اقترحت جريدة الأهرام على نخبة من رجال الدين أن يرافها كل منهم برأيه في حكمة الصيام ، فلبوا كلهم دعوها وكان في طليعتهم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، فرأينا أن نثبت مقالته في مجلة الأزهر ، ضنا بها على الضياع ، واحتفاظا بما احتوته من كلام طريف في فوائد الصيام ، وقد أتى فيها على إيجازها بأبلغ ما يمكن أن يقال في هذا الباب . قال حفظه الله :

يستقبل المسلمون في هذا اليوم شهر رمضان وقد كتب الله فيه الصيام كما كتبه على الأمم السابقة « بأبها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » أيما معذرات ، وفيه ابتداء الله لإزالة القرآن على النبي الأمين محمد بن عبد الله ، صلوات الله متتابعة عليه ، وعلى آله وصحبه وسلامه .

فرمضان يحى كل عام حاملا معه أطيب الذكريات وأحسنها ، ذكريات أوائل الدين الذي أكله الله وأنعم به النعمة ، وارتضاء للعالم دينا ، وسماء هدى وفرقا ، وجعله آيات بينات ، ووضع فيه أسس نظام دائم للبشر لا يتغير ولا يتبدل ، وجعله ميزان الأعمال ، ودعامة الحق وقائون الأسر ، وغذاء الروح ولذة العقل ، ومتعة النفس وشفاء للصدر . وذكريات فريضة الصوم أحد الأركان الحسة للإسلام ، وعلاج للنفس الجائعة ، وحماد الخلق الإنساني ، والقوام على كبح الشهوات وطفيزان الصفات الحيوانية البهيمية على النفس الإنسانية .

في هذا الشهر نعمتان : نعمة القرآن الكريم ، ونعمة الصوم . نعمة السلم والنور والهداية ، ونعمة الوسيلة لتقبل هذا الفيض . فبالصوم نرتاض النفس ونسكن الى الحق ونهش لقبوله ، وتبعد عن رذائل الجسم وتيارات الشهوات المختلفة ، من بغض وحقد

وحب للانتقام وميل الى إرضاء غريزة الشهوة للطعام والشراب ، وما الى ذلك ؛ وترقى الى أفقها السماوى الروحانى مستمدة لتلقى الفيض الإلهى وتفهم معانى الآيات وما فيها من هبر وعظات .

والصوم ، كما هو معروف ، كفٌ عن شهوات البدن ، وصبر على مضض ترك هذه الشهوات . فهو معين على تقوية الإرادة ، وفيه نمويد على احتمال المشاق والأذى ، ونمويد على عدم انزعاج النفس بترك ما ألفته وخالفه ما اعتادته ، فهى تقبل طعام الصباح فى المساء وطعام المساء فى الصباح ، وتصبر على الظمأ فى المهاجرة وعلى الجوع فى القرى ، لتألف الصدمات إذا ما انتابها ، والحوادث تقع مفاجئة وعلى غير توقع فالصوم أكبر وسائل تربية ملكة الصبر ، وملكة الصبر أم للملكات الأخلاقية ، فلا يقوى على التنقل والكفاح فى الحياة إلا صابر ، ولا يغالب الأيام إلا صابر ، ولا يصل الى الحقائق العلمية إلا صابر ، ولا يستطيع كشف أسرار الوجود بالبحث والتفكير إلا صابر ، ولا يحود بحاله ونفسه إلا صابر ، ولا يعبد الله حق عبادته إلا صابر . ولذلك قيل : الصبر نصف الإيمان . وذكر الصبر فى القرآن ووصى به أكثر من سبعين مرة .

وهذه بعض آيات القرآن الكريم فى الصبر :

« إِنَّمَا بُوتِى الصَّابِرِينَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا » « وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحَسَنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا » « وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ » « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

فى الصوم هذه الفائدة الجليلة ، وفيه تذكير بحالة الفقراء والمعوذين ، وشعور بمنزل ما يلقيه الجائع المدم من الألم عند المسغبة ، وما يجده الظمآن من طيب العطش عند فقد

الماء، فيدفعه هذا الشعور إلى البر والعطف، إلى الرحمة ومواساة الفقراء والمساكين. وقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام كل ليلة في رمضان، فإذا نفيه جبريل كان أجود بالخير من الرمح المرسلة.

في الصوم هذا، وفيه تذكير بالنعمة، فإن الاستمرار على الشيء، قد ينسى مصدره وينسى مقدار ما فيه من النعمة، فإذا انقطع الاستمرار عاد الإنسان إلى التذكر. فالجوع يذكر النعمة بالغذاء، والعطش يذكر النعمة بالماء. وذكر هذه النعمة لا ينفك عن شكرها، فيقبل العبد على الطاعات، ويحافظ ما نهى الله عنه من المحرمات، وإلى هذا الإشارة بقوله جل شأنه: «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون». هذا الذي ذكرناه جعل الصوم ركناً من أركان الإسلام الحسنة، وجعل الله سبحانه يشرفه بالاضافة إليه، فقد ورد في الحديث الشريف «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي».

والصوم كما لا يخفى عبادة سرية لا يطلع عليها أحد إلا هلام النيوب، فإذا وجدت حقيقة فقد وجدت خالية من الرياء، لا يشوبها ما يشوب غيرها من المبادات البدنية والمالية، فهي خالصة لله لا تجري برأى من الخلق، فهو لله وحده، وهو الذي يميز به ويعلم مقدار ثوابه وتضاعيف حسنه، وإذا كان نوعاً من الصبر فليس هناك عد ولا حساب في ثوابه «إنا يوفى الصابرون أجراً بغير حساب»، وقد بنال العابد بغير الصوم جزءاً من الخلق، ولكن العابد بالصوم الذي هو سر من الأسرار كما قلنا ليس له جزء إلا من الله.

ومن حق هذه العبادة - لتكون كاملة مقبولة عند الله - كفه الجوارح عن الآثام: بنفض البصر، وحفظ اللسان عن اللغو والكذب والغيبة والنميمة والفحشاء والخفأ،

واختصومة والمراء، وكف السمع عن الإصغاء إلى ما هو مكروه، والاقتصاد فيما هو مباح من طعام وشراب وقد جاء في الحديث الشريف « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » ومعنى ذلك أن الله لا يقبل صومه لأنه قد أصبح جسماً بلا روح حيث لم تترتب عليه آثاره الصالحة، فلم يبق منه إلا ترك الطعام والشراب، والله في غنى عن ترك الطعام والشراب، لأنه إنما يريد من العبد التقوى والآثار الصالحة المترتبة على العبادات. ونظير ذلك قول الله تبارك وتعالى: « لن ينال الله لحومها ولادعائها ولكن يناله التقوى منكم » والتقوى هي العاية من الصوم كما قال: « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ».

وتهنئ بشهر الصوم أنعت بها إلى كل مسلم، ضارفاً إلى الله جللت قدرته أن يشمل المسلمين بعونه ونوفيقه، وأن يؤيدهم بروح منه، ويفقههم إلى العمل بشريعته وإحياء دينه، وأن يخلق منهم تلك الأمة التي وصفها بقوله: « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ونهون عن المنكر » وقوله تعالى: « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » محمد مصطفى المراغى

تعظيم شأن العلم

قال الأحنف بن قيس: كاد العلماء أن يكونوا أرباباً، وكل هو لم يكسب علم فلي ذل يصير. وقال أبو قلابة: مثل العلماء في لأرض مثل النجوم في السماء، من تركها ذل، ومن غابت عنه تحير.

وقال سفيان بن عيينة: بما العالم مثل السراج من جاءه اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئاً، كما لا ينقص انقابس من نور السراج شيئاً. وقال رجل لأبي هريرة: أريد أن أطلب العلم وأخاف أن أضيعه. قال: كفناك ترك طلب العلم إضاعة له.

دحض شبهات عن الاسلام

نشرنا في العدد الماضي خلاصة مقالة للكاتب الفرنسي أندريه هرفيه، ثم أوجزناها في اثنتي عشرة شبهة رددنا منها على شبهتين ونرد اليوم على عدد آخر منها .
لشبهة الثالثة : يقول المسيو أندريه هرفيه : إن عقائد الاسلام جامدة تتحكم في كل ناحية من نواحي حياة المسلم اليومية .

نقول : أتى الكاتب بهذه الوصمة مضحكة في عبارة ينقض بعضها بعضا ، وهي : « إننا في الواقع لا نعرف حتى اليوم أسباب التوسع السريع في فتوحات العرب ، ولم تفهم كيف تدهورت أمبراطورية الخلفاء ، وتمزقت أوصالها ، والأسباب التي أدت إلى هذا التدهور .
نعم لا نعرف كيف أصابها الشلل والموت بسبب العقائد الدينية الصلبة التي تتحكم في كل ناحية من نواحي حياة المسلم اليومية ، وكل مظهر من مظاهر نشاطه » .

فهو يعترف بأنه لم يعرف أسباب التوسع السريع في فتوحات العرب ، ولم يعرف أسباب تدهور أمبراطورية الخلفاء ، ونحن إلى هنا لا نجد وجها لمؤاخذته ، وكيف نؤاخذ من يعترف بمجهله أمورا معينة ؟ ولكنه عاد فقل : « نعم لا نعرف كيف أصابها الشلل والموت بسبب العقائد الدينية الصلبة التي تتحكم في كل ناحية من نواحي حياة المسلم اليومية ، وكل مظهر من مظاهر نشاطه » . فكيف نوفق بين اعترافه بمجهله أسباب النهوض والتدهور للأمبراطورية الاسلامية في أول عبارته ، وبين تأكيده بأن تلك الأسباب أرجدتها العقائد الاسلامية الجامدة ؟

وإنما لائلو المسيو أندريه هرفيه قائلين : إنه يعترف هنا بأن العرب كانت لهم فتوحات واسعة سريعة ، فكيف تسنت لهم وتمت على أيديهم ، وهم تحت سلطان عقائد جامدة تصيب أصحابها بالموت والشلل ؟

ويترف أيضا بأن الرب أسسوا أمبراطورية عظيمة ، فكيف تمكنهم تأسيسها وحفظها قرونا عديدة وهم يدينون لعقائد جامدة توجب على الآخذين بها الموت والشلل ؟ ولا يخفى أن القيام بيننا ، أمبراطورية يقتضى أصولا وقواعد تقام عليها ، وحفاظ تحفظ بها ، فكيف سأل للعرب ذلك وهم مصبون بالموت والشلل بسبب عقائدهم الجامدة العقيمة ؟

ويقول السيو أندريه : إن العقائد الاسلامية تتحكم في كل ناحية من نواحي حياة السلم اليومية ، وكل مظهر من مظاهر نشاطه .

ولكن هذا التحكم على إطلاقة لا يعتبر عيبا في ذاته ، لأن هذا الوصف نفسه ينطبق على علم الأخلاق وعلى دستور الآداب ، فتصويره للإسلام بهذا الوصف وحده لا يغني شيئا في القدر فيه . والحقيقة أنه يريد أن يقول إن الاسلام على ما هو عليه من العقائد الجامدة الموجبة للشلل والموت يتحكم في كل نواحي الحياة اليومية لمتبعيه .

ولكنه لم يبين لنا ما هي تلك العقائد الجامدة فيه . لعله اكتفى بقوله إن التعالم الاسلامية لم تكن شيئا غير مصاصة العقل الربى ، وهو ما رددنا عليه في الممد السابق . إن كان الأمر كما يقول فلم لم يوصل العقل العربى أهله على عهد جاهليتهم الى الاجتماع على حالة أمة ، ولم لم يدفعهم الى الفتوحات الواسعة السريعة ، الى تأسيس أمبراطورية عظيمة كالتى كانت للخلفاء وبقيت عهدا طويلا ؟

مهذ السيو أندريه لشبهته هذه بأنه يحل الأسباب التى دعت العرب للتوسع السريع ، والأسباب التى لغت على أمبراطوريتهم بالتدهور ، فكان يجب عليه أن يعرف هذه الأسباب قبل أن يتمددى للتشهير بتعاليم يدين بها نحو ربع سكان الكرة الأرضية ، ولا تزال تدخل ، كما يقول هو نفسه ، الملايين الكثيرة الى حظيرتها فى كل عام .

لا جرم أن هذا الموضوع جدير بالبحث ، فإن أمة كالأمة العربية عاشت آلافا من السنين على الحالة القبلية ، تنقلب فى سنين معدودة الى أمة شديدة التماسك ،

قوية الترابط ، فتنهض نهضة قوية تبني لنفسها بها أمبراطورية لا تشبهها في السمة و تراعى الأطراف أمبراطورية في العلم حتى ولا في هذا العهد ، وتستطيع أن تحتفظ بها قرونا طويلة ، قلنا إن أمة كانت على تلك الحال من التفكك ، ثم آلت الى ما آلت اليه في سنين معدودة ، وتفلتت على أمم كانت على جانب عظيم من النظام الاجتماعي والمدنية ، لا يقل أن تكون قد وصلت الى هذا المستوى الرفيع وهي مجردة من أصول قوية ، ومبادئ قديمة .

كان يجب على المسيو أندريه هرقيه وهو يعالج مسألة خطيرة كالتى هو بصدها أن يعرف أن اجتماع القبائل المتعادية وقيامها على حالة أمة شديدة التماسك ، متناحية ما كان بينها من الثروات والافاق ، لا يمكن أن يكون ثمرة دعوة ساذجة ، أو بدافع أهواء طائشة ، بدليل أن أمثال هذه الانقلابات في تاريخ المجتمعات لم تتم إلا بعد حدوث تطور عظيم في نفسيات الآحاد اقتضته أمور جسام ، وقوارع عظام ، ونولت بناء الوحدات الاجتماعية الجديدة أصول ومبادئ كان مثلها بين الأفراد والجماعات مثل اللات بين الأحبار إذا أريد تحويلها الى قصور مشيدة . وفوق هذا فلان هذا التحويل يحتاج لدير خبير بأصول البناء وأمرار تماسكه ، حتى لا ينهار على نفسه من أى اتجاه يصيبه .

فهل يكفى في تحليل قيام الوحدة العربية أن يقال إنها ثمرة تماثل هي مصاصة العقل العربى الجاهلى ، وأن هذه المصاصة كما وجدت الأمة العربية دفعها لتكوين أمبراطورية عظيمة يحار المسيو أندريه هرقيه في وجودها وأسباب فهم انحلالها ؟

أم هل يكفى في تحليل قيامها أن يقال إن هذه التماثل عقائد جامدة تتحكم في كل ناحية من نواحي حياة المسلم اليومية ، ولا تزال به حتى تصيبه بالشلل والموت ؟

فهل حدوث هذه الآية الكبرى وهي الوحدة العربية مع ما تقتضيه من تطور يبعث عليها ، وأصول ومبادئ تقيم صرحها ، هو ثمرة تماثل جامدة تصيب الآحدين بها بالشلل والموت ؟

وهل الانسحاق في الأرض ، والقيام بفتوحات لا عهد للعالم بمثالها ، وتأليف
أمبراطورية لم يعهد النوع الانساني أوسع منها ، هو ثمرة لعالم جامدة تستولى على
مقلية أهلها فتصيبهم بالشلل والموت ؟

وهل دخول مئات الملايين في هذا الدين ، وتوالي انتشاره في جميع قارات الأرض
متغلبا بدون دعوة على جميع الملل المنافسة له ذات الدعاة الذين ينفقون عشرات الملايين
من الجنيهات كل سنة ، هل كل هذا نتيجة لعالم جامدة لا تدع لأصحابها متغلبا
في الحياة وتصيبهم بالشلل والموت ؟

إنني أكاد أظن أن السيو أندريه هرفيه يمزح فيما يقول ، أو هو غريب عن البحوث
الاجتماعية لا يدري من أصول الاجتماع شيئا ، وهذا هو الأرجح .

وكما أنه غريب عن البحوث الاجتماعية كذلك هو غريب عن المسائل النفسية
لا يضرب بأقل سهم فيها . فقد عرف الاسلام بأنه مصاصة العقل العربي الجاهلي
ووصف تعاليمه بالجور وبأنها توجب على الآخذ بها الشلل والموت . وسبق له في أول
مقاتله أن قال : « أثرت الديانة الاسلامية على المسلمين تأثيرا بدرجة جعلت الأمم
الاسلامية أشبه بأمة واحدة مؤلفة من أقطار متنوعة صهرت في بوتقة واحدة .
فاللث العلية الاسلامية واحدة عند المسلمين ، وتصوراتهم الفلسفية كذلك واحدة . وهم
متمسكون تمسكا شديدا باعتقادهم القوي في سمو عقائدهم الاسلامية المقدسة الخ » .

نقول : يمكننا أن نفعل وجود ديانة ذات تعاليم جامدة موجبة للشلل والموت ،
وأن نفهم أن الآخذين بها يتخيلون في عقائدها السمو ، وتمسكون بها كل التمسك
بحكم وراثتهم لها عن آبائهم ، ووقعهم تحت سلطان للتقاليد الأعمى لأوائلهم . ولكن
هل نفعل أن يكون مثل هذه الديانة قوة انتشار ذاتية بحيث تتغلب بدون دعاة على
ديانات يعتقد لسيو أندريه هرفيه أنها في أعلى درجات السمو ، ولها دعاة يستندون
الى أقوى دول الأرض ، ويفرون الناس على الدخول فيها بالهيل والهيلان ؟

اللهم إن هذا غير معقول .

فإن قال المسيو أندريه إن الذين يدخلون في دياتكم هذه طوائف من أم ليست على درجة من الثقافة العقلية يجعلها تميز بين الفث والثمين ، قلنا . ف ظنك بالأوربيين وقد دخل منهم فيها ألوف ، وقد بدأ غيرهم يعرفون فضلها ويقدرونها قدرها ، بل ما ظنك بكبار الملاسفة والمفكرين أمثال كارلايل وجبوت ولامرتين وبرنارد شو وسديو وعدد لا يحصى من كبار العقول وقد شهدوا للإسلام بسمو العقائد ، وأصالة الأصول ، وشرف المقاصد ، وبعد الغايات ، والكفاية التامة لحاجات العلم الانساني الروحية والمادية في كل زمان ومكان !

إن ساخ المسيو أندريه أن يقول جزافا إن هؤلاء العلماء قد وهوا فنسبوا مدينة النقيورين للعرب المعاهرين ، كما ادعى ذلك ، وسفثته وزرد عليه ، فهل وهوا أيضا في نسبة السحر لهذا الدين وكتابه بين أيديهم يتلونه ويتدبرون آياته ، ويتأملون في بيناته ؟ أما كان يجب على المسيو أندريه هرفيه قبل أن يكتب ما كتب عن دين هو آية الله الكبرى في الأرض ، أن يقرأ ما كتبه أعلام العلم والفلسفة فيه ليعدل ولو بعض العدل في الحكم عليه ، بدل أن يصفه بما وصف فجى على نفسه شر ما يجنيه كاتب عليها ، لأن شيوع البحوث الاسلامية واستفاضة الأقوال عنها جعل أكثر الناس يرون في أمثال كتابات المسيو أندريه هرفيه رجوعا الى تضليلات القرون الوسطى حيث كان يأتي كاتب بالمساقط من القول طعما في دين فيصدقه جميع الفارثين ، ويزيدون عليه ، ويتلونه مثقالا بالمضاعفات من كل ضرب !

لقد انقضى ذلك العهد ، ونحن اليوم في عهد آخر يسوع فيه مثل الفيلسوف الكبير (برنارد شو) أن يقول : إنه لا يعضى على أورا قرتان حتى تدخل جميع شعوبها في الاسلام . نكتفى بدحض هذه الشبهة اليوم تاركين ما بقى منها للشهور المقبلة إن شاء الله .

محمد فريد وجرى

رؤية الهلال

عند الغروب وبعد الفجر

ورقم الى بعض التونسيين الأزهريين سؤالا يقول فيه :

ما حكم الله إذا شهد شاهدان عند القاضي بأنهما رأيا هلال شوال عند غروب التاسع والعشرين من شهر رمضان ، حكم القاضي بإنهاء شهر الصوم ، ولكن رآه آخرون بعد الفجر من تلك الليلة فصاموا ولم يفطروا معتقدين أن الشهر ثلاثون لاثمة وعشرون ؟
أبو القاسم التونسي الأزهري

الجواب

جاءنا هذا السؤال منذ زمان . وجاءنا اليوم سؤال بمعناه من بعض أساتذة لمدارس ؛ وقد طلب منا التوسع في الجواب ونشره بمجلة الأزهري ، فنقول وبالله التوفيق غير معمولين على ظواهر النقول ، ولا ما يفيد كثير من العبارات ، وإنما نكتب ما عليه علينا روح الشريعة السامية ، ونظرها البعيد :

من المعلوم أن الاسلام يسرّ سمح يأخذ بالظواهر ولا يكلف الناس شططا . فهو يسع الناس جميعا على اختلاف أنظرتهم وتبين آرائهم وتنوع اجتهادهم ، علما منه بأن الله لم يخلق الناس على استعداد واحد . بل بينهم من التفاوت في الاستعداد والتغالف في التكوين والتباين في الدرجات والاختلاف في الآراء والأنظار ما لا يعلمه إلا الله تعالى . ولم يتفق في أفراد نوع من الأنواع من التفاوت مثل ما اتفق بين أفراد نوع الانسان . والشارع الحكيم عز وجل يعلم ذلك كله من خلقه « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

والله يريد أن تكون هداية الاسلام عامة، ورايته شاملة لكل من فيه متقال ذرة من خير. وقد عرفنا أنه لا ينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب. وقد جعل للمعتهد أجرا إذا أخطأ وأجرين إذا أصاب، فلم يكتف برفع الأيتم من الخطي بل جعل له أجرا. ولهذا لم يقل صلى الله عليه وسلم شيئا لمن صلى للمصر في الطريق، ولا لمن أخر الصلاة الى بنى قريظة. ولم يم على إمام السرية الذي كان يقرأ لهم سورة الإخلاص دائما، ولا قال له إن الصبح يطلب فيها التطويل وإن الظهر تليها. الى آخر ما قرره الفقهاء، بل قال أخبروه أن الله يحبه كما في الحديث الصحيح، الى آخر ما هو كثير ومعروف من السنة النبوية، والملة المحمدية.

وكانه صلى الله عليه وسلم لا يريد من إلا عدم الخروج على الله ورسوله، ولا يكفنا إلا أن نخلص النيات لله تعالى ونأتي الله بقلب سليم. فالدين الاسلامي لا يتعمق نفاق الجاهلين، ولا يتصلب نصلب الجامدين، ولا يحب نضال التعصبين، ولا تشدق التفتينين ولا تنازع الثرثارين. وما كانت شئ أبفض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرفة والافقسام.

وكان المقصود الأسمى من بعثته صلى الله عليه وسلم إتحا هو الوئام وإيجاد الألفة والمحبة بين المؤمنين وعدم التفرق فيما بينهم «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا».

وقد شرع لذلك وسائل كثيرة، حتى جعل المصافحة مكفرة للذنوب، وأمر بإفشاء السلام، وندب الى التهادي. ولم يبالغ في شئ ما بالغ في حرمة السلم كما هو معروف حتى جعله أعظم حرمة من الكعبة، كما في حديث ابن مالك وغيره. ولو لا تلك الأنظار السامية، وذلك لتسامح البالغ والرفق المتناهي، لم يكن الاسلام دين الأمم كلها، ولم يصلح إلا لقوم جامدين وطائفة مخصوصين.

اعتبار المصير للحقائق :

ولكنه مع هذا كله لا يعتبر إلا الحقائق متى ظهرت ، ولا يعمل عن الواقع متى تبين . فهو دين الحق والعلم ، كما أنه دين الرحمة والحكمة . ففى عرفنا الحقيقة بأى وسيلة من الوسائل لم نعدل عنها . ومتى قام البرهان على شئ من الأشياء وجب المصير إليه والتمويل عليه . فهو أكبر أنصار العلم ، وأعظم دعاة الحقيقة ، ولكنه لا يجب التنقطع للمقوت ولا الفلسفة الخفاء .

والخلاصة أن الدين الاسلامى لا يعمل عما يوجبه الدليل وتقوم عليه الحجة . فهو دين البرهان ودين البيان ، ودين الحقائق والدقائق ، ودين العامة والخاصة ، بأساليب وأسرار تهر المقلاء وتدهش العلماء . فإذا تبين هذا علمنا أن القاضى الذى حكم على منتضى بينة المساء لا شئ عليه بعد أن يعتقد أنهم صادقون فيما شهدوا به ، فإن كانوا كاذبين فى الواقع متمعين لذلك فعليهم ما يستحقون من جزاء الكاذبين المضلين . وليس على من اتبع حكم القاضى فى ذلك شئ . متى انفتح فى ذهنه صدق الشهود ولم يقم عنده برهان على كذبهم . وكذلك نقول : من رأى القمر بعد الفجر لا شئ عليه ما دام يعتقد أن الشهر باق وأن اليوم من رمضان . وكذلك يجب الصوم على من صدقه واعتقد أن البينة الأخرى كاذبة عمدا أو خطأ . ولا يمكننا أن نفى بأن أحدا يخالف اعتقاده فى هذا ، وإن كان عليه أن يبحث عما هو لواقع فى نفس الأمر بقدر ما يستطيع . وكيف نلزمه بالطرف وهو يعتقد أن اليوم من رمضان ، أو نوجب عليه الصوم وهو يعتقد أنه يوم عيد ؟ ولا يسعنا أن نقرر إلا أن كلا يتبع ما يعتقد ولا يعدل عنه وأنه إذا خالفه كان منتهكا لحرمه لذين فيما يمتقده . وم يكلفنا الله بإصابة الواقع ، وإنما كلفنا بالعمل باعتقادنا ، وقد اعتبرنا ما يقرره الفلكيون فى حساب الأوقات وأمر القبلة وغير ذلك ، وقلنا فى كتبنا الفقهية :

قطب السما جعل حدو أذن يسرى بمصر والعراق حدو الأخرى

الى غير ذلك . وقد أكثر الله من ذكر الشمس والقمر وسيرهما المنتظم فقال :
 « الشمس والقمر بحسبان » ، « والقمر قدرناه منازل » ، « هو الذي جعل الشمس
 ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » .

ومعرفة علم الفلك من فروض الكفاية على حد محدود ، فلم تهمل الشريعة
 ذلك بالكلية . وسر ذلك أن عندنا أشياء يمكننا الوصول إليها وأشياء ليست كذلك ،
 فما كان من قبيل المغيبات والحوادث المستقبلات ، فلا نخوض فيه لئلا تقع في الغلط
 والجهل ، ونتقادر بغريزة الوهم والخيال الى مهامه لا نحسن السير فيها ، ولا الوقوف
 على خوافيها . ومن صبح أن تقول إن ذلك كله من قبيل الأسباب والمسببات . ولكن
 لما آله بعض الناس الكواكب نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخوض
 في النجوم خوفا من الوقوف معها والاقطاع إليها .

فهذا ما تهيننا عنه حرصا على أوقانتنا ، وضنا بعقولنا عن انزاق التي لا علم فيها
 ولا ضرورة إليها . أما ما يكون من قبيل الحسيات التي عرفنا من مشاهدتها المتكررة
 أنها من سنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير ، فهذه لا بد منها ، ولا يمكننا المدول عنها فإذن
 الحقيقة لا يصح في نظر الدين الصحيح إغفالها ، ولا القول بما يناقضها ، وإلا كنا قائلين
 بأن الدين يمدى العلم ، وهو ما تتعاضى عنه ونهري الدين منه . فإن كان هناك دين
 يمدى العلم فليس هو الاسلام الذي حث على الفكر ، ودعا الى النظر في ملكوت
 السموات والأرض .

وبعد : فيجوز غلط الشهود في الرؤية ، ويجوز تصدع الكذب ، وكثير من
 الناس يتخيل ثم يخاف . فلي القاضى أن يتحرى غاية التحرى ، ويتيقظ لأمثال هذه
 الدقائق حتى يؤدي ما يجب لنفسه وللمسلمين .

غير أن لنا كلمة مع شهود الفجر ، وقد قال المدافعون عنهم إنه لا يمكن رؤية القمر
 بعد الغروب وبعد الفجر من تلك الليلة وهو ما نحاله صحيفا . ولكن نقول : كيف رأوه

بعد الفجر ليلة ثلاثين والحق لا بد منه باعترافهم ، وإذا كان هذا الفريق يرى أنه لا بد من المحاق فكيف يسلم رؤية القمر بعد الفجر يوم الثلاثين ؟ وهل لا يحسد في ذلك تنافيا بينه وبين المحاق الذي أوجبه ؟ يجب أن يحور هذا المقام تحريرا يطلع له الصدر وتطمئن اليه النفس . وقد تكلمت مع بعض الفلكيين عندنا بمصر فقال : إنه لا يمكن أحدا أن يرى الهلال بعد الفجر بالعين المجردة في ليلة ثلاثين ، فليحرر ذلك من هو أقدر مني على تحريره والدين للنصيحة . وليس قصدي أن أحقق المسألة الفلكية عند أربابها ، ولكن الذي أريد أن أقوله هو أن الحقيقة متى تبينت ولو على يد كافر ، وجب اتباعها في الدين الاسلامي ، ولا يصح غير هذا . ومن المحتمل أن يكون المرئي نجما من النجوم ظنوه قرا ، أو عرض لهم الخطأ في ذلك بأي سبب من الأسباب الكثيرة .

وبعد ذلك فلست أدري بماذا ترجع إحدى الشهادتين على الأخرى واحتمال الصدق والكذب قائم في كل منهما ، فعلام هذا التنازع وهذه المضوضاء ؟ فأرجو أن يتحرى الفريقان الإنصاف ويدعوا التمسك بما بينهما ، ولا يتنازعا فيفتشوا وتذهب ربحهم . وهي كلة ساقى البها حب الوثام وبفض الانقسام . وكل ما أخشاه هو أن يقول المتعذلقون أو الملحدون : إن الدين يعادى العلم ، وهي التهمة التي تلقفها بعض الشبان الأغراد من المسلمين عن ملحدى الأوربيين . وذلك إن صح فهو في دين غير دين الاسلام كما قلنا . ولا يبعد أن يقوم بعض الناس فيمارضنا ببعض الظواهر من كلام الفقهاء غير راجع الى ذوق الشريعة وما ترى اليه من أسرار سامية وأنظار بعيدة ، وما يجب لها من الصون من تعرضها لقالة الجاهلدين أو طعن الملحدين . (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولعلك خلقهم) .

ولسنا تكلم إلا بما نعرفه من روح الشريعة الحكيمة المطهرة ، ولعل الله يهدي به كثيرا من عباده المنصفين الخصبين .

ولموضوع بقية ، وسنعود اليه في العدد التالى إن شاء الله .
 يوسف البربرى
 من هيئة كبار العلماء

الاسلام والفلسفة

- ٢ -

أثر الترجمة الى العربية :

يعرف التاريخ أن الأمة العربية وثبتت الى الأمام بعد لاسلام وثبتت هائلتين : إحداهما على أثر إشعاع القرآن في جنباتها ، فأثارها بعد ظلمة ، وهذاها بعد حيرة ، ونظدها بعد اضطراب ، لأنه أضاف الى انبها ألفاظا جديدة وتعبيرات فنية وعلمية لم يكن للعرب عهد بها من قبل ، ففتح بذلك بابا عظيما للثراء اللغوي . وقبل كل هذا ثبته القرآن على وجوب النظر في الكون العام ، وفي النفس الانسانية ، وفي الأسباب والمسببات كما أسلفنا ، فكان مصباحا أثار لمتنقيه سبيل الحكمة والفلسفة ، فأخذوا ينتجعونها ويتطلعون اليهما في شوق وشغف ، حتى فازوا منهما بحظ وافر .

هذه هي الوثبة الأولى ، أما الثانية فقد كانت بعد نقل الحكمة الهندية والمعارف اليونانية والثقافة الفارسية .

بهذا كله استفاد المسلمون ، وعلى أسرارهم وقفوا ، وبما فيه من خير تهذبوا ونأدبوا ، ولكن بعد أن مزجوه بتماليم دينهم مزجا جعله صالحا للحياة والخلود . ولم يخص هذا الأثر الفلسفي طائفة من العرب دون طائفة ، بل شمل جميع الطوائف على اختلاف مناحيها وتباين نزعاتها .

ونحن إذا غادرنا الفلاسفة الى الشعراء والكتاب ، وجدنا قصائد وأسفارهم قد امتلأت بأنواع المعارف ، وفاضت على جوانبها ألوان الثقافة من كل مكان . وإذا تركنا الكتاب والشعراء جانباً ثم عرجنا على الفقهاء والمفسرين وشراح الحديث النبوي ، وجدناهم يستخدمون المنطق نأويهم للقرآن وشرحهم للحديث

واستنباطهم للأحكام الفقهية، مما جعل تلك الأحكام تفوز بأكبر قسط من الاحترام والاحترام في نظر علماء الغرب المحدثين .

عرف العرب بفضل هذه الترجمة مبدأ الحياة الفلسفية عند هذه الأمم ، وتبعوا أطوار تفكيراتهم ومذاهبهم ، فكان لهذا التاريخ المرتب بمضغ على بعض أثر بعيد القور في العقلية العربية ، وإن كانت قد صحت هذه الحقائق النافعة كمية من الخرافات والأوهام الباطلة ، كاعتقادهم مثلاً أن « أمبيدوكليس » كان نعيديدا لداود أو لسليمان ، وأن « فيثاغورس » نخرج في مدرسة « سليمان بن داود » ولكن ثمين هذه المعارف كان أكثر من مثبات أضعاف غيها ، وما فيها من أساطير كان ذرة الى جانب أطوار ما فيها من حقائق .

ولولا نكبة الأمم العربية على أيدي « التتار » لشاهد العالم الحديث الآن في بغداد مكتبة حافلة بأهم ما أنتجته العقلية البشرية في جميع أنحاء المعمورة الى عصرهم .

حيات هذه الترجمة تلك المواهب الكامنة في رؤوس المسلمين الى البروز في عالم الواقعيات ، فبرزت بهيئة أدهشت المؤرخين والباحثين ، كما استشير الى ذلك عبد الكلام على فلاسفة الاسلام . غير أن هذه الترجمة — فيما روى التاريخ — كانت قاصرة على الحكمة والفلسفة والطب والفلك والرياضة والموسيقى ، فلم تتناول الأدب اليوناني ، ويمز المؤرخون نفور المسلمين من أدب اليونان الى ما اشتمل عليه من أساطير وثنية . هذا هو حال الفلسفة في الشرق ، أما في الغرب ، فقد كان لها شأن آخر يفاير هذا الشأن تمام المفارقة ، في نشأتها وفي كيفية نضوجها ، ثم في نظرة الناس اليها وفي حظها . واليك البيان :

كانت قرطبة تتخذ بغداد مثلاً أعلى تسير على نمودجه وتنسج على منواله في كل شيء ، وكانت لغالي مغالاة شديدة في احتذاء خطواتها ، فلما ترامت الأخبار من الشرق الى خلفاء الأندلس بأن بغداد قد أضحت كمية العلم وعاصمة الثقافة الانسانية ،

عز على أولئك الخلفاء أن يتفوا جامدين ، وأن دادم يسرون ، فيثوا رسلا أذكاء
أ كفاء مزدوين ببالغ ضخمة من المال ، وأوصوم أن يسلكوا الممكن وغير الممكن
من الطرق للحصول على أم ما تنباهى به بغداد من درر العلم وجواهر المعرفة الفلسفية ،
فذهب أولئك الرسل ، وبذلوا المال بسخاء ، فمادوا من « دار الحكمة » وقد تغلوا
أكثر ما قدمناه اليك من كتب « أرسطو » المترجمة في بغداد ، وسلموها الى الخلفاء
الذين حفظوها بين سحورهم ونحورهم ، ضنابها وحرصا عليها ، وأمروا بنسخ صور كثيرة
منها ، فذعت في ربوع الأندلس ، ثم تحطت البحر الأبيض الى شمال أفريقيا ، وكان
من نتائج ذلك أن تكون في ظلالها الوارفة أمثال ابن باجة وابن طفيل وابن رشد وابن
ميمون وغيرهم من العباقرة والوهوبين . وكانت أنباء أولئك الفلاسفة تتصل بالخلفاء
فلا يلاقون منهم إلا كل إعزاز وإجلال ، فزد هذا في تشجيعهم ، وضاعف من نشاطهم
واجتهادهم ، فسطمت أضواء مواهبهم وكثرت منتجاتهم ، وبرزت مبتكراتهم ، كما سنبين
ذلك في حديثنا عن أشهرهم ، وهو ابن رشد .

يرى بعض الفرنجة أن الفلسفة الاسلامية الفريية كانت أخصب من أخها
الشرقية ، ويرجمون هذا الفرق الى علة البيئة الطبيعية التي هي في الأندلس أخصب
منها في بغداد . ونحن أولا ، لا نسلم بأن الفارابي — وله ما استراء من إبداع
في العقول العشرة وفي غيرها من الناحى الفلسفية ، ولا بأن ابن سينا ، وله تلك المبتكرات
في النفوس الفلكية وفي النفس الانسانية وفي مصادر المعرفة البشرية وفي غير ذلك —
لا نسلم بأن هذين الفيلسوفين أقل قيمة من ابن رشد . على أننا لو سلطنا بهذا لم نعزم
الى ذلك السبب الذى عزاه اليه الفرييون ، وإنما نعزمه الى التقدم الزمنى ، والى تضج
الفلسفة الاسلامية ، والى اطلاع ابن رشد على ما كتبه الكندي والفارابي وابن سينا
وعلى رحد أمثال الامام الغزالي عليهم ، وما نجم عن ذلك من توضيح المشاكل وتصفية
المبادئ .

ومهما يكن من الأمر ، فقد ظلت الفلسفة في الغرب مستمتعة بمطاف السلوك وتشجيعهم ، حتى خلف من بعدم خلف صيق العقل ، محصور الذهن يمكن أن يقع في قبضة خداع ذوى الأغراض السيئة كالخليفة النصور الأبدلى الذى دس عنده جماعة من الخبيثاء لابن رشد ، فأوقع به شرايقاع ، وأمر بإحراق كتبه ، بل بإحراق كل كتب الفلسفة من غير استثناء . ولولا أن قيض الله لحفظ هذه الكتب القيمة تلاميذ ابن رشد من اليهود ، لأصبحت الآن في خبر كان ، كما سنفصل ذلك فيما بعد . لما نفي ابن رشد فر تلاميذه من اليهود بكتبه ونقلوها الى المبرية ثم نشروها بين الأوربيين ، فنقلها هؤلاء الى لغاتهم المختلفة ، فكانت مبعث حياتهم العلمية ، ومصدر معرفتهم الفلسفية ، ومطلع شمس نهضتهم العقلية ، كما صرح بذلك علماءهم وفلاسفتهم . أما الظاهرة العامة لجميع فلاسفة الاسلام من شرقيين وغربيين ، فهي محاولة تضيق هوة الخلاف بقدر الإمكان بين الدين والفلسفة ، فاجهود الفارابى في العقول العشرة إلا ليوفق بين عقيدة خلق الله للكون وبين القواعد اليونانية الثلاث :

(١) « الكامل من كل وجه لا يصدر عنه إلا كامل » . (٢) « الواحد من كل وجه لا يصدر عنه إلا واحد » . (٣) « العدم لا ينتج وجودا » .

قرر القرآن في مواضع كثيرة أن الله هو خالق كل شئ ، وأعلنت القاعدة اليونانية القديمة أن صدور الكثرة عن الواحد محال ، لأن هذا صدور يقتضى إما تكثر الواحد أو توحيد الكثرة ، وكلاهما محال . وإذا فصدور العالم لتكثر عن الإله الواحد غير ممكن . وقررت القاعدة الثانية أن الإله كامل والعالم ناقص ، ولا يمكن أن يصدر الثانى عن الأول إلا إذا نقص الأول أو كسل الثانى ، وكلاهما محال ، لأن نقص الإله يناقى ألوهيته ، وكمال العالم يناقض الواقع المشاهد . وإذا فلا يمكن أن يكون الإله هو مبدع العالم . وصرحت القاعدة الثالثة بأن إنشاء الله العالم غير ممكن ، لأن الانشاء هو خلق من عدم ، ومن المستحيل أن ينشأ الوجود من عدم .

فلما رأى الفارابي هذه القواعد ووجد أرسطو - وهو في نظره النثل الأعلى - يؤمن ، لم يسعه إلا أن يسلك الممكن وغير الممكن من الوسائل ، ليوفق بين القرآن وبين تلك القواعد ، فأجهد عقله حتى نظم مسألة العقول العشرة التي قرر فيها أن العقل الأول صدر عن الله صدور المعلول عن علته ، وهو واحد ، فلا مانع من صدوره عن الواحد ، وهو كامل ، فلا بأس بصدوره عن الكامل ، وهو معلول للتقديم فلم ينشأ عن عدم . ثم تدرج الى تأثير العقل الأول فيما بعده من عقول حتى وصل الى العقل العاشر المؤثر في فلك القمر . وهذا الأخير هو منشئ العوالم الدنيا ، ولا ضير في ذلك ، لأن فلك القمر ليس واحدا من كل وجه . فلا مانع من أن تصدر عنه الكثرة ، وليس كاملا من كل وجه ، فلا مانع من أن يصدر عنه العالم الناقص ، وبهذا التكلف حسب الفارابي أنه نجح في التوفيق بين الاسلام والفلسفة اليونانية ، مع أني أعتقد أن « أمينيوس ساركاس » و « أفلوطين » قد وفاقا في هذا الشأن وهما ليسا مسلمين - الى ما لم يوفقى اليه الفارابي ، حيث قررا أن لا مانع من صدور الكثرة عن الواحد مع احتفاظه بوحدة ائيته ، كما يوقد من المصباح الواحد مائة مصباح ، وكما يكون الأستاذ مائة تلميذ بعلمه ، وكذلك لا مانع من صدور الناقص عن الكامل ، لأن الكمال الأعلى لا يقوى شيء مما هو دونه على نقصه ، وإلا تقويت القاذورات الملقاة على الأرض على إنقاص أو تدمير أشعة الشمس المنسكية عليها . أما كون العدم لا ينتج وجودا فانهما قررا فيه أن تورا صدر عن الله وأخذ يعتمد عن مصدره قليلا قليلا ، وبقدر هذا البعد تلحق الظلمة حتى إذا تنامي في هذا البعد صار مادة مظلمة ، منها تكون العالم الناقص ، وإذا فالمادة حادثة صادرة من الله صدور المخلوق عن الخالق .

فلو أن الفارابي وفق الى مثل هذه الردود ، لكان أكثر قربا الى الاسلام ، ولكن الذي هوى به في هذا هو أنه قدس تلك القواعد اليونانية ، ورفعها عن مواطن النقد

والتجريح، وجعلها هي المركز الثابت الذي يجب سحب الاسلام اليه . ولو كان عكس لنجح في الملاءمة بين الدين وتلك القواعد .

أما «ساكس» و«أفلوطين» فقد اعتبرها نظريات قابلة للنقد والنقض والهدم، وجعلوا المركز الثابت هو المنطق المستقيم، وأخذوا يجذبون اليه كل تلك النظريات القديمة، فما اتفق منها مع المنطق احترامه وأجلاه، وما نجا عنه ألقيا به في مكان صحيح من الإجمال والإغضاء .

وكذلك لم يكن عنا ابن سينا وتمحله مسألة علم الله للجزئيات عن طريق النفوس الفلكية إلا ليوفق بين الاسلام الذي يجزم بأن الله « يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حية في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » وبين قول «أرسطو» . إن الله ترفع عن العلم بالعالم، لأن علم الكامل بالناقص ينقصه . فأراد ابن سينا أن يتحمل وساطة النفوس الفلكية بين الله الكامل وبين العالم الناقص، لكي ينتفي العلم المباشر الذي هو منشأ النقص عند «أرسطو»، وحسب أن هذا التكلف يحقق غايته من التوفيق بين الاسلام و«أرسطو» فأخفق .

أما ابن رشد فأما كتابه الشهير المسمى : «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» وهو أكبر يرهات على ما نقول من محاولة جميع هؤلاء الفلاسفة التقريب بين الفلسفة والدين، ولكنه تقريب خاضع دائماً لقاعدتهم المعكوسة التي قدمناها اليك .

على أن هذا لا يمنع من أن لهم جهود محترمة وفلسفات قيمة سنحدثك عنها في فصول آتية، إن شاء الله

الدكتور محمد غنوي

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

أسلوب القرآن الحكيم

وأثره في الأدب

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة للدلالة على صدق رسالته ، ودستورا أديبا بما لطرائق السادة التشريعية للأمة الإسلامية ، وقد لقي من عناد العرب — وم يومئذ غطارفة البلاغة — ما لم يلقه كتاب قبله ، فتعداهم أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين ، وسخر منهم ، وأنبيأهم بمعجزهم وعجز الحياة كلها لو تظاهرت على مباراته أن تأتي بكتاب مثله ، في حكمه وأحكامه ، وأسلوبه وبرعته : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

أما الإعجاز التشريعي والاجتماعي فقد تكفلت بيانه الحياة ، وقام بشرحه العلم ، وتولى الفكر الإنساني تبليغه إلى الناس أجمعين .

وأما الإعجاز البلاغي فهو الذي يعنى الأديب العربي ، ليعرف به مدى تأثير أسلوب القرآن في الأساليب الأدبية وغوره عليها ، ولهذا الغرض قامت علوم البلاغة المربية لتقرب إلى الأذهان فهم الجمال الفني في القرآن الحكيم .

كان القرآن ولا يزال صورة جديدة من لأدب الحلى الرائع في نظر المحول من مصانع العرب وفصحائهم ، بمد أن جالوا في مسارحه ، وتقيئوا ظللاله ، وأشربوا حبه ، وتفهموا أسلوبه ، واهتدوا بهديه ، وآمنوا بتماليكه وأحكامه ، فالتخذوه مثلهم الأعلى في السمو الأدبي ، يتأثرون أثره ، ويستنون سنته ، فاتجهوا بالأدب اتجاهها جديدا في عباراته وأسلوبه ومعانيه وروحه ، وكان من أثر ذلك أن استحدثت ألفاظ جديدة لمعان مستحدثة ، وأميقت ألفاظ لم تكن متناسبة مع الحياة الجديدة ، واستبدلت

بالكلمات الكثرة الجافية التي كانت تلائم الحياة الجاهلية، كلمات رقيقة عذبة، لها حلاوة في الأسماح وأنس في القلوب، وانتهجت مناهج في الدين والعلم والسياسة والاجتماع والأخلاق طلبت العبارة عنها، وأداءها أداء يتفق وطبيعتها الناشئة، كل ذلك وجوده في القرآن يصفه ويتحدث عنه أحسن لحديث، فما كان عليهم إلا أن يحتذوا حذوه ويأخذوا إخذاه.

كانت العرب يحفلون بالشعر ويمتزون به، فبلغ عندهم من ناحية الأسلوب ومقابلة العبارة غاية لن يستطيع أحد بعدهم أن يدنو منها. أما النثر فكان حظهم أو حظ ما وصلد منه ضئيلاً بالنسبة للشعر، فمجموعة الخطب والرصايا والمحاورات التي بين أيدينا من نثر العرب قبل الإسلام تشبه أن تكون سورة واحدة قليلة التنوع خالية من اللامات لإصلاحية التي تحتاج إليها الأمم في تكوينها الاجتماعي، وهي على ما فيها من هذا النقص تشتمل على كثير من وحشي الألفاظ وغريبها، فلما حل القرآن من نفوسهم محل الجلال والمقامة، طر حوا من أيديهم زمام ذلك النثر، وتركوه حيث ولد في البوادي، فلم يبق منه إلا الشيء القليل، وعكفوا على القرآن يقتبسون من أسلوبه، ويوشحون خطبهم ورسائلهم بآياته، ويتكلمون في موضوعات لم يكن لهم فيها من قبل مجال، وظهر أثر أسلوب القرآن في النثر ظهوراً بيناً، تقرأه في خطب الخلفاء الراشدين وخطباء الإسلام.

أما الشعر فكان نقد القرآن بالنسبة إليه موجهاً إلى الشعراء أنفسهم الذين اتخذوا هذا الفن الجليل مطية إلى الإفذاء في الهجاء، والكذب في المدح والرداء، والفضش في معازلة النساء، وتأريث المداوة والبغضاء، فقال تعالى: « والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون » ولم يمس نقد القرآن الشعراء باعتباره فناً من فنون التعبير من الحياة، ولكنه كان استصلاًحاً له مما ورطه فيه الشعراء. ولئلك استثنى نوعاً منهم يستطيعون بشاعريتهم الطاهرة النقية أن يسموا

بالفن عن سفساف الأمر ودينثاتها ، فقال : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا واتصروا من بعد ما ظلموا » .

وقد أعاد الشعر من هذا النقد المباشر فائدة لم تكن كفائدة النثر ، ولعل ذلك راجع الى
نفوس الشعراء وما طبعوا عليه في تلك البيئات التي كانت تسودها المصيبة وما يصاحبها
من الشرور الخلقية ، ولما يمض زمن يسير حتى عادت جذعة في عصر الأمويين ،
فعادوا لما كانوا عليه ، وعاد الشعر الى حالته الأولى ، ولكنه تأثر كثيرا بأسلوب
القرآن في لبن عبارته وحلاوة كلماته وسلاسة أسلوبه ولطف استعاراته .

ومهما يكن فإن النثر كان أشد نوعي الأدب تأثرا بالقرآن ، لأن الحقائق العملية
والعملية التي يقوم عليها صلاح الأمم ، والتي جاء بها القرآن لا يستطيع الشعر
أن يصورها تصويرا كاملا ، وهو حافظ لجلاله وروعته وموسيقية وزنه ، فتطامن أمام
النثر الأدبي في صدر الاسلام ، وخفت صوته قليلا ، وعلا صوت النثر جيرا .

فارق القرآن الحكيم الشعر الموزون الملقى بأسلوبه ، وأبى الله تعالى أن يعلم خاتم رسله
الى الانسانية الشعر ، فقال تعالى . « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » . والذي يظهر لنا
في تحليل ذلك أن قيود القافية والوزن في الشعر تحول بينه وبين أن يكون أداة
لتبليغ رسالة سماوية عامة الى كافة الخلق في أقطار الأرض على اختلاف ألسنتهم
وأفكارهم وطبائعهم وديناتهم وأحوالهم في المعاش والمعاد .

فالقرآن حاور وجادل ، وهدم وبني ، ووعظ وزجر ، ووعد وأوعد ، وهدد ورغب ،
ووصف وصور ووص ، وأمر ونهى ، بأسلوب مختلف باختلاف مقام الكلام والمخاطبين ،
وإن اتحد في نسائه عن طوق البشر ، وهو يردد المعنى الواحد بطرق كثيرة ، ليلبغ به
الى متافذ القلوب .

فانظر الى تمثيله حال الكافرين الذين يعملون في هذه الدنيا من الخير والبر ما يحجب
الكفر نفعه وفائدته عنهم ، لأنهم أبوا الانقياد لله تعالى وهو مصدر كل خير وبر وإنعام ،

قال عز وجل: «مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم حاصف لا يقديرون مما كسبوا على شيء»، ذلك هو الضلال البعيد.

فتأمل المشبه به وما أجرى عليه من الوصف المقيد، ثم التعقيب بعجزهم عما كسبوه لأنفسهم، تدرك بداهة أن حالهم هذا هو الضلال البعيد.

وقال في آية أخرى: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب، أو ظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكدرها، ومن لم يحمل الله له نورا قاله من نور».

هذا التنويع في التمثيل من أسرار الإعجاز في القرآن، فهناك مثل أعمالهم برماد اشتدت به الريح في يوم حاصف، وهنا مثلها بسراب يظنه الظآن ماء حتى إذا جاءه ليرى منه ظمأ لم يجده شيئا، وهو أصدق تمثيل لحال الكافر مع أعماله التي يرجو منها النفع فلا يجده عند الحاجة إليه. أما لتمثيل الثاني فهو أعجب وأبدع وأبلغ، وهو تصوير امتاز به القرآن، واستعدده، لأنه طرز غير معهود في أساليب العرب وتشبيهم، على خلاف الضربين الأولين فإنهما معهودان، وجرى بهما العرف الكلامي في لغة العرب. لكن التمثيل بالظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحاب، لم يألفه العرب، ولا هو مما تساعد عليه يشتم، وفي قوله جل شأنه «ظلمات بعضها فوق بعض» بيان للمقصود من التمثيل، مع أن التمثيل أفاده للدلالة على أن حالة الكافر مهما عمل من البر والخير منلقة الأبواب على نور الرحمة الإلهية تغليقا لا يحمل له طريقا إلى خيط من الكرامة التي أعدها الله لعباده المؤمنين. وقد أكد هذا أبلغ تأكيد بقوله: «إذا أخرج يده لم يكدرها». ثم ختم الآية بما يلائم التشبيهم ويرد الأمر إلى جلال الله وهدايته، طمأننة المؤمنين ونبيكتا للكافرين.

أما مقم القرآن من مشور الكلام فهو في الذروة لا يطاوله كلام، ولا يجاريه

أسلوب، بلاغة باهرة، وفصاحة بارعة، وقول فصل، وآيات إعجاز، في حلاوة وطلاوة وجزالة ونصاعة، وبيان فائق، وتعبير رائق. بيد أن العلماء اختلفوا في وصف أسلوب القرآن: هل يصفونه بأوصاف كلام البشر ويبين عنه بالإعجاز مع الاتفاق في أصل النوعية، أو يخرجونه عن نوع كلام الناس بته، فيكون نوعاً من الكلام مستقلاً؟ ذهب المتكلمون إلى أنه خارج عن أسلوب كلام العرب، فلا يقال له مرسل، ولا مسجوع، وشددوا في نفي السجع، وأقاموا على هذا النفي أدلة على نهجهم وطريقتهم، فقال القاضي أبو بكر الباقلاني: «لو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلها لم يقع بذلك إعجاز.... ولأن السجع من الكلام يتبع للمعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع»

وذهب إلى هذا المذهب العلامة ابن خلدون فقال في المقدمة: «وأما القرآن وإن كان من المنشور إلا أنه خارج عن الوصفين، وليس يسمى مرسلًا مطلقاً، ولا مسجعاً، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يعاد الكلام في الآية لأخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية، وهو معنى قوله تعالى: «إِنَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى تَنْفَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» وقال: «قد فصلنا الآيات» ويسمى آخر الآيات منها فواصل إذ ليست أسجاعاً، ولا التزام فيها ما يلتزمه السجع.

وذهب جماعة من علماء البلاغة والأدب إلى أن أسلوب القرآن وإن سما إلى ذروة الإعجاز لكنه لا يخرج عن جنس منشور الكلام، قال ابن الأثير في «مثل السائر»: «لو كان السجع مذموماً لما ورد في القرآن الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثير حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعاً مسجوعة، كسورة الرحمن، وسورة القمر. وقال أبو هلال العسكري في «الصناعتين»: «ولا تكاد تجد كلاً ما يخلو من الازدواج،

ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أرساط الآيات، فضلا عما تراوج في القواصل منه. والذي يترجح عند البحث من هذين المذهبين إنما هو مذهب الأدباء، والبيان بالإيجاز كما تسمع:

لم يقل أحد إن القرآن كله سجع، ووجود السجع في بعض سورته لا يجعله داخلا في أساليب كلام البشر دخولا يستوى به معها، ومن الذي يستطيع أن يزعم أن أسلوب السجع كله واحد في بلاعته؟ أفلا يجوز أن يوجد من كلام الناس كلام مسجوع يتفاوت فيما بينه في البلاغة تفاوتاً عظيماً؟ ولم لا يكون في أسلوب القرآن سجع يسمو على طوق البشر مع كونه أشبه في ظاهر نسجه بكلامهم، ويكون ذلك أبغى في الإيجاز؟

أما أن السجع من الكلام يتبع فيه المعنى اللفظ، فليس هذا الإلزام لازماً، لأنه قد يصح في أسجاع الصنعة والتكافؤ ولا ينطبق على السجع المطبوع، لأنه يجري على سنن الكلام المطلق، فيقع فيه اللفظ نابهاً للمعنى. قال ابن الأثير «في المثل السائر»: فإذا صنى الكلام المسجوع من الفئانة والبرد فإن وراء ذلك مطلوباً آخر، وهو أن يكون اللفظ فيه نابهاً للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه نابهاً للفظ. ولست أدري كيف ساغ هذا الإلزام في كلام القادر الحكيم؟

وخلاصة الرأي أن القرآن الحكيم من جنس منشور الكلام في لفظه وعباراته، ولكنه مبين لكلام الخلق في نظمه وأسلوبه، فهو من المنشور الجامع لأرق فنونه، وأبلغ أنواعه، ففيه سجع يقتضيه المقام وترسل يبلغ غاية المرام، وهو في كليهما معجز خارج عن طوق البشر.

صالح إبراهيم هرجوب

فتوى المرحوم الشيخ محيت في تشريح الميت

اطلعت على فتوى الأستاذ الجليل الشيخ يوسف الدجوى ، في تشريح الميت في العدد السابع من مجلة الأزهر الفراء . ولما كان التشريح قد توسع فيه الأطباء المصريون توسعا غير معقول ، ولم يراعوا أن حرمة المؤمن ميتا كرمته حيا ، فنطلب من الأستاذ الجليل الشيخ الدجوى أن يتكرم علينا بالإفاضة في الموضوع ثانيا حتى تطمئن القلوب ، ويعلم الأطباء جميعا أن التشريح أمر خطير لا يجوز الإقدام عليه إلا عند الضرورة القصوى ، والحاجة الملحة . وحبذا لو سأل الأطباء الذين يخافون الله من تحديد مواضع الضرورة التي يتوقف عليها تقدم الطب ، وعما إذا كانت يمكن الاستغناء بتشريح بعض الحيوانات لمقاربة للإنسان في الخلقة عن تشريح الإنسان نفسه . ولأننا لا ندري ما يفعله الأوربيون في بلادهم : هل يكثر التشريح عندم كثرته عندنا ، مع ملاحظة أنهم أبرح من المصريين في فن الطب ؟ وهل يستهينون بحرمه الميت استهانتنا بحرمه أمواتنا ؟ وهل الضرورات التي تلجئهم إلى تشريح الميت مثل الضرورات التي يعمل بها أطباؤنا ؟

فترجو من مولانا الجليل الشيخ الدجوى أن يبين لنا هذا الموضوع بياشا شافيا ، وأن يفيض فيه بما يشرح الصدور ، ويطمئن القلوب كمأذنة في جميع فتاواه ، كما نرجو من الأطباء الذين يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، أن يبينوا لنا إلى أي حد يتوقف تقدم الطب على التشريح .

ولأننى أرى من الواجب على شرعا أن أسطر للفراء فتوى الأستاذ الكبير الشيخ محمد محيت رحمه الله في شأن تشريح الميت حينما سأله عن حكمه في دين الاسلام . ونسأل الله أن يوفقنا للعمل الصالح ، والقول السديد . محمد عبد الوهاب بحيرى
بكلية الشريعة

نص الفتوى

وأما حكم التشریح في الاسلام ، فنقول :

إن من ضروریات التشریح فتح بطن الميت ، وقال ابن قدامة في المغنی فی حکم فتح بطن الميت فی الجزء الثاني صفحة ٤١٣ ما نصه :

« والمرأة إذا ماتت وفي بطنها ولد لا يتحرك فلا يشق بطنها ، ويسطو عليه الفوايل فيخرجنه » - قال الشارح :

« معنى يسطو الفوايل أن يدخلن أيديهن في فرجها ، فيخرجن الولد من مخرجها ، والمذهب أنه لا يشق بطن الميت لإخراج ولدها ، مسلحة كانت أو ذمية ، ونخرجها الفوايل إن علمت حياته بحركة ، وإن لم يوجد نساء لم يسط الرجال عليه ، وترك أمه حتى يتيقن موته ، ثم تدفن . ومذهب مالك وإسحاق قريب من هذا .

وبحتمل أن يشق بطن الأم إن غلب على الظن أن الجنين يحيا ، وهو مذهب الشافعي لأنه إنلاف جز ، من الميت لا بقاء حي ، فجاز كما لو خرج بعضه حيا ، ولم يمكن خروج بقيته إلا بشق ، ولأنه يشق لإخراج المال منه فلا بقاء الحى أولى .

ولنا أن هذا الولد لا يعيش عادة ولا يتحقق أنه يحيا ، فلا يجوز هتك حرمة متيقنة لأمر موهوم ، وقد قال عليه السلام : « كسر عظم الميت ككسر عظم الحى » رواه أبو داود ، وفيه مثله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة ،

ثم قال :

« وإن بلغ الميت مالا لم يخل من أن يكون له أو لغيره ، فإن كان له لم يشق بطنه لأنه استهلكه في حياته . وبحتمل أنه إن كان يسيراً ترك ، وإن كثرت قيمته شق بطنه وأخرج ، لأن فيه حفظ المال عن الضياع ، وقمع الورثة الذين تعلق حقهم بماله بمرضه . وإن كان المال لغيره وابتلعه بإذنه فهو كما له لأن صاحبه أذن في إنلافه . وإن بلغه غصبا فنيه وجهان : أحدهما : لا يشق بطنه ، ويغرم من تركته ، لأنه إذا لم يشق

من أجل لولد المرجو حياته فن أجل المال أولى . والثاني . يشق إن كان كثيرا لأن فيه دفع الضرر عن المالك برد ماله اليه ، وعن الميت بإبراء ذمته ، وعن الورثة بحفظ التركة لهم . وفارق الجنين من وجهين : أحدهما أنه لا يتحقق حياته ، والثاني أنه ما حصل بحياته . فعلى هذا الوجه إذا بلى جسده وغلب على الظن ظهور المال ومخلصه من أعضاء الميت ، جاز نبشه وإخراجه .

وقد روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذا قبر أبي رغال وآية ذلك أن معه غصنا من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه ، فابعدوه الناس فاستخرجوا الغصن .

ولو كان في أذن الميت حلق أوفى إصبعه خاتم أخذه ، فإن صعب أخذه برّد وأخذ لأن تركه تضييع للمال ، وإن وقع في القبر ماله قيمة نبش وأخرج .

وقال أحمد . إذا نسي الفغار مسحاته في القبر جاز أن ينبش عليها . وقال في الشيء يسقط في القبر مثل الفأس والدرهم : ينبش ، قال : إذا كان له قيمة ، يعنى ينبش ، قيل فإن أعطاه أولياء الميت ؟ قال : إن أعطوه حقه أى شئ . يريد ؟

وقد روى أن للمغيرة بن شعبة رضى الله عنه طريح خاتمه في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . خاتمي ، ففتح موضع فيه فأخذه ، وكان يقول : أنا أقربكم عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولأنه قال في المذهب لأبي إسحاق الشيرازي في صفحة ٣٠٠ من الجزء الخامس : « وإن وقع في القبر مال لا أدى فطالب به صاحبه ، نبش القبر ، لما روى أن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه طريح خاتمه في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : خاتمي ، ففتح موضع فيه فأخذه ، وكان يقول : أنا أقربكم عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم . ولأنه يمكن رد المال الى صاحبه من غير ضرر ، فوجب رده عليه . وإن بلغ الميت جوهرة لنيره وطالب بها صاحبها ، شق جوفه وردت الجوهرة . وإن كانت الجوهرة له فقيه وجهان :

أحدهما : يشق لأنها صارت للورثة فهي كجوهرة الأجنبي . الثاني : لا يجب لأنه استهلكها في حياته فلم يتعلق بها حق الورثة .
قال شارحه النووي في المجموع :

« أما إذا باع جوهرة لغيره أو غيرها فطريقان : الصحيح منهما وبه قطع المصنف والأصحاب في معظم الطرق أنه إذا كان طلبها صاحبها شق جوفه ورددت الى صاحبها . والصريق الثاني : فيه وجهان ممن حكاه لتولى والبتوى والشاشي أصحابهما هذا . والثاني : لا يشق بل يجب قيمتها في تركته لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كسر عظم الميت ككسره حيا » رواه أبو داود بإسناد صحيح إلا رجلا واحدا وهو سعد بن سعيد الأنصاري أخو يحيى بن سعيد الأنصاري ، فضمنه أحد بن حنبل ، ووثقه الأكترون وروى له مسلم في صحيحه ، وهو كاف في الاحتجاج ، ولم يضعفه أبو داود مع قاعدته التي قدمنا بيانها . قالو ووجه الدلالة من هذا الحديث أن كسر العظم وشق الجوف في الحياة لا يجوز لاستخراج جوهرة وغيرها ، فكذا بعد الموت . وحكى الرافعي عن أبي المكارم صاحب العدة « وهو غير صاحب العدة أبي عبد الله الحسين بن علي الطبري الإمام الشهور الذي ينقل عنه صاحب البيان وأطلقه أنا في هذا الشرح » أنه قال يشق جوفه إلا أن يضمن الورثة قيمته أو مثله فلا يشق في أصح الوجهين ، وهذا النقل غريب . والشهور للأصحاب إطلاق الشق من غير تفصيل . أما إذا باع جوهرة لنفسه فوجهان مشهوران ذكر المصنف دليلهما قل من بين الأصح منهما مع شهرتهما ، فصحيح الجرجاني في الشافعي والمبدرى في الكفاية الشق ، وقطع המחامي في المقنع بأنه لا يشق ، وصححه القاضى أبو الطيب في كتابه المبرد . قال الشيخ أبو حامد في التعليق : وقول الأول إنها صارت للوارث غلط ، لأنها إنما تصير للوارث إذا كانت موجودة ، فأما المستهلكة فلا ، وهذه مستهلكة وأجاب الأول عن هذا بأنها لو كانت مستهلكة لما شق جوفه بجوهرة الأجنبي . وحيث قلنا يشق جوفه ونخرج ،

فلودفن قبل الشق نبش لذلك . هذا تفصيل مذهبنا . وقال أبو حنيفة وسحنون المالكي : يشق مطلقا . وقال أحمد وابن حبيب المالكي لا يشق .

من هذا يعلم أن الميت في احترامه ووجوب عدم إهاتته كالحي سواء ، فإذا مات لا يجوز إهاتته بعد موته كما لا يجوز إهاتته في حياته وإن اختلف العلماء في الشق وعدمه في مواضع ، لكن الذي يؤخذ من كلامهم جميعا وجوب احترام الإنسان ميتا كوجوب احترامه حيا . وبناء على ذلك فلا يجوز شق بطن أى ميت كان إلا في المراءد المتقدمة . وأن التشريح الذى من لوازمه شق البطن بلا سبب سوى بحث الأعضاء ومعرفة وظائفها وما بها من الأمراض فهذا لا يسوغ ولا يجوز فتح بطن الإنسان بعد موته ، يمكن الوقوف على وظائف الأعضاء بواسطة فتح بطن حيوان آخر غير الإنسان ، لأن كل الحيوانات متساوية في وظائف الأعضاء الحيوانية .

والأصل في ذلك كله ما جاء في الحديث الصحيح ، قال في سنن أبي داود قال حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن سعد بن عيسى عن حماد بن عمار عن عبد الرحمن بن عوف عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كسر عظم الميت ككسره حيا » قال في عوز المعبود في ص ٣٠٤ من الجزء الثالث : « قال السيوطي في بيان سبب الحديث : عن جابر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس النبي صلى الله عليه وسلم على شفير القبر وجلسنا معه فأخرج الحفار عظما - ساق أو عضد - فذهب ليكسره فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تكسرها فإن كسرك إياه ميتا ككسرك إياه حيا ولكن دسه في جانب القبر » قال في فتح الورد ككسره حيا يعني في الإثم كما في رواية . قال : الطيبي . إشارة إلى أنه لا يهان ميتا كما لا يهان حيا . قال ابن الملك : وإلى أن الميت يتألم . قال ابن حجر : ومن لوازمه أن يستلذ بها يستلذ به الحي اه وقد أخرج بن أبي شيبة عن ابن مسعود قال : « أذى المؤمن في موته كأذاه في حياته . قال في المرقاة وقال النذري والحديث أخرجه ابن ماجه . »

وقال في التعليق المحمود شرحا على هذا الحديث في صفحة ٣٥٨ من الجزء الثاني

مثل ما ذكره بعون المبرود . وفيما قاله ابن الملك وابن حجر فظهر ، لأن الميت بالموت يفقد الإحساس بالمرّة فلا يمكن أن يتألم بحال أو يلتذ بحال بالألم واللغة المروّفين في الحياة الدنيا ، ولذلك اقتصر صاحب فتح الودود على قوله « في الآثم » واقتصر الطيبي على التسوية في عدم الإهانة .

وقال في الهداية في صفحة ٩٩ من الجزء الرابع : « ومن قال لا آخر إن ضربتك قمبدي حر فأت فضربه فهو على الحياة ، لأن الضرب اسم لفعل مؤلم يتصل بالبدن والإيلام لا يتحقق في الميت ، ومن يعذب في القبر توضع فيه الحياة في قول العامة » قال ابن الهيثم عليه : « ومن قال إن ضربتك قمبدي حر فهو على الحياة حتى إذا مات فضربه لا يحتمل ، لأن الضرب اسم لفعل مؤلم يتصل بالبدن . أو استعمال آلة التأديب في محل قابل للتأديب والإيلام والأدب لا يتحقق في الميت لأنه لا يحس » وقال في موضع آخر بعد ذلك : « وإلا فلا يتصور من عاقل القول بالعذاب مع عدم الإحساس » وقال مثله في المعنى في الكنز وفي الدر أيضا .

ومن ذلك يعلم أن قول ابن الملك إنه يتألم ، يجب تأويله بأنه يتألم لو كان حيا ويكون إشارة إلى أن إهانة الميت إنما تكون بما يهان به حيا ، فما يؤلمه حيا يمنع فعله به ميتا . ومن هذا يعلم أن التشریح الذي من لوازمه فتح البطن كما قلنا لا يجوز . نعم فتح البطن لأجل العلاج الطيبي يجوز لأنه المحافظة على الحياة فلا إهانة فيه . والله الموفق .

منهج الديار المصرية سابقا

إمضاء : محمد نجيب المطيعي الحنفي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين آمين

أقول : هذا هو نص الفتوى التي جاءني منه رحمه الله ، وهي موجودة عندي لمن أراد الإطلاع عليها ، ومضمونها أن التشریح لا يجوز ، فإذا يقول أستاذنا الجليل الشيخ يوسف الدجوي في هذه الفتوى مع بيان وجهة نظره :

وقد رأيت من النصيحة أن أبين لأخواني القراء بعض اصطلاحات فقهاء الشافعية

حتى يفهموا المراد من عبارة الإمام النووي التي نقاها عنه مفتينا رحمه الله وبيان درجة حديث المغيرة :

قال الإمام النووي في المجموع ص ٣٠٠ من الجزء الخامس : « حديث المغيرة ضعيف غريب . قال الحاكم أبو أحمد ، وهو شيخ الحاكم أبي عبد الله : لا يصح هذا الحديث » اهـ

وقال في مقدمة المجموع ص ٦٥ ، ٦٦ ماملخصه « فصل في بيان القولين والوجهين والطريقين » فالأقوال ، للشافعي ، و « لأوجه » لأصحابه المنتسبين إلى مذهبه بخروجها على أصوله ويستنبطونها من قواعده . و « الطرق » اختلاف الأصحاب في حكاية المذهب . وهذا يتبين معنى قول الشافعية : في المسألة قولان أو وجهان ، أو جزم به الأصحاب في كل طرفهم ، أولا يجوز قولاً واحداً أو وجهاً واحداً ، أو في المسألة طريقتان إلخ . أسأل الله أن يهتدنا من خشية ما به نعرف حرمة للسليخ أمواتاً وأحياً . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

محمد عبد الوهاب بجيري

السودان

قيل لقيس بن عاصم : بم سودك قومك ؟ قال : بكف الأذى ، وبذل الندي ، ونصر المولى . وقال رجل للأحنف بن قيس : بم سودك قومك وما أنت بأشرهم بيننا ، ولا أصبحهم وجهاً ، ولا أحسنهم خلقاً ؟ قال له الأحنف : بخلاف ما فيك يا ابن أخي . قال الرجل : وما ذاك ؟ قال الأحنف : بتركي من أسرك ما لا يعني ، كما هناك من أمرى ما لا يعنيك . وقال صهر من الخطاب أمير المؤمنين لرجل : من سيد قومك ؟ قال أنا . قال الفاروق : كذبت لو كنت كذا لم تقله .

وسأل عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين روح بن زبيح عن مالك بن معمر فقال : لو غضب مالك ، لغضب معه مائة ألف سيف لا يسأله واحد منهم لم غضبت . فقال عبد الملك : هذا والله هو السؤدد .

الإسلام والطب

إننا منذ عدة أشهر نوال نشر مقالات إسلامية طبية وعلمية لحضرة الطبيب النطاسي الكبير الدكتور عبد العزيز ملك اسماعيل ، وقد أرسل لنا مقدمة لها بعد نشرها سبق نشره منها ، فربنا أن ننتيها في المجلة لبيان مراميها من هذه المقالات القيمة ، ثم نعود الى نشر ما بقي منها .

مقدمة :

أنزل الله القرآن الكريم هدى للناس في أمور دنياهم وأخراهم ، وقد جعل معجزة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . ومن إعجازه فصاحته التي اعترف بها العرب وم أعلی الأمم كعباري البیان . أما المتأخرون أمثالنا فأكثرهم لا یقدر الفصاحة حق تقديرها لعدم تبصرهم فيها ، ولذا كان من الضروري إظهار إعجاز القرآن من نواح أخرى . فالقرآن ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك ، ولكنه یشير أحيانا الى سنن طبيعیه ترجع الى هذه العلوم . وبما أنه صادر من واضع السنن كلها ، كان جميع ما جاء فيه حقا لا شبهة فيه ، وإن لم يكن ذلك مدركا وقت نزوله إلا على طريق الإجمال أو التأويل ، لعدم استبحار العلوم إذ ذاك . ولكن مع الترفي في العلوم قل ما كان یعمد الى تأويله ، وكثر ما وجب أخذه على ظاهره في ذلك العهد .

فقوله تعالى : « وإن من شيء إلا یسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبیحهم » : هذه الآية لا یمكن أن یكون العرب الأولون قد فهموها إلا من طریق التأویل المؤدی الى معنى خضوع كل شيء لعظمة الله حتى الجراد ، مع أن علماء الطبيعة یثبتون الآن حركة دائمة لا تنقطع في ذرات كل شيء ، لا تراها العين ولا نمس بها سائر المشاعر . وقوله تعالى : « تخلق الإنسان من علق » : شبه الحيوان للنوی بالعلق مع أنه لا یرى

إلا بالميكروسكوب، والمبرة من هذه الآية لم تظهر وقت نزولها ولا بعدها بمئات السنين حتى اكتشف الميكروسكوب.

كل هذه الآيات الكريمة وكثير مثلها لا يفهم شيء من معناها الحقيقي إلا من درس العلوم الحديثة. ومن يفعل ذلك يظهر له إعجاز القرآن بطريقة أقرب إلى إقناعه من فصاحته، لأنه عالم ببعض العلوم وجاهل بالفصاحة.

وهكذا يؤمن بالقرآن من لم يؤمن به، ويزداد إيمان المؤمنين.

ويجب أن أنهى إلى نقطة هامة، وهي أن العلوم مهما تقدمت فهي عرضة للزلل، فينبغي أن لا يطبق على الآيات الكريمة إلا ما يكون قد ثبت ثبوتاً قطعياً ولم يقبل الشك. فكثير من النظريات العلمية عرضة للتغيير والتبديل، وهذه لا يجوز تطبيقها على الآيات حتى ولو اتفقت مع ظاهرها، إنما يطبق منها ما يكون قد اجتاز دور النظريات وصار حقيقة ثابتة لا شك فيها. فـ $25 = 5 \times 5$ لا يمكن أن يكون غير ذلك مهما تقدمت العلوم، وكذلك كثير من نظريات الطبيعة والهندسة، وقليل من الطب. أما النظريات الكثيرة مثل نظرية الذرات والجاذبية والنسبية ومذهب داروين وأغلب نظريات الفلك، فلم تصمد لمطور النظريات، وقد تمخضت وتبدلت.

وكما يقول فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي «يجب أن لا نجر الآية إلى العلوم كي تفسرها ولا العلوم إلى الآية، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية نأخذها بها».

إن العالم كثير الاعتراض لعلمه، فإذا لم يتفق ظاهر الآية وما يعرفه من النظريات ركن إلى علمه وشك في الآية أو أولها، مع أن كل علوم العصر الحاضر لا تمد شيئاً مذكوراً بالنسبة لحقائق الأشياء. فقد انتفع الإنسان بالكهرباء والحرارة والضوء، ولكنه لا يعرف شيئاً عن حقائقها، فهو يعرف كثيراً عن سمنها، وسيزداد معرفة بها بتقدم العلوم، ولكنه لا يعرف من كمها أكثر مما يعرف عن الروح والحياة ونظام الكون.

فكل آية كريمة لا تتفق ونظريات العلوم يجب أن تترك حتى تتقدم هذه العلوم .
تفارق آدم من طين مثلاً لا يتفق ومذاهب داروين وغيره ، ولكن الأخيرة قائمة
على نظريات ، وهي كما قدمنا عرضة للتغيير ، ولم أعثر لأن على آية واحدة لا تتفق وأية
حقيقة علمية .

ولمعرفة مقدار الخطأ والبعد عن الحقيقة الذي تتعرض له النظريات ، أضرب مثلاً
بسيطا لذلك :

إذا جلس شخص عاش منذ مائة سنة لا يعرف شيئاً عن الراديو أو التليفون
في غرفة فيها آلة تليفون متصلة بمحطة إذاعة للراديو ، وبغرفة المجاورة آلة راديو ، حتى
إذا تكلم الشخص سمع صوتاً يجيبه في الغرفة المجاورة ، فلا شك أنه يجزم بأن هناك
إنساناً عاقلاً يتكلم ، وقد يجهد عقله ويسأل في ذلك تجارب كثيرة . وبما أن ذلك التكلم
يجيبه على كل سؤال يوجهه إليه فلا يبقى في ذهنه أي شك في أن الغرفة المجاورة فيها
إنسان . ومصدر الخطأ أن الوسيلة للتأكد من وجود إنسان في الغرفة المجاورة ليس
فقط حاسة السمع ، ولكن النظر واللمس أيضاً . وبما أن كل التجارب التي قام بها الشخص
توجب عليه اعتقاد وجود شخص بالغرفة على حسب معلوماته القاصرة ، فالنظرية التي بنى
عليها ذلك الحكم بعيدة عن الحقيقة إلا اتصال الغرفة بإنسان ، مع أن الفرق بين وجود
إنسان بالغرفة المجاورة وبين شيء متصل بإنسان ربما كان في لندن ، فرق كبير جداً .

ولا يمكن اتقاء مثل هذا الخطأ ، لأن الشخص لا يعرف واسطة اتصال مثل
التليفون والراديو قبل وجودهما . كذلك أغلب نظريات علم الفلك وغيره ، فقد تقدم علم
الفلك حتى صدقت تنبؤات العلماء بعد مئات السنين وبدقة مذهشة ، وقد أقاموا على
نماذجهم نظريات ، وكلما اجتهدوا في التجارب جاءت النتيجة محقة لما كانوا يتوقعونه
في أكثر الحالات . ولكن كما أن الشخص الذي كان يحاول معرفة مصدر الصوت
كانت نماجه تأني صادقة كما لو كان هناك إنسان في الغرفة المجاورة ، كذلك كانت

تجارب العلماء، في كثير من النظريات تأتي مصدقة لما كانوا يتصورون . وقد تكون خطأ في أساسها ، ولكن فيها اتصال بيميد بالحقيقة بمد الشخص الموجود في لندن من الغرفة المجاورة .

وبالاختصار فالطريقة الوحيدة للتثبت من وجود شيء ، ليست هي الاستنتاج العقلي ، ولكن استعمال كل الحواس لمجردة وغير المجردة . ومع ذلك فلا تكون النظريات عرضة للزلل ، لأن مدارك الإنسان محدودة ، وهو لا يتصور ما غاب عنه .

يتضح مما سبق أن هناك آيات كثيرة لم تتقدم العلوم لتفسيرها للآن ، ولم أحاول أما ذلك ، فبقوله تعالى : « فانظروا كيف بدأ الخلق » لم تتقدم العلوم لمعرفة تفصيلات معانيها . وقد حاولت أن أفسر بعض الآيات المتعلقة بعلوم النفس أيضا ، لأن ذلك من اختصاص الطبيب ، وكل ما أرجوه أن يقتدى بي إخواني الإخصائيون في العلوم الأخرى ، على شرط أن يلاحظوا القواعد التي أسلفتها ، وأن لا يفسروا من الآيات إلا ما يتفق والحنائق الثابتة .

بالمناقشة مع إخواني وجدت أن هناك سؤاين يجب الإجابة عليهما قبل البدء بالتفسير لملاقتهما المباشرة به :

(أولهما) ما الغرض من خلق هذا الكون ، وما حكمة وجودنا ؟ إن طيبة عقل الإنسان أن يسأل عن حكمة وجود كل شيء ، ولا يستثنى من ذلك الكون كله ، مع أن مادة العقل التي يريد بها أن يكشف الكون هي جزء من هذا الكون نفسه ونلعب دورا فيه ، واللاعب لا يمكنه أن يمثل دور المتفرج .

ولنضرب مثلا : شخص من أواسط أفريقيا حضر ليمثل دورا بسيما جدا في رواية ذات قصول عديدة في لندره ، وهو لا يعرف شيئا عن اللغة ولا عن الرواية ، ولكنه يمثل دوره المطلوب منه ، فإن كان ذكيا فقد يفهم معنى الأشياء المادية التي تشترك معه في دوره ، فيعلم معنى صور الجبال والأودية والحيوانات الخ ، ولكنه من المستحيل

أن يفهم معنى الرواية ، لأنه يمثل دورا لا يمد شيئا مذكورا فيها ، وهو جاهل باللغة التي كتبت بها ، وغائب عن المسرح أغلب الوقت . كذلك الانسان مهما ارتقى عقله فقد يعرف كثيرا من السنن الطبيعية المتعلقة بالمادة ، ويعرف أشياء عن الكواكب الخ ، ولكنه لا يعرف لغة هذا الكون وسننه غير المادية ؛ ولذا لا يمكنه أن يفهم شيئا عن الوجود الذي هو جزء صغير منه ، ومدة حياته لا تبلغ جزءا من مئات الملايين من عمر الكون . وكل ما يمكن الانسان أن يظفر به هو أن يعرف المهمة التي يقوم بها فيه ، وأن يتقنها . وهذه المهمة قد علمها الله لنا بقوله : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون »

وأما حكمة وجود الكون وعظمته فلم تُنمط لحواس اللازمة لمعرفتها . وما أسعد الشخص الذي يؤدي ما ندب اليه ، ولعمري إن ذلك يستغرق كل فواء العقلية والمادية ، ولا يترك له أى بقية يشتغل بها فى أشياء أخرى « كل ميسر لما خلق له » « وخلق كل شئ . فقدره تقديرا » ويقول الطبيعيون : « الطبيعة لا تسرف » .

(ناهيا) ما معنى القضاء والقدر مع أن اختيارنا ظاهر ، وما معنى مجازتنا على ما نفعله إذا كان هناك قضاء وقدر ؟

إن علماء الطب يمكنهم أن يعرفوا سير الأمراض ومدتها الخ بمعرفةهم بعض السنن الطبيعية ، فإن أخطأوا فلتنص في علمهم . كذلك المهندس عندما يشيد جسرا يعرف مقدار السنين التي يمكنها إذا عرف مقدار الضغط عليه يوميا والعوامل الطبيعية الأخرى .

فالبدع الأول خلق الانسان من طين ، وعلم ما يدخل في تركيبه ، وسنله سنة التناسل ، وخلق له الأحوال المحيطة به ، ووضع لها سننا ، وقدر تأثيرها عليه ، وهل أفعال الانسان فى الحقيقة إلا خضوع منه لهذه الأحوال والسنن وإن توهم أن له اختيارا فيها ؟ فإذا أتى البرد وكان عنده ملابس ثقيلة فلم يلبسها ، هذا العمل ظاهره الاختيار ، ولكنه

عمل مضطرب عليه عند ذى العقل السليم أوجبه البرد . ولنضرب مثلاً آخر : تاجر مضطرب لبيع بضاعته وتعرض عليه فيمقتان لها ١٠٠ فرش و ١٥٠ فرشاً ، فلا شك أنه يبيع بأكثر القيمتين ويعد عمله اختيارياً . ولكنه في الحقيقة اضطرارى ومطابق لسنن لا تقبل ، وإن لم يفعل ذلك عد مجنوناً . وقد تتعد أفعال الانسان ويضطر أن يفكر كثيراً قبل لاقدام عليها ويعد عمله هذا اختيارياً ، ولكنه مبنى على سنن مقررة ، ونتيجة لكل اختباراته الماضية ، وتركيب عنه والأحوال المعقدة به ، ولوعم شخص تفاصيل الأمور لا خبر بما يستقر عليه الرأى فى كل منها ، كما يعلم الكياوى نتيجة التفاعل بين مادتين إذا علم تركيبهما .

هذا ما أجمع عليه علماء النفس وخالق الوجود والسنن كلها عالم بكل ما سيحصل للكائنات فى مستقبل حياتها .

فالعقبة الصغيرة (النطفة) التى يقل قطرها عن عُشر المليمتر الواحد ، تمثل ملايين الصفات . وعلاقة الفرد مثلاً والانسان لا يختلفان ظاهراً فى الشكل مع أن كلا منهما تمثل كل الصفات التى تميز الواحد عن الآخر ، وهذه لاحدها كذلك لا تختلف علاقة شخص عن شخص آخر ، مع أن الزمن والتغذية كفيلا أن إذا ما أترا عليها أن يصيرا شخصين مختلفين تماماً ، وذلك طبقاً لسنن ثابتة لا حصر لها . فالفروق المتنوعة التى تمثل مجلدات قد اختزلت فى حجم النطفة .

والله جلّت قدره وقت بدء الخلق علم كل ما سيحدث للانسان وغيره من الكائنات . ومستقبل الكون مقدّر ومتدبّد الخلق ، ولكننا على مقتضى عقولنا نفرق بين الحاضر والمستقبل . ولكن الله وقت خلق النطفة خلق الانسان الكامل ، ولكننا نصف إدراكنا لا نعرف ذلك ، فنقف عند الحاضر ، ولكن المبدع الحكيم يعرف مستقبله كله جملة وتفصيلاً ، والانسان فى ضعفه وقصر نظره كالتفرج على (السينما) يرى المنظر الحاضر ويعدّه حاضراً ، مع أن المناظر المستقبلية موجودة ومعلومة لصاحب السينما ،

ولكنها غيب بالنسبة للمتفرجين . فالخالق ، وله المثل الأعلى ، عند ما بدأ الخلق قدّر كل ما سيحدث فيه ، وهذه التقادير تنولى إبرازها السنن التي سلطها الله عليه منذ وجوده . وهذا معنى قوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير » هذا هو معنى القضاء ، والقدر ، ولا معنى له غير ذلك .

قد يقال : وما الفائدة من عقوبتنا وتفكيرنا أمام هذا القضاء والقدر ؟
الجواب : أن تفكيرنا هو هذا الجزء الاختياري الذي ميز الله الإنسان به عن سائر المخلوقات وجعله أساساً للجزاء ، وقد يكون هو المقصود من الآية الكريمة « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » والله أعلم . ولكن هذا التفكير لا تأثير له في سير القضاء والقدر . فالإنسان حر في أن يفكر كما يشاء ، ولكن لا يمكنه أن يأتي أفعالا لم تقدر عليه « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » .

والسؤال الثاني وهو « لم نجازي على ما قدر لنا ؟ »
الجواب أننا نجازي على ما يقع عليه اختيارنا ، سواء أتم أم لم يتم . وسأضرب لذلك ثلاثة أمثلة :

(أولا) شخص يريد القتل ويفكر فيه ويتربص الفرص لتنفيذه ، حتى إذا سئمت له ارتكب الجريمة . فهذا لاشك مجرم بتفكيره أي مجرمه الاختياري ، وقد أنفذ جريمته لأن القدر وافق ما عزم عليه .

(ثانيا) شخص يخاف ربه ويطيع أوامره ، ولكن حدث له أن وقع مرة تحت تأثير انفعالات نفسانية شديدة أضاع معها رشده فأرتكب جريمة القتل ، فلما ناب إليه رشده ندم على فعلته ، فهذا الرجل ارتكب الجريمة بجوارحه فقط ، ولكنه لم يقتل بضميره ، فقد ثبت طبيا الآن أن الانفعالات الشديدة تحدث زيادة إفرازات في بعض

الغدد الصماء تؤثر على الضغط الدموي وعلى المخ ، وقد تحدث تشنجا عصبيا أو شللا وقتيا في قوة الإدراك (غيبوبة) ، يأتي الشخص في أثنائها من الأفعال ما يستنكره في حالته العادية . والخالق يعلم حالته ، ويعلم أنه قتل لأن القتل كتب عليه ولا مفر له من ذلك ، ولكنه لم يقتل بضميره .

و (نالها) شخص ماص لربه ينهز الفرصة للقتل ، ولكن الفرصة لا تسح له ، فهو مجرم بضميره ولو أنه لم يقتل ظاهرا . والحقيقة أنه لم يقتل لأن القتل لم يقدر عليه . ومن لم يقدر عليه القتل فلا يمكن أن يقتل مهما حاول ذلك . والله يعاقبه بما يشاء على نيته « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » . فقد يغفر لصاحب الذنب الواقع ويعذب من لا ذنب له في الظاهر ، والله يعلم ما يحول بين المرء وقلبه « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » . وإذا أيقنا أن عملة القضاء تسير سيرها رغم إرادتنا ، اطمانت قلوبنا وعلمنا السر في أن التقيين قد يصابون كما يصاب غير التقيين . ولكن الفرق أن تكبريم وصبرهم يحول مصائبهم إلى نعم في نظرم « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » (أي امتحانا) « ولنبلونكم بنىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » .

الخلاصة : أن الخالق الذي يقول : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » والذي يعلم السر في السموات والأرض ، لا يظلم أحدا . فلتطمئن قلوبنا ، ولنتقن بمدله ، ولنكتف بأن نستعين بإحدى السنين غير المادية وهي الدعاء ، نالين قوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »

وبعد : فإنني في هذا المقام أعتز بفضل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكرم الشيخ المرافى ، لأنه أول من شجعتني على نشر هذه المقالات ، وكان يستمر في التشجيع كلما ظهر شيء منها ، ويمدني بأفكاره القيمة التي كنت أقدرها كما يقدرها الناس كافة كل التقدير ، وكذلك أشكر صاحب المزة الأستاذ فريد بك وجدى لتشجيعه وتصحيحه للكتابات والآيات ، ولوأنه معروف للكل أنه خلق للعالم وحده ، ونعم عمل العاملين في

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

الرضاع

ورد الى إدارة المجلة من لجنة الفتوى بالجامع الأزهر هذه الفتاوى :

ما قولكم في بنت رضعت مع ولد صغير من أم الولد مرة أو اثنتين أو ثلاثا على الأكثر . فهل يحوز لأخيه الأ أكبر أن يتزوجها ؟ أرجو إعادتي بالجواز على أى مذهب مع تبين وجه كل مذهب من المذاهب الأربعة . حسن سليمان حسن

الجواب

إذا كان الرضاع في مدته الشرعية فذهب الحنفية والمالكية أنه لا يحوز لهذا الأخ الأكبر أن يتزوج تلك البنت إذا كانت أم الولد الصغير أمه له ، أو كانت امرأة أبيه صاحب اللبن ، لأنها أخته من الرضاع قل الرضاع أو أكثر ، أخذا بالإطلاق في قوله تعالى : « وأخوانكم من الرضاعة »

ومذهب الشافعية والحنابلة أنه يحوز لهذا الأخ الأكبر أن يتزوج تلك البنت لأنها ليست أختا له من الرضاع ، فان التحريم بالرضاع لا يكون إلا بنحس رضعات متفرقات أخذا بالأحاديث التي قيدوا بها الإطلاق في قوله تعالى . « وأخوانكم من الرضاعة ، والله أعلم »

صبي غابت عنه أمه ليلا ، فأعطته امرأة أخرى نديها ، فوضع ونام ، وفي الصباح أعطته نديها مرة أخرى فأبى الرضاع ، فهل تعد هذه المرأة أمه من الرضاع ، ونحرم عليه ابنتها التي رضعت قبله بثلاث سنوات ؟ محمد عبد الحميد السلاوي

الجواب

الرضعة الواحدة في مدة الرضاع الشرعية تحرم عند الخفية والمالكية ، لا إطلاق
قوله تعالى : « وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ، وأخواتكم من الرضاعة » .
ولا يحرم عند الشافعية والحنابلة إلا خمس رضعات متفرقات ، وذلك للأحاديث
التي قيدوا بها الإطلاق المذكور .

فعند الخفية والمالكية تكون هذه المرأة الموضع أمًا لهذا الصبي من الرضاع ،
وتكون ابنتها أختاله من الرضاع ، وعند الشافعية والحنابلة لا تكون هذه المرأة
للموضع أمًا له من الرضاع ، ولا تكون ابنتها أختاله من الرضاع . والله أعلم .



شاب يريد الزواج بشابة ، وكلاهما من أب وأم شرعيين ، ولم يسبق لأب من الأُمين
أن أرضعتهما ، وليست هناك موانع شرعية من عقد زواجهما ، غير أن للشاب أخًا أصغر
منه قد رضع من ثدي أم خطيبة الشاب حينما كانت ترضع ابنة أخرى غير الخطوبة ،
فهل رضاعة ذلك الأخ تحرم زواج الشاب الأول بالشابة الأولى مع أنهم لم يرضعوا من
مرضع واحدة ؟

محمود شردود

الجواب

إن تلك الشابة تحل شرعًا لمريد زواجها ، ولا يؤثر في ذلك أن أخاه الأصغر قد
رضع من أمها سواء أكان رضاعه منها حينما كانت ترضع ابنة أخرى غير هذه الشابة
كما ورد في السؤال أم لم يكن ، لأنها ليست أخت مريد الزواج من الرضاعة ، بل هي
أخت أخيه من الرضاعة ، فلم تشملها أدلة التحريم بالرضاع . والله أعلم .



رجل يريد التزوج بامرأة رضع أخوها إلا كبر معه من امرأة ليست أمها ولا هي أمه، ثم رضع أخوها الثاني من أم من يريد الزواج بها، ولم يحصل بينهما من الرضاع خلاف ذلك، مع العلم بأنها أصغر إخوتها، وبينها وبين أخويها الأولين المذكورين خمسة إخوة، فهل هناك مانع شرعى من تزوجها؟ عواد إبراهيم رزق

الجواب

يجل لهذا الرجل أن يتزوج تلك المرأة، إذ لم يكن قد رضع من ندى أمها ولم تكن قد وضعت من ندى أمه، ولم يسبق لها رضاع من ندى امرأة واحدة.

ولا يؤثر في حاله أن يكون أخوها إلا كبر أو غير إلا كبر قد رضع مع صهره الزواج من ندى أمه أو من ندى امرأة أخرى، فإنها في هذه الحال ليست أختا لمريد الزواج من الرضاعة، فلم تشملها أدلة التحريم بالرضاع، ولا فرق بين أن تكون تلك المرأة أصغر إخوتها - كما جاء في السؤال - وألا تكون. والله أعلم.



شخص رضع من امرأة عمه مع ابن عمه من ندى واحد رضعة واحدة، ويرغب في الزواج بشقيقته التي هي أصغر منه، ولم يرضع معها، فهل يجوز زواجه بها على مذهب من مذاهب الاسلام؟
سليم عبد الوهاب زيتون

الجواب

يجوز للرجل الذي رضع من امرأة عمه رضعة واحدة أن يتزوج بنت عمه المذكورة في السؤال على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، لأن التحريم عنده لا يثبت بالرضعة الواحدة، وإنما يثبت بخمس رضعات متفرقات في الحولين، قال رضي الله عنه: «ولا يحرم من الرضاع إلا خمس رضعات متفرقات كلهن في الحولين»، وذلك للأحاديث التي أخذ بها. والله أعلم.



رجل يريد الزواج ببنت ، مع أن هذا الرجل رضع رضعة واحدة من امرأة متزوجة .
والد البنت ، والمرأة التي أرضعته أرضعت أختها لهذه البنت من قبل ، فهل يحل له
الزواج بهذه البنت أو تحرم عليه ؟ والإفتاء يكون على مذهب الإمام الشافعي .
حامد إبراهيم السنكري

الجواب

لأثبت التحريم بالرضاع في مذهب الشافعي رضى الله عنه بأقل من خمس رضعات .
قال الشافعي : « ولا يحرم من الرضاع إلا خمس رضعات متفرقات كلهن في الحولين » .
وله على ذلك أدلة من الحديث ، فلا يحرم على لرجل الذي رضع رضعة واحدة في الحولين
من امرأة أبي البنت أن يتزوج تلك البنت ، ولا فرق في ذلك بين أن يكون
والد البنت هو صاحب اللبن الذي رضع منه يريد الزواج وألا يكون هو صاحب اللبن ،
لأنه إن كان هو صاحب اللبن لم يكمل عدد الرضعات المحرم ، وإن لم يكن هو صاحب
اللبن فالبنت أجنبية ، أما أن المرأة أرضعت أخت البنت فلا تأثير لذلك في حل
تلك البنت ، لأن نصوص التحريم بالرضاع لا تشملها . والله أعلم .



تزوجت ابنة خالي ، ورزقت منها ولدا ، مع العلم أنها رضعت من والدي مع أخي
الأصغر مني سنا ، وبيني وبينه أخ آخر أكبر منه سنا وأصغر مني ، كما رضعت أنا
مع أختها الكبرى من والدي ، وكنت أعتقد قبل الزواج أنها تجوز لي ، ونحرم على
أخي الذي رضعت معه فقط ، كما تحرم على أختها الكبرى ، فهل هذا الزواج جائز ؟

حسين جاسر المهندس

الجواب

يحرم عليك الزواج بابنة خالتك هذه عند الحنفية والمالكية - فل الرضاع أو أكثر لأنها أحت لك من الرضاع ، قال الله تعالى : «وأخواتكم من الرضاعة»
ويوافقهم في ذلك الشافعية والحنابلة إذا كانت ابنة خالتك قد رضعت من أمك خمس رضعات متفرقات فأكثر، أما إذا كانت الرضعات أقل من خمس، فإنها تحل لأنها ليست أختاً لك من الرضاع ، والله أعلم ؟

•••

ابنة خالتي وراضعة على أخى الذى هو أصغر منى وأريد الزواج بها ، فهل تجوز لى
حسب الشرع ؟ أحمد بدوى طنطاوى

الجواب

إن كانت ابنة خالتك قد رضعت من أمك ، كما هو ظاهر السؤال ، فذهب الحنفية أنها لا تحل لك فل الرضاع أو أكثر ، ويوافقهم في ذلك المالكية وأحمد في رواية ، عملاً بإطلاق قوله تعالى : «وأخواتكم من الرضاعة»
أما الشافعية فلا يرون حرمتها عليك إلا إذا رضعت من أمك خمس رضعات متفرقات ، ويوافقهم في ذلك الامام أحمد في ظاهر المذهب ، عملاً بأحاديث يرون أنها تقييد الإطلاق المذكور .

وإن كانت ابنة خالتك قد رضعت مع أخيك من خالاة ، فإن زواجها لا يحرم عليك لأنها ليست أختاً لك من الرضاع . والله أعلم ؟

الصلاة على الميت

توفيت إحدى بناتى ، ومن شدة تأثير وقع المصيبة ، ورغبتي في مواراة الجثة التراب ، حيث قلمت من بلد الى بلد بعيد ، دفنت ولم تؤد صلاة الجنازة عليها مهوا .

فأقول الشرع فى ذلك ؟
عبد المحسن سليمان
بوذيالى بالجيش بالا ورطة الثانية

الجواب

الصلاة على الميت المسلم فرض كفاية ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « صلوا على صاحبكم ، فإنه أمر ، والأمر للوجوب ، وترك النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة على صاحبهم يدل على أنها فرض كمائى . وقد انعقد الاجماع على ذلك . وذكر النووي أن ما حكى عن بعض المالكية من أنها سنة متروكة عليه ، لا يلتفت اليه .

فإذا دفن الميت بلا صلاة عليه ، كما جاء فى السؤال ، فزمت الصلاة عليه كما يأتى بيانه :

فالمصحيح عند الحنفية أنه يصلى عليه وهو فى قبره ما لم يغلب على الظن تفسغه . ومذهب المالكية أنه يخرج من قبره ويصلى عليه ما لم يظن تغيره ، فإن ظن تغيره صلى عليه وهو فى قبره ما لم يغلب على الظن فناؤه .

ولراجع فى مذهب الحنابلة أنه يخرج ويصلى عليه ما لم يحنس تفسغه أو تغيره ، فإن تفسخ أو تغير صلى على القبر ، وفى رأى للحنابلة أنه يصلى على قبره مطلقا ، وبمحرم إخراجهم .

والأصح عند الشافعية أنه يصلى عليه وهو فى قبره ، ولو بلى ، بشرط أن يكون للمصلى من أهل فرض الصلاة وقت الدفن .

ومما سبق يعلم أن ترك الصلاة على الميت عمدا بغير عذر حرام ، أما تركها سهوا
كما جازى السؤال فلا إثم فيه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله وضع عن أمتي
الخطأ والنسيان ، وما استكروها عليه » ولكن عند التذكير يجب الصلاة كما بيانا .
والصلاة على الميت وهو في قبره ، تتأدى عند القبر ، والقبر أمام المصلي الى القبلة .
والله أعلم

نصاب الجمعة

ما قولكم في بلد يريد أهله إقامة صلاة الجمعة ، ولكن فريقا من الأهالي يتكاسلون
عن أداء صلاة الجمعة لشغل أو لغيرة ، وجميع أهل البلد على مذهب الامام مالك رضى
الله عنه ، فإذا اجتمع لصلاة الجمعة أقل من العدد المشرع في مذهب الامام مالك ،
وهو اثنا عشر شخصا ، بأن كانوا عشرة أو أقل من ذلك ، والامام الذى سيخطب
الناس حاضر ليؤم الناس ويخطبهم ، فهل ننتظر الى صلاة العصر ، ونصلي الجمعة وجاء
أن يحضر العدد للفروض ، أو نصلي الجمعة بأى عدد ممكن ، أو نترك الجمعة ونصليها
ظهرا ، وماذا يكون العمل ؟
عمر محمد صالح خطاب

الجواب

مذهب المالكية أن الجمعة لا تصح بأقل من اثني عشر رجلا غير الامام ، فليس
لأهل هذا البلد أن يصلوا بأقل من هذا العدد ، وليس لهم أن يصلوا ظهرا ماداموا
رجلين تمام العدد ، وإنما ينتظرون ، إلا أن يخافوا دخول وقت العصر ، فإن خافوا دخول
وقت العصر ، صلوا ظهرا أربعا .

ولكن مثل هذا التكاسل قد يؤدي الى ترك الجمعة مع أنها تصح بأربعة أحدهم
الامام عند أبي حنيفة ، وعند أحمد بن حنبل في رواية ، وعند الثوري والليث والأوزاعي
وأبي ثور ، وهو قول للشافعي في القديم ، ورجحه لمزني من أصحاب الشافعي ، كما حكاه

عنه الأذرى فى القوت ، ورجعه أيضا ابن النذر من أئمة الشافعية ، وهذه المسألة ألحقها بهض علماء الشافعية بالمسائل التى صحح فيها النووى القول القديم للشافعى .
فالأهل هذا البلد أن يعملوا بهذا ، ولا يتركوا إقامة الجمعة . والله أعلم

فى الميراث

بنت توفيت عن أم وجدة لأب ، وأخوين شقيقين ، فما نصيب كل منهم ؟
محمد محمد بهنسى

الجواب

لا شىء للجدّة المذكورة ، لأنها محجوبة بالأم ، وبأم السدس ، وللأخوين الشقيقين باقى التركة : لكل منهما النصف ، والله أعلم

فى البيع

اشترتُ جلد أحذية بالقدم ، وبعته لصانع الأحذية برغبته ، وعن كل قدم خمسة ملبّيات مكسبه ، فهل تعد هذه الخمسة الملبّيات حلالاً أو تعد حراماً ؟ فإن بعض الناس أخبرنى أن ذلك ربا .
حافظ اسماعيل

الجواب

إن مثل هذا البيع جائز إذا كان البيع والتمن معلومين . وبديل لجوازه عموم قوله تعالى : « وأحل الله البيع » فالربح فيه قليلا كان أو كثيرا حلال لا شىء فيه من الربا .
والله أعلم

صبر رابى
رئيس لجنة الفتوى

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

الوقف والهبة

اختلف الفقهاء القائلون بالوقف وصحته على رأيين ، فذهب الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه الى أن الوقف هو حبس العين على ملك الواقف والتصدق بمنفعتها ، أو صرف منفعتها الى من يجب أن تصرف تلك المنفعة اليه . فالتصدق بالمنفعة يظهر أثره في حالة ما إذا وقف الوقف العين مثلاً من أول الأمر على جهة من جهات البر التي لا تنقطع كالفقراء والمساجد والملاجئ ، والمدارس والمستشفيات وما الى ذلك مما توزع فيه المنفعة حصصاً ، وصرف المنفعة يظهر في حالة ما إذا وقف لواقف حصته على غنى أو أغنياء حتى إذا انقرصوا انتهت تلك المنفعة الى جهة بر لا تنقطع ، فإنه يكون والحالة هذه وقفاً قبل انقراض الأغنياء الموقوف عليهم ، ولا يمكن أن يعتبر صدقة كما هو ظاهر . وذهب الصحابان أبو يوسف ومحمد الى أن الوقف معناه : حبس العين عن أن تنلك لأحد من العباد ، والتصدق بمنفعتها ابتداء وانتهاءً أو انتهاء فقط . وتظهر الحالة للأولى جلية واضحة فيما إذا وقف الواقف من أول الأمر على جهة بر لا تنقطع . والتصدق انتهاء فقط يظهر فيما إذا وقف الواقف على من يحتمل الانقطاع والفناء واحداً كان أو أكثر ثم لا يعتبر الصرف اليه صدقة ، ثم جعلها من بدم جهة بر لا تنقطع كما لو وقف على نفسه وذريته ومن بدم للفقراء والمساكين ، فاذا آل الى جهة البر الدائمة صار وقفاً خيرياً . والقسم الأول يسمى وقفاً أهلياً ، والثاني يسمى وقفاً خيرياً . وتلك التسمية الاصطلاحية تسمية حديثة .

ثم إن حكم الوقف عند أبي حنيفة أنه جائز غير لازم ، وهو بمنزلة العارية ، فيجوز للواقف أن يرجع منه ويتصرف في الموقوف بالبيع والهبة ولرهن وسائر أنواع التصرفات ، فإذا مات يورث عنه ، كما للمعير أن يرجع في عارقه ويتصرف فيها تصرف

لمالك فيما يملك ، فإذا مات المبر قبل استرداد عاقبته قسمت بين ورثته . فإذا كانت العين الموقوفة باقية على ملك الواقف ولم يخرج من ملكه بالوقف ، كان للواقف حق التصرف فيها بالبيع وسائر أنواع التصرفات ، فإذا لم يتصرف فيها حال حياته ثم مات كان لورثته قسمتها بينهم بالميراث الشرعي كسائر أملاك المورث . وهذا معنى عدم لزوم الوقف عنده .

أما حكم الوقف عند الصاحبين فعنايه أنه لازم بمجرد تمام أركانه وتحقيق شروطه ، فلا يجوز للواقف أن يرجع عنه ، وإذا مات فلا يورث عنه ولا يعتبر من تركته ، لأنه بالوقف الذي أنعم صحيحا حال حياته قد أخرج الموقوف من ملكه ، فتوزع نصيبته على الجهات التي عينها الواقف . ثم إن للوقف شروطا أربعة .

(أولها) أن يكون الموقوف مملوكا للواقف متعينا غير مجهول مقطوعا بمحصل فائدة لا نفوت العين عند استيفائها ولا تضيع تلك الفائدة حال استغلالها .

(الثاني) أن يكون الموقوف عليه أهلا للهبة والوصية إن كان شخصا معينا ، وقربة من القرب إن كان جهة عامة كالفقراء والمساكين ، فن لا تصح الهبة منه والوصية له كالجنين مثلا فلا يملك عينا ولا منفعة ، ولأن ما لم يكن قربة كإحدى الجهات العامة التي يتحقق فيها الغرض من الوقف كقطع الطريق لا يمكن أن تتحقق فيهم مصلحة في الانتفاع بحبس العين عليهم .

(الثالث) أن تكون صيغته بلفظ صريح ، كوقفت هذه العين ، وشرطت هذه الشروط وحسبت تلك الغلة على فلان أو فلانة ، فإن لم يكن صريحا وجب أن يكون مقترنا بالنية الدالة على صراحته ، ومحاط بقرائن تدل على تعيين ما وقف دون لبس وإبهام .

(الرابع) أن يكون الوقف مؤبدا منجزا ملتزما . فلو كان غير مؤبد كوقفته عاما أو كان غير منجز بأن يقول الواقف إن جاء شهر رمضان مثلا وقفت على فقراء كذا ضيعة كذا من ضياعي . أو كان غير ملتزم بأن قل الواقف وقفت كذا من المقار الذي

أملكه محمداً بمحموده على أنى بالخيار في الرجوع عنه ، كان ذلك كله بمنأى عن الغرض المقصود من الوقف ، لأن الغرض المقصود من الوقف إنشاء حالة تستتبع عينا ذات فلة ينتفع بها الفقراء ومن في حكمهم ، وتكون تلك المنفعة مستمرة البقاء .
أما الهبة فأركانها ثلاثة :

(الأول) الصيغة فيما يصح أن تجرى فيه .

(الثاني) صحة بيع الموهوب والتصرف فيه .

(الثالث) قبض الموهوب وإيصاله الى يد الموهوب له تفادياً من شقاق يقضى الى خصومة . فإن مات الواهب قبل إقباض الموهوب له كان لورثته حق اختيار في الإقباض ، لأن الهبة لم تثبت بفقدان شرط من شرائطها ، ولأن الموهوب لم يصل الى يد الموهوب له .

(رابعها) ألا يسترد الواهب ما وهب ، لأن استرداده ينفي بشع بعد جود أو أسف على ما كان من خير ، أو إرادة ضرار بمن وهب له ، وكل أولئك من الأخلاق الذميمة والدنايا الممقوتة التي ينبغي للمؤمن أن يذره عنها ويصون كرامته من قدرها ، ذلك فضلاً عما يترسأ الاسترداد من الضغينة والحقد ، ويشيده من القطيعة والتباغض . فيكون المسترد مضيعاً للحكمة التي شرعت لها الهبة عاملاً لضدها ، ولهذا أبان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبح هذه الحالة بإتة لاخفاء معها إذ قال : « العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه ليس لنا مثل السوء » أي لا يليق بالمسلمين ارتكاب هذه الرذيلة .

(خامسها) ألا يخص والد بعض أولاده بمنفعة ، لأن ذلك يوقع الحقد بينهم .

أما العارية وصورها والفرق بينها وبين الهبة الشرعية وما يتصل بهما من أحكام القانون المدني ، وأقوال الشراح فيهما ، فوعدنا بالكلام عن ذلك كله في الأعداد التالية ، إن شاء الله .

عباس طه المحامى

فى فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك فى المجتمع الانسانى العام

تحدث الى الفارنى اليوم عن شوق النفس لى فضائلها الصادرة عنها، وكيف أن النفوس تنجح الى فضائلها وتجنب عليها حسب الأم الزوم على واحدھا .
والفضيلة التى تكون سائر الفضائل لا بد أن تكون مستعدة الى عناية الانسان بتحصيل الملو ثم تحصيل النفس من الطغيان الشهوانى الذى إذا أصاب النفس فى صميمها قتل فيها روح الاستعداد للخير ومحضها للشر . فهذه الفضيلة تقوى وتزايد بمحض عمل الانسان ذاته وتواخره على أفضل المثل العليا يتعدها عنونا على كل ما يصدر عنه من الأفعال . فقد يبدو للانسان لأول وهلة أن ما يقع تحت سلطان المشاعر كالما كل والمشارب وما اليها من صنوف المتع داخل فى عداد الفضائل ، ولكنه إذا راجع نفسه يتبين أن تلك اللذائذ لا يصح أن نعتبر فضائل ولا تسوغ أن تكون شعارا للانسان الناطق .

فكل موجود من حيوان أو جماد أو نبات، وكذا بساطتها والأجرام العلوية، كل أولئك له قوى وملكات وأفعال بها يصير ذلك الموجود الكائن (هو ما هو) و (أى شئ هو) وبها يتميز ذلك للوجود عن كل ما عداه . كما أن له قوى وملكات وأفعالا بها يشارك ما عداه . والانسان بطبيعة تكوينه هو الذى يلتبس له الخلق المصنوع بوصف كونه نفسا مفكرة ناطقة ذات سلطان على الموجودات . وهذا مصداق قوله جل من قائل : (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا) . من أجل ذلك ليس لنا أن ننظر نظرا تحليليا مصحوبا بالتحخيص والتدليل الى تلك القوى وتلك الملكات التى يشارك الانسان فيها سائر الموجودات ما دعنا بصدد الكشف عن للفضائل والخصيرات التى يجب أن تكون مميزات للنفس الناطقة ومقومات لها . ولنا الآن

بصد بيان شيء منها لأن بحث الأخلاقيين مقصور على بيان القوى والملكات والأفعال للإنسان ، فتتناول بحوثهم قوى الإنسان وملكانه وأفعاله من حيث صدورها عنه واتصالها به ، ويسمونها العلوم الإرادية باعتبارها حاصلة بمحض اختيار الإنسان وإرادته ، وهي التي بها تتعلق قوة الفكر والتمييز . والنظر فيها وفي مقدماتها ونتائجها وآثارها المترتبة عليه يسمى الفلسفة العملية ، ويرتبون على تلك النظرية ضرورة انقسام الأفعال الصادرة عنه الى الخيريات والشرور ، وبالتالي الى الفضائل والذائل . ذلك لأن النرض المعين من وجود الإنسان إذا اتجهت النفوس اليه فخصته ، هو تركيز الفضائل في تلك النفوس ، والعمل لا تمنأها وإذا كء أسبابها وبواعها ، وهو الذي يسمى الإنسان به وعند تحصيله إياه خيراً ، فإذا عاقته عن تحصيل تلك الفضائل العوائق وصرفته عنها العوارف كان هو الشرير لا محالة ، لاستحالة خلو نفس الإنسان من كلا المتقابلين في آن واحد .

وبدعي أن كل موجود من الموجودات له كمال خاص وفعل خاص لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء في مشخصاته ومميزاته ، فلا يجوز أن يكون موجود آخر سواء يصلح لتلك الفعل صلاحية الإنسان الذي اجتمعت له تلك المشخصات وتلك المميزات . وهذا حكم مطرد البقاء في العوالم السفلية والعلوية .

فإذا الإنسان من بين سائر الموجودات له فعل خاص صادر عنه لا يشاركه فيه غيره ، وهو ما صدر من قوته المميزه المقرونة بالروية .

ولذا يكون كل من كان تميزه أصبح ورويته أصدق واختياره أمثل كان أوعى لأسباب إنسانيته وجمع لقوماتها . وقد يتسلل الإنسان بالقياس الى ما يصدر عنه من الأفعال حتى ينحط الى مرتبة ليس دونها مرتبة . وأفضل الناس من كان أقدر على تصريف أفعاله الخاصة به ، وأشد تمسكا بشرائط الفضائل وحدودها ، وأكبح جماح نفسه عن الاسترسال في غوايتها والركون الى شهواتها .

ومما لامر به فيه أن الإنسان كلما رقى يحوه نفسه الى الكمالات ، كان أعم إنسانية

وأعود فائدة على هذا المجتمع . والآنياء والرسل صلوات الله عليهم يدينوا السنن والطرائق لكل ما يصدر عن الانسان من خير أو شر ، فقالوا هذا حلال وهذا حرام وبينهما أمور مشتبهة . وجاء العلماء على أقدامهم فأوضحوا السبيل وأقاموا بين الناس حدودا فاصلة حاسمة . فالانسان بقدر ما يعترف من تلك الفيوضات الالهية يكون مبلغ استحقاقه للانصاف بوصف الانسانية ، فإذا انحط عن تلك المراتب الرسومية الحدود كان خليقا أن لا يكون إنسانا .

وإذ تبين أن سعادة كل موجود إنما هي بالقياس الى ما يصدر عنه من المعلوم الارادية والأفعال الاختيارية التي تميزه عما عداه وتوسم حده التام بين ثانيا الخلود التي لا يتناكر فيها لأشخاص ولا يعطى فيها بعض الناس على البعض الآخر ، لا مناص من اعتبار الروية أعلى سببا من الأسباب للسكونة لمراتب السعادات كلها . فان لهذه السعادة مراتب كثيرة متفاوتة بحسب الروية والروى فيه وهو الانسان . من أجل ذلك قالوا أفضل الروية ما كان في أفضل مروي ، ثم ينزل رتبة رتبة الى أن ينتهي الى النظر في الأمور الممكنة التي تقع تحت سلطان العالم الحسى ، فيكون الناظر في تلك الأشياء قد مارس رويته وأعمل فريحته ، فحصل على الصورة الخالصة التي بها أمسى سعيدا مستأهلا للملك الأبدى والنعيم السرمدي . وقد تواضع علماء الأخلاق على أن هناك أجناسا من السعادات والشقاوات . وأن الخيرات والشرور في الأعمال الارادية هي إما باختيار الأفضل والعمل به ، وإما باختيار الأدنى والميل اليه .

على أن هذا المجتمع لا يشمر ثمرته الرجوة له إلا بتضافر الأيدي العاملة في بنائه . فما من لبنة في أساسه إلا وهي محتاجة الى يد تحكمها بتدبير وتحيطها بحزم وتنميتها بروية ، فلا يتم بناؤه إلا باجتماع الأيدي ونضافر القوى . من أجل ذلك أوصت الشرائع الناس بالتحاب والتواضع والتواضع لتبقى له حياته وتدوم عليه نعمة الوجود الذي يمنى الناس من ورائه أطيب الثمرات وأبرك الفوائد ؟

الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد

ظهر الجزء الثالث من هذا الكتاب ومعه كتاب بلوغ الاماني من اصرار الفتح الرباني لحضرة الأستاذ الشيخ احمد عبد الرحمن البنا . وهو يظهر على شكل كراسات شهرية . وقد تم طبع ثلاثة أجزاء منه يقع الجزء في نحو ٣٢٠ صفحة في القطع الكبير . وقد نقل الأستاذ مكتبته الى عظمة الرسام رقم ٧ بالقاهرة .

الاسلام في الحبشة

كتاب جليل القيمة في تاريخ الاسلام في الحبشة الفقهية لحضرة الاخصافي الجليل في الآثار العربية الاستاذ يوسف افندي احمد مفتش تلك الآثار سابقا ومدرس الخط الكوفي الآن في مدرسة تحسين الخطوط الملكية بالقاهرة . هذا الكتاب يعتبر أطروفة في التاريخ الاسلامي لم يفرد موضوعه بالتأليف الى اليوم . فنشكر لحضرة مؤلفه هذه الخدمة العلية ، تولى الله مكافأته عليها .

تيسير المنفعة

بكتاني : مفتاح كنوز السنة ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لا يزال حضرة الأملی الفاضل الأستاذ محمد افندي فؤاد عبد الباقي دأبها على تكميل عمله الجليل في ترجمة فهرسات المستشرق فتنسك التي وضعها لأربعة عشر كتابا من كتب الحديث . فبعد أن ترجم تلك الفهرسات تحت اسم مفتاح كنوز السنة رأى أن يقيمه بفهرسات خاصة بكل كتاب من كتب الحديث . والذي دعاه الى ذلك أن هذه الكتب غير معدودة الكتب والأبواب (ما عدا صحيح البخاري) فاضطر الى تقسيم كل أصل الى كتب ثم تقسيم كل كتاب الى أبواب ، ووضع أرقاماً لكل كتاب وأبوابهم إلا في كتاب مسلم وموطا مالك فقد قسم كل كتاب منهما الى أحاديث ووضع لكل حديث رقما مسلسلا .

ولما كانت طبقات كل أصل من هذه الأصول تختلف في عدد الكتب والأبواب صار هذا الأمر لا يمكن تداركه إلا بنشر فهرس لكل أصل تكون أرقام كتبها وأبوابها وأحاديثها مطابقة لأرقام كتب وأبواب وأحاديث النسخ الأصلية التي قسمها وعدها واضعو المعجمين المذكورين .

فنشكر لحضرة هذه الخدمة القيمة ، ونرجو الله أن يوفقه لأمثالها .

woman perform the ghusl⁽¹⁾ if she hath an erotic dream ?⁽²⁾ " Yes ", said the Prophet (Allāh bless him and give him peace) ' if she observeth the substance ejaculated. " ⁽³⁾

I then covered myself, that is to say my face, saying : " O Apostle of Allāh, doth a woman then have such emissions in her dream? " " Yes ", replied he, ' bless thee !⁽⁴⁾ How else could her child resemble her ? "

2. We are informed by Ismā'il, who had it from Mālik, through 'Abdullāh b. Dinār, through 'Abdullāh b. 'Umar that the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) said :

' There is an evergreen tree which is indeed the parable of a Muslim Tell me which this tree is? " The Faithful mentioned various trees of the desert It occurred to me (said 'Abdullāh) that it was the palm-tree, but I was prevented by shyness ⁽⁴⁾ from saying so At last they asked the Apostle of Allāh to tell them which it was, and he replied " It is the palmtree . "

'Abdullāh added that when he told his father what had occurred to him, he replied: " It would have given me greater pleasure for thee to have said it than to possess untold wealth "

Translated by J. H. EI-MOUGY

وَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَحْتَلِمُ
الْمَرْأَةُ ؟ قَالَ نَعَمْ تَرَبَّتْ يَمِينُكَ ،
فَبِمِ يَشْبُهُهَا وَلَدُهَا ۚ

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك
عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إِنَّمَا مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ
لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مِثْلُ الْمُسْلِمِ ،
يُحَدِّثُنِي مَا هِيَ » فَوَقَعَ النَّاسُ
فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِ أَهْلِهَا
النُّعْلَةُ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَاسْتَحْيَيْتُ ،
فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِهَا ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« هِيَ النُّعْلَةُ »

قال عبد الله فحدثت أبي بما
وقع في نفسي ، فقال : « لَأَنْ تَكُونَ
قُلَّتْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي
كَذَا وَكَذَا » .

(1) purification by total immersion as considered necessary before prayer

(2) i.e. If she finds a trace of it on her garment upon waking

(3) ربت يمينك - literally, may thy right hand be humbled in the dust—an idiom current among the Arabs, not intended as a curse, but said playfully

(4) The reference in this case is no doubt to a combination of shyness and Modesty

entire dependence on this alone."⁽¹⁾

CHAPTER 92

On false modesty in acquiring Knowledge ; and on the words of Mujāhid : "He shall not acquire Knowledge who is over- modest or too proud (to ask) "

And on the words of A'ishah : " How excellent are the women of the Ansār, for over- modesty hath not prevented them from perfecting themselves in religious knowledge ! "

We are informed by Muhammad b. Salām, who was told it by Abu Mu'āwiyah, who had it from Hishām through his father, through Zainab bint Umm Salamah, through her mother, who stated that Umm Sulaim came up to the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) and said :

"O Apostle of Allāh, verily Allāh is not ashamed of the truth. Should a

قال ولا، إني أخاف أن يتكلموا،

بَابُ الْعِيَاءِ فِي الْعِلْمِ،

وقال مجاهد : « لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ

مُسْتَعْنِي وَلَا مُسْتَكْبِرٌ » وَقَالَتْ

عَائِشَةُ : « نِعَمَ النِّسَاءُ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ

لَمْ يَمْنَعْنِ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ »

حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا

أبو معاوية قال حدثنا هشام عن أبيه

عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة

قالت : جاءت أم سلمة إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقالت :

« يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَا يَسْتَعْنِي

مِنَ الْحَقِّ ، فَمَا عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ

غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ ؟ » قَالَ النَّبِيُّ

صلى الله عليه وسلم : « إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ »

فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ ، تَعْنِي وَجْهَهَا ،

(1) This hadith is one of the most important from a doctrinal standpoint. It might appear that Mu'adh had disobeyed the Prophet in revealing the hadith on his death-bed; but no doubt he considered that it was intended for the elect and not for the multitude. Moreover, by the time of Mu'adh's death Islam had become established, and the danger of the misconstruction of the hadith had diminished. The inference of the sufficiency of the mere "Shahadah" for salvation supports the Murjite position. The key of Sunnite position, however, is in *مقام من قلبه* (truly from his heart), since good works are implicit in sincere faith. According to some commentators "Immunity from Hell" means "Immunity from eternal damnation" in the case of sinful Muslims, who are certain to reach Paradise eventually, whatever their sins.

Prophet said

" No one testifieth truly from his heart that there is no deity but, Allāh and that Muhammad is His Apostle, but Allāh shall make him immune from Hell-fire, "

" O Apostle of Allāh " replied Mu'adh, " Shall I not inform the Faithful, of this, that they may rejoice at the glad tidings ? "

" Then, " replied the Prophet, ' they would place entire dependence on this alone, "⁽¹⁾

Mu'adh transmitted this hadith on his death-bed thus avoiding the sin of withholding knowledge. ⁽²⁾

2. We are informed by Musaddad, who had it from Mustamir, who heard it from his father, who heard it from Anas, who stated that it was related to him that the Prophet (Allāh bless him and give him peace) said to Mu'adh :

"Whoever meeteth⁽³⁾ Allāh without associating aught with him, shall enter Paradise "

" Shall I convey the glad tidings to the people ? " asked Mu'adh

" No, ' replied the Prophet, " I fear they would place

قال : يا معاذ ، قال : لبيك
يا رسول الله وسعدت بك ثلاثا ، قال :
« ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً
من قلبه إلا حرمه الله على النار »
قال : يا رسول الله أفلا أخبر
به الناس فيستبشروا ؟

قال : إذا يتركوا .

وأخبر بها معاذ عند موته قائماً .
حدثنا مسدد قال حدثنا معتمر قال
سمعت أبي قال سمعت أنسا قال ذكر
لي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعاذ :
« من أتى الله لا يشرك به شيئاً
دخل الجنة »

قال : « ألا أنشر الناس ؟ »

[1] and neglect their religious duties.

[2] Cf. Surah 2, VV 154 & 155 & Surah 3, V 187

[3]—either in the hour of death or in the Resurrection

CHAPTER 91.

On him who imparteth Knowledge to certain people to the exclusion of others whom he fears he may misapprehend it ;

and on 'Ali's saying, 'Speak to people in a way they can understand' do ye wish Allāh and his Apostle to be considered perverters of the truth?"

This Athar⁽¹⁾ was transmitted to us by 'Ubaidullāh b. Mūsā through Ma'rūf b. Kharrabūdh through Abut-Tufail, from 'Ali .)

1. We are informed by Ishāq b. Ibrāhīm, who had it from Mu'adh b. Hishām, who received it from his father, through Qatādah, who was told by Anas b. Mālīk that Mu'adh was once mounted behind the Prophet (Allāh bless him and give him peace) as he rode. The Prophet (Allāh bless him and give him peace) said

" O Mu'adh b. Jabal ! "

" I am at thy command, O Apostle of Allāh, and gladly obey thee," replied Mu'adh

This call and answer were repeated three times. Then the

بَابُ مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ

قَوْمٍ كَرَاهِيَةً أَنْ لَا يَفْهَمُوا

وَقَالَ عَلِيٌّ « حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا

يَعْرِفُونَ ، أَمْحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ عَنْهُ

وَرَسُولُهُ ؟ »

(حدثني عبد الله بن موسى عن

معروف بن خربوذ عن أبي الطمیل

عن علي بذلك)

حدثنا اسحق بن ابراهيم قال

حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي

عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك

أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ

رد يرفعه على الرحل قال :

يا معاذ بن جبل !

قال : لبيك يا رسول الله

وسعديك !

(1) (2) A tradition traced back not to the Prophet—but to a Companion, or to a successor

the reading they followed. (1)

CHAPTER 90.

On him who renounceth a better course for fear that certain people may be too unintelligent to understand it, and thus fall into a worse case

We are informed by 'Ubaiddullah b. Mûsa, through Isrâ'îl, through Abu shâq, through Al-Aswad, who stated that Ibn Az-Zubair said to him :

"A'ishah used to confide many secrets to thee. What did she tell thee about the Ka'bah ? Al-Aswad replied : " She told me that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said :

" O A'ishah, were it not that thy people were recently (in unbelief—adds Az-Zubair), I should have pulled down the Ka'bah, and rebuilt it with two doors, one for ingress and one for egress. "

This was subsequently carried out by Ibn Az-Zubair

قَالَ الْأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا.

بَابٌ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الْأَخْتِيَارِ
خَافَةً أَنْ يَفْصُرَ قَوْمٌ بَعْضَ النَّاسِ عَنْهُ
فَيَقَعُوا فِي أَسَدٍّ مِنْهُ .

حدثنا عبيد الله بن موسى عن
إسرائيل عن أبي أسحق عن الأسود
قال قال لي ابن الزبير :

كَانَتْ عَائِشَةُ تُسَرِّبُ إِلَيْكَ كَثِيرًا،
فَأَخَذْتُكَ فِي الْكُفَّةِ وَقُلْتُ : قَالَتْ
لِي : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكَ حَدَّثْتُ
عَهْدُكُمْ » (قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : يَكْفُرُ)
لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ،
بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ ،
فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ .

(1) The Qur'an has اَرْتَمُوا instead of اَرْتَمُوا here. For this reason the commentators consider these words, not as a quotation from the Qur'an, but as a Companion's traditional saying (حبر).

We are informed by Qais b. Hafs who received it from 'Abdul-Wāhid, who had it from Al-A'mash Sulaimān, through brāhim, through 'Alqamah, through 'Abdullāh, who said :

While I was walking with the Prophet (Allah bless him and give him peace) in the ruined quarter of Al-Madinah, as he was leaning on a stick ⁽¹⁾ which he carried with him, he passed a group of Jews who said to one another : " Ask him about the spirit " ⁽²⁾ " No " , said one of them, " do not ask him, lest he give an answer that ye resent." Another said : " We wil certainly ask him " Then one of them arose and said : " O Abul-Qāsim, what is the soul ? " The Prophet was silent and I thought that a revelation was coming upon him ! stood stil, ⁽³⁾ and when his agony had passed, he uttered these words " They ask thee about the spirit Say: ' The spirit pertaineth unto my Lord ⁽⁴⁾, and they are not given aught of Knowledge but a little."

Al-A'mash states that such was

عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال :

بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَرْبِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصِيْبٍ مَعَهُ قَمَرٌ يَنْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : « سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ » وَقَالَ بَعْضُهُمْ : « لَا تَسْأَلُوهُ لَا يَجِيءُ فِيهِ شَيْءٌ » تَكَرَّرَ هَوْنَةً ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ « لَسْنَا لَنَّهُ » فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ « يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ ؟ » فَسَكَتَ فَقُلْتُ لَهُ « يُوحَى إِلَيْهِ فَقُلْتُ فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ قَالَ « وَيسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، وما أوتوا من العلم إلا قليلا ،

(1) Elsewhere حَب is given by Al-Bukhar as حَبْ apparently the difference being due to a confusion in the diacritical points

(2) Made from a palm-branch

(3) Some commentators suggest the Revelation, others the Angel Gabriel

(4) Either in order not to disturb the Prophet, or to stand between him and the Jews

(5) Gr—is created at the command of Allāh

Salamah, through Az-Zuhri, through 'Isa b. Talhab, through 'Abdullāh b 'Amr, who said :

I saw the Prophet (Allāh bless him and give him peace) being questioned on the occasion of the hurling of the stones ⁽¹⁾. One man said : " O Apostle of Allāh, I have sacrificed before I have thrown the stones. " The Prophet replied : " Throw them *nevertheless*, there is no sin. " Another said : " O Apostle of Allāh, I have had my head shaved before I have sacrificed. " The Prophet replied : " Sacrifice *nevertheless*, there is no sin. "

So the Prophet was never questioned as to whether anything should be done sooner or later but he answered : " Do so, there is no sin "

CHAPTER 89.

On the revelation of the word of Allāh (be He exalted) : " Ye have been given but a little part of knowledge. " ⁽²⁾

ابن أبي سلمة عن الزهري عن عيسى بن طلحة عن عبد الله بن عمرو قال :

رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أُجْمَرَةٍ وَهُوَ يُسْأَلُ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَحْرَتُ قَبْلَ أَنْ تُرْمَى ، قَالَ : « اُرْمِ وَلَا حَرَجَ » قَالَ آخَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَلَقْتَ قَبْلَ أَنْ تُتَحَرَّ ، قَالَ : « اُتَحَرَّ وَلَا حَرَجَ » فَأُسْئِلَ عَنْ قَتْلِ قُدَمَ وَلَا أُخْرَ إِلَّا قَالَ : افْعَلْ وَلَا حَرَجَ .

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : « وَمَا أَوْثَقْتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » :

حدثني قيس بن حفص قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا الأعمش سليمان

(1) The definite article *ال* denotes the particular occasion of the stoning known as *جمره العقب* A. = Aqabah being a height overlooking the valley of Minā.

(2) Surah 17, v 85

CHAPTER 87.

On one who, standing, asketh questions of a professor who is seated

We are informed by 'Uthmān, who had it from Jarīr through Abu Musa, who said :

A man came to the Prophet Allāh bless him and give him peace) and said : " O Apostle of Allāh, what is fighting in the cause of Allāh - for each one of us fighteth either in anger or for honour's sake? " The Prophet then raised his head towards him, [the narrator states that he did so only because the man was standing] and said : " He who fighteth that the word of Allāh may prevail, his fight is in the cause of Allāh (be He magnified and glorified).

CHAPTER 88.

On asking for a *lalwā* and receiving the reply during the stoning of Satan in the valley of Minā

We are informed by Abu Na'aim who had it from 'Abdul-Az'iz b. Abu

بَابُ مَنْ سَأَلَ وَهُوَ قَائِمٌ

عَلَى جَالِسٍ .

حدثنا عثمان قال أخبرنا جابر عن

منصور عن أبي وائل عن أبي موسى قال :

جاء رجل إلى النبي صلى الله

عليه وسلم فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ

مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَإِنْ أَحَدُنَا

يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حِمِيَّةً ، فَرَفَعَ

إِلَيْهِ رَأْسَهُ (قَالَ وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ

رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا) فَقَالَ :

« مَنْ قَاتَرَ لِنُكُونِ كَلِمَةِ اللَّهِ هِيَ

الْمُعْتَبَرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

بَابُ اسْتِثْنَاءِ الْمُتَيَمِّنِ

الْجَمَادِ :

حدثنا أبو يعقوب قال حدثنا عبد العزيز

forgetfulness. However, they set out again, and beheld a lad who was playing with his mates. Al-Khadir seized him by the crown and tore off his head with his hands.

"What?" said Moses. "Thou hast slain an innocent soul guiltless of another's blood."

"Did I not tell thee that thou wouldst not be able to bear with me?" replied Al-Khadir (Ibn Ayyub adds that this is more asseverative) (1).

However, they journeyed on until they came to a village and asked the inhabitants for food, but they refused them hospitality. In the village they found a wall tottering to its fall, so Al-Khadir put it upright (setting it straight by a wave of his hand).

Then Moses said to him: "Hadst thou willed, thou couldst have received a poyment for this."

"This meaneth a separation between me and thee," replied Al-Khadir.

The Prophet (Allah bless him and give him peace) added: "May Allah have mercy on Moses! How we should have liked him to have had enough patience so that we could have been told more of their adventures." (2)

قال : لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ .
فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا ،
فَانْطَلَقَا فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ لَيْلَمَانِ
فَأَخَذَ الظُّعْمِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَأَقْتَلَمَ
رَأْسَهُ بِيَدِهِ .
فَقَالَ مُوسَى : أَقْتَلْتَ نَفْسًا
زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ !
قال : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّا لَنْ نَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا (قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : وَهَذَا وَكَدُّ)
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ
اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأُوا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا ،
فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ
فَأَقَامَهُ (قَالَ الظُّعْمِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ)
فَقَالَ لَهُ مُوسَى لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ
عَلَيْهِ أَجْرًا .

قال : هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ .
قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« بِرَحْمَةِ اللَّهِ مُوسَى ، لَوْ دَرَدْنَا لَوْ
صَبَرْنَا حَتَّى يَقْعُ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَذَا »

(1) He means the use of لا (hee- which was not used in the first case

(2) The explanation of Al-Khadir's surprising actions is given in the Qur'an, Surah 18, VV, 79 sqq. This hadith has given occasion for the inference that apparently unlawful actions may be justified by the conscience a view which is generally regarded as heretical. It is claimed that Khadir's actions, however lawless in appearance, were nevertheless in conformity with the divine purpose.

man and I shall not gause thee in aught."

At this, having no ship the twain set out walking along the water's edge, when a boat drew near them. They negotiated with the sailors to take them on board. Recognising Al-Khadir, they took them on board without any fare. Suddenly a bird came and perched on the edge of the boat, dipping its beak once or twice into the water. Then Al-Khadir said, "O Moses, my knowledge and thine have diminished⁽¹⁾ from Allāh's Knowledge but as a drop such as hath been taken up in the beak of this bird diminishes the ocean.

It came to pass that Al-Khadir wifuly took hold of one of the ship's planks and tore it out.

"What!" said Moses. Here are people who have taken us on board without payment, and now thou hast deliberately scuttled their boat to drown all on board."

"Did I not say that thou wouldst not be able to bear with me?" replied Al-Khadir.

"Reprove me not for my forgetfulness," said Moses.

This was Mos-s' first act of

صَبْرًا يَا مُوسَى ۖ إِنِّي عَلَىٰ رَحْمَةٍ مِّنْ
هَٰذَا لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنَا ۚ لَا تَلْمِزْهُ أَنْتَ ۖ وَأَنْتَ
عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ .

قَالَ: سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا
أَعْصِي لَكَ أَمْرًا .

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ
لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ
فَكَلَّمُوهُمْ أَن يَحْمِلُوهُمَا ، فَوَرَّفَ
الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ ، فَجَاءَ
عَصْفُورٌ فَرَفَعَ عَلَىٰ حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ
نَقْرَةً أَوْ تَقَرَّتَيْنِ فِي الْبَحْرِ ، فَقَالَ الْخَضِرُ :
يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ
اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَٰذَا الْعَصْفُورِ فِي الْبَحْرِ .
فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَىٰ لَوْحٍ مِّنَ الْوُحِ
السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ ، فَقَالَ مُوسَى : قَوْمٌ
قَالُوا نَا بَغِيرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَىٰ سَفِينَتِهِمْ
فَضَرَفْتَهَا لِتَغْرِقَ أَهْلَهَا .

قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ إِن تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ؟

(1) In another reading ٥ is given for ٥ : since Allāh's Knowledge cannot be diminished— ٥ being taken approximatively

fatigue until he went past the place which had been appointed unto him.

His attendant then said to him :
"Behold ! When we took shelter by the rock, I forgot about the fish."

"That is what we were seeking," replied Moses.

Thereupon they went back, retracing their footsteps, and when they reached the rock, they beheld a man wrapped in a cloak. (1)

"Peace be upon thee," said Moses.

"Whence did peace come upon thy land?" answered Al-Khadir.

"I am Moses," replied he.

"Moses, the Prophet of Israel?" asked Al-Khadir.

"Yea, verily!" said Moses. "May I follow thee on condition that thou instruct me out of the guided knowledge that thou hast received?"

"Truly thou wilt not be able to bear with me, O Moses ! I possess Knowledge from that of Allāh which He hath taught me, that thou knowest not ; likewise thou possessest Knowledge which He hath taught thee, that I know not."

Moses answered: "If it be the Will of Allāh thou shalt find in me a patient

وَأَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًا مِنَ النَّصِيبِ
حَتَّى جَاوَزَ الْمَسْكَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ
فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْفَيْنَا
إِلَى الصُّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُلُوتَ،
قَالَ مُوسَى ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي .
فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهَا فَصَصَا، فَلَمَّا
انْتَبَهَا إِلَى الصُّخْرَةِ إِذْ رَجُلٌ مُسَبِّئٌ
بِقُوبٍ (أَوْ قَالَ : نَسَبِي بِقُوبِهِ).

فَسَلَّمَ مُوسَى
فَقَالَ الْخَضِرُ : وَأَنْتَ بِأَدْرِيكَ
السَّلَامُ ؟

فَقَالَ : نَعَمْ مُوسَى
فَقَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَءِيلَ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى
أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ وَرَشَدًا ؟
قَالَ : إِنَّا لَنَسْتَطِيعَ مَعِيَ

(1) The narrator is doubtful whether the words قُوب or نَسَبِي were used.

"One of My servants who is *now* at the confluence of the two rivers"⁽¹⁾ is more learned than thou "

Moses replied : "O Lord, how shall I meet him ?"

Then it was said unto him, "Carry a fish in a basket, and where thou locest it, there shalt thou find him."

So he set out, taking with him his attendant Joshua the son of Nun. They carried a fish in a basket until, when they came to the rock,⁽²⁾ they laid down their heads upon the rock and fell asleep. The fish slipped out of the basket and found its way to the water. This filled Moses and his attendant with wonder, but they continued their journey for the rest of the day and the *following* night.⁽³⁾

At daybreak Moses said to his attendant : "Fetch us our meal, for indeed we have suffered fatigue from this journey of ours "

Now Moses had suffered no

لِلْبَحْرِ بْنِ هُوَ أَمْسَمُ مِنْكَ.

قَالَ : يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ ؟

فَقِيلَ لَهُ : اَحْمِلْ خُوتًا فِي مِكَتَلٍ مَا ذَا فَقَدْتَهُ فَوَهِ قَوْمٌ .

فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوْشَعَ ابْنِ نُونٍ ، وَحَمَلَا خُوتًا فِي مِكَتَلٍ حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا ، فَانْسَلَّ لُحُوتٌ مِنَ الْمِكَتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ، وَكَانَ لُؤْسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا ، فَانْطَلَقَا بِقِيَّةٍ لَيْلَتَهُمَا وَيَوْمَ مَا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ : آتِنَا غَدَاةَنَا لَقَدْ لَفَيْنَا مِنْ مَقَرِّنَا هَذَا نَصَبًا ،

[1] جمع البحرين — This has been variously interpreted, opinion varying between "Seas and " rivers" Among those who prefer " Seas" some have suggested the junction of the Red Sea and the Indian Ocean, the Mediterranean and the Atlantic, and other places less reasonable. Those who accept two rivers suggest the Blue and White Nile. The Jordan and the Dead Sea are also suggested, to say nothing of the rivers flowing into the Persian Gulf, etc. Of these the view of the two Niles is the most probable, owing to Moses well-known connection with Egypt and Ethiopia, to which country his wife belonged, and which he seems to have visited according to accounts in Rabbinical literature. Other views are that the union of the two Seas is to be taken as figurative, referring either to the Old and New Dispensations, or to the seas of human and divine Knowledge.

[2] i.e. the rock where the expected meeting was to take place

[3] According to commentators. The day and night are reverses in the text; but as ^{الصبح} can only be used of dawn following a night, it has been necessary to make this change

CHAPTER 86

On the most commendable answer a learned man should give on being asked who is the most learned among men, namely that he should attribute all Knowledge to Allāh.

We are informed by 'Abdullāh b. Muhammad, who had it from Sufiān, who received it from 'Amr, who was told it by Sa'id b. Jubair, who stated

I once said to Ibn 'Abbās that Nawf Al-Bikālī alleged that Moses was not the Moses of the Israelites but another Moses. " He lied, the enemy of Allāh, " (1) replied Ibn 'Abbās, " for I was informed by Ubayy b. Ka'b from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) who said -

' Moses the Prophet once rose to preach to the Israelites. He was asked who was the most learned among men, and replied that it was he himself; Allāh then reproved Moses for not ascribing *all* knowledge to Him, giving him this revelation

بَابُ مَا يُسْتَجَبُ لِلدَّالِمِ إِذَا
سُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَيَسْكِلُ الْمَلِمَ
إِلَى اللَّهِ :

حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا
سفيان قال حدثنا عمرو قال أخبرني سعيد
ابن جبير قال :

قلت لأن عباس إن نوحا البكالى
يزعم أن موسى ليس بموسى بنى
اسرائيل إنما هو موسى آخر فقال :
« كذب عدو الله ! حدثنا أبى بن
كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
قام موسى النبى خطيبا فى بنى
اسرائيل فسئل : أى الناس أعلم ؟
فقال : أنا أعلم ، فعتب الله عليه
إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله
إليه أن عبدا من عبادى يجمع

(1) This forcible language must not be taken as a personal attack; it is meant merely to stress the error and reprimand the utterer of it.

him peace) two bagfuls ⁽¹⁾ of Hadith one of them I have spread abroad ; as for the other, if I did so, I should have this throat of mine cut. ⁽²⁾

عليه وسلم وعاءين ، فأما أحدهما
فبثنته ، وأما الآخر فلو بثنته
قُطِعَ هذا البلعوم

CHAPTER 85.

On the attentive silence to be observed in the presence of traditionists .

We are informed by Hajjāj, who had it from Sa'ubah, who received it from 'Alī b. Mudrik, through Abu Zurrah, through Jarir that :

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) said to him while on the farewell pilgrimage :
Call the people to silence ' He then said :

" Beware of acting like imbeciles after my death, cutting each other's throats."

بَابُ الْإِنصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ
حدثنا حجاج قال حدثنا شعبة قال
أخبرني علي بن مُدْرِك عن أبي زُرْعَةَ عن
جرير :

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : « اسْتَنْصِتِ النَّاسَ »
فَقَالَ : « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا
يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ »

(1) The usual meaning of *وعاء* is a vessel or a container, but as kindred hadiths have the variant *جرير* it may be presumed that the meaning here is " bags " The metaphor is of two kinds of Knowledge, which, if written down, would fill two bags

(2) The first Category contained hadiths relating to religious rites and morality in general ; the second, hadiths of a mystical nature, foretelling future tribulations, the signs of the Hour—including the trials of the Faithful under Quraish to tyrants, whom Abu Hurairah was able to name but he feared for his life. Abu Hurairah—as is shown in the following prayer—insinuated personages without naming them :

(أعوذ بالله من رأس المتن وإمارة الصبيان)

" I take refuge in Allāh from the year 60 A.H. and the rule of boys " As Abu Hurairah died in 59 A.H. a year before the accession of the boy Khalīf, Yazid b. Mu'awiyah, it is clear that his prayer was granted

attached myself to the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) for my daily bread; and so I witnessed that which they never saw, and committed to memory that which they never heard."

2. We are informed by Ahmad b. Abu Bakr Abu Mas'ab, who had it from Muhammad b. Ibrahim b. Dinar, through Ibn Abu Dhī-b, through Sa'īd Al-Maqbūrī, through Abu Hurairah, who stated that he said

"O Apostle of Allāh, I hear from thee many hadiths which I afterwards forget." "Spread out thy gown," said he. I did so, and then he made as if to scoop with his hands out of the abundance of Allāh into my gown, saying: Clasp it to thy breast, I did so, and I never forgot anything after that

Al-Bukhārī adds that he also had this hadith from Ibrahim b. Al-Mundhir, who received it from Ibn Abu Fudaik, who gave the variant 'scooped with his hands in it (the gown)'—adding the words "in it."

3. We are informed by Ismā'il, who had it from his brother, through Ibn Abu Dhī-b, through Sa'īd Al-Maqbūrī through Abu Hurairah, who said:

I have learnt from the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give

كَأَن يَتَزَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْعَ نَظْفِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ،

حدثنا أحمد بن أبي بكر أبو مصعب قال حدثنا محمد بن إبراهيم بن دينار عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قلت

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَحُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ، قَالَ «ابْسُطْ رِدَاؤَكَ» فَسَطَّاهُ قَالَ فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ «سَمِعُهُ» فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ.

حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا ابن أبي ذئب قال بهذا أو قال «غَرَفَ بِيَدَيْهِ فِيهِ»

حدثنا إسماعيل قال حدثني أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال:

حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

CHAPTER 84.

On the committal of Knowledge to memory.

1. We are informed by 'Abdul-'Aziz b. 'Abdullāh, who had it from Mālik, through Ibn Shihāb, through Al-A'raj, through Abu Hurairah, who stated

" People say that Abu Hurairah relateeth too many traditions. Nay, were it not for two verses which are in the Book of Allāh, I should not transmit a single hadith " Then Abu Hurairah recited the verses: "Verily they that conceal the evident proofs and the Guidance that We have sent down ' as far as "The Most Merciful" "(1)

Abu Hurairah went on to say : "Our brethren of the Muhājirīn were engaged in transactions (2) in the markets, and our brethren of the Ansār were engaged in working their property,(3) while I, Abu Hurairah

بَابُ حِفْظِ الْعِلْمِ :

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال

حدثني مالك عن ابن شهاب عن الأعرح

عن أبي هريرة قال :

« إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبَوِ

هُرَيْرَةَ ، وَلَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ

اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا ، ثُمَّ يَنْكُرُونَهُ إِنَّ الَّذِينَ

يَسْكُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

وَالْهُدَى ، إِلَى قَوْلِهِ « الرَّحِيمِ »

« إِنَّ إِيخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا

يَشْتَرُونَ الصِّقَّةَ بِالْأَسْوَاقِ ، وَإِنَّا

إِيخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا يَشْتَرُونَ

الْعَمَلَ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَإِنَّا أَبَا هُرَيْرَةَ

(1) Surah 2, Verses 154 & 155: "As to those that conceal the evident proofs and the Guidance that we have sent down, after what We have so clearly shown to men in the Book of Moses, these Allāh shall curse, and they that curse shall curse them. But as for those who repent of concealment and make amends and propagate the truth, unto these will I turn in forgiveness for I am He that accepteth repentance, the Most Merciful."

(2) الصفق : Bargains were clinched by clasping hands.

(3) The Muhājirīn [the Meccan refugees] were engaged in Commerce, the Ansār [the Medinite supporters] in Agriculture.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مهمة الدين الاسلامي في العالم

٢٦

دموته الى القيام بخلافة الله في الأرض

لا يوجد تعليم من التعاليم الإصلاحية ، ولا مذهب من المذاهب الفلسفية ، ولا نظام من النظم الاجتماعية ، دفع من شأن المجتمع الانساني وناط به أعظم اللهام العالمية ، الى المستوى الذي رفع اليه الاسلام المجتمع الاسلامي . فالاسلام بعد أن أقام مجتمعه على الأصول الأدبية الخالدة ، والمبادئ الخلقية العامة ، أصبح من المقول أن يسكل اليه ما يتناسب وهذه الأصول والمبادئ من اللهام الكريمة ، والخطط الشريفة .

ولتفصيل هذا الإجمال نقول : إن المجتمعات الانسانية كلها قامت على الحاجات المادية ، والمصالح القومية ، مجردة عن كل اعتبار أدبي ، أو أصل روحاني . ولما استطاعت تلك الجماعات بفضل تكافل أفرادها أن تأمن شر الفوائل ، من عدو مغير أو جماعة مهلكة ، نشأت فيها بحكم الفطرة الانسانية نزعة الى ترقية آدابها ، وتهذيب أخلاقها ، ولكنها اعتبرت ذلك خاصا بآحادها . فحرمت عليهم العدوان على الأموال والأعراض والأنفس ، وحضتهم على خصال من الرفق والعطف والمعدلة ، ولكن كل جماعة قصرت كل ذلك على نفسها ولم تسره على غيرها ، فكانت تعاقب من يقتل واحدا من مواطنيه بالقتل ، ولكنها كانت تجازي من يقتل أجنبيا بالإعجاب والمدح . فالأخلاق التي كانت لدى الأمم في أرق عهودها كانت لا تمدوا أخلاق الناس من قطاع الطرق . وكانت الأخلاق الصحيحة التي يحملها اليها الأنبياء والمرسلون نشوء ونحرف ، أو ترفض رفضا باتا .

وعلى هذه الحال نفسها كانت أرق الأم التي انتزعت منها الأمة الاسلامية خلافة الأرض ، قالت دائرة معارف لا روس جوابا على ما تساءلت عنه من حقيقة نظم تلك الأم على وجه الإجمال : « كانت نظماتها الوحشية والقسوة موضوعة في فوالب قانونية . أما من جهة فضائلها كالشجاعة والمكر والتبصر والنظم ولا خلاص المطلق للجماعة ، فهي تعينها فضائل قطاع الطرق والصوص . أما وطنيتها فكانت مكتسية لبس الوحشية . فكان لا يرى فيها إلا شره مفرط للمال ، وحقد على الأجنبي ، وضياح للإحساس بالشفقة الانسانية . أما المظنة والفضيلة فيها فكانت إعمال السوط والديف في العالم ، والحكم على أسرى الحروب بالتعذيب أو بالرق ، وعلى الأطفال والشيوخ يجر عربات النصر » انتهى .

على هذه الحال كانت الأم المشهود لها بالرسوخ في المدنية حتى الى العهد الذي ظهر فيه الاسلام ، أفلا يكون من مصلحة الانسانية ، وهي على وشك تطور جديد يلائم مواهبها العلوية ، أن يحيي الله أمة من وسط هذه الرمم ، ويحمل ترابط آحادها قائما على أرق الأصول الأدبية ، لتكون مثالا تحتذي به الجماعات في تكوين بقيتها الاجتماعية ، وأن يجعلها من القوة الحيوية ، والسطوة المادية ، بحيث تظهر على الأم كافة ، وتدفعها لإعادة النظر في روابطها القومية ، وسيرتها الدولية ؟

نم : لقد كان ذلك ، وظهرت من بقعة هي أبعد البقاع الأرضية عن الألفة والاجتماع أمة رابطتها الفضيلة الخالصة من الشوائب ، المطلقة من القيود ، لا تشوبها روح القوميات ، ولا فروق اللغات والجنسيات ، فهي طالية حسا ومعنى ، لم تتم على مثل الأصول التي قامت عليها أمة من قبل ، ولا ينتظر أن تفرقها في هذه المزايا أمة من بعد .

هذا حادث تاريخي جليل يجب أن ينوّه به المسلمون في كل ناحية يحملونها من نواحي الأرض ، فهو فضلا عن أنه يمثل من قدر الاسلام الى أرفع محل ، يضيف الى علم

الاجتماع صفة مجيدة في تاريخ الروابط الانسانية ، وحالة فنة من حالات قيام الجماعات ، وهي قيام أمة عالمية غير ملحوظ في تكوينها ما كان يعتبر أساسا للاجتماع من وحدة الجنس واللغة والبيئة . فهي أمة مبادئ وأصول ومقاصد عامة ، لا أمة جنس ولا لسان ولا وطن .

هذه الأمة العالمية هي المثل لأعلى لما سيكون عليه سكان الكرة الأرضية قاطبة ، حين تسمو عقلياتهم ، ويدركون أن الأرض لله ، وأن هذه الفروق بين أهاها في اللون واللغة والبيئة ليست فروقا طبيعية توجب بينها الخلاف والتناحر ، ولكنها فروق سطحية أوجبتها سعة الأرض ، وبعد الاتصالات ، وتباين الاهتمامات فإذا بلغت الجماعات البشرية هذه الدرجة من الفهم ، حدث تعارف عام بين البشر ، وتلاهم سلام لا يمكن صفوه معكر من أي نوع كان . فإن لم يصل العالم كله الى هذه الدرجة من السمو ، وصلت اليه على القليل جماعات راقية يمكنها أن تبلغ للنسبة الى أرفع مكاناتها ، ونحبها شرعدوان المناهذين لها .

فهذا المثل الحى الذى ضربه الاسلام للناس ومضى في تحقيقه الى أبعد حد ، يجب أن بدونه علم الاجتماع و أوجه صفحانه ، ولا يكون ذلك إلا إذا أدركه المسلمون ونوهوا به ، وبحثوا صحته بالأدلة القاطنة . وأى مسلم تموزه الأدلة على هذا الأمر المقرر فى النصوص الكتابية ، والعزى بالحوادث التاريخية ؟

ومما هو أبعد من كل ما صرنا فى تنزيه المجتمع الاسلامي من شوائب الرعونات البشرية ، أن الله طبعه بطابع إلهي ، فجعل مهمته القيام على خلافته فى الأرض . وهذه تقتضى التخلق بأخلاق الله فى معاملة عباده ، والسير على سنته فى العناية بمخلوقاته . وهي مهمة خطيرة ذات تبعات كبيرة ، فيقول تعالى : « وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم (أى ليختبركم به) . إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم » .

ومما يدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى نذب هذه الأمة لخلافة إلهية عالمية ، أنه ناط بها مهمة الهيمنة على الناس كافة ، فقال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

فالأمة لاسلامية أمة منتدبة من الحق لخلافة الله في الأرض ، وليس في هذا الأمر ما يجرح كبرياء أمة من الأمم ، ولا ما يحط من عزتها وكرامتها ، لأن واضح هذا الانتداب سببانه ، لم يجعله ميزة لشعب من الشعوب ، ولا وقفا على جنس من الأجناس ، ولم يشترط له بيئة من البيئات ، ولكنه جعله للجامة التي تدين بشرائطه المقررة ، وأصوله المعينة من أى جنس كان آحادها ، وفي أى بقعة من الأرض تأسست دولتها . « وإن تتوآا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

ولم يجعل الله تلك الأصول والمبادئ مناسبة لأمة دون أمة ، أو مسطرة لعادات قوم دون آخرين ، ولكنه فرضها أصولا أولية حافظة ، ومبادئ أساسية عامة ، مما تعترف كل أمة بأنها أرقى الأصول وأقوم المبادئ ، لا تصلح لزمان دون زمان ، ولا للاثم حالا دون حال . وقد درسنا كل ذلك في مقالاتنا تحت هذا العنوان توسع لا مزيد عليه ، فليرجع من شاء اليه .

إن نذب مثل هذه لأمة لتمثيل الحق الخالص والقيام به ، لو نظر اليه نظرا فلسفيا لوجد طبيعيا من كل وجه ، فإن الحقائق العلمية ، والفتوح العقلية ، لا تقتنا تجمع قلوب الأيقاظ من الناس حولها في كل بيئة من بيئات الأرض ، وتؤلف منهم أمة شائلة في جميع الأمم ، بحيث لو اجتمعوا في صعيد واحد لكونوا أمة مختدة ندين للحق وتعبد به ، وتمعش الى المزيد من نوره ، وتعمل على إقامة دولته في الأرض .

والاسلام في حقيقته ، كما قررناه مرارا ، خروج من جميع التقاليد ، وتجرد من كل النسب والملايسات ، ومواجهة للحق بالقلب خالصا من جميع الصور الذهنية ، لتتطبع فيه الحقائق الإلهية في إطلاقاتها الذاتية ، وليصبح مستعدا لسواها مما يفتح به عليه

في أدوار جهاده في سبيلها ، فهو والمسلم يستهدفان غرضاً واحداً هو النور الذي يمشو اليه كبار النفوس من كل أمة في كل زمان وفي كل بيئة .

وعليه فجميع هؤلاء الرجال الشائعين في جميع الأمم يدينون بالاسلام بغير علم منهم ، فهم على حد قول الفيلسوف الألماني البيرى الكبير جوت (Goethe) وقد اطلع على أصول لاسلام : « لو كان الاسلام هو هذا فنحن إذا فيه » .

فإذا قام المسلمون بدعوة الى دينهم مؤسسة على التنويه بهذه الأصول الأولية في الاسلام فانها تؤثر في العقول والقلوب بوصفين : أولهما بوصف أنه دين ، وثانيهما بوصف أنه إصلاح عالمي عام . فالاسلام كدين لا يحتاج الى أكثر من أن يعرف التعريف الجدير به ، وهو انقياده على الفطرة الانسانية واستناده الى العقل والعلم ، يحل من الأفئدة محل الحقائق الأولية ، فلا يكاد يجد مقاومة إلا من أسرى الأهام الذين لا يبالون بأحكام العقل ومقررات العلم . والاسلام كإصلاح اجتماعي ، نظام بالغ أقصى درجات سمو ، بل هو أرفع مثل أعلى يتطلبه نظام الاجتماع ، وتنمض الى كل نفس نقية من شوائب الحيوانية . فمن من الناس من لا يحب أن تملو كلمة الله في الأرض ، وأن يسود الحق فيه سيادة يسقط معها كل باطل ، ويضمحل كل زور ، وتزول جميع الفروق بين الناس ؟ فلنعمل مجتمعين على بيان هذه الحقائق بكل وسيلة يصل اليها إمكاننا ، وقد وعد الله تعالى ببيانها فقال : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » .

هذه خاتمة المقالات التي نشرناها تحت عنوان (مهمة الدين الاسلامي في العالم) .
فخرجو لله أن يوفقنا لبحث إسلامي جديد في ناحية من نواحي هذا الدين القويم ،
والله يهدينا الى سواء الصراط م

محمد فرير ومري

التفسير

سورة الرعد

- ٩ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (أَقِمْنَ يُدْسِلَنَّ أَنْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْخَلْقَ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ،
لَمْ يَتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُصُونَ الْعَيْثَ ، وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يَوْصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ، وَالَّذِينَ
صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الْآدَارِ ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عَقَبَى الْآدَارِ) .

قد طالعت من أول السورة هذه الآيات البينة ، بل الكواكب الساطعة والأنوار
اللامعة ، وبجلت لك الحجج البالغة والبراهين الدامغة ، فلم يبق إلا أن تكون هناك
عيون تبصر وقلوب تعقل ، فهل يستوى من أبصر الهدى والرشاد ، ومن همت
بصيرته فلم ير ما أمامه وسر يتعبط في ظلمات الجهالة ؟ هل يستوى من اهتدى فغنى
وسلم ، ومن ضل فضاقت عليه الفوائد التي عرضت عليه ، وكان جناها ذاتي القطوف بين
يديه ؟ هل يستوى من سار السير السوي وسلك الطريق الرضى فوصل إلى السعادة

ورزق الحسنى وزيادة، ومن تنكب الصراط المستقيم وسار بحدّ وهو كلما حدّ في سيره
 ابتعد عن قصده، ورءا، خبط في سيره فأثلف على نفسه ما قد كان سليماً له، حقاً إنه
 لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون. وليس الذي يعلم أن ما أنزله الرب الكريم
 الرحمن الرحيم هو الهدى والرحمة المهداة فأحذه شاكراً، كذلك الأعمى الذي يضع يده
 على ما يظنه مطلبه وإذا هو يقبض على آفة مهلكة، ويشتط في السير وإذا هو يتردى
 في بئر. ولا يتذكر وينتفع بالذكرى إلا أولو الأبواب والعقول للصافية الخالصة، كما
 قال تعالى: «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد». وعسى أن
 لا تغفل عن حسن موقع الفاء في قوله «أفمن يعلم» فإن معناها أبعد ما سمعت من تلك
 الآيات البيّنة والأمثال الحكيمة، وبعد أن تجلى الأمر ووضع الصبح لدى عيني
 يتوهم استواء الأعمى والبصير.

قال تعالى: «الذين يوفون عهد الله ولا ينقضون الميثاق» الآيات:

هذه الآيات والتي بعدها في قوله تعالى: «والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه»
 تفصيل وتصرّح بما تضمنه هذا المثل الجليل المذكور في قوله عز من قائل: «أفمن يعلم
 أن ما أنزل إليك من ربك الحق» الخ، فالجملتان مستقلتان بالقائدة كل في بابها،
 ولكنهما بسبب متبن من ذلك المثل السابق، حتى ظن بعض المفسرين أن قوله: «الذين
 يوفون» الخ يدل من قوله «أولو الأبواب» أو من قوله «أفمن يعلم أن ما أنزل» الخ.
 وهذا من شدة الارتباط بين المثل على إجماله، وبين ما سبق لشرحه وتفصيله، وإنما هما
 جملتان كما سمعت، وأولاهما فيها مبتدأ موصوف بنوع صفات بيّنة، وخبره هو قوله:
 «أولئك لهم عقبي الدار»، وثانيتهما مبتدؤها قوله: «والذين ينقضون عهد الله» الخ،
 وخبره قوله: «أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار». ولكن الآية الشريفة في القرآن
 الكريم تراها من قوة الارتباط كأنها كلام واحد وجملة واحدة، فتنتقل في فوائدها
 للتنوعة المتكررة، وكأنك لا تزال في الكلام الأول. وهذا من أقوى الليزات التي
 امتاز بها القرآن الكريم.

قلنا إن النوح الأول قد جاء موصوفاً بتسع صفات جليلة ، ونحن نجلوها لك
مفصلة .

الأولى قوله تعالى : « يوفون بعهده الله » وقد نقل في تفسيرها قولان : (الأول) من
بن عباس أن المراد بعهده الله ما عقده على أنفسهم من الاعتراف بروبيته ، وهو ما أشير
إليه في قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على
أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » . و (الثاني) أن المراد بالعهده ما أقام الله الحجة العقلية
أو السمعية على صحته في المعتقدات ، وصلى طلبه في الأعمال حتى صار كأنه عهد بين الله
وبين عباده . ويقرب من هذا أن المراد بالعهده الشرائع التي أصر الله بها عباده ، فقد
أقام عليها حجته ، وقررها بآياته على السنة رسلة عليهم السلام . ولقد يلوح لي أن القولين
مرجهما واحد ولا خلاف بينهما ، فلقد سبق في هذه المجلة أن بينا أن ما أشهد الله
بنى آدم عليه واعترفوا به في قوله : « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » هو
ماركبه في فطرهم من إدراك ما م عليه من حاجة إلى تعهد القدرة الإلهية لهم بالإيجاد
والترية والتكميل ، وما أودعه فيهم من الشعور بأنهم لاقيام لهم إلا بإرادة الخي القيرم ،
ولا كمال لهم إلا أن يؤنهم الله الكمال من واسع رحمته ، وأن كل شئ فيهم شاهد بأن
ربهم الله ، ولا متصرف فيهم وفي هذا العالم أجمع إلا هو وحده لا شريك له ، فتكون
شهادة حال على ما بيننا ذلك مفصلاً في موضعه ، فليطلبه من أراد الاستيفاء والاستقصاء
في هذه النقطة الدقيقة من موضعه في الجزء الأول من هذه السنة .

والقول الثاني ، وهو كما قلنا راجع إلى هذا القول ، أن المراد بعهده الله ما أقام الله
تعالى الحجة القاطعة على صحته أو على لزومه ووجوبه ، وذلك بشمل جميع التكاليف .
وكان التمييز عنها بأنها عهد الله إشارة إلى أنه لما كان من شأن العبد الخاضع لربه أن
يعترف بما قرر حقيقته ، ويمثل ما أوجبه وفرضه ، وأنه لا مندوحة له أن يكون مطيعاً
لخالقه ، ومن رحمة الله بعبده أن يشهده بالهداية والإرشاد ، كان ما يقوم عليه البرهان

القاطع والحجة البينة بمثابة عهد رتضاه الطرفان وأقرأ بينهما ، ويكون القيام به امتثالاً وانتهاء واعترافاً ، وفاء بذلك العهد الذى يتبنى أن يكون مستقراً لا معاملة بين العبد وربه . هذا ولا شك معنى عام شامل لكل فروع الشريعة وأصولها ، فإنا من باب من أبواب لشرع ولا فضيلة فى الخلق ولا عدالة فى المعاملة ولا مجاملة فى المعاشرة إلا وهو داخل فى عهد الله ، والقيام به من باب الوفاء بعهد الله . وإنك لتجد فى إضافة العهد الى الله من تربية الداعية للامتثال والخضوع على لوفاء ما هو غنى عن البيان ، فهو عهد إن لم يكف فيه أنه عهد فيكفيه أنه عهد الله . ولفظ الجلالة متضمن لكل صفات العظمة والجلال ، فهو يجمع الصفات المجلية فى أسمائه الحسنى عز وجل ، وأيضاً فإنه لا يسمى الشخص موفياً بعهد الله إلا إذا قام بكل ما كلفه به الله ، فإن من حلف على أشياء لا يخرج عن الحنث ولا يسمى باراً فى يمينه إلا إذا أتى بها جميعها ، فلا إخلال بشئ واحد منها يسمى مكثاً لليمين وحنثاً فيه ونقصاً للعهد .

الثانية من الصفات التسع ما ذكر فى قوله تعالى : « ولا ينقضون الميثاق » وهو وإن كان قريباً من الوصف الأول وهو الوفاء بعهد الله إلا أن بينهما شيئاً من الفرق ، فالأول ظاهر فيما أمر الله به ابتداءً ، والثانى يتبادر منه ما أكده المرء بميثاق أعطاه على نفسه ، سواء أكان فيما بينه وبين ربه كالأيمان والنذور ، أو بينه وبين الخلائق كأنواع العقود والمعاهدات . وأيضاً فإن قوله : « ولا ينقضون الميثاق » فيه تأكيد لاستمرار وفاء العهد المستفاد من صيغة الجملة الفعلية التى للاستقبال ، فقد قرر علماء البلاغة أنها تشير بالاستمرار ، ولكن التصریح بأنهم لا ينقضون الميثاق أوفى بالدلالة على ذلك .

ولقد جاء الحث على وفاء العهد والتنفير من نقض المواثيق فى غير ما آية وحديث ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقال تعالى : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » وقال تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة »

فَانِذِرْ لَهُمْ عَلَى سَوَاءٍ ، أَيْ فَآذَنِهِمْ بِأَنْ مَا يَنْتَظِرُكَ وَيَنْتَظِرُ مِنْهُمْ مِنْ عَهْدٍ قَدْ نَبَذَ بِسَبَبِ مَا بَدَأَ مِنْهُمْ ، وَلَا تَأْخُذْهُمْ غِيْلَةٌ وَعَلَى غُرَّةٍ . وَرَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » وَرَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ : « ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصِمْتَهُ : رَجُلٌ أَعْطَى عَهْدًا ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا اسْتَوْفَى عَمَلَهُ وَظَلَمَهُ أَجْرَهُ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حَرًّا فَاسْتَرْقَى الْحَرَّ وَأَكَلَ لَحْمَهُ » .

وَتَكَادُ نَجْمُ الْعُقُولِ وَالشَّرَائِعِ عَلَى اسْتِنْكَارِ الْغَدْرِ مِمَّا كَانَتْ دَوَاعِيهِ وَفَوَائِدُهُ ، رَوَى أَنَّ مَلَكًا أَعْيَاهُ خَارِجٌ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرِ بِدَأً مِنْ أَنْ يَثْمَنَهُ لِيَأْمَنَ شَرَّهُ ، فَوَثَقَ بِهِ الْخَارِجَ وَأَسْلَمَ قِيَادَهُ ، فَغَدَرَ بِهِ ، فَلَمَّا اشْتَقَى مِنْهُ وَأَمِنَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ خَاطَبَ بِمَضْ خَوَاصِهِ مَبْتَهَجًا فَقَالَ : كَيْفَ رَأَيْتَ ، لَقَدْ اسْتَرْحَنَّا مِنْ هَذَا الْخَارِجِ ، فَأَحَابَهُ بِأَنْ مَا خَسِرَهُ الْمَلِكُ أَضْعَافَ مَا دَبَحَهُ بِالرَّاحَةِ مِنْهُ ، فَقَدْ أَضْعَفْتُ الثِّقَةَ بِعَهْدِكَ فَلَا يُطْمَئِنُّ إِلَيْكَ بَعْدَهَا أَحَدٌ ، فَكَانَ سَبَبًا عَظِيمًا لِأَسْفِهِ وَتَدَامَتِهِ .

الصفة الثالثة ما ذكر في قوله تعالى : « وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يَوْصَلَ » . وهذا وصف عام يتناول أحوالا عديدة قد أَمَرَ اللَّهُ بِصِلَتِهَا ، ففيه صلة الرحم ، وصلة القرابة ، وحسن الجوار ، وإكرام الجار ، ومراعاة حقوق أخوة الإيمان المذكورة في قوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » وفيه صلة الأغنياء للفقراء بالإحسان إليهم ، والعطف على الأيتام والحنو عليهم ، وفيه التوادد بين الناس ، وفيه وهو من أعظمها صلة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمناصرة والمؤازرة ونصرة دينه ، ومحبة حتى يكون حب إليه من أهله وولده والناس أجمعين ، بل أحب إليه من نفسه ، وفيه وهو أهمها صلة الإيمان بالعمل والإحسان . فإذا قيل في تفسير الآية بواحد من هذه المذكورات فالآية متسمة لجميعها ، ولا وجه لتضييق الفائدة مع اتساع الآية للجميع ، فيدخل فيه جميع الحقوق الواجبة الرعاية بين العباد ، بل حتى الرفق بالحيوان وما مائل فذلك .

ولقد يقال : أليس هذا داخلا في الوفاء بعهده الله وعدم نقض الميثاق ، لا سيما إذا فسر العهد بالشرائع التي أمر الله بها ؟ أليس هذا وما بعده داخلا فيما أمر الله به في شرئعه ؟ وجوابه أن هذا تقرير وتصحيح على أمم الأمم التي قد يغفل عنها بعض المكلفين مع أهمية شأنها ، ومقام الإرشاد وتربية النفوس لا يكفى فيه عام من خاص ولا يحمل عن مفصل ، فذكر هذه الصفة وما يمددها للإشادة بها ، وتربية النفوس على الأخذ بها والتزامها .

الرابعة والخامسة مافي قوله تعالى : « ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب » . والمعنى فيهما أن هذه الصفات السابقة على جلالاتها إنما تكون موجبة لرضاء الحق واستحقاق المثوبة ودخول صاحبها في أولى الأبواب المذكورين الذين علموا أن ما أنزل اليك من ربك الحق ، إذا كان الباعث لهم على الإتيان بها خشية ربهم وخوفهم من حساب يوم يقوم الناس لرب العالمين . والخشية والخوف متقاربان في المعنى وإن فرق بعضهم بينهما ببعض الفروق ، مثل أن الخشية خوف يصعبه تعظيم وإجلال للمعشى وإن كان الخاشي أيضا عظيما ، والخوف يرجع الى ضعف الخائف وإن كان المخوف منه أمرا يسيرا ، ومثل أن الخشية ترجع الى من يصدر عنه الأمر الضار للوالم ، والخوف يتعلق بنفس ذلك الأمر للوالم أو بمصدره ، تقول : خفت الأسد وخفت اغتياله ، وتقول : خشيت الأسد ، ولا يقال خشيت اغتياله إلا على وجه التوسع ، غير أن الاستعمال الفصيح قد جاء فيه الوجهان ، فقد قال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » ، إلا أن إشعار الخشية باستعظام المعشى منه ، والخوف باستصغار الخائف أمر نفسه ، يكاد يكون واضعا في أغلب الاستعمالات . وقد عرفت أن المراد بهذين الوصفين لفت للنظر الى أن محل الاعتداد شرعا بما ذكر من الصفات إنما هو حينما يكون الباعث عليها امتثال أمر الله .

الصفة السادسة مافي قوله تعالى : « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم » . والصبر

ملاك العبادات ، بل يجمع الفضائل كلها . وقد ورد فيه « الصبر نصف الايمان » .
وقد ذكر في القرآن الكريم نيفا وسبعين مرة . ولقد قيد بقوله « ابتغاء وجه ربهم »
لأن الصبر كثيرا ما يدعو اليه دواعى من حفظ النفس ، كالصبر نجلدا ، والصبر
حبا للمعدة ، والصبر انتقا شتاة الأعداء ، والصبر لعله أن الجزع لا بعيد عليه
فائتا ، وليس شئ من هذا بالصبر المحمود في نظر الشرع ، وإنما الصبر الذى أثنى الله
عليه وحث عليه ودعا اليه هو الصبر ابتغاء وجه الله أى طلبا لمرضاته ، ويقع هذا على
وجوه : أحدها أن يصبر على البلاء ، لأنه قسمة من الحكيم العلام يجب الخضوع لها
والإذعان رضا بحكم قائمها . وثانيها أن يصبر على ما يكرهه لعله أنه من تصرفات
الحكيم العليم الذى لا يفعل إلا عن حكمة ، وكل ما صدر منه فهو خير وجيل في ذاته
وموفق للمصلحة العامة والنظام العالمى ، فيكون جمالا مرضيا محبوبا . وثالثها أن يصبر
لأن الله أمره بالصبر ، فهو يرحو ثواب الله بامثال أمره . ورابعها ، ولعله أعلاها ،
أن يصبر عن رضا بل عن حب لمن اختصه بهذه التصرفات ، فهو يرى فيها نذ كيرا
بالعظمة الإلهية ، فينتقل نظره من البلية الى المبتلى بها فيستغرق في شهوده ويتلذذ
بتذكره ، على نسق ما يقول المهب لطيبه : هذه هي الكلمة التى يلد لهاسمى وإن ضمنت
شتمى . ولعل هذا المقام الأخير يستشعر به من قوله تعالى : « ابتغاء وجه ربهم »
فكأنهم رأوا فيها أصابهم ما يجعلهم يحضرون كل تفكيرهم في تذكر جلال ربهم حتى
كانهم يشاهدونه ، فهم يتنفون بالصبر شهود وجه ربهم ، وهذا مقام ذوق من ذاقه
عرفه . نسأله تعالى أن يجعلنا من أهل معرفته .

وبحسن أن تنبهك لما في اختيار صيغة اساضى في قوله « صبروا » من الإشارة الى
أن فضيلة الصبر ينبنى أن تكون حاصلة مستقرة ثابتة لا تزول ولا تنزل ، وأما لآمال
التي سبقت فمبر عنها بصيغة المضارع لأنها تتجدد حيناً بعد حين لكل مناسبة
كالوفاء بالعهد ، ووصل ما أمر الله به أن يوصل .

الصفة السابعة والثامنة ما في قوله تعالى : « وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية » وإن أكثر ما تذكر الصلاة بلغظ إقامه ، للإشارة الى أن المطلوب في الصلاة استيفاء أركانها وإقامة أعمالها حتى تكون كالبناء المتأسس الفاسد على أحسن حال وأجل هيئة . وحديثك في هذا ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أساء صلاته : « صلّ فإنك لم تصل » فقد جعل العمل الذي لم يستوف ما طلب منه هدرا ملغيا كأنه لم يكن . وكذلك أكثر ما تذكر الصلاة مقترنة بالزكاة . وهذا ما جاء هنا في قوله : « وأنفقوا مما رزقناهم » وفي التعبير بقوله : « مما رزقناهم » تربية لدعية الإيفاق ، فكأنه يقول لهم : إن ما دعواكم للإيفاق منه هو رزق أعقدناه عليكم فلا عذر لكم في مخالفة أمرنا والشع به على عبادنا

وقوله : « سرا وعلانية » لبيان أن الإيفاق على كل حال حسن جميل ، وقد يطلب كل منهما في مقامه اللائق به ، فربما كان الإيفاق في السر أفضل حينما يخشى لرباه أو يكون النفاق عليه يستحي ويتأذى من إعلان إعطائه ، وقد يكون الإيفاق علنا أفضل كما إذا ظن أن عمله سيكون قدوة حسنة لغيره . ومنهم من حمل الإيفاق سرا على الصدقة النافلة ، والإيفاق علنا على الزكاة المفروضة ، وهو وجه أيضا ، وقد جاء في حديث « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » : « ورجل أنفق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

الصفة التاسعة في قوله تعالى : « ويدرءون بالحسنة السيئة » . ومعنى يدرءون يدفعون ، وذلك أيضا يحى على وجوه ، فثما أن يقابل الشر بالخير كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس الإحسان أن تحسن لمن أحسن اليك وإنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء اليك » . ومنها أن ينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة . ومنها أن يستل بنفس المبغض بالمعروف حتى يصبره خيرا بعد أن كان شريرا . ومنها أنه إذا بدرت منه سيئة أتبعها بالحسنة حتى يغفرها الله له « إن الحسنات يذهبن السيئات » .

هذه هي الصفات التي وصف الله بها عباده المتقين بعد أن وصفهم بأنهم أولو الأبواب الحقيقون بأن يتذكروا وتنفعهم الذكري، والجديرون بأنهم علموا أن ما أزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من ربه هو الحق. وقد أخبر عنهم بعد ما ساق صفاتهم الجليلة ونمونهم الجليلة بأن لهم عقي الدار. وإعادة ذكرهم بقوله « أولئك » كأنه يشير إليهم حتى يرفع العقل شاخصين بصفاتهم السابقة، فيفيض عليهم هذا الجزاء الأول من أجل تلك الصفات التي جلاهم بها .

ومعنى عقي الدار : العاقبة الجليلة لهذه الدار التي لا تخلو من الأكدار، فهي عاقبة خالية من أكدار هذه الحياة، وهي عاقبة خالدة مستقرة، فهي الحياة الحقيقية، وأما هذه الحياة فهي متاع زائل، وإن الدار الآخرة هي الحيوان. فهذه الكلمة على حد قول الناس في مخاطبتهم : فلان هو الفائر في النهاية، هو الذي كسب آخرًا، وأمثال ذلك، والله المثل الأعلى .

وأردفها بقوله تعالى : جنات عدن، وهي منزلة وسط الجنة، أو جنات عدن بمعنى الإقامة والاستقرار، من عدن بالمكان أقام به واستقر فيه، ومنه المعدن لاستقرار الجواهر والنفائس .

قال تعالى : « يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم »، وهما هنا يتبادر أن تقوى الآباء تفيد أبناءهم وأزواجهم وذرياتهم إذا كانوا صالحين أي مؤمنين وإن قصروا عن أعمال آبائهم بمض التقصير، فيصح أن يكرم الله عباده الأتقياء الصالحين برفع درجات ذريتهم وأزواجهم إلى منازلهم وإن قصروا عنهم، حتى يكون للتكريم وجه، فإنه إذا كان الدراري لا يتألون تلك المنزلة وهي جنات عدن إلا إذ عملوا لها العمل الكامل، فمن أين يكون تكريم آبائهم بتكريمهم؟ فهم حينئذ يكونون قد أكرموا لأنهم استحقوا ذلك بأنفسهم. نعم قيد الصلاح أي الإيمان لا بد منه، لقوله تعالى : « ومن صلح » ولا يمنع هذا قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »، فإن هذه

المنزلة التي نالها أولئك المؤمنون للقصور ، نالوها بفضل من الله لا باستحقاق ، وفصل
الكرام واسع ، وإن كان لا ينبغي الاعتماد على هذا والاستخفاف بالتكاليف ، فانه
لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

وقوله تعالى . « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب » إشارة الى التكريم والفحبة
التي يمنحهم الله إياها ، حتى يفوزوا بالنعيم والشكر . وقوله : « من كل باب » ، يحتمل أن
يكون إشارة الى سعة ما أعد لهم حتى صار له أبواب عدة يتوافد عليهم منها الملائكة
للنعمة . ويحتمل أن تكون الأبواب إشارة الى تعدد أبواب البر والخير والتقوى التي
قاموا بها في دنياهم فاستحقوا بسببها نعمة الملائكة وتوافد عليهم .

وقوله : « سلام عليكم بما صبرتم » أي يحبونهم بهذه المقدرة ، وكان اختيار السلام لأنه
يعني الأمان من كل ما يخاف . فسكانه يقال لهم : قد أصبحتم بآمن من كل المخاوف ،
فلا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون .

وقوله : « بما صبرتم » إنما خص الصبر بالذكر لما قلعت لك من أن الصبر عماد
التكاليف كلها وقطب دائرتها ، فما من تكليف إلا ومرجه الى الصبر على عمل شاق ،
أو الصبر عن مشتهى يميل اليه النفس . « فنعم حقبي الدار » ثناء أجل ثناء على ما فازوا به
بما صبروا .

نسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرةهم ، وأن يحققنا بصفاتهم ، إنه سميع الدعاء ،
عجيب النداء ، يحقق الرجاء . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي ، وعلى آله وصحبه وسلم

إبراهيم الجبالي

رؤية الهلال

عند الغروب وبعد الفجر

- ٢ -

ذكرنا في مقالنا السابق أن الإسلام يشترط أن يأخذ بالظواهر ولا يكلف الناس شططا، وغايته التي يرى إليها من قرب أو بعد هي إصلاح القلوب وغرس مرافقة الله فيها، وأبغض الأشياء إليه هو الفرقة والانقسام، ولذلك وسع الناس جميعا على اختلاف أنظارهم وتباين آرائهم وتنوع اجتهداتهم، علما منه بأن الله لم يخلق الناس على استعداد واحد . بل بينهم من التفاوت في الاستعداد والتعالف في التكويّن والتباين في الدرجات والاختلاف في الآراء والأنظار ما لا يعلمه إلا الله تعالى . ونصحتنا فيها المفطرين الذين عملوا بحكم الماضي الذي شهد أمامه شهود المساء برؤية هلال شرال ، وللمساءين الذين يقولون إنهم رأوا الهلال صباحا واعتقدوا أن اليوم من رمضان .

نصحتنا لهم جميعا ألا يتنازعوا فيمضوا وتذهب رءسهم، وقلنا إن كلا يعمل على اعتقاده وما أداء إليه اجتهدده . ونصحتنا للنقاش أن يتحوى ومحتاط ، فإن عليه تيمة كبرى إذا تهاون في ذلك ، وعلى القضاة أن يعرفوا أحوال الناس ، وأن يكون لهم فراسة صادقة ، وبصيرة نافذة ، بحيث لا يخفى عليهم أحوال المجتمع الذي هم فيه . هليد فقوا في أمر الشهود ، وليسلموا أن لأمر جليل والخطب كبير والناقد بصير .

وقد أذكرني ذلك قول بعض المفسرين في قوله تعالى : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » : إنما نهاه الله عن اتباع الهوى بعد أن أمره أن يحكم بالحق لأن الحكم بالحق لا يخرج عن المسنوية إلا إذا حكم بالحق لأجل كونه حقا ، فإذا حكم به لأجل كونه موافقا لهواه لا لكونه حقا ، لم يكن من قضاة الحق بل من قضاة الهوى .

ولذلك ذكر لك بعد ذلك الخلاصة التي يجب التمسك بها في رأينا ثم نعمتها بكلام بعض العلماء ، فنقول :

خلاصة الرأي الذي ترتب عليه أنه لا يمكنني بحال من الأحوال أن أقول إنه يصح للإنسان أن يقدم على أمر وهو يعتقد حرمة ، أو أن يخالفه وهو يعتقد وجوبه ؛ ولا أن أقول إن الدين يخالف حقيقة علمية قررناها لعلم وقام عليها البرهان ؛ ولا يصح أن نعرض الدين لهزله الهازئين وسفريه السافرين في عصر لا داعي للإطراب في شرحه وبيان ما فيه .

ولا نزال نكرر أن الله لم يكلفنا بالواقع ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . وقد قررنا أن المجتهد يجب اتباع ظنه ، ولا يجوز مخالفته . وذكر الفقهاء أن من رأى طيراً خلف بالطلاق أنه غراب مثلاً ، فنظر إليه آخر فحلف بالطلاق أنه حدة ، ثم لم يتبين أمر ذلك الطائر ، لم يحكم بوقوع الطلاق على واحد منهما ، حيث لم يحلف إلا على اعتقاد لم يتبين خلافه .

ولو سافر ثلث واشتبهت عليهما جهة القبلة وتخالفا في أمرها لوجب على كلٍ الأخذ بما أدى إليه اجتهاده ورأيه ونحوه ، ولا يجوز لأحدهما أن ينسكرك على صاحبه . فإن هذا هو الواجب في حق كل منهما ، ولا لوم على من فعل ما وجب عليه . فإن مبنى الدين على إظهار العبودية والامتثال لأوامر الربوبية . وماذا تريد من التسامح بعد ما قل كثير من العلماء : إن الحق يتمدد ؟ فإن الواجب في حق كل مجتهد ما أداه إليه اجتهاده .

وسر ما ينتبه في التمسك من أن الله يعلم ضعف البشر ، فلم يكلفهم بإصانة الواقع ، وإنما كلفهم أن يحترموا أوامره ويحفظوا نواحيه ، ولا يخرجوا عليه ولا على رسوله فيما يعتقدون .

أما من كان بعيداً عن تلك المباحث ، ولم يقع في نفسه صدق إحدى الفرقتين وكذب الأخرى من أولئك الرائين ، فعليه أن يتبع حكم الحاكم ، ويكون مع السواد الأعظم .

ولا يفوتنا أن نقول :

إن الشافعية يرون أن الحاسب يعمل بمقتضى حسابه في حق نفسه . وكذلك من فله مصداق له في حسابه معتقدا أنه لواقع . ولقد أرى أن التقليد في مثل هذا إذا أمكن أن يرفع به الخلاف ويحصل به الوفاق أولى من الفرقة والانقسام والتنازع بالألقاب . ولا أزال أكرر أن الله لا يفيض شيئا مثل الشقاق والانقسام ، ولا يحب شيئا مثل الألفة والوئام ، وقد كانت وجوه الخلاف على عهد السلف الصالح لا تكاد تنحصر ، ولم يكن بينهم تباغض ولا قتال ، فكانوا وروثة الأنبياء حفا يحب بعضهم بعضا ويثني بعضهم على بعض .

وقد طلب المتصور من الإمام مالك أن يحمل الناس على الموطأ فأبى ، علما منه رضى الله عنه أن الأمر في الفروع حين ، وأن الظن فيه كاف ، وأن الخطأ فيه مأجور ، وأنه يجوز أن يكون الصواب مع غيره لا معه . وهذا هو شأن أئمة الهدى ، العارفين بأنفسهم وضعفها ، العالمين بساحة الشريعة وسعتها .

هذا ما أملاء على واردة الوقت بدون مراجعة ولا تمق . ولا أزال أكرر أني أحب من القضاة أن يتعمروا غاية التحري ، فإننا في زمان كثير فيه الزور وطم فيه القبحور . وبعد كتابة ما تقدم رأيت في المسألة نصا صريحا لابن عابدين الحنفى في حاشيته على الدر المختار ، وكذلك لمولانا الشيخ محمد عlish في فتاويه ، فرأيت من النصيحة لدين أن أنقل ذلك للقراء وإن حالف ما تقدم لنا . واليك ما قال ابن عابدين :

« أما إذا رثي يوم التاسع والعشرين قبل الشمس ثم رثي ليلة الثلاثين بعد الغروب وشهدت بينة شرعية بذلك ، فإن الحاكم يحكم برؤيته ليلا كما هو نص الحديث ، ولا يلتفت الى قول النجيين إنه لا يمكن رؤيته صياحا ثم مساء في يوم واحد . وكذا لو ثبت رؤيته ليلا ثم زعم زاعم أنه وآه صبيحتها فإن القاضي لا يلتفت الى كلامه . »

وفي فتاوى مولانا الشيخ محمد عlish ما يتفق هو وما ذكره العلامة ابن عابدين

في النتيجة وطرح كلام المنجمين . (وبعض العلماء يحتاج بقوله عليه السلام : « نحن أمة أمية » الخ ويمكننا أن نجعل لحديث حجة لنا ، فإنه يشير الى أننا إذا أصبحنا غير أميين تغير الحكم ووجب أن نعمل بما يقتضيه العلم) .

ولكنني بعد هذا كله مصمم على ما قلته أولاً من أن الدين الاسلامي لا يخالف حقيقة علمية متفقاً عليها متى تبينت ، فليكن البحث والتحري من تلك المقررات التي أجمعوا عليها مدى المصور والدهور .

ومسألتنا مسألة محسوسات ومشاهدات لامسألة تنجيم وتخمين . فإن ادعى مدع أن المشاهدات على غير هذا فعليه البيان . والدين الاسلامي لا يناقض الحقائق على كل حال متى تبينت . وهؤلاء العلماء مع إجلالي البالغ لهم ، أقول إنهم ليسوا إخصائيين في علم النجوم . وقد قال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . مع ملاحظة ما تقدم لنا من أن هناك أموراً غلبية أو تخمينية لا يجوز الأخذ بها ولا التمويل عليها ، وأموراً قطعية لا شك فيها لا يجوز إهمالها ولا المدول عنها . (وعدم رؤية الهلال في الصباح والمساء آخر الشهر مما أجمعوا عليه) . ولا نفس ما قدمنا لك من أن كل إنسان في الفروع يعمل بما وصل اليه بحسب وانطوى عليه اعتقاده ، فلا يصح له مثلاً أن يفطر وهو يعتقد وجوب الصوم ، ولا أن يصوم وهو يعتقد وجوب الفطر . ومن لم يتكوى له اعتقاد فعليه باتباع السواد الأعظم وما فاضى به القاضى ، الى آخر ما أسلفناه .

فالدين الاسلامي يسع ذلك كله ، وليس يريد من الناس إلا أن يحترموا أوامر الله فيما يعتقدون ولا يخرجوا عليها . ولا يمكننى أن أحيد عن ذلك . وليختر كل ما شاء . ولا أزال أكرر أنه لا بد أن نفرق بين ما هو قطعى عند علماء النجوم وما هو غنى أو تخمينى . غير أنى أرجو ألا يتنازعو ذلك التنازع الذى يكرهه الله ورسوله .

والله يتولى هدايتنا جميعاً بمنه وكرمه

برسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

الاسلام والطب الحديث

كلام في المعجزات وخوارق العادات

لما كانت المعجزات بما فيها من خرق للنواميس الطبيعية والانفعالات النفسانية تدخل في اختصاص الطبيب أكثر من غيره ، جئت أخلص هنا ما وصلت اليه من قواعد أساسية في كل ما ورد في القرآن منها :

١ - المعجزات كلها من صنع الله مباشرة ، ومعناها سنة جديدة ، بخلاف كل ما تره يوميا من عظة وعظمة : كالولادة ونمو الحيوان والنبات ، فانه مع إعجازه يأتي مطابقا لقواعد ونظم وضعها الله لا تتغير .

وأظهر مثل النواميس الطبيعية حركة الشمس ، فإن ذلك مع عظمتها لا يحدث صدمة لتعودنا إياه ، ولكن إن أتى الله بالشمس من الغرب بدل الشرق كانت هذا معجزة بالنسبة للإنسان مع أن الحركتين من صنع الله ولا فرق بينهما .

٢ - لا نحصل المعجزات إلا على أيدي الأنبياء ، وذلك لأن صدمتها إن كانت شديدة على الحاضرين فهي أشد على من يكون واسطة فيها ، ولذلك اختار الله الأنبياء واصطفاهم .

٣ - لمنع الصدمة الشديدة وقت حدوثها بهي ، الله الظروف لتحملها ، وبهي ، النبي نفسه لقبولها ، وبهي ، الحاضرين شاهدها ، فأمر الله لسيدنا موسى بإدخال يده في جيبه وإخراجها فتكون بيضاء ليس إلا تهيئته للمعجزات الأخرى . وكذلك عدم استطاعة سيدنا زكريا الكلام ثلاثة أيام قبل حدوث الحمل عند امرأته .

وقد سبق الكلام على تهيئة الحاضرين والمستمعين ، وهذا هو السبب في أن المعجزات تظهر دائما ملطفة بمقادير مختلفة ، وهذا سر ذكر قصة سيدنا زكريا قبل قصة سيدنا عيسى في سورة مريم .

٤ - ليس للعقل البشرى أن يحكم على أى المعجزات أعظم من الأخرى ، ولا أن يتكلم عن الطريقة التى تحصل بها المعجزات ، لأنه يتكلم عن شئ كله مجهول له ما دامت المعجزة من صنع الله ، وما دام الانسان وعقله من صنع الله كذلك على مقتضى سننه ، ولا يستطيع المخلوق أن يفهم السنة التى خلق عليها ، وإلا لا استطاع الانسان أن يخلق نفسه بنفسه ، وأن يتحكم فى خاق غيره .

وهنا يلاحظ أن كل للمعجزات لا يمكن أن يصل الى سننها الانسان مهما ارتقى ، وأغلبها ينتهى الى شئ واحد وهو خلق الحياة والروح مهما ظهرت صغيرة لأول نظرة ، فتلا إبراء عيسى للأعمى بظهره لأول وهلة أنه أقل من إحياء الموتى . والحقيقة أن المقصود بالأعمى هنا هو الأعمى الذى فقد شيئاً عضوياً لا يمكن استعاضته ، ومن أمكه استعاضة شئ ، مهما صغر حجمه أمكنه أن يستعاض السكل . وأما إبراء الأعمى الذى يشاهد يومياً فهذا يحدث فى الأحوال العصبية غير العضوية ، وبواسطة أطباء الميون ، وهو يحدث بإزالة أشياء تكون سبب العمى ، ولكن لا يمكن الأطباء أن يتحدثوا مثلاً إبراء الأعمى بإعادة عصب للمين من جديد الخ . وكذلك صنع أوجل جديدة ، والجراح يصنع رجلاً صناعية ، وبواسطة المضلات الباقية يستطيع الانسان أن يمضى عليها ، ولكن هذا الجراح لا يمكنه أن يصنع رجلاً من لحم ودم .

وصفة القول أنه لا يمكنه أن يصنع جزءاً حياً مهما صغر حجمه ، لأن الجسم بمجموع ملايين من الخلايا ، وصنع واحدة كصنع السكل ، وهذا معنى قوله تعالى : «لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له » ولذلك ستبقى المعجزات دائماً فوق قدرة الانسان . ويظهر لنا عظمها أو عدم عظمها بالنسبة لعقولنا فقط ، ولكنها كلها من نوع واحد . وما كان صنعه فوق إدراكنا لا يمكننا الحكم عليه .

وقد يقول البعض إن العلوم تتقدم ، وإنه لو كان بعض الاختراعات الوجودية الآن موجوداً فى مدة الأنبياء لعدت معجزات . وهذا القول دليل على أن الروح الحقيقى للمعجزات لم يفهم ، لأن كل الاختراعات العلمية تبنى على السنن الطبيعية ، وكلها مبنية

على قواعد علمية لا تتغير ، فاذا ظهر لها استثناء فإن سببه هو قاعدة علمية أخرى يبعث العالم عنها حتى يجدها ، فإن وجدها لا تنطبق على كل الاستثناءات وجد الخواارج من هذه الاستثناءات محكومة بسنة أخرى ، وهكذا الى ما لا نهاية . فالسنن الالهية أو القواعد العلمية (أو قواعد الطبيعة) كما يسميها الطبيعيون ، لا حد لها ، ولا تتغير أبدا . وما لا ينطبق على القاعدة الأصلية ينطبق حتما على قاعدة أخرى وعلى قواعد لا تتغير أيضا . وكل ما يظهر مدعشا في نتيجته من المخترعات مثل الكهرباء والتليفون والراديو وما سيظهر ، هو من الاستعانة بهذه القواعد . فالذي يتكلم في أوروبا ويسمعه آخر في مصر بواسطة الراديو ، استطاع ذلك لأن الهواء بطبيعته يحمل الصوت بصفة أمواج الى العالم كله ، فاستعان العلماء بهذه السفة الطبيعية وسفروها لأغراضهم . ولذلك مهما عظمت النتائج في المخترعات فإن طريق الوصول اليها سنة ثابتة ، ومثلها مثل من بحفر الأرض ويستعين بعاء المطر ويحوله نهرا يجرى ، فإنه لم يخلق نهرا ولكنه استعان بالقوى الطبيعية ، بعكس المعجزات فإنها من طراز آخر ، وهي مما صغرت نتائجها خلق سنة جديدة .

وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم . ولزيادة الإيضاح أضرب مثالا قصة سيدنا ابراهيم وعدم احتراقه بالنار ، فإن العلم بتقدمه يستطيع أن يعطى الانسان بشىء غير قابل للاحتراق ويضعه في النار فلا يحترق ، وهذا يشبه المعجزة ، ولكنه اختراع استعان صاحبه فيه بالنواميس الطبيعية . أما المعجزة فهي أن نضع الانسان كما هو جسا ولما في النار ، فيكون عدم احتراقه هنا ، أى المعجزة ، خرقا للسنة الطبيعية التى تقضى باحتراق الجسم إذا وضع في النار ، وأما نعطية الجسم منع اتصال النار به فإنه يظهر أن المخترع أمكنه منع النار من إحراقه ، ولكنه في الحقيقة منع النار من إحراق الجسم الخارجى الذى لا يقبل الاحتراق بطبيعته ، لأن جسم الانسان المغطى بمادة لا تحترق لم يتعرض للنار ، والفرق بين الاثنين ظاهر ، والفرق بين المخترع وصانع المعجزة مثل الفرق بين الحوى والمخترع . ويمكن تطبيق هذه النظرية في معجزة «ذى النون» لأن الانسان يمكنه أن يعيش أياما في الغوصات تحت البحر ، ولكنه يفعل ذلك بالاستعانة بالنواميس الطبيعية ،

وأما المعجزة فتكون بخرق القوانين . وهكذا مكث ذو النون في بطن الحوت بدون هواء صناعي ، معرضاً لأن يهضم ويتحول جسده مثل باقي المواد .

والطبيب الذي يعيد للقلب ضرباته ليس كمن يحيي الموتى ، لأنه استعان بالسنن الطبيعية . وأما إحياء الموتى فهو خرق لهذه السنن . ويتساءل كثيرون : هل المعجزات ضرورية ؟ والجواب أنها ضرورية لإيمان الإنسان بقدرة الله ، ولولاها لساد مذهب الطبيعيين ، لأن سنن الله لا تتغير أبداً ، وهذا ما يسمى «بالطبيعة» ولا فرق بين الاثنين . وثبات هذه القوانين ما ظهر منها وما خفي للآن شيء ، عدهش ، حتى إن الإنسان قد ينسى واضع هذه القوانين ويقول : ما الحاجة بي لأن أقول إن هناك صانعاً أزلياً مادامت هذه القواعد ثابتة على وتيرة وحدة ملايين السنين ؟ وهنا كانت حكمة الله في أن يخرق هذه السنن ليظهر للناس أن الصانع الأول موجود . ومثل ذلك مثل آلة الميزان تزن الإنسان إذا وقف عليها ووضع قطعة معدنية في ثقب فيها فتخرج ورقة عليها رقم وزنه ، فإذا فرضنا أنها محكمة الصنع لا تتغير أبداً آلاف السنين ، فإن الإنسان يشك في صانعها الأول ، ولكنه إن رأى أنها قد تخرج ورقة الوزن بدون أن يثقب عليها أحد ، وبدون وضع القطعة المعدنية فيها ، يقول : من يفعل ذلك ربما أمكنه صنعها ، وإذا رأى يوماً ما أن قطعة معدن صغيرة أصبحت أمام عينيه آلة صغيرة تزن الأشخاص ، أبقت أن للأولى صانعاً ، وهذا هو معنى صنع الطير من الطين ، لأن هذا تمثيل لخلق سيدنا آدم الذي منه خلق العالم الإنساني كله بالسنن (الطبيعية) الإلهية التي لا تبدل فيها .

وصفيرة القول أن أساس المعجزة وعظمتها ليس في نتائجها وغرائبها ، فالدهشة من سماع الأسكيتكم ربما كانت أقل من سماع الراديو لأول وهلة ، ولكن أهمية المعجزة في طريقة صنعها بدون السنن الاحتياطية ، وهي لذلك لا تتكرر أبداً إلا بإذن الله ، لأن الإنسان لا يصرف قاعدتها ولا يدرك طريقة صنعها . أما لاختراع فانه اكتشاف لناموس (طبيعي) ولذلك هو يتكرر دائماً في الظروف نفسها على يد كل إنسان .

دكتور عبد العزيز اسماعيل

نظرة

في تفسير قوله تعالى: «يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى»

الدكتور عبد العزيز اسمعيل ممن أتعجبهم مصر فكان لها فخرا، وكان لا يثنأها نفعا بما وهبه الله من نعمة التبريز في الطب والتوفيق في العلاج. ونرجو أن ينفعه الله أضعاف ما ينفع به.

لم نشأ أن يقف عند حد علاج الأجسام من أمراضها، بل أضاف الى ذلك مرة جديدة بضاعف الله مثوته عليها، وهى علاج النفوس من أمراض الجهالة، فاستعان بما تبهر فيه من علوم الطب وما يتصل بها على مباحث يحلوها للقراء في تفسير القرآن الكريم على حسب ما يرشد اليه العلم الحديث والاستكشافات الجديدة. والقرآن لا تنقصى عجائبه، وكلما ازداد الناس علما ازدادوا فيه استقباصا، وأنجلي لهم من أسرارهم ما لم يكونوا يعلمون. فنسأل الله أن يحزى حضرة الدكتور على ذلك خير جزاء.

ولقد قرأت له فيما قرأت كلمة في مجلة الأزهر ساقها في تفسير قوله تعالى: «يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى» قال فيها «قيل في التفسير: إنشاء الحى من النطفة والنطفة من الحيوان، ولكن النطفة هى حيوانات حبة وكذلك خلق الحيوان من النطفة فهو خلق حى من حى فلا تنطبق عليه الآية الكريمة على هذا التفسير»

ثم قال حصرته: «والتفسير الحقيقى هو «إخراج الحى من الميت» كما يحصل من أن الحى ينمو بأكل أشياء ميتة، فالمصير مثلا يكبر جسمه بتغذية اللبن أو غيره والغذاء شىء ميت، ولا شك فى أن القدرة على تحويل الشىء الميت الذى يأكله الى عناصر ومواد من نوع جسمه بحيث ينمو جسمه هو أم علامة تفصل الجسم الحى من الجسم الميت الخ». ونحن مع شكرنا لحضرة الدكتور هذه العناية التى لا يريد منها إلا خدمة العلم والدين، نلاحظ أن ما فسر به الآية الكريمة يعتمد مما يتبادر الى الذهن من لفظ (يخرج)

فإن الظاهر أن هذا الذي أخرج شيء جديد مستقل الوجود . لا أنه نمو وكبر لشيء موجود في الأصل ، وأن المشار اليه في الآية الكريمة هو قانون التوالد الساري في الحيوان . وإن شئت فقل : قانون التوالد في الحيوان والنبات . ذلك أن الحيوان المتولد قد تولد من شيء ، لا بد أن تنتهي سلسلة التوالد فيه الى حلقة ميتة ، فإن لم يصح أنها النطفة لأن النطفة حيوانات حية أو فيها حيوانات حية ، فليكن هو الغذاء الذي نشأت عنه النطفة ، ولاشك أنه شيء ميت كما قرر حضرة الدكتور . فإذا قبل أن الغذاء حيوان أو نبات وكل منهما فيه معنى الحياة في الجملة ، قلنا فلنرجع الى ما امتصه النبات حتى نماء ، فلا بد من لوصل البتة الى شيء ميت خرج منه هذا الحى ، وشاهد ذلك كل يوم . فالحياة تتجدد في الأحياء وتستمد مادتها في ماضى سلسلتها حتى تصل الى شيء ميت ، ولو كان هو التراب الذي يمد النبات .

وأما ما ذكره حضرة عن بعض المفسرين فلعل وجهه أن هذا هو ما كان معروفا للمخاطبين قبل انسام المعلومات الدقيقة الفنية . والآية تحمل على ما يفهمه جمهور المخاطبين بها . ومزية القرآن الكريم أنه صالح في الفهم والفائدة لكل الطبقات ، لا يتوقف فهمه على متعمق في العلم . فاذا ما كشف العلم حقيقة كانت غائبة تجلى فهم القرآن العظيم بظهور أرقى ، وهكذا لا تنقضى عجائبه . وما يدريك فلعل قائل يقول إن التراب الذي يتغذى النبات يحتوي على جراثيم فيها نوع حياة تهتز وزويجين ينزل عليها الماء فتغذى النبات فيخرج منها خروج حى من حى ، فنقول له حينئذ : وهذه الجراثيم خارجة من تراب ميت ، فلا بد أن تصل الى إخراج الحى من الميت . فالحياة ألبتة طارئة بمعد موت . وكما نطراً الحياة بعد الموت يطرأ الموت بعد الحياة ، فتعاقب لأطوار على المادة الواحدة بقدرة القادر المختار . وأطوارها متلاحقة ، ودرجات التفصيل بينها خفية ، فتفهم منها كل طبقة بحسب مقدارها كما بيناه في تفسير قوله تعالى : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » . والله أعلم

إبراهيم الجبالي

الحياة الأدبية عند العرب

وعدنا في المقال الثاني من مقالات « تاريخ الألفاظ » بالتحدث عن الحياة الأدبية عند العرب ، واختلاف لغاتهم ، وقيمة النصوص الأدبية المعزوة الى المصرا الجاهلي ، ووفاء بذلك الوعد نبداً هذا المبحث بهذا المقال :

القرآن الكريم أصدق المصادر في الإنباء عن حياة العرب باتفاق الموافقين والمخالفين ، ماذا حدثنا القرآن بشيء عن العرب أخذناه أخذ الوائق بصحته ، المطمئن الى صدقه ، ثم تتبع مقالات التاريخ والأدب ونمحص منها ما يغلب على الظن صدقه حتى فصل الى نتيجة علمية واضحة .

وصف القرآن الحكيم العرب بالفصاحة ، وذوابة اللسان ، فقال في قوم أظهروا الايمان والودادة ، وأضربوا الكفر والعداوة : « أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ فَأَذا جَاءَ الْخَرْفُ سَلَّوْكُمْ بِالْسِّنَةِ جِدَادٍ . وَنَعْنَهُم بِالطُّولِ فِي الْبَلَاغَةِ فَقَالَ : « وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ » . وَخَصَّهُم بِالْفُوقِ فِي الْبَيَانِ فَقَالَ : « وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَبَنَ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ » قَالَ الرَّحْمَنُ شَرِي - « وَكَانُوا بِحَضْرَتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْتَنْدُونَ فِيهِ ، وَلَهُمْ جِهَارَةُ الْمُنَاطَرَةِ ، وَفَصَاحَةُ الْأَلْسِنِ » . وَوَعْنَهُمْ بِقُوَّةِ الْعَارِضَةِ وَلِدَها : « وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ » وسجل عليهم اللد في الخصومة ، والجدل في المحاربة بقوله : « وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ، مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ » وبقوله : « فَأَتَمَّا يَسْرَنَاهُ بِلِسَانِكَ تَنْبَشِرُ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتَنْذِرُ بِهِ قَوْمًا لَدًّا ، وَذَكَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ أَوَّلُوا أَحْلَامَ وَنَهَى فَقَالَ : « أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ » قَالَ فِي الْكِتَابِ : وَكَانَتْ قُرَيْشٌ يَدْعُونَ أَهْلَ الْأَحْلَامِ وَالنَهْيِ .

والقرآن أيضا تحدى العرب أن يأتوا بحديث مثله لما بهتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول القرآن من عند نفسه ، فهل كانت تلك الأوصاف كلها ، وهذا التحدى للعرب وهم فارغون من أدب حتى يغذى عقولهم ، ويربى نفوسهم تربية أدبية تقوم على التفاضل بما يجلب الألباب ، ويستعمل الأسجاع ، من منطق حسن ، وكلام بليغ ، ويبيان بديع في فنون من المعارف الانسانية الأدبية ، يستحقون بها تلك الأوصاف ، ويصح أن يتوجه اليهم هذا التحدى ، وكيف يقع التحدى الصارم لقوم ذوى عي وحصر ، وضعف في المنة العقبية يعيشون عيشة أولية في حياة جاهلة بليسة ؟

ليس القرآن الحكيم كتاب خطابة يلقي بالقول على عواهنه ، وإنما هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ولكن بعض الباحثين يحلوهم أن يعثوا حول أدب العرب ، وتاريخ العرب ، وأن يصوروا أمة لا تنشر بالحياة إطلالة ، به حياة الأدب التى تليق بهم كأمة لها تاريخ عجيد ، وحضارة زهية يقول عنها بن خلدون : « وما كان لأحد من الأمم فى الخليقة ما كان لأجبالهم من الملك ، ودول عاد وثمود والمماثلة وحير والتبابعة شاهدة بذلك » . وقال فى موضع آخر : « وأما ليم والبحرين وعمان والجزيرة وإن ملكه العرب إلا أنهم تداولوا ملكه آلافا من السنين فى أمم كثيرين منهم ، واختلطوا أمصاره ومدنه ، وبلغوا الغية من الحضارة والترف ، مثل عاد وثمود والمماثلة وحير من بعدهم ، والتبابعة والأذواء ، فطال أمد الملك والحضارة واستحكمت صفتها ، وتوغرت المنافع فلم تبيل بيلاء لدولة » .

فإذا قال العرب : تلك آثارنا تدل علينا ، وهذا أدبنا بين أيديكم فافهموه ثم احكموا ، ازور هؤلاء الباحثون ، وأنفضوا ربوسهم قائلين . هذا شعر مصنوع منحول ، وذلك النثر باطل الأباطيل ، وتلك الشخصيات أبطال روائية انزعها الخيال انزعاعا

ولا وجود لها في التاريخ، وهذه مفارقة في البحث لا يسوغها النقد الدقيق للتاريخ إلا لمن يأخذون تاريخ العرب بعيدا عن منابعه، ويتلففونه من غير مصادر.

فالعرب قبل الاسلام لم يكونوا في حياة أولية ساذجة لا أثر للتفكير فيها، نعم وإنما كان فريق منهم في طور بداوة طارئ عليهم، غير متأصل فيهم. ولو تتبع الباحث أطوار الحياة الاجتماعية عند العرب لوجد لها حلقات متسلسلة آخذ بعضها بأطراف بعض، ولوجد فيها ملكا وحضارة ضلت آثارها قوة قائمة في اليمن والشام والعراق حتى جاء الاسلام، وأولئك الذين لحقهم الاسلام في طور البداوة لم يكونوا إلا سلالة هؤلاء الصيد الأماجد، فهم إما عدنانيون نشقت عنهم نعمة جرم اليمنية بتلقيح أزكى دم من أشرف بيت وأكرم أرومة في الأرض، أرومة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، وإما قحطانيون جاءوا الى الحجاز إثر حادث سد مأرب بعد أن رثعوا في مجبوحة الحضارة أزمان طويلة هذبت عقولهم، وصفت نفوسهم، وصقلت ألسنتهم، فكانت لهم معارف تليق بملكهم، وكان لهم أدب يناسب حضارتهم ورثوه أبنائهم من بعدهم.

وهل من المعقول أن تبلغ أمة من الأمم ما بلغه العرب من عظمة الملك في قديمهم كما قال ابن خلدون — ولا يكون لها من الثقافة الفكرية والمعارف الأدبية شيء، وتبقى حيث وصفها بعض الباحثين أمة جهلة؟ هذا بعيد، لا يقره التاريخ، ولا ترضى به أصول علم الاجتماع.

قال أحمد بن فارس في كتابه اللوسوم (باصاحي) : « وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها، وأنهم لم يعرفوا نحوها ولا إعرابا، ولا رفعا ولا نصباً ولا همزا. قالوا: والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له: أتهمز إسرائيل؟ فقال: إني إذا لرجل سوء. قالوا وإنما قل ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضمط والعصر. وقيل لا آخر: أتهمز فلسطين؟ فقال: إني إذا لقوى. قالوا وسمع بعض قصحاء العرب ينشد:

نحن بنى علقمة الأخيارا

ف قيل له : لم نصبت « بنى » ؟ فقال : ما نصبت ، وذلك أنه لم يعرف من النصب إلا إسناد الشيء ، قالوا وحكى الأخفش عن أعرابي فصيح أنه سئل أن ينشد قصيدة على الدال ، فقال : وما الدال ؟ وحكى أن أبا حية النخعي سئل أن ينشد قصيدة على الكاف فقال :

كفى بالثنائى من أسماء كاف وليس لسقمها إذ طل شاف

قلنا والأمر في هذا بخلاف ما ذهب إليه هؤلاء ، فإما من حكى عنه من الأعراب الذين لم يعرفوا الممز والجو والكاف والدال ، فإنما لم نزم أن العرب كلها مدرا ووبرا قد عرفوا الكتابة كلها ، والحروف بأجمعها . وما العرب في قديم الأزمان إلا كنحن اليوم ، فكل يعرف الكتابة والخط ويقرأ . والذي نقوله في الحروف هو قولنا في الإعراب والعروض . والدليل على صحة هذا ، وأن القوم تداولوا الإعراب ، أنا نستقرئ قصيدة الخطيئة التي أولها :

شافتك أعلمان لليب إلى دون ناظرة بواكر

فنجد قوافيها كلها عند الترنم والإعراب نجى ، مرفوعة . ولولا علم الخطيئة بذلك لآشبه أن يختلف إعرابها ، لأن تساويها في حركة واحدة اتفاقا من غير قصد ، لا يكاد يكون . فإن قال قائل : فقد تواترت الروايات أن أما الأسود أول من وضع العربية ، وأن الحليل أول من تكلم في العروض ، قيل له : نحن لا نتكر ذلك بل نقول إن هذين الملمين قد كانا قديما وأنت عليهما الأيام ، وقلا في أيدي الناس ، ثم جددهما هذان الإمامان ، وقد تقدم دليلنا في معنى الإعراب .

وأما العروض فن الدليل على أنه كان متعارفا معلوما اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا أو من قال منهم : إنه شر ، فقال الوليد بن المغيرة منكرا عليهم : لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقراء الشعر : هزجه ورجزه ، وكذا

وكذا ، فلم أراه يشبه شيئا من ذلك ، أتيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر ؟
انتهى كلام ابن فارس ، وإعناستناه على طوله ليعرف الباحثون المعاصرون أن العلماء الأقدمين
هنوا بالبحث في حياة العرب العلمية ، ووصلوا حديثهم بقديهم ، وكان حذاقهم مؤمنين
بأن العرب كانوا على جانب من المعارف الفكرية والعلوم الأدبية ، وإذا كان هذا الذي
قاله ابن فارس صحيحا في حق العرب الأقدمين على ما هو فرض كلامه ، فهل يصح
في الأذهان النيرة أن يكون للأولين من العرب تلك الحياة العلمية ثم لا يكون لأبنائهم
وأحفادهم ووارثي مجدهم حياة أدبية ؟

وإذا كان قد باد من العرب أجيال فقد عاصرتهم أجيال لم يأت عليها الفناء جملة
أخذت عنهم معارفهم ونقلتها الى من بعدهم ، على ما هو الشأن في كل أمة تنزع
من دوحة واحدة ، وتميش في وطن واحد ، ظل بهم ذلك الوطن عاصرا طوال أحقاب
التاريخ ، ولم يزعم أحد من المؤرخين أن جزيرة العرب أتى عليها حين من الدهر خلت
فيه من ساكنيها ، ولا أن العرب انقرضوا قضهم بقضيتهم .

غير أن الحجازيين من العرب سكان الشمال بالجزيرة كان لهم من طبيعة وطنهم ما صبغ
حياتهم الاجتماعية بصبغة تخالف صبغة إخوانهم في اليمن والحيرة والشام ، لأن الحجاز
إقليم يخالف طبيعته طبيعة تلك البلاد ، فلم تقم فيه حياة اجتماعية متحضرة كالتى قامت
في اليمن والعراق ، بل غلبت على أهله لبداءة وما يتصل بها من أخلاق وعادات .

صاحب إبراهيم عرجونه

« للبحث بقية »

في وجوب التحفظ

قال بعض الحكماء : من عرض نفسه لتهمة فلا يامن من أساء الظن .

وقال الشاعر :

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل
مقالة السوء الى أهلها أسرح من منحصر سائل

تعليق من مدير المجلة

على المقالة السابقة

ظهرت في أفق الدراسات الأدبية في هذا العهد الأخير كتابات ترفع من شأن العرب على عهد الجاهلية ، وتصورهم في مستوى لا يتفق والحقائق التاريخية .
لقد كننا نقرأ ما كتبه بعض مؤرخي العرب من المبالغات عن الدول العربية القديمة ، فنمزوه لنقص في أسلوبهم التعميمي ، فأصبحنا اليوم أمام مبالغات من طراز جديد يرتكبها بعض الذين يكتبون في الأدب ، عليها مظهر الدراسات التحليلية وليست منها في شيء .

فنحن حيال ما كتبه أولئك المؤرخون عن قبيلة عاد من أن طول الرجل منها كان سبعين ذراعاً إلى مائة ذراع ، وأن رأس أحدهم كان كالقبة العظيمة ، وعينه تفرخ فيها السباع ، وأن أول ملوكها وهو عاد قد ملك ألفاً ومائتي سنة ، وأنه تزوج بألف امرأة ، وولده أربعة آلاف ولد ذكر ، الخ ، نحن حيال هذه المبالغات لا نشعر بأقل حرج ، فإن علاجها فيها ككل شيء يصور خارجاً عن حدوده الطبيعية ، ولكننا حيال الكتابات التي عليها مظهر الأسلوب العلمي نشعر بكثير من الضيق ، لأنه مظهر خلاص يسلك إلى الأذهان الخالية من ملكة النقد ، فيرسخ فيها وينتج نتائج خطيرة على الدين والعلم معاً .

فأما نتائجها على الدين ، فالفهم من قيمة الرسالة الحمدية ، فإذا كان صحيحاً ما يقوله ابن خلدون عن العرب القدماء ، وهو : « ما كان لأحد من الأمم في الخليفة ما كان لأجيالهم من الملك » ، وقوله في موطن آخر عن العرب الأولين في اليمن والبحرين وهران والجزيرة : « بلنوا الغاية من الحضارة والترفع مثل عاد وثمود والمالقة ، وحير من بعدهم والتهابة والأذواء ، فطال أمد الملك والحضارة وستحكمت صفتها

وتوفرت الصنائع فلم تبلى بيلاء الدولة، وإذا كان صحيحا أيضا ما عقب به الأستاذ الشيخ صادق مرجون على هذا وهو قوله: « فالعرب قبل الاسلام لم يكونوا في حياة ودية ساذجة لا أثر للتفكير فيها. نعم، وإنما كان (فريق منهم) في دور بدو (طاري عليهم) غير متأصل فيهم. ولو تتبع الباحث أطوار الحياة الاجتماعية عند العرب لوجد لها حلقات متسلسلة آخذة بعضها بأطراف بعض، ولوجد فيها ملكا وحضارة ظلت آثارها قوية قائمة في اليمن والشام والعراق (حتى جاء الاسلام). وأولئك الذين لحقهم الاسلام في طور البداوة لم يكونوا إلا سلالة هؤلاء الصيد الأماجد ».

قلنا إذا كان هذا كله صحيحا فلا تكون رسالة المحمدية قد أخرجت العرب من الظلمات الى النور، ولا أوجدت فيهم وحدة اجتماعية ما كانوا يعرفونها، ولا بثت فيهم من الأخلاق والآداب ما كانوا في أشد الحاجة اليه، ولا آتتهم دستورا أفضى بهم السير عليه الى تبوء خلافة الله في العالم فرونا كثيرة، غيروا فيها وجه الأرض، ونشروا علم وحرية ومدنية قضت على كل ما كان متحجرا غير صالح للحياة في العالم كله. ولكن ما ذكره ابن خلدون وغيره وتابعهم فيه الأستاذ الشيخ مرجون ومن تقدمه من السكاكين المعاصرين كله غير صحيح، والصحيح منه مبالغ فيه مبالغة لا تحتمل النقد والتحصير.

نحن لا نكر أنه قامت لبعض قبائل العرب البائدة (دول قبيلية)، فاشتهر بنو عاد وثمود والعاملة وطسم وجديس وأميم وجرم وحضر موت بتأسيس دول، لها ملوك يتوارثون العروش، ومدنية منسبة للزمان الذي وجدوا فيه.

وقد سميت هذه الطبقة الأولى من العرب بالبائدة، لأنها انقرضت منذ زمان بعيد، ونحس تاريخها الى حد أن العرب أنفسهم لم يعرفوا منه شيئا يذكر غير مبالغات وخزعبلات تخيلها الخراصون تخيلا على النحو الذي نقلته عنهم في صدر هذه المقالة. وقد ظن العرب يجهلون أنه قامت في اليمن في بعض عصورها دولة يقال لها المينية حتى قام

الستعرب هالین مستهدیا بما ورد عنها فی کتاب المورخ الیونانی القديم استرابون ،
فارتاد بلاد الحوف شرق صنعاء ، واكتشف انقاض معین ، ووجد بها کتابات بالقلم
المسند دلته علی أسماء ستة وعشرين من ملوكها .

فتاريخ هذه الطبقة البائدة من العرب يجب أن یغفل فی بحث حالة العرب قبل الاسلام
لعموضه وتغلغله فی القدم ، ولما حدث من الانقلاب التدریج فی کيان الأمة العربية
بمده ، حتى سمیت تلك الطبقة بالبائدة ، ومن یقی بمد تلك الانقلابات صموا بالعرب المستعربة .
والذی یحب أن یلاحظه القراء أن الحالة القبیلیة فی الأمة العربية لازمتها فی کل
عهدوها ، حتى جاء الاسلام فوحد یدنها وجعل منها أمة : « واذکروا نعمة الله علیکم
إذ كنتم أعداء فألف بین قلوبکم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم علی شفا حفرة من
النار فأنقذکم منها » .

فالذین یذکرون الدول العربية مضطرون أن یسردوا أسماء قبائل ، فیقولون : عاد
وثمود وجذیس وطسم وأمیم وحضرموت الخ . حتى إن الیمن ، وهی البلاد التي كان یصع
أن تقوم فیها أمة موحدة ، لم تبلغ الی هذه الدرجة . فقد كانت منذ أقدم أزمانها تقسم
الی محافد ، وكل محفد الی قصور ، والقصر حصن یحیط به سور یتیم فیہ أمير مستقل
یوضع أمام اسمه لفظ (ذو) . وهؤلاء الأشراف یعرفون بالأذواء . وربما اجتمعت
عدة محافد تحت أمير واحد متغلب فیسمى (قیل) . وكان الأقبال کثیرا ما یتقاتلون .
وكان یتفق أن یکبر شأن قیل فیدخل جمیع الأقبال تحت دولته ، ویورث الملك أعقابہ ،
ولکنها تجى دولة ینقلب علی مزاجها البدویة ولأمية . فقد دلنا التاريخ علی قیام
أربع دول فی الیمن وهی : العینیة ، والسبأیة ، والحیریة ، والتبابعة . ولم تنقرض الأخيرة
إلا فی القرن السادس أى قبیل ظهور الاسلام بمدة قليلة ، فم یصلنا من واحدة منها
کتاب مخطوط ، ولا أنا أخبر عن وجود آثاره من هم فیها ، وقد وصلنا عن أهم کثیرة
غیرها مؤلفات وضمت قبل ستة آلاف سنة ، وأسماء ملأ ، وفلاسفة وفنانون كانوا
عاشین فی تلك العصور البعیدة .

والآن ننظر الى الحالة التي كانت عليها الأمة العربية على عهد البعثة الحميدية :
كان ببلاد العرب في ذلك العهد ثلاث ممالك : أولاها اليمن ، وثانيها دولة اللخمين
بالمراق ، وثالثها الفساسنة بمشارف الشام ، ومن بقي فكانوا كلهم على الحالة البدوية .
فأما اليمن فكانت مستعمرة فارسية و اسما وال اسمه الهرمزان ، وكانت قبل أن
يستولى عليها الفرس مملوكة للأحباش .
وأما دولة اللخمين فكانت تابعة للفرس أيضا ، تنلبوا عليها واستمروا متسلطين
فيها أجيالا حتى ظهر الاسلام .

وأما الفساسنة فكانوا يحملون نير الرومانيين ليس لهم من أمر أنفسهم شيء .
ولا بد لنا هنا أيضا أن نذكر أن هذه الدول كانت محتفظة بوصفها عهد الجاهلية
العربية ، وهما : البداوة والأمية . نعم إنه كانت لمالكهم مدن ولملوكهم قصور ، ولكن
الرعية كان أكثرها على الحالة البدوية . وكان عدد المدن لا يتناسب وسعة الأراضي
التي تقوم عليها تلك الممالك . وجزيرة العرب التي تساوى مساحتها ستة أضعاف مساحة
فرنسا ليس فيها غير عدد من المدن يعد على الأصابع (راجع الخريطة) .

ومما يجب ملاحظته أن الأمية كانت أثيرة عندم الى حد أن هذه الدول على
مجاورتها للفرس والرومان ، ووقوعها تحت نيرهم أجيالا ، لم تأخذ آخذهم في العلوم والفنون ،
فلم يشتهر فيها فلسكى أو طبيب أو فنان ، ولم يصلنا منها صفحة واحدة باللغة العربية حتى
ولا ما يتعلق بالشئون الدينية . قال الله تعالى : « وما آتيناكم من كتب يدرسونها وما
أرسلنا إليهم قبلك من نذير » : « أم لكم كتاب فيه تدرسون ؟ » .

أما بقية العرب وهم السواد الأعظم في سائر جزيرة العرب ، فكانوا يعيشون على حالة
بداوة وأمية ، بأوسع ما تختمله هاتان الكلمتان ، من يوم أن خلقهم الله على عهد البعثة
الحميدية ، ولم يكن من الممكن أن يكونوا على غير هذه الحالة ، لأن قوام المدنية الزراعة
والصناعة والتجارة والعم ، وأين هذه من أكثر العرب في عهد جاهليتهم ؟

يريد الأستاذ صادق عرجون وهو يعالج الكتابة في الأدب أن يحصل له قُدْمة عند الأمة العربية في عهد الجاهلية ، فهو يقول :

« هل من المعقول أن تبلغ أمة من الأمم ما بلغه العرب من عظمة الملك في قديمهم -- كما قال ابن خلدون -- ولا يكون لها من الثقافة الفكرية والمعارف الأدبية شيء ، وثبقى حيث وصفها بعض الباحثين أمية جاهلة ؟ »

ونحن نقول : إن الذي وصفها بالأمية والجهل هو القرآن نفسه ، الذي أسلم الأستاذ صادق عرجون بأنه أصدق المصادر في الإنباء عن حياة العرب قبل البعثة لمحمدية : قال الله تعالى : « هو الذي بعث في (الأميين) رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

وقال تعالى : « فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن تبعني ، وقل للذين آمنوا والكتاب (والأمين) أسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنا عاكف عليك البلاغ والله بصير بالعباد » .

فالأمة كانت الوصف المميز للأمة العربية من أقدم أيامها إلى أن أرسل إليها وإلى العالم كافة محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى إن الجاليات الأجنبية التي كانت معاشرته لهم كانوا يطلقون عليهم هذا اللقب . قال الله تعالى : « قلوا (يريد اليهود) ليس علينا في الأميين سبيل ، أي ليس علينا ذم إن ظلمناهم لأنهم ليسوا من ديننا ، فأطلقوا عليهم وصف الأميين وقد كان كافيا في الدلالة عليهم .

فإذا كان العرب أمة أمية ، وهو ما لا سبيل إلى إنكاره ، فكيف يستقل أن يكون لديهم أدب بمصنائه الفني ؟ أين عهد مثل هذا الأمر ، وفي أي جيل ، حتى يعهد عند الأمة العربية ؟

المعهود حسيا أن الأمة إذا كانت أمية كانت في أحط درجات الجهل ، فإذا تحركت لأن ترتفع مما هي عليه درجة واحدة فأول وسيلة تتخذها هي أن تتهم أن تكتب

ما تلفظه وأن تقرأه . وليس في الأرض أمة من أول وجودها الى اليوم إلا كانت فاتحة نهوضها دفع الأمية عنها أو عن عدد كبير من آحادها فإذا ارتفعت الأمية عن قسم منها تدرج هذا القسم في الارتقاء ، فنشأ فيها أدب ساذج وعلم في درجته . ثم لا تلبث أن تتقدم الى الأمام خطوة أخرى حتى ينضج أدبها وعلمها بعد حين . هذه سنة الله في الخلق ، ولا يعقل أن تتخلف على الإطلاق . وقد اعتبر الله تخلفها خرقاً للعادة ، وجعلها معجزة خاتم رسله ، فقال تعالى : « وما كنت تتلون من قبله من كتاب ولا فخطه يمينك ، إذا لا رناب المبطلون » أي لو كنت يا محمد غير أي لارناب المبطلون في إتيانك بالقرآن ، أما وأنت أي لا تقرأ ولا تكتب فكيف يعقل أن تأتي بكتاب تمليه على غيرك ؟

ربما اعترض علينا معترض فقال : ألم يصلنا عن الجاهلية شعر ، أليس الشعر فنا من فنون الأدب ؟

قول : نعم ، ولعامتنا شعر ، ولعوام كل أمة أشعار بلفظها المختلفة ، ولكن هل مجرد قرض الشعر يدل على عدم الأمية وعلى وجود الأدب بمعناه الفني ؟

الهم لا ، فالشعر الجاهلي ، وهو كل ما يستطاع الاحتجاج به ، لا يدل على وجود الفن الأدبي في الجاهلية ، كما لا يدل كل شعر لأمة أمية على وجود هذا الفن لديها .

فمرب الجاهلية لم يكن لديهم أنارة من علم ، كما يقول الكتاب عنهم ، يمكن أن يدُلوا بها الى غيرهم ، كما لم يكن ولا يكون عند أية أمة أمية أنارة من علم تدل به الى غيرها . قال تعالى : « ائتموني بكتاب من قبل هذا أو أنارة من علم إن كنتم صادقين » . وقال سبحانه : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تنبعون إلا الظن وإن أنتم إلا خرسون »

وقد عاش الجنيون في اليمن والضمير في العراق والفساسة في جنوب سورية تحت سلطان الفرس أو مجاورين لهم وللرومان ، ولم يأخذوا إخذهم في رفع الأمية عنهم ،

لذلك لم نصلنا منهم ورقة واحدة مكتوبة ، فلو كان عندهم أى فن أدبي أو غيره لنقله عنهم رواة اللغة الذين اختلطوا بهم وبضربهم من القبائل ولشوا بين ظهرانيهم سنين . فهل كان هؤلاء الرواة يحرصون على الألفاظ والأساطير هذا الحرص كله ولا ينوهون بكلمة عن أدب العرب وعمومهم ، وهم رواد الأدب العربي ، وقد جشموا أنفسهم الحياة وسط القبائل سنين لدراسة أسبايه ، فلم يجدوا غير ألفاظ اللغة فحفظوها عنهم ونقلوها إلينا ؟

ألم يكن جميع العرب الذين أسلموا جاهليين في أممهم ، فلو كان لديهم أنارة من علم في أى موضع من المواضيع مما كانوا يمارسونه على عهد الجاهلية ، أما كانوا يحملونها معهم في الاسلام فنُعرف عنهم وتنسب إليهم ، لاسيا والاسلام يحض على طلب العلم ويُعِدُّ أهله بالدرجات العلى في الدنيا والآخرة ؟

ولو كان في اليمن أو العراق أو مملكة غسان أو في قبائل نجد أو تهامة أو غيرها ، من التي قصدها رواة اللغة ، مسكة من علم ، لنقلها أولئك الرواة إلينا وقد بالغوا في نقل كل شئ ، وجدوه لدى العرب حتى أخبار خيولهم وكلابهم .

ونحن في القرن العشرين الميلادي اليوم ولدينا كتب وأتوف من صحف لأم كانت موجودة منذ ستة آلاف سنة ، وليس لدينا ولا صحيفة واحدة باللغة العربية عن أقرب عهد لجاهليتها . ذلك لأن الأمة العربية كانت أمية ، وكانت الأمية من صفاتها المميزة ، ناهيك بأمة ليس فيها أثر مكتوب في شئونها الدينية ، على حين أن لجميع الأمم التي لعبت دورا في التاريخ كتبها مدونة فيها ولو كانت وثنية .

لا نقول هذا غمطا لحق الأمة العربية ، ولكننا نقرر حقيقة تاريخية ، وهي أن الأمة العربية طبعها طبيعة بلادها والأحوال التي أحاطت بها بطابعين : الحالة القبلية ، والأمية . لذلك لم تستطع جهة من جهاتها أن تحفظ استقلالها أمام لأم المعاصرة لها ، فاستولى الفرس والرومانيون على الأقطار المجاورة لهم منها ، حتى حدثت الحبشة نفسها بفتح

الذين ، وتقدت ما صممت عليه ، وعجز أهل اليمن عن إجلالهم عنها ، فاستعانوا بالفرس فأرسلوا جيشا وطرد الأحمش وحلوا محلهم فيها ، وما زالوا حاكمين فيها حتى أنقذها الاسلام منهم ، كما أنقذ العراق ودولة غسان أيضا .

فالاسلام وحده هو الذي وحد قبائل العرب وأسقط ما بينهم من فروق قبلية ، ومن إحن وضنائن جعلت جماعاتهم أشبه بالأمم المتعددية ، لا تفر عن التناحر والتناهب طرفه عين . والاسلام هو الذي رفع عنهم طابع الأمية ودفهم لطلب العلم دفع لا هوادة فيه . وقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يرفع هذا الطابع لعمل لم يسجل مثله لمصلحة في الأرض . وذلك أنه جعل فداء لأسير الذي كان يعرف القراءة والكتابة في وقعة بدر ، وهي أول الوقائع الاسلامية ، أن يعلمها نفر من المسلمين ، ففعل . وبفضل الاسلام استقامت الأمة العربية على نهج الأمم التي كتب لها بلوغ أقصى الغايات من النظام والتوسع واحتمال التبعات العالمية ، مما لا يوجد له نظير في الأرض . وبفضل الاسلام يسجل التاريخ للأمة العربية أنها كانت محيية العلوم الدارسة ، والمنون الطامسة ، وأنها كانت سببا لا يقاط البشرية من سباتها العميق ، ودفعا في سبيل الحياة والندية . وفوق هذا كله فحن أبناء الاسلام لا أبناء العرب ولا الفرس ولا غيرهم ، قد وحد بيننا الاسلام وأهدر في سبيل هذا التوحيد قروياتنا وجنسياتنا ، نذرنا لتكوير أمة عالمية كانت وستكون مثلا أعلى للاجتماع الانساني الصحيح . وقد بارك النبي صلى الله عليه وسلم هذا العهد بقوله : « لقد أذهب الله عنكم رجس الجاهلية وناخرها بأبائها » . فلا قيل أن نبيها جذمة ، فترغم التاريخ على أن يقول في جاهلياتنا ما ليس بحق . وقد مضت تلك الجاهليات مرذولة مذمومة الى حيث لا تمود : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » . وقد أنجز الله وعده ، فكانت هذه آية الاسلام الكبرى الى يوم الدين .

واجب الشباب نحو ربهم

إن قلنا واجب الشباب نحو ربهم ، كان معنى ذلك واجبهم نحو الكمال المطلق واختر المحض والمثل العليا في كل أمر ، فإن الله جل وعز لم يكلفنا إلا بما فيه صلاحنا وفلاحنا ، وتكاليفه أيا كانت عبادات أو آدابا ، المقصود بها تربيتنا تربية عالية ، وإعدادنا لرجولة صحيحة ، وإيصالنا الى الحقائق التي ترتبط بها سعادتنا لرجوة من طريق العلم والعمل والفضيلة .

مضى الزمان الذي كان يعتبر الدين فيه سخرة ، أو قييدا للحرية الصحيحة ، أو حرمانا للنفس من مشتهياتها في الحدود العلمية ، وهذا زمان تجلى فيه بالدليل القاطع أن الدين حاجة أولية للروح لا ممدى لها عنه . وإذا قلنا الدليل القاطع فصدنا به الدليل العلمي المؤسس على علم النفس . ولا يتسع لي المجال الآن لبيان ذلك على وجه يوفى بالحاجة العقلية من كل نواحي هذا الأمر الجلل ، ولكنني أستطيع أن أقول على عجل إن الفلسفة المادية التي حاولت في خلال قرون ثلاثة أن تقطع كل صلة بين الانسان وما فوق المادة ، قد منيت بفشل حاسم لا قيام لها بعده من طريق العلم الطبيعي نفسه لامن طريق العلوم الدينية ، فقد توصل العلم الى إحالة المادة الى قوة أي الى إثبات أن لا وجود لها ، وأنها عرض من أعراض القوة . وبزوال هذه العقبة الكاداة من طريق العقل الانساني انفتحت أمامه باحة لا حد لها الى عالم القوى التي هي مصدر كل موجود في عالم الشهادة .

نم إن زوال هذه العقبة لم يخرج العلوم من مجالها الطبيعي ، ولكن كان من آثار زوالها اتساع هذا المجال الطبيعي بحيث لا يتصور العقل له نهاية ، وهذا وحده كان ذا أثر بعيد في تأديب الانسان وردعه عن البت فيما ليس من شأنه أن يبت فيه ، وفي تشكيكه في كل ما أسسه من الأصول العلمية ، وإعادة وضعها في الميزان تحت ضوء النقد الصارم

والتحصيل الدقيق . فسقط بذلك المعجب الذي كان يخيّل للعلماء أنهم أدركوا حدود كل شيء ، وأصبح لهم الحق في الحكم بالوجود أو بعدمه على كل ما يعرض لهم البحث فيه ، حكماً لا يقبل المراجعة ، ولا يحتمس التشكيك .

يقول قائل : وما تأثير كل هذا في تقوية عاطفة الدين ؟

نقول له : في ذلك أبلغ تأثير ، فإنه بعد أن كانت تعتبر المادة مبدأ ومرجماً لكل مخلوق ، انتقل هذا السلطان للقوة ، وعالم القوى أرفع من عالم المادة بما لا يقدر ، ونواميسه أعلى وأعم بقدر هذا التفاوت بينهما ، والمحنطات التي تنشأ من هذا الانتقال لا تقف عند حد . وإذا أردت أن تقف على مبلغ التحول الذي طرأ على مذاهب العلماء من حدوث هذا الاكتشاف ، فلإليك على عجل :

قال الدكتور (فيليبون) في مجلة (العلم والحياة) صفحة ٤٥١ من مجلة سنة ١٩١٧ :
« لقد حلت كلمة (القوة) محل كلمة (المادة) فإذ يدرينا هل تحل كلمة (روح) محل كلمة (قوة) ؟ هذه المسألة المحيرة لا تزال سرا من أسرار المستقبل »
وقال العلامة (جوستاف لوبون) في كتابه تحول المادة :

« دامت العقيدة في صحة المقررات الكبرى للعلم المصري حافظة لقوتها إلى أن حدثت في الأيام الأخيرة مكتشفات غير متوقعة قضت على العلم المصري أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه نهائياً ، فإذن الصرح العلمي الذي كان لا يرى صدوعه إلا عدد قليل من العقول المالية قد تزعزع فجأة بشدة عظيمة ، وصارت المناقضات والمحاولات التي فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث لا تبلغها الظنون ، فأدرك الناس على عجل أنهم كانوا يخدوعين ، وأسرعوا يتساءلون : هل الأصول السكونية للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن إلا فروضاً واهية تمجب تحت غشاها جهلاً لا يسبر له غور ؟ »

ثم نقل الأستاذ (جوستاف لوبون) قول العلامة الرياضي (لوسيان بوانكاريه)

وهو : « لا توجد لدينا نظريات كبرى الآن يمكن قبولها قبولاً تاماً ، ويجمع عليها المهربون إجماعاً عاماً ، بل يسود اليوم عام العلوم الطبيعية نوع من الفوضى ، وعُقب عليه الأستاذ (جوستاف لوبون) بقوله : « من حسن الحظ لاشيء أكثر ملاءمة للترقي العلمي من هذه الفوضى ، فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها ، والحجاب الذي يحجبها عنا منسوج غالباً من الآراء الضالة أو الناقصة التي توجبها علينا تقاليد العلم الرسمي (تأمل) ، فلا يمكن عمل خطوة للإمام إلا بعد أن تنفك عرى الآراء السابقة »

قول . يظهر من قدماء أن تأثير سقوط صرح المادة كان بليفاً إلى أقصى ما يمكن تخيله ، فهل تتأدى العقيدة في القوة التي تنحل إليها المادة إلى العقيدة في روحانيتها ، فيكون ثمة هذا الهدم والبناء في مصلحة الروح من كل وجه ؟

هذا ما يبدو صريحاً من أقوال أقطاب العلم ، فقد جاء في دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية تحت كلمة (مادة) بعد أن عرضت جميع المذاهب عليها ما يأتي :

« على هذا بجميع الفروض التي فرضت للآن لعجز عن حل تناقضاتها الذاتية ولا تنطبق على الحوادث . فإذا نستنتج من هذه الحال غير أن مدركاتنا العلمية عن المادة ، وهي تتفاوت في صلاحيتها كوسائل للترتيب والتعليل ، لا نستطيع أن نرّم أنها الحقيقة المطلقة . وهذه الفروض باعتبار أنها لا وظيفة لها إلا لتسهيل وتعميم صفات وعلاقات الظواهر المحسوسة ، لا يمكن أن تكون حتماً إلامرئية وخداعة كهذه الظواهر نفسها »

ثم ختمت الدائرة الفرنسية هذا الفصل بقولها :

« وعلى هذا فلو صرفت النظر عن المذهب اللا أدري الذي هو عبارة عن رفض أي محاولة لتفسير الحوادث ، فإن المذهب الذي يرمى إليه علماء العلل الأولية هو : أن المادة باعتبار صلاحها تنحل ، كما فكر في ذلك (لينتر) ، إلى وجود روحاني (تأمل)

طبيعته كطبيعة الوجود الذى يتجلى لوجد اننا . والسألة التى تبقى بعد ذلك غير محققة
 هى أن نعرف : هل الوجود مؤلف من قوت روحية متميز بعضها عن بعض ، أو أنه
 كائن واحد عام لا يقبل الانقسام ومستمر على الدوام ، وأنه العلة والمعلول العام ؟
 نقول : إن أثر زهور الصرح المادى كان بعيدا الى حد أن حلت الروح محلها
 فى التعليلات العملية الطبيعية كما ترى ، فهل بعد هذا إهابة بالمعاطفة الدينية الى اليقظة
 والعمل فيما خلقت له ؟

الانسان يتألف من جسد وروح ، ولكل منهما مطالب ، فكما يألم الجسد إن قطع
 عنه المدد المادى ، كذلك تألم الروح إن قطع عنها المدد الروحانى . وحرمان الجسد من
 مقوماته يفضى الى تعطل وظائفه وإلى تحلله ، وحرمان الروح من مقوماتها يؤدى الى
 الحيلولة بين إشرافاتها وبين صاحبها ، وفى تلك الحيلولة كل ما يتخيل من اضطراب
 النفس ، وفساد القلب ، وغلاظ الشعور ، والسقوط الى الحيوانية الباحثة ، بل الى ما هو
 أسفل منها . فتجد للبتلى بهذا الحرمان من المدد الروحانى يستسيخ ارتكاب القبائح ،
 ومقارفة الدنيا ، والانفاس فى الخسائس ، والخوض فى المقادير ، ظنا منه أن فى هذه
 الإباحة الجنونية سكنا لنفسه الجامحة ، ومتنسما لقلبه المحترق ، ولكنه لا يزداد إلا هلهلا
 على هلع ، ولا يزال يعالج هذه النيران المتسمة فى باطنه حتى ينتهى أجله ، ويذهب الى
 حيث يذهب التأهون .

ماذا تتطلب أعمى العقول على الدين بعد أن ألقي الإلحاد سلاحه كما يرى على رؤوس
 الأشهاد ؟ وماذا تنتظر أن ترى من أعلام الحق بعد أن صرح العلم بأن المادة تنهى
 الى روح ، وأن الروح هى أصل الخلق ومنتهاه ؟

فهل ننقذ أنفسنا من سيادة المادة علينا ، لا باحتقارها ولا بالحرب منها ، ولكن
 بإخضاعها لسلطان الروح ، حتى لا نعطى علينا فتقودنا من شهواتنا الى حيث تفقدنا
 كرامة الانسانية ، وشرف العمل على إقامة دولة المدنية الفاضلة فى الأرض .

عمل الإنسان لإقامة دولة الروح هو في الحقيقة خدمة لنفسه وللإنسانية وللعلم
والمدينة « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » فإن الله غنى عن العالمين .
فإن كلفنا الله بطاعته فإنما يكفنا بما يحيننا ويرقينا ويشرفنا ، ويتناسب وحرارتنا الفطرية
« ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم
لكم تشكرون » .
محمد خير ربهم

ما قيل في تأديب الصغار

قال بعض حكماء المسلمين : من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا .
وقالوا : الطبع الطين ما كان رطبا ، وقوم العود ما كان لينا .
وقالوا : من أدب ولده ، أرغم حسده .
وقال ابن عباس رضي الله عنه : من لم يجلس في الصغر حيث يسره ، لم يجلس في الكبر
حيث يحب .

وقال حكيم : ما أشد فطام الكبير ، وأعسر رياضة الهرم .
وقال صالح بن عبد القدوس شعرا :

وإن من أدبته في الصبا	كالنود يسي الماء في غرسه
حتى تراه مورقا ناصرا	بعد الذي أبصرت من يده
والشيخ لا يترك أخلاقه	حتى يوارى في ثرى رمله
إذا ارعوى عاد له جهله	كذي الصبا عاد إلى يله
ما تبلغ الأعداء من جهل	ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال شاعر غيره :

إذا المرء أعبته المروءة ناشئا فطلبها كهلا عيه شديد
وقال عمرو بن عتبة لمعلم ولده : ليكن أول إصلاحك ولدى إصلاحك لنفسك ، فإن
غيرهم معقودة بعينك ، فأحسن عندهم ما صنعت ، والتقيح عندهم ما تركت .

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

أوقف : صفته ، مشروعيته ، شروطه المصححة له

أسلفنا في البحث السابق لمحة وجيزة عن الوقف بنوعيه الأهلئ والخيرئ ، وعن حكمه المنظم له ، وعن مختلف الآراء الفقهية في وقوعه وانقاده . والآن نعرض للكشف عن مشروعيته وصفته وشروطه المصححة له وآراء الفقهاء التفصيلية فيها :

ليس خلاف بين الفقهاء رضوان الله عليهم في أن الوقف بنوعيه جائز مشروع بوصف كونه عملاً من أعمال البر ، وقرنة من القربات الى الله تعالى .

ويؤكد مشروعيته من ناحية العقل أنه نظام من الأنظمة الصالحة للمجتمع ، يبعث عليه البر بالانسانية الممذبة ، حتى مع غض النظر عن وروده بلسان الشريعة ، فقد قل صاحب كتاب « أنفع الوسائل » أن زيد بن ثابت رضي الله عنه يقول : « لم أر خيراً في هذه الدنيا من الحبوس يحبسها إلا غنياء على الفقراء ، سواء في ذلك الأموات والأحياء . » فأما الليث فيجربى أجرها عليه ، وأما الحئ فتحبس عليه ينتفع بفنائها ، وتنف يده بها عن السؤال ، وتتقئ بها كرائه الدهر وعاديات الليالي .

فتنظم الوقف في الشريعة الاسلامية من أو في الأنظمة الاجتماعية بحاجة الناس ، وأحفلها بالمنفعة الدائمة المستمرة ، وأعودها بخير الثابت على طائفة من البشر .

نعم إن بعض نظار الأوقاف قد يبالغون في أكل أموال المستحقين بشئ الوسائل ، وضجبت بتصرفاتهم المحاكم الشرعية ، حتى قام بعض ذوى الآراء الرشيدة في مصر يطالب بإلغاء الوقف ، ولكن ذلك على كل حال لا يقدح فيما لمشروعية الوقف من الفوائد الجلى . وكل ما هنالك أن تشريعاً كسنة وزارة الحفائية بكفى للقضاء على تصرفات بعض نظار الأوقاف والأخذ على أبديهم .

وإذا كان الوقف تصرفاً من التصرفات الجائزة شرعاً الصادرة من الانسان ، كان لا بد

أن يكون متصفا بحكم من الأحكام الشرعية ، بمعنى أن حكما من هذه الأحكام الحسة يمرض له ويكون صفة من صفاته ، فتدرة يكون مباحا لا ثواب في فعله ولا عقاب في تركه ، وذلك في حالة ما إذا لم تصحبه نية التقرب الى الله تعالى ، كما لو وقف الواقف على قوم أغنياء أو على ذريتهم ثم من بعدهم الفقراء ، رغبة في المحافظة على العين الموقوفة من الضياع من جهة ، وقصدا الى عدم تمكينهم من التصرف فيه بعد موته من جهة أخرى .

وقد يكون مندوبا فيثاب على فعله دون أن يعاقب على تركه ، كما لو نوى به الواقف التقرب الى الله سبحانه وتعالى ، فتصح ولو كان الوقف على ذريته وذوى قراباتهم امتثالا لبعض الأحاديث الصحيحة ، من أن الوقف على بعض أهل الواقف صدقة ، لأن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى .

وقد يكون واجبا فيثاب على فعله ويعاقب على تركه ، وذلك فيما إذا كان التصرف في الوقف مندورا ، كأن يقول أحد الناس : إن برئت من مرضى هذا فله على أن أفق ضيعة كذا على طلبة العلم . فإن الوقف في هذه الحالة يكون واجبا عند تحقق الشرط لوجوب الوفاء بوزال العلة . تطليقا لقوله تعالى : « وليوفوا نذورهم » وأخذنا من آراء فقهاء أبي حنيفة .

والعلة في صحة نذر الوقف على ما ذهب اليه الامام الكمال بن الهمام في الفتح القدير أن من جنسه واجبا من الواجبات ، فيجب على إمام المسلمين أن يتخذ لهم مسجدا من بيت مال المسلمين ، فإن لم يكن ذلك ميسورا اتخذ لهم مسجدا من أموالهم .
وقد يكون الوقف حراما فيعاقب على فعله ، كما لو قصد الواقف إيذاء دائئيه أو بعض ورثته .

وأنا أعرف قاضيا شرعيا كبيرا رفض أن يسمع إشهادا بوقف لعين علم أنها مدينة وأن النمرض من وقفها إيذاء الدائئين وتفويت المنفعة عليهم وتبديد ديونهم بطريقة قانونية . فإن الإضرار بالغير حرام لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار

في الإسلام. ومع أن هذا الوقف حرام على هذه الصورة فهو لازم وصحيح ترتب عليه آثاره، لأن الحرمة طرأت لوصف عارض منك لا تنافي صحة التصرف ولا تناقض مشروعيته عند فقهاء الحنفية كما هو الثابت في أصولهم، وذلك كالبيع وقت صلاة الجمعة وكالصلاة في الأرض المنصوبة، وكالصميم مع ملابسة أنواع الطُجُر وأساليب المنكرات التي تجري بها الألسنة. فإن هذه الأنواع لازمة ومتحققة الأثر مع اقترانها بالحرمة. وذهب مالك رضي الله عنه إلى عدم صحة الوقف إذا لاسته معصية، كما إذا وقف الواقف على نية دون بناءه، لأنه تصرف يشبه فعل الجاهلية الذي جاء الإسلام بالقضاء عليه، وكما لو وقف على بناءه وشروط أن من تزوجت ممن خرجت من الوقف دون رجعة إليه، حتى ولو تأيمت، فتظل محرومة من الوقف والانتفاع بفلته متى تزوجت، سواء دامت الزوجية أو انقطعت. وهذا القول عن مالك رضي الله عنه رواه ابن القاسم في حاشية المسوق على الشرح الكبير في فقه المالكية.

ثم إن الفقهاء قد اشترطوا لصحة الوقف شروطاً أئمتنا إليها في البحث السابق بما فيه الغناء، وهي تعتمد في مجموعها شروطاً أربعة: واقف، وموقوف عليه، وموقوف وصيفة يتأدى بها المعنى المراد. ولكل من هذه الشروط أربعة شروط لتحققها لأنها إذا تحققت تتحقق حقيقة الوقف، فتباً كد المنفعة المقصودة منه، ويتأكد الثواب للواقف الذي قصد إليه بهذا التصرف المشروع.

فيشترط في الواقف شروط، وفي الموقوف عليه شروط، وفي الموقوف شروط وفي الصيغة شروط. فأما الشروط التي اشترطها الفقهاء في الواقف فأهمها أن يكون الواقف أهلاً للتبرع، بأن يكون حراً عاقلاً بالغاً غير محجور عليه لسفه أو غفلة أو دين. والكلام عن محترزات هذه الشروط ومقابلاتها طویل الذيل كثير التفاريع لا يتسع له هذا البحث. لذلك آثرنا أن نرجئ الكلام عن تلك الشروط ومحترزاتها وعن آراء الأئمة وتعليقات كبار المؤلفين إلى العدد القادم، إن شاء الله تعالى.

الاسلام والفلسفة

- ٣ -

أشرنا في الفصلين السابقين الى ما استقبل به الاسلام الفلسفة من رحوبة المصدر وطلاقة الوجه اللتين لا طمع بعدها لمستزيد، وذكرنا كذلك شيئا من الآيات الكريمة التي تلخص التفريل فيها عناصر الفلسفة الثلاثة، وهي: (١) عظمة المظاهر الكونية. (٢) الأسباب والعلل وارتباطها بمسبباتها ومعلولاتها. (٣) النفس البشرية وما انطوت عليه من خفايا وأسرار.

ذكرنا هذه الآيات الجوامع، وأبنا أن أهم موضوعات المعرفة الفلسفية هو النظر في المظاهر الكونية والعلل الفعالة والنفس البشرية، وأن الغاية للثلي من هذا النظر هي الاهتداء الى حقيقة الحقائق ومنشأها ومنتهىها، وألف لا كون وبأها، وهو المبدع الأول جل جلاله، فإذا وصل الفيلسوف بوساطة النظر الى هذه الغاية العالية، فقد عرف الله حق معرفته، أو أصبح جديرا باسم الحكيم، وهو في نظرم من توفرت لديه الفضائل الأربع: (الحكمة والعدالة والعفة والشجاعة). فبالحكمة يعرف الانسان خالقه ونفسه، ويكتنه الشيء الكثير من أسرار الوجود وخفاياه، ويرى بصيرته أنه صاعد على درجات السلم الأشرف الذي سيلحق عن طريقه بأصله وأصل الموجودات جميعا، وأن هذا هو الفوز الأكبر الذي لا يعدله كل مافي الحياة من لذائذ ومسرات فتصغر الدنيا في عينه ولا يعيرها نظرة ولا لفتة. وبالعادلة يتشبه بالمشي الأول الذي لا يظلم ولا يبور. فيحدث له من هذا الشبه قرب من خالقه تتج عنه لذة لا تدرك المقول مداه، لعظمها واختلافها عن اللذات المادية وبالعفة يرتفع مما يكتظ به هذا الوجود من دنايا الشهوات التي هي أس كل ما فيه من رذائل وسنطت. وبالشجاعة يحتمل أرواء الحياة ونكباتها هادئا معتبطا، لأنه يكون على يقين من أن نصرفات

الأقدار لا تسير إلا بحكمة سامية لا يتضجر منها إلا كل جاهل أو جعور، كما يكون واثقا من أن الأقدار قد سلكت معه هذا المسلك الشائك لتبتيه، فإن صبر وشعر بالسعادة الروحية أناته درجة أعلى من التي هو عليها، وإن ضجر ونقم أنزلته إلى مصاف العامة الذين ليس لهم عند الله خاصية ولا امتياز.

هذه هي الموضوعات الجوهرية للفلسفة وما أحقها وأجلها من موضوعات، وتلك هي الغاية للثلى لها، وما أشرقها وأسماعها من غاية، وهل في القرآن موضوع أكثر جوهرية من النظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، ومن النظر في حكمة الأسباب وارتباطها بمسبباتها، أو في النعم البشرية وما اشتملت عليه من أسرار ومخبرات؟ وهل للقرآن غاية أسمى من الاهتداء إلى وجود الله ووحدانيته وبكائه؟

الفلسفة الحقة إذاً، هي ما كانت موضوعاتها وغايتها على النحو الذي ذكرناه ووفقت إلى إدراك هذه الغاية، وهي لا تصطدم مع الاسلام في شيء، لأن الحق لا يصطدم مع الحق في أية خطوة من خطواتهما، بل هما دائماً متحابان متصافيان متكاتفان على قمع الباطل واستئصال شأفته.

أما أولئك الذين يزعمون أن الفلسفة من حيث هي متعادلة مع الدين فهم واهمون، بل سطحيون مقلدون، لأن العقل - وهو الموثل الأعلى للفلسفة - لم يخرج عن كونه هبة من صاحب الدين، فإذا أحسن المرء استخدامه في البحث والاستنتاج كان أجل نعم البارئ عليه، وإذا أساء التصرف في استعماله بأن عطل ملكته الناطقة أو أخضعه للهوى والأغراض ومال مع كل ريح ذات الخمين وذات الشمال، كان شر النقم التي تهوى بصاحبها إلى الخفيض، ولكن الذي خدع أولئك المقلدين المعاصرين عندنا وجعلهم يدينون بفكرة عدا الدين والفلسفة، هو أنهم قرءوا هذا الرأي للعلاء الأوديين مخفاً كهم في ذلك محاكاة للبيضاء. ولو أنهم دققوا النظر لوجدوا أن كلمة لادين في كتب

الأوربيين معناها (المسيحية) لا الدين في ذاته ، وإذا ، فهي لا تنطبق على الاسلام في أى شيء ، لأن البواعث التي حدثت الفريين الى هذا الرأى عن المسيحية لا توجد في الاسلام .

أما حذر القدماء الذين كانوا يدينون بهذا الرأى من المسلمين ، فهو — كما أسلفنا في المقال الأول — أن قوماً ممن لا دين ولا خلاق لهم اندسوا بين المشتغلين بالفلسفة وأخذوا يروجون للزندقة والإلحاد ، فأساءوا الى أنفسهم وإلى أمتهم وإلى الفلسفة نفسها . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن مشاهير فلاسفة الاسلام كالفارابي وابن سينا وابن رشد قد قدسوا بعض النظريات اليونانية الخاطئة ، فهووا في نظر المؤمنين هوياً أغم قلوب الأمة الاسلامية بالرب والشكوك في الفلسفة كلها ، كما يتضح ذلك من كتابات الامام الغزالي وأمثاله من الأتقياء .

وهنا نحن أولاً ، سنذكر في هذه الفصول فلسفة كل فيلسوف من فلاسفة الاسلام بعد الامام بحياته الشخصية ، ثم نبين ما اهتدى اليه كل واحد منهم من آراء صائبة ونظرات قيمة ، ثم نعقب على ما نظن أنه خاطئ من تلك الآراء بما يوضح تلك الأخطاء ويرد عليها . وسنبداً بأول مشاهير أولئك الفلاسفة وأسبغهم الى خوض معانٍ النظريات العقلية وإن كان أقل خطراً ممن أتوا بعده ، وهو يعقوب الكندي الفيلسوف العربي الخالص :
يعقوب الكندي - نسبه ومبائر :

هو يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي ، ينتهي نسبه الى يعرب بن قحطان ، ولد في واسط ، ولا يعرف أحد من المؤرخين تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته بالضبط ، وكل ما يعرفونه عنه هو أنه عاش في القرن التاسع الميلادي .

دورج الكندي بين أحضان أسرة ماجدة كان لها السيادة والامارة منذ زمن بعيد ، فأبوه اسحاق بن الصباح كان أميراً على الكوفة في عهدى المهدي والرشيد ، وجده أشعث بن قيس كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الاسلام ، وكان في الجاهلية ملكاً على كندة كلها ، ورث الملكة عن آبائه وأجداده .

مقدمة :

بدأ الكندي حياته العلمية في البصرة ، ثم انتقل الى بغداد عاصمة العلم والثقافة العالمية إذ ذاك ، فبها تهذب وتأدب ، ومن معارفها انتهت حتى أصبح رأسه دائرة معارف كبرى حوت من الفلسفة والأدب والطب والفلك والموسيقى وفن الألفان والرياضة والطبيعات والكيميائيات ، ما تعجز عن احتوائه عشرات المردوس .

افتتح الكندي بالفلسفة اليونانية افتتاحا جعله لا يتورع عن أن يعلن في بعض كتبه أن جده الأعلى . قحطان ، كان شقيق يونان أصل اليونانيين . ويقول بعض مؤرخي الفلسفة المربية : إن هذه الدعوى قد وجدت رواجا وتصديقا في بيئة العباسيين ، لأنهم مع تبجرهم في فلسفة اليونان كانوا يجهلون تاريخهم . وقد أسلفنا مناقشة هذه النقطة في المجلد الأول .

كان الكندي أيضا معجبا بالحكمة الهندية والمعارف الفارسية إيجابا شديدا ، حتى أنه عكف على كل هذه المنتجات القيمة يلتمسها فيهم لم يعرف العرب له نظيرا من قبل ، ولهذا كان هو أول من دعى بالفيلسوف العربي .

مؤلفاته :

أرسل بعض المؤرخين مؤلفات الكندي الى ثلثمائة وخمسة عشر كتابا ، والبعض الى مائتين وواحد وثلاثين . وقد سرد الكثير منها ابن أبي أصيبعة في كتابه « عيون الأنباء » سردا بلا ترتيب ولا نظام وقد قسمت في كتاب « تاريخ الحكماء » تقسيما أفرد كل فصيلة منها على حدة . وقد وضع بعض المؤلفين لهذه النصائل لأرقام الآتية :

٢٢ - فلسفة	٧ - موسيقى	١٢ - سياسة
١٩ - نجوم	٥ - نفس	٣٣ - طبيعيات

١٦ - فلك	٥ - مقدمة المعرفة	٩ - منطق
١٧ - جدل	١١ - حساب	١٠ - أحكام
١٤ - أحداث	٢٣ - هندسة	٨ - أبعاد
٨ - كريات	٢٢ - طب	

ولكن مع الأسف الشديد أن هذه الكتب لم يبق منها إلا التزوير اليسير الذي لا يستطيع أن يعطينا صورة واضحة عن فلسفة الكندي، وإن كان من المعروف أنها مزيج من فلسفات « أفلاطون » و « أرسطو » و « أفلوطين » منسوبة كلها إلى « أرسطو » كما يقول الثقات من المؤرخين.

أهم أثاره :

كان للكندی أسماء كثيرون، شأن كل العبارة المبرزين في المعلوم والفنون . وقد استطاعوا أن يضروه في سمعته العلمية والدينية وفي حياته الخاصة . فن هؤلاء الأعداء : محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر اللذان دسا للكندی عند المتوكل ، وساعدهما على بغيتهما أولاً ما عرف عن الكندي من الآراء الاعتزالية ، وثانياً حماقة المتوكل وتسرع ، فصره وأرسل إلى منزله من استولوا على كل كتبه ، ثم ردت إليه كل هذه الكتب بعد زمن ، كما ذكر ذلك ابن أبي أصيبعة في قصة طويلة .

ومن الذين تأثروا بكتابة أعدائه المعاصرين له الفاضل أبو نعيم صاعد بن أحمد الذي حمل على الكندي فيما بعد في كتاب « طبقات الأئمة » ووصف كتبه بأنها لا تنيد بالعلمين عليها ، لكونها تشتمل على كليات غامضة ليس فيها تحليل للحجريات ، ولكون تراكيها غامضة معما لا يستفيد منها إلا من مرن على دراسة المطلق حتى أصبح عنده مقدمات غريبة تمكنه من فهمها . ويضيف إلى هذه المعاني قوله : « ولا أدري ما حمل يعقوب على الإضراب عن هذه الصناعة الجلية . هل جهل مقدارها أو ضن على الناس بكشفه ؟ وأي هذين كان ، فهو نقص فيه ، وله بعد هذا رسائل كثيرة في علوم جمة ظهرت له فيها آراء فاسدة ومذاهب بعيدة عن الحقيقة » .

ويلحق ابن أبي أصيبعة على رأى هذا القاضى المغرض أو المقلد بقوله : « أقول : هذا الذى قاله القاضى صاعد عن الكندى فيه تحامل كثير عليه ، وليس ذلك مما يحيط من علم الكندى ولا مما يصد الناس عن النظر فى كتبه والانتفاع بها » (١) .
ومن هؤلاء الأعداء أيضا : أبو معشر الذى كان من كبار المشتمين عليه والشهرين به ثم أصبح أحد تلاميذه المختارين .

وعلى الرغم من كل هذه الدسائس التى حاكها أعداء الكندى حول شهرته العلمية ، فإن اسمه ظل نجما ساطعا فى تاريخ الفلسفة المربية ، وبقي إمام الفلاسفة وأول المتبحرين فى الحكمة .

أهموقه السخيرة :

يروى ابن أبي أصيبعة للكندى وصية أوصى بها ابنه تدل على أنه كان شديد البخل الى حد الشح المغالى الذى لا يمنع صاحبه من الإحسان فحسب ، بل يحول بينه وبين الاتفاق على نفسه . ومن هذه الوصية قوله : « قول لا ، يصرف اللبا ، وقول نعم ، يزيل النعم ، وسمع الغناء برسام حاد ، لأن الانسان يسمع قيطرب ، ويشفق فيسرف فيفتقر فيعقم فيعتل فيموت . والدينار محموم ، فإن صرفته مات ، والدرهم محبوس ، فإن أخرجه فر ، والناس سخرة ، فخذ شيئهم واحفظ شيئك » (٢) .

وأما أميل الى القول بأن هذه البخل قد تكون مدسوسة على الكندى من أعدائه للتشهير بأخلاقه العملية ، كما شهروا بقيمة العملية ، لأن من يتبحر فى الفلسفة اليونانية ويدرس الحكمة الهندية المغالية فى الزهد والاستغفاف بالحياة لاداية دراسة ذات أثر فعال كدراسة الكندى إياها ، يمد أن يكون فى أخلاقه العملية شجوحا الى هذا الحد الذى رموه به ، وإن كان ذلك ليس مستحيلا ، لأن الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم كثيرون .

(١) صفحة ٧٠٨ من الجزء الاول من كتاب «عيون الانباء» (٢) نسخة ٢٠٩ من الكتاب المذكور

فلسفة - الرياسة :

يرى الكندي أن العالم مخلوق لله ، متأثر به تأثر السبب بسببه السابق عليه ، وقد حدث هذا التأثير من الله في العالم مرتباً على النحو الآتي :

خلق الله العقل الأول وأسكنه عالم الحقيقة ، مزوداً بالقدرة على التأثير فيما يليه وعلى تصوير المادة كما يريد ، وعن هذا العقل الأول فاضت النفس الكلية التي نشأت عنها النفس الانسانية ، كما نشأ عنها عالم الأفلاك المادى .

وعما لا ريب فيه أن الكندي تأثر بفلسفة أرسطو الإلهية في نفيه عن البارى التأثير المباشر فى المادة ، وفى إسناده هذا التأثير الى النفس الكلية التى هى أحد آثار العقل الأول . وأرسطو بدوره متأثر فى هذه النظرية بتلك القاعدة القديمة التى أشرنا إليها فى العقل السالف ، وهى : أن الكامل من كل وجه لا يصدر عنه إلا كامل ، ، ولما كان العقل لأول كاملاً ، ولكن لا من كل وجه لسابقة البارى عليه واختباره الى هذا البارى ، فقد ساغ أن تنشأ عنه النفس الكلية التى ثبتت كمالها من بعض الوجود ، لتجردها كالعقل الأول من المادة ، وانتفت عنها الكالية من كل وجه ، لتأثرها بالعقل الأول المتأثر بالبارى ، فقد صح أن تباهر هذه النفس الكلية التأثير فى عالم الأفلاك المادى ناقص ، وبهذا التحمل للتكلف الذى بدأ الكندي استنائه فى الفلسفة المعربية قد حسب أنه ونق بين الاسلام وتلك القاعدة القديمة الخاطئة التى أبنا أن « أفلاطون ، الاسكندري قد وجه إليهم من سهام النقد ما أصابها فى الصميم ، والتى ستمرض لها مع بقية القواعد القديمة فى شئ من التفصيل عند الكلام على فلسفات الفارابى وابن سينا وابن رشد ، إن شاء الله .

ولما كان أسلوب الكندي غامضاً من جهة وكثيفاً قد فقدت إلا أقلاماً من جهة أخرى ، فلم نجد فى فلسفته تصريحا واضحاً بأولية المادة كما وجدنا ذلك عند غيره من فلاسفة المسلمين ، بل لعله كان يؤمن بمحدوثها متأثراً فى ذلك بتلك الرسالة المكذوبة

التي عزاها الاسكندر يون قصدا الى أرسطو وهي في الحقيقة مزيج من آراء « أفلاطون » و « أفلوطين »

وكان الكندي يقول بوحدة واجب الوجود وبساطة وجوده، ومعنى هذا إنكار الصفات بتاتا، لأنها تخرج الى تعدد القدماء كما يقول المعتزلة الذين كان الكثيرون منهم معاصرين للكندي. وصرح بأن الله قادر بذاته وهلم جرا. ولا شك أن « أرسطو » قد سبق المعتزلة الى نفي جميع الصفات عن البارى.

النفس الانسانية عنده :

يرى الكندي أن النفس الانسانية جوهر بسيط خالده هبط من عالم العقل الى عالم الحس فاستقر طنه مرغما، ثم هو لا يزال يشمر بغرته ويحن الى العودة الى أصله، ليستريح من هذا العذاب الذي يعاياه بسبب الحرمان من تحقق الميول العالية التي فطر عليها عالم الأرواح، والتي ليس في مكنته الوصول إليها، وهو في داخل أغلفة الأجسام الكثيفة، فإذا أراد الانسان أن يقل من تلك الكثافة، ليتيح الروح فرصة فوزها ببعض ما تشتهي وقربها ممن تحب، فما عليه إلا أن يسلك سبيل اتباع الفضائل واجتناب الرذائل، وهي تتحقق فيما أمر الله به ونهى عنه، وعند ذلك يصل الى نيل بنيته من السعادة الروحية والكمال النفسى، وهذا هو الذى صدر عنه الكندي فى آرائه الأخلاقية، وهو متأثر فيه أيضا بمنهجي : « أفلاطون » و « أفلوطين » المعزوين زورا الى « أرسطو » فى هذه النظرية. وقد انخدع فى هذا رأى كل فلاسفة الاسلام وحسبوه لأرسطو حقا، فأشادوا به وذكروه فى معرض التباهي بمعلمهم الأول، وسجله ابن سينا فى قصيدته الشهيرة التى يقول فى مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورفقه ذات تدلل وتمنع

لمرس المعرفة عنده :

يذهب الكندي الى أن طريق المعارف كلها هي الحواس والعقل، فأما الحواس

فهى خاصة بالمحسّات والجزئيات الموجودة فى العالم للادى . أما العقل فانه يدرك مع كل ذلك ما يوجد فى العالم العقول من الكليات بأجناسها وأنواعها . والكندى يقسم العقل الى أربعة أقسام : العقل الحقيقى ، والعقل الكامن ، والعقل المستفاد ، والعقل الفعال أو المبرز . فأما العقل الحقيقى أو جوهر الموجودات فى الكون ، فهو الموجود الأول أو النفس الإلهية . وأما الثانى ، فهو العقل الكامن فى النفس البشرية أو استعدادها العقلى . وأما الثالث وهو العقل المستفاد فهو ملكة النفس المكتسبة من خبرتها والمرشدة لها . وأما الرابع وهو الفعال فهو مبرز الأعمال الى حيز الوجود . والعقلان : الثانى والثالث أى الكامن والمستفاد هما من فعل الله . وأما الرابع أى المبرز ، فهو من عمل الانسان البحث . ونستطيع أن نوضح رأى الكندى فى هذه النقطة بصرف النظر عن الموجود الأول الذى تكلمنا عنه فى قسم الإلهيات ، فنقول : إن هذا الفيلسوف يقسم النفس البشرية الى ثلاث قوى : الأولى العقل الكامن أو ملكة الاستعداد للعقل أو العقل بالقوة . والثانية العقل المكتسب الذى يبرز من الكمون الى تكييف النفس بالفعل وليس مستفادا من الحياة إلا بروزه كمادة مكتسبة ، أما عنصره فهو موجود دائما فى النفس البشرية . والثالثة هى القوة الفعالة التى نستطيع أن نسميها الآن بالإرادة الفاعلة أو المنفذة . والقسمان الأول والثانى آتيان الى النفس من البارى ، والثالث من خلق الانسان نفسه . وهذا هو عين ما كان المعتزلة يقولون به من أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية .

هذا ، ويعتبر الكندى أولى طلائع الفلسفة العربية التى لم تلبث أن ازدهرت على أيدي الفارابى وابن سينا وابن رشد الذين سنعلمك عنهم على التتالى فى فصول مقبلة .

الدكتور محمد غنوب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

فلسفة الاخلاق

صلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك في المجتمع الانساني العام

مضيفنا القارئ في العدد السابق في شطر غير قليل من الفروق المتفاوتة في بني الانسان وأن النفوس تتفاضل بتفاضل البدائنه واختلاف الثقافات، والآ ن نريد أن نعرض للانسان من حيث كونه مصدر الخير أو الشر، وكيف تلقى هذا الخير أو الشر، وكيف يكون إقلاعه عنهما بطيئا أو سريما.

فالانسان بما أسبغ الله عليه من نعمة التعمد يجوهره عما يشاركه فيها من العوالم الأخرى حتى صار — كما نمته الرئيس — ملكا قائما على عالم الأجرام، وخليفة لله في أرضه، يستجمع بين حواسه الظاهرة والباطنة ويدخر في قواه للمكرة وحركاته الإرادية، ما يدبر به تلك الملكة، ويتصرف بمقتضاها نصرفا هو أجدى أنواع التصرفات وأروح لآثر الكائنات، وأبرز وجودا وأطول خلودا.

من أجل ذلك بذهب لأخلافيون الى أن كل ما يصدر عن الانسان من حيث كونه كذلك يجب أن يكون تاما في فعله ووصفه، وهذا ضروري، لأن صناعة الأخلاق قائمة على تركيز الخلق في الانسان، وإساعته بسياج صفيق، واتخاذ الفضائل الأربعة التي أسلفنا للقارئ كثيرا من فيوضاتها حتى يقاوم الخير في النفوس بما ركز فيها من خلق عاديات الشر وغوائل العبيسة، ومتى أحكم ذلك السياج للنبيع بتدبير من الروية وإلهام من الخير، وجب أن يكون الانسان في مملكته أعلى للثل الطيبة في جميع ما يصدر عنه.

فاذا كانت جواهر الموجودات متفاوتة في الشرف، نظرا لما يصدر عنها من آثار ضارة أو نافعة، كانت بالقياس الى ما تنزع اليه شريفة أو وضيعة.

أما الانسان من بين هذه الموجودات فهو متحل بضروب من الاستعدادات لضروب من المقامات، وليس ينبغي أن يكون الطمع في استصلاحه على مرتبة واحدة،

وهذا شيء يتبين فيما بعد بمشيئة الله ومونه عند الكلام بإسهاب عن تلك الفروق ، غير أن ما يجب أن يعلم الآن وقبل كل شيء هو أن وجود الجوهر الانساني متعلق بقدرة خالقه ومنشئه سبحانه ونمائي عن الشبيه والنظير . غير أن تجويد ذلك الجوهر بوسائل قمع الشهوات وإحلال أوضاعها مكانها ، وتخصيص ذلك الجوهر للخير قدر الجهد حتى يصير النفوس الشريفة من علائقها ، ويكبح فيها ملكة الجوح ، ويحييها الى نوع من السعادات ، إنما هو من عمل الانسان ، ومتعلقات قدرته ، وأثر من آثار إرادته . ومما لامر به فيه أن الأخلاقيين معنيون أبدا بتعرف أن نفوسنا ماهي ولأى شيء هي ، وأن لكل جوهر موجود كمالا خاصا به وفعل لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء .

لذلك كنا نحن أيضا معنيين بعرفة الكمال الخاص بالانسان ، والعمل الذي لا يشاركه فيه غيره من حيث هو إنسان ، لنعرض على طلبه ونحصيله ، فنسمى في البلوغ الى قته . ولما كان الانسان في حقيقة أمره مركبا لا يتجزأ إلا من حيث ما يصدر عنه ، كان واجبا أن يكون منه ما صدور تلك البسائط في أفعاله المصادرة عنه . فأفضل الناس هو أقدرهم على إظهار فعله الخاص وأثرهم له وأدومهم عليه ، من غير تلون فيه ، ولا إخلال به في وقت دون وقت .

وبذلك إذا عرف الأفضل يعرف الأتقص ، على اعتبار ملاحظة الضد ، فالكمال الخاص بالانسان يتحل في الحقيقة الى كمالين ، ذلك أن للانسان قوتين : إحداها المائلة والأخرى المعاملة . فإحدى القوتين يشاق الى المعارف والمعلوم ، وبالأخرى الى نظم الأمور وتنسيقها ، وبهاتين القوتين سما الانسان الى معارج الكمال ، وتحمل من أسر المادة وعلائقها ، فقبض بكلتا يديه على مؤسسة هذا الوجود ، وأخضعها لتصرفاته التي تعتبر أثرا من آثاره ، ونموزجا صالحا من نماذج الانسانية الفاضلة وأخلق الكريم . فان للانسان في ترتيب هذه الآداب وتلك المضائل وسياقها أولا وأخرا الى الكمال الأعلى طريقا طبيعيا يشتهه فيها بفعل الطبيعة ، بأن ينظر الى القوة التي تحدث فينا

أيها أسبق الينا وجودا، وأمضى بين أظهرنا قدما، فيبدأ بتقويةها ثم بما يليها على النظام الطبيعي، وهو بين جلي. ذلك أن أول ما يحدث فينا هو الشيء العام الذي يحدث للحيون والنبات بنوع عام، ثم هو لا يزال يختص شيء بعد شيء. يتميز به عن نوع بعد نوع حتى يستحيل الى الانسانية.

من أجل ذلك يذهب الأخلاقيون الى ضرورة أن تبدأ أولاً بالشوق الذي يحصل فينا بواسطة الغذاء فنقومه، ثم بالشوق الذي يحدث فينا الى الغضب وحببة الآثرة والتسلط فنقومه، ثم بآخر مراتبه وهو الشوق الذي يحصل فينا الى المعارف والعلوم فنقومه، وتلك المرتبة الأخيرة هي المستخلصة للانسان، فهي مرمى طرفه، وراحة كفه، وهي التي يسعد بها في السعداء ويشقى بها في الأشقياء، فإذا قومها فإنما يقوم أسبابها وينسق عليها. وليس معنى ذلك أن يقومها كما قومها في المرتبتين الأولىين، فإن الانسان إذا اشتاقت نفسه الى العلوم والمعارف قبل أن يقطع شوط الطفولة وما يقرب من حشد المراهقة واليفوخة، كان ذلك على غير قانون الأخلاقيين، فكان ضروريا أن يلفن في تلك المرحلة من مراحلها مبادئ ذلك القانون رويدا رويدا حتى تستحكم عراه وتتأخذ طلله وأمسيابه، وهذا الترتيب طبيعي لم يبدو في الانسان من أول نشوئه من الشعور بأنه يكون جنينا ثم يكون طفلا ثم يكون رجلا كاملا، فكان بديهيا أن نحصل فينا تلك القوى مرتبة على منازل ثلاثة. ومن أجل ذلك كان الانسان في آخر دور من أدوار وجوده حامل الرسالة، ومؤدى الأمانة، وخليفة الله في أرضه.

وبما هو غنى عن البيان أن الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم كانوا أشرف الناس بالقياس الى شرف ما يصدر عنهم من كرامتهم الخصال وبيض الفعل، لأنهم أحاطوا عقولهم ونفوسهم بتلك المثل العليا للفضائل، فودعهم ذلك النبوغ الأخلاقي استحقاقهم لأن يقبضوا على ناصية هذا الوجود، وأن يشعروا فيه أضواء رسالاتهم وتعاليم وحبهم بين الناس جميعا، فكانوا المثل الكامل في الانسان الكامل مكي هبلى ط

وأذن في الناس بالحج

لأنه نظرا لاقتراب موسم الحج، نهيب بكل مسلم الى انتهاز الفرصة إذا منحت لهم لأداء هذه الفريضة، لاسيما وقد تبسرت سبل الوصول الى البلاد المقدسة الآن، وأصبح الحاج يستطيع أن يجد حتى في البلاد العربية من وسائل الراحة ما لا كان يحلم به أيأونة من قبل.

وقد فرض الله الحج على المستطيعين له، الذين تتوافر لهم الصحة والقادرة المالية، فمن آتس في نفسه الاستطاعة المشروعة وخف اليه، فقد وقع أجره على الله، وأصبح في كلاته وحمايته بفضله وكرمه.

ونحن نريد في هذه المناسبة أن نذكر كلمة في الحج نضمها ضروبا من الفوائد العلمية والحكم الاسلامية، فنقول:

تاريخ الحج:

الحج من الشئون الدينية التي كانت تعرف من لدن أقدم المصور عند جميع الأمم، فاما من أمة إلا ولها مكان معين أو أمكنة تحج اليها، وحادا أو جماعات، في وقت واحد أو أوقات متعددة.

فكان لقديما المصريين والسريان هياكل مقدسة يحجون اليها. وكان الصينيون ولا يزلون يحجون الى هياكل معينة في بلاد التبت وبلاد التتار وضبرها.

أما الهنود فحجهم الى هيكمل تحت الأرض في جزيرة اليفانتا على سواحل مالايا، أو الى هيكمل جاجرات أوغيرها.

أما اليونانيون القديما، فكان لهم في بلادهم وفي مستعمراتهم بآسيا هياكل

يقصدونها ليمضوا فيها وقتاً في العبادة والنسك ، أشهرها هياكل جوبتير وديانا ومنير فالخ .

وقد أمر الإسرائيليون أن يؤموا أورشليم ليمضوا فيه عيد الفصح متعبدين مخبتين . ولما جاءت المسيحية جعلت أمكنة الحج في أول عهد هابور الأولياء والشهداء . ثم حولته إلى أورشليم ، فكانوا طوال عهد القرون الوسطى يقصدونها لأداء هذا الواجب . الحجاج من أهل الملل السابقة على الاسلام كانوا يرون أن من وجوه الرافى من الله أن يتكبدوا في حجهم حرجاً شديداً ، فكانوا يتعمدون إرهاباً أبديهم ، كأن يقصدوا مواطن الحج مشياً على الأقدام ، أو حفاة تدى أرجلهم الرمضاء . ومنهم من كانوا يتوجهون إلى الحج موافرين بسلاسل حديدية تهد القوى ، أو يقطعون إليه للسارف للشاسعة وهم داخل أكياس ليتعثروا في كل خطوة من خطواتهم .

أما الأتقياء من الصينيين فيندرون أن يطوفوا بتلك الهياكل زحفاً على بطونهم ، معتمدين على مرافقهم ، أو حاملين أقتالا باهظة على ظهورهم . وكان على الكهان أن يمينوا لهم أى أنواع الإرهاب الجمانى أحب إلى الله من غيره .

الحج في الاسلام :

كان العرب قبل الاسلام كسائر الأمم يحبون في عهد جاهليتهم إلى البيت الذى بناه ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام في مكة ، حتى أن أبرهة عامل أحمسة ملك الحبشة باليمن ابنتى قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بنحو أربعين سنة كنيسة في صنعاء ، وحاول أن يحمل العرب على الحج إليها . فلما لم ينجح في محاولته اعزم أن يهدم الكعبة ، فقصدها على رأس جيش ممتطيا صهوة فيل له ، فردّه الله عنها ، ولم يبلغ مراده منها .

ولما جاء الاسلام جعل الحج ركناً من أركانه الخمسة ، وهو أشد أركانه كلفة ، لذلك أحاطه بكثير من وجوه الإعفاء جرياً على أسلوبه الحكيم في دفع الحرج عن متبعيه

مصدقاً لقوله تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وقوله : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم » . فاشتراط له الاستطاعة من صحة ومال ، وكره أن يرهق فيه أحد نفسه ولو تعوعوا وتطلبوا زيادة الأجر . فقد دوى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً ماشياً يتهاذى بين ولدين له يريد الحج ، فسأل عن شأنه ، فقيل : يا رسول الله إنه نذر أن يزور البيت ماشياً . فقال : « كلا ! إن الله غنى عن تمذيب هذا نفسه ، احموه » أى على بعير .

قلنا : أفر الاسلام الحج ، ولكنه لم يدعه على ما كان عليه في عهد الجاهلية ، فإن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الأجساد رجالاً ونساءً مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصنفون . وقد سجل الله عليهم ذلك ، فقال تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصفيّة » . المكاء : الصغير ، والتصفية : التصفيق . وأمر النبي صلى الله عليه وسلم لما قوى سلطان الاسلام أن لا يدخل البيت عريان .

ونظم - سلام الله عليه - الحج فجعل له أميراً يتقدم الناس ويتقدم ، ويدفع برائق الطريق عنهم ، حتى إذا نهوا إلى البيت تولاها هو وخطباؤه بالارشاد لخير الدنيا والدين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد تمميم العلم بأمر من الأمور خطب به الناس في الموسم ، أو أوعز إلى أميره أن يخطب الناس به هناك .

فحول الاسلام الحج على هذا الوجه من عبادة جسدية لا روح فيها ، إلى عبادة اجتماعية روحية ذات أثر بليغ في زقية شئون المسلمين . وقد أشار الله تعالى إلى هذه المزايا العظيمة بقوله تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات » الآية . وقد فسر العلماء المنافع بأنها دينية ودنيوية معاً . وهذا شأن الاسلام في كل ما فرضه على الناس : يراعى فيه مصلحة الحياتين جميعاً .

فلو أردنا أن نستقصى ما يمكن أن يشمره الحج للمسلمين كافة من وجوه المنافع

الأدبية والمادية لضاق علينا المجال ، فإن لم يكن فيها إلا تعارف الشعوب الإسلامية ، وإلزام بعضها بحاجات بعض ، لكفها ذلك عاملا قويا في دفعها الى تبادل لوسائل والتعاون على سد الفاقة ، ولوصلت جميعا على هذا النحو من التكافل الى مستوى رفيع بين شعوب العالم .

ولكن هذه التراث الاجتماعية الجليلة لا يمكن أن تكون إلا إذا تطورت فكرة الحج لدى المسلمين حتى تبلغ الفهم من مراد الله من الحج فإن الشاهد لدى أكثر المسلمين الآن أنهم لا يلاحظون فيه إلا الناحية الروحية وحدها ، وكان لتجريد هذه الناحية أثر طاهر في حصره في طبقة من المسلمين لا تمتداهما إلا نادرا . إذا تقرر هذا كان من أوجب واجبات أن نشود بمنافع الحج للدين والدنيا معا ، وأن نكثر من ترويج هذه الحقيقة في الأذهان ، وأن ننبه خطباء المساجد الى ملاحظة هذا الأمر الجلل في شهور الموسم من كل عام .

ولكننا نعلم من ناحية أخرى أن هذه الدعوة لا تنتج كل ما يرجى منها إلا بارتقاء العمران في البلاد المقدسة ، وتيسير سبل الوصول اليها . أما الشطر الثاني من هذا الشرط فقد تم بما خصص للحج من بواخر إسلامية نعى جد العناية براحة الحاج في ذهابهم وإيابهم ، مما أصبح مفخرة لمصر ، ورجو أن يحذو حذوها جميع الأقصار الإسلامية . وأما الشطر الأول منه وهو انتشار العمران في البلاد المقدسة فأدعى للعناية . فقد مر على الناس زمان كانت الشقة بين مكة والمدينة مخوفة الى حد أنه كان من المخاطرة بالنفس اجتيازها . هذا فضلا عن أنها كانت تقطع على الأبل فتثقل هذه الحيوانات تسير سيرها الوئيد اثني عشر يوما ، ويضطر من عليها من الشيوخ والنساء أن يمشوا لياليها في وسط قياف جرداء ، أو وديان موحشة ، عرومين من جميع وسائل الإسعاف . وقد تنبر ذلك اليوم ، فتعلم أذكيا . الرب تيسير الأوتومويلات ، فصارت تقطع تلك الشقة في ثلاث . ولكن الثلاث كثيرة على الناس أيضا في مثل

هذا المصّر ، فلا بد من اختصارها الى يوم واحد بواسطة خط حديدى يمد بين مدينتي الحرمين ، يكون فيه كل وسائل الراحة لقاصدى أداء هذه الفريضة .

ويجب أن تنشأ في مكة والمدينة فنادق على الطراز الحديث ، وأن يستكثر فيها من عدد الأطباء والصيادلة ، وأن يدخل اليها جميع المستحضرات النافعة من الأنوار الكهربائية والخطوط التلغرافية والتليفونية ، السلكية واللاسلكية ، والتردد الجوية ، حتى لا يشعر الحجاج بانقطاعهم عن العالم .

نم : إن هذه التجديدات سائرة هناك بحيث يرجى لها أن تنتهى الى هذه النهاية ، ولكن يجب العمل على تنشيطها بكل ما يستطيعه الملغون من وسيلة ، سواء أكان ذلك بتأليف الشركات ، أو بالتبرع بالمال لجامعة تتدب لإحداث هذه الأعمال . بهذه الوسيلة يتضاعف عدد الحجاج ، بعد أن يكون أكبر عدد للحجاج مائتي ألف من سائر الأقطار قد يبلغ للمليونين بل أكثر من ذلك ، وفي هذا رواج عظيم للشركات التي تقوم بهذه المنشآت ، وباب رزق واسع للعرب الذين يعتبرون موسم الحج حيلتهم الوحيدة في الحياة .

ربما يرى بعضهم أنه كلما كثرت المشاق من أداء فريضة الحج ازداد ثواب الحاج . هذا لا مشاحة فيه ، ولكن لا يجوز الإبقاء على هذه المشاق لصلحة بعض المتطوعين في سبيل حرمان أكثر المسلمين من أداء هذه الفريضة ، إذ ليسوا كلهم من قبيل هؤلاء المتطوعين ، والاسلام جاء باليسر في كل شيء ، ورفع الحرج عن كل ما يتعلق بالدين ، فهو دين الكافة لا دين طائفة من الناس ، وقد نبى على النبي صلى الله عليه وآله الحكمة علية وغرض عظيم .

فهل خير للمسلم أن يحج عدد قليل يجازفون بحياتهم لينالوا أكبر حظ من الثواب بسبب المشاق والأخطار التي يتعرضون لها ، أم أن يحج منهم عدد كبير

لا يشكبدون مثل هذه المشاق ، ولا يقرضون مثل تلك الأخطار ، مكتفين بشواب
القائمين بما فرضه الدين ؟

لا أضل أن يحدث خلاف في أي هذين الأمرين خير للمسلمين ، لا لأن المصلحة
تقضى به ، ولكن لأنه يوافق روح الاسلام من الرفق والتيسير ودفع الحرج والمنع
في كل شيء ، عملاً بقوله تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد
ليظهركم ويطهركم ويطهرهم عليكم لعلكم تشكرون » .
محمد فريد ومبري

مما قيل في الرأي والهوى

قال بعض الحكماء : فضل ما بين الرأي والهوى ، أن الهوى يخص والرأي يعم ، وأن الهوى
في خير العاجل ، والرأي في خير الآجل ، والرأي يبقى على طول الزمان ، والهوى سريع
الدور والاضمحلال ، والهوى في حيز الحس ، والرأي في حيز العقل .

وأوصى بعض الحكماء رجلاً فقال : آمرك بمعاينة هواك ، فانه يقال . إن الهوى مفتاح
السيئات ، وخصيم الحسنات ، وكل أهوائك لك عدو ، وأهواها هوى يكتمك في نفسه ،
وأعدها هوى يخل لك الائم في صورة التقوى ، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت
لديك إلا يحزم لا يشوبه وهن ، وصدق لا يطمع فيه تكذيب ، ومضاء لا يقاربه التثبيط ،
وسير لا يقتله جرح ، ونية لا ينقسمها التثبيح .

وقد قيل : ما أئين الخير والشر في مرآة العقل ما لم يصدتها الهوى 1 وقيل أيضا :
من جرى مع هواه طلقا ، جعل عليه للذل طرعا .

الاسلام والمسيحية (١)

كانت للملكة زبيدة امرأة ذات مواهب، وشاعرة مطبوعة. وإن مكة لتدين لها بالقناة المسماة باسمها. وكانت الأوانس في العصر العباسي يشتركن في الحروب ويقدن لجيوش. وقد ترأست والده المقتدر محكمة الاستئناف العليا، وكانت تقابل السفراء والمبعوثين. وكانت الشبغة شهده تحاضر في بغداد في القرن السادس الهجري في التاريخ والأدب. ومن بين مشاهير المتفقيات زينب بنت المؤيد التي تملذت على أشهر فقهاء عصرها وأعطيت إجازة بتدريس القانون. ولم تقل منزلة النساء الثقافية والتهديبية تحت حكم الأمويين عن منزلتهن تحت حكم العباسيين، فقد أخرجت غرناطة وقرطبة من مجليات النساء من اشتهرن في الفنون وفي العلوم، مثل زون وزينب وحرمة وحفصة وصنية ومارية.

ويمكن بي في هذا المقام أن أقول: إن الاسلام قد اعتبر المرأة مستقلة في نظر القانون، وأعطها حق حيازة الملك وجسمها مسئولة عما تدخل فيه من الالتزامات. وتعمدون أن الحال ليست كذلك في نظر أوروبا المسيحية، ففى أغلب الممالك الأوروبية تنتقل ملكية أملاك المرأة الى زوجها عند الزواج، وفى انجلترا تصبح المرأة في نظر القانون العام، هى وزوجها شخصا واحدا، ليس لها الحق وحدها فى التملك أو الدخول فى الالتزامات. ثم جاء قانون سنة ١٨٨٢ لملكية النساء المتزوجات، فأعطاهن الحق الذى لم يتمتعن به من قبل، فأصبحت المرأة مسئولة عما تدخله من الالتزامات والتعهدات بقدر أملاكها الخاصة، إلا أن هذا القانون لم يجعل الزوج خاليا من تبعة تصرفات زوجته، فإن للمدعى حق الاختيار بين مقاضاة الزوجة بمفردها أو إشراك زوجها معها.

(١) بجة ما نعر بهذا العنوان فى العدد الثامن من هذه السنة.

وإذا لم يكن للزوجة مال خاص أمكن المدعى مقاضاة الزوج بصفته مسئولاً عن تصرفات زوجته .

نستنتج من ذلك أن فكرة الاسلام في اعتبار المرأة مستقلة أمام القانون سبقت كل ما أحدثه فقهاء الغرب ثم إننا نجد غير ذلك أن كل شخص ، ذكر أو أنثى ، له الحق في الميراث ولا يمكن سلبه هذا الحق . فإذا قارنا ذلك بالحرية المطلقة في الوصية في القانون الانجليزي ، نحمد الله على ما هدانا اليه من ضرورة الاعتراف بحقوق الأسرة .

لقد اضطررت في هذا العرض الموجز أن أغفل ذكر الحضارة لعالية التي بلغها مسلمو إيران والهند ، ولكن بحسن بي أن أشير الى أنه لولا دخول العرب في الهند لكان للتاريخ شأن آخر غير شأنه الحالي ، فقد دخل العرب بلاد السند بقيادة محمد بن قاسم واستولوا على مولتان واحتلوا البنجاب حتى يزر ، ثم سقروا مقامهم هناك تحت إمرة محمد الغزنوي . ولست أبالغ إذا قلنا إنه لولا العرب لما أنجبت إيران رجالاً كعمر الخيام والنظامي والرومي والسعدي وحافظ والفردوسي ، ولما أنجبت الهند من الحكام أمثال بابار وأكبر وشاه جاهان وأورانجزب ونورجاهان والفيضي . ولولا الاسلام لما بُني (تاج محل) لؤلؤة لمجودات الآدمية في بحر الوجود ، والدليل الساطع على ما لا يمكن وصفه من الآلام ، والبرهان الخالد على حب أمير اطور لشريكته في الحياة والملك . ولولا الاسلام لما وجدت مبانى فيتيبور سكري الدالة على عظمة من البناء واستطاعته التعبير عن حالة طارئة من طبيعة الملك أكبر العجيبة . ولولا الاسلام لظلت ملايين العمال من الهنود تعبد الملايين من الأصنام دون الله ، ولظلت اللعنة النارية بالنمبوزين عامة في جميع البلاد ، ولما قامت الديمقراطية بالهند ، كما كانت وكما هي الآن ، تنادي لنظام الطبقات وليد البرهمية غير الشرعي .

ولنتنقل الآن الى القارة المظلمة حيث نجد في بعض جهاتها آثاراً من آثار الاسلام

ذى التاريخ العظيم ؛ فتجد في نيجيريا وأكانتى وكينيا وتنجانيقا ونخوم السودان والصعراء ، إمارات من البربر و زنوج المسلمين يسبقون جيرانهم المتوحشين في أسباب المدنية ، يطاعتهم للتوانين واتخاذهم سنننا خلقيا ، وغير ذلك مما يبرم على القبائل المجمعية ، حتى أن المستعمر الأوربي لهذه الجهات لم يجد صعوبة في تنظيمها وإدارتها ، لوجود نوع من نظام الحكم بها قبل الاستعمار ، فكان المستعمر يترك لهم قوانينهم المدنية كما هي في أغلب الأحيان ، ويستبدل قوانينهم الجنائية والحرية بغيرها . وأسأل المبشرين في تلك الأصناف مجبروك أنهم لا يلاقون نجاحا بها ، لأن القبائل هناك قد عرفت التهذيب قبل معرفة الرجال البيض بقرون ، فإن تجار العرب ، لاسيما في عصر الاسلام الذهبي ، كانوا قد حملوا الى كثير من تلك القبائل رسالة السلام والمدنية لا كرسى للاستغلال الاقتصادي والسياسي كما يحدث اليوم ، ولكنهم جاءوهم مخلصين يبلغونهم الرسالة التي أمرهم رسول الله ﷺ ببلغها الى الناس .

وقد يسأل سائل فيقول : وما علاقة ما وصل اليه المسلمون في العصور الأولى للاسلام بالاسلام نفسه ؟ والجواب على ذلك أن العلاقة كانت في كل شيء ، فلقد كانت بلاد العرب قبل الاسلام غارقة في بحور من الجهل والذائل ، فلما جاء الاسلام تبوأته مجدارة ذرا التقدم والثقافة . وكانت تمايل الاسلام هي الداعية الى هذا التغيير وسبب هذا الانقلاب العظيم ، قال رسول هذه التمايل : «مداد العلماء أفضل عند الله من دم الشهداء» . وقال أحد الكتاب المحدثين : «حفظ العرب التراث الذي خلفه المتقدمون من العلم والمعرفة ، ولو لا عملهم هذا لضلت سفينة العلم في بحر الظلمات . فملينا أن نشكر للعرب إنقاذهم تلك البضاعة النفيسة من الآداب والفلسفة اليونانية وحفظهم إياها خمسمائة سنة . كانت لأمبراطورية لاسلامية ، ولم يمض على وفاة النبي غير تسعين سنة ، تمتد من جبال الهمالايا الى جبال البرنات ، ولقد صحت عزيمتهم

لما كانوا عليه من الكبرياء، العقل والطموح وسعة التصور، على أن يدركوا سر الروح أيضا في فتوحاتهم.

من ذلك نعلم أنه لولا الاسلام لظل الناس يتخبطون في ظلمات الجهل والحمجية، فقد كان مصباح المعرفة ذبالة لا نكاد نفى، وكانت تلك الذبالة تنذر بالأفول. ولولا الاسلام لما حدثت النهضة بأوربا، ولما بدد النور ظلام المصور المظلمة. إذن فالفضل يرجع للعرب في بقاء شعلة الثقافة والمدنية مشتعلة، وفي مساهمتهم بما أضافوه من المعلومات التي زادت من سعادة الناس وروحانهم، ولم يكن عملهم موقونا بل كان باقيا.

والآن أتناول مسألة أخرى، وهي: هل المدنية الحديثة من ناحيتها الصالحة تدين بوجودها الى المسيحية؟ ولكنني قبل الخوض في هذا الموضوع أود أن أنبه حضراتكم الى حقيقة تاريخية هامة، وهي أن المسيحية بدأت حياتها وسط مدينة عظيمة، مهما قيل إنها كانت مدينة متداعية، فبدل أن تهيأ عجلت سقوطها ثم بقيت، على حد تسمير جونسون، ملكة الليل عدة قرون. ولم تظهر البلاد المسيحية علائم الحياة الممددة إلا بعد أن انتشرت المدنية الاسلامية من أقصى الشرق الى أقصى الغرب. وليس هذا مجال بيان كيفية مساعدة للدين الاسلامي على نشوء الحضارة الأوربية الحديثة. فإذا كان من حضراتكم من يريد الاطلاع على تلك الناحية فعليه الالتجاء الى كتاب «تطور أوربا العقل» تأليف دريبر، فهو يساعد على فهم هذا الموضوع. وإذا حدثكم عن منهج المسيحية نحو تقدم الحضارة الحديثة فلن أحدثكم عن تلك النصبة المروعة بالتفصيل، لأن كل مطلع على تاريخ المصور الوسطى يعرف عنها ما فيه الكفاية ولكنني سأفكم على النتائج التي وصل اليها ليكي (Lechey) بعد بحوثه المستفيضة في هذا الموضوع، قال:

«كان كل اتجاه فكري تمده الفلسفة جوهريا في تقدم الأبحاث، موصو ما يكونه

معصية، كما أن كثيرا من الرذائل الفكرية الفظيعة كان معتبرا من الفضائل، وظل الحال كذلك حتى القرن السابع عشر. كان الشك في الآراء التي يلقنها الطفل قبل سن التمييز معصية. وكانت الفضيلة أن يمتدح فيها الانسان اعتقادا راسخا دون سؤال أو تمحيص. كان الاعتراض على تلك الآراء أو ملاحظة العيوب الشاملة عليها معصية. وكانت الفضيلة إخذاد أي اعتراض عليها بهمة صدوره من الشيطان. كان من الاجرام البحث في أي شيء بحثا حرا يرثى من الأغراض، ومن الاجرام اتباع ما ترشد اليه العقول المستنيرة، ومن الاجرام أن يدلى الانسان برأيه أو أن يعترف بكفاية خصوم الآراء السائدة حينذاك. وبكلمة واحدة كان رجال الدين يمتدحون كل ميل الى التخلص من قيود العقائد السائدة وحب التفكير إهانة موجهة الى الله جل وعلا. ولقد نجحوا مدى زمن طويل في شل حركة العقل الأوربي تقريرا، وفي إقناع الناس أن البحث الحر لخالي من الأغراض من أخط الرذائل؛ نجحوا في ذلك بإياداة كل كتاب يمكن أن يشير مناقشة موضوعه، وببث روح التصديق الأعمى في كل فرع من فروع المعرفة، وباضطهاد المختلفين معهم في الرأي اضطهادا سرورا.

وأخيرا أُنقذت أوروبا بالمؤثرات الفكرية التي أوجدت (النهضة) بفضل أولئك الفلاسفة الذين وضعوا شروط البحث، وأولئك المجددين الذين جردوا على مناهضة الأفكار الميتية، ولم يخفهم استشهاد بروتو وفانيني أمام عيونهم. فانتشرت روح الفلسفة، وإن شئت فسمها روح الحقيقة. وضعفت روح التعصب الفكري.

وطالما كانت روح التعصب الفكري سائدة كان الاضطهاد عاما نازلا بالناس بلا رحمة، مسلما بصروته. ولما قويت روح الفلسفة اضمحلّت عادة الحرمان من رحمة الله، وضعف الاضطهاد، وغير طريقه، فبعد أن كان عملا يجري في العلانية أضحي ميلا عاما فقط. ففي عصر من عصور الاضطهاد كانت الخوارج تحرق، وكانوا يرهقون بالقوانين

الجنائية في عصر آخر من عصوره . وفي عصر ثالث كانوا يجرمون من المراتب والكاسب وفي عصر رابع كانوا ينبذون من المجتمع . وكان كل عصر من تلك المصور مصحوباً بما يناسبه من اضلال روح التمصب لعكس ، وما يناسبه من ازدياد قوة الحقيقة .

من الواضح أن أحكام ليكي السابقة لا تحاول بأي حال من الأحوال نسبة للدين الحديثة الى المسيحية بأعلى معانيها . ويمكننا أن نقول إن للدين الحالية جهة على الرغم من المسيحية ولم توجد بفضلها . ولكن الحال غير ذلك فيما يتعلق بالحضارة الاسلامية ، فقد انتشرت وانتعشت في الوقت الذي انتشر فيه الدين الذي أوجدها ، واضلعت حيناً وقف تقدم الدين وسكن .

وهنا نسأل لماذا فقد الاسلام حيويته ونشاطه ؟ والجواب على ذلك قريب : إن الدين يبقى من عصر الى عصر ، ولكن الأمة لا تستطيع أن تظل كذلك . فالأمة كأي كائن من الكائنات الحية ، لها ميلاد ولها شباب ، ثم نموت . أما الدين ، إذا كتب له البقاء ، فينتقل من بلاد الى بلاد لا يظهر نفسه . وطالما كان الاسلام ينتقل من مكان الى مكان ظل حياً وظل نشطاً . وفي اللحظة التي وقف فيها انتشاره بدأ ضعفه .

ونذكرون حضراتكم أن اعتناق الشعوب الجرمانية الباسلة الدين المسيحي جعل للمسيحية ما لها الآن من مجد وحضارة . فهم الذين احتجوا على المسيحية الأصلية ، وهم الذين أحدثوا الإصلاح في اتجاه تفكير الناس ، وأوجدوا عناصر التفكير الفلسفي الجري . والبحث الحر ، وكل الدوافع التي كوّنت مجموعها الحضارة الحالية . ألم يكن الآباء الحجاج م الذين أوجدوا أمريكا الحديثة ؟ على ذلك كان دخول الدين بلاداً جديدة من أهم العوامل في حياة هذا الدين . وقد تنبّهت الى هذه الحقيقة المنسية للبلاد الاسلامية النافية ، وعولت على اليقظة والتوسع مرة أخرى . ولدي دليل على ذلك أن المسلمين من الهند ، على الرغم من كونهم رزحوا تحت غير مزدوج ، ينشئون

الارسلانيات التبشيرية ويرسلونها الى بلاد الغرب فإن في ذلك ما فيه من قوة العزم والرغبة في التضحية من أجل هذا الغرض النبيل . ويسأل المسيحيون أنفسهم : هل في وسعهم أن يذلوا على مثل هذه العزيمة بين صفوفهم فيما يتعلق بدينهم ؟ وهل هم متفائلون في مستقبل دينهم كماؤننا في مستقبل ديننا ؟

إن أول ما يبدو للإنسان هو قوة العقيدة الاسلامية وتأصلها في النفوس . وهذه بلا شك ظاهرة جذيرة بالنظر . ولقد أصاب كارليل حينما قال في هذا الموضوع : « إن لدين الاسلامي يجد مكانه في صميم الأقدمة . وإن العرب يؤمنون بدينهم ، ولعمريشون به على عكس المسيحيين الذين لم يتمسكوا بدينهم تمسك المسلمين بدينهم ، منذ أيام المسيحية الأولى . والمسلمون يرددون عبارة (الله أكبر) فيتجدد إيمانهم بالاسلام يوما بعد يوم » . ومهما قيل في عدالة كارليل ككاتب أو ناقد فإنه لم يعارض رأيه هذا كاتب من الكتاب حتى الذين عرفوا بمهاجنتهم للاسلام . ولكنني لا أقصد من قولي هذا أن عيسى كان كاذبا أو أن الدين الذي جاء به ليس ديننا حقيقيا . فإبعد هذا عما أعتقد ، فإنني أعتقد مع جميع المسلمين أن عيسى رسول الله ، وأنه لم يأت بما لم يوح به الله . إلا أنني أقول مع ذلك إن الديانة المسيحية وتعاليم الكنيسة المسيحية ، في نظر المسلمين ، شيئان مختلفان . فليس للمسيحيين من عقيدة إلا في عيسى الذي خلقته خيالاتهم . وفي هذا رد المسلمين على السؤال الآتي : « لماذا لا يكون للمسيحية من السلطان على أتباعها مثل ما للاسلام من السلطان على معتنقيه » ؟ . وقد يسأل سائل فيقول : وما هي مساوئ المسيحية على ما هي عليه الآن ، وما هي مزايا الاسلام ؟ والجواب على ذلك أن المسيحية كما هي الآن لا تسد مطالب الدين الصحيح . فالدين الصحيح يجب أن يقدم للناس حلاولا معقولة للمشاكل وللعضلات التي تعترض حياتهم . والاسلام وحده يقدم هذه الحلول الى الفرد والى الجماعة على السواء . أما المسيحية فلها في عمارتها تعريف الشيء . تسسه أقساما ، ولا أكثر من ذلك . وسأسرد على حضراتكم بعض الأمثلة توضيحا لما أقول :

فلنبدا بموضوع الله :

إذا أردنا تفسير الفوضى في الخليقة لا بد من إثبات وحدتها، وقد جاء الاسلام بهذا، قال الله تعالى : « قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد » . ولكن المسيحية بتقسيمها الخالق الى ثلاثة أقسام جعلت من مسألة عويصة مسألة أعوص منها ، فلن يستطيع إنسان أن يقول ، وبداه على صدره : إن نظرية الثالوث معقولة أو مصدقة .

وخذوا مثلاً آخر: مسألة المادة والروح اللتين كهدما للمسيحية قوتين متعارضتين ، ولا بد من قتل الأولى لحياة الثانية . إن هذا ، بلا شك ، لا تقبله العقول المنطقية لمناقلة . على أن الأمر على غير ذلك في الاسلام ، فلا تمارض هناك بين المثل الأعلى وبين الواقع . ولا جل أن يحيا الانسان حياة مثالية ، ليس عليه تطبيق الواقع بشأنا ، ولكن عليه مداومة السعى وراء المثل الأعلى حتى يرتفع الواقع الى مستوى المثل الأعلى . وفي عبارة أخرى يعتبر الاسلام المادة روحا ، ولكنها روح تعبر عن نفسها في مجآى الزمان والمكان . قال تعالى :

« والله ملك السموت والأرض والله على كل شىء قدير » . وقال : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض » .

لقد قدر ينتشه الفيلسوف الألماني تلك الحقيقة في الاسلام فقال : « إذا كان الاسلام يحترم المسيحية فهو بحق ألف مرة ، لأنه اعترف بوجود الانسان » .
لها بقية .

أدب العبادلة

دخل كثير عزة على عبد العزيز بن مروان وهو مريض فقال له :
لو أن «رودك لا يتم إلا بأن تسلم وأنتهم لدعوت ربى أن يصرف ما بك الى ، ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافية ، ولى فى كنتفك النعمة .
فضحك عبد العزيز وأمر له بجائزة

الفهرس العام
للسنة السادسة (١٣٥٤ هـ) من مجلة الأزهر

المقالات

الصفحة	الموضوع	المؤلف
	(١)	
٤٨	آيات الله في السكون	حضرة الأستاذ مدير المجلة
٣٦٦	آثار المدينة المنورة
٤٩٣	الاخلاص في القول والعمل	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه
٢٩٢	أدب الحق مع رعاية الأدب
٣٥٩	الأدب العربي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم	قلم الترجمة
١٩٨	أساطيل المسلمين وحروبهم البحرية	حضرة الأستاذ مدير المجلة
٣٧٤	الأستاذ الأكبر — حقة التكرم
١٠٢	الأستاذ الأكبر — خطبة في الجامع الأزهر
٥٠٠	الأستاذ الأكبر — خطبة في تحفيظ القرآن
١٨٧	الأستاذ الأكبر — زيارته لأقسام الأزهر
١٨٩	الأستاذ الأكبر — شكر
٣٥٢	استفراكه
٣٤٤ ، ٢٦٣	أمراء التشريع الإسلامي	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه
٥٧٩ ، ٢٢٣	الإسلام والعلوم الحديثة	حضرة الدكتور عبد العزيز اسماعيل بك
٦٥٠		
٢٥٩		

الفهرس العام — المقالات

سنة	مؤلف	الموضوع
٤٧٦ : ٤١٨ ٦٣٤ : ٥٦٢ ٦٧٦	حضرة الدكتور عبد العزيز اسماعيل بك	الاسلام والطب الحديث
٦١٥ : ٤٦١ ٧٠٣	» » محمد غلاب	الاسلام والفلسفة
٧٢١ : ٥٧٠	قلم الترجمة	الاسلام والمسيحية
٦٢١	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	أسلوب القرآن الحكيم
٣١٦	» » يوسف الدحوي	أفعال العباد
٥٠٨	» » محمد الاسمر	الله جل جلاله
(ب)		
٢١٠	حضرة الأستاذ احمد غلوش افندي	بيان من جمعية منع المسكرات
(ت)		
٤٩٥ : ٤٢٦ ٥٥٦	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	تاريخ الألفاظ في اللغة العربية
١٢٩	قلم الترجمة	تاريخ العلوم المدنية في الأدب العربي
٢٠٣	» »	تاريخ الصوغية في الأدب العربي
٢١٥	تأسيس مدرسة طابوت
٣٥٣	فضيلة الأستاذ الشيخ رمضان محمد غنيم	تعليم اللغات في الأزهر
٦٨٧	حضرة الأستاذ مدير المجلة	تعليق على مقال
١٩	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	تفسير آية « وإذ أخذناك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم »
١٥٢ : ٧٩ ٣٠٣ : ٢٢٤ ٤٤٨ : ٣٧٥ ٥٩١ : ٥٢٠ ٦٦٢	» » » »	تفسير سورة الرعد

الصفحة	الموضوع	المجلد
	(ح)	
٧١٥	الحج	حضرة الأستاذ مدير المجلة
٤١١	حرية الرأي في الاسلام	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق مرجون
٣٩	حكم العلم على الفلسفة المادية	حضرة الأستاذ مدير المجلة
٦٠١	حكمة الصيام	فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر
١٠٩	حقوق الحوار في الاسلام	حضرة الأستاذ مدير المجلة
١٣٦	حياة محمد — تقریظ
٦٨٢	الحياة الأدبية عند العرب	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق مرجون
	(د)	
٥٤٥ ٤ ٣٣٧ ٦٠٥	دحض شبهات عن الاسلام	حضرة الأستاذ مدير المجلة
	(ر)	
٥٩٠	رثاء عالم جليل
٥٨٣	رثاء عالم جليل
١٦٤	الرحمة	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف المدجوى
٤٨١	روح الاسلام والمذاهب الفلسفية	صادق مرجون
	(ش)	
٢٣٥	الشجاعة	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف المدجوى
٣٨٨	الشرك وعقوبته الآخروية
٣٨٨	الشرك وعقوبته الآخروية	حضرة الأستاذ مدير المجلة

العدد	المجلد	الموضوع
		(ف)
٣	حصرة الأستاذ مدير المجلة	فاتحة السنة السادسة
١٢٠	حصرة الأستاذ مدير المجلة	فتح المسلمين لأسبانيا
٤٣٨ ٤٢٥٤		
٥٦٧ ٥٥٠٥	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه	فلسفة الأخلاق
٧١٢ ٦٥٣		
٥٣٤	» يوسف الدجوى	الفيلسوف والنبي
		(م)
٦٥	قلم الترجمة	مآثر العرب في العلوم المدنية
٤٣٩	» »	مآثر العرب في علم التاريخ
٣٣٤	فضيلة الشيخ محمد عبد السلام القانى	مؤتمر تاريخ الأديان
٤٤٠	» » »	عجلة الأزهر
٤٦٩	فضيلة الأستاذ الشيخ عمر الجندى	محارب المساجد
٩٢٤٣٠	» الشيخ يوسف الدجوى	الحمة وأتومها
٦٠	حصرة الأستاذ مدير المجلة	المدنية الفاضلة في الاسلام
٤٨٥	» » »	المراة : هل لها أن تتعلم العلوم العالية
١٣	» » »	مهمة الدين الاسلامي في العالم
٧٣	» » »	أغراضه الاجتماعية
١٤٥	» » »	مهمة الدين الاسلامي في العام
٢١٧	» » »	تطور الأمم في فهم خير الروابط الاجتماعية
		مهمة الدين الاسلامي في العام
		توجيه قوى الاحتجاج الى الإصلاح
		مهمة الدين الاسلامي في العالم
		حراة الحقوق الطبيعية

الموضوع	بسم	صفحة
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى تعرف السنن الالهية	حضرة الأستاذ مدير المجله	٢٩٧
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى المحافظة على السمو لروحانى	» » »	٣٩٩
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى العمل على إقامة العمران ...	» » »	٤٤١
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى تأسيس مدينة عالمية فاضلة ...	» » »	٥١٣
مهمة الدين الاسلامى فى العالم المدنية الفاضلة فى الاسلام	» » »	٥٨٥
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى القيام بخلافة الله فى الأرض	» » »	٦٥٧
المولد النبوى — ذكرى	» » »	١٩٠
(ن)		
نظرة فى تفسير آية	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	٦٨٠
نهضة الأدب العربى	» » الشيخ صادق مرجون	٣٥٥
(هـ)		
الهجرة النبوية — ذكرى	حضرة الأستاذ مدير المجله	•
هندي يدمى المعجزات	٥٨٣
(و)		
واجب العباد نحو ربهم	حضرة الاستاذ مدير المجله	٦٩٥

الفتاوى

الرقم	الموضوع	الفتوى
	(أ)	
٢٤٨	الابراء بما في الذمة	الشيخ عبد الحفيظ لدفتار
٣٢٨	استبصاح لموى	فضيلة الأستاذين } حسین البیوی
١٧٩	الآذان وقت الدفن	حضرة الفاضل الأستاذ خضر الحسيني لبي
٤٥	الاذن في التكاح	الشيخ قنديل قنديل } عبد السلام شرف
١٧٩	أعلام المبر وسيم الخطيب ...	الشيخ يوسف المرسى } حسین البیوی
	(ب)	
٢٤٩	البوطة — حكمها	الشيخ محمد السيد أبو شوشه } عبد الله موسى
٦٤٩	البيع	لجنة الفتوى
٢٤٨	بيع الشجر	الشيخ قنديل قنديل } عبد السلام شرف
	(ت)	
٥٧٧، ٤٧٢	تشریح المیت	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى
٦٢٧	تبریح ایت وفتوی المرحوم الشيخ یحیی	حضرة الأستاذ الشيخ محمد عبد الوهاب بحیری
	(ح)	
٢٤٤	الحلف الكذب	الشيخ محمد السيد أبو شوشه } عبد الله موسى

الرقم	الموضوع	الفتوى
١٧٩	الحيض ووطء المرأة قبل الاغتسال منه	الشيخ قنديل قنديل عبد السلام شرف
	(خ)	
١٧٧	خلف الوعد	الشيخ حسن علي مرزوق علي ادريس
	(ذ)	
٢٤٣	الذبيح - من هو ؟	الشيخ محمد السيد أبو شوشة عبد الله موسى
	(ر)	
١٧٢٤٦١٠	رقية الهلال	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي
١٤٢	الرضاع	لجنة الفتوى
	(ز)	
١١٧	زكاة الذهب والفضة	الشيخ يوسف المرصفي مصطفى الشريفي
٢٥٣	الزكاة	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الله يوسف
٥٤	الزكاة - التصرف منها على المستشفيات	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي
١٧١	الزنا بخالة الزوجة أو أمها	الشيخ قنديل قنديل عبد السلام شرف
	(ش)	
١٧١	شرح آية	الشيخ قنديل قنديل عبد السلام شرف

مقدمة	بسم	الموضوع
١٧٩	الشيخ قنديل قنديل عبد السلام شرف	شرح آيتين (ص)
٢٤٤	الشيخ محمد السيد أبوشوشة عبد الله موسى	الصدقة - مصرفها
١١٦	الشيخ يوسف المرصفي مصطفى الشريفي	الصلاة والصوم لسكان القميين ...
١١٨	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الحجوي	صلاة الجمعة في البيوت والمساجد المتعددة
١٧٦	الشيخ قنديل قنديل عبد السلام شرف	صلاة الليل
١٧٩	» » »	صلاة الجمعة - حكم تركها
٢٤٩	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الله يوسف	صلاة الجمعة قبل الزوال
٢٤٨	لجنة الفتوى	صلاة الجمعة - نصابها
٢٤٧	» »	الصلاة على الميت
١٧١	الشيخ قنديل قنديل عبد السلام شرف	الصور - حكم النظر إليها (ط)
١١٥	الشيخ يوسف المرصفي مصطفى الشريفي	الطلاق وكناياته
١٧٨	الشيخ قنديل قنديل عبد السلام شرف	عذاب القبر (ع)

الترتيب	الموضوع	الصفحة
٤٦	العشر — الخمسة العشرية والنحو الكيمياء (ق)	الشيخ عبد السلام العسكري فضيلتي الاستاذين } حسين السيوي
١٨٣	القراض	قصيدة الأستاذ الشيخ يوسف المدجوي
١٧٧	القراض في الطعام	الشيخ حسن علي مرزوق فضيلتي الاستاذين } علي إدريس
١٧١	القصص الخيالية	الشيخ قنديل قنديل عبد السلام شرف
٢٤٤	قضاء ومضاد والنذر	الشيخ محمد السيد أبو شوشة عبد الله موسى
٥٨	الكلب — حكم آكله في مذهب المالكية (م)	قصيدة الأستاذ الشيخ يوسف المدجوي
٢٤٧	مخازن الغلات	الشيخ عبد الحفيظ الدفتر حسين السيوي
٣٧٤	معاملة التجار وما فيها من الريا	قصيدة الأستاذ الشيخ يوسف المدجوي
١١٨	ميراث — مسألة	الشيخ يوسف الرصافي فضيلتي الاستاذين } مصطفى الشرييني
٩٤٩	ميراث	لجنة الفتوى
١٧٧	(ن) التنفقة على الزوجة والأولاد	الشيخ حسن علي مرزوق فضيلتي الاستاذين } علي إدريس

الرسوع	بقلم	سنة
(و)		
وله العلب	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الحوى	٤٧٣
(ى)		
اليانصيب	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٣٣٠

الخطأ والصواب

صواب	خطأ	صواب	خطأ
خطوتنا	خطينا ١٣ ٤٢٨	واذكروا إذ كنتم	واذكروا نعمة الله
شيزر	شيزار ١٤ ٤٣٣	عليكم إذ كنتم	أعداء ٢٢ ١١
حصن كيفا	حصن حيفا ١٩ ٤٣٣	فتمن	فتمن ٢٢ ٤٧
وصيف شاه	واصف شاه ٩ ٤٣٥	وازداده	٩ ٥٣
ابن الراهب	ابن الرقيب ٩ ٤٣٧	أيواما	١٥ ٥٣
إدبل	أربلا ١٩ ٤٣٧	إن اصطناع	٢٥ ١١٩
النصف	الصف ٩ ٦٤٩	في كل كبد رطبة	١٥ ١٦٤
وليم نعمته	ويتم نعمته ٦ ٧٢٥	من النقود من	٢٥ ١٨٥
(القسم الاسكيزي)		مسارعه	سارعه
وصوم رمضان	٢١ ٢٤	سبقت	١٥ ٢٤٨
أمرم أمرم من	٨ ٣٣	ثم نظروا	٧ ٣٥٢
الاصمال	الاصمال	فتغذ مشيته	٢٥ ٣١٤
نثبت الحبة	١٥ ٣٥	فأما الذين في قلوبهم	٤ ٣١٨
في امرأتك	١٤ ٧١	ظريفا ما قلا ماجدا	٧ ٣٣٥
		الذي علق	١٥ ٤٢٣

p. 150, l. 9 *for* have thrown *read* threw

p. 151, l. 9 *for* ruined *read* desolate

p. 151, ll. 14, 24, 25 *for* spirit *read* soul

p. 151, ll. 3, 2 from bottom *read* they have been given but a little
part of Knowledge

p. 152 *insert* (2) after last word of the hadith
and add footnote (2) :

The Prophet was afraid that recent converts would misunderstand the demolition of the Karbah, for which they had great veneration, and relapse into unbelief. For this reason he was obliged to give up the course which seemed to him the best, and to refrain from telling them. (See Al-Qasaliḥni and Ibn Hajar)

p. 153, l. 17 *sqq read* :

Murādh was once riding pillion behind the Prophet, (Allāh bless him and give him peace), who said :

p. 154, ll. 12, 13 and also last line of hadith *read* ' They would take advantage of it '

p. 155, l. 5 *for* over - modest *read* falsely modest

p. 155, l. 9 *for* over - modesty *read* false modesty

p. 156, l. 20 *for* mentioned *read* conjectured

p. 156, l. 3 from bottom *for* would have given *read* would give

ERRATA

We much regret to state that the preceding section of the translation of the hadith has appeared with a considerable number of printers errors and other mistakes for which the translator is not responsible. We must therefore request anyone who wishes to criticise the text to refer to the author of the translation before expressing any criticism. For the future, arrangements have been made which, we trust, will make the recurrence of such errors impossible.

We accordingly content ourselves for the present with calling attention to some of the more important cases. —

P. 124, l. 2 *for* take off and throw *read* throw off

P. 128, l. 3 from bottom * reviewing * indictment

P. 136, note (4) * strewing in * packing

P. 138, note (3) *read* : Either figuratively in the sense of mercy, or literally in the sense of the treasures of Byzantium and Persia, which, as foreseen by the Prophet, would accrue through the victorious wars with those empires.

p. 140, l. 12 *for* prayed *read* performed

p. 141, l. 4 from bottom * transactions * striking bargains

p. 141, l. 2 from bottom * working their property * husbandry

p. 142, l. 3 *after* peace } *insert* — *with whom I was content*

p. 147, ll. 5, 24 *for* boat *read* ship

p. 147, l. 5 * drew * passed

p. 147 *for* ll. 15-17 *read* but as a drop in the ocean such as hath been taken up in the beak of this bird.

p. 148, l. 22 * a payment * a fee

p. 149, l. 1 *place* standing *after* questions

p. 149, l. 5 *after* Jarir *insert* through Mansûr, through Abu Wâ'il

p. 150, l. 4, sqq. *read* :

I saw the Prophet when he was being asked questions

p. 150, ll. 8, 14, 15 *for* sacrificed *read* slaughtered * he victim

I was once spending the night in the house of my maternal aunt Maimûnah, when the Prophet (Allâh bless him and give him peace) went to sleep⁽¹⁾ during the early part of the night, and then later in the night he rose and performed a light wudû from an old water-skin that was hanging there (according to 'Amr the wudû was light and cut short).⁽²⁾ After that he stood up to pray so I performed the wudû just as he had done and then I went and stood at his left;⁽³⁾ he made me change sides, placing me on his right. He then prayed to his heart's content;⁽⁴⁾ after which he lay down and slept until his breathing became stertorous. Later on, the muezzin came to him and called him to prayer, joining him in it, and the Prophet prayed without performing a fresh wudû.

Sufiân said to 'Amr: "Certain people say that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) sleepeth in his eyes but not in his heart." 'Amr replied: "I have heard Ubaid b. 'Umair say: 'The dreams of Prophets are revelations.'"⁽⁵⁾ Then he recited: "Verily I have seen in my dream that I must slaughter thee"⁽⁵⁾

«بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً
فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
الَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَضَّأَ
مِنْ شَنْ مُعَانٍ وَضَوْوًا خَفِيفًا -
بُخْمَةً مَرُّو وَبُقْلَةً - وَقَامَ يُصَلِّي
فَتَوَضَّأَتْ نَحْوًا تَوَضَّأَ ثُمَّ جَثَتْ
فَقَمْتُ عَنْ يَسَارِهِ (وَرُبَّمَا قَالَ
سُفْيَانُ عَنْ شِبَالِهِ) فَحَوَّلَنِي
فَجَمَعَنِي عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ
اللَّهُ ثُمَّ اصْطَبَحَ قَتَامٌ حَتَّى انْفَجَحَ ثُمَّ
أَنَاءَ الْمُنَادِي فَأَذَنَهُ بِالصَّلَاةِ فَقَامَ
مَعَهُ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأَ .
قَالُوا لِمَعْرُوفٍ إِنْ نَأَسَا يَقُولُونَ :
« إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
نَامَ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ » قَالَ مَعْرُوفٌ :
سَمِعْتُ عُمَيْدَ بْنَ مُصْمَرٍ يَقُولُ :
رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحُصِيٌّ ، ثُمَّ قَرَأَ :
« إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْنَحُكَ » .

1 The variant (قام) for (قام) as suggested by Ibn As-Sakan and supported by Al-Qâdi dyâd and others is more suitable to the sense Cf. another reading

(قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انصف الليل)

2 i.e. performing the ablution only once for each part,—the minimum required for its validity

3. " Sufiân states that perhaps the word *يساره* may have been used instead of *يساره* " This sentence was interpolated in the text by 'Alî b. Al-Madini.

4. This is the meaning implied by the Arabic idiom *ما شاء الله* (Whatever Allâh willed).

5. Surah 37, v. 102.

had it from Sufiān, who was told it by Az-Zuhri, through Sa'id b. Al-Musayyab, through 'Abbād b. Tamim, through his paternal uncle who complained to the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) of the case of a man who imagined that he had committed an irregularity during his prayer

The Prophet replied .
' Let him not interrupt it⁽¹⁾ so long as he hath not heard any sound or perceived any smell."

CHAPTER 5

On the admissibility of alleviating the wudū

We are informed by 'Aḍ b. 'Abdullāh, who had it from Sufiān, through 'Amr who was told it by Kuraib, through Ibn 'Abbās that :

The Prophet (Allāh bless him and give him peace) once slept (or perhaps Sufiān said - "he lay down") until his breathing became stertorous, after which he rose and performed his prayer

We ⁽²⁾ have been repeatedly informed by Sufiān, through 'Amr, through Kuraib, through Ibn 'Abbās who said

حدثنا الزهري عن سعيد بن المسيب
عن عباد بن تميم عن عمه أنه سكتا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل
الذي يحس أنه يجتهد الشيء
في الصلاة، فقال :

« لَا يَنْفِتِلْ أَوْ لَا يَنْصَرِفْ حَتَّى
يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا »

باب التَّخْفِيفِ فِي الْوُضُوءِ :

حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا
سفيان عن عمرو قال أخبرني كريب
عن ابن عباس :

« أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ
حَتَّى تَفْخَ ثُمَّ صَلَّى - وَرُبَّمَا قَالَ
اضْطَجَعَ حَتَّى تَفْخَ - ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى .
ثُمَّ حَدَّثَنَا بِهِ سُفْيَانُ مَرَّةً بَعْدَ
مَرَّةٍ عَنْ عَمْرِو عَنْ كَرِيبٍ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ قَالَ .

1. Or - leave it off ; the narrator is uncertain as to which word was used

2. The narrator here is 'Aḍ b. Al-Mad al, Al-Bukhari's informant. He means that Sufiān related the had th more than once sometimes in a shortened, and sometimes in an extended, form

the excellence of those from whose brow and limbs a glory shineth in consequence of the wudû. (1)

We are informed by Yahyâ b. Bukair who had it from Al-Laiih through Khâlid, through Sa'îd b. Abu Hilâl, through Nu'aim Al-Mujmir who said :

I once went up with Abu Hurairah on to the roof of the Mosque(2), and when he had performed his wudû, he said, 'I have heard the Prophet (Allâh bless him and give him peace) say : 'My people shall be called to the Day of Resurrection(3) with glory shining from their brow and limbs in consequence of the wudû. So let him of you that is able to extend the glory of his brow,(4) do so.' "

CHAPTER 4.

On him who need not perform the wudû through doubt until he have made sure.

We are informed by 'Aî who

حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا

الليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال

عن نعيم المجر قال :

رَقِيتَ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى

طَهْرِ الْمَسْجِدِ فَتَوَضَّأَ فَقَالَ : إِنِّي

سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

« إِنْ أُمِّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

غُرًّا مُجَلِّينَ مِنْ آثَارِ التَّوَضُّؤِ ، فَمَنْ

اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ

فَلْيَفْعَلْ »

بَابُ لَا يَمُوتُ مِنَ الشَّكِّ

حَتَّى يَسْتَقِين :

حدثنا علي قال حدثنا سفيان قال

1 The metaphor is of the white spots on a horse's forehead and legs, and refers to the spiritual reward of those who have performed conscientious wudû.

2. At Al Madinah

3. Or — shall be named on the Day of Resurrection glorious-browed and shining-limbed

4, i.e. to the rest of his face. The glory of the limbs is here inferred

CHAPTER 2

Prayer is not accepted by *Allāh* without ritual purification.

We are informed by Ishāq b. Ibrāhīm Al Hanzālī, who had it from 'Abdu-R-Razzāq, who was told it by Ma'mar through Hammām b. Munabbih that he heard Abu Hurairah, say that the Apostle of Alāh (Alāh bless him and give him peace) said :

" Prayer is not accepted from one who hath suffered an accidental impurity ⁽¹⁾ until he have performed a fresh wudū' "

A man of Hadramaut asked Abu Hurairah what this accidental impurity was, and he replied : " Silent or audible breaking of wind. " ⁽²⁾

CHAPTER 3

On the merit of the wudū' and

بَابُ لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ بِغَيْرِ طَهْوَرٍ

حدثنا السحق بن ابراهيم الخططي
قال أخبرنا عبيد الرزاق قال أخبرنا معمر
عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ »
قال دَجَلٌ مِنْ حَضَرَ مَوْتَ :
مَا الْإِدْبَارُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ : « فُتَاءُ
أَوْ مُصْرَاطٌ » .

بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ وَفَضْلِ الْغُرَّةِ الْمَحَجَّاتَيْنِ مِنْ أَتَارِ الْوُضُوءِ :

(1) Soil - during prayer

(2) Pollution nullifying the validity of prayer is of two degrees—major and minor. The former includes all forms of seminal emission through sexual contact or otherwise, women's courses and child-birth, all of which call for ghusl and wudū'. the latter includes pollution through the excretory organs or bleeding, and (according to the Shāfi' School) touching the opposite sex—all of which require wudū'.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب الرابع

كتاب الوضوء

IN THE NAME OF ALLAH THE ALL-LOVING, THE MOST MERCIFUL BOOK IV OF RITUAL ABLUTION.

CHAPTER 1

On what hath been expounded on ritual ablution⁽¹⁾ and the word of Allāh (be He exalted): "O ye that believe! When ye rise up unto prayer, wash your faces and your hands as far as⁽²⁾ the elbows, and stroke your heads with your wet hand and wash your feet as far as the ankles"⁽³⁾.

Abu 'Abdullāh (Al-Bukhārī) adds: "The Prophet (Allāh bless him and give him peace) hath shown that the prescribed duty of wuddū is to be performed once for each several part; but he also did it twice and thrice, never exceeding three times

The doctors of Islām have disapproved of exaggeration in it, that is,⁽⁴⁾ they have been averse from exceeding the action of the Prophet (Allāh bless him and give him peace).

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْوُضُوءِ وَقَوْلُ
اللَّهِ تَعَالَى : إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى
الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ،

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : وَبَيَّنَّ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فَرْضَ
الْوُضُوءِ مَرَّةً مَرَّةً ، وَتَوَضَّأَ أَيْضًا
مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا ثَلَاثًا ، وَلَمْ يَزِدْ
عَلَى ثَلَاثٍ ،

وَكَرِهَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْإِسْرَافَ
فِيهِ وَأَنْ يُجَاوِرُوا فِعْلَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

1. There are two chief degrees of purification, the first is called *Ghusl* (غسل) i.e. the washing of the whole body with clean running water; the second is termed *wuddū* (وضوء) i.e. the washing of the hands, face, arms and feet in a specified manner as a pre-condition of prayer.

2. Scil. and including

3. Surah 5, v. 6.

4. Tān (أن) here is meant to place the following sentence in apposition

also said : ' The people of Yaman shall start from Yalamlam. ' For my part, (continued Ibn 'Umar) I have not learned⁽¹⁾ this last pronouncement from the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace).

CHAPTER 95.

On one who answereth a questioner more fully than he requireth.

We are informed by Adam, who had it from Ibn Abu Dhī-ḥ, through Nāfi' through Ibn 'Umar, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) and also through Az-Zuhri, through Sālim through Ibn 'Umar, from the Prophet (Allāh bless him and give him peace) that :

A man once asked him saying : " What should a Muhrim⁽²⁾ wear ? " He replied : " He shall not wear a shirt, nor a turban, nor drawers, nor a burnous, nor any garment touched by " wars " ⁽³⁾ or saffron. If he cannot find sandals, he may wear boots, but he must have them cut in such a way that they come below the ankle-bones."

The end of the Book of Knowledge

« وَيَبُولُ أَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلَامَلَمَ »
وَكَانَ ابْنُ مُهْمَرٍ يَقُولُ : لَمْ أَفْقَهُ هَذَا
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

بَابُ مَنْ أَجَابَ اسْأَلِيَ بِأَكْثَرِ
مِمَّا سَأَلَهُ :

حدثنا آدم قال حدثنا ابن أبي ذئب
عن نافع عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم ، وعن الزهري عن
سلم عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم :

« أَنْ رَجُلًا سَأَلَ : مَا يَلْبَسُ الْهَرَمُ ؟
فَقَالَ : لَا يَلْبَسُ الْقَمِيمَ وَلَا السَّامَةَ
وَلَا السَّرَاوِيلَ وَلَا الْبُرُوسَ وَلَا ثَوْبًا
مَسَّهُ الْوَرَسُ أَوْ الرُّعْقَرَانُ ، فَإِنْ
لَمْ يَجِدِ الثَّمَلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْحَقِيمَيْنِ
وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا نَحْتِ
الْكُمَيْنِ » .

انتهى كتاب العلم

[1] Al-Bukhari in another version of this hadith cited under " Pilgrimage " gives the variant (لَمْ أَسْمَعْ) for (لَمْ أَفْقَهُ)

[2] One in a state of Ihram.

[3] An aromatic plant of Yaman used as a yellow dye and a oton ; the idea being that the garment allowed to a Muhrim of either sex, must not be dyed or perfumed. The ihram garb is intended to symbolise humility, privation and the thought of death.

ance on the subject. He did so, and the Prophet replied: ' This requires ritual ablution ' ”

صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال :
« فيه الوضوء »

CHAPTER 94

On discussing Knowledge and answering questions in the mosque

We are informed by Qutaybah b. Sa'îd, who had it from Al-Laith b. Sa'îd, who received it from Nâfi' the freedman of 'Abdullâh b. 'Umar b. Al-Khattâb, through 'Abdullâh b. 'Umar that -

A man got up in the mosque and said: " O Apostle of Allâh, from what starting-point dost thou ordain that we should assume the state of the ihram?⁽¹⁾ " The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) replied :
" The people of Al-Madinah shall begin their ihram from Dhul-Hulayfah, the people of Syria from Al-Juhfah, the people of Najd from Qarn. "

'Abdullâh b. 'Umar adds: " It is asserted that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace)

بَابُ ذِكْرِ الْعِلْمِ وَالْفَتْيَا
فِي الْمَسْجِدِ :

حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا
الليث بن سعد قال حدثنا نافع مولى
عبد الله بن عمر بن الخطاب عن عبد الله
ابن عمر :

أَن رَجُلًا قَامَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ نَأْمُرُ نَأْ أَنْ
نُبَلِّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« يُبَلُّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ
وَيُبَلُّ أَهْلُ الشَّامِ مِنَ الْجُحْفَةِ وَيُبَلُّ
أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ » .

وَقَالَ ابْنُ عُثْمَرَ : وَيَزُحْمُونَ أَنْ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(1) يَمْلَأ = literally raising the voice is the recitation of the talbiyah (the labbaik formula) on starting on the pilgrimage, combined with which is the ihram—a ceremonial state during which the pilgrim is subject to certain prohibitions, and is attired in the appropriate garb

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

لـهـوـتـاـزـاـبـرـاـهـيـمـ مـسـدـ المـوـجـي

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

BY

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S

CHAPTER 93.

On one who, being overcome by shame, chargeth another to ask a question for him.

We are informed by Musaddad who had it from 'Abdullāh b. Dāwūd, through Al-A'mash, through Mundhir Ath-Thawri, through Muhammad b. Al-Hanafiyyah, through 'Ali who said:

"I was subject to prostatic secretions, (1) so I charged Al-Miqdād to ask the Prophet (Allāh bless him and give him peace) for his ordin-

بَابُ مَنْ اسْتَعْيَا فَأَمَرَ نَحْبَهُ
بِالسُّؤَالِ :

حدثنا مسدد قال حدثنا عبد الله
ابن داود عن الأعمش عن منذر الثوري
عن محمد بن الحنفية عن علي قال :

« كُنْتُ رَجُلًا مَدَّاهُ فَأَمَرْتُ
الْمِقْدَادَ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ

(1) دَنَى = a viscous fluid exuding from the sexual organs as excited by carresses, not amounting to a regular seminal discharge. Such exudation satis for ritual ablution (وضوء), whereas seminal discharge (دَنَى) requires total immersion (غسل). In the Prophet's words من الذي يرفو ومن الذي يفسد.

نولد مقتضياتها ولم تنضج لها الشؤون الاجتماعية بعد ؟ وكيف تبلغ أقصى ما يتخيله العقل من العدل المطلق ، ولم يتحقق هذا الخيال في أرق الأمم الى اليوم ؟ وهو رسول ديانة ، ولكن أمة ديانة ؟ وهذه باحة قصية الأكاف تقوم تجاهها فلسفة الأديان حيرى لاندري كيف زوح أصول هذه الديانة السامية في شعب كان بالأمس مصرب المنل في الفوضى والجهل ؟

وهو وضع أصول إصلاح عام شمل جميع ما قام به المباشرة ببدء من التجديدات في سائر فروع النشاط الانساني في خلال فروع متوالية الى يومنا هذا . وهذا موطن يجد علم النفس فيه أنه من القصور بحيث لا يستطيع أن يهيمه فضلا عن أن يدلي فيه برأى .

أمة محمد :

أندري ما هي أمة محمد ؟ هي أمة رابطتها لاجتماعية لأصول الأديّة ، والمبادئ الخلقية ، لالحاجات المادية ، ولا الصرورات المعاشية . فهي أول أمة في تاريخ لعالم قامت على هذه القواعد الخالدة . وهذه الربطة بهذا الوصف وضمت لتسع العالم كافة ، بصرف النظر عن اختلافهم في البيئات والألوان واللغات ، خلافا للروابط الاجتماعية المبنية على الحاجات المادية ، فهي لا تصلح ، لا تقوم بجمعهم بيئة واحدة ، وتؤلف بينهم مقتضيات مشتركة . فالأولى رابطة جامعة لآمة ، والثانية خاصة مفرقة

لهذا السبب جمعت الرابطة الاجتماعية الاسلامية بين آحاد من قوميات شتى ، وأجناس ليس بينهم أدنى صلة من لون ولا لغة ولا تاريخ . فالأمة التي تقوم عليها يصح أن توصف بأنها عالمية عامة .

ولما كانت رابطتها للمبادئ الأديّة ، ولأصول الخلقية ، كانت ببيتها تأني لا اعتداد بالتموارق القومية ، وبالطبقات الاجتماعية ، ولا تمول إلا على شيء واحد وهو الفضائل الشخصية . وقد أشار الله الى ذلك بقوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم

من ذكر وأنتى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أو بعمل صالح ،
كلكم من آدم وآدم من تراب » .

هذا لعمرى أجل من أن يقال فيه إنه ترقى في رابطة الاجتماع ، لأنه فذ في نوعه
لا يمت إلى الروابط الاجتماعية بأذى صلة . فأين تلك الروابط التي تقوم على المحامات القومية
التي أثرها الفرقة والبداوة ، من هذه الرابطة الإسلامية التي تقوم على الساموس الأديني
ويكون من أثرها التسوية بين الناس ، ومعاملتهم كافة بالعدل والإحسان ، ورفع
الأصلح إلى أعلى مكانات الشرف ولو كان عبدا حبشيا ، أو أسود زنجيا ، أو زبلا أعجميا ،
أو مجهول الأصل ؟

فهذه أول أمة في تاريخ العالم وصل فيها الذين كانوا عبدانا بالأمس إلى ولاية
الخطط الحكومية ، وإلى سيادة الأقاليم في العلم والإمامة .

فكم نقدر أن يمر من الزمن حتى نصل أرقى الأتم إلى مثل هذه الحالة الاجتماعية
المبنية على العدل المطلق ، والحقوق الطبيعية ؟

دولة محمد :

دولة محمد صلى الله عليه وسلم ديموقراطية دستورية بأوسع ما يحتمله مدلول هاتين
الكلمتين . فهي ديموقراطية لأنها كانت شعبية محضة تمحقت فيها الفروق الطائفية ،
والامتيازات الأرستوقراطية . ووجه الخطاب فيها إلى الشعب كافة لا إلى طبقة منه
خاصة ؛ ووزعت الحقوق والواجبات فيها على الأفراد على حد سواء ، لا فرق بين ذكر
وأنتى ولا بين سيد ومولى ؛ وفتحت آفاق الوصول إلى الغايات البعيدة أمام المتنافسين
من كل جنس ولون وبيئة ، ينال قصب السبق فيها من سئم به همة وكفايته إليها
لا يصده حائل من أي نوع كان . ألم يول النبي صلى الله عليه وسلم بلالا على المدينة
وفيهما جلة العرب من الأنصار والمهاجرين وهو عبد حبشي اشتراه أبو بكر وأعتقه ؟

أولم يسند عليه السلام إلى مهران الفارسي ولاية اليمن وهو من صميم الفرس ، فلما مات
سندها إلى ابنه ؟ أو لم يقل صلوات الله عليه وسلامه : « سلمان منا أهل البيت ؟
وهو فارسي لا تزال العجمة تمتور لسانه ؟

وقد جرى أصحابه وأتباعه على هذا المبدأ لأنه أصل من أصول الإسلام . قال الحسن
البصري رضي الله عنه : حضر باب صهر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وأبو سفيان
ابن حرب في نفر من قریش من تلك الروم ، وصهيب وبلال من أولئك النواصي
(أي الذين كانوا بالألمس عبيدا) وقد شهدوا بدرا . فخرج إذن صهر لا أولئك النواصي
وأخر أولئك السادة . فقال أبو سفيان : لم أراك اليوم قط : يا ذن لهؤلاء العبيد ويتركنا
على بابه لا يلتفت إلينا ؟ فقال سهيل بن عمرو وكان رجلا عاقلا . أيها القوم إني والله أرى
الذي في وجوهكم ، إن كنتم غضابا فاعضبوا على أنفسكم ، دُعي القوم ودُعيهم ، فأسرعوا
وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم ؟

وكانت دولة محمد صلى الله عليه وسلم دستورية ، لأن الحكومة قُيدت فيها بكتاب
إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهذه أخمس صفات الأمم الدستورية .
وقد حقق هذا الكتاب كل أغراض الحكومة الدستورية : فجعل الحكم شوريا ،
وحذف الامتيازات الفردية والعتائمية ، وعما ما بين الطبقات من الفروق في الحقوق
والواجبات ، ووحد الشريعة ، وأخضع لها الكافة لا فرق بين حاكم ومحكوم . رأى
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يطوف على الناس رجلا وامرأة على فاحشة ، فغار
في أسره ، فجمع الناس وخطبهم وقل : ما قولكم إذا رأى أمير المؤمنين رجلا وامرأة
على فاحشة ؟ فنهض إليه علي بن أبي طالب وقال : يأتي على صحة قوله بأربعة شهداء ، وإلا
فيقام عليه حد القذف .

الله أكبر ! أرايت قوما في جميع أدوار الحكومات أرسخ أقداما ، وأقوى إيمانا
في الدستور من هؤلاء ؟

هذه هي الدولة التي وضع محمد أسسها، وشيد بنيانها قبل أن يعرف الناس حقيقة الدستور ومعنى الديمقراطية الصحيحة بنحو اثني عشر قرناً.

شريعة محمد:

شريعة محمد صلى الله عليه وسلم أسسها المساواة والعدل بأخص معاني هاتين الكلمتين: المساواة والعدل بين الأغنياء والفقراء، وبين الشرفاء والرضعاء، وبين العلماء والجهلاء، بل وبين المؤمنين والكافرين، لا يهضم فيها حق ضعيف لضعفه، ولا يحجب فيها مؤمن لا يمانه. حدث وعمر بن العاص واليا على مصر أن أحد ولده ضرب رجلاً من العامة لأمر بدر منه قاتلاً له. أما ابن الأكرمين. فلما كان موسم الحج تكلف المجني عليه مشقة الانتقال إلى المدينة ليرفع أمره إلى أمير المؤمنين نفسه. فبينما كان عمر في حشد من رجال دولته وفيهم عمرو بن العاص وابنه، قام ذلك الرجل ورفع أمره إلى الخليفة، وأقر الضارب بما فعل. فتناول أبو حفص الشاكى درته (عصاه) وقال له: اضرب ابن الأكرمين كما ضربك، فصدم الرجل بما أمر به حتى اشتى. فالتفت أمير المؤمنين إلى المشكو منه وقال له: متى استمبذتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

انظر كيف ساوى عمر بين ابن قائد من أكبر قواد دولته، وبين رجل من عامة الناس لا يمت إلى أحد بصلة؟ ولكن مبدأ المساواة الذي أوجبه الإسلام على الفئتين بالأمر هو الذي دفع عمر إلى ما فعل، ولم يصادف فعله اعتراضاً من أحد، بل أعجب به الكافة، وجعلوها متبعة من منابه.

وحدث أيضاً أن يهودياً شكاً على بن أبي طالب إلى عمر في أمر كان بينهما، فأحضرهما أمير المؤمنين للنظر في شأنهما. فلما عرض قضيتهما التفت الخليفة إلى علي وقال له: قم (يا أبا الحسن) فقف بجانب خصمك، فلاح على عينا علي شيء من التأثر. فقال له عمر: أكرهت يا علي أن تقف إلى جانب خصمك؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين ولكني ريتك لم تسو بيني وبينه، إذ عظمتني بالتسكنية ولم تكت.

ما أجلّ هذه الآداب وكرمها ، وما أولى مثل هذه الأمة بسيادة الأمم ، وقد نصب الخوصوم أنفسهم على اللبائى العالمة حراساً ، وعلى حرم العدالة حفظة ١
وغرض شريعة محمد صلى الله عليه وسلم العدل المطابق للمقيد ببيئة أو طائفة أو أوى امتياز لأحد . فليس أمام هذه الشريعة شريف ووضيع ، ولا أبيض وأسود ، بل ولا مؤمن ومشرک ، ولكن أمامها أن تصل الى العدل الخالص من الشوائب فى كل ما يستزّن فيه حكمها . أتريد أعجب من وصيتها بالعدل حتى فى موطن البأس حيث تنهاوى السيوف على الرقاب ، وتتسابق الرياح الى الصدور ، وتغلى لدماء فى رؤوس الأبطال طلباً لإحدى الحسينين ٢ ؟

نعم : تطالب شريعة الإسلام أهلها بالعدل حتى فى هذه المواطن ، وتنبذ المقتصرين فى جنبه بالعقاب الشديد . أرايت شبيها بهذا العدل فى توزيع الشرائع الوصية حتى لدى الأمم الآخذة بأكبر قسط من المدنية ؟ قال الله تعالى : « ولا يجزى منكم شئ أن قوم على أن لا تعدلوا (أى ولا تحائنكم عداونكم لقوم على أن لا تعدلوا فيهم) اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خير بما تعملون » . وقال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

حقاً لم تر الأرض شريعة أرسنق قواعد فى العدل ، ولا أبعد مدى فى المساواة واحترام لحقوق والحياة الانسانية ، من الشريعة الاسلامية . ويخفى لى أنه قد تنقضى أجيال كثيرة ليصل التطور الاجتماعى بالناس الى فهم كنه هذه العدالة الإلهية .

بيان محمد :

ديانة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للبشر كافة ، قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » « بأية الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبيناً . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً » .

ربما يستبعد بعض السطحيين أن يكون للناس دين عام تسكن له نفوسهم ، وتطمئن به قلوبهم ، وهم يتخالفون عواطف وميولا ووجهات وأغراضا ، وقد قضى عليهم هذا التخالف بأن يتخالفوا في أديانهم ونحلهم الى ما بعد الحدود المعقولة حتى بلغ عدد الأديان في الأرض المئتين الكثيرة . ولكن لو دقق هؤلاء السطحيون في هذه للسألة لرأوا أن كل هذه الخلافات عرضية اقتضتها أحول عرضية مثلها ، الزمان كفييل بإزالتها ، ومنى زالت استقر أمر الانسان على الحقائق الطبيعية .

ولتفصيل هذا الاحمال نقول : إن الانسان متفاد في نشاطه الأدبي والهادي الى عاملين : فطرته الانسانية ، وعقله فأما فطرته فهي جملة الغرائز والميول والعواطف التي طبع عليها ، وهي مشتركة في جميع أفراد نرعه . وأما عقله فهو ذلك النور العلوى الذي منحه ليستضي به في غلغات هذا العالم ، ويفرق به بين الحق والباطل والحسن والقيبح لمصلحة وجوده وترقيه .

أهم : كثيرا ما يفسد الناس فطرتهم بالتعاليم الضارة والمعادات المردولة ، ويطمسون نور عقولهم بالعقائد الباطلة ، والموروثات المضلة ، ولكن ناموس الترقى دائب على تخليص الفطرة والعقل من شوائب التربية الناقصة ، وحجب الورااثات والتقاليد الساقطة . وقد لوحظ أثر ذلك الناموس في كل زمان ومكان ، وهذا الأثر اليوم أصبح جليا واضحا بتقدم العلوم ، وارتفاع المدنية ، حتى إننا لتجد أن سليبي المطرة والعقل من كل نحلة يؤلفون أسرة عالمية قد توحدت ميولهم ، وتساوت عقولهم ، فتوافقت مذاهبهم ، وتلاءمت مداركهم ، وأصبحوا على بعد لدار إخوانا كأنهم اشتقوا من نبعة واحدة . وسببكثر عديم على مر الزمان بشيوع العلوم حتى تكون لهم الغلبة في العالم كله .

فإذا كان هذا التآخي بين الناس في المذاهب والمراى نتيجة طبيعية لسلامة الفطرة وصحة العقل ، فإن الله قد أقام دينه امام عليهما ، فقال تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبدل خلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن

أكثر الناس لا يعلمون . وقد أكثر من الإشادة بذكر العقل نظم عشرات من الآيات بقوله تعالى : « أفلا تعقلون » « لعلمهم يعقلون » . وقال تعالى في الهالكين : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير » وحصر الخير كله في العقل فقال . « إنما يتذكر أولو الألباب » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قوام الرء عقله ، ولا دين لمن لا عقل له » .

والدين الاسلامي في ذاته سيؤبده حتما جهاد الانسان وراء العقيدة الجامعة العادلة التي يصبو اليها ، ويمكن أن تنفق كلمة العالم كافة عليها ، فتزول من بينهم هذه الخلافات التي فرقهم شيعة ، وأحلت التناكر بينهم محل التعارف ، والتراحم محل التماطف . فالديانة الاسلامية تفتضي القائم على صراطها أن يعترف بأن دين الله واحد لا يتعدد ، وأنه قديم كقدم العالم ؛ وأن الخلاف للمشاهد بين أصحاب الأديان قد أتى من بنى قادتها ، في تحريف بيناتها ، وتأويل آياتها ، وأن الدين الجامع ليول العالم كافة هو الذي ينص على الايمان بجميع رسل الله وكتبه لا يفرق بين أحد منهم . وأن يستقيم على حادة العمل والعلم حتى يصل الى السكك الذي دفع بفطرته للوصول اليه . فأرسل الله الاسلام موفيا بهذه الحقائق العلمية فقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعهم إليه ، الله يحتمي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أوردوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب . فلذلك فادع (أي فادع لهذا التوحيد في الدين) واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم (أي لا حاجة ولا خصومة) الله يجمع بيننا وإليه المصير .

وقال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب »
وقال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاَ لست منهم في شيء » .
وقال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

فالدين في نظر الاسلام كل لا يتجزأ ، يجمع كل من أرسله الله للأمم من رسل ، وما أنزل إليها من كتب ، فهو عام في جوهره ، شامل للإنسانية كلها بطبيعته . قال الله تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسوله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعدنا للكافرين عذابا مهينا » .

هذا هو الاسلام الذي جعله الله دينا عاما للبشر ، أفلا ترى أن انتهاء الناس إليه سيكون كنتيجة طبيعية لمحاولاتهم الأدبية ، متى خلصت فطرهم وعقولهم من الشوائب التي رانت عليها ، ونجست لها آيات الله بتقدم العلم واستبحار الحكمة ؟
نعم : وهذا ما أشار الله تعالى إليه بقوله . « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

بل صرح الكتاب بأن الإنسانية ستتأدى إلى هذا تحت تأثير ناموس التطور العام طوعا وكرها ، فقال تعالى : « أفنير دين الله يفتنون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون ؟ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

« فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

انبياؤه النبي بجميع أصول المصريح العاني :

إن من مميزات الشخصية المحمدية أنها تلقت من طريق الوحي المباشر كل أصول التطورات الأدبية والفلسفية والعلمية مما ألهم ببعضه كبار المباشرة على توالي المصود ، واعتبروا بسببه فاتحين لأفاق جديدة في وجه الإنسانية .

فا (ديكارت) في وضعه الشك أساسا للبحث ، وما (بيكون) طارد الظنون والأوهام من حظيرة العلم ، (وما أوجوست كومت) واضع الدليل على أساس المحسوسات ، ما هؤلاء جميعا وغيرهم إلا مسبقون بالنبي صلى الله عليه وسلم قرونا كثيرة ويجري هذا الجري كل ما حدث في الأمم من الانقلابات الاجتماعية التي كان من ثمراتها تحرير العامة من أسر الخاصة ، والاعتراف بالسيادة للحق للقوة ، والتسوية بين الأقوياء والضعفاء في الحقوق المدنية والسياسية ، وإبطال امتيازات الطوائف والطبقات الاجتماعية ، وتحرير العقل من أسر التقليد الوراثية ، وفرض حقوق للمحرومين في أموال الطبقات الثرية الخ الخ من شروب الإصلاحات التي تمت في الأمم عقب ثورات دموية . كل هذه الانقلابات في أحوال الأمم وشئونها أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوحى من ربه ، ومضى في تطبيقها على العمل . وقد أفردنا لتفصيلها فصولا في هذه المجلة لا يتسع المقام لإعادتها هنا .

إن محمد صلى الله عليه وسلم ، استنادا إلى هذه الدلائل المحسوسة القاطعة ، يعتبر بحق "كبري أنجبته الإنسانية ، وهو الرجل الوحيد الذي تزداد عظيمته كل يوم ظهورا بتقدم العلوم وارتفاع العقلية الإنسانية . وسوف ينتهي العالم تحت سائق من العلم إلى لا اعتقاد برسائله العامة للبشر كافة ، وإلى اعتبار الكتاب الذي جاء به وحيا إلهيا لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " . محمد فريد وجدي

عظمة الاسلام ونبي الاسلام

من بحلل أوامر الاسلام تحليلاً صحيحاً، ثم يمرح بعد هذا التحليل على ذلك القلب الذى خرجت منه ينابيع تلك السعادة ، أمكنه أن يعرف شيئاً من عظمته وعظمة دينه صلى الله عليه وسلم . ومن ينظر الى ما أنجبتة تعاليمه من علماء وحكماء وعظماء ، وما وصلت اليه أمته من العظمة شرقاً وغرباً عند ما كانت متمسكة بشريته متفاداة لإرشاده ، يعلم أن شأنه أكبر من كل تمبير ، وأعظم من كل بيان .

وناهيك بعظمة لم تكن قاصرة على صاحبها ، بل فاضت على من لا يحصى من أصفاء البشر فصيرتهم كهواء عظماء ، خصوصاً أمة العرب التى كانت أحط الأمم على الإطلاق فى أخلاقها وعاداتها ، فصارت بفضل تعاليمه صلى الله عليه وسلم الأمم على الإطلاق وأعزها على الإطلاق ، فى علمها وعدلها وآثارها وكل شئونها . وقد قال جوستاف لوبون الفرنسى فى حق الأمة الاسلامية : إن ملكة الفنون لا تستحكم فى أمة من الأمم إلا فى ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل التخصرمة ، وجيل الاستقلال ؛ وقد شذ العرب فورسوا الى الاستقلال فى جيل واحد . وقال أيضاً : ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب . وقد أذكرنى ذلك قول صاحب الحمزية فى أصحابه صلى الله عليه وسلم :

أغنياء نراهة فقراء علماء أئمة أمراء

ولمصر الحق إن كل من نظر بعقله السليم ورجع الى وجدانه الصحيح ، علم أن رفع الأمة العربية من حضيتز الجهل الى أوح العلم ، ومن دركات النذل الذى كانت فيه الى أعلى درجات العز ، وتربيتهم بأحسن التعاليم وأخدم الى مكارم الأخلاق من كل باب ، حتى صار الواحد منهم أمة وحده ، بعد أن كانوا أشبه شئء بالوحوش للضارية . يا كل قويمهم ضعيفهم ، وشدون بناتهم ، الى غير ذلك من الفضائل التى لا تفعلها الحيوانات المتوحشة ،

ثم يصيرون بمد ذلك علماء حكماء من أكبر الساسة وأعظم القادة في أقل قاييل من الزمن ، ثم ينشر ذلك النور في كل أنحاء الأرض ذلك كله لدى الوجدان الصحيح والفطر الطاهرة أكبر دليل على أن مصدر ذلك هو مشن الخير وشخص الكمال .
والفضائل لا تفيض من لسان على غيره إلا على قدر رسوخه فيها .

وقد رأيت تاريخ الفلاسفة وغيرهم من عظماء الملوك والعلماء والحكماء والقواد ، فم نر تاريخ بمائل ترخي النبي صلى الله عليه وسلم أو يدانيه ، مع ملاحظة أنه قد نشأ بين قبائل العرب لتوحشة وطوائفها الجاهلة ، مما يكنى دليلا وحده على أنه صلى الله عليه وسلم بلغ من سمو الاستعداد وشرف التسكين ما خرق به العادة ، وعلا به على تلك النواميس المعروفة بين الناس .

أما الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو بغية الأرواح ، وطلبة الأشباح ، ومهبط السكينة ، ومستقر العبادتة ، وضالة العقول ، وخلاصة المعقول والمنقول ، وأمنية القلوب ، ورأس كل مطلوب وهل للناس مطلب غير أن يسعدوا في طاهرهم وباطنهم ودينام وأخراهم ، سعادة تدفع عنهم شرور الحياة ومكارهاها ، ثم تفيض عليهم من أنواع السرور وشرح الصدور وبهجة الأسرار وصفاء الأنوار ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، ثم تسلمهم بعد ذلك الى نعيم لا يشوبه كدر ولا يمتريه زوال ، وملك ليس فيه عناء ولا له انقضاء ؟
ثم هو فوق هذا يدعو الى الديمقراطية الحقة والمساواة الصحيحة ، فلا يرى فضلا لأحد على أحد إلا بالتقوى .

وهنا يجدر بنا أن نسمعك شهادة رجلين عظيمين للإسلام ونبي الاسلام ، فنقول :
قل برناردشو أحد عظماء المجترأ ما ترجمته :

« إنني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم للطلق في العالم بأجمعه اليوم تم النجاح في حكمه ، ولتقدمه الى الخير ، وحل مشكله على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة » .

وقال الوزير الفرنسي والشاعر الطائر الصيوت (لاسرينين) بمبارته الطاية وأسلوبه الجذاب :

« أثرون محمداً كان أماً خداع وتدليس ، وصاحب باطل ومين ؟ كلاً بعد ما وعينا تاريخه ودرسنا حياته ، فإن الخداع والتدليس الباطل واللين : بكل أولئك من نفاق العقيدة ، وليس للنفاق قوة العقيدة ، وليس للكذب قوة الصدق . وإذا كانت قوة الصعود والرمي في عم الطبيعة والحركات الآلية هي المقياس الصحيح لقوة المصدر الذي تنفذ منه الرمية وتظهر في الأفق من الفذية ، فإن العمل والفعل الذي يحدده المحدث ، في علم التاريخ وسجل الخلود وكتاب الانسانية هو المقياس الصحيح لمقدار الرحي وقوة القلب والوجدان والفكرة السامية العالية التي تنفذ الى مكان بعيد وتبقى زمناً طويلاً وتمشي في الحياه أبداً رحية . وهي لا ريب فكرة قوية صدرت عن وجدان قوى ولكن تكون تلك الفكرة قوية ينبثق أن يكون ظاهرها وباطنها لا خلاص ، وعليها الأ كبر الحق والصدق . ولا بد أن تكون معقولة ينفذها اللب ويعتمدها الذهن . ولا ريب أن ذلك ينطبق على محمد ورسائله والوحي الذي تنزل عليه . فإن حياته وقوة تأمله وتفكيره وجهاده ، ووثيقته على خرافات أمته وجاهلية شعبه وخزعبلات قبيلته ، وشهامته وجبراته وبأسه في لقاء ما لقيه من عبدة لاؤنان ، وثباته وبقائه ثلاثة عشر عاماً يدعو دعوته في وسط أعدائه ، وبهرة حصومه في قلب مكة ونواحيها ومجامع أهلها ، وتقبله سخريه الساخرين وهزؤه هزء المهزومين ، وحميته في نشر رسائله ، وتوفره على السعي في إظهار دعوته ، وحرابه التي كان جيشه فيها أقل من عدوه ، ووثوقه بالنجاح وإيمانه بالظفر وإعلاء كلمته ، واطمئنانه ورباطة جأشه في المهزائم ، وأناته وصبره حتى يحرز النصر ، وطاعينته وتطلعه الى إعلاء الكلمة الإلهية وتأسيس العقيدة الاسلاميه . لافتح الدول وإنشاء لامبراطورية وإقامة الفيصرية ، ونجواه التي لا تنقطع مع الله ، وقبض الله إياه الى جواره مع نجاح دينه بعد موته . كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضمخ خداعاً أو يعيش على باطل

وميز. بل كان وراءها عقيدة صادقة ويقين مضى في قلبه، وهذا اليقين الذي ملأ روحه هو الذي وهبه القوة على أن يرد إلى الحياة فكرة عظيمة وحجة قائمة ومبدأ مزدوجا، وهو وحدانية الله ونجود ذاته عن امادة : الأولى يدل على من هو الله ، والثانية تنفي ما التصق الوثنيون به . الأولى حطمت آلهة كاذبة ونكست معبودات باطلة ، والأخرى فتحت طريقة جديدة إلى الفكر ومهدت سبيلا للنظر .

« الفيلسوف والخطيب والرسول والمشرع والقائد ومسعر لحرب وفتح أقطار الفكر، وراد الانسان إلى العقل، وناسر اعقائد الممقولة للموافقة لذهن واللب، ومؤسس دين لا وثنية فيه ولا صور ولا رقيات، وممّشي عشرين دولة في لأرض، وفتح دولة واحدة في السماء من ناحية الروح والفؤاد : ذلكم هو محمد فأى رجل لمعكم قيس يجمع هذه المقاييس التي وضعت لوزن العظمة لانسانية كان أعظم منه ؟ رأى إنسان صعد هذه المراقي كلها فكان عظيما في جميعها غير هذا الرجل ؟ » انتهى كلام لامرئين .

سمى من سمائل محمد صلى الله عليه وسلم :

لذلك رأينا أن نذكر للقارىء الكريم شيئا من شمائله صلى الله عليه وسلم ، فنقول وبالله التوفيق :

كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأشجع الناس ، وأجود الناس ، تحل إليه صلى الله عليه وسلم تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فارد سائلها حتى فرغ منها . وجاء رجل فسأله فقال : ما عندي شيء ولكن ابتع عليّ فإذا حدثنا شيء قضيناه . فقال له عمر : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه . فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله : أنفق ولا تخف من ذي العرش إغلا . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه . وكان أصبر الناس على أذى الناس . وكان أبغض الأخلاق إليه الكذب كان إذا رأى على أحد من أهل بيته

كيدبة لم يزل مريضاً عنه حتى يحدث توبة . وكان إذا رفع بصره الى السماء قال :
يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك .

كان إذا مشى لم يلتفت . كان أكثر أيمانه . لا ومقاب القلوب . أى لما يعلم من
سرعة قلب القلب وعدم ثباته على حال واحد ، كما قال : إن القلوب بين أصبعين من
أصابع الرحمن . فكان يغلب عليه هذا المشهد ، صلى الله عليه وسلم . كان في بعض غزواته
فأصابته أصبعه حجر فقال متمثلاً : هل أنت إلا أصبع ديت ، وفى الله ما لقيت .
كان طويل العمت ، قليل الضحك . كان أسمح الناس وأطيم نفساً .

كان يقول للخدم : ألك حاجة ؟ كان لا يضحك إلا تبسماً . كان لا يواجه أحداً بشئ .
يكرهه كان يأتى صحفاء المساكين وبزورهم ، ويعود مرضاهم ، ويشهد جنازتهم ، ويداعب
صبيانهم .

فمن أس رضي الله عنه أنه كان بداعب أخا صغير له يسمى أبا عمير ، فكان يقول له :
يا أبا عمير ما فعل النفير (والنفير طائر صغير كان يلعب به أبو عمير) . وكان يقبل بوجهه
وحديثه على شر القوم يتأفقه بذلك . كان يكثر الذكر ويدع اللغو ويطول الصلاة
ويقصر الخطبة . وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين والعبد
حتى يقضى لهم حاجتهم .

كان أرحم الناس ، وأعدل الناس ، وأعف الناس ، لم تمس يده قط يد امرأة لا بملك
رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه ، وكان أكثر الناس تواضعاً ،
وأسكنهم في غير كبر ، وأبلغهم في غير تطويل ، وأحسنهم نشر ، لا يهوله شئ . من
أمر الدنيا . كان يجالس الفقراء ، ويتواكل المساكين ، ويكرم أهل الفضل ، ويتألف
أهل الشرف ، ويصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم . لا يجتهد
على أحد ، يقبل معذرة المتعذر إليه .

كان يمزح ولا يقول إلا حفاً . كان يضحك من غير قهقهة ، يرى اللعب المباح فلا

ينكره . كان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا يد منه . كان لا يحتقر مسكيناً لفقره ، ولا يهاب ملكاً لمسلكه . كان لا يفتقم لشيء صنع قط إلا أن تنتهك حرمان الله . وما خُبر بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس عنه ، وما يأتيه أحد حراً كان عبداً أو أمة إلا قام معه في حاجته . كان لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . وكان أبعد الناس غضباً وأقربهم رضا . كان أرف الناس بالناس ، وخير الناس للناس ، وأعظم الناس للناس . ولم تكن ترفع في مجالسه الأصوات .

كان أجود الناس كفاً ، وأوسع الناس صدراً . وكان أصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة . من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه . يقول ناعته . لم أر قبله ولا بعده مثله . كان يقول : لا يباغى أحد منكم شيئاً أكرهه ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر . كان دائم البشر في جلساته . كان أكثر الناس تيسراً ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ . كان لا يذم أحداً ولا يتطلب عورته . كان إذا تكلم أطرق جساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا .

كان إذا بعث أحد من أصحابه في بعض أمره قال : بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تمسروا . كان إذا بلغه من الرجل شيء لم يقل : ما بال فلان يقول كذا وكذا ، رحمة به ، وسرا عليه . كان يقلل من الطعام ويقول . يكفي ابن آدم لقبات يقمن صلبه . كان إذا جلس مجلساً أكثر فيه الاستغفار ، وإذا أراد أن يقوم استغفر عشراً إلى خمس عشرة . كان يقول : أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغها فإن من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها أمناه الله يوم الفزع الأكبر . كان يحدث حديثاً إذا أعده العاد أحصاه . كان إذا غزا قال : اللهم أنت عضدي وأنت نصيري ، بك أمور وبك أجول وبك أقاتل ! كان إذا غضب وهو قائم جلس ، وإذا غضب وهو جالس اضطجع .

كان إذا فقد الرجل من أصحابه ثلاثة أيام سأل عنه ، فإن كان غائبا دعا له ، وإن كان شاهدا زره ، وإن كان مريضا عاده . كان إذا أُممه أمر قال : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث . كان إذا ودع رجلا أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده ويقول : استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك . كان لا يرد أحدا سأل به يعطيه إن كان عنده وإلا وعده . كان طويل الصمت قليل الضحك . كان لا يدخر شيئا لغيره . كان لا يقوم من مجلس إلا قال : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . كان لا يكاد يقول لشيء : لا ، فإذا هو سئل فأراد أن يفعل قل : نعم ، وإن لم يرد أن يفعل ، سكوت .

كان يذكر الله في كل أحيائه . كان يردف خلفه ، ويضع طعامه على الأرض ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار . كان يحب لرجل يخدم أصحابه فيصلي ويدعو له . كان يعجبه أن يدعى الرجل بأحب أسمائه إليه . كان يعرف بريخ الطيب إذا أقبل . كان يحب شاة ويخدم نفسه .

دخل نفر على زيد بن ثابت فقالوا له : حدثنا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ماذا أحدثكم ؟ كننت جاره فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إلى فكتبته له ، فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، فشكل هذا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان يقوم من الليل حتى تودمت قدماه .

كان أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأيدي . كان يقول : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا . كان لا يستأثر بشيء مما كان يجي على كثرة ويقول : ما يسرنى أن لي أحدا ذهباً بييت عندي دينار منه ولا ديناراً أرصده لديني . كان يقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما ندعوه ضرورته إليه .

أما تعلقه بالله ورجه كل شيء إلى الله فقد كان يقول إذا جاءه أمر يحبه : الحمد لله

الذى بنعمته تتم الصالحات ، وإذا جاء أمر يكرهه قال : الحمد لله على كل حال ، وإن أراد أمرا قال : اللهم خرنى واخترنى ، وإن أراد نوما قال : باسمك اللهم وضعت جنبي وباسمك أرفعه ، وإن استيقظ قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ، وإن لبس ثوبا جديدا قال : الحمد لله الذى رزقنى ما أنجمل به فى حياتى ، وإن أكل قال : الحمد لله الذى أطعمنا وأسفانا وجعلنا مسلمين ، وإن شرب قال : الحمد لله الذى جعل لسان عذبا فراتا رحمته ولم يجعله ملحا أجابذنوبنا ، وإذا أفطر من صومه قال : الحمد لله الذى أعاننى فصمت ورزقنى فأفطرت ، وإذا تقلب من الليل فى فراشه قال : لا إله إلا الله الواحد القهار ، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار . وإذا هب من نومه ليلا قال : رب اغفر وارحم ، واهدنى السبيل ، لا أقوم ؛ وإذا خاف قوما قال : اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ؛ وإذا خرج من بيته قال : بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أهد أو أضل ، أو أجهل أو يجهل على ؛ وإذا رأى هلال قال : هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك ، وإذا عصفت الريح قال : اللهم إنى أسألك خيرا وخيرا ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به .

وهكذا فى شأنه كله كان غريفا فى نظر الى الله ، والاستعداد من الله ، والاتجاه الى الله ، لا يرى لنفسه ولا لنبيه حولا ولا قوة . ولذلك كان يقول إذا أصابه هم : حسبي الخلاق من المخلوقين ، حسبي الرازق من الرزوقين ، حسبي الله وهو حسبي ، حسبي الله ونعم الوكيل . الى آخر شمله الرقيقة التى لا يأتى عليها العد ولا يحصرها البيان .

فَسأَل الله أَنْ يرزقنا بحبة ذلك الرسول الأعظم ، والاقتداء به ، وأن يمينتنا على ملته وبحشرنا فى زمرة منتهى وكرمه .

برسيف الدهموى
من هيئة كبار العلماء

على هامة الدنيا

على هامة الدنيا يطول به الفخر وماذا كميلاه النبي محمد
نبي إذ ما الصالحات تقدمت أضاء به الحق الصريح على الودى
لك الله مولود لك الله ياقم يتيم أعز الله في الناس يشمه
يشب فلا الدنيا تميل بقلبه ولكن رسول الله ينهض في الحجا
ونخلد ذكراه ويستشرف لقدر إذا طابقي الناس الأحاديث والذكر
إلى الأرض كانت عن يديه لها صدر وبادت عن العقل الغيايب والأسر
لك الله في الشبان نخلو إذا مروا فلا عابه يتم ولا شأنه فقر
ولا فصله ذام ولا قوله مجسر فتياً وبشي مله أثواه طهر

* * *

إلى « جبل النور » للنيف ثواده إلى « جبل النور » للنيف ثواده
يحدثنا منها « حراء » وغاره يحدثنا منها « حراء » وغاره
مشاهد فيها الحق ثاو وقارع مشاهد فيها الحق ثاو وقارع
أطاف به روح من الله مرسل أطاف به روح من الله مرسل
فقام خفيف الصدر بأوى لبيته فقام خفيف الصدر بأوى لبيته
يبت إلى الزوج الصديق فواده يبت إلى الزوج الصديق فواده

* * *

« خديجة » ما هذا الذي أنا واجد « خديجة » ما هذا الذي أنا واجد
أرى رجلاً لا كالرجال وسيدا أرى رجلاً لا كالرجال وسيدا
يقول لهم اقمراً وما أنا قارناً يقول لهم اقمراً وما أنا قارناً
وما مثله سر ولا مثله جهر وما مثله سر ولا مثله جهر
صبيح الحيا مثله يمتنا ترر صبيح الحيا مثله يمتنا ترر
ولكن أمراً نافذا ذلك الأمر ولكن أمراً نافذا ذلك الأمر

فصرت كلاما كالأماني حلاوة ولكنه كالنور ليس له ستر
تبارك ربي ما أجل كلامه من الصدق والحق البطائن والظهور



أجل : ليس بخزيك لاله فإنما لأنت قليل في رجال وهم كثير
فإنك تقرى الضيف والضيف طارق وتحمل فينا الكل أثقله الدهر
ويقصدك المكروب فامنع كرهه ويمرح في جدوك عافيه ومعتز
على بأن تلقى « ابن نوفل » إني أرى الخير يأتيها وليس بنا خير
ألا يا ابن عم انظر فإنك عالم يكن عندنا عن ذلك تلخير الخبير
فقل وقد ألقى وأنعم سائلا لأنت رسول الله تم لك الأمر
فما زال يدعو ليله ونهاره لي الله رعاء العناية والصبر
وكم حزنوه والأسنة شرع وكم الجشوه والتلذذ لما إصر
فصايرهم والله غالب أمره وجاوبهم والحق صولته قهر
لتر كانت الشمس البهية في يدي يميني وفي اليسرى الكوكب والبيدر
لأترك هذا الأمر ما أنا تاركا الى الموت أو ألقى وفي يدي النصر
وفي الحق عن كل الذنوب غنية لمن كان ذا قلب وكان له ذكر
ومن كان في الله مناه وهمه تدين له الدنيا ويطامن الصخر



فأبلغ موفود الكرامة شرعة يفيض الهدى في الناس وهي له نهر
وكفل للديا سعادة أهلها حنيفة غراء منبتها اليسر
بصوغ من الأيام - والنمر ملؤها - رياض الملا في جوها عبق الزهر
من البر والتقوى حياة وطيدة الى الخلد لا تبلى وليس بها عسر
وغير وجه الأرض إى في ثلاثة وعشرين عاما لا يقاس بها عمر

فلو ذرعت الزيتون ما طاب غرسه
ولكن رسول الله أنشأ أمة
فأعجز حتى للرسولين بعزمه
ومن ذا سوام أن يكون له ذكر ؟

* *

أروني ضلالا حال هديا وحكمة
وقوما يرون الرجس دينا وشرعة
يبدلهم خنقا جديدا مبدل
ويزجيهم في كل واد ومنزل
وفوضى على آكامها ينبت الخير
حياتهم بغى وممروهم نُكْر
ويفرغهم في قالب كله ير
مصاييح سود الأرض من نورها مَرَّ

* *

سقام من الاسلام روحا روية
مشوا في فجاج الأرض كالغيث كلما
وبين يديهم للكتاب منائر
نقى الى « دار السلام » وتنتهى
الى اللأ الأعلى الى « الله » وحده
فأعمالهم صدق وأخلاقهم دد
أناف على واد فأثوابه خضر
يضى على أنوارها البحر والبحر
الى الخلد لا برد هناك ولا حر
فيا ظلمة الاشرار قد طلع الفجر

* *

رويد بي الدنيا رويد غلاتها
ملائم حياة الناس إثمها وفتنة
وسمرونها كالجميع مؤججا
وأهلبتم الشهوات في كل جانب
ملائم طباق الأرض بهجة ناظر
تمزقها الأهواء كل مُزَّق
لقد جاءكم في كل شيء رشاده
فشأنكمو شأن وأمركمو أمر
وصيرتم الدنيا هي الظلم والصر
فأولها نار وآخرها جر
من الجسم حتى لا يصان لها سر
ولكن صدور العالمين هي القبر
ويفسدها الإلحاد والنيل والمكر
فليس لناو بمسده أبدا هنر

هدايتكم لله في الدين فاعلموا فن شاء فليؤمن ومن شاء فالكفر

* *

سلام رسول الله لست ببالغ قليلا ولو وفى وطاوعني الشعر

سلام رسول الله إنا على هدى وإليك مولانا وسيدنا البر

سلام رسول الله صفو مبارك زددته الدنيا وينشره الحشر

عبد الفتح بدوى

المدرس بكلية اللغة العربية

شذور من كلامه

صلى الله عليه وسلم

من كلامه صلى الله عليه وسلم المتضمن بقيل من المباني ، كثير المعاني ، قوله للانصار :
 بكم لتقون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع . ومن كلامه عليه السلام : المسلمون تتكافؤ
 دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدانهم ، وهم يد على من سواهم . الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة .
 ياكم وحصراء الدمن . كل الصيد في جوف القرا . الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم
 في الاسلام إذا فقهوا . المؤمن يلو من كالبنيان يشد بعضه بعضا . المرأة كالصليح إن رمت
 قوامها كسرتها وإن دارتها استمنعت بها . اليد العليا خير من اليد السفلى . مثل الغنى ظلم .
 يد الله مع الجماعة . احياء شعبة من الايمان . أربعة من كنوز الجنة : كتمان الصدقة ، والمرض ،
 والمصيبة ، والفاقة . الناس نيام فاداموا انتبهوا . كفى بالسلامة داء . بكم لن تسعوا الناس
 بأموالكم ، تسعونهم بأخلاقكم . ما قل وكفى حيرت ما كثر وألهى كل ميسر لما خلق له . النبي
 حنث أو ممدمة دع ما يريبك الى ما لا يريبك . انصر أحاك ظالما كان أو مظلوما . احترسوا
 من الناس بسوء الظن . الدم توبة . انتظار النرج عبادة . نعم صومعة الرجل بيته . المستشير
 معان والمستشار مؤتمن . المرء كثير باخيه . إن للقلوب صد كصدا الحديد ، وجلأوها
 الاستغفار . اليوم الرهان وغدا السباق ، والجنة الغاية .

خاتم المرسلين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل نوى بيتاً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه . فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ » فأنا تلك اللبنة ، وأما خاتم النبيين . رواه البخارى ومسلم .

إذاً مهمة الرسل واحدة ، وعيائهم متعة ، وإن اختلفت رتبهم ، وتفاوتت منافعهم .

مهمتهم الإصلاح فى الأرض ، على أساس العقيدة الصحيحة ، والعمل الصالح ، وإخلاق الفاضل الكريم .

مهمتهم أن يمشى لانسان أخاً للانس ، وينتشر السلام فى ربوع المعمورة ، وأن تكون للناس حدود يتعاملون على أسسها ، ونظم يسعدون بالمحافظة عليها ، وعبادات هى وسائل تهذيب نفوسهم ، وإصلاح أخلاقهم . مهمة الرسل إشعار النفوس أن لها رباً له من السلطان القاهر ، والقدرة النافذة ، والعلم الشامل المحيط ، والحكمة النامة ، ما ليس لأحد من المخلوقين ؛ وأن ذلك الإله لم يخلق الناس عبثاً ، ولا يتركهم سدى ، بل جعل لهم حياة ور . هذه الحياة ، هى حياة الجزاء العادل .

غير أن الناس متفاوتون فى استعدادهم ، لنفائهم فى أزمئهم ومقدار ثقافتهم . فكان من الحكمة أن يكون إصلاح الرسل متمشياً مع استعداد القوم ، متناسباً مع مؤهلانهم ؛ وكان من المقول أن يحىء الإصلاح المحمدى ، وهو آخر إصلاح سادى ، بضروب لم نكن فىما تقدمه من الأديان ؛ وأن يتم به نبيان ذلك البيت الذى بدأه الرسل السابقون .

امتراس الدين للعقل :

لم نجد في الاسلام أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها . ولم يقل لنا : يجب أن نعتقدوا أولاً بما فرض عليكم بدون نظر ثم اجتهدوا بعد ذلك في فهم ما اعتقدتم . وإمّا جاء الاسلام وأول أساس وضع عليه هو النظر العقلي . حتى قال قائلون من أهل السنة : إن لدى ستقصي جهده في الوصول إلى الحق ثم لم يصل إليه ومات طالباً غير واف عند الظن فهو ناج . واتفق أهل السنة لاسلامية على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل . وبقي في النقل طريقان : طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه ، وتفويض الأمر إلى الله في علمه

والثانية تأويل النقل مع المحافظة على قواعدهم اللغة حتى يتفق معاه مع ما أنبته العقل . وبذلك مهدت بين يدي العقل كل سبيل ، وأزيلت من طريقه جميع العقبات ، واتسع له المجال إلى غير حد .

حاء الاسلام فرغ من شأن العقل إلى ذلك المدى ، وأمر بالتفكير والنظر في ملكوت السموات والأرض ، وجعل الذين لا يمتثلون ولا يفقهون كالأنعام بل أضل . ولقد ذرأنا بينهم كثير من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون .

تأنى الدين مع العلم :

كما عى القرآن الكريم بالعقل وذكرت فيه هذه الكلمة أكثر من خمسين مرة ، عن بكلمة (علم) متكررة ومعروفة وذكرت فيه كذلك فيما يناهز المائة ، وذكرت مشتقاته أضعاف ذلك . وهو يطلق على علوم الدين والدنيا بأنواعها .

فن العلم المطلق قول الله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » لا تحكم بالقيافة والظن ، ولا تتبع ما لم يتملق به

علمك تقليداً أو رجاء بالغيب ، فإن الله أعطاك وسائل العلم ، وهي القرآن والبصر والفؤاد ، وهو سائلك عنها كما يسألك عن سائر نعمه عليك .

وقال الله تعالى في بيان ضعف علم البشر وقلته : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » . « وسألوكم عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » .

وقال في شأن علم طبيعة ذلك الكون : « ومن آياته خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاجْتَنَابُ السَّنَنِ وَأَلْوَافُ الْوَنَنِ » .

يلفتنا الله بذلك الى دراسة سنة الله في نشأة اللغات وكيف نولد بعضها من بعض ، ويقع ذلك دراسة الأمم والشعوب كيف تولدت وتشتعت ؛ أو يرشدنا الى أجناس النطق وأشكاله .

لا تكاد نسمع منطقين متفقين في همس الحروف وجهارتها ، وحدتها ورخاوتها ، وفصاحتها ولكنتها ، ونظما وأسلوبها . بل جعل الله لكل نطق وحدته ومميزاته ، وذلك يرجع الى اختلاف مخارج الحروف وأعضاء الصوت ، غلظة ورقة ، وحقيقة وسعة ، وقوة وضعف ، وما الى ذلك .

وكذلك يرشدنا الى دراسة سنة الله في الألوان ، وتفاوتها بتفاوت البيئات والجواء ، وتوارث الأبناء أشباههم عن الآباء ، وغير ذلك من الأسباب . ولقد هذه السنن أضافها الى العلماء .

ثم ألا ترى القرآن الكريم يُبلى من شأن علماء الكون ويكبر من قيمتهم ، حتى حصر الخشية من الله فيهم فيقول : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفاً ألوانها ومن الجبال جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَايِبٌ سَوْدٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَنْبَاءِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » . وهل للعلماء معنى في هذا المقام سوى الذين درسوا سنن الله في النبات وعرفوا لماذا اختلفت

ألوانه؛ ودرسوا سنته في الجبال ولماذا كان فيها لا يبيض والأحمر والأصفر الغريب؛ ودرسوا نظام الله في الدواب والأنعام ولماذا تباينت في ألوانها إلى الحد الذي نرى. ألا نشعر بعد ذلك بأن خشيتنا من الله تعالى وإجلالنا إياه تكون على قدر علمنا بآياته ووقوفنا على نواميس هذا الكون؟

ثم نرى القرآن الكريم يمد ذلك يقول: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» ويعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يطلب المزيد من العلم «وقل رب زدني علماً».

فلا عجب بعد ذلك إذا لم تجد أمة كالأمة الإسلامية في اعتنائها بالعلم، واهتمامها ببنائه، وإتقان وفير أمواله ونفيس أزماتها في تأسيس قواعده، وتشجيع بنيانه، وتلمس مكانه، وترجمة كتبه، وجمع شوارده، وتحقيق مسائله، ونذليل صعابه، واسترضاء أربابه، على اختلاف مللهم ونحلهم، وتخالف أذواقهم ومشاربهم، وتباين بلادهم ومنارهم.

إزالة الفوارق:

من أفضل ما امتاز به الإسلام إزالة الفوارق بين الأفراد والجماعات، وجعل المؤمن أحق للمؤمن. فليس في دين الله سلطة لرؤساء دينيين: ما حكموا بإيمانه في الأرض يكون هو للمؤمن في السماء، وما حكموا عليه بالكفر يكون هو الكافر. إنما الحكم في دين الله كتاب ربهم، وسنة رسوله الصحيحة ولا فرق بين مسلم وآخر في دين الله إلا ما فضل به بعضهم على بعض في العلم والعمل، وامتاز به في الإحسان والتقوى «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» «ولكل درجات مما عملوا» «يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل ليتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»

فالمسلمون على اختلافهم وكثرتهم، حكومتهم كتب الله تعالى وسنة رسوله،

في حدود اللغة التي جاء بها الكتاب الكريم . وإذا اختلفوا بعد ذلك لأن هناك مجالا للخلاف كان على كلٍّ أن يعذر صاحبه ، ويكمل أمره في دينه الى ربه وخالقه .

جمع الدين بين مصالح الجسم والروح :

إن صاحب هذا الدين لم يقل « لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون » ولم يقل : « إنه يسر على غنى أن يدخل الى ملكوت السموات » . بل أنزل الله عليه « يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب للسرفين . قل من حرم ربة الله التي أخرج لعبيده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

ولم يقل كذلك لأحد من الأغنياء : « بعم مالك وانبعني » وإنما قال لسعد بن أبي وقاص وقد استشاره فيما يتصدق به من ماله . « الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » وأنزل الله تعالى عليه فيما أنزل « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب للفسدين » .

وكان كثيرا ما يقول للمتشدد في دينه « إن لأهلك عليك حقا ولبدنك عليك حقا » . وكان يقول : « إني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآتي النساء وهذه سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني » مما يدل على أن الاسلام دين وسط جمع بين مصالح الجسم والروح . أباح للجسم أن يتمتع بالطيبات في حدود القصد والاعتدال ، ولم يكلف الانسان من العمل إلا ما يطيق بدون إعنات ولا إرهاق .

وما دام الاسلام ينهانا أن ننسى نصيبنا من هذه الحياة ، وأباح لنا التمتع بطيباتها

في حدود القصد ولا اعتدال، فلا يجب أن يعرفنا قيمة المال، ويريد أنه لا يصح أن تتركه في أيدي السفهاء، يعيشون به، وهو أساس هذه الحياة، وعليه تقوم مصالحها لدينية والدنيوية «ولا تَزُوتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً».

لا عجب أن يريد الله أن المال لا ينبغي أن يسلط عليه بقيم لا يحسن رعايته، ولا يصلح لحياضته. ويجب أن نجعل عليه قياً يتوب عنه في حفظ ماله ورعاية مصالحه، ولا ندفع المال ليقم بعد بلوغه إلا بعد اختباره وإيناس الرشد منه «وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ» ذلك من الإصلاح المحمدي الذي أتى به خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم.

كان الرق عادة فاشية في الأمم السابقة، وكان يُضرب بأسباب كثيرة، منها الأسر في الحرب أياً كان الغرض منها. وكان اليونان والرومان يصدون الأمم المغلوبة عبيداً. وكان القانون الروماني يبيح تجريد بعض الذنبيين لأحرار من حريتهم فيصبحون أرقاء، كما كان لاسترقاق وتخطف النساء والأطفال، وكانت معاملة الرقيق غاية في القسوة: يكلف من الأعمال أشقها، ويعاقب حتى لهفوة أشد العقاب، ولسيده أن يقتله أو يبيعه، لا يسأله في ذلك أحد.

جاء الاسلام والرق على ذلك الحال، فأهدر جميع أسبابه إلا سبباً واحداً هو الأسر في حرب دينية. ثم أوصى المالكين أن يحسنوا إلى الأرقاء، ويعتبروهم إخواناً لهم، ونهاهم أن يسموهم عبيداً أو إماء. وفي الحديث «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكفروهم ما يغيبهم، فإن كذبتموهم فأعينوهم». وأباح الاسلام للرقيق أن يشتري نفسه من مالكة بمال يدفعه ولو أقساطاً. ويسمى ذلك في لسان الشرع كتابة ومكاتبة. وأمر المالكين بمكاتبتهم وإعانتهم «والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم

فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم . وجعل في مال بيت المسلمين الذي يتكون من الزكاة نصيبا يصرف في إعانة أولئك السكاتبين على فك رقابهم .
 وحكم لاسلام بسرمان العتق الى جميع العبد إذا عتق سيده بمضا منه وكان عند السيد من المال ما يفي بعتق بقية العبد . وحكم الرسول صلى الله عليه وسلم على من عذب مملوكه أو مثل به أو خصاه أن يعتقه بسبب ذلك التعذيب ، وجعل عتقه كفارة لعله .
 ومن وسائل تضيق أبواب الرق أن جعل عتق الرقة كفارة في قتل الخطأ ، وفي ظهار الرجل من زوجته ، وإفساده صومه عمدا ، وحنثه في اليمين . وأن الجارية التي تلد لسيدها ولدا تصير حرة من رأس ماله بعد موته ، ولا يجوز له بيعها في حياته .
 كل ذلك إصلاح غير قليل في نظام الرق امتاز به الاسلام عما سبقه من الشرائع .

محمد العدوي

من علماء الأزهر

من جوامع كلمه

صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم واحتصرت في الحكمة اختصارا »
 ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :
 من حس إسلام امرئ ترك ما لا يعنيه . دع ما يربك الى ما لا يربيك . خيركم من لم يترك دينه لا آخرته ولا آخرته لدينه . الناس بزماهم أشبه . العدة عطية . الخير كثير وقليل فاعله . لا زال أمتي بحجر مالم ر الأمانة مغشا والصدقة مفرما . المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .
 وقال عليه الصلاة والسلام :

أكل المؤمنين إيماننا أحسنهم خلقا وألصقهم بأهلهم . من سره أن يسأله في ثمره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه . أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق . اقربكم مني محاسنا أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون .

املا الأرض نوراً

املا الأرض يا (محمد) نوراً واغمر الناس حكمة والدهورا
 حجتك الغيوب سرا نجلى يكشف الحجب كلها والستورا
 عب سبل الفساد في كل واد فتدقق عليه حتى ينورا
 جئت ترى عبابه بعباب راح يطوى ميوه والبحورا
 ينقذ العالم الفريق ويحيى أم الأرض أنت تذوق الثبورا
 زاخر يشمل البسيطة مدا ويمم السبع الطباق هديرا
 ولدتك الكواكب الزهر خيراً هاشمي السنا ، وصبعا منيرا
 يمدح النيب المجليل بالوحى الملقى ويكشف الديجورا
 أنكر الناس دهم وتولوا محسبون حياة إفكا وزورا
 أين من شرعة الحياة أناس جعلوا البنى شرعة والفجورا ؟
 تلك أربابهم ، أملك أنت نفع مشعل ذرة أو نصيرا ؟
 قهروها صناعة ، أعجب الأدر باب ما كانت عاجزاً مقهورا
 مالمدي (اللات) أو (مناة) أو (العزى) غناء لمن يقبى الأمورا
 جادين الهدى وهب (رسول الله) بحمى لواءه للنشورا
 ضرب الكفر ضربة زلزلته فتداعى ، وكانت خطبا عسيرا
 جئت حوله الحصون وظن القوم ظن النباء أنت لن تطيرا
 هدما ذو الجلال حصنا حصنا بالحصون العلى ، وسورا فسورا
 بالرسول لهادى وبالصفوة الأمام جاد يقضون حقه للمفورا
 يهرقون النفوس ، تلقى لوى لهم راق مثل الغدير يلقى الغديرا

إن في القتل للشعوب حياةً وارفاً ظلماً ، وخيراً كثيراً
ليس من يركب الذنوب يحظى مركب الموت بالحياة جديراً
* *

أمن الحق أن تصدّ فريش عن فتها وأن تطيل النكير
سل (أبا جهلها) وقوما دعاهم فاستجابوا جهلة وغرورا
أولموا بالأذى فالفوا رسول الله جلداً على البلاء صبوراً
كلما أحدثوا الذنوب كباراً وجدوه لكل ذنب غفوراً
مد به نفسه فيفضب برضيه وترضيه ناعماً مسروراً
إنه الله لا سواه ، ودين ملك النفس ، واسترق الشعورا
يحد الناس والمقادير فيه ويرى ماعداً شيئاً يسيراً
أجمعوا أمرهم وقالوا هو القتل يعط الأذى ويشق الصدورا
كذبوا ، ما دم الهزير أمانى مهازير يكثر ون الهزيرا
إن نفس الرسول أمنع جارا من طوافيتهم وأقوى مجبرا
* *

رب آتيت على القوم نصرا فتباركت حافظنا ونصيرنا
أنت نجيتهم فهاجر بقصى الـ حق لا خائفا ولا مذعورا
يوم ضجت جبال مكة ذعراً وتمت هضابها أن تمورا
تنزى أنى وتمسكها تم منها من ورأه أن تسيرا
هي لولاك لارتمت تقذف الصخر من وترجى هبائها للشعورا
هاجها من جوى الفراق وحر الـ وجود ما هاج بينك للمصورا
كاد بهنو فزده منك روحا فأننى راجح الجلال وقورا

يا لها من (محمد) نظرات زخرت رحمةً وجاشت سميراً
 نظرات شحمة لانفد الـ لأهل أهلا ولا ترى الدور دوراً
 قال : ما في البلاد أكرم من مكة لـ أرضاً ولا أحبّ عشيراً
 فأسكني يهيم نفسي إن الله أمضى قضاءه لمـ دوراً
 وتولى وللأمور مصير يشترى ربّه ، ويرجو المصير
 يوم يمشى (الصديق) في توده الزاهي ، يول رواجه والبكورا
 لا يرى دونه حياةً ولا يرهب في الله لائماً أو نذيراً
 ينصر الحق نائراً يمنع الباطل أن يستقر أو أن يشورا
 دائم الكركر والصراع ملحاً لا يطيق التقصير حتى يبورا
 أقبل القوم يسألون : أنمت الـ بأرض أم جادر الطريد النسورا
 نفضوا الغضب والجبال وشقوا الـ بأرض طراً ومالها والصخورا
 وحب (أسماء) إذ يشد (أبو جهل) على خدرها المصون منيرا
 صاح : أسماء أين غاب (أبو بكر) أجيب ، فقد سألنا الخبيرا
 قالت : العلم عنده ، ما عهدنا أجم الأسد تستشير الخدورا
 فرماها بلطمة تمرض الأجيال من ذكرها صوادف صوراً
 قذفت قرطها بعيداً ، ورضت من وجوه النبي وجهها نصيراً
 (غاز ثور) أعطاك وبك ما لم يقطر من روعة الجلال القصورا
 أنت أطلعت السماك ديباً ساطعاً نورها ، ودبت خطيرا
 صننته من ذخائر الله كنزاً كان من قبل عنده مذخورا
 مخفّر الحق لاجد يتوق قام فيه (الروح الأمين) خفيرا
 وقفت حوله الشعوب حيارى من وراء العصور تدعو المصورا

اهدني أيها الشعوب فإن لك حق أعلى بدأ وأقوى ظهيرا
لا تراعى فتلك دولته العظمى تناديك أن أهدى السريرا

* *

(صاحب القام) المتوج بالعمر : فان : بورك صاحباً ووزيراً
أنت واليتة وعاديت فيه من توحي الأذى وأبدى الثغورا
بيت شعري : أصبت حية واد تنفت السم ، أم أصبت حريراً ؟
نفت سمها فهاز (رضوى) من وقار ، ولا استخف (تبيرا)
خفت أن توقف النبي فهاز ضيك أن تضعف القوى أو تخورا
أكرم الله ركبتيك لقد أم طاك سبحانه فأعطى شكورا
في رأس حملت بإحامل الأيدى : مان سمط والبر صفوا طهورا

* *

اتق الله يا (سراقه) وانظر إنما الرأي أن تكون بصيرا
أنظن الجواد قد خرق الأرمض يحاييك أم نظمه مسحورا
أم هو الله ذو الجلال رماء يمسك للشر راكضا مستطيرا
فرك القوم فاطلقت ترجيه به خيسا من الجزاء حقيرا
وضع الحق فاعتذرت وأولا لك الرسول الأمين حظا وفيرا
فزت بالمهد فاعنته وأبشر (يسواري كسرى) فديت (البشيرا)
قل لأهل (التياق) أوتيت أجرى جللا ، فابتغوا مساوى أجبرا
ليس من رام دفعة أو سناء مثل من رام ناقة أو بميرا

محمد محمد

سيدنا محمد هادم الأصنام

كانت الأصنام عند الناس معبودة، وكانت محبوبة كل الحب، ومقدسة كل التقديس، ومرهوبة أعظم رهبة. وكانوا يقربون إليها القرابين وكانوا يحرقون حولها البخور، ويرخون عليها السكّال والستور، ويكفون لها ويسجدون، وينهلون إليها ويصلون. فكم عفروا أمامها من جباه، وكم حنوا من أصلاب، وكم جثوا أمامها خاضعين خاشعين.

كانت خرسا، لا تنطق، وصماء لا تسمع، ولكنها مع خرسها كانت توحى إليهم كل شر، وتنفث فيهم كل زور، ومع صمها كانت ترفع عندها الأصوات، وتكثر لديها الدعوات. كان لها سدة، وكان لها كهان، وكانوا يتكلمون عنها، وينطقون بلسانها، ويلخون عبيدها ما تريد.

هكذا كانت الأصنام في جزيرة العرب فيما قبل سنة (٥٧١ م). وهكذا كان العرب: أرباب وحريريون، وحكام ومحكومون، توحى إليهم بكل فتنة وزور، وتقصد عندهم كل شيء في الحياة. وقد كانت من القوة بحيث لا يحدث أحد نفسه أن يرومها سوء. وكانت من الثبات بحيث نزول الجبال ولا نزول. وكان من يقينهم بها أنهم لا يقبلون فيها شكا ولا جدلا. وكان من جهم لها وتقائهم فيها أن تسيل أنفسهم على ظيابة السوف وأطراف لرماح فداء لها. وما هي إلا دورة من دورات الفلك حتى اقتلعت من أماكنها العالية، ومتاز لها السامية، ورُحى بها بين التلال والوهاد.

خلت معابدها من الراغبين والراهبين، والراكمين والساجدين وصيرت أماكنها من أصوات الداعين، وعجيج البتهلين، وهممة المستغفرين انقطعت سبابها من الحاجين إليها، فلا غاد ولا رائج، ولا حاج ولا قاصد. أطفئت من حولها الشموع، وانقطع دخان

البغور ، ومزقت الأستار واليكل . رغب عيادها عن تقديم القرابين ، وذبح الضحايا وإراقة الدماء . ذهب سلطانها على النفوس فلا سلطان ، وراح إجلالها واحترامها فلا إجلال ولا احترام ، وذهبت عزتها وجبروتها فلا عزة ولا جبروت .
ليت شعري ما الذي أزر سلطانها ، وهد أركانها ، وزلزل فواعدها ، وحطم عروشها ، وحمى الإنسانية شرورها وآثامها ؟

لقد اقتضت إرادة الله الحكيم أن يحمي الإنسانية من كبدها ويخفف عنها وبلائها ، فأنازل الوجود بطلعة سيدتنا وسيد البشر محمد بن عبد الله ، وأرسله إلى العالم على رأس الأربعين ، فارب الأصنام ، وزلزل لأوهام ، وجاهد في سبيل الله جهادا محمودا ، وسعى في إعلاء كلمة الله سمعا مشكورا ، حتى تمت له الغلبة ، وكانت كلمة الحق والخير هي العليا ، وكلمة الباطل والشر هي السفلى .

حاربها صلى الله عليه وسلم بسيفين : سيف الحق ، وسيف الحديد . ودفع في ركنها بقوتين : قوة الإقناع ، وقوة القهر . وكانت قوة الإقناع أشد تأثيرا ، فقد أبان لهم أن الإله للعبود يجب أن يكون أقوى وأكمل ما في الوجود ، وهذه الأصنام العبودة أصغر ما في الوجود شأنا وأضعفه أمرا ، فهي مؤوفة لا نسمع نداء الداعين ، ولا تبصر عبادة المابدين ، وهي عاجزة لا تدفع الأذى عن نفسها ، ولا ترد من أرادها بسوء .
« أنشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون . وإن ندعوك إلى الهدى لا يتبعوكم ، سواء عليكم أدعوتكم أم أنتم صامتون . إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، ما دعوكم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين . ألهم آرحل يمشون بها ؟ أم لهم أيدي يطشون بها ؟ أم لهم أعين يبصرون بها ؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون . »

« واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا . إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا . يا أمت إني قد جئت من العلم ما لم يأتك

فَاتَّبَعْنِي أَهْدِيكَ صِرَاطًا سَوِيًّا . يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا
يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا .

« ولقد آتينا إبراهيم رُشدَهُ من قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ
الْثَمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ ثُمَّ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ . قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ
أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ ، فَجَعَلَهُمْ جَذَازًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . قَالُوا مِنْ قَبْلِ هَذَا
بِأَهْتِنَا لَهُ مِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ
النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ . قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَهْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا
فَلَسْأَلُوكُمْ إِن كَانُوا يَنْظِقُونَ . فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ . ثُمَّ نَكِسُوا
عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْظِقُونَ . قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ
شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ، أَفَرَّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ .

لم يبقَ بعد قيام هذه الحجة القوية ، وسطوع هذه الدلائل النيرة إلا هدم هذه
الأوثان وتحريقها .

فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم يرم فتح مكة ، دخل المسجد والأصنامُ
منصوبة حول الكعبة ، فجعل يطمئن بسية قوسه في عيونها ووجوهها ويقول : « جاء
الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » . ثم أمر بها فكفنت على وجوهها ،
ثم أخرجت من المسجد فحرق ، فقال في ذلك راشد بن عبد الله السلمي :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يابى إلاله عليك والإسلام

أو ما رأيت محمداً وقبيله بالفتح حين تكسر الأصنام

رأيت نور الله أضفى ساطعاً والشرق ينشى وجهه الإظلام

وكان لتقريف صنم يسمى اللات ، فلما جاء وقدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلوا

كان فيما سألوه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهي اللات ثلاث ستمين ، فأبى ذلك عليهم ، فاجروا يسألونه سنة بسنة ويأبى عليهم حتى سألوا شهرا واحدا بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى . فسألوه ألا يكسروه بأيديهم فقال : أما كمرأوتكم بأيديكم فسنعفيكم منه .

فلما توجه لوفد الى بلاد تقيف بعث معه المغيرة بن شعبه وأبا سفيان لهدم لطاغية ، حتى إذا قدموا الطائف تقدم المغيرة لهدمها وقال لأبي سفيان : ألا أضحكك من تقيف ؟ فقال : بلى ، فأخذ الممول وضرب به اللات ضربة ثم صاح وخر على وجهه ، فارتجت الطائف بالصياح سرورا بأن اللات قد صرعت المغيرة ، وأقبلوا يقولون : كيف رأيتها بالمغيرة . دونكها إن استطت ، أم نعم أنها تهلك من عاداها ؟ ونجكم ألا ترون ما تصنع ؟ فقام المغيرة بضحك منهم ويقول لهم : يا خبيثاء والله ما قصدت إلا الهزء بكم ، ثم أقبل على هدمها حتى استأصلها ، وأقبلت مجاز تقيف تبكي حولها ونقول أسلمها الرضاع ، إذ كرهوا للصباح — أي أسلمها اللثام حين كرهوا القتال . ثم أخذ مالها وحليها وذهب به الى النبي صلى الله عليه وسلم

وكانت سمرات يقال لها العزى على يمين المصعد من مكة الى المراق قد عظمتها العرب وعبدوها وشوا عليها بيتا ؛ وكانوا يسمعون فيه الصوت ؛ وكانت أعظم الأصنام عند قريش ؛ وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون لها بالذبح ؛ وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول : واللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، فإنهن الفرانيق العلى ، وإن شفاعةن لترنجى .

فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم فخرها فيما حقر من الأصنام ونهاهم عن عبادتها . ونزل القرآن فيها : « أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الله كره له الأنبياء تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » . والحكاية الآتية تدلنا على ما كان لها من سلطان عند قريش :

لما مرض سعيد بن العاص بن أمية مرضه الذي مات فيه ، دخل عليه أبو لهب يعود له فوجده يبكي ، فقال ما يبكيك يا أبا أحيحة ؟ أمن الموت تبكي ولا بد منه ؟ قال : لا ، ولكنني أخاف ألا تعبد العزى بعدى . قال أبو لهب : والله ما عبدت حياتك لأجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك . فقال أبو أحيحة : الآن علمت أن في خليفة ، وأعجبه شدة نصيبه في عبادتها .

فلما افتتح النبي مكة بعث خالد بن الوليد فقال له : أنت بطن نخلة فلنك تجد ثلاث سمرات فاعضد لأولى ، فأتاها فعضدها . فلما جاء إليه عليه السلام قال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فاعضد الثانية . فأتاها فعضدها . ثم أتى النبي عليه السلام فقال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا ، قال فاعضد الثالثة . فأتاها فإذا هو بحبيشة نافذة شعرها ، واضمة يديها على عاتقها ، نصر ف بآنيابها وخافها سادنها ، فلما رآها خالد ضربها ففلق رأسها ، ثم عضد الشجرة وقتل سادها . ويظهر أن هذه المرأة كانت تدخل البيت وتكلم الناس فيظن الناس أنها العزى .

ثم رجع خالد إلى النبي وخبره بما كان . فقال : تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب ، أما إنها لن تعبد بعد اليوم .

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث أصحابه إلى أوثان العرب فيكسرونها ويحرقونها . وكان بعض العرب يكسرونه ويلحق النبي صلى الله عليه وسلم فيسب . يروى أنه كان لمزينة صنم يقال له نهم فلما سمع سادته بالنبي صلى الله عليه وسلم نادى إلى الصنم فكسره وأنشأ يقول :

ذهبت إلى نهم لأذبح عنده عقيرة فسك كالذي كنت أفعل
فقلت لنفسى حين رجعت عقاها أهذا إله أبكم ليس يعقل
أبيت فديتي اليوم دين محمد إله السماء الماحد المتفضل
ثم لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وضمن له إسلام قومه .

وما زال الأمر كذلك حتى طهر الله الجزيرة العربية من الأصنام ، وطهر نفوس أهلها من عبادتها .

لقد كان مما يخزى الإنسانية ويلطخ جبينها بالعار ، أن تعتمد لى أحجار لا تعصر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، فتذل لها وتخضع .

فجاء محمد صلى الله عليه وسلم فغسل هذا لعار ، وأزال هذه الوصمة عن جبين الإنسانية ، ومحا سلطان هذه الأصنام المستبدة . وهذا خير عالمى لا يخص أمة دون أمة ، ولا جنسا دون جنس . فمن الحق على العالم أجمع : مسلمه وكافره ، ومؤمنه وجاحده ، أن يحتفل بذكر مولد سيدنا محمد ، وأن يذكر في ليلة مولده من كل عام بالتعظيم والإجلال عظم الأصنام ، ومكسر الأوثان ، ومأحى الشرك ، ومقيم التوحيد ، ومطهر الإنسانية من دنسها ، ومقبلها من عثرتها ، ورافعها من سقطتها ، ومأحى عنها ما كانت فيه من ذل وعار . عليه الصلاة والسلام

محمد عرفه
من علماء الأزهر

من أخلاقه

صلى الله عليه وسلم

قال أنس رضى الله عنه : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط ، ولا قال لشيء صنعته لم صنعت به ، ولا لشيء تركته لم تركته .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذ حلا فى بيته أثير الناس ، لبابا ، ضحكا .

وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان فى سفر ومرا أصحابه بأسلح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله على ذبحها ، وقال آخر : على سايخها ، وقال آخر : على طبخها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى جمع الخطب . فقالوا يا رسول الله . فكيف لك العمل . فقال : عمت أنكم تكفوننى ولكم كره أن أتميز عليكم ، وإن الله سبحانه وتعالى نكره من عنده أن يراه متميزا بين أصحابه .

تحية للمولد النبوي الشريف

رأى البرق مكيا فشبت أضالعه وعادده وهنا ففاضت مدامعه
ففي ذكر الاسلام مذ كان ناشئا وأم القرى مصطفىه ومراجه

نذكر مجد الدين والدين يافع فتيا كنصل السيف يهتز لامعه
تذكر ميلاد الرسول فهزه لأم القرى وجد وهاجت نوارعه
رسول الهدى والناس في غيب الدجى ومكة مسراه وفيها مطالعه

لقد جاء والدينيا غدوح بأهلها من الظلم والحكام فيها صنائعه
فكان على الدنيا سلاما ورحمة وكانت على الأيام عناطواله
وبدل بؤس الناس نعي وفقرهم غنى ثم هبت في الأنام شرائعه
ففي المرس آيات وفي الروم مثلها وفي الشام من نصري تجلت سواطعه

وفي نشأة المختار حسن قدوة تسامت بها في العالمين طبائعه
فقد لقبوه بالأمين ولم يكن له فيهمو إلا محب يوادعه
فلما دعا للحق عاداه أهله وأصبح لا يلقى الذي لا يتنازعه
كذلك أنوار اليقين إذا بدت تدرعها شاري الضلال وبائعه

وناصبه القوم العداء بقسوة فصابرهم والقلب شتى متنازعه

ومن لم يجد بين العشيرة ناصرا يماونه نذت عليه مضاجعه
ومن لم يجد من أقرب الناس ساعدا رأى الحزم أن يسعى إلى من يشايه

فهاجر بسم الله تحدوه قوة من الله يفنى دونها من يقارعه
وسار وجبريل يحوط ركابه وأجناده في كل خطو تقابله
وسمى وجهه نور النبوة ساطع تجلى غيايات الظلام لوامعه

لقد جمع الكفار جيشا عرمرما وبادرت الإسلام منه طلائعه
فما لبثوا أن أظهر الله دينه وأخفت عليهم في الظلام قواطعه
فكاثروا حصيدا خامدين أذلة يضيق بهم رحب البسيط وواسعه
وطه مع الصديق في الفار رقة وقد شيدت حصنا عليه سواجعه

كأن بكبش القوم يسدى جلادة وقد دميت من لهفتيه أصابعه
ومن ينصر الرحمن لم يخش كثرة ولم يرهب الخصم الألد ينارعه
ومن يكن القهار ضلل سعيه فليس بمجديه لدى الخطيب وازعه

لقد كان هذا الشرق مهبط حكمة على حين كان الغرب قفرا مرابحه
وإن كان في الغرب الذي ساد أنجم في الشرق بدر بالحجار مطالعه
وإن كان في الغرب الرشيد ملاسن ففي الشرق إعجاز وفيه مصافحه

عنا الغرب للشرق النبيل وأرهفت إلى حكمة هادين منا مسامحة
بنا كسب الغرب للمعارف حقبة فنا مزاياه ومنا مصائد



ألا سيد يجري على نهج قومه ويهديه من هدى الكتاب روائعة
 عسى أن يعود اعجد للشرق عودة فيسمر بأهله وتصحو هواجعة ؛
 فيا مولد المختار يا خير مولد لنيل العلا والعزم للشرق صائغة ؟
 سموه الى الجوزاء باسم محمد ولا يضع المخلوق ما الله رافعة
 عبد الرحيم البدوي
 من علماء الأزهر

من صفاته

صلى الله عليه وسلم

قال هند بن أبي هالة يصف النبي عليه الصلاة والسلام :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصلا بالأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، ولا يكلم في غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتح الكلام ويختمه بأشده ، ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير ، دمث ليس بالجافي ولا المهين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم شيئا . فلم يكن يذم دواقا ولا يمدحه ، ولا يقام بغضه إذا تعرض للحق بشيء حتى يتصر له ، ولا يفصب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا لمحب قلبها ، وإذا تحدث اتصل به فصر بآهائه ليبي راحته اليسرى ، وإذا غصب أعرض وأشاح ، وإذا فرخ غص طرفه ، حل ضحكة التبسم ، ويفتر عن من حب لغمام » .

وقال الجاحظ يصف مطلقه صلى الله عليه وسلم :

هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصفة ، وزه عن التكلف ، لم ينطق إلا عن ميران حكمة ، ولم يكلم إلا بالكلام قد خف بالعمسة ، وشد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق .

محمد رسول الحياة

في مثل هذا اليوم منذ ألف وأربعمائة سنة وسبع سنين تفتحت أبهى زهرة في روض الحياة ، ولمع النجم الثاقب في سماء الوجود ، وأشرقت طلعة محمد صلى الله عليه وسلم تطل على الكون المتلى ، بالمظالم والشرور والشهوات ، لتشرّف على تنظيمه وتنسيقه ، ولتنشله عما كان فيه من الظلام الدامس الى النور والهداية والعرفان والكمال . واستقبل العالم وجها جديدا يفيض بسنا النور الإلهي الذي كشف الله تعالى عنه لاجزاء الدنيا وتبصير الناس بسعادتهم وهنائهم وخيرهم ورفاهتهم ، فاتجه لأنام منذ ذلك اليوم اتجها غير الذي كان فيه ، واتخذ سبيلا غير التي كان عليها ، وتطورت نظم الحياة وسنن الشرائع وأوصاع الانسانية ، وحجرت عبراتها في مداوج الرقي والعظمة الى ما هي عليه الآن ، وفي ما يشاء الله لها من بعد . فهذا إذا هو اليوم الخالد ، وهو يوم الحياة . والحياة يا سادة أسمى ما أبرزته العناية الإلهية ، وأنفس ما اشتملت عليه الدنيا من المظاهر ، وأجل ما نراه عين وتمسه يد ويشعر به قلب ، وأعز ما تقوم به الأشياء وما يحتويه الوجود . فيها جمال الجميل ، وجلال الجليل ، وممتعة التمتع . هي الكون وما في الكون .

فالذي يمس حياة الناس بالخير ويتمهدا بالثقيف ويكنفها بالهداية ويعهد طريقهما ويعبده الى السعادة والرخاء كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم هو أعظم البشر ، وهو رسول الله الى الحياة .

ولقد تكلم كثير من ذوى الأقلام والعقول في حياة محمد صلى الله عليه وسلم فأحسنوا أو أساءوا على حسب نياتهم واستعدادهم ، وقد رجموا وأقذارهم ، في العلم والمعرفة ، وفي الرجاحة والبعد عن الهوى .

وستظل حياته صلى الله عليه وسلم ينبوعاً فياضاً لكل مفكر وقائل ، وستظل
فياحة عطرة أبد الآباد ، لأنها نابغة من الأزل ومنتهية إلى الأبد ، وليس الازل والآبد
وما بينهما فناء .

فتمتصر هذه الحياة السامية الوجود وما فيه على ممر السنين والأيام ، ولنستشق
نحن من عبرها المبارك لتتحدث اليكم عن الحياة في نظر محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن
محمد رسول الحياة .

تنشأ الحياة في الجنين لدنة ناعمة لينة يخاف عليها من الأذى ومن أقل الأضرار
وأصغر المللابات ، فيتعهد بها محمد صلى الله عليه وسلم بالناية الساهرة والرعاية الواعية ،
فيطلب إلى الأم أن تمنى بحينها ، لأنه أساس الحياة ، والنواة التي تتركز فيها قوة الوجود ،
والعماد الذي تركز إليه الإنسانية ، ويقول لها في لهجة الشفق الحريص : إذ خفت
على الجنين أدنى فارتكبي كل شيء يؤدي إلى هدا ، لا من أمور العادات فقط ، بل من
المبادئ حتى الصوم ، ولتكن هذه النعمة المودعة من النابة والتقدير ولا اعتبار .

وتتطور الحياة طفلاً فيستقبله محمد صلى الله عليه وسلم بالبشر والسرور ، لأن كوكبا
من كواكب الوجود استهل ، وزهرة تفتحت عنها الأكمام ، وهو يمد الناس — إلا من
هدى الله — بفرقون في عطفهم وحنانهم بين لابن والبنت ، فيعيب عليهم هذا الخلق
الشائن المزرى ، ويقول لهم ما يقول الله تعالى : « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ
مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ، أَيُمسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ
فِي التُّرَابِ ، أَلَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » ويقرر في صراحة حازمة أن الحياة في حاجة إلى الذكر
والأنثى على السواء ، وأن العدل بينهما واجب ، كما في الحديث الشريف « اعدلوا بين
أولادكم ولو بشق تمر » بل يسمو الذوق والوجدان التشريعي في العناية بالأولاد إلى كل
ما يلتصق بهم في التربية حتى الأسماء واختيارها ، فيطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الآباء والأمهات أن يسموا أبناءهم بالأسماء الحسنى ، ويطلب إلى الناس أن يدعوا

بأسبب الأسماء اليهم ، ويجعل للبنت من هذا ما يدل على أنها حتى في نظر الشرع عنوان اللطف والجمال ، فيقرر أن خير الأسماء في الذكور ما عبيد وما حمد مثل عبد الله ومحمد ، وأن خير الأسماء للبنات ما كان لطيفا عفيفا . فلتفرح البنات كما فرح الذكور ، وليتعرف الجميع فضل الله على الناس برسول الحياة .

وتشبه الحياة وترعرع ، فإذا هي فتاة أوفى ، وإذا هي الحسم وقوته ، والدم وحرارته والفضل ومئاته ، والقلب ومصرته ، والشباب وجماله ، والأيد واحتمله ، والعدة وحيتها ، والكبد وطراوتها ، والحشايا وسلاستها ، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يلف هذا كله في الحكمة البالغة والحكم الجوامع ، فيقول : « للمؤمن القوى عند الله خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير » . فسلام على الرياضة البدنية الشريفة . ولعمري أنها بتبوع الحياة ، وأنها في كفالة محمد صلى الله عليه وسلم يرعاها بشرعه ويكلؤها بتقنينه ، لأن فيها عظمة الأمم وقوة الأوطان وسلامة الأديان . وما مثل الأجسام الضعيفة إلا كالعظام النخرة هيأ كل مائة ، ولكن الويل لمن يعتمد عليها أو يركن إليها .

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد يوما فوجد حبلا مشدودا إلى سارية من سواريه وعمود من عمده ، فقال : ما هذا الحبل في هذا المكان ؟ فقيل له : يا رسول الله إنه لفلاة ، وإنها مدينة ونحب الصلاة ، فهي تصلي حتى إذا تعبت استندت إلى الحبل فتقوم فتصلي . قرئ العصب في وجهه عليه الصلاة والسلام ، وأمر بفك الحبل ، وقال : ليس هكذا ، إذا تعبت فلتكف ، وإن الله لا يمل حتى تعملوا

والإسلام الحنيف يملأ بالجمع المتألقة في نشره السامى ، تعظيما لأغراض البدن ، وحاجات الجسم ، ومطالب الأعضاء ، في حدود الأدب والسمو والشرف وفي جمع هذا كله يقول صلى الله عليه وسلم : « إن لبدنك عليك حقا » .

وها هم أولاء دعاة المدينة الحديثة وأنصار الرق الحاضر : ينادون ملء أفواههم ومبلغ قوتهم وطاقة دعوتهم إلى خدمة الجسم والعناية به ، وإلى ترويضه ، حتى يكون جلدا

مواتيا، نجدا مسمفا، فهل دروا أنهم بذلك مسبوقون، وشتم في هذه النية تابعون، وأن الفضل لحمد رسول الحياة؟

والقوة الفكرية هي الغرض لا تسمى والمقصد الاتم للإسلام، والسعي وراء ما ينمها ويزيد في سعتها ويزكيها وعد في مقدار سيطرتها على ذخائر الكون، كل أولا، من وجهة الإسلام في الترية وغرضه في التشريع، دائبا عليها لا يني، فإنه يشجع العلم ويحث عليه، ويسكفي عليه بالثواب العاجل والنعم الآجل ففي الحديث الشريف «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادها معا فعليه بالعلم، ومن سلك طريقا يطلب فيه عما سهل الله به طريقا إلى الجنة». وماذا بعد الجنة؟ وماذا غير النعيم للقيم؟

تطالعنا الأخبار العلمية كل يوم تحديد هو آخر ما وصل اليه العلم في خدمة الانسانية: في نظم المعيشة، وطرائق الاجتماع، وتدير الأسر والبيوتات والممالك؛ وتأخذنا الدهشة إذ نجد هذا جميعه مبثوثا في تضاعيف الشرح الإسلامي، كأنما العلماء لا يبحثون في مكانهم أو معاملهم، وإعاجم يفتشون إلى الإسلام فيدخلهم ويملهم. ولا غرو فحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن واضعا ولا مقتنا من تلقاء نفسه، ولكنه كان متلقيا عن السماء وفي السماء أمرار الحياة.

ومن الناس من ينقبض للحياة ويضيق بها صدره وتلتوى عليه مسالكها، فهو عابث لها، متبرم بها، متزمت عنها، له في الطعام غصص وفي الشراب شرقي، ولا يجدها إلا هكذا نصور، وهكذا تكيف، فهو يحرم نفسه اللذائذ، ويحرم عليها المتاع، ويأخذها بكل شاق مكروه حتى لا تطيقه الحياة؛ وقد يزعم أنه زاهد، وقد يزعم أنه متقشف. ومن الناس غير هذا من يجري في الحياة سهيلا، وينصرف إليها مطلقا، يتلقاها ماجتا ويشربها حلوا وآجنا، له في كل طرف هجوم، وفي كل مدخل ولوج، فهو يقضم من كل طعام، ويكرع من كل شراب، ويستسيغ كل علاقة حتى تفيض عنه الحياة، وقد يزعم أنه مستمتع بالدنيا لعوب.

وليس لواحد من هذين أن يدعى أنه قد أصاب الحياة أو نعم بها، وإنما أصاب كل واحد منهما طرفاً وأخطأ معاً الوسط، والخير كله في الباب.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرسم للحياة أدق طرقها وأسمى غاياتها، ويعلمن على رموس الأئمه أن الحياة متعة ولذائذ، وكنوز ونفائس، وبشر وسعادة، ويدعو الناس إلى الاستمتاع من كل ذلك بأحسن ما فيه، والانتفاع بخير ماله «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي لذات آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة» فهو يريد الناس أن يأكلوا هنيئاً ويشربوا صريحاً، ولا يجمعوا عليهم في الدين من حرج، وليتأنقوا ما باعدهم الإصراف وجانبهم الشطط، وليجمعوا إلى هذه الأناقة في الطعام والشراب أناقة في الهندام ولللبس، فأنه تعالى يقول: «يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلموا واثربوا ولا تسرفوا» ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «حسنوا هيئاتكم حتى تكونوا كالشامة بين الناس» والشامة يا سادتي علامة الحسن وشارة الرضاء والجمال، فالبيت المسلم حقاقة من الأناقة والبداعة، وهو مستقر الحياة ومستودعها، رسم تصميمه وأحكم وضعه رسول الحياة.

والحياة عند محمد صلى الله عليه وسلم جد وعمل، وجلاد وكفاح، ومكابدة بالدنيا وما فيها، على رحمة ورفق، وفي تودة ونصر. وهي حقل واسع موفور الخصب سخي الثرة، أشجاره تؤتي زوجاً من الثمرات ونوعين من الجنى عاجلها طيب وآجلها طيب، والناس بمد زراع في هذا الحقل مستثمرون له مستخلصون ما فيه، فالكيس العاقل المحبوب من استفرغ جهده وتعمد زرع وتوفر على واجبه، فهو إما عامل لدنيا وإما عامل لآخرة. أما السكع العاقل الضائع الذي يقتل باللهو وقته، ويقتل حياته بوقته وفراغه، فهو الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله بكره الرجل الفارغ لا في عمل دنياء ولا في عمل آخرة».

أفتم رأيت هذه الحياة التي كنفها محمد ورعاها وتولاها منذ كانت نواة في ضلالت

الأحشاء ، لى أن صرعت الأرض فاستخرجت كنوزها ، وسخرت الهواء فركبت متونه ، وشقت لماء فجرت عليه فى الفلك أو غاصت فيه الى مسارب الجبتان ؟ أليس الإنسان هذه الحياة يتصرف فيها وفق إرادته وطوعه هواء ؟ ألا يملكها صاحبها يلبسها إذا شاء ويخلعها إن أراد ؟ .

إن الذى ربى هذه الحياة فرفهها ، وغذاها فأحسن غذاءها ، وكفلها فأوفى كفالتها ، يسمو بها لى مراتب الانسانية العالية ، ويرفع بها عن الأغراض الشخصية والمصالح الذاتية ، ويقرر فى صراحة حاسمة أن الحياة ليست ملكا خالدا لصاحبها ولا نحلة لنفسه ، إنما الحياة للأمة والوطن ، إنما الحياة ملك للحياة ، وأن الانتحار لا يجوز مهما كانت لأسباب وعليه أشد أنواع العذاب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحصى ستما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحصاه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها بطنه فى نار جهنم خالد مخلدا فيها أبدا » .

إن للحياة منابع كنابيع النيل لا تخلص الينا مياهها عذبة صافية إلا إذا طهرت تلك النابع وحرصنا على ولايتها . والمرأة منبع الحياة والىم الذى يتفتح عن زهرها اليناع وثمرها الشهى وجناها الجنى . ولذلك كانت عناية رسول الله صلى الله عليه بها أعظم وأرق . فالاسلام يعز المرأة ويحبها ، ويردها وبذلها ، ويبالغ فى إعزازها حتى يجعلها بمن شئ فى الحياة ونفس ما ترناح اليه نفس ، حتى المال الذى هو المعيار العالمى للأرض وما عليها . قال صلى الله عليه وسلم : « نأى لذهب تبأ للفضة قالوا : فإذا اتخذ يارسول الله ؟ قال : بحسب أحكم روجة صالحة فعينه على أمور دينه ودنياه » . وما أسمى أن تكون امرأة خيرا من كل متاع العالم وزخرفه حتى الأبيض البرق والأصفر الزان . ولقد وهب لها من الحقوق فأجزل طيبة ، وأعطاه فأكبر العطاء ، ودلاها حتى مناصب الفتية . ولعل أوفى فى أوقات آخر أن تحدث فيها اليكم شوقية وإسهاب عن شئون امرأة المسلمة وما لها فى الشرع الاسلامى من سمو منزلة وموقور الكرامة معالج مسائل الزواج

والطلاق والميراث، وبناء الأسرة الإسلامية على أمتن لدعائم وأحسن الأساس. وإنما الذي يعنيننا لأن أن الحياة فيض من المرأة، وأن المرأة كنزها الفاخر، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي وأكبر وأعلى كنز الحياة.

إن كان ناس يحسبون الحياة فترة تفضى وزمانا ينقضى وانتماشا مؤقتا لقطعة من للسادة هي الجسم وأعضاؤه، ثم يكون بعد هذا خلود لا قيامة بعده وركود لا ينهض، ثم بناء على هذا الاعتقاد إما متبرم ساخط لا يجد لها لذة ولا يعرف غرضها يتولاه الفسق ويشغله الاضطراب، وإما طاغية متدبر يتمرد على العلم وما في العالم من نظم وقوانين ويخرج فما كما يجترح الما ستم من كل لون لأنه لا يخشى رقيبا ولا يعرف مصيرا، وكلا الصنفين خطر على العالم محيق - إن كان الأمر كذلك فإن محمدا صلى الله عليه وسلم يشرح الحياة على حقيقتها، ويقررها على واقعها، ويثبت أنها حلقة من سلسلة لا بداية تتصل بالماضي قبلها وتفضى الى المستقبل المتد البعيد بعدها، وأن الفينة التي بينهم إنما هي حالة تطور وانتقال الى عالم أسعد وأجل، كما نخشى، الحشرة في فيلحها فترة ثم هي تخرج فراشة جميلة ترفرف راحية بديمة الألوان.

وحينئذ تطمئن القلوب من الخوف على أعز ما تملك أن تبطله ظلمات الغناء، ويشعر لناس بالحسب والعاقبة، فلا يفرط أحد في حق ولا يعرط في واجب، ومن ثم يعتدل ميزان الحياة بيد محمد رسول الحياة.

لما نزل قوله تعالى: « وأنذر عشيرتک الاقربين » جمع صلى الله عليه وسلم أهله وعشيرته، وكان مما خطبهم قوله: « والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، وإنما للجنة أبدا والنار أبدا، فالاسلام يبين حقيقة الحياة وأنها بداية لانهاية لها، ويطلب الأئندة بدوام البقاء، ويحوط الحياة العامة بالحكم القوالى.

الحياة جسم وفكر. الحياة جد وعمل. الحياة متعة ولذة. الحياة حق الأمة. الحياة سلسلة الخلود. صلى الله عليه وسلم مدى الحياة:

عبد الفتاح بدوى

مدرس بكلية اللغة العربية

معجزتان علميتان

لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
يكشف عنهما المؤتمر الدولي التاسع عشر في بلجيكا

تكثر احتفالات المسلمين في هذا الشهر المبارك بـحياء ذكرى سيد الأنام وخاتم
الرسل الكرام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فيتذكرون فجا يدهم فضل رسول
الله عليهم وعلى الناس أجمعين .

أوليس هو الفاتح لما أغلق ، واخلاتم لما سبق ، والنصر الحق بالحق ، والهادي
إلى صراط الله العزيز الحميد ؟

على أن القصد من تحرير هذا البيان لقراء نور الاسلام أن أذكر لحضراتهم بمناسبة
إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف أمر معجزتين من معجزات نبينا قد كشف عنهما
للمؤتمر الدولي التاسع عشر لمكافحة المسكرات ، وقد عقد في مدينة أنفرس من أعمال
المملكة البلجيكية ، وكنت مندوبا من قبل الحكومة المصرية لتمثيلها رسميا فيه في صيف
عام ١٩٢٨

فكان من بين البحوث التي أزمع أن يعالجها المؤتمر بحثان لأستقيين عظيمين من
رجال الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية وكان بين المحاضرات المقرر سماعها
موضوعات ثلاثة .

الأول بحث مستفيض مقدم من اللجنة العلمية الطيبية للمؤتمر ، وخلاصته أن
لشاهدات الطيبية قد أثبتت عدم فائدة الحر في تدفئة الأجسام ووقايتهم من أثر البرد .
والثاني بحث آخر لهذه اللجنة العلمية الطيبية ، وموضوعه (جرعة طود) ، وجرعة
طود هذه شراب من الوسكي المعتقد كان يفتنى ويتخذ علاجاً للضعف والفتور .

وكان هناك بحث ثالث مقدم من اللجنة الاجتماعية للمؤتمر ، ومدايره (الحرية للصحة

ونحرّم الخمر) فأثبت مقرر هذه اللجنة أن تحريم الخمر وإن ترتب عليه منع الناس من أمر يدلفونه وشراب يهونونه، لا يمتدّ بمصادرة الحرية الشخصية، وإنما هو صون لها والحرّيات العامة جميعاً، فهو هو الحرية الصحيحة بعينها، لأن هذه الحرية لا تكون إلا حيث يمان لا أفراد المجتمع حرياتهم العامة؛ والخمر مجلبة للعدوان وإثارة البغضاء والشقاق، فهي تحمل أصحابها على الاعتداء على حقوق غيرهم بلا سبب سوى أن الخمر بطبيعتها تفقد شاربها مزية التبصر في العواقب.

فمأخذ دور الكلام في الخمر والدين المسيحي، نكلم لأسقفان المسيحيان بما شاء الله أن يتكلما، وقد حاولا في كلامهما أن يدلّلا على أن للسيحية الحقبة إن تحرم على أتباعها شرب الخمر، فلم أجد فيما سمعته منهما ما يبعثني على التعليق على قولهما، فأثرت التريث حتى تلقى محاضرات المقررين الطبيين في موضوع الخمر وعدم فائدتها في تحمل البرد، ثم موضوع التداوى بها، فكان مقرر الموضوع الأول كبير أطباء مستشفى فينا، فذكر أن رجال الطب كانوا على خطأ وشطط عظيمين مذ كانوا يوصون بتعاطي جرعات من المشروبات الكحولية للاستعانة بها على مقاومة البرد لما كان يبدو من تأثيرها الظاهر في تدفئة الجسم عقب تناولها، حتى ليكاد شاربها يتصبّب عرقاً من شدة الحرارة إبان البرد، فذكر أن هذا الشعور بالدفء، إن هو شعور كاذب، إذ يعقبه انخفاض في درجة الحرارة في الجسم، فإن التجارب الطبية الحديثة قد أثبتت عكس ذلك.

وبعد الانتهاء من محاضراته ففتح باب المناقشة والتعليق على أقواله، فقام رجل فأيد النظرية الطبية التي فصلها المحاضر، ومما ذكره أن جزيرة أيسلندا وهي من أشد البلدان برداً، كان أهلها يستعينون على مكافحة البرد بتعاطي المشروبات لروحية، فكثرت بينهم الوفيات إلى حدّ قلق بال ولاية أمورهم، فالتفوا لجنة لتبحث في الأمر وتعرف أسبابه، فأثبتت أن كثرة الوفيات في الجزيرة راجع إلى أن القوم يستنفدون حرارة أجسامهم بما يتعاطونه من الخمر، فيصعد الدم بتأثير الكحول من داخل الجسم إلى سطح الجلد

فتبينه برودة الجو تدريجاً حتى تأتى على آخره، فتنهى المياه بانتهاء الحرارة من الجسم، ومن ثم عرض الأمر على برلمان أيسلندا فقرر الموافقة على سن قانون يقضى بتحريم تعاطي المسكرات على أهل البلاد.

ثم قام بعده مبعوث آخر من بلاد إسوج فتكلم مؤيداً من سبقه قائلاً: إنه يريد لفت أنظار المؤتمر إلى ما حدث لأصحاب الرحالة العظيم الدكتور سكوت حين ذهب في منطاد لارياد القطب الجنوبي، فقد أدرك سوء تأثير الجمر في الأجواء الباردة، فأوصى أصحابه ألا يشربوا خيراً ثلثاً يفقدوا مناعة أجسامهم فلا تقوى على تحمل البرد.

قال الرجل: فلما صار الدكتور سكوت ورفاقه على مقربة من القطب الجنوبي وشعر أصحابه بأثر البرد الشديد، نسي بعضهم نصيحة صاحبهم فعمد إلى زجاجات الوسكي واحنسى منها. قال: فكانت النتيجة كما دونها الدكتور سكوت في مذكراته أن الذين اتبعوا سبيله واجتنبوا شرب الجمر بتاتا نجوا من الموت دون غيرهم.

فهنا بدا لي أن هذا المؤتمر قد كشف عن معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن قد جاء لأوان الأدل المؤتمرين عليها، فطلبت أن يؤذن لي في الكلام، ثم قلت وذكرت أن الضحايا البشرية التي قال الخطباء هنا إن عددها أكثر من أن يحصى بسبب الجهل الذي كان متفشياً في أوروبا قد سبهم المسلمون من أمرها ومن تكبد مثاها بسبب اتباعهم أوامر نبيهم، فقد حذرهم من شرب الجمر، وأخبرهم بأنها لا تنفع لمقاومة البرد. قلت: وهما كم المستند التاريخي إثباتاً لما أقول، وهو منقول حرفياً من كتب السنة عندنا، ثم ترجمت لهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، وهذا نصه:

«عن ديم الحميري قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله إنا بأرض باردة نعالج فيها عملاً شديداً، وإنا نتخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا. قال: هل يسكر؟ قلت: نعم. قال: فاجتنبوه. قالت: إن الناس غير تاركيه. قال: فإن لم يتركوه فقاتلوه» رواه أبو داود وصححه.

فكانت دهشة السامعين عظيمة جدا، وقوبلت أقوالى بمصافاة من الهتاف، وجاء الى الكثيرون منهم عقب دفع الجلسة يريدون أن ينقلوا عني نص الحديث الشريف . وحدث في اليوم التالي أن خطب الخطباء في بيان أن العلم الحديث أثبت أن جرعة طود أو سواها من الجرعات التي أساسها الحر لا فائدة منها في التداوى، وأن فكرة التداوى بالحر كانت فكرة خاطئة . قال الخطيب : فهناك آلاف الآلاف من الرضى كنا معشر الأطباء نوصيهم ونصف لهم أنواعا من الحر لتحليل لشفائهم، فكنا في الواقع نمجل بالقضاء عليهم .

فانهزت هذه الفرصة أيضا بطلب الكلام، فقلت : وهذه معجزة أخرى لنبي المسلمين صلى الله عليه وسلم، فهو لم يقض في التجارب الطبية ولا يوما وحدا، بل عشرات السنين التي لا بد من قضائها لمعرفة أراى نبات أو شراب أو عقار في الجسم، وإتباعه بطريق الوحي والنبوة أن الحر لا تنفع للتداوى، وتقلت إليهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، وهذا نصه :

« عن طارق الجعفي رضى الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحر فيها عنها، فقال : إنما أصنعها للدواء . فقال : إنه ليس بدواء ولكنه داء » . رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

قلت : وهذا الإرشاد النبوى جاء به نبينا منذ نيم وألف وثلاثمائة من السنين، قلت : ونحن معشر المسلمين متمسك بهذا النصح الثمين، حتى يفضل أحده أن يقضى نحبه على أن يشرب دواء فيه مسكر حذرا من مخالفة الله ورسوله . وما إن انتهيت من كلامي هذا حتى بدت علام السرود والاستعسان على وجوه السامعين جميعا، وتقل الكثيرون منهم هذا الحديث عني .

ومما يذكر أنه كان بين المؤتمرين فيس كان مبعوث حكومة إيرلندا، فجاء بحينى ويشد على يدي، وقال : أراك يا عزيزى قد أفلحت تماما في توجيه لأ نظار نحو ديانك

المحمدية، فأهنتك على هذا النجاح . فتبسمت وقلت : أما أنا فأشكر المؤتمر ورجاله على أن كشفت أبحاثهم عن معجزتين عظيمتين لنبي المسلمين . فقال قائل : وهل لنبيكم هذا أقوال مأثورة في شئون الحياة العامة ؟ قلت : وكيف لا وهو لم يدع شأنا من الشئون ولا أمراً من الأمور التي تهتم الناس في سعادتهم في هذه الدنيا وفي الآخرة إلا بينها وفصلها تفصيلاً ؟ فقال : وهل توجد هذه الأقوال في كتاب إنجليزي مثلاً ؟ فقلت : أعرف أن الحكومة البريطانية عنت منذ مدة مديدة بترجمة كتاب (مشكاة المصابيح) إلى اللغة الإنجليزية، وهو يحتوي على ماشرعه نبينا من الشرائع في مختلف شئون الحياة، وقد اطلعت على نسخة منه فوجدت ترجمته الإنجليزية قريبة جداً من الأصل العربي بحيث يصح الاعتماد عليها، فأخذ القوم يكتبون اسم هذا الكتاب ويغرونني بمبارات التقدير والشكر الكثير .

ثم لما جاء دور الكلام في موضوع (تحريم الخمر والحرة الشخصية) أثبت المحاضر المقرر لهذا الموضوع خطأ الرأي القديم الذي كان يقول بأن في تحريم الخمر مصادرة للحرية الشخصية، ومما قاله في ذلك : تباً لنا معشر الأوربيين إذ كنا لا نطبق صبرا على من يقول بغير هذا الرأي الفاسد : ولكننا الآن نرفع الصوت عالياً وننادي في الحافقين غير مباليين بأنه بعد أن بدا للعيان ما بدا من مساوي الخمر ومن مآسيها وضماهاها لم لا تقاس به ضمايا الأوبئة والحروب، يجب منع الناس عن إدمان الخمر ولو بالاجوء في ذلك إلى استعمال الإكراه والقوة .

وبعد أن انتهى الخطيب من كلامه هذا طلبت الإذن في الكلام للمعلق على ما سمعته فقلت : أيها السادة العلماء والحالة هذه لا تنفرون من الدين الاسلامي إذا علمتم أنه يوجب حد شارب الخمر بجلده ثمانين جلدة، فهذا الدين لم يكتف بتحريم الخمر: شرها وبيعها وصنمها وحملها وتقديمها وأكل ثمنها، بل إنه لم يترك الناس وشأنهم فيها، بل أنزل شارب الخمر عقوبة بدنية زجراله وصونا للحرية العامة من أن تكون عوضة لا اعتداء مدمني

الحر. فعلا هتاف المؤتمرون وأبدوا من الاستحسان أشد مما هتفوا واستحسنوا من قبل، فعدت إلى مكاني والبشر والسرور يملأ جونحي، والأبصار بحمد الله ترمقني. وحدث قبل رفع جلسات المؤتمر واحتتامها أنني دعيت لتناول الشاي والحلوى في منزل بعض وجهاء البلجيكيين فليت الدعوة، وهناك أقيمت جمعا كبيرا من مختلف الأجناس، وقد حضروا ليستزيدوني إيضاها وبيانا عن دين الإسلام وتاريخ صاحب الشريعة المحمدية عليه أفضل الصلاة والسلام، فذكرت لهم طرفا من ذلك حسبما اتسع له وقتنا المحدود، وكنت أحرص دائما في قولي على أن أصلي وأسلم على سائر الأنبياء والمرسلين، وأذكرهم بالتمظيم والتبجيل، وأقول: إننا معشر المسلمين لا نفرق بين أحد منهم أبدا.

وأقسم لحضرات القراء إنه لو كانت الظروف موانية، وكنت أقمت بين ظهراني أولئك القوم عاما أو بعض عام، لأمكن هداية الكثيرين منهم إلى الديانة الإسلامية. فالحمد لله الذي من علينا بنعمة الإسلام، وجعلنا من أتباع هذا الرسول العظيم، خام لأنبياء والرسل، المبعوث رحمة للعالمين.

أحمد غاموش

رئيس جمعية منع المسكرات العامة
بالقطر المصري

هدى رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام»
وقال عليه الصلاة والسلام: «من شرب الخمر في الدنيا فلم يصب منها حرمها في الآخرة فلم يستقها». وقال: «الحياة من الإيمان» وقال: «أتق الله حيثما كنت، وتبع السيئة الحسنه تمحها، وخالف الناس بخلق حسن»

النبي محمد

صلى الله عليه وسلم

في مثل هذه الليلة منذ ألف وأربعمائة وستة أعوام قرية أو ألف وثلاثمائة وثلاث وستين سنة شمسية، اهتزت الكرة الأرضية هزة عنيفة، ولكنها ليست مادية كهزة الزلازل والبراكين، وإنما هي حركة ممنوية قوية تغلغلت آثارها في أعماق النفوس، واتصلت معانيها بحبات القلوب فجعلتها تحس إحساسا قويا صادقا بأنه قد بزغ الليلة في سماء الوجود لانساني هلال وضياء لا نظير له في عالم الكائنات، وأنه حين يكتمل نوره ويصير بدرا، ستلتهم أقباس أشعته لحادة اللامعة نجمة هذا الظلام الدامس الذي شمل الكون وخيم على الوجود.

وقد سمعت الأرواح في تلك الليلة صوتا عاليا ينبعث من عالم المعنويات مناديا : يا رواد العلم والمعرفة، يا طلاب الهدى والرشاد، ويا أنصار الرق والمدنية، ويا عشاق الأخلاق والفضيلة، يا هؤلاء جميعا: طيبوا نفوسا، وقرءوا عيوننا، فقد تحققت آمالكم، وصحت أحلامكم، ووضعت الأقدار لليلة الحبر الأسلى في بناء معقل أمنيتهكم الجليلة لني طالما فاضت بها النفوس، وحاشت الصدور، ذلك لأن أمة بنت وهب بن عبد مناف أرملة عبد الله بن عبد المطلب، زعيم قريش وسيدهم، قد قذفت الليلة إلى مشترك الحياة بطفل خطير سيجتمع له من مكارم الأخلاق وجلائل الصفات ما لو نشر جزء منه على آية الليل لجهاه، وأحاطها إلى ضوء، يعشى العيون، ويفرق الخدق والجفون. سيجتمع لهذا الوليد صفات: الصدق والأمانة، والحلم والحياء، والبروة والسخاء، والشهامة والوفاء، وحسن الخلق ولين الجانب، ورقة الشماثل، وطلاقة الحياء، وقوة العزيمة وصلابة الإرادة، وستدين لعظمته العروش، وتنعو لجلاله الصوالم والتعنان. سيجتمع له كل هذا وسر آخر لا أريد أن أبوح به الآن، وإنما كل ما يمكنني أن أقوله

هو أن حياته ستكون آية الآيات ، ومعجزة المعجزات . ولو أن القيصرة والأكاسرة عرفوا أن هذا الطفل الذي ولد البيلة سيكون هو القدر المحكم ، والفضاء المبرم ، على سلطانهم وجبروتهم ، لفتشوا عنه في كل مكان ، ولينزلوا النالى والنفيس في سبيل الحصول عليه ، لكن لا نعدو على ممالكهم العوادي ، ولا تذور على أمبراطورياتهم دوائر الأيام ، ولكن القدر يريد أن يغير وجه الزمان ، وأن يرسل الى هؤلاء الجبارين طواريء الحدثان ، وأن يدير عليهم يدي هذا الوليد رحا الدهر الطحون ، وأن يثير على ضلالتهم عوانى الريح الزبون ، فشأت إرادة الله أن نكون مكة محط الرحل ، ومنبت لآمال ، ومتبع الرحيق السلسال ، ومهيبط النور والجلال ، ومصرع الجبارين والآقيال .

ألا تدرون لماذا ؟ هذا هو السر الذي لا أريد أن أبوح به الآن . ولو درى عظماء مكة وأبطالها أن وليد البيلة اليتيم الذي لا ناصر له في الظاهر ولا معين ، ولا ثروة عنده ولا قوة لديه ، سيدعوم يوما الى ترك تراث آبائهم الأولين ، واعتناق ما أتى به من الحق المبين ، والصراط القويم ، وأنه سينبئهم أنصع الحجج وأسطع البراهين على تسفيه أحلامهم باتباعهم خطي أسلافهم القافرين بلا تفكير مستقل ولا منطق سليم ؛ وأنه سيدعوم في رفق وبن الى ما آمن بأنه الحق الذي لا مشاحة فيه ولا مماراة ، فيضيقون ذرعا ، ويتبرمون بما أتى به ، ويسخرون منه ومن أنصاره أول الأمر ، ولكنهم لا يلبثون أن يروا نجمة آخذة في التألل واللمعان ، وحظه سائر الى التقدم والرفعة ، فعند ذلك يشمرون بخطورة الأمر وحروجة الموقف ، ويحسون بأن التهمك والسخرية لا يجديانهم نفعا ، فيصممون على عمل حاسم ، فيرسلون اليه من يساومه على مال أو جاه أو سلطان ، فيجيبهم بهذه الآية الجميلة الخفيفة : « فإن أعرضوا فقل أندركم صاعنةٌ مثل صاعقة ماد وثمود » .

فلا يسع هذا المساوم إلا أن يتراجع خوفا وفرقا ، ويصفر ارتجافا وذعرا ، فيذهبون

الى عمه أنى طالب منذرين متوعدين ، فيطالب إليه التخلي عن هذا المذهب الجديد فيجيبه في قوة إرادة وصلابة عزيمته بهذه الجملة الهائلة التى ترن كل ما فى العالم من جمل وكلمات ، وهى . « والله لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسرى لا أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ، فإذا استبدأوا من إقناعه وقيلوا فى إرجاعه الى صفوفهم ، أخذوا بدسوس له ويكيدون ، وجعلوا عليه يحققون ، وبه يتآمرون ، فيهجر مسقط رأسه ومستشقى أول أنفاسه ، ليطلب المعونة فى غير هذه البيئة الفاسية ، وليبحث عن قوم أرق قلوباً وأنبيل شعوراً ، وأصدق إحساساً ، ولا يلبث أن يثر فى يثرب على صالته المنشودة . وغايته المقصودة ، ثم يمود بعد بضعة أعوام الى مكة فيدخلها دخول المائح الظافر ، ويستولى عليها استيلاء انتصر الفهر ، وإذا ذاك يحطم أوثانهم ويهشم معبوداتهم التى كانت الى الأمس القريب معظمة ، وينحنى أمامه عظماءهم ومتكبروهم لذين كانوا يرون منذ زمن غير بعيد أنه لا يستحق منهم نظرة ولا لمة . وسوف لا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل سيصبح أبناء أعدائه من أشد الناس إيماناً بما جاء به ، وأكثرهم دفاعاً عنه وانتصاراً له ، وأن بعض هؤلاء الأبناء سيصيرون خلفاء مبجلين ، والبعض الآخر ملوكاً متوجين على الأمبراطورية العربية التى سيحلها هذا الوليد من عدم ، وينشئها من (اللاتى) ، ويخضع لها أقاصى الأمم وأداني الشعوب فى الشرق والغرب .

أقول : لو درى أهل مكة كل هذا لاستبدلوا عنفهم بلين ، وفسوتهم برحمة ، وحنقهم بهدوء ، وارتياح ، وحقدهم بحبة واحترام ، وسخطهم برضا واقتباط ، ولأجلوه من أعماق نفوسهم ، وعظموه من كل قلوبهم ، ولكنهم لا يدرون ، وسيدعولهم هذا الوليد بقوله : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

أفتدرون لم كل هذا الانقلاب الغريب ؟ إنه نقطة السر التى لا أريد أن أبوح بها الآن ، والتى سيعلم بها بعد أربعين عاماً كل ساجدة فى الأرض وسائحة فى السماء ، حين

تبلغ شهرة هذا لوليد أقاصى الآفاق ، وتسمو على مسارح الأفلاك ، وتقضى قضاء .
أخيرا على كل مضلل أفاك .

هكذا كان يقول الصوت الخفى الذى نادى الناس فأسمع منهم الأئمة والأرواح
دون أن تدركه العيون ، أو تبيته الأذان .

وقد كان كل ما تنبأ به هذا الصوت الخفى ، فدعا محمد الى أرقى الأخلاق وأنبأ
الفضائل ، وشرع أصلح القوانين وأخلدها على الدهر ، وأوقفها بأحوال الأمم ، وروج الدين
لا أريد أن أصفه بأكثر مما وصفه العلامة مؤلف كتاب (دراسات فى التاريخ الدينى) :
« ومن جانب آخر ينبغى أن نذكر أن الدين الإسلامى يخالف كل المخالفة لهذه
الأبراج المتشاعة التى تسقط من ضربة واحدة ، لأن فيه قوة كامنة وصلابة ومتانة
تجعله قادرا على المقاومة مقدرة تامة » .

الى أن يقول :

« إنك لو رجعت بالدين الإسلامى الى قواعده الأصلية ومبادئه الأساسية لما وجدته
قد زاد على الدين الفطرى إلا نبوءات محمد وإدراكا حقيقيا وفهما صحيحا لمعنى القضاء
والقدر ، وهذا الفهم الصحيح للقضاء والقدر يعتبر صفة عامة لكل الذين يدركون
بقوة عقولهم ودقة شعورهم أنهم فى احتياج شديد الى أن يسيروا فى هذه الحياة بنظام
دقيق وخطة محكمة أكثر مما يعتبر عقيدة من العقائد أو أصلا من أصول الإيمان »
ولقد أتى محمد بكتاب نحذى به البشر جميعا أن يأتوا بسورة من مثله ، ففقد بهم
العجز ، وشتتهم الخبيثة ، وبهتوا أمام ذلك لإخراج الفسوى الذى أقتل فى وجوههم
كل باب .

وأريد أيضا أن أستعيض لك هنا عن رأيى فى الفرءان برأى السيوطى « لبون » فيه
حتى تثق بأن هذا رأى مبعثه النزاهة والإخلاص ، لا التعميب والفتاد ، وهالك جلته :
« حسب هذا الكتاب جلاله ومجدا أن الأربعة عشر قرنا التى مرت عليه

لم تستطع أن تجفف — ولو بعض الشيء — من أسلوبيه الذي لا يزال غصنا كأن عهده بالوجود أمس .

ولم يكن هذا النبي جليل داعيا للآخرة وحدها ، ولكنه أمر أنبائه أن يأخذوا بنصيحتهم من هذه الحياة ، فكان كما يقول المسيو (بلانشيه) العالم الفرنسي المشهور : « إن النبي محمدا يعد من أبرز وأشهر رجال التاريخ ، فقد قام بثلاثة أعمال عظيمة دفعة واحدة ، وهي : أنه أحيا شعبا ، وأنشأ أمبراطورية ، وأسس دينا »

هذا ، وإن طوال المصنوع ، بل ضخام المؤلفات لا تتسع لذكر بعض صفات هذا النبي العظيم وما تركه ، غير أننا آثرنا أن نأتي بهذه العجالة الوجيزة ، لنقوم بجزء صغير مما هو فوق عاتقنا من واجب الاعتراف بالجميل .
الدكتور محمد محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

وصيته بالجار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ما حق الجار ؟ إذا استعان بك أعنته ، وإن سقنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن مرض عده ، وإن مات شيعت جنازته ، وإن أصابه حيرته ، وإن أصابه مصيبة عرينته ، ولا تستغل عليه بالبلاء فتحجب عنه الزبح إلا بآله ، ولا تؤذه ، وإذا اشترت فأكهة فاهده له ، وإن لم تفعل فادخلها سرا ، ولا يخرج بها ولذك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها » .

وقال : « أتدرون ما حق جار ؟ والذي نفسي بيده لا يبيع حق الجار إلا من رحمه الله » .
وقال عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » .

حضارة الدنيا له مدينة

أهلا بيوم مستفيض البشر كفرحة الجنة بعد الحشر
يوم مبارك ذكى النشر وليلة ضمت لبالى القدر
يوم به قد ولد المختار غمت الرحمة والأنوار
واخضرت الربوع والقفار وساد في الخليقة استبشار
ومكة موطن هذا القصر

محمد أنتم به من اسم حلوة في نطقه والرمم
ما كل من أسمى كهذا يُسمى مطهر في روحه والجسم
والنسل الأعلى لكل طهر

حضارة الدنيا له مدينة مدينة ساكن المدينة
وإننا حين ندين دينه نزل في قلوبنا السكينة
مثل سفينة رست في البحر

فدينه لأهله اطمئنان ودينه الرحمة والحنان
والصفح والرافة والنفيران والأمن والمزة والإيمان
وأن نعيش المرء حر الفعكر

من قبله كانت عبادة الصنم يدنس الشرك برجسها الحرم
وكان ضيق وعذاب وألم ففرج الله به كرب الأثم
وجاءها باليسر بعد العسر

يأمر بالعدل والاحسان ينهى عن الفحشاء والكفران
يدعو الى عبادة الديان وقلبه بالوحى والقرآن
أنواره تضيء كل قطر

فُتِحت مغالِق الأبواب وظهرت معالم العدو اب
وأقبل المبعوث بالكتاب من ربه يهدى أولى الأبواب
بمحكمات من حكيم الذكر

وخذلت عبادة الأصنام والشرك وسواس من الأوهام
وملة التوحيد فى اعتصام بقوة من خالق الأنعام
تكتسح الشرك موج البحر

من قبله قد كانت الجزيرة ظلالة لنفسها بغيره
فبث فيها روحه الكبيره فهضت عظيمة قديره
غازية مخوفة بالنصر

وظفرت بالروم بعد المرس بقوة الدين وطهر النفس
فوق السروج أصبحت وتمسى فاتحة الحصون ذات البأس
من رمها عاد حليف القهر

عاشت فكانت أمة القيوب من مشرق الشمس الى الغروب
قوية فى السلم والحروب رحيمة مفضورة الذنوب
لربها قائمة بالأمر

وغير الأسمى وجه الأرض وشاد بين طولها والعرض
منارة من سنة وفرض تبقى دواما والقرون تمضى
مسرعة فى كرها والفر

معلم ولم يزل أميا ومرسل من ربه نيا
لو شاء كان مكا قويا وكانت الدنيا له سويا
لكن عند الله حسن الأجر

محمد فرض علينا حبك قد ضمنا في الصالحات قلبك
لسوف يعطيك فترضى ربك شفاعاً يفوز فيها شحبك
بأنخلد في موقف يوم الحشر

سألت ربى أن يعود اليك والمسلمون كلهم سميد
وكلهم لربهم جنود تحقق حرة لهم بنود
تنفحة في كل قلب تسرى

يارب اارك مصر في البلاد واجعل جميع الخير في «فؤد»
واحفظ «ولى العهد» فى إسماد فإنه رجاء أهل السوادى
واعقد على الكحل لواء النصر

أبوالوفاء

شمس رمزي نظم

شجاعته

صلى الله عليه وسلم

قال على رضى الله عنه كنت إذا جئ البأس ، واجرت الخندق ، اتقيت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيت يوم بدر ونحن نؤد بالنبي وهو أقرب الى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا .

محمد منقذ الانسانية

يتحدث الناس عن القواد والملوك والولاة، ويمجبون بعظم الثروة والجاه، وبذكرون بالثناء، من وُفق الى اختراع مفيد في هذه الحياة، ويُطرون الحكيم يث في قومه آراءه الصائبة وأفكاره القيمة. أفلا نتحدث اليك في هذه الحالة عن منقذ الانسانية، وهادى البشر الى السعادة الأبدية؟ أتدرى من هو ذلك؟ هو مولود ولد في ربيع الأول من عام الفيل، ذلك العام الذي وقى الله فيه بيته كيد الكائدين، وصنن رمز العباداة للإله الحق من سوء يراد به، فكان ذلك إيذاناً بأن ناصر الحق قد شرف على الظهور كوكبه، وذنا مظلمه. وكان ولادته في ربيع ربيع الكون وغوته المرتقب. ذلك المولود الذي نتحدث عنه في ميقات مولده، هو محمد بن عبد الله خاتم النبيين، صلى الله عليه وسلم!

ولعل قائلًا يقول: ماذا أعاد بنو الانسان من تعاليمه التي جاء بها بعد أن بلغ أشده واصطفاه الله لرسالته حتى دعوته منقذ الانسانية، وهادى البشر الى السعادة الأبدية؟ فأقول: ليس جدير بهذا اللقب أول من قرر المساواة بين الناس أبيضهم وأسودهم، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بحسن العمل؟

أعلن محمد صلوات الله وسلامه عليه في خطبته ثاني يوم من فتح مكة أن « الناس من آدم وآدم من تراب ». فبين بذلك أن الناس في الانسانية مساوية كاستنار المشرق، ومن قبل كانت الأمم إذا سرق فيهم الشريف أو زنى أكرموا وخففوا عنه العقوبة، وإذا أتى ذلك الخسيس فيهم لم يجابوه وأوقوه عقابه.

وقال محمد عليه الصلاة والسلام: « والله لو أن فاطمة ابنة محمد سرققت لفطمت يدها ». وقال: « يا فاطمة اعلمي فياني لا أغنى عنك من الله شيئاً ». ونعمت الشعوب المعاصرة لنا

لا تعترف بهذه اسماواة ، فجعلت الشرقيين لا ينبغي لهم أن يسلطوا الغربيين وأن يدركوا فضلهم لأنهم ليسوا من الجنس الأبيض !

وكيف لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم منقذ الانسانية وقد أبطل التعاطف بالأباء والتفخر بالأحساب حين قال في خطبته تلك أيضا : « إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيها بالأباء » ؟ وبهذا يحترم الناس بعضهم بعضا ، ولا يحقر شعب شعبا ولا فرد فردا .

كيف لا يكون منقذ الانسانية وقد أعلن أن الأموال والأتفس ولا عراض مصونة محترمة ، لا يصح لامرئ أن يبغي فيها على غيره ؟ وقد كانت العرب وغيرهم يبغي قومه على ضعيفهم ويسلب ماله ويستبيح حرمة .

ما أكثر بر محمد بالانسانية حين ضرب للناس أعظم مثل على المغو عند القدرة ، فقد تجاوز نفريش يوم الفتح بعد أن مكن الله له في الأرض مما أوصلت إليه من أذى وما ألحقت به من ضر . وكانت قد وضعت القذى على ظهره وهو ساجد له ، وحاصرته في الشعب ثلاث سنين ، وقال له قائلهم : « تبا لك ألهذا جمعنا » وأخرجوه من موطنه بعد أن أزمعوا قتله ، وأغرقت به ثيف المصيين في رجومه من الطائف يذفونه بالحجارة . قال لهؤلاء الذين اتى منهم كل تلك الإساءات : يا معشر قريش ويا أهل مكة : ما ترون أنى فعل بكم ؟ قالوا : خيرا : أخ كريم وابن أخ كريم قال : فإننى أقول لكم كما قال يوسف لأخوته : لا تثريب عليكم اليوم . اذهبوا فأنتم الطلقاء .
 وليس هادى البشر للمادة لأبدية من دعا للديموقراطية الصحيحة ، وقد رد الحكم الشورى بعمله وكتابه الذى أنزله الله عليه ، وجعله دستورا يتلى للعمل به أبدا .
 فقد استشار أصحابه امثالا لأمر الله له في قوله سبحانه : « وشاورهم فى الأمر » ، وأثنى القراءان الذى جاء به على المستشيرين فى شؤونهم بقوله : « وأمرهم شورى بينهم » وبذلك قضى على كل حكم استبدادى مطلق .

ثم لا يكون منقذ الانسانية وقد منع الحكم أن يعملوا من سلطانهم ومنصبهم أداة لحيازة المل بغير حق ؟ فقد روى البخارى ومسلم أن الرسول عليه السلام استعمل ابن النُبَيْتِ على صدقات بنى سليم ، فلما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وحاسبه ، قال : هذا الذى لكم وهذه هدية أهديت لى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا جلست فى بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ؟ وفى بقية الحديث أنه قام فخطب الناس ونهى عن مثل هذا وتوعد عليه .

فبيح بخ ، ما أجل أن يحمل محمد عليه السلام الحكم على أن يعفوا عما فى أيدي الناس ولو كانوا يدعونه هدية . فالهبة بالحقائق لا بالأسماء التى لا توافق مسماها ! وقد ورد : هدايا العمال سحت .

ماذا نذكر لك أمها القارى الكريم من بر محمد صلى الله عليه وسلم بالمتجمع ؟ هل نذكر لك ترغيبه فى الزواج ، وإرشاده لاختيار الزوجة التى تصاح لتكوين الأسرة ، ومشاطرة الزوج أعباء الحياة فى تدبير منزلها ونشئة أطفالها على الأخلاق القويمة ، والتى تحفظ غيب زوجها فى نفسها وماله ؟ أم نحدثك عن حثه على الاتحاد بقوله : « وكونوا عباد الله إخوانا » ؟ أم نحدثك عن ترغيبه فى العمل فى هذه الحياة وضربه للمثل العملى للناس فى عمارة الأرض ؟ فاسمع شيئا فى ذلك كى تعرف أن من يرى دينه لاسلام بالحض على الخول وترك العمل فهو جاهل بالاسلام أو عدوله :

استعاذ الرسول عليه اسلام من العجز والكسل قائلا ما رواه مسلم : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل » وقال ما رواه البخارى وغيره : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » . وقال ما رواه البخارى ومسلم فى تفضيل الحرف الصغيرة على السؤل : « لأن يأخذ أحدكم حبله فباتى بحزمة حطب فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » . ونوه بفضل الفرس والزرع بقوله فيما رواه البخارى ومسلم

والترمذى : « ما من مسم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » . ولقد قدم المدينة شرع في بناء مسجده وجعل صلى الله عليه وسلم يبني مع أصحابه وينعل اللبن والحجارة بنفسه ، وجعلوا يرتجزون وهم ينقلون اللبن ويقول بعضهم في رجزه :

لئن قعدنا والرسول بعمل لكان لنا العمل المضلل

أم تحدثك عن احترامه المرأة ، وإحسان معاملتها ، وبيانه لحقوقها ، وحسه على حسن معاشرتها ، وإيصاله بها ؟

فقد كان عليه السلام يحسن معاشرة أزواجه . ومكن السيدة عائشة رضى الله عنها من رؤية الأحايش وهم يلعبون وهي متكئة على منكبيه تنظر . وكان يقول : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » وجعل للمرأة حق التصرف فى مالها . وبين نصيبها فى الميراث . وجعل لها النفقة والكسوة بالمعروف : وكانوا فى الجاهلية يضارئونها بطلاقها الى غير حد ثم يسكنونها كلما قاربت العدة ، فحدد القرآن عدد الطلاق ، ونهى عن مضارة النساء : ونفى الرسول من الطلاق لغير ضرورة بقوله « أبغض الحلال الى الله الطلاق » .

وكانوا يورثون الذكور دون الإناث ، فجاء القرآن بحقها فى الميراث وقال « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون . وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر ، نصيباً مفروضاً » . وكانوا يرثون النساء كرهاً ، فإذا مات زوج المرأة ألقى ابنه من غيرها أو أقرب عصبة الزوجة ثوبه عليها فيصير أحق بها من نفسها ومن أولياتها ، فإن شاء تزوجها بغير صداق ، وإن شاء زوجها بغيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيئاً ، وإن شاء عضاها (منعها من التزوح) لتفندى منه . فخطم الاسلام الذى جاء به محمد أغلالها ، ومتمها بحريتها ، حيث قال القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن » الى قوله : « وعاشروهن

بالمعروف . وفي الحديث المتفق عليه : « واستوصوا بالنساء خيرا » . وفي خطبته في حجة الوداع : « واستوصوا بالنساء خيرا » أو : « واتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » . وجعل للمرأة الحرية في الرضا بمن تزوجه ، فالتيب تستأمر في زوجها ولا بد من إذنها الصريح ، واليكبر يكتفي في معرفة رضاها بسكونها إذا استجبت أن تحب . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن » قالوا يا رسول الله : وكيف إذن ؟ قال : « أن تسكت » متفق عليه .

وروى أحمد وأبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن حارة كركأ أنت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت أن أباه زوجها وهي كارهة ، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولعلها المرادة بما أخرجه النسائي عن عائشة : أن فناة دخلت عليها فقالت : إن أبي زوجني ابن أخيه يرفع في خسيسته وأنا كارهة . قالت : اجلسي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فأرسل إلى أبيها فساء ، فجعل الأمر إليها . فقالت يا رسول الله : قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس لآباء من الأمر شيء . وللرأد بنسب الأمر عن الآباء نفي التزويج للكرهية ، لأن السياق في ذلك ، لا نفي كل أمر . وهذه بريرة : كانت زوجة مملوكة وزوجها عبد ، فلما اعتقت وصارت حرة خيرها رسول الله فاختارت نفسها ولم ترض بيقائها زوجة للعبد . فقال لها الرسول عليه السلام : إنه زوجك وأبو ولدك . قالت : تأمرني يا رسول الله ؟ قال : لا ، إنما أنا شافع : لا حاجة لي فيه . فلم يغضب الرسول لعدم قبولها شفاعته ، وفي الصحيحين أن خنساء بنت جدام زوجها أبوها وهي كارهة وكانت ثيبا ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها . فأية حرية هذه التي جعلها محمد للمرأة ؟ وهل بعد هذا يقول قائل : الإسلام لم يحترم للمرأة وجعلها كالسلمه ؟ انطقي يا حقاني وأجيبني !

أم نحدثك عن ترغيبه في الرفق بالحيوان بقوله في حديث الصحيحين : « في كل كبد رطبة أجر » وعن الأمر به في قوله . « فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » وعن أمره بإكرام المالك والخدم في حديث الصحيحين : « إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم » فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكفوم ما يغلبهم » ؟

وهذه قطرة من بحر ، وغيض من فيض إرشاداته السامية وإصلاحاته الجليلة لشئون المجتمع . ولوعرفت من أخلاقه وصفاته أنه كان كما ذكر النفقات : أحسن الناس خلقا ، وأصدق الناس لمجة ، وألين الناس عريكة ، وأكرم الناس عشرة : وأسخى الناس كفا ، وأعرف الناس بالله وأخشاه الله ، وأنه لا تفضيه الدنيا ولا ما كان لها . فإذا أهدى خلق لم يغم لغضبه شيء حتى ينتصر له . لا يتكلم في غير حاجة ، ويعرض عن تكلم بغير جميل ، ويخزن لسانه إلا فيما يعنيه ، ويسكرم كل كريم قوم ويؤليه عيهم . وما ضرب امرأة ولا خادما . يزور ضغفاء المسلمين ، ويعود مرضاهم ، ويشهد جنائزهم . وكان من تواضعه في غير مدلة أنه يجيب دعوة المملوك على خبز اشميم ، ويمر بالصبيان فيسلم عليهم ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس .

لو عرفت هذا أيضا ، وهو قل من كثر من شمائله صلى الله عليه وسلم ، لا اعتقدت بقينا لا يرويه تردد أنه رسول الله حقا ، وأنه منقاد الانسانية وهادى البشر إلى السعادة الأبدية ، وأنه أحق بالتمجيد ، وأولى بالتنويه بشأنه من الحكماء وذوى الاحتراعات ، وأن الكون قد سعد بولادته ، وأن دينه سيظهره الله على الدين كله : « فأما لزيد فيذهب جفأ ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » . « ولتعلمن نبأه بعد حين » .

محمد عبد الله الجوزر

أستاذ بالمعهد الدينى بالإسكندرية

روح من الملاء العلى

حُورٌ أَصْنَنَ مِنَ الْفُؤَادِ مَقَانِلًا وَتَرَكْنَ قَلْبَكَ فِي دُمُوعِكَ سَائِلًا
بَلْ ذِكْرِيَتْ حُلُوةً قَدْ هَاجَهَا صَرَّ الصَّبَا حَمَاتٍ إِلَيْكَ رَسَائِلًا
فَأَنَارَتْ الشُّوقَ الْكَمِينَ بِأَضْلَعِ طَارَ الرَّقِيبُ بِهَا فَعُدْنَ ثَوَاكِلًا

يَارِيجُ نَجْدٍ إِنْ وَصَلْتَ إِلَى الْحَيِّ فَقِي بِطَيْبَةِ وَالْحَبَازِ رَوَاحِلًا
وَتَرْفِي شَمْسَ الْجَلَالَةِ وَالْهَدَى طَابَتْ سَنَ رَأْدَ الضُّعَا وَأَصَائِلًا
طَلَعَتْ عَلَى الْإَيَّامِ فَانْقَشَعَتْ بِهَا سَحَبُ الْجَهَالَةِ وَاتَّقَطَّضْنَ قَضَائِلًا
رُوحُ مِنَ الْمَلَأِ الْعَلِيِّ تَبَسُّمَتْ فَأَنَارَتْ الْأَفْهَامَ دَهْرًا كَامِلًا

مَنْ مَبْلَغُ الْجَهْلِ أَنْ «مَحْمَدًا» خَيْرُ الْوَدَى عَفُوا وَخَيْرُ نَائِلًا ؟
وُلِدَتْ بِمَوْلَاهُ الْحَيَاةُ نَضِيرَةً قَدْ كَانَتْ لَدُنْيَا سِرَافٍ مَجَاهِلًا
وَعَدَا بِهِ مُلْكُ الْمَكَارِمِ نَائِلًا لَوْ لَمْ يَعْلَمْ كَانَتْ مُلْكًا زَائِلًا
رَجُلٌ هُوَ الدُّنْيَا ، وَلِلْآخِرَى بِهِ مَجْدٌ يَرْفَعُ عَلَى السُّجُومِ مَطْوِلًا

قَدْ جَاءَ وَالِدُنْيَا ظِلَامٌ حَالِكٌ فَأَحَالَ ظُلُمَتَهَا نَهَارًا حَافِلًا
قَمِ سَائِلٌ لِأَعْرَابٍ لَمْ تَعْرِفْ حُجَا يَوْمًا وَكَانَتْ لِلضَّلَالِ مَعَاوِلًا
عَبَدُوا الْحَجَارَةَ يَا لِسَقَمِ نَفُوسِهِمْ هَلْ فِي الْحَجَرَةِ مِنْ يَجِيبِ السَّائِلًا ؟
وَأَدَّوْا الْبِشَاتِ وَتَكَ خَلَّةُ ظَالِمٍ فَاقُوا بِهَا فَعَلَ الْوُحُوشِ رَذَائِلًا
لَمْ أَلْقِ رَحِشَ عَادِيَا فِي أَهْلِهِ وَرَأَيْتُ رِبْهِمُ بِذَلِكَ أَهْلًا

ما زال بهم -ديهم لشرعة ربه حق غدوا للواردين منهاهلا
وعدت بهم تلك الجزيرة روضة وغدوا وم دهر الرياض شماتلا
* *

كم في حياة محمد من آية لو رحت أحصيتها قصت الكاهلا
هو كالخمس وقد تلاطم موجه لا يرقب السلاح فيه ساحلا
لوراح «كولمب» لكشف محيطه أو رم رؤيته لكان انخاملا
* *

يا ليت لي من فيض أحد نبعة فأكون منها للفصاحة نهلا
وترتل الآيات في تحييده وأز في مدحي الغيام الهاملا
محمد عبد المتعم سالم
المدرس بالمدارس الابتدائية

مثل من مكارم أخلاقه

صلى الله عليه وسلم

دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأعراب فارمغ من هيئته ، فقال عليه الصلاة والسلام : خفض عليك ، فاعا أما ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة .

ولما وفد عليه وفد شومر ، قال أحدهم : أنت معبدنا ، فقال صلى الله عليه وسلم - السيد الله تبارك وتعالى . فقالوا : فصلنا وأعظمنا ملولا ، فقال : قولوا يقولكم أو بعض قولكم ولا يستجربكم الشيطان .

وردد وفد للنحاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم ، فقال له أصحابه : نكتيك ، فقال : إنهم كانوا لأصحابا مكرمين ، وإني أحب أن أكاثرهم .

وقال ابن الطفيل : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأما غلام ، بدأفت امرأة حتى دن منه ، وبسط لها رداءه ، وجلست عليه ، فقامت : من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته .

وقالت نائشة رضي الله عنها : ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله : ماداه أحد من أصحابه ولا أهل بيته ، لا قال : لبيك .

التعب في غار حراء

مواضع العبرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا بحيث لا أرى من السهل على عدها في مجالتي هذه ، ولقد خبرت منها نقطتين أود الإشارة إليهما إشارة سطحية هي أقرب الى الإلمام منها الى الاستقصاء والاستيفاء .

(أولاهما) التعب في غار حراء . فقد أتيج لي في حجتي في العام الهجري ان غارط أن جربت الصعود الى ذلك الجبل الصاعد في الجو بشموخ وعظمة ، وصعوده رأسي لا التواء فيه ولا هوج .

في صبيحة يوم الثلاثاء ١٤ ذى الحجة سنة ١٣٥٣ (١٩ مارس سنة ١٩٣٥) افطرت في سفح الجبل مع كشافة العراق ، وبعد الإفطار شرعنا نرتقي الجبل ، وكان رئيس الكشافة يسير وراءنا حائثاً على عدم التخلف ، فأخذنا نسير ونتمب ، ثم شرعنا نستريح وشرع بعضنا يحس بالإعياء عن متابعة التصعيد في ذلك الجبل الشاهق ، وعلن كثير منا إفلاسه عن القدرة على الصعود ، وأحسست بانكاس وكدت أستسلم لليأس ، وما كدت أجلس قليلاً حتى أهاب بي هاتف نفسي يقول : ها أنت ذا في الأربعين من عمرك وقد جئت لنشاهد أول مكان هبط فيه الوحي على خير خلق الله صلى الله عليه وسلم فمار عليك أن تعود الى بلادك معلماً إفلاسك . فوقفت وأهيت بفتين الكشافة : أيها الفتيان طار عليكم أن تستسلموا لليأس ، فهيا بنا نصعد ، وها أنا أكبركم سنأ وأصل التصعيد . فلقيت كلتي آدانا مصغية من كثير من الفتيان ، ووصلنا الى الفار وقلوبنا تكاد تقفز من أمكنتها من شدة التعب والنصب ، ولا يكاد الواحد منا يحسن التكلم من شدة ما لقيه من الإعياء والهر.

هذا هو مكان العزلة الذي كان بتحريره النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقطع اليه مسافة طويلة من مكة المكرمة ماشياً على قدميه ، وأما نحن فقد ركبنا السيارات

وكنا جماعة كبيرة يحث بعضنا بعضا على متابعة السير ، ومع ذلك لم نبغضه ، لا بشق النفس
وبعد ما تصيب العرق منا فصارت ثيابنا تعصر عصرا من كثرة العرق ، ولقد ثقل وزن
طربوشى من كثرة ما امتص من العرق ؛

أرأيتم أيها القراء ، يا من أحببتم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين اختار عزله ؟
فقد اختارها في ذلك المكان الشاهق ، في ذلك المكان الجاف الهواء ، البعيد عن شرور
الناس ، وأنفاس الناس ، وآلام الناس .

أرأيتم كيف كان ذلك العود صلبا ، وكيف كان ذلك القلب قويا ، وكيف كان
ذلك للعزم حديدا ، وكيف كانت تلك الإرادة مذللة للصعاب والخطوب ؟
هالما الذي صعدناه في أكثر من أربعين دقيقة وكادت أنفاسنا تنقطع في صعوده
كان مذكرا لتلك الإرادة التي تذال كل الصعاب . ويعلم الله أننا لو لم نستمد العون من
الله والتأسي بقوة إرادة نبيها صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يحفزنا حبه ، لما سهى علينا
الوصول الى منتصف الجبل .

فلله تلك الإرادة وتلك العزيمة وذلك الجلد : فلو لاها لما قامت للعرب قائمة ولما سمع
لنا ذكر في العالمين . ولقد كان صحبه صلى الله عليه وسلم يتأسون به . وهذا هو سر
انتصارهم وفوزهم وفتحهم البلاد المعمورة في أيامهم .

أردت من سرد ما تقدم أن أقدم لشيابنا قدوة في الجلد الذي تحلى به النبي صلى الله
عليه وسلم . فهل لهم أن يعودوا أنفسهم على تحمل أمثال هذه للشاق لتكون لهم ذخيرة
في مستقبل أيامهم تنفعهم في حياتهم ، كما كانت سببا في فتح العالم ، وتهذيب النفوس ،
وإدراج الخير والبركات على العالمين ، وحمل عم الخلق الطيب والعلم المفيد في تلك الحقبة
من الدهر ؟ فقد كانت الهجرة المحمدية جدا فاصلا بين الجبروت والعدل ، والعلم والجبل ،
والفساد والصلاح ، وسجلت في تاريخ البشرية أسطع الصفحات الوضاعة بنور الهدى
والرحمة والانسانية ، فهي لم تدوخ العالم كما اعتاد بعضهم أن يعبر عن فتوحات رجال

الحروب ، وإنما هدته وعيدت سبيل العم والخلق القويم ، وعلمت العالم أحسن درس في الرحمة ونكران النفس ، وعلمته كيف يخدم الملك شعبه والحدّكم بحكمومه .
ولو تسع لي لجمال لينت شيئا من كل ذلك من سيرة نبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان يحرم أعز الناس عليه شيئا من النعم في سبيل الترفيه على سائر المؤمنين .
وأما وصاياه عن الرقيق والمرأة ولذميين والمذل مع كل أولئك ، فهي مضرب النمل للخلق أجمعين .

وإن خير ما تعلمه الصبر والجلد في تحمل لعناء ونكران النفس ، لتعود سيرتنا الأولى من المجد والسؤدد . والله الموفق لما فيه لم شملنا واستعادة عزنا ومجدنا ما
صلى الله عليه وسلم

بلاؤة وحلمه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد ، ولقد أمت على ثلاثون ما بين يوم وليلة ومالي وللال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت وباعيته وشجع وجهه يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا : لودعوت الله عليهم ! فقال : إني لم أبعث لعنا ، ولكني بعث داعيا ورحمة ، اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

وقال أنس رضي الله عنه : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعيه يرد بحراي غليظ الحاشية ، فأدركه أعراي فجذبه برداه جبدة شديدة ، فنظرت إلى صفة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته ، ثم قال الأعراي : يا محمد سرني من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بقطاء .

ولما رجع من حين جاءت الأعراي يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة ، فخلطت رداءه ، فوقف صلى الله عليه وسلم وقال : أعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العضاة لعماً لتقسمتها بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جباناً .

خصوصيات خاتم المرسلين^(١)

سأدق الأفاضل : في هذه الليلة يقوم الخطباء والوصافون بذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تقدمه وما صحبه من الإلهامات ، ويسهبون في هذا السبيل إسهاباً شديداً ، ويطنبون إطناباً عظيماً ، ويدكرون ما ثبت وما لم يثبت ، ولا يرسمون لأنفسهم حداً ينتهون إليه أو غاية يقفون عندها . وإني في موقعي هذا أراقي قد تيت على الغاية الصحيحة من ذلك في موافق التي وقفها في مثل هذه الليلة من السنوات الخوالي . وأريد في هذه الليلة أن أقدم لحضراتكم لونا آخر يتعلق بناحية من نواحي عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإذلاً الوسع في تصوير تلك الناحية من واهيه ، متوخياً الحق الذي يؤيده الواقع ويدعمه البرهان . والله ولي التوفيق :

١ — إن الحق سبحانه وتعالى قد فص علينا طرفاً صالحاً مما أفاضه جل جلاله على عبده ورسوله خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم : من العظمة وأفضل الأخلاق وجميل السجايا وكريم الشيم ، لم يذكر أنه منحه أحداً من خلقه ، تفضلاً منه وإحساناً وتعظيماً لأمره وتنويعاً بغيره ، قال تعالى في آخر سورة التوبة : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عثتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » فقوله تعالى : من أنفسكم (بضم الفاء) أي يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه وأمانته ، فهو ليس موضعاً للإسهام بالكذب أو بالتقصير في بذل النصيحة لهم . وقد قالوا : إنه لم يكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله ولادة أو قرابة . وقد فرى من أنفسكم (بفتح الفاء) والمعنى عليه من خيركم . وهذا نهاية المدح ، وغاية في التنويه بقدره لا تدرك .

٢ — ثم وصفه بعد ذلك بأوصاف بارعة بقوله : « عزيز عليه ما عثتم » أي شديد

(١) هذه خطبة ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار بدار جمعية الشبان المسلمين بالإسكندرية

في ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم .

عليه أنت تقموا في غنت أو تصيبكم مشقة ، أو يمسكم ضيق أو عقاب من مفارقة معصية . « حريص عليكم » أي على هدايتكم ورشدكم وفلاحكم بدخولكم في دين الله الحق وهو الاسلام ، وهو دين الله في كل الأمم ، وعليه وبه أرسل جميع أنبيائه ورسله ، كما قال جل شأنه : « إن لدين عند الله الاسلام » . وقد منحه الله تعالى اسمين من أسمائه أوصفتين جليلتين من صفاته ، وذلك في قوله : « بالمرتبين » ، وف « رجب » . فقد كان صلى الله عليه وسلم في أمته كالراعي الرقيق في رعيته : يرد الضال ، ويمجير للبهيم ، ويعصب الكسير ، ويداوي الجريح ، ويرشدها إلى جبد المراعى .

قال جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين : عم الله عجز خلقه عن طاعته فمرفهم ذلك لكي يملوا أنهم لا يتلون الصفو من خدمته ، فأقام بينه وبينهم خلوقاً من جنسهم في الصورة ، وألبسه من نعمته الرأفة والرحمة ، وأخرجه إلى الخلق سفيراً صادقاً وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته ، فقال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .
٣ — قال الله تعالى في سورة الأنبياء : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . فهذه الآية في أن رسالته عليه السلام رحمة للإنس والجن والملائكة . أما الإنس والجن فبهداية من هتدى منهم ، حتى إن رسالته تعتبر لمن وافقه أو خافه ، فهي رحمة المؤمنين بالهداية ، ولعناتقين الدين يظهر أن الإيمان ويبطنون خلافه بنجانهم من القتل والقتال ، ورحمة للكفار بتأخير عقابهم في الدنيا إلى اليوم الآخر . وقد كانت أمم الأنبياء متى جاءتهم لرسل بآيات الله تعالى تخالفوا حل بهم العذاب وعجل لهم الجزاء في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأحزى .

وأما المحالفون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أخر أمر حسابهم إلى القيامة ، فبعتته رحمة لهم لأن في تأخير عقابهم مهلة يتذكر فيها من يتذكر .

وأما الملائكة فقد جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل . هل أصابك من هذه الرحمة شيء ؟ قال : نعم : كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل على بقوله في سورة التكاوير : « ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين » .

٤ - إن الله تعالى جعل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا ، ولم يقل الله تعالى ذلك أنبي قبله ، فقال في سورة المائدة : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام » وقال تعالى في سورة الأحزاب : « إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » .

ويقول عنه أشعيا : « أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك يديك وأحفظك وأجملتك عهدا للشعب ونورا للأمم لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبيس الأسوريين من بيت السجن الجالسين في الظلمة » . وهذا كما قال تعالى في كتابه الكريم في أول سورة إبراهيم : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » .

٥ - من أسمائه تعالى الحق المبين ، وقد سمي نبيه عليه الصلاة والسلام لحق وسماه المبين بقوله : « بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسوب مبين » وقوله : « وقل إني أنا النذير المبين » وقوله : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم » وقوله : « فقد كذبوا بالحق لما جاءهم » . قد فسر العلماء الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفسروا المبين كذلك برسول الله . ومعنى كونه الحق : نبي الرسول الثابت الرسالة ، أو ذو الحق . والمبين أي الثابت أمره الظاهر شأنه ، أو المبين عن الله ما أنزل إليه كما قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » .

٦ - من أسمائه تعالى العليم وعلام الغيوب ، وقد منح رسوله قسطا من علمه برع به كل ذي علم ، فقد قال تعالى : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » وقال تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليهم آياتنا ويذكركم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » . وقال تعالى : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويذكرهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين » .

فانظر الى عظيم لطف الله بنبيه وبأمرته إذ أفاض عليه من العلم وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ما أهله لأن يتلو عليهم آيات الله تعالى ، ويعطوهم من أوضار الشرك وأتام

الجاهلية التي كانوا غارقين فيها، ويعلمهم الكتاب والحكمة وقد كانوا قبل ذلك في ضلال ظاهر لا يمتري فيه أحد. وهذا منه جل وعلا تفضل وإحسان إلى رسوله وإلى المؤمنين، وتنويه بقدر الرسول دونه كل تنويه.

٧ - من أسمائه تعالى العزيز، ومعناه الممتنع النالِب والذي لا نظيره، أو المزعزعه، وقد قال تعالى: «إن الله عزيز ذو انتقام». وقد توه الله تعالى بقدر رسوله وأعظم محله وأجله إجلالا كبيرا إذا فاض الله تعالى عليه وعلى المؤمنين من عزته فقال: «يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

٨ - وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه مبشر فقل: «يبشرهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم» وقال: «وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين» وقال: «يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى». وقد أعلى الله ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم إذ جعله مبشرا في قوله تعالى: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا».

٩ - من أسمائه تعالى الولي والمولى، قال تعالى: «فألفه هو الولي» وقال: «ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم». وأشاد الله بذكربيه صلى الله عليه وسلم إذا فاض عليه وعلى أمته من صفته وسماء باسمه إذ قال: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا».

١٠ - وهذه نكتة قل من تنبيه إليها: ذلك أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه غضبان أسفا، لم زاغ قومه عن طريق الحق واتخذوا من حلبيهم عجلا جسدا له خوار يعبده من دون الله، ولم وعظهم هرون وقال لهم: «يا قوم إنما فتنتهم وإن ربكم الرحمن» «تبعوني وأطيعوا أمرى» وأجابوه بقولهم: «لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى» وأخبرهم موسى أن نوبهم في أن يقتل بعضهم بعضا ففعلوا وتاب الله عليهم، ذهب فريق منهم كانوا سبعين اختارهم موسى ليقات به ليعلموا توهم الله من

ذلك الذنب، ولكنهم لما جاءوا إلى الموعد عند جبل الطور وسموا موسى وهو يسمع من الله ويخاطبهم، عاودهم تمردهم وسوء طاعتهم، وقالوا لموسى: لن تؤمن حتى ترى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظر بعضهم إلى بعض وهم يتهاوون على الأرض موتى، فسأل موسى ربه أن يحييهم، وكان فيما قاله له: «رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا، إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء، آمين وليا فاعفر لنا وارحمنا وأنت خير العافرين». ثم استمر في الدعاء فعومه فقال: «واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك». فكان من مراجعة ربه له أن قال له: «عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ولذين هم بآياتنا يؤمنون». ثم وصف له الأمة التي سيكتب الله لها رحمته التي وسعت كل شيء، بقوله: «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون».

فأنتم ترون أن الله تعالى كان يباهي موسى وأمة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأتمته قبل أن يوجد بنحو أئمة سنة، ووصفهم بأنهم يؤمنون بآياته، أي لا يمتنعون لعنت بني إسرائيل الذين مع موسى ولم يرضوا بالإيمان إلا بعد أن يروا الله جهرة.

١١ - إن الله تعالى شرح صدره نبي وسمعه لوعى العلم وتلقى الوحي، ووضع منه وزره، أي ما كانت في أيام الجاهلية من آصار، وما كان يحد من ثقل أيام الجاهلية من روثه غير الله يعبد، فبإثباته وضع عنه ذلك الحمل الثقيل، ورفع الله له ذكره، فلا يذكر الله تعالى في أذان أو صلاة إلا ذكر محمد عبده ورسوله. وكفى بذلك تنويها بقدره وإعظما لشأنه مما لم يعطه نبي من الأنبياء، أقروا: «ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك الذي أقمض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك»

١٢ - إن الله تعالى جعل إقامته بين أعدائه وقاية لهم من إحلال مسخضه بهم وإتزال النعمة عليهم، قال تعالى في سورة الأنفال: « وما كان الله يمعنهم وأنت فيهم »
 ١٣ - إن الله تعالى ما كان يخاطبه ويناديه إلا بالفاظ فيها إعظام لشأنه وإجلال لقدره، كقوله في سورة الأحزاب: « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » وفي سورة الزمل: « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا » وفي سورة المدثر: « يا أيها المدثر قم فندثر » وفي سورة البقرة: « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » وكان الله ينادي رسله وأنبياءه بأسمائهم، فقال في سورة هود: « يا إبراهيم أعرض عن هذا » وفي سورة الصافات: « يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا » وفي سورة يوسف: « يوسف أعرض عن هذا ». وقال في سورة هود: « يا نوح إنه ليس من أهلك » « يا نوح اهبط بسلام منا » وقال في سورة البقرة: « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » وقال في سورة مريم: « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى » وفيها أيضا: « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » وقال في سورة المائدة: « يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » .

١٤ - إن الله قد أقسم به في كتابه الكريم وم يقسم بأحد من أنبيائه بقوله في سورة الحجر: « لعنوك إنهم لن يسكرتهم نعمهون »
 فهذا كله من التثنية بقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعظام شأنه وإجلال محله لم ينله أحد من الأنبياء، أكرمه الله به . فهذا الذي قلته طرف صغير مما أفاضه الله على رسوله من الإعظام والإجلال، استحق به أن يكون خاتم النبيين وإمامهم، وإن كان قد جاء آخرهم، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة تليق بمجنازه الشريف وقدره المتيف . والله تعالى نسأل أن يوجه نيافتنا إلى الخير، ويلحقنا بالسابقين من أمته، ويدخلنا في شفاعته . إنه سميع مجيب . آمين .
 عبد الوهاب النجار

العالم في واحد

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

تقوم في العالم الانساني ذكريات كثيرة لرحالات يرى الناس منهم مدينون لهم بمقيدة دينية ، أو بقاعدة فلسفية ، أو بحقيقة علمية ، أو بخطة سياسية ، أو برابطة اجتماعية ، أو بإصلاح في مذهب ، أو بتجديد في أمر من الأمور . وكل أن نجد رجلا واحدا منهم جمع بين شأنيين أو ثلاثة من هذه الشئون الانسانية ، لا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقد جمع بينها جميعا ، فهو مؤسس الديانة العامة التي نسع الخلق كافة ، ومقوم الحكمة ، وواضع أكل أساليب العلم ، وأعدل طرق السياسة ، وأرق ربط الاجتماع ، ومصلح جميع المذاهب ، ومحدد كل الأمور التي تهتم الانسانية . فالأمة التي تمخضت بذكرى ميلاده اليوم مدينة له بوجودها ، وبمقيدتها ، وفلسفتها ، وعلمها ، وسياستها ، وروابطها ، ومذاهبها ، وكل أمر من أمورها . وعشر معشار هذه الزيا كلها في الأمم السابقة كانت تحملها على تأليه مصاحبها ، ولكن لم يفت محمدا هذه النزعة البشرية ، فاحتاط لها أيما احتياط بأقواله وأعماله ، حتى حمى أمته من أن تلتفت بهذه الخرافة ، فكان ذلك مما يضاف الى منافبه ، ويزاد على ما آثره ، ويستنزل التمجيد من بعد نظره ، وتقوب فكره .

كان بعض من أرسل محمد إليهم بطلبون اليه أن يحدث لهم لايات ، وقد غاب عنهم أنه هو نفسه أكبر آية لله في خلقه ، فكل آية بعده قليلة الخطر ، تخفى في جانبه كما تخفى الكواكب بجانب القمر .

لقد عاشت على سطح الأرض أمم ، ونبغ فيها رجال من كل صنف ، وحفظت عنهم ذكريات لا تزال الأمم تسترّف بحقهم عابها ، فهل تصادف واحد منهم يمكن أن توارن منافيه مناصب محمد ، أو تقارن أعماله بأعماله ؟ اللهم لا ، ولا كرامة ؛

لندع الأنبياء والمرسلين، فقد أمرنا أن نؤمن بهم، وأن لا نفرق بينهم، وهاتين
للمصلحين المتقدمين، والمباقرة المدودين، ممن سبقوا محمداً وأتوا بعده إلى يومنا هذا،
وعرض أمتهم طريقة، وأبعدهم صيتا، ووازن بين عمله وعمل خاتم النبيين لتدرك
أنك لا تستطيع إلى ذلك سبيلا. وهل يوازن الدرهم بالقنطار، أو الجدول بالبحر؟

استعرض أولاً كبار الفلاسفة والشرعيين عدليونانيين الأقدمين، واختار
من انتهت إليهما الحكمة وزعامة منهم: أفلاطون وأرسطو، فأما لا أريد أن أذكر
لك سقوط فلسفتيهما، وأنهما أصبحتا من قبيل الأمور الأثرية في تاريخ العقليّة
الإنسانية، ولكنني أريد أن أذكرك بأن هذين العبقريين كانا يقرران في شريعتيهما
أن المال والصناعات والمال يجب أن يجرموا من الحقوق المدنية، لا تخطط ما يمارسونه
من الأعمال اليدوية. ففارق بين هذا الأصل المبني على قاعدة بمية القرار في الإجماع،
وبين الديمقراطية الإسلامية التي جعلت التمايز بالزنا لا بالمال ولا بطبيعة الأعمال،
وساوت بين السكافة في الحقوق بصرف النظر عن الألوان ولا جناس واللغات، حتى
ارتفع تحت ظاهرها إلى منصات الزعامة العبيد السود وأصحاب المهن من كل صنف، ومن
كانوا لا يملكون بيت ليلة: «لا فضل لسربي على أعجبي ولا لأبيض على أسود
إلا بالتقوى أو بعمل صالح» الحديث.

وهات من المباقرة القريبين متاديكارث، فلا أود أن أحدثك عما صادفته فلسفته
من النقد، وما أصابها من السقوط، ولكنني أذكر لك من مقرراته أنه كان بعد الحيوان
آلة محضة، مفود بالقطرة الطبيعية، وأنه مجرد من كل ثقل وإدراك. قبل هذا بما ورد
في الإسلام عن الحيوان، قال الله تعالى: «ومِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
يُخَاجِيهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ، مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ». وفي
الحديث الشريف: «عانوا الخيل فإنها تعتب». فأين الحكم بأنها آلات لا تملك

من الحكم بأنها أم أمثال الأمم الانسانية ، وأن لها عقلا تمقل به المتاب وتتمتع به سببه ما أوجبه ؟

وأما ما بقي قائما الى اليوم من مذهب ديكارت ، وهو تقديم الشك أمام كل بحث ، فقد سبقه الاسلام اليه ، فإنه حرم التقليد وحث على البحث وتمقل الأمور ، وجعل عمادها الدليل ، وهذا كله لا يمكن أن يكون إلا تقديم الشك قبل الحكم على شيء . ومن العبارة المحدثين (سيكون) واضح الأسلوب العلمى ، فقد اشتهر بفرقه بين ما هو علم وما هو رأى ، وقرر بأن المعلوم لا يجوز رفعه الى درجة العلم الحق إلا إذا قام عليه دليل محسوس ، وما عدا ذلك فهو رأى ، والرأى يتمسك به حتى يقوم الدليل المحسوس على صحته فيضاف الى المقررات ، أو على قساده فيقذف به الى عالم الأوهام والظنون . وقد سبقه الاسلام الى وضع هذا الأسلوب العلمى : فقرر أولاً أن أكثر ما عليه الناس كاذب وظنون ، فقال تعالى : « وإن تُطعْ أكثرَ مَنْ فى الأرض يُضِلُّوكَ من سبيل الله ، إن يتَّبِعُونَ إلا الظنَّ وإن هم إلا يَخْرُصُونَ » وقال تعالى : « وما يتَّبِعْ أكثرُهم إلا ظننا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » . فكل ظن لا يسقى فى الاسلام علما ، لأن العلم فى اصطلاحه هو ما يكون دليله لحس أو ما اتصل بمقدماته بالحس . ومن كبار المجددين فى العهد الحديث (أجوست كومت) مؤسس الفلسفة الوضعية ، وواضع علم الاجتماع . فأما الفلسفة الوضعية فقد سبقه الى أصولها علماء كثيرون تقدموه من أول أرسطو الى (سيكون) فليس له فيها من فضل إلا صيها فى قالب مذهب . وأما علم الاجتماع فكسابقه أيضا درس موضوعاته علماء كثيرون وكان من أمثلهم ابن خلدون من مؤرخى المسلمين فى القرن السابع الهجرى حتى عد أنه واضع لهذا العلم . ولكن الواضع الأول لعلم الاجتماع البشرى الحق هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووحى من ربه . وهذا العلم يقوم على أساس أن جميع الحوادث البشرية تابعة

لنواميس طليمية مقررة لا تتخلف وقد سبق الكتاب الكريم الناس كافة الى تقرير هذا الأساس الذي بنى عليه علم لاجتماع ، فقال تعالى : « سَنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا فَيْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسِنَّتِنَا تَحْوِيلًا » وقال تعالى : « فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَةَ الْأَوَّلِينَ » فلن تجد لسنة الله تبديلا وان تجد لسنة الله تحويلا »

وقد عيب على (أجوست كومت) وضعه حدا لما يمكن أن يصل اليه الانسان من المعارف الكونية ، وعدم ما لا يستطيع الانسان أن يباينه إدراك نوع المادة التي تتألف منها الكواكب ، فلم يمس على وفاته خمس سنين حتى اخترعت آلة اسبكتروسكوت وهي آلة لتحليل الأشعة التي تصل الينا من الأجسام المختلفة ، والاستدلال بها على المواد التي تنعكس علينا تلك الأشعة منها ، وبطبيعةها على الأشعة التي تصل لينا من الكواكب عرف أنها مؤلفة من مواد لا تختلف في شيء عن المواد الأرضية ، ففيها حديد ونحاس وفصدير الخ الخ ، فكان في هذا الاكتشاف دحض للأصل الذي وضعه (أجوست كومت) . ولكن لاسلام لم يضع للمعلومات التي قد يكشفها الله للانسان حدا ، فإذا سئل مسلم عما يمكن أن يتأدى الى علم الانسان وما لا يمكن ، لم يستطع أن يضع لذلك حدا لقوله تعالى : « وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » .

هذا قصور أكبر العباقرة حيال التعاليم غير المحدودة التي أفيضت على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، نسوق مقتضياته على سبيل المثال لا الحصر ، إذ لو عنينا بالأمر الثاني لما كفتا فيه مجلد ضخم .

ومن ناحية أخرى لو نظرنا الى الذكريات التي يحتفل بها لتجديد كبار العقول وأصحاب المبقرات ، لوجدناها نشرأ لصفحات مطوية من التاريخ ، لا دخل لها في الحياة الزاهنة . فهم أصحاب آراء ومذاهب اعتبرت في زمانها طريقة ، وكانت مقدمة لآراء ومذاهب أرجح منها ، نعيشت هذه وذهبت تلك ، فينوء بالآولى وبأصحابها باعتبار أنهم أول من أتى بمبادئها أو بمقدماتها ، لا على أنها حقائق مطلقة تبقى على الدهر ولا يبايها الزمان .

فحمد هو الانسان الوحيد الذي يحتفل بذكراه على أن ما جاء به حق مطلق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن تعاليمه هي الروح المدير الذي يجب أن يفقد حركات الجماعات البشرية ، ويكيف كياناتها على النحو الذي كان يدعو اليه ويقرره . فإن في الأرض أربعائة مليون مسلم يرون حياتهم في العود الى حظيرة التعاليم المحمدية ، وليس في العالم أمة ترى مثل هذا الرأي في مصلح بينها وبينه أكثر من ثلاثة عشر قرناً .

ومن خصوصيات محمد صلى الله عليه وسلم أن يعتقد الناس أن الخير كل الخير في أن تؤخذ تعاليمه بغير تعديس ولا تنقيح ، ويرون أنها بالغة أقصى درجات السكال الى حد أن كل إصلاح فيها يحط من قيمتها ، ويطمس من لآلئها . وهذه مكانة لم نسم البهاية تعاليم في الأرض . فكل فيلسوف أو مصلح تحفظ عليه سقطات قضت بها عليه الأحوال المحيطة به ، ودرجة علمه في العهد الذي كان عائشاً فيه ، مما يجعل تعاليمه تستدعي الإصلاح والتهديب الى حدود بعيدة . لهذا السبب سقطت جميع الفلسفات القديمة والتعاليم الإصلاحية ، واستبدل الناس بها فلسفات جديدة ، وتعاليم من طراز حديث بلانم ما وصل اليه الكافة من الثقافة العلمية ، إلا التعاليم المحمدية ، فإنها لا تزال جديدة كأنها صيغت في هذا العصر ، بل يرى فيها ما لم تنضج العقول للعمل به ، وإن كانت تدرك أنه سام السموكله . فمن الأمم المتمدة اليوم تستطيع أن نسوي بين الأبيض والأسود ، وبين المواطن الصميم والأجنبي الأعجم ، وأن نبتعد عن العدوان في الحرب على غير المحاربين ، وأنت تراها تعد العدد لا هلاك النساء ، والولدن والهرمى والمرضى بالغازات السامة ؟ إن كنت تعجب من الفرق بين هذين المدهيين فأزبدك عجباً في هذا لموطن بأن الاسلام يحرم على الغزاة أن يقتلوا خدمة أعدائهم في ساحة الوغى . أترى أبعد من هذا مدى في احرام الحياة الانسانية ، وأرقى مذهبا في حصر نار الحرب في أضيق الحدود حتى لا يتقلب الأمر الى جاهلية جهلاء ، تُسكر فيها الليادي لا دية ، وتهدر الكرامة البشرية ؟

ومن خصوصيات محمد صلى الله عليه وسلم أن يرى أجنب عن هذا الدين في القرن العشرين، وهم من الرجال لا خذين بأرقى حظ من العلوم لاجتماعية، أن العالم كله لا ينتمش من كيوته إلا إذا أخذ بتعاليم الديانة الإسلامية، وأنه لا بد منته إلى هذه النتيجة في نحو قرنين من الزمان. قال بذلك كثير، منهم برناردشو الفيلسوف الانجليزي، وقد دوناه في مقالة سابقة هنا. فهل رأيت في كل ما رأيت مثل هذه الخصوصية لواحد من أصحاب المذاهب الإصلاحية؟

هذا عجيب كل العجب، وأعجب منه أن يوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو في صحراوات بلاد العرب بأن التعاليم التي جاء بها ستزداد ظهوراً على مر الأجيال، بتسوا إلى الآيات الدالة على صلاحيتها لكل زمان ومكان، وعلى بلوغها أقصى غايات الكمال، فقال تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد».

أو ليس من العجب العاجب أن يطلب طالب بعد هذه الآيات البينات كلها دليلاً على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأى دليل يبلغ في القوة والإقناع مبلغ هذا الدليل؟ رجل نهض في بقعة قاصية من الأرض لا عهد لأهلها بإصلاح اجتماعي، ولا بكتاب سماوي، فأخذ يدعوهم إلى دين وصفه بأنه دين الإنسانية كلها، قائلاً إنه يوحى إليه كتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه حاتم الأنبياء وما جاء به آخر ما يتفضل به الله على الناس من الوحي. فاستهزأ به قومه وسخروا منه فلم يرفع باستهزائهم رأساً، فاشتدوا عليه واضطهدوه فلم يقم لاضطهادهم وزناً، فهددوه بالقتل فلم تلن له قناة، ولم تثن لهم نصرة، واتبعه نفر من قومه فقوا من ممالأتهم له ما يلي أهل الحق من شيعته الباطل، ثم هاجروا إلى قوم آخرين وهاجروا معه من آمن به، فتآلب عليه خصومه واستناردوا معهم من استناردوه من أحلافهم، وتقصدوا القضاء عليه وعلى من معه دفعات متوالية: «سبهزم الجمع ويولون لذر» ، فنهزمه الله عليهم،

ثم ما هي إلا سنون معدودة حتى عمت دعوته جزيرة العرب كلها، فلم يستهوه التفرد بالسلطان، ولم تستهوه قواته الملك إلى أن يغير من بساطته، وطرز معيشتة، واستمر داعياً للعالم كله إلى دينه، مبشراً قومه بأن الله سيعطيهم خلافة الأرض، ورعاية الأمم، ماداموا عاملين بكتاب الله وسنته: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ عَمِ الْفَاسِقُونَ». فاهي إلا سنون معدودة حتى تحقق هذا الوعد، وإذا بالعرب الذين كانوا بالأمس مضرب المثل في الجاهلية والفرقة قد أصبحوا للعالم سادة، ولشعوبه وأئمة قادة، فنظر الناس إلى الدين الذي أبلغ أهله هذه المرتبة وإذا به مطمأن النفوس، وسكن الأرواح، وبلسم القلوب، ونور العقول، فدخلوا فيه أفواجا أفواجا، بل ملايين ملايين، فلم يحض عليه جيل واحد حتى كان التوذن في مسجد المدينة يقول: حي على الفلاح، فيتأهه زميله عند أسوار الصين مثلها.

ثم نادى الزمان، وتطاولت الأيام، وإذا بالأم الإسلامية التي هليت بالفتور أجيالا، نهب مذعورة على أبواب المدينة الأوربية وطبوعها، ففتحت أعينها فإذا هي حيال علوم عالية، وفلسفات مغرية، وآلات بحيرة، ومخترعات مذهشة، فوجت برهة، ثم أخذت تلقى بنظرها على ما تركته وراء ظهرها من تراث الآباء، فإذا ما حيرها الساعة وأضاع رشدها، وليد ما خلفه أولئك الآباء ونمرة جهودهم، فزى زيد عليه شيء. فما اقتضاه الفرق بين المصريين، والتباين بين المهدين، فأصبحت لديهم العقيدة التي كادت تنزعزع، يقينا لا يعتريه شك، في أن الفتور الذي كانوا فيه هو نتيجة لتعاميهم عن التعاليم التي أوروها، فأقبلوا عليها أيما إقبال، ورأوا نجاتهم في العود إليها على كل حال. وشجعهم الأجانب عنهم على هذه العقيدة بما كتبوه من تاريخ أسلافهم، وما تبيتهوه من دراسة دياناتهم.

أريد الطالب دليلاً أسطع من هذا على النبوة ؟

ألا سقياً ورعياً لكارلايل المؤرخ الفيلسوف الانجليزي الكبير ، لقد قال في كتابه الأبطال وديانة الأبطال : « أنريد دليلاً ممن يدعي لك أنه بناء أقوى من أن يبني لك داراً تسع الملايين الكثيرة من الناس وتدوم قروناً طويلة ، لا يعتريها تصدع ، ولا يمتورها أقل نداع ؟ كذلك هل يطلب طالب الى مدعى النبوة دليلاً أقوى من أن ينشر ديناً بين ملايين من البشر يستمرون عليه قروناً طويلة ويتحمسون له تحمساً كبيراً ؟ فحمد قل بأنه رسول من عند الله وبرهن على صدق قوله بدين نشره في الناس أخذ به مثنان من الملايين ومضى عليهم فيه ثناً عشر قرناً ، وعم يحبون دينهم هذا ويتحمسون له أكبر تحمس ، فإذا يراد من الأدلة على نبوته بعد ذلك ؟

« ألا فليعلم الناس أن التعاليم كأوراق البنك نوت ، فلتقيقة منها تتداول بين الناس ولا تثير أقل شبهة ، والزائفة منها تخذع بعض الناس سررة أو سرتين ثم يفتضح أمرها وتعرف أنها زائفة فتتمزق كل ممزق » انتهى

هذا حق ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين محمد فريد رجبى

جود

صلى الله عليه وسلم

قال ابن عباس رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الریح المرسلة

وقال سيدنا على رضى الله عنه فيما يصف النبي صلى الله عليه وسلم : كان أجود الناس كما ، وأوسع الناس صدراً ، وأصدق لساناً لحجة ، وأوفاهم ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه .

محمد النبي العربي

حاتم المرسلين ، ورسول الله للناس أجمعين

قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » . وقال عز وجل : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كندة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » .

إن الكمال المحمدي أوسع من أن تحيط به هبارة بليغ ، وما من وصف كمال يجدر بالإنسان إلا وقد أحرز منه صلى الله عليه وسلم القسط الأوفر ، مع استعداده لكالات لا يحيط بها الحصر .

وإذا نحاول في كلمتنا هذه أن نعرض لشأن من شتونه صلى الله عليه وسلم من ناحية نسبه الشريف على وجه الإجمال ، وحكمة اختيار الشعب العربي لأن يصطفى من خياره رسول الله للناس أجمعين ، ومن ثم ختمت الرسالة ، واكتملت على يده الشريعة العامة . وإذا لدرى مناسبة عظمى بين عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم النبيين ، وبين اختياره من الشعب العربي ، سنتلوهما عليك مستعدين من الله التوفيق :

إن الدعاوى كلما كانت خطيرة الشأن ملزمة للغير بواجب من الواجبات ، لا يمكن الاعتداد بها ولا التفات إليها ما لم تقم عليها الحجج والبيّنات . وإن أعظم دعوى تحتاج إلى أقوم برهان وأكمل ، هي دعوى النبوة والرسالة إلى الخلق عن رب العالمين .

فطرية لا يشك فيها عاقل ، ولم تتعلف في دعوى نبوة صادقة ؛ فما من نبي أرسل من ربه إلى قوم إلا كان معه من البيّنات والبراهين ما يرفع المعارضين ويلزم المسكذيين ، ولا يبقى حتى يخالفه إلا فئات الكافرين .

فلك البيّنات والبراهين هي ما نسميه بالمعجزات : ذلك أن يؤيد الله سبحانه وتعالى

نبيه بأن يجري على يديه أمرا لا تتناوله القُدْر البشرية ، فيعلم أن الذي أجرى على يديه هذا الأمر هو واهب القوى والقُدْر ، وأنه ميزه بذلك على جميع البشر ، ليعلم أنه مؤيده ومصدفه بهذا التمييز .

ولقد جرت عادة العليم الحكيم في تأييد رسله أن يجعل ذلك الأمر من جنس ما غلب على البشر الاتجاه إليه وجمال العناية به في العصر الذي بعث فيه النبي ، حتى يكون علمهم بما اشتملت عليه المعجزة من معنى إعجاز البشر علما يقينيا صادرا عن بصيرة وبيضة ، وحتى يكون عجزهم وهم أصحاب التفوق في هذا الشأن برهانا على عجزهم من سواهم من باب أولى .

من أمثلة ذلك عيسى . معجزات موسى عليه السلام من جنس ما يشبهه السحر ، فإذا علم السحرة أنه خارج عن القوى السحرية كان اعترافهم بالمعجز حجة على عجزهم من سواهم ممن هم دونهم في ذلك الشأن .

وكذلك معجزة عيسى عليه السلام : لما كان قد ساد في عصره فن الطرب ، جاءت معجزته متفوقة على ذلك الجنس تفوقا لا يدركه أتم إدراك إلا أهل هذه الصناعة ، فجاء عيسى مبرئا للأكمة والأبرص ، بل جاء محييا للموتى .

إذ تقرر هذا فالنتيجة لاخبار العرب والباحث من شئونهم بجدهم صفات امتازوا بها وانقطعوا لإحرازها وغلبت عليهم ، تلك الصفات هي الخلد والسمي لإحراز الفخار والمجد وحسن الأحدث . تنطق بذلك أشعارها ونواريها . ونوادرها وعوائدها . فمن حمى الذمار إلى إكرام الجار إلى التفاني في الكرم والشجاعة ، والمطاول في المصاولة ، إلى صدق الحديث ، إلى وفاء الوعد ، إلى صدق العزيمة ، إلى قوة الإرادة ، إلى ثبات المبدأ . كل هذه الصفات وما يمت إليها كانت صفات العرب التي تتفاني دون إحرازها ، ولا ترى لها وجودا وحياة إلا بها . لهذا السبب نفرد العرب بإقامة محكمين للمناخرة ، فكانت الجملات والأفراد تلجأ إليها لحسم النزاع في أي الفريقين أو الفردين أجد وأحق بالفخر من صاحبه .

وانظر الى ما كان يشور بينهم من حروب تمكث عشرات السنين ، تجد أسبابها ترجع للدفاع عن كرامة ، أو للنياد عن سمعة . أفسمعت أن حرب البسوس التي مكثت زهاء أربعين عاما كان التمدي على نافة تملكها امرأة كانت في حمى عزيز ، فاعتبر ذلك خفرا لثمته وجرحا لعزته ؟ أفسمعت أن حرب داحس والغبراء كان سببها اختلاف في أمر فرسين أيهما كان أسبق ؟

إذا تثبتنا من هاتين المقدمتين حق لنا أن ندخل باطمئنان في موضوع مقالنا ، فنقول والله المستعان :

لقد أراد جلت حكمته أن يرحم البشر بشرية كاملة صالحة لكافة الأمم في كل دور من أدوار حياتها حضارة وبدعوة ؛ وأن تبقى شريعة خالدة مابقي الدهر ، لا ينسخها شرع ، وهي ناسخة لما سبقها من الشرائع ؛ وأن يكون السير فيها على بصيرة ونور لا على تقليد خال من التحقيق ؛ فكان لابد لها من برهان يسايرها في البقاء بنفسه لا بمجرد ذكرى تلبسه . ولدليل الباقي بنفسه هو ما كان من جنس الكلام المتلو ، فأيد الله نبيه بأعظم معجزة ، وهي القرآن الكريم ، وتكفل عز وجل بحفظه فقال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وإن شعبا حصل كل هم في الفهم وكسب الشرف لهو في أشد حاجة الى إتقان البيان وصناعة اللسان ، فذلك أقوى عمدة في كسب ذلك الميدان . وهذا ما حصل في الأمة العربية . فلقد عنيت بترقية قوة البلاغة فيها ، وإتقان البيان نثرا ونظما ، ما لم نمن به أمة أخرى في العالم .

فكان حكمة بالغة أن يهيئها ما يعجزها من جنس ما ملكت صولجانه ، ودعمت بنيانه ، فجاءها النبي العربي بمعجزة القرآن البليغ بتخدامه بأن يأتيوا بمثله فعجزوا ، فتخدامه بأن يأتيوا بعشر سور مثله فعجزوا ، فتتزل معهم حتى تخدامه بأن يأتيوا بسورة من مثله فعجزوا ، قل لئن اجتمعت لانس والجن على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتيون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

فكان القرآن معجزة باقية بذاتها لا يتناقل أخبارها، حتى تكون الشريعة دعوى معها برهانها، أو من قولهم: قضايا قياساتها معها، فشكل من اعتنقها اعتنقها بدليها، وسار فيها على بينة ونور من ربه.

على أن إعجاز القرآن لم يقف عند الحد الناحية البلاغية الحكيمة، وإنما جاء من نواح عدة، فأبنا وجهت للنظر الى باب من أبواب الثقافة وجدت فيه القدر المثلّي. فقد جاء في باب التشريع المناسب للدوام، الكافل للعدالة بأوسع معانيها. جاء بما لا يعرف مقداره إلا للشرعون.

فإذا رجعت الى الأخلاق وما أرشد إليها، فسل عن ذلك علماء النفس وفلاسفة الأخلاق: هل وصلوا الى عشر معشار ما جاء به؟

وانظر الى غير ذلك من شئون المعلوم، تجد ما يترف به أهل العلم من الإشارة الى دقائقها بما يحيرهم ويهرم.

فإن آيت إلا شيتا يشترك فيه البليغ والشرع والطبيب وغيرهم من كل من له عقل وفهم، فدونك الإخبار عن المنجيات من أخبار الأمم للماضية كأخبار بني إسرائيل وغيرهم، والحاضرة كما جاء في قوله تعالى: «الآن غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفليون، في بضع سنين». فإذا يدويه أنهم سيفليون فيما دون العشر من السنين؟

على أن معجزاته صلى الله عليه وسلم لم تقف عند هذا الحد، بل له معجزات آخر تواترت بالتواتر اللغوي وإن لم تكن مما نحن فيه.

أما مناسبة عموم رسالته لاصطفائه من هذا الشعب فتعرفه حين تستعرض ما قدمناه لك من صفات العرب التي عرفوا بها واشتهرت عنهم: من قوة العزيمة، وثبات الإرادة، واحتمار وغد العيش، ولاعتناء بتنفيذ ما أرادوا، والاهتمام بكسب الشرف. ذاك أن شعبا هذا شأنه هو الجدير بأن يناط به أن يحمل للعالم أجمع هذه المهمة العامة: مهمة

تبليغ الشريعة الإلهية للناس كافة . فمن أحق بذلك من شعب لم يأكل لوفه وانعم قوته ، ولا تمود أن يخلد الى السكينة ، يعمل تحت قيادة رسول كريم يرسم له الوحي ما يجب أن يعمل ، ممكدا من رعايته بما وعده به من النصر والتأييد ؟

وهذا ما حصل ، فلقد نهض الشعب العربي تحت نور الوحي الإلهي بمحمد رسالة محمد الى أطراف العالم ، حتى فاز بذلك على وجه لم يشهده التاريخ سرعة وثباتا ، بفضل ما بثه الاسلام في روعه من الروح العلوى والخلق الحكيم .

أندري لماذا ثبتت تعاليمهم عند الأمم الذين استجابوا لدعوتهم ؟ إنما كان ذلك لأنهم لم يأخذوا في الدعوة بالقوة كما يزعم الجاهلون ، وإنما أخذوا فيها بالبيان والحجة ، والاستنشاء والتبصرة ، ولو دعوا للابمان بالإرهاق والإكراه وخالفوا قوله تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) زالت الدعوة بأسرع من لمح البصر ، وعادت كل أمة الى ما كانت عليه بمجرد ضعف الدولة العربية . وقد ضعفت بعد قرن من النبوة ، ولكن الدعوة الاسلامية ما اردادت إلا قوة .

أما الجهاد الذي قام به المصطفى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده ومن على شاكلتهم من أسراء الاسلام وملوكه ، فلم يكن الغرض منه إلا حماية الدعوة الى الاسلام ، أي أن يتمكن الدعي من أن يبث دعواه بالحجة والبرهان . وهذا معنى : يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا . أي من نادى بها ودعا إليها لا يلتقي من يسكته ويخرسه ، وإنما هو متمكن من أن يدعو الى الله ، لا أن يكره على الدين بهذا الدين فإنه لا إكراه في الدين .

ولعلنا بهذا استطعنا أن نجلو لك الحسكة التي تتجلى في هذا الاصطفاء كما تريد . ونسأل الله تعالى أن يشرح صدرنا للاسلام ، ويهدي قلوبنا للإيمان ، ويوفقنا للاحسان ، إنه سميع عليم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم الحيلاني

رسول الطهارة حسا ومعنى

إذا كنت ممن تهماً له واقسق أن يتغلى حيناً عن التعصب لهذا الدين الخفيف والتمعيب عليه ، ولحجة له والاحقاد فيه ؛ وكنت حكا ذا نصفة ومعدلة ، لا يميل بك الهوى كل تميل عن الشيء أو اليه ؛ وكنت رجلاً خيراً شريفاً ، كريم العنصر ، صافي النفس ، لطيف الحس ؛ ثم أحبيت أن تستطلع طلع هذا الدين وتقف على مراميهِ ومقاصده ، وتطلع الى سيرة هذا النبي الأئى الكريم ، ولّى مدارسهُ تهايله الكريمة الطاهرة ؛ ثم حاولت أن تستخلص من كل ذلك معنى تستروح اليه ، ومثلاً أعلى تتمشله ، وتحتذى عليه ، فسوف ترى كما رأيت معنى قد تظنه بآدى رأى وعند النظرة الأولى لا بال له ولا خطر ، وهو فى الحقيقة القطب الذى تدور عليه رحى الخير كله ، بل الفلسفة العممية القدسية التى تُفترق وجه كل فلسفة ^(١) وإن شئت قلت هو دستور هذا الوجود وناموسه . أتدرى ما هو هذا المعنى ؟ هو الطهارة . ولك أن تقول : النظافة . النظافة بكل معانيها وسائر مجالها . نظافة العقل ، نظافة الروح ، نظافة البدن ، « إنما الشركون نجس » . « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » « إن الله يحب المتوازين ويحب المتطهرين » . النظافة من الإيمان .

كان العالم قبيل ظهور المصطفى صلوات الله وتسليماته عليه ، وخافداً مستوبلاً ، غارة لا ذقته فى قذارة عقلية ، وقذارة روحية ، وقذارة بدنية ، لا تمتدح عن استنقاذه منها وتطهيره من أوصارها ، وانتياشه من وائتها وشروها . وبالعركى تلييه الانسان الى للمعنى الإلهى القارّ فيه ، وإعدادهِ وتهيئته بهذا التطهير لأن يسمو الى المستوى الجدير به ، للقدر له فى عالم الغيب والشهادة .

(١) غير أن وجهه سببه ويزد وأثار فى وجهه النار .

كانت قذارة عقله في اعتقاده تلك العقائد البدئية الصبغانية الممثلة في الجاهلية : من نحو الشرك ، وعبادة الأصنام ، ومن سائر العقائد الفاسدة والترهات البسباس التي عشت وباضت ، ثم أفرخت وشاعت بين العرب وغير العرب في سائر أمم العالم القديم ، والتي لا تزال آثارها باقية الى اليوم بين من لا يدينون بالاسلام الصحيح .

وكانت قذارة روحه في تخلقها بالأخلاق الرذلة المقيتة ، من نحو الكذب ، والرياء ، والفاق والجبن ، والبخل والطمع ولائحة ، وما الى سائر الرذائل ؛ وفي حيوانيته وإسفافه وانقياسه في الشهوات البهيمية . وكانت قذارة بدنه في تركه نفسه مملا كالمجماعات . وليلحظ أني هنا أجمل القول إجمالاً دون تفصيل ، فإنما هي عجالة الراكب ، وإجمالة الحلب ، كالنبهة الى ما يجمل بطالب الحق نشدانه من هذا الدين .

جاء الاسلام والعالم على هذه الحال من اللئس والقذرة والرجم ، فشن غارته المقدسة ، وحمل حملته الشمواء على هذه الأوبئة التي تبتاح العالم ، ودعا الناس أول ما دعا الى تطهير عقولهم من العقائد الفاسدة ، والترهات المنتنة الجامدة . نهام عن الشرك ودعاهم الى التوحيد ، وبحسبك هو من عقيدة ، أصل الفضائل ومنبع المحامد ، والمعنى الذي يسمو بالانسان الى الملأ الأعلى ، ويصل روحه مباشرة بالذات الأقدس « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »

ودعا الناس الى تطهير أرواحهم ، فسن لهم من مكارم الأخلاق ما سن ، وشرع لهم من الشرائع ما اشترع ، مما تراه ميثوثا مستوفى في تعاليم الاسلام وفي هدى المصطفى عليه السلام . وما كان له أثر أى أثر في تطهير أرواح المسلمين وتنزيه نفوسهم من كل ما علق بها من أقدار الجاهلية ، حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس .

فالنظافة الحسية والمعنوية هي روح الاسلام الذي يرفرف حول عقائده وشرائعه وأدابه ؛ وهي الغرض الأسمى الذي يتراعى اليه ، والمثل الأعلى الذي يحث على التمسك به والتعاقب عليه .

كان صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى للنظافة في سائر مظاهرها . كان عقله أنظف
 فعل ، إذ كان عليه السلام من استحكام العقل ورجحانه بحيث ينبو عن كل ما هو غير
 جدير بالكمال والمثل لأعلى . وقد أجمع أصحابه وكل من رآه على أنهم لم يروا عقلاً
 كمثله ، ولا سمعوا بمثله أو بما يقاربه . وإن من كان مثله في نشأته الأولى التي لم يشبها
 شوب من دنس الجاهلية ، فلم يسجد بطنه ، ولا شارك قومه في عيد من أعيادهم ،
 ولا ذاق لحوم قرايئهم ، ولا انغمس فيما انغمسوا فيه من ضلالاتهم وحقاقتهم . أقول :
 إن من كان مثله في نشأته هذه ، وفي كياسته وحسن سياسته ، وبديع تديره ، حتى أعطاه
 العرب مقاديرهم ، وهم من حمية ونمرة وعنجهية ، وخشونة صراس وركوب راس ، وشدة
 شكيمة ، وتوعر خاق وجفاء طبع ، دع ما أفاضه الله عليه من العم والعرفان ، وأوحى
 إليه من القوانين والشرائع والآداب ، وهو النبي الأسمى الذي لم يجلس إلى لأساتيد ،
 ولم يختلف إلى المدارس والجامعات — إن من كان هذا شأنه لا بد من أن يكون عقله
 فوق مستوى المعقول .

ومن هنا حفل كتاب الله وأحاديث المصطفى من التنويه بالعقل والاشادة بذكره ،
 والحض على اللجوء إليه ، والتمويل في سائر الأمور عبيه ، بالكثير الكثير من الآيات
 والأحاديث : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير »

وكانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنظف أخلاق وأسماها وأجملها ، حتى قال الله
 تعالى فيه : « وإنك لعلی خلق عظیم » أي رسول الله : لقد فضلك ربك على الناس كافة
 فكنت خيرة الله من خلقه ، واصطفاك لوجيه وإبلاغ رسالته ، فكنت عند العهد
 بك ، وبلغت ما أنزل إليك على أيدي وجه وأكمل تبليغ .

لقد كنت يا رسول الله بسيرتك وأقوالك وأفعالك وشمائلك مثلاً أعلى لم نجد
 الأقدار بمثله ولن تجود أبد الدهر ، فكنت في الحق خاتم النبيين ، وكنت واسطة
 عقد المرسلين .

لقد جاهدت حق الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته، وحررويت وعوديت وشوقفت وضوررت وأوذيت أيما إيذاء، فلم يثن ذلك من عزيمتك، ولم يقل من إرادتك، بل مضيت قدما لا تلوى على شيء، فحكنت بذلك حقا من أولى العزم، وكان ذلك منك مصداقا لما قلت لممك إذ طلب اليك أن تترك هذا الأمر اتقاء شر قرينك، فقلت كلمتك الخالدة التي ردها الدهر، وارتجفت بها دينا الشرق والغرب، ووجفت لها القلوب واشترأت لها القبائل والشعوب: «و الله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه حتى يظهره الله ما تركته»

أي رسول الله: لقد قتت بلهمة العظمى خير قيام، وتركنت لنا دينا جمع بين خيري الدنيا والآخرة، فقد نظرنا في حكمة الأولين وفلسفة الآخرين، فلم نر فلسفة تجمع ولا أسمى وأروع من الاسلام «إن الدين عند الله الاسلام» ومن يتنفع غير الاسلام ديننا قلن يقبل منه «ما فرطنا في الكتاب من شيء». لا أقول إننا لا ننظر في علوم الدنيا وكل ما يحدى علمنا في مرافقتنا ومما يشنا وإصلاح حالتنا من العلوم والفنون وسائر ضروب المعارف والصناعات، حاشا، فإن ذلك أيضا مما يقتضيه الاسلام ويحث عليه. «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» «اطلبوا العلم ولو بالصين» «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

أما ما يتعلق بتطهير العقول من كل ما يشينها ويزري بها من العقائد والآراء، وبتطهير النفوس من كل ما يسف بها من شتى الرذائل، وبتطهير الأبدان من سائر الأثذار، فقد تركت لنا سراجا وهاجيا يضئ لنا الطريق، فإذا نحن استضأنا به واهتدينا بهديه وسرنا على ضوئه، سلمنا وأمننا الطريق، وحمدنا للشرى. وإن نحن تركناه وسرنا على غير هذه ولقينا في الطريق من العثرات والعصبات والحمر والهوات ما لا نأمن معه على أنفسنا، فالتذنب إذ ذك ذنبنا ولا يار من أمرؤ إلا نفسه. والسلام على من

اتبع الهدى

عبد الرحمن البرفوق

المنندب بإدارة المجاس الحسبية بالحفانية

محمد منجد الأرقاء

يشير مولد محمد صلى الله عليه وسلم في النفس، ذكرى تطهير الأرض من الرجز، وتخليص العقيدة من الشرك، وتحرير العمل من إفسار التقليد، وفك الرقبة من ذل الاستعباد، ووضع نظام للحكم أساسه العدل، وقوامه الحق، ودستوره المساواة. ذكريات مجيدة لأعمال عظيمة خالدة، عترضت سير الدهر فحلت بحرى التاريخ، وخلقت من عرب الجاهلية - في أقل مما يقدر من الزمن - دولة بسطت نفوذها على معظم بقاع الأرض، سادت وشعوباً كانوا من قبل سادة، وأقامت حضارة سميت بأهلها إلى ذروة الكرامة.

ذكريات تتجدد كل عام، فتتجدد معها حاجة الانسانية الى من يحملها كلها أو بعضها، لتستخلص العظة، وتتلهم النور، فتضي على ضوئها إلى غايتها في غير زل ولا عثار. ومهما يؤت الباحث من بلاغة في القول، وبيان في التعبير، فلن يوفى على الغاية مما يريد. لذلك نتناول - في ضعف وقصور - ناحية من نواحي الانسانية كانت مهيضة معذبة، فلما أشرقت عليها شمس الاسلام، وأولاهها محمد رحته وعنايته، غدت في نعيم أو ما يشبه النعيم، ولعنى بها حالة الرقيق.

الرق قبل الإسلام:

كان الرق في الدنيا منذ تولدت للانسان أطماع وتملكته شهوة، وبوسع في تضيق مبدأ الحق للقوة. وكان منتشراً عام لم تخل منه أمة، ولم تخل مدينة الرومان، ولا فلسفة اليونان، ولا حكمة الفرس، دون وقوعه. ولم يكن تحت سلطان الديانات السكبرية خيراً منه فيما سبقها من عبود.

كان الرقيق ذليلاً - وهو إنسان - لا يؤاكل سيده، ومحتقراً لا يعيشه

ولا يحالسه . وكان ضيقا ليست له قيمة ، إن جنى عليه أحد لا يقتص له منه ، وإن جنى هو على أحد سيم أشد العذاب .

إن سب حرا سل لسانه ، وإن هزى به أدخل في فيه خنجر عصى طوله عشرة أصابع ، وإن سرق منه أحرق . وكثيرا ما كان يناله من سيده لأقل هفوة نبذر منه الجسد بالسياط ، والطعن على الرحى . فإذا لم يطاق صبر على العذاب وأبق خزانة السكى بالحديد الحصى على جبهته .

وكان فوق ما تقدم « متاعا » ليس غير ، لا يصاهر الأحرار ولا يصاهره . فالحر الذي يتزوج أمة عند بعض الأم يسترق ويستعبد ، والحرمة التي تتزوج عبدا ينالها هذا العقاب ، بل كان جزاء هذا الجرم عندهم أن تحرق الحرمة وزوجها العبد وهما على قيد الحياة .

لا شخصية له في القانون : فلا تسمع شهادته على الحر ، ولا توجه إليه التيمين تقديسا للقسم ، ولا يؤخذ له رأى في وضع تشريع أو إقامة نظام .

فكان صورة مصغرة لما لقيه الرقيق من هوان قبل الاسلام وبعده عند الأمم التي لم تدق به . نعم : كان يظهر في بعض الأحيان من المصلحين الاجتماعيين من كان يشفق عليه فيدعو الى الترفيه عنه بوسائل قد تبلغ درجة قانون . غير أن روح الانتقام والشر المتسلطة على السادة الأحرار لم يكن يجدى معها قانون أو نداء ، بل ظل يعاني ألم الدل وقسوة العذاب ، حتى أظله الله بالاسلام .

الرق في الاسلام :

فلما جاء الاسلام وأشرق نور محمد عليه الصلاة والسلام على الوجود ، تغيرت النظم ، وانقلبت الأوضاع ، وأخذ العبيد مكانهم بجانب السادة الأحرار .

أجل : لم يبلغ الاسلام الرق ، وما كان له أن يلغيه طفرة دون أن يضطرب نظام

الحياة الاجتماعية العامة ، فقد كان الرق عنصرا من عناصر وجودها لا غنى لها عنه على أى حال .

غير أنه قيد من إصلاقه ، وضيق حدوده ، فخصر سبابه في حالة واحدة : حالة الحرب لإعلاء كلمة الله . وترك الأمر في أسرى الحرب لتقدير القائم بالأمر بين الناس : إن رأى الخير في المن أطلق الأسرى ، وإلا فالفداء أو الأمر . على أن العارف ببلادة القرآن والواقف على روح التشريع فيه يرى أن تقديم المن على الفداء في قوله تعالى : « فإما مئذ بعدُ وإما فداء » يدل على أن المن أحب إلى الله .

فإذا اختار الإمام الرق فإن في قوله تعالى : « والذين يظاهرون من نفسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة » في كفارة الظهار ، وفي قوله : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » في كفارة القتل ، وفي قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » في كفارة اليمين ، وفي قوله : « فلا أفتحم العقبة وما أدراك ما العقبة : فك رقبة » في التخويف من هول يوم القيامة ، إن في ذلك كله مجالا لإخلا سبيل الرقيق ، والتكرم عليه بنعمة الحرية . وما بقي بعد ذلك في الرق منهم « فإخوانكم في الدين ومواليكم » : بحسن لهم العشرة ونعتبرهم إخوانا لنا في الدين . ذلك مبلغ عناية الاسلام بالرقيق ، وتقديره لحقوقه ، وحده عليه . وفيما يأتي متابعة النبي لما أنزل إليه من ربه :

جاءه مرة وجل يقول : دني على عمل يقربني من الجنة ويبعدني من النار . فقال : « أعتق النسمة وفك الرقبة » قال الرجل : يا رسول الله أوليسا واحدا ؟ قال : « لا : عتق النسمة أن تنفرد بعنتها ، وفك رقبة أن تمين في ثمنها » . وقال في تحبيب العتق إلى نفوس الناس : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضومنه عضوا من النار » وقال يعلم الناس حسن مخاطبة العبيد : « لا يقل أحدكم : عبي ، أمي ، وليقل : فتى وفتاتى

وغلامى ، وقال ينهى عن أذى العبيد : « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه » .
وكان آخر ما قاله وهو يجود بنفسه : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » .

تلك فقرات من الدستور الذى وضعه الاسلام نظاما لحياة الرق فيه . وهو نظام لم تر البشرية ما يداينه ولا ما يقرب منه . وقد كان لتنفيذه أثر فعال فى حياة ذلك الرقيق سباه الى مرتبة القواد والسفراء والملوك . ومن لم يظفر بهذه المرتبة عاش كبقية الأفراد : آمنًا على نفسه وماله ، سعيدا لا يلهب ظهره سوط ، ولا يناله عقاب ، إلا فى حدود الدين الخفيف .

وهذه طائفة صالحة من الأمثال نضربها ليعلم من لم يكن يعلم أن المسلمين فى عصور ازدهار الاسلام وتمسكهم بنصوصه وتخلقهم بأخلاقه ، لم يفرقوا بين أنفسهم وبين الرقيق ، ولم يفوتوا عليه غرضا تأهل له ، ولم يجرموا حقا اكتسبه ، وكان التفاضل بينهم بالتقوى ليس غير : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

استرق زيد بن حارثة فى سبي فى الجاهلية وملكته خديجة زوج محمد صلى الله عليه وسلم ، فوهبته له ، فلما علم أهل زيد بأمره ذهب منهم أبوه وعمه ليفتدوه من الرسول ، فلما جاءوا خيره النبي بين الانصراف مع أهله حراً وبين إقامته معه ، فآثر جوار النبي على جوار أبيه ، فأعتقه النبي وأكرمه :

فأية معاملة هذه من النبي لزيد جعلته يفضل البقاء معه على المضي مع أبيه ؟ وأى أثر يتركه صتيح النبي هذا فى نفوس أتباعه والمصدقين به ؟

وهذا أسامة بن زيد هذا : يفسح له الإسلام من صدره ويمنحه بروح منه ، فيتبوأ منصب القيادة لجيوش المسلمين فى عهد النبي ، وفى جيشه أبو بكر الصديق .

وعبادة بن الصامت الذى كان أسود فاحماً : يرسل على رأس وفد ليضع مع « المقوقس » عظيم القبط فى مصر شروط الصلح مع العرب .

وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين. يماثل غلامه معاملة اللد للند ، فيتماقبان في ركوب لدابة وهو ذاهب الى بيت المقدس ليحدث البطريك في أمر تسييمها للعرب ، ونشاء القدر العادل أن يدخل المدينة « بيت المقدس » والغلام على لدابة وعمر خليفة يسمى بين يديه .

وقد تبوأ عرش مصر « كافور الأَخشيدي » وعدد عديد من الجراكسة ، وم جميعا من الأرقاء المستعبدين .

وبعد : أفصح بعد هذا الذي ذكرنا — وهو قطرة من بحر — أن يهم الإسلام بتأييد الاسترقاق ، وينسب لغيره ظلم بطولية التحرير ؟ : ابراهيم عمار
من علماء الأزهر بمجلة نور الاسلام

عطفه على الرقيق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله فيما ملكت أيماكم » وقال : « اتقوا الله في الضعيفين : المملوك والمرأة » . وقال : « إخوانكم خولكم ، من كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس » وقال : « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عنقه » . وقال : « من كانت له جارية فملأها وأحسن إليها وتزوجها ، كان له أجران في الحياة والاخرى . أجر بالسكاح والتعليم ، وأجر بالعقيق »

وعن أبي مسعود الأنصاري أنه قال : بينا أنا أضرب غلاما لي إذ سمعت صوتا من خلبي : اعلم يا أبا مسعود — مرتين — فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتفت السوط من يدي ، فقال : « والله له أقدر عليك منك على هذا » !

وقال عبد الله بن عمر : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : كم يعفو عن الخادم . فصمت عنه رسول الله ثم قال : اعف عنه في كل يوم سبعين مرة »

تبشيره بفتح الممالك

إن يكن للعظمة أثر يقوم على صفة في بعض أفعاذ الرجال، أو خيال يلوح من وراء خصلة حميدة اتسم بها أحد من بني الإنسان فأعطى من أجلها لقب عظيم، فلمها نجسست في محمد صلى الله عليه وسلم، واشتملت عليه روحاً وجسداً، ليكون مثالا يفسح العالم على منواله في الأعمال، وأسوة حسنة يفتقن أثره في الأقوال والأفعال.

حقاً إن السكاتب مهما علا كعبه في تنميق الكلام، ورسخت قدمه في ترين وجوه البيان، ومارس الأدب حتى أدرك غوره، فجعل يستخرج من نفيس لآله فينظم المقود الشعرية، ويرسع بها معبرات القطع الثرية، فإنه حيال وصف ناحية من نواحي حياة محمد صلى الله عليه وسلم كفاصر، وعن تناول نعمت من نعمته لعاجز.

فبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم اللهم إلا ما كان مقدار ما يعنى بمنقار طائر من البحر المحيط، أو ما يحيل لناظر شبح (السبنا) كأنه حقيقة.

إعما مثلوا صفاتك لنا س كما مثل النجوم الماء هذا يوم الأحراب يظهر من شجاعته وثباته ما تعظم من أمامه الشم الرواسي، وتذوب من روعته الصم الصلدا، — بلغه عليه السلام أن عشرة آلاف مقاتل من فريش والنضير وغطفان ومرة وأشجع وسليم وأسد، يقودهم أبو سفيان بن حرب، وبزحف بهم نحو المدينة لمحاربه والنيل منه، فأخذ عليه السلام يستشير صحبه فيما يصنع: أيبقى في المدينة، أم يخرج لمقابلته؟ فأشار سلمان الفارسي بحفر خندق يمنع العدو من احتلال العاصمة (المدينة) فقبول هذا الرأي بالاستعسان والقبول، فأمر عليه السلام بعمله وشرعوا في حفره، وقد لقوا فيه أنواع التعاب، وقاسوا في حفره صنوف المصاعب، لأنهم لم يكونوا يومئذ في سعة من العيش حتى يسهل عليهم هذا العمل الشاق.

أرض صلبة ، مع قلة عدد و قليل عدد ، أضف الى هذا أن عددهم النزر البالغ ثلاثة آلاف لم يحل من منافقين قد أظهروا ما كانت تكنه صدورهم قبل ، وانسحبوا معتذرين بقولهم : « إن يوتنا عورة ، وما هي بعورة إن يريدون إلا فرار » وكذا مساكنهم من يهود بني قريظة قد بقضوا ما كانوا عاهدوا عليه لرسول و جماعة المسلمين ، وانضموا الى هاته الجيوش الجاراة .

كل هذا ومحمد صلى الله عليه وسلم باش الوجه مطلق الأسارى ، باسم التعرفوى الجنان ، ماضى المزينة متعين الارادة . ها هو ذا يوزع القوى فيرسل مسلمة بن أسلم في مائتين ، وزيد بن ثابت بن حارثة في ثلاثمائة لحراسة المدينة خوفا على النساء والذراري ، ويبت العيون ليستجلى أخبار العدو ، ويقوم بعد هذا بنقل التراب من الخندق كواحد من صحابته وهو يرتجز متمثلا بقول ابن رواحة :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلت سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بقوا علينا وإن أردوا فتنة أينا

ثم تراه بعد هذا وذلك يبشر أصحابه بالنصر والظفر ، وبعدهم الخير إن هم صدقوا الله وأخلصوا له الأعمال ، بل يرسم لهم مصور الممالك التي ستفتح عليهم وتدخل تحت حوزتهم في حديث رواه الامام أحمد والنسائي عن البراء ، قال :

لما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق ، عرضت لنا صخرة لا تأخذ منها المماول ، فاشتكين ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء فأخذ للممول فقال : بسم الله ، ثم ضرب ضربة فنشر ثلثها وقال : الله أكبر : أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحجر الساعة . ثم ضرب الثانية ففقط ثلثا آخر ، فقال : الله أكبر . أعطيت مفاتيح فارس ، وإني والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن . ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله ، ففقط بقية الحجر ، فقال : الله أكبر : أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء في مكاني الساعة . انتهى .

أين هذا النصر الذي كان ينبغي به محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ولم يكن لهم ثم أدنى أمل في السلامة من شر تلك الجوع ، فضلا عن الظفر بهم ؟ أم أين تلك للمالك العزيرة السطان التي كان يبشر أصحابه الضعفاء بأن ستفتح عليهم ، ولم يكن ساءتشد يهيا لهم قرص الشعير ساعة زلزل فيها المسلمون زلزالاً شديداً ، إذ جاءهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، وإذا زاعت الألبصار وبانفت القلوب الحناجر ، وظنوا بالله الظنون ، وقالت المنافقون : « ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » .

أجل : كل ذلك قد كان ، فقد صدق الله رسوله جميع ما فاه به وبشر .

هنا نعيم بن مسعود الأشجعي صدوق الأحزاب يعتنق الاسلام ، في حين انفض المنافقون من حول النبي والتحفوا بالمشركين خوف الخذلان ، وحرصا على الكفر والعصيان ، فهو يقوم بخدمة التخذيل والتفريق بين الأحزاب ، ويوقع بينهم الشكوك والريب ، حتى تصبح كل فرقة لا تأمن مكر الأخرى ، وكل حزب لا يأمن غدو الآخر . هذا والرسول صلى الله عليه وسلم يتنهل الى ربه الذي لا ملجأ منه إلا اليه ، ويضرع اليه داعيا بقوله : « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب : اهزم الأحزاب : اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم ! » فيستجيب الله دعاءه فيرسل عليهم في ليلة مظلمة ريحا شديدة باردة ، فكفأت لهم القدور ، وأسفت عليهم الرمال ، وداخلهم الرعب حتى بلغ من خوفهم وذعرهم أن كان رئيسهم أبو سفيان يقول لهم : ليتعرف كل منكم أخاه ، ولبيسك ييده خوفا من تدخل عدو بينكم ، ثم يحل بعيره ويؤذن بالرحيل . وبذلك أزاح الله عن نبيه والمؤمنين هذه الغمة . ثم حقق أيضا ما كان أراه سبحانه من فتح الممالك ، فقد قام خلفاؤه عليه السلام بعده مقتفين أثره في ماضى عزيمته ، مهتدين بمشكاة هدايته ، ففتحوا البلاد ، وسادوا العباد ، وساسوا بالعدل ، واستلکوا بالفضل ، حتى أصبح ملكهم مترامى لأطراف ، ودولهم سيادة الدول ، في القوة والمنعة والرفعة والعظمة ، لا ينازعها في ذلك منازع ، ولا يزاها السلطان سزاسم « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الله أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » . محمد علي شافته بجاه — سوربة

محمد أعظم عظماء العالم

من خطبة للأستاذ فارس بك الخورى

جاءت تنغرافات خاصة للجرائد المصرية صبيحة ليلة المولد النبوى نفيده أن المدن السورية كلها احتفلت تلك الليلة الكريمة احتفالاً باهراً جداً لم يسبق له مثيل ، وأن مسيحي تلك المدن شاركوا إخوانهم المسلمين في تلك الاحتفالات العظيمة . وهو زرع نحو الوحدة الاجتماعية بين أبناء بلد واحد لم يكن موجوداً في الأيام السالفة . ولستنا بصدد بيان ما يبتنى على هذه العاطفة الشريفة من النتائج الاجتماعية فنفيض في الكلام فيه ، ولكننا بسبيل الإشادة بذكر هذه المشاركة المحمودة ، والتنويه بكمالات أثرنا تدوينها في مجلة نور الاسلام ، جاءت في عرض خطبة ألقاها سعادة فارس بك الخورى أحد وزراء سوريا المسيحيين في إحدى تلك الحفلات التي أقيمت بدمشق لإحياء ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، نقلها عن جريدة المقطم الصادرة في ٢٧ يونيو سنة ١٩٣٥ تحت عنوان (وزير مسيحي يصف الشريعة الاسلامية) .

قال فارس بك الخورى من خطبة في ذلك الاحتفال :

« إن محمداً أعظم عظماء العالم ، ولم يحد الدهر بمد مثله ، والدين الذي جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية . ولم يستمع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذي دعا الناس إليها باسم الله ، وبأنها متفقة مع العلم ، مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية .

« إن محمداً الذي نحتفلون به وتكرمونه ذكراً ، أعظم عظماء الأرض سابقهم وللاحقهم ، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم ، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ ، وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها . »

كيف كان العالم قبل محمد

بقلم المستشرق جول لا بوم (١)

«لأجل أن يفهم الانسان تمام الفهم أى دعوة من الدعوات، يلزمه أولاً الايمان بحال الداعي في ذاته؛ ولأجل أن يقدر قدر دعوته يجب عليه أن يدرس الجهة البشرية التي وجهته للتأثير عليها. هذا هو الغرض من هذه النبذة الوجيزة التي خصصناها للمشترع العربي، مؤسس ما يمكن تسميته بالجامعة الاسلامية.

«حوالى ميلاد محمد في القرن السادس الميلادى كانت جو العالم متلبداً بغيوم الاضطرابات والفتن، فكان شعب (الوزينغ) الآريين في ايسانيا وفرنسا الجنوبية يحاولون الملك؛ وأما كلوفيس وأولاده الكاثوليكيون فكانوا من أجل ذلك يطلبون مساعدة امبراطور مملكة الرومان الشرقية المدعو جوستينيان، ثم أجبروا على الدخول معه في حرب جديدة تخلصها من سلطة القواد الذين جاؤهم بتلك المساعدة، فقد كانوا يزعمون أن لهم حق التناحين لا مجرد ولاء المساعدين المخلصين.

«أما في فرنسا فكان أولاد (كلوفيس) هذا متناذرين متساقكين؛ وكانت لحروب التي شبت نيرانها بين الملكة الوزينغوتية (برونهو) والملكة الفرنكية (فيريديجوند) نهى، للتاريخ أشد الصعائف إنارة للأسى والكمد.

«أما في إنجلترا فكان (الانجلو) يتنازعون (السكسونيين) الأرض التي احتلوها واستعبدوا فيها ذرية (كيمريس) وهم أقدم المغيرين على تلك الجزيرة التي تنطلق اليوم

(١) الاستاذ جول لا بوم واضح مرسى مطول للقرآن الكريم. وقد وضع هذا البحث في صدر كتبه.

رأينا أن نشره هالاه يمثل رأى العلم فيما كان عليه العالم قبل ستة لثني ملى الله عليه وسلم، وفيه دليل على ما كانت الحاجة ماسة إليه من دعوة طلبة للاصلاح الاجتماعى وهى ما قام به خام المرسلين وحدث بسببها ما حدث من الانقلابات العظيمة بين الامم كافة وتوجهت بسببها الى وجهة تشرق التي ستؤديها منى الى الندية الفاضلة.

للوقوف في مقدمة الأمم علما وصناعة وقوة ، وهي التي كانت في ذلك الوقت مجالا للغة الوحشية السائدة في تلك النياهب الخالكة .

« أما في إيطاليا فكان اسم (الرومان) وهو ذلك الاسم الشائع قد فقد خطورته القديمة ، وكانت رومه ، وهي الشظية الأخيرة أو رأس ذلك التمثال الكبير المتشتم ، « بمعنى عمكة الرومان » في حالة تملأها من استحالة أمرها الى مركز ديني بسيط ، رنج وتضطرب كلما ألم بها طائف من ذكرى عظمتها القديمة أيام كانت مركزاً دينياً أصلياً . وكانت تهيئ نفسها لأن تكون مركزاً للبابوية ، وهي تلك السلطة الزمنية ، كما اقتضت سياسة (شارلمان) أن تجعلها كذلك بعد فرين من الزمان . ولكنها بعد ذلك لم يسعها حمل نير (الهيروبين) و (الأوستروغوتيين) وبطاطرة الملكة الرومانية (اللومباردين) الذين تداولوا السلطة عليها تداولاً .

« أما مملكة اليونان التي كانت قد نسبت جدها القديم ، فكانت تابعة لمملكة الرومان الشرقية ، مثلها منها كمثل الرينة ذات الضوضاء ، وكان شرق أوروبا مقلداً جنوبها من أول مصاب نهر (الران) من جهة الغرب لغاية مصاب نهر (الدانوب) من جهة الشرق ، فكان (الاسكندريانيون) و (النورفيجيون) و (الهاندياريون) يتزاحمون في الطريق الذي سلكه (الجوتيون) و (الهويون) الذين احتلوا (تارس) و (مقدونيا) و (لومبارديا) و (إيطاليا) سواء بالقوة أو بالخديعة .

« في ذلك الوقت بدأ ظهور الأتراك من أعماق آسيا الصغرى ، وهي تلك الأمة التي قصرت فيما بعد مملكة ليونان على أسوار القسطنطينية . و التصوير البديع الذي جادت به قريحة لسيو (رينان) لبيان مركز الأباطورية الرومانية في القرن الأول من التاريخ المسيحي لا علاقة له البتة بالتصوير الممكن عمله لتحلية حال أوروبا في القرن السادس تلك كانت مفاسد قيصيرية مختمة ، أما هذه قوحشية حربية تلعب بالأرواح وتتمرغ في الأوحال .

« أما آسيا فلم تكن أهذا بالاً من أوروبا في شيء ، فملكة « تيمت » و « الهنند » التي قُتبت منها الأمم السائدة في أوروبا الآن قرأتها وأفكرها العامة ولغاتنا ، والصين التي تعد مسائلها أغرب المسائل السياسية والفلسفية ، وبمباراة أخصر أغرب المسائل الاجتماعية ، كانت هذه الممالك كلها متمزقة الأحشاء بالحروب الداخلية والخارجية المتضاعفة بالمنازعات الدينية .

« أما السفح الشمالي من الهضبة الآسيوية العالية التي في حوزة روسيا الآن ، فكان غير معروف على الإطلاق . وأما مملكة الفرس التي كانت أحوالها مرتبطة بأحوال العرب خصوصاً من لدن تجريدة الإسكندر المقدوني ، فكانت مشتبكة في حروب مع اليونان ورومانين في القسطنطينية الذين كانوا أصحاب السلطة على آسيا الغربية . وأما في أفريقيا فكان هؤلاء اليونان الرومانيون أنفسهم ، وهم أخلاط من عساكر وتجار وحكام بموعون من آفاق مختلفة ، دائمين على متمصاص دم مصر ، وعاملين على جعلها ، وهي المملكة العلية ذات لجد القديم ، كالجثة المصهرة عديمة الحس والحراك . وكان هذا شأنهم أيضاً في الأقاليم الخصبية وقتئذ ، الواقعة في الجهات الشمالية من أفريقيا التي اقترعوها من أبدي « للمندالين » .

« واخلاصة : كان جو العالم لا يرضى متلبداً بسبب الاضطرابات الوحشية في كل جهة ، وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير .

« وكان أجمع الرؤساء للثقة والطاعة أشدهم صيحة في إيصال نيران الحروب والمعارك ، ولم يكن يأخذ بمواطف ولا يؤثر عليها تأثيراً حاداً وإن كان وقتياً إلا شيء واحد ، وهو الغنيمة وسلب الأمم والشعوب والمدائن والأعيان ورجال الحرب وفقراء الحرائين وبسطاء المتسولين . ولولا شمع ضئيل من الحكمة كان يتألق في بعض صوامع الكهنة ، وبعض الجرائم الفلسفية التي كانت بمعزل عن أعاصير تلك المشاغبات وانتقلت من روح إلى روح أخرى بواسطة بعض أصحاب الجسارة من رسل الترقى في المستقبل ،

لكانت البربرية أسرع في خطاها مقودة بنطرس زعماء الهيمنية ، واستعالت الى وحشية محضة .

« مع هذا كله كان هنالك ركن من أركان الأرض لم يصبه لفحة من هذه الحركة ، ولكن لم يكن ذلك لحكمة أهله ورجاحة عقولهم ، بل بسبب موقعهم الجغرافي البعيد عن مضطرب الأمم التي كان يقال إنها متمدنة : ذلك الركن هو شبه جزيرة العرب التي ما كانت تسمع انفجار أعاصير تلك الفتن الهائلة في أوروبا إلا عن بعد ، وما كان يصلها ذلك اللفظ إلا في غاية الضعف والضوالة ، وكانت تجهل وجود الهند والصين ، فإن علاقاتها مع آسيا لم تكن تتعدى حدود بلاد الفرس ، ولم تعرف لديها الفرس إلا بواسطة أخبار الانتصارات أو الهزائم التي كان من ورائها رد بعض الوديان العربية القريبة من روسيا الى تبعية أمبراطرة القسطنطينية تبعية اسمية ، أودع نير تلك التبعية الاسمية عنها

« على أن ذلك الوادي الأخير كان بهم بلاد العرب جداً ، لأن أنشاءها كانوا يذهبون إليه للتجارة ، وكان لها فيه أبناء استعمروا الشاطئ الغربي من نهر الفرات ، وصعدوا رويداً رويداً الى بحر قزوين . ومما يشبه السائير الدينية أنها بقيت منفصلة عن القطر المصري الذي أغار على جنوبه العرب الرعاة ، ولم ينجلوا عنه تماماً إلا بعد أن انجلى عنه بعض إخوانه المتأخرين ، وهم الإسرائيليون تحت قيادة موسى (عليه السلام) حينما استرد المصريون السلطة وعاملوهم معاملة البهائم .

« أما المملكة الوحيدة التي كان بينها وبين العرب صلة أو علاقة ، فهي بلاد الحبشة ، أما الجهة الشمالية من أفريقيا التي أغاروا عليها مرتين ، والتي كانت بجانبهم نقطة النزاع بين الرومانيين والقرطاجنيين وبين يوزان القسطنطينية والفنداليين ، فكانوا لا يحملون بوجودها »

ثم قال : قال السيوطي (كوسان دوير سوفال) في كتاب تاريخ العرب :

« إن المتحضرين من عرب البحرين والعراق كانوا خاضعين للفارسيين ، أما المتبدون منهم فكانوا في الحقيقة أحرارا لا سلطة عليهم ؛ وكان عرب سوريا دائنين للرومان . أما قبائل بلاد العرب الوسطى والحجاز الذين ساد عليهم التبابعة وحم ملوك بني حمرسيادة وقتية ، فكانت تعتبر أنها تحت سيادة ملوك الفرس ، ولكنها في الحقيقة كانت متمتعة بالاستقلال التام الذي لا غبار عليه . »

ثم قال (جولدباوم) : « ولم يكن العرب أحسن استعدادا من غيرهم لقبول أي دين من الأديان . قال المسيو (دوزي) في كتابه (تاريخ عرب إسبانيا) : كان يوجد على عهد محمد (صلى الله عليه وسلم) في بلاد العرب ثلاث ديانات : الموسوية ، والعيسوية ، والوثنية ، فكان اليهود من بين أتباع هذه الأديان أشد الناس تمسكا بدينهم ، وأكثرهم حقدًا على مخالفي ملتهم . ثم يتدرأ أن تصادف اضطهادات دينية في تاريخ العرب الأقدمين ، ولكن ما وجد فنسب إلى اليهود وحدهم . أما النصرانية فلم يكن لها أتباع كثيرون . وكان التذهبون بها لا يعرفونها إلا معرفة سطحية . وكانت هذه الديانات تحتوي على كثير من الخورق والأسرار بحيث يمز أن تسود على شعب حتى كثير الاستهزاء . » أما الوثنيون الذين كانوا هم السواد الأعظم من الأمة ، والذين كان لكل قبيلة بل أسرة منهم آلهة خاصة ، والذين كانوا يصدقون بوجود الله تعالى ويعتبرون تلك الآلهة شفعا لديه ، فقد كانوا يحترمون كهانهم وصنماهم بعض الاحترام ، ولكنهم مع ذلك كانوا يقتلون الكهان متى لم تحقق أخبارهم بالمغيبات ، أو لوعولوا على فضحهم عند الأصنام إن قربوا لها طيبة بعد أن نذروا لها نعمة . وكان من العرب من كان يعبد الكواكب وخصوصا الشمس : فكانعان كانت تدين للقمم والديران ، وبنو ظم وجرم كانوا يسجدون للمشتري ، وكان الأطفال من بني عفر يدينون لعطارد ، وبنو طي بدعون سهيلا . وكان بنو قيس عيلان يتوجهون للشعري اليمانية . وكان عليهم بما وراء الطبيعة على نسبة أفسكارم الدينية .

قال « كوسان دورسوفال » في كتابه تاريخ العرب :

« كان منهم من يعتقد بفناء الانسان إذا رحل من هذا العالم، ومنهم من كان يعتقد بالشور في حياة بعد هذه الحياة، فكان هؤلاء، إذا مات أحد أقرانهم يذبحون على قبره ناقة أو يربطونها ثم يدعونها تموت جوعاً معتقدين أن الروح لما تنفصل من الجسد تشكل بهيئة طير يسونه الهامة أو الصدى، وهي نوع من البوم لا تبرح طير بجانب قبر الميت، نائحة ساجعة، تأتيه بأخبار أولاده، فإذا كان الفقيد قتيلاً تصبح صدام قاتلة: اسقوني، ولا تزال تردد هذه اللفظة حتى ينتقم به أهله من قاتله بسفك دمه .

« وكانت طبائع العرب وأخلاقهم لا تدل الناظر إليها إلا على أنهم شعب لم يكادوا يجوزون لعقبة الأولى من عقبات الاجتماع لو لم تكن الأسرة عندئذ بل القبيلة أيضاً، وهي تهتة تلفت النظر، تهتم اهتماماً عظيماً بحفظ سلسلة نسبها، ولو لم يكن، وهو أمر أغرب من سابقه، إدراكهم للقوانين وسعة لغتهم من جهة أخرى داعياً إلى الالتفات بنوع أخص »

ثم قال مباشرة : « قال المؤلف المحقق الذي اقتبسنا منه أكثر هذه التفصيلات للتقدمة :

« كان العرب مغرمين بشرب الراح . ويوجد من الشعر ما يدل على أنهم كانوا يفرحون ويعجبون به وبلمب الميسر . وكانت من عوائدهم أن الرجل إن تزوج من النساء بقدر ما تسمح له به وسائله المعيشية، كان له أن يطلقهن متى شا. هو، وكانت الأرملة تعتبر من ضمن ميراث زوجها . ومن هنا نشأت تلك الارتباطات الزوجية بين أولاد الزوج ونساء الأب، وقد حرم ذلك الاسلام وعده زواجا ممقوتا .

« وكان هناك عادة أظن من كل ماسر وأشد معارضة للطبيعة، وهي وأد الأهل لبناتهم « أى دفنهم أحياء »

« هذا كله لا يشير الى أن العرب لم يكن فيهم أى جرثومة خلقية صالحة يمكن تقويمها وتهذيبها ، فقد كانوا يحبون الحرية حيا حيا ، ويمارسون فعائل الكرم وبذل القرى .
 « الأفراد الذين كانوا تابعين لأم أدق من الأمة العربية ، والذين كانوا مبعثرين هنا وهناك من جزيرة العرب ، كانوا قليلي العدد جدا ، ولا يظهر أنهم كلفوا أنفسهم بوضيفة الدعوة الى ملاهم . فاليهود الذين كانوا متشبعين بالأثرة الشمية على مثال الصينيين والليانيين والصريين ، لا يرى منهم لليوم خاصة التأثير على غيرهم إلا بالخضوع لقوانين الأمة التي يشتغلون تحت ظل حمايتها بالأمور المالية . ولتى شوهد أنهم أدخلوا الى ملتهم بعض العرب فلم يكن ذلك إلا نتيجة بسيطة لا شترأكم في الأساطير التاريخية ، وهو اشتراك يدل على قرابة بين الأمتين ، تلك القرابة يستدل عليها أيضا تساويهم في حب الكسب ، وقآزوم في الاستعداد لعدم الأنفة من سلوك أى طريق من الحيل والكر لنيل مال أو حطام . ولا ينتظر أن يكون من نتيجة الاجتماع بهذه الاعتبارات أدنى ترق أدبى :

« أما المسيحيون فكانوا يقدون شيئا فشيئا الى بلاد العرب هربا من الاضطهادات الدينية التي كانت في مملكة الرومانيين . ولكن لم يكن في حالهم نور يلفت البصر نآلقه ، وفي حالة مسيحي الحبشة اليوم نموذج منه ، فإنه لا يمكن أن يتحلى الانسان بمدركات العقائد السامية من دين بمجرد التسليم بنص تلك العقائد .

« في عهد هذه الأحوال الحالكة ، وفي وسط هذا الجبل الشديد الوطأة ، ولد محمد ابن عبد الله في ٢٩ أغسطس سنة ٥٧٠ م »

ترجمه عن الفرنسية

محمد فريد رجبى

لو وضعوا الشمس في يميني

للأم الحية الناهضة ولوع بتتبع نواحي العظمة في آحاديها، لتكتسب من جلائل
أعمالهم روحاً وثبة تدفع بها إلى أوج الكمال، ودروة الرقي .

تلك هي حال الأم مع غير المعصومين من أبنائها، فكيف بنا إذا وقفنا أمام جلال
المعصمة والوحي في الأنبياء والمرسلين ، وخاصة أمام خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم .
لئن أمكن أن يحيد الباحث في بعض المتنازين شجاعة الفارس ، وبذل الكريم ،
وعطف الرحيم ، وخلق الفاضل ، وعدل النصف ، فكيف يمكنه أن يحيد جميع صفات
الكمال مجتمعة في رجل واحد ، أحاطت عظمتة بحملة الفضائل وكرام الخصال ؟

هذه حال خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، ولا بد في بيانها من ذكر الأمثال
لكشف بعض الجوانب التي ظهر فيها محمد المثل الأعلى ، والقُدوة الصالحة :

ولد محمد صلى الله عليه وسلم في الليلة الثانية عشرة من ربيع الأول ، لعشرين خلت
من شهر إبريل عام إحدى وسبعين وخمسة مئة من الميلاد . وتزوجت به الأيام حتى أشرقت
به الدنيا بعد أن طوى أبوه في جوف الثرى ، ولم يلبث إلا قليلاً حتى فقد والدته ، فاحتضنه
جده عبد المطلب ثم عمه أبو طالب ، وهكذا مرت به الأيام حتى جاءت الرسالة على رأس
الأربعين ، بعد أن تضج عقله ، ووسع الناس فضله وعلمه وأمانته ، فدعا الناس جهرًا إلى
عبادة الله بعد أن دعاهم سراً مدة ثلاث سنين ، فاتبعه من أنار الله بصائرهم . ولم يزل دائبًا
على نشر دينه لا يحفل بالأهوال حتى خنقت عليه قریش ، وأكل التقيظ أكبادها ،
فذهبت على هيئة مظاهرة حرية مروعة إلى عمه أبي طالب تطلب منه في غير هوادة
أن يكف ابن أخيه عن دعونه أو يسلمه إليهم ليشولوا منعه ، فما كان من أبي طالب إلا أن
عرض الأمر على ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فأجابته بكلمة دوت في فم الدنيا

ولا تزال ندوى الى اليوم، فقال: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته».

إذا ذهبنا لنتمس مكانة محمد صلى الله عليه وسلم في خبرته بشئون الحرب، ودرايته بقواعد المنازلة، واستحوازه على أساليب السياسة، وجدنا منه قائدا حائفة النصر والغفر، واستطاع أن يضم الى هذه الصفات صبرا لا ينفد، وعزيمة لا تسكل، وعارضة لا تضعف. وإن موقفه في غزوة أحد لا صدق برهان على تلك البطولة الفذة النادرة. فلم تكن هذه الغزوة إلا امتحانا قاسيا خرج منه المسلمون بعظة بالغة، شقت لهم طريقا يهتدون به في كل عقبة تقف في سبيل الدعوة الاسلامية، وأردتهم كيف يكون الندم عند مخالفة الجيش لأمر قائده.

كيف ينسى التاريخ موقف محمد صلى الله عليه وسلم حين جرح في وجهه، وكسرت رابيته اليمنى، وشقت شفته، وقذفت عليه الحجارة حتى وقع في حفرة حفرها المشركون فأخذ على يديه، ونشبت حلقتان من المغفر الذي يستر به وجهه في وجنته، وأحرق الخطر به وبأصحابه، وإذا به ينسل الدم عن وجهه، ولا ينسى القيام بشعائر دعوته، ويستقر على صخرة من الجبل فيصلي بالموثمين، مشعرا لهم بأن أمر الهزيمة لم يثن من عزمه، ولم يلوه عن الخطئة التي رسمها لنفسه، مستهينا بالموب إن وقف حائلا دون غايته.

من ذا الذي لا يعجب من موقفه أمام عدوه أبي سفيان إذ صمد الجبل بعد هزيمة المسلمين في تلك الغزوة وأطل على الرسول وصحبه مناديا لهم: «الحرب سجال، يوم أحد ييدر» وانصرف وهو يقول: «موعدكم بدر العام القابل» فقال محمد صلى الله عليه وسلم: «قولوا له: هو بيننا وبينكم». وقد استطاع النبي صلى الله عليه وسلم مع شدة الهزيمة أن يوقظ روح الحماس في جيشه المتفرق، حتى لا يمكن العدو من الفضة عليه، وسجل النصر في تلك الغزوة لكفار قريش، كما سجل النصر في غزوة بدر للمسلمين قبل ذلك. وتتابع الغزوة بين الفريقين الى أن جاء فتح مكة، وأصبحت حية كفار قريش

وموتهم معلقة بكلمة واحدة يخرجها الرسول صلى الله عليه وسلم من بين شفتيه . لكن محمداً صلى الله عليه وسلم استطاع بروحه السامية أن يترك الانتقام والحقد في تلك اللحظة ، ويرتفع بالطبع البشري الى درجته العليا ، فقرأه يقول لقريش الذين ناصبوه العداء وأذاقوه كأس المشقة هو وأصحابه من يوم بعثه ، وقد أصبحوا اليوم في قبضة يده يحدد مصيرهم كيف شاء : « يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم » : فقال لهم . « اذهبوا ما أنتم الطلقاء » :

أي نفس بشرية نستطيع أن نتحكم عواطفها ، ونكظم غيظها ، ونذفن غلها ، ونقف من عدوها الضعيف المنهزم المغلوب على أمره هذا الموقف الذي يدل على منتهى الرأفة والرحمة ، إلا نفس محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وأي فاتح مقتصر يظفر بعدوه فيمنحه العفو التام عند القدرة على الانتقام منه ؟

إن من أهم العوامل في حفظ الأتزان الاجتماعي تحديد الرابطة بين الأفراد ، وتمييز الحقوق التي لبعض الأشخاص على الآخرين ، ومعرفة أداء الواجب الإنساني نحو الأمة لتعيش متحضرة بمجهرودات أعضائها العاملة يضع كل فرد منها لبنة في بناء صرح الحياة العامة . من أجل هذه الغاية النبيلة وضعت القوانين وسنت الشرائع . وما شريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلا العزة اللامعة في جبين الشرائع السماوية والوضعية ، فقد أمدته العناية الإلهية بدستور لا تخلق على توالي الأيام جدته ، ولا يأتته أباطل من بين يديه ولا من خلفه . وجمع الى جانب هذا الكتاب المحكم ستة بيئت ما فيه من إجمال ، وخصصت ما فيه من عموم ، الى غير ذلك . وقد ضم الى هذين الأصلين في التشريع الاسلامي أصلاً جليلاً : الإجماع والقياس . وبهذه الأصول التشريعية سجل الخلود لهذه الملة السمحة ، واستطاعت سن أحكام ملائمة لمن انضم تحت نواها طوال الحقب للماضية ، حتى لم يكن هناك عدوان لبعض الطبقات على بعض . بل استطاعت فوق هذا أن تحدد علاقات الأمة الاسلامية مع غيرها من الأمم على ضرب من التسامح ما سمعت إذن الدهر به في الأجيال السالفة ولن نسمع من الأمم الحديثة .

أى أمة في القرن العشرين نعطى الأجنبي من الحقوق مثل رعاياها إلا الأمة الإسلامية التي جعلت للذي من الحقوق مثل ما للمسلم، وحفظت نفسه وماله وأعطته حرية التصرف ؟ أى شرعة حرية عرفها البشر منذ وجوده احتفظت للضعيف بالرحمة والرفقة في الساعات العصيبة : ساعات القتال ، وتطاعن الفرسان ، وصلصلة الصوادم ، حتى نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل المرأة والصبي والمهرم ولائحى والمريض ؟ أين هذه الحقوق اليوم إذ تغلبت المادية ، حتى استباح القوي أن يسلب الضعيف حرية الوجود ، تاركاً وراءه الواجبات الانسانية ، غير مكترث بأئين المحتاج الذي عضه الدهر نابه ، يسعى جهده في أن يمتص دمه ، ويسلب عقله ، ويسخره كيف شاء ، ليحصل على إشباع شهوته وإرضاء ميوله ؟

ولئن ذهبنا لمررد الصفات الخلقية الفاضلة : من أمانة وعفة ، ومروءة ووفاء ، وحياه ونواضع ، ورحمة وصبر ، الى غير ذلك ، لوجدنا محمداً صلى الله عليه وسلم قد تحلى بها وجمع كرائعها ، إذ يقول الله تبارك وتعالى في خطابه له صلى الله عليه وسلم : « وإنك لى خلق عظيم » . ولقد حثنا القراء ان الكريم على الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

م بهمل محمد صلى الله عليه وسلم فى تعامله ناحية من نواحي التكوين الانسانى على وجه يأخذ بيد الانسانية لتعيش متمعة بسعادة حقة ورفاهية كاملة إلا أنى بها ، فقد طلب من الانسان قلباً عامراً بالإيمان ، وخلقاً سامياً يحى صاحبه من الانغماس فى حمأة الرذيلة ، وحد له حدوداً ، ووضع له قوانين أمر بالسير عليها حتى يحفظ حق غيره وحق ربه ، وتعاليم ما عملت بها أمة ، وخصالاً ما تحلى آحاد بها ، إلا نبوات أسمى مكانة بين الأمم ، ونالت سلطاناً عالياً ، ورفرف عليها علم العدل ، وبسقت فى ترنها شجرة العزة « والله العزة ورسوله ولعز منين » .

عبد الله مصطفى محمد
متخصص فى الشريعة

محمد رسول الله

منقذ الإنسانية وناشر السلام في الأرض

التاريخ أثبت الثقة بمحدثنا عن العالم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم أن الموضى والذيلة قد اكتسحنا من أنظاره العظمى نينة ومكارم الأخلاق ، فززل السلام زلزالا عظيما ، واضطرب جبل الأمن ، وشاع في الناس المنكر والبني .

حدثهم آيتها الحرب المستعرة بين القبائل في البوادي ، وبين الملوك والشعوب في أقطار المدنية عن توافه الأسباب وصغار العلل التي كنت من أجلها جعيا وعذابا أليما . حدثهم آيتها المودودة عن أيبك الظالم العاق ، حين أبدى عن ذراعه وكشف من ساقه ، وتحمر قلبه ، فاحتفر لك بعزيمة فولاذية قبرا ، وأنت له ناطرة ، لا تدرين أنه بك غادر ، ولقد ساءك وجهه يتصيب عرقا فكنت تمسحينه ، وثوبه امتلا غبارا فكنت تنفضينه ، حتى إذا شق لك أخذودا أسلمك فيه الى الموت الأحمر ، بعد أن كنت تنعمين بالعيش الأخضر !

حدثهم يا بنت الحان ماذا صنعت بالعقول ، فأكسبت الأوزار ، وأفسدت الأخلاق ، وأضعت لأموال ، وأثرت الحروب ، وهتكت الأعراض ، وجلبت الأوصاب والأمراض .

حدثهم آيتها الإياحة السافرة ، ولشيوخية الفاجرة ، عما مزقت من جماعات . ثم حدثهم آيتها المواخير العلنية ، عما كان بين جدرانك وفوق أرضك من فاحشة ، وفضيحة وعار .

حدثهم آيتها الخشونة في الطباع عن حكاك التي أفسدت مزاج عيشهم ، حتى زجت بهم في نار تلظى من التناكر والتنازع والعيش المرير .

في غلس تلك الآتام الجسم، وبين هذه المدطبات العظام، بزغت شمس في جزيرة العرب، من أفق العلا ورقيع الحسب، فأضأت أشعتها الخافقين .
 أجل: ولد المصطفى الهادي لدى نقطة الصباح في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول .
 وما أجل هذا الفأل الباسم، أن يشق لرسول صلى الله عليه وسلم غياهب الدجى، فيخرج منها في بياض الإصباح .
 مائة البتم :

توفى والده عبد الله، وانقطعت من عبد المطلب أبيه حبال الرجاء فيه، فاستقبل من ورائه ألما ممضا أسال الشئون وأثار الشجون، ورجعت آمنة أمه وأخلصت لربها التسليم .

وضعت آمنة وليدها يثيما، وأرضعته أياما معدودات، وأخذت نساء بني سعد يَطْوَن بِحِكْمَةٍ ملتزمات فيها الرضعا، في سنة مجذبة شهباء، وكن معنيات بالمال والثراء، وما منهن واحدة إلا عرض عليها اليتيم فصدعن عنه يثمه، أما حليلة السعدية ذات الأثان المرجاء، والثاقفة المسنة فقالت: « والله ما يق من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعا غيري، فلم أجد غيره قلت لزوجي: « والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ليس معي رضيع، لا نطلقن إلى ذلك اليتيم فلا نخذه،

رضيتها أمه ظئرا، فأصرّت يدها برفق على صدر الرضيع النائم، ووجهه الجميل يشع بمننا ونورا، فأعطته نديها الأيمن الذي لم يرضع من سواه، فروى وروى أخوه من بعده، ثم احتملته إلى مستقرها قرية العين .

رأى بحقه الرماء .

كان قد أصاب البيت العتيق سبل جارف، فخلله وصدعه، فرأت قريش هدمه وإعادة ريفها مستوقفا، والتجديد يقتضى استئصال البناء البلى، فن يطبق هدمه، ومن تستطيع يده تسليط العول عليه ؟

في هذا الموقف الرهيب تقدم الوليد بن المغيرة متكففا المرأة ، وأعمل فيه مموله قائلا : « إن الله لا يهلك الصالحين » . فقدموه وهدموا حتى وصلوا إلى أساس إسماعيل . وتولى حمل الأحجار للبناء أشرف قریش تيمنا وبركا ، وكان فيهم العباس ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وسنه إذ ذاك خمس وثلاثون سنة .

ضافت النفقة عن إنعامه على قواعد إبراهيم ، فأخرجوا الحجر وبدوا عليه جداوا فصيرا ، ولما أتموا في بناء ثمانية عشر ذراعا بزيادة سبعة أذرع عن أصله ، أرادوا وضع الحجر الأسود موضعه ، فاختلف أشرافهم فيمن يضعه ، وأصبح بعضهم لبعض خصما ، ومكثوا على الجفاء أربع ليل ، فقال أبو أمية المخزومي عم خالد بن الوليد ، وكان أسن رجل في قریش : احقنوا دماءكم ، وتحاكموا إلى من يعيد السيوف في أغمادها ، فرضوا حاكما أول داخل من باب بني شيبه ، فكان لحسن حفظهم سيد العقلاء محمد صلى الله عليه وسلم أول من أرسلته العناية ليحكم بينهم .

فبسط رداءه الشريف ، ووضع يده الكريمة فيه الحجر ، ودعا مثل كل نخذ من قریش أن يأخذ منه بطرف ، فرفعوه حتى انتهوا إلى موضعه ، فأخذ الرسول ووضعه فيه . وذلك هدأت الثائرة بكياسة الأمين ، صلى الله عليه وسلم .

الرسالة :

لما بلغ صلى الله عليه وسلم الأربعين ، وأكمل فيه المبقرية الفطرية والهبات النبوية ، أوحى إليه عن طريق الناموس جبريل أن كن أستاذ العالم ومربي الفضائل فيه ، كن مصلح ما فيه من خلل ومعالج ما فيه من خلل ، كن رسول الله وخاتم النبيين . حدثني بأبيك عن خطورة تلك المهمة التي ندب الله رسوله إليها : أمطيتها ذلول وطريقها مأمونة ٢

لا والله إنها المهمة إذا تجملت للجبل جعلته دكا ، ناهيك أنها مهمة تغيير الأوضاع السقيمة التي تواضع الناس عليها ، وأصبحت منهم عقائد راسخة من مشارق الأرض ومغاربها .

نهض الرسول بأعباء الدعوة مستعيناً بقوة الله تعالى ، مستهيناً بما يعرض له من الصعاب والأهوال ، وكان أمام تمرده أمته عليه كالطود الأشم : لا ترعزعه العواصف ، ولا تهزه الرياح القواصف .

المرة ثابرة :

أندرى بم قابل القرشيون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مع ما اشتهر به فيهم من الصدق والأمانة ، والحكمة والاستقامة ؟ قابلوها بالكذب والإهانة ، وبالتهامه بالسحر والشعر ، وبالعتة والجنون .

جميل أنت تطوف في مروضاء الشك وجلبته شهادة الحق ، وجميل أن يحترق ديجور التكذيب اعترافاً لله لا أعداء بالفضل .

حميد أن يقول النضر بن الحرث العبدي أخبث أعداء لرسول : « قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، رضاكم فيكم ، وصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم ، قلم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر » :
المحنة :

بدأ رسول الله بدعوته سر ، فاستجاب له خديجة زوجها ، وأولى ابن عمه ، وأبو بكر صديقه ، ورجال آخرون .

ولما أربى العدد على الثلاثين ، ونزل عليه صلى الله عليه وسلم « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » جهر بالدعوة ، فلقى هو والمسلمون في سبيل الله أذى كثيراً . أجل : لقد ابتلى الله رسوله والمؤمنين بالشدائد والبلايا يصبها عليهم أعداؤهم صبا ، وهم على الأذى صابرون ، وبحكم الله راضون ، ولنصره تعالى منتظرون .

لنذكر نموذجاً مصغراً للنوع من أنواع التمهيد :

فهذا خباب بن الارت : سبي في الجاهلية فاشترته أم أنمار وكان حدادا ، ولم دعاه النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لدعوته ، فكانت مولاه تحمى الحديد فتجعلها على

ظهره ليكفر، فلا يزيد ذلك إلا إيماناً، وجاء خباب مرة والرسول متوسد بردة في ظل الكعبة فقال: يا رسول الله: ألا تدعوا الله لنا؟ فقعده عليه السلام محمراً وجهه وقال: «إنه كان من قبلكم ليمسك أحدكم بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب، ويوضع لمشار على فرق رأس أحدكم فيشق، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه».

قال ذلك وهو من قلة عدد المؤمنين بحيث رأيت، فانظر كيف حقق الله نبوءة رسوله صلى الله عليه وسلم.

النصر:

لما أصيبت عقول الفرشيين بالعمى، فرض الله على رسوله والمؤمنين الهجرة إلى المدينة، وهنالك صادفت الدعوة قلوباً واعية، وعقولاً صافية، حيث لا حسد يضعف اليقين، وبحول دون الخير، ومن هذه البقعة المباركة دُفِرَ لواء النصر على رؤوس المؤمنين، وانتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها «ولله العزة ولرسوله والمؤمنين».

مصطفى محمد الحديدي الطير
المدرس بالمعهد الأزهرى

من كلامه

صلى الله عليه وسلم

من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. نعم الرجل القعبه في الدين: إن احتجج إليه قعب، وإن استغنى عنه أغنى قعبه.

لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا. لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تُدَابِرُوا، وكونوا عباد الله إخواناً.

ما نقصت صدقه من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

ذكرى محمد بن عبد الله

صلى الله عليه وسلم

منذ أربعة عشر قرناً استقيت الحياة في بطن الجزيرة العربية مولوداً تبسم ميلاده
للدنيا عن نور باهر الأشرار، جذاب الالتعاف، وأفرَّ وجوده عن هداية ستمحة أو ضحت
للإنسانية سبيل الفرار من الممالك، والنجاة من الشرور، والبعد عن ظلم النفس وإلحاح
الهوى، وطينان الوسوس.

ذاك نور الله أرسله إلى الناس كافة، وهذه هدايته حياهم بها رحمة ونعمة. فاعرفت
البشرية في أدوار حياتها وتاريخ وجودها أسطق من ذلك النور التما، ولا خبرت
أقدس روحانية وأبلغ تأثيراً من هذه الهداية الجديدة.

ولد محمد صلى الله عليه وسلم، فتداولته في الكفالة أيدي عبد المطلب وأبي طالب،
وكان تأديب الله له وتحصينه إياه سبباً في نفاذه من الوثنية وأنعته من الشرك، واجتنابه
لنقائص القوم وما تشقى بين ظهوراتهم من اخلق العوج والآداب الزائغ. وظل محمد
يتنقل في فضائل نفسه وخلقه من حسن إلى أحسن، حتى استعدت مواهبه، ونهيات
عقليته، ونضج تكوينه للرسالة الجديدة، وهو في سن الأربعين.

تنخبط من تاريخ الزمن أربعين عاماً، ونطوى ساطعاً بما عليه من آداب وفضائل
تنقطع دونها الهمم، وتقف أمامها المقبول معجبة مكبرة، تترك ذلك كله لتقبل
إلى دعوة محمد صلوات الله عليه، فنتناول الكلام عليها من أطرافها وحواشيه، رعاية
للقام، وحثاً للنفوس وحفاً للهمم على الإكباب على سيرة الرسول وحياته الرسول
وجهاد الرسول، فهي غذاء العقل، وروى العاطفة، ونماء الوجدان.

بمست محمد صلى الله عليه وسلم والآخلاق في فساد وتدهور، والآداب الاجتماعية
والفردية في تحلل وتفكك، وقلوب العالمين في ظلمة واستغلاق. ران عليها الشرك،

ودنست طهارتها الوثنية ، وقادتها الشهوات الى مهاوى الاثم وصرادى الفجور والافتضاع . فاذا نور بصرح الظلام في غير قنور ، وهداية تبتد الضلالة في غير هداية . وهذا رشاد يعمر جنات جماعة الانسانية ، ويسطو على ما بها من غواية وضلال .

صدع النبي بأمر ربه وأنذر عشيرته لأقربين ، فتطابت اليه من الأقربين والأبدين نيران الأحقاد والإنكار ، وتوجهت صوبه سهام العدوان والأذى ، من أمس تأبت نفوسهم على الانقياد ، واستعصت قلوبهم على الهداية . ثم قام في الناس جميعا جاهرا بدعوته مبشرا برسالته ، فكانت الحرب بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر وبين الايمان والكفر . ولم ترع نفس محمد وم ترهب ، ولكنه ظل يكافح الظلم ويجهد ما تنضح به نفوس الناس من حسد دفين وعصية نوكا جاهلية ، حاهرا بلسان النبوة البرة لرحمة : اللهم اغفر لقوى فإنهم لا يعلمون .

ولم يكن يريد لأولئك الذين آذوه وضافوا به وأخذوا عليه السبل ، إلا أن يفتحوا عيونهم للنور ، ويرهموا آذانهم للسمع ، ويوجهوا قلوبهم للرشد ، ليرفعوا إنسانيتهم من حضيضها ، ويسمو بنفوسهم عن زفاتها . ولكنهم كانوا بين رجل طبعته نفسه على الاستسلام والجمود على ما درج عليه الآباء والجدود ، ورجل عرف الحق وأبت عليه الحمية المستشرية والحسد الوضيع أن يؤمن .

وإذا شئنا أن نقس مظاهر الكبرياء والحسد وما جرت به من تبييت ومكائد فلتنمّس ذلك في قولهم : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » .

وهذا أمية بن أبي الصلت : يوفن أن نبوة جديدة قد أغل زمانها ، فكان يترقبها لنفسه . فلما أن ظهرت النبوة وتحققت لرسالة لغيره كان أول لجاحدين حنقا وغيظا وهذا عامر بن الطفيل : يفد على النبي هو وأريد بن قيس ، وقد قال له قومه : إن الناس قد أسلوا فأسلم . فقال لهم : إن الناس يدينونني بالسيادة ويممونني على الخضوع

أفأُتبع عقب هذا الفتى من فريش؟ ثم قال لأريد: إذا قدمنا على هذا الرجل فإني شاغل منك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف. فلما قدما على النبي صلى الله عليه وسلم جعل عامر يكلمه وينتظر من أريد ما كان أمره به، فلم يف بما أَرادَه عليه. فلما آنس عامر جمود أريد، قال للنبي: أتجمل لي نصف نمار المدينة وتجعلني ولي الأمر بعدك فأسلم؟ فقال له رسول الله: ليس هذا لك ولا لقومك. فانصرف عامر وهو يقول: أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجلا.

إزاء هذا التهديد الذي أعقب المساومة، لم يكن من النبي إلا أن قال: اللهم اكفني عامر بن الطفيل.

ويشاء الله لهذا الطاغية عامر أن يصاب بوباء فأنك فلا يستطيع جبروته دفعه فيموت في بيت امرأة من بني سلول في الطريق غير مبكى ولا مأسوف عليه. هذا هو الاستقبال للدعوة الجديدة. فهل تراها وقفت حائرة مترددة؟ لا، لا، فقد كانت كل يوم تمازج قلبا جديدا، وكل يوم يشرح الله للإسلام صدرا نقيا، وتمتقه نفس برة خيرة.

كان الدين طهورا من الدخول، وثاقا للنفوس التي آمنت به. فكان يراد الرجل من المسلمين على الكفر ويعذب عذابا وحشيا، فلا تزداد نفسه إلا استمساكا بدينه، وتوثقا بروابطه، وإشارة للاستشهاد في سبيله. وكان يمر صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهم يعذبون فيقول: صبرا فإن موعدكم الجنة. وكان هو ذاته يعذب وتدمى عقباه بالحجارة فيقول: اللهم إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي.

إن هذا الاستمساك ليعد أبرز شاهد على صدق الدين وصحته. وقد قال هرقل لو قد العرب عليه حين قدموا وسألهم: أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فقالوا: لا، قال: وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

على أن التعاليم السامية التي جاء بها محمد صلوات الله عليه لم تكن مما يشغل على

النفس ويرتفع فوق الجهد ، وإيماني من اليسر والسهولة بحيث تتعجب اليها الميول ،
وتتعلق بها الرغبات . قال تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وقال صلى الله عليه
وسلم : « إن الدين يسر لا عسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .

كانت الدعوة دعوة صادقة الى التجرد من ظلمة العقل وظلمة القلب وظلمة الروح
الى ترك الأوثان وهجر الأنصاب ، والتوجه بكمال الخشوع والخضوع والعبادة الى إله
واحد قادر ، يثيب المحسن ويماقب المسيء .

ومما حثت عليه هذه الدعوة حثا جازما أن يعود الغنى على الفقير بفضل من ماله ،
وينزل له عن جزء من حقه ، محاربة للفقر ، واجتنابا للقلة والموز ، وإهلا كالجرائم الإجرام ،
وإماتة بواعث الشغب والقلق .

كان طبيعيا أن يستجيب للدعوة من سبقت لهم الحسنى ، وأن يصدقها من تجرد
من الهوى وبرئ من الغرض . فقال أبو بكر الصديق من أول الأمر : صدقت
بارسول الله . وقال ورقة بن نوفل (وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب
الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل ما شاء الله أن يكتب) قال : هذا الناموس
الذي نزل الله على موسى ياليتني فيها جذعا (يعني فتيا) إذ يخرجك قومك . فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي
وإن يدركني يومك أنصرك فصرا مؤزرا .

وقال ضمام بن ثعلبة حين سأل النبي عن حقيقة الدعوة وعرف سموها وقوتها :
أشهد بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قوى إليك . وجمع أكرم بن صبيح خطيب
العرب ، وفارس حلبة البيان في الجاهلية قومه وقال : وإن ابني شافه هذا الرجل مشافهة
وأنا في مخبره وكتابه بأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ، وبأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ،
ويدعو الى توحيد الله عز وجل ، وخلع الأوثان وترك الخلف بالنيران ، وقد عرف

ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو اليه ، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه ... إن الذي يدعو اليه محمد لو لم يكن ديننا لكان في باب الأخلاق حسنا .

وقد رأى علي بن أبي طالب رسول الله يسجد لربه فقال له : ماذا تفعل ؟ قال : أسجد لله رب العالمين ، ألا تفعل كما أفعل ؟ فقال : يا محمد أمهلني إلى الفد حتى أستشير أبا طالب . وقضى الفتى الحدث ليله يطارد أشباح الخواطر ويجاهد أهوام النفس إلى أن أصبح الصباح ، فنهض إلى ابن عمه يقول : يا محمد إن الله قد خلقني من غير أن يشاور أبا طالب فما حاجتي أنا إلى مشاورته لكي أعبد الله ؟

لم تقف همة محمد صلى الله عليه وسلم عند حد دعوة أفراد من قومه وعشائر من بني جنسه ، فتطلع إلى أكبر من ذلك ، مدفوعاً بأمر ربه ، فبعث إلى هرقل يقول : « أسلم نسلم يؤثرك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين . وبعث إلى كسرى وإلى عماله وعمال هرقل على الإمارات والمقاطعات ، وأتاح الله لهديته أن ينتشر ، وأن يظهر على الدين كله ولو كره المشركون ، وأراد للانسانية أن تنتعش بعد اختناق ، وأن تعز بعد ذل ، وتتقدم بمد تقهر ، فسرت فيها هداية الاسلام . وما يزال نوره يشرق ويلتسع ، ولن يزال يشع للناس تبصيرا ، ويوجههم إلى الخير والسعادة توجيها إلى ما شاء الله . والآن إذ أجبنا هذا الإجمال في ظهور الدعوة وهبوب ريحها وانتشارها في الخافقين ، لننظر في آدابها نظرة عاجلة نتعرف فيها ما تحمله من حكمة ، وما تضمنه بين أمثلها من خلق :

لقد جاء فيما جاء عن الله : « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ، حملته أمه كرها ووضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » . جيل هذا الأدب الإلهي الذي يطلب إلى المرء أن يحسن إلى والديه وهما أول من أحسنوا اليه . وقال : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » . حث على تكوين الجماعة وثوق الرابطة بين الأفراد ، لإعزاز الكلمة وبسط السيادة . « لا تأكلوا الربا أضفامضاغفة » . نهام عن داء استعكم فيهم فأضعف الأخلاق وقتل المروءة ، وقضى على البر والنجدة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخذ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»
 «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». «كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه
 وعرضه». وتكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فوقع في عرض أخيه، فلما أرادوا
 الصلاة قال له النبي: تحلل أيها الرجل. فقال لم آكل لحم جزور يا رسول الله. قال:
 «ولكنك أكلت لحم أخيك». وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بشراركم؟
 قالوا: بلى. قال: من أكل وحده، ومنع رفته، وضرب عبده. ألا أخبركم بشر من
 ذلكم من لا يقبل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا ينفر ذنباً. ألا أخبركم بشر من ذلكم
 من يبغض الناس ويبغضونه».

وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فخبذه من رذائه حتى حز في عنقه وقال: يا محمد
 أعطني من مال الله فإنك لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك. فتبسم النبي صلى الله
 عليه وسلم وقال: نعم ولكن يفاد منك يا أعرابي! فقال: لا يا رسول الله لأنك لا تجزي
 بالسينة السينة.

مظهر جميل من التسامح وحسن المعاملة، يرفق أجنى الطبع، ويلطف أغلظ المعادات،
 ويهذب أخشن النفوس.

بهذا السمو وبذلك القداسة طلع النور الجديد على الإنسانية، وبذلك اللين والرفق
 نفذت هداية النبي صلى الله عليه وسلم إلى القلوب المغلفة المظلمة، وبذلك الكف الندي
 قرعت أبواب الصدور الموصدة، فاستجاب لها غرائر الخير، وأنقادت عواطف البر،
 وأخذ دين محمد بن عبد الله سبيله في الحياة.

يا رسول الله، يا نبي الوجود، يا منقذ الإنسانية: في يوم ميلادك تنحني الرؤس
 وتخشع النفوس وتستبصر العقول وتيقظ الهمم الغافلة.

عليك أفضل الصلوات وأطيب التحيات — آمين .
 عبد الحميد محمود المسامحة
 بكلية اللغة العربية

